

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العدد الثاني عشر

أَهْلُ الْبَيْتِ

ربيع الأول ١٤٣٣ هـ / شباط ٢٠١٢ م

مجلة فصلية محكمة تصدر عن جامعة أهل البيت

رئيس التحرير: أ.د. عبود جودي الحلي  
سكرتير التحرير: أ.م.د. باقر جواد الزجاجي

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. محمد عبدالحسين الخطيب  
أ.م. د. حسن حنتوش رشيد  
أ.م. د. حكمت عبد حسين الخفاجي  
أ.م. د. مهدي داخل العبيدي  
أ.م.د. كمال عبد حامد آل زيارة  
أ.م.د. عبد حمزة محسن

كربغاء، شارع فاطمة الزهراء عليها السلام ، جامعة أهل البيت عليها السلام  
ص.ب: ١٠١٩ ، هاتف: ٣٥١٢٥٧٩

Karbala, Fatimah-al-Zahra street, P.O.Box: 1019, Tel: 351257-9  
karbala@ahlulbaitonline.com , www.ahlulbaitonline.com

## قواعد النشر في المجلة

ترحب مجلة أهل البيت عليهم السلام بمساهمات الأساتذة والكتاب والباحثين في مجالات الفكر الإسلامي ، والعلوم الإنسانية والإجتماعية مع الإهتمام بقضايا المشكلات الثقافية في العالم العربي والإسلامي ، والتجدد والبناء الحضاري ، وكذلك قضايا الإنماء التربوي والتعليمي.

يشترط في الماده المرسلة :  
أن لا تكون قد نشرت أو أرسلت للنشر في مجلات أخرى .

أن تلتزم بقواعد البحث العلمي والأعراف الأكاديمية بتوثيق المصادر والمراجع ، بذكر البيانات كاملة ، مع تحقيق الموضوعية والمنهجية والمعالجة العلمية ، مع تحريج النصوص القرآنية والحديث النبوى الشريف بصورة دقيقة و كاملة .

أن يراعي الباحث سلامه اللغة وحسن صياغتها .

يقدم البحث من نسختين مطبوعة على الآلة الكاتبة والخاسوب ويرافقه ملخص في صفحة واحدة مع تعريف بالباحث .

تخضع الماده المرسلة للنشر لمراجعة المقومين المتخصصين .

لا تعاد المواد التي ترسل إلى المجلة ولا تسترد ، نشرت أم لم تنشر . ولا تلتزم المجلة بإبداء أسباب عدم النشر .

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه .  
توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان .

كربيلا ، شارع فاطمة الزهراء عليها السلام ،  
جامعة أهل البيت عليهم السلام

ص.ب: ٣٥١٢٥٧٩ ، هاتف: ١٠١٩

## الهيئة الاستشارية

الأستاذ الدكتور

حسن عودة زعال

رئيس جامعة كربلاء

الأستاذ الدكتور

حاكم محسن محمد

عميد كلية الادارة والاقتصاد / جامعة كربلاء

الأستاذ الدكتور

ناظم رشيد شيخو

كلية التربية / جامعة الموصل

الأستاذ الدكتور

خديجة الحديثي

كلية الآداب / جامعة بغداد

الأستاذ الدكتور

عباس زيون العبودي

كلية القانون / جامعة كربلاء

الأستاذ الدكتور

صحيبي ناصر حسين

كلية البنات / جامعة بغداد

الأستاذ الدكتور

هادي حسين الكرعاوي

معاون عميد كلية الفقه / جامعة الكوفة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٢٠٠٥ لسنة ٨٥٤

ISSN 1819-2033

## محتويات العدد

٥	كلمة هيئة التحرير . . . . .
٦	الشعراء الرواد والبحور المركبة . . . . .
	أ.د. عبد جودي الحلبي ، رئيس جامعة أهل البيت <small>عليه السلام</small>
	م.م. علاوي كاظم كشيش ، جامعة كربلاء ، كلية التربية
١٦	أهل البيت <small>عليه السلام</small> في الصحيفة السجادية (قراءة تأويلية) . . . . .
	أ.د. حاكم حبيب الكريطي ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة
٢٦	ظاهرة التضخم النقدي في العراق وانعكاساتها الاقتصادية . . . . .
	أ.م.د. كمال عبد حامد آل زيارة ؛ كلية القانون - جامعة أهل البيت <small>عليه السلام</small>
	أ.م.د. حكمت عبدالرزاق الدباغ ؛ كلية القانون - جامعة بابل
٤٨	دور الأم في نقل الجنسية إلى الأولاد في التشريعات العربية والعراقية . . . . .
	(دراسة مقارنة)
	د. حسن الياري ، كلية القانون ، جامعة اهل البيت <small>عليه السلام</small>
٨٣	أساليب الأمر والنهي والاستفهام في جزء من الصحيفة السجادية . . . . .
	(الأيام المباركة أثنوذجا)
	أ.م.د. باقر جواد الزجاجي ؛ جامعة أهل البيت <small>عليه السلام</small>
	د. محمد حسن الأسدی ؛ جامعة أهل البيت <small>عليه السلام</small>
٩٥	مدينة الكاظمين ؛ معلم ديني سياحي (دراسة تأرخية) . . . . .
	م.م. علي جاسم طلال الموسوي ؛ كلية الشريعة ، جامعة أهل البيت <small>عليه السلام</small>
١١٧	دراسة نقدية في تطور فكرة التجديد في النحو العربي عند شوقي ضيف . . . . .
	محمد باقر حسيني ؛ قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة الفردوسي - مشهد
	احمد حنيفي زاده ؛ طالب دكتوراه ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة الفردوسي مشهد
١٣٠	استعمال حروف المعاني وأثرها في البنية الإيقاعية عند الجواهري . . . . .
	م.م. جواد عودة سبهان ؛ معهد إعداد المعلمين ، كربلاء المقدسة
١٤٧	القيود الدستورية على عمل السلطة التنفيذية والتشريعية في العراق . . . . .
	م. خالد عبد الأمير الجاروش ؛ كلية القانون ، جامعة أهل البيت <small>عليه السلام</small>
	م.م. رشا شاكر حامد ؛ كلية القانون ، جامعة أهل البيت <small>عليه السلام</small>
١٦٦	تجليات الانبعاث والموت في الطللية والتمزية - طللية لبيد بن ربيعة وتقديرية السياسات الموزجية . . . . .
	(دراسة مقارنة)
	د. ليلى نعيم عطية الخفاجي ؛ المديرية العامة لتنمية الصرافة ، بغداد
١٨٦	المؤولية السياسية للقائمين بأعباء السلطة التنفيذية (دراسة مقارنة) . . . . .
	م. ميثم حسين الشافعي ؛ كلية القانون ، جامعة أهل البيت <small>عليه السلام</small>

٢٢٢	شعر الاستهاض بالإمام الحجة (عجل الله فرجه) عند أبي الحب الكبير . . . . .	(دراسة في المضمون الموضوعي)
	أ.د. عبود جودي عبود الحلي ؛ رئيس جامعة أهل البيت <small>عليه السلام</small>	
	م.م. راوية محمد هادي حسون الكلش ؛ كلية التربية ، جامعة كربلاء	
٢٤٠	أثر كلام الإمام علي <small>عليه السلام</small> في الأدب الصغير والأدب الكبير . . . . .	
	أ.م.د. سيد محمد رضا ابن الرسول ؛ قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة أصفهان	
	م.م. فهيمه سلطاني نزاد ؛ جامعة أصفهان ، فرع اللغة العربية	
٢٥٢	السيد حسن نصر الله في الشعر العربي المعاصر . . . . .	
	د. عبد العلي آل بويه ؛ جامعة الإمام الخميني الدولية	
	بيوند سفرى ؛ جامعة الإمام الخميني الدولية	
	د. عبد الحسين عباس الحلبي ؛ جامعة أهل البيت <small>عليه السلام</small>	
٢٦٧	الطباق في الصحيفة السجادية . . . . .	
	د. جعفر علي عاشور ؛ كلية الآداب ، جامعة أهل البيت <small>عليه السلام</small>	
	م.م. هدى حسين	
٢٧٣	السجود على الأرض أبلغ صور التذلل لله سبحانه و تعالى . . . . .	
	فريدة الاعرابي ؛ الجامعة الحرة - فرع مدينة سمنان	
	سید مسعود السیادتی	
٢٩٤	الحكمة في شعر الصعاليك (دراسة تحليلية). . . . .	
	د. عمار المسعودي ؛ الكلية التربية المفتوحة ، كربلاء.	
6	الأخلاق كدراسة مقارنة بين اللغتين الانكليزية والعربية . . . . .	
	شيماء عبد الحسين العمار ، كلية التربية ، جامعة كربلاء	

**قسم الانكليزي :**

6	الأخلاق كدراسة مقارنة بين اللغتين الانكليزية والعربية . . . . .	
	شيماء عبد الحسين العمار ، كلية التربية ، جامعة كربلاء	

## كلمة هيئة التحرير

### كريلاع عاصمة الثورات

لم تحدث الثورات العربية من فراغ ، ولم تخرج من رحم المجهول بل هي تضرب بجذورها إلى تاريخ الأمة المجيد ، وتأخذ حرارتها من أمجاد المسلمين و تستلهم جذورها من موقف الرجال العظام الذين قارعوا الظلم والقهر وبذلوا دمائهم رخيصة على طريق الحرية ، ويأتي على رأس هؤلاء الرجال الإمام الحسين بن علي عليه السلام الذي مرت ذكرى شهادته قبل أيام . فالحسين عليهما السلام أصبح انموذجاً ونموذجاً حياً لكل الثائرين على مدى التاريخ حتى من غير المسلمين كغاندي وجيفارا ، كان الحسين في وجدانهم يستلهمون منه العزيمة والقوة في نضالهم ضد قوى الظلم والاستبداد .

ولاشك فإن أدبيات الثورة الحسينية وجدت طريقها في الثورات العربية التي كان شعارها هيئات المنازلة وهي الكلمة الرائعة التي أطلقها الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء : " وأن الداعي ابن الداعي قد رکز بين اثنتين بين السلة والذلة ففيها هيئات منا الذلة ". والتي تحولت إلى شرارة تؤجج روح الثورة في الشعوب المظلومة المغلوب على أمرها .

من هنا كان الحسين عليه السلام ملهمًا للثوار معبداً لهم طريق الثورة وأساليب التحدى وواضعًا بين أيديهم المنهج المؤدي إلى النصر وهو منهج غلبة منطق الدم على منطق السيف .

فالدم الذي اريق في كريلاع في اليوم العاشر من محرم من عام ٦١ للهجرة هو الذي زلزل عرش الطاغية يزيد ومن جاءه ولو بعد بضع سنوات ، وامتد هذا الدم ليمد في عضد الأمة الروح الثورية التي رأيناها في تونس و مصر ... والتي استطاعت أن تنتصر على الظالمين .

وكان شعار الثوار هو انتصار الدم على المدفع والبنادقية .

ومن هنا أيضاً أصبحت كريلاع محجة للثوار على مدى التاريخ فعلى رباها مر كل ثائر وأخذ من ترابها سلاحاً لثورته .

وقد شاهدنا قبل أيام وفود الملايين الذين جاءوا لزيارة الأربعين من كل فج عميق ليشهدوا دراما انتصار الدم على السيف ول يؤكدو من جديد أن كريلاع ليست مدينة عادية بل هي عاصمة الثورات . التي اندلعت والتي لا زالت في الطريق ...

## الشعراء الرواد والبحور المركبة

أ.د. عبود جودي الحلي<sup>(١)</sup>  
م.م. علاوي كاظم كشيش<sup>(٢)</sup>

### المقدمة

نشأ الشعر العربي على أوزان نبعث من اللغة العربية الثرة العظيمة، الغنية بأساليبها وفنونها البينية وخصائصها البنائية التي لا تخد. وقد انقسمت هذه الأوزان على نطرين من البحور، النمط الأول: هو البحور الصافية، تلك التي تتشابه تفعيلاتها ، وهي : الرجز ، والرمل ، والهزج ، والكامل ، والمقارب ، والمتدارك . والنمط الثاني : هو البحور المركبة، تلك التي تختلف تفعيلاتها ، مثل : الطويل ، والبسيط ، والمديد ، والمنسج ، والخفيف ، والسريع ، والوافر ، والمجتث ، والمقتضب ، والمضارع.

وقد اختلفت هذه البحور في نسبة شيوعها على خارطة الشعر العربي ، وقد كان للطويل والبسيط النصيب الأكبر من نسب الشيوع ، حتى سمي الطويل بـ "الركوب". وبلغ من درجة شيوع هذه البحور أن المعلقات نظمت عليها عدا معلقتي لبيد بن ربيعة العامري ومعلقة عنترة فقد نظمتا على البحر الكامل . وفي بداية حركة الشعر الحر مال الشعراء الرواد إلى النظم على البحور الصافية تخلصا من رتابة القصيدة العربية ذات السطرين بحسب زعمهم ، ومحاولة منهم لتطوير السطر الشعري العربي ، فتطلب ذلك تفعيلة واحدة تستمر في القصيدة كلها وتتكرر في عدد غير محدود ، على أن القافية ووحدة(الضرب) ظلا شرطين من شروط القصيدة الحرة الجديدة.

إلا أن بعض الشعراء الحداثيين لم يتوقفوا عند هذا الحد بل عمدوا إلى البحور المركبة وحاولوا تطويرها لنظام شعر التفعيلة الحر ، فاختلفت المحاولات وتنوعت. ولكن ما يجمع بينها أنها قليلة العدد ، فكانت محاولات الشاعر بدر شاكر السياب أكثرهم عددا. إلا أن المهم في هذا المجال أن المحاولات لم تتوقف حتى هذا اليوم .

١- رئيس جامعة أهل البيت عليه السلام  
٢- جامعة كربلاء، كلية التربية

وإذا كان شعر التفعيلة قد عد ثورة وتجدیدا باستخدامه ما يقل عن نصف بحور الشعر العربي (الصافية فقط)، فإن محاولة النظم على البحور المركبة يعد بالقياس على ما سبق مغامرة أكثر جرأة وإبداعا وأوثق أصالة وارتباطا بالقصيدة العربية العريقة وتحديثها لها وانتباها إبداعيا نحو استثمار ثروة هائلة نبعت من رحم اللغة العربية وجماليتها.

### الشعراء الرواد والبحور المركبة

على الرغم من أن الشعر الحر اتخذ التفعيلة وحدة ، وخص البحور الصافية مضامير لجياده. إلا أن طموح الكتابة على البحور المركبة ظل هاجسا ورغبة يستفزان الشعراء الرواد وبعض من تلامهم (لأن النظام الإيقاعي الذي اقترحه الرواد، واستبشروا بما أتاح لهم من حرية، سرعان ما بدا ضيقا رتيبا، فهو ضيق لأنه لم يخرج على عدد البحور الموروثة بل لقد ضاق حتى اقتصر على عدد منها)<sup>(٣)</sup>، هي البحور التي أطلقت عليها نازك الملائكة اسم البحور الصافية. وعلى الرغم من المحاوالت التي بذلها بدر شاكر السياب وشاذل طاقة في النظم على بحور أخرى من البحور التي سمتها نازك الملائكة بـ "البحور المزوجة" (ظل النظام الإيقاعي ضيقا)<sup>(٤)</sup>. ولأن هذا النظام الإيقاعي الذي بدا جديدا في حينه لم يكن جديدا في جوهره (فلا عجب اذا ما طفت الرتابة على النظام الإيقاعي برمته ، وأصبحت بسرعة ظاهرة محسومة، وتحولت الى محفز لخروج جديد وبحث عن نظام إيقاعي آخر)<sup>(٥)</sup> وبالبحث في مغامرات الكتابة عند الرواد يظهر أن هناك حصيلة لا بأس بها من القصائد التي جاءت على البحور المركبة (الطوويل والبسيط والخفيف والسريع) ، وبالتخلي قليلا عن معيار الكم سيتم النظر الى هذه القصائد بعدها خطأ آخر موازيا لخط التغيير الذي استعمل البحور الصافية منذ نشأة الشعر الحر، خصوصا أن السياب كان في التجريب أكثر كما منهم ، إلا أن شاذل طاقة (كان في تجربته العروضية أجرا من السياب ومن نازك ، ولكن فنور اهتمامه بالكتابة نحاه عن الصف الاول من الشعراء)<sup>(٦)</sup>. فيكون بهذا (شاذل طاقة اول شاعر استخدم في قصيده الحرة بحرا مركبا في حين جرب الشعراء بعد عدة سنوات اخضاع القصيدة الحرة لبحر مركب)<sup>(٧)</sup>.

فيلاحظ من ذلك (أن شاذل طاقة لم يكتب على تفعيلة الخبب ولا الوافر ولا الهزج ، بينما غامر في تلك الفترة المبكرة من تاريخ حركة التجديد فكتب قصيدة على البحر الخفيف في وقت كان فيه السياب ونازك يتحاشيان الكتابة على بحر من البحور المركبة ، وعنوان هذه القصيدة "انطلاق"<sup>(٨)</sup>). (ولم يكن شاذل السباق في هذا فحسب ، بل كان السابق في مزج الأبحر أيضا. ففي قصيدة "غضب" مزج شاذل بين المتدارك والخفيف مزجا مقبولا ، وكانت تلك مغامرة أخرى لم يقدم على مثلها إلا السياب بعد أكثر من

(٣) (وبهذا فقد أسقطت من الحساب ثمانية أبجر برمتها وهي : الطويل والمدید والبسيط "دائرة المختل برمتها" والمنسج والمقطب والمضارع والخفيف أي ثلثا دائرة المشتبه") ينظر: فن التقسيط الشعري والقفائية، د. صفاء خلوصي : ٤٦٥ . ونظريا، لم يبق إلا ثمانية بحور شعرية فقط يمكن أن تسمى في تشكيل إيقاع القصيدة الحديثة، أما عمليا فان نصف هذا العدد، أو أقل من ذلك، هو ما يؤدي دورا موسيقيا واضحا في شعرنا الحديث. ينظر: في حاثة النص الشعري، علي جعفر العلاق، دار الشروق، عمان - الاردن، ط١، ٢٠٠٣، ص ٧٧

(٤) الموجة الصالحة ، شعر الستينيات في العراق، سامي مهدي ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، ١٩٩٤ ، ص ٢٩٤

(٥) الموجة الصالحة : ٢٩٥

(٦) وعي التجديد والريادة الشعرية في العراق، سامي مهدي ، دار الشؤون الثقافية العامة، الموسوعة الصغيرة ٣٨٧، بغداد ، ٦٧ ، ١٩٩٣

(٧) الإيقاع في شعر شاذل طاقة، شروق خليل اسماعيل ذو النون الامام، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الموصل ، ٢٠٠٢ ، ٣٥،

(٨) وعي التجديد... ، سامي مهدي: ٦٨

عقد من الزمان، ولا بد من الاشارة الى أن هذه المحاولة تختلف عن محاولات أبواللو، وانها نجحت من حيث فشلت محاولات تلك الجماعة. أن قصائد شاذل طاقة التي كتبت على الغرار الجديد كانت جديدة في خروجها على نظام البيت فحسب، أما في ما عدا ذلك فلم يكن فيها من الجدة شيء<sup>(٩)</sup>. ومهما يكن من أمر تقسيم القصائد الاولى فإن مسألة النظم على البحور المركبة مغامرة تقاسِم الأهمية مع مغامرة الشعر الحر الذي نظم على البحور الصافية، بل يبدو أن المغامرة تصبح مجروءة بدون ان تدرس مسألة البحور المركبة في الشعر الحر ، والتي هي مغامرة عراقة المنشآح حالها حال باقي المغامرات ، وعلى الرغم من عدم شيوع هذه الظاهرة ، فقد قلل أحد الباحثين من أهميتها لأن(القصائد القليلة التي كتبها الشعرا على بحور مركبة لم تستطع أن تقدم الأنماذج المثالى أو المقنع ، بل لم تتعذر كونها تجاري بشخصية قليلة تضيع بين قصائد أخرى للشعراء أنفسهم )<sup>(١٠)</sup>. إلا أن الباحث نفسه امتدح الكتابة على البحور المركبة ، فـ(الشاعر الذي ينظم قصيدة في المقارب تكون فرسته الوحيدة لكسر رتابة هذا الوزن ، زحاف القبض الذي يحول فعول الى فعول. أما الذي ينظم قصيدة على البسيط فيستطيع التنقل بين صور مستعملن وفاعلن المختلفة)<sup>(١١)</sup>. أو( يمكن الشاعر في حالة النظم على بحر مركب من تكوين عدد من العلاقات بين كلمات البيت ومركباته الوزنية "التفعيلات" فهو يستطيع مطابقتها او مخالفتها في أماكن مختارة من البيت ، ومع أن هذا ممكن أيضاً في البحور البسيطة ، فإن الامكانية تتضاعف في البحور المركبة)<sup>(١٢)</sup>. وقد تم تجاهل هذه القصائد من الاحصائيات الدقيقة المنضبطة التي حفل بها كتاب "دير الملائكة" لـالدكتور محسن اطيمش الذي صدر عام ١٩٨٢ ثم كتابه "تحولات الشجرة" الذي أخرج وسط تسعينيات القرن الماضي<sup>(١٣)</sup> . إذ أشار الدكتور اطيمش الى هذه البحور وجدواها عندما نجد ميل نازك الملائكة الى ذوقها الشخصي في بعض القضايا ومنها البحور الصافية وعدد التفعيلات ، فقال : فالشاعرة عندما تقرر - مثلاً - أن أبهرـا كالطويل والبسيط والخفيف غير صالحـة إطلاقا لكتابة الشعر الحر لأنـها تتكون من تفعيلات متـنوعـة ، فإنـها تتنـاسـى أنـبعـضاً منـمعـاصـريـهاـ الجـددـ قدـ أـفـادـ منـ هـذـهـ الـبـحـورـ فيـ قـصـيـدـتـهـ "ـالـحـرـةـ"ـ وـوـجـدـهـ سـائـعـةـ وـلـائـقـةـ ،ـ بلـ جـديـرـ بـتقـديـمـ رـوـاهـ وـهـوـاجـسـهـ وـأـفـكـارـهـ ،ـ قـبـلـ أـنـ تـهـتـدـيـ النـاقـدـةـ الشـاعـرـةـ إـلـىـ قـوـانـينـهاـ بـسـنـوـاتـ .ـ وـلـعـلـ شـاذـلـ طـاقـةـ وـبـلـنـدـ الـحـيدـريـ ثـمـ بـدـرـ شـاكـرـ السـيـاـبـ كـانـواـ مـنـ أـوـاـئـلـ الشـعـرـاءـ الـذـيـنـ تـبـهـوـ إـلـىـ إـمـكـانـيـةـ إـلـفـادـةـ مـنـ تـلـكـ الـأـبـهـرـ وـحـاـولـواـ الـكـاتـبـةـ فـيـهـاـ...ـ)ـ .ـ ثـمـ اـمـتـدـحـ هـذـاـ التـوـجـهـ بـقـوـلـهـ :ـ (ـ حـقـاـ أـنـ تـوـجـهـ الشـاعـرـ إـلـىـ مـثـلـ تـلـكـ الـأـبـهـرـ ،ـ إـنـاـ هـوـ إـغـنـاءـ لـوـسـيـقـيـ الشـعـرـ الحرـ ،ـ وـمـاـهـيـةـ لـلـإـفـادـةـ مـنـ طـاقـاتـ الـعـرـوـضـ الـعـرـبـيـ...)ـ فـاقـتـرـحـ (ـ أـنـ كـاتـبـةـ مـقـطـعـ يـحـرـيـ عـلـىـ بـحـرـ الطـوـلـ فيـ قـصـيـدـ حـرـةـ سـيـكـوـنـ أـقـرـبـ إـلـىـ الـقـبـولـ لـوـ كـانـتـ قـصـيـدـ تـجـريـ عـلـىـ المـقـارـبـ مـثـلاـ،ـ

(٩) ينظر: م.ن : ٦٨ - ٦٩

(١٠) الإيقاع في الشعر العربي الحديث في العراق، ثائر عبد المجيد ناجي العذاري، رسالة ماجستير، كلية التربية ، جامعة بغداد، ١٩٨٩ ، ص ٧٨

(١١) المصدر نفسه: ٧٥

(١٢) المصدر نفسه: ٧٥

(١٣) توفي الدكتور محسن اطيمش رحمه الله عام ١٩٩٥ - وصدركتابه (تحولات الشجرة) عن دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٦

(١٤) تحولات الشجرة : ٨٣ - ٨٨ ، ووجد سيد البحراوي في دراسته لنظام المقطعي في شعر السياب ، أن الاوزان المركبة اقتصرت على نسبة٪٣٠ تقريراً . وهذا ينفي عن الشعر الحر الاتهام الذي وجهته اليه نازك الملائكة حين قالت انه لم يتعامل مع الاوزان المركبة ولا ينبغي له ، لأنـهاـ لاـ تـصـلـحـ لـهـ .ـ يـنـظـرـ :ـ الإـيقـاعـ فـيـ شـعـرـ السـيـاـبـ ،ـ دـ.ـ سـيدـ الـبـحـرـاـوـيـ ،ـ دـارـ نـوارـةـ لـلـتـرـجـمـةـ وـالـنـشـرـ ،ـ الـقـاهـرـةـ ،ـ دـ.ـ طـ.ـ ١٩٩٦ ،ـ صـ ١٤٢ـ .ـ

(١٥) تحولات الشجرة : ٨٧

وكتابة مقطع من البسيط لن يجد نابياً جداً لو كانت القصيدة عموماً تجري على الرجز أو السريع<sup>(١٦)</sup>. ومع عناية بعض الشعراء بكتابة قصائد على أبخر غير صافية فان هذه الظاهرة عموماً ليست بالشائعة في التاج الشعري الجديد، وهي وإن ولدت في حقبة من عمر الشعر الحديث فإنها الآن في طور الانحسار<sup>(١٧)</sup>. وقد أظهرت نتائج الاحصاءات التي قام بها الدكتور محسن اطميسن (أن الأهمية الكبيرة التي حظي بها بحر الطويل والبسيط في الماضي، لم تعد لتعني الشاعر الحديث كثيراً، لأنه أخذ يلتجأ - في الغالب - إلى الرجز والرمل، وهذا يعني أن ذاكرة الشاعر الحديث الموسيقية لن تفيده كثيراً من الطويل والبسيط والخفيف...)<sup>(١٨)</sup>.

على أن يوسف الصائغ استبعد أن يكون الشعراء قد استقر اختيارهم على البحور الصافية حتى نهاية عام ١٩٥٨ وظلت البحور ذوات التفعيلتين تغري الشعراء بالتجربة<sup>(١٩)</sup>. ولكن يوسف الصائغ لم يوضح لماذا كانت هذه البحور تغري الشعراء بالتجربة. أهي المشاكسة والتغيير العشبي؟ أم هو إحساس بالانتساع لتركة سمعية درجت عليها أسماع الشعراء وتربت وتدرست فصعبت عليهم مغادرتها؟ أم هو التجاذب بين اللغة الحافلة بأنواع الجمل وبين ما تتمتع به البحور المركبة من تنوع وتجاذب وتناسب؟ فالقصيدة (التقليدية) لم تنته كشكل موسيقي، ومازالت بعض الأذواق العربية تفضلها على الشعر الحر، وجاءت أذواق أخرى من داخل الشعر نفسه أو من الأصوات الأحدث لترفض هي الأخرى شكل الشعر الحر، ولتبث عن شكل آخر لم يتبلور بعد بوضوح<sup>(٢٠)</sup>. ولكن هناك مهارات تغلبت على الخطاب النقدي العروضي وقداته إلى حيث لا يريد فأوقعته في التشابه والتآثر المستحصلة مسبقاً. مثل فكرة ، القالب الوزني، أو الأدراج ، كما اتفق يوسف الصائغ مع الدكتور عز الدين اسماعيل بأن (البحر العروضي كان بالنسبة للشاعر القديم شيئاً ناجزاً. انه بمثابة الأدراج التي يطلب منه أن يلأها، أما تصميم هذه الأدراج ذاتها فلا دخل له فيه. إن على الشاعر أن يطوع الكلمات لنطق سابق لم يصنعه، ولم يشارك في صنعه)<sup>(٢١)</sup>. وقد جاءت التجارب فيما بعد بما لا يتفق مع رأي الدكتور عز الدين اسماعيل بعد مرور ما يقرب من ثلاثة عقود. فقد نشأت قصيدة الشعر فاستشرت "الأدراج" وحولتها إلى فن شعري يتمتع بخصائص جمالية معايرة لما سبق... مما يجعل المتبرص يعرف أن الخلل ليس في "الأدراج" بل في من يستخدمها، وأن البحر أو "البحر العروضي" لا يصيّب التقادم أو يقلل منه، وهو مجال إبداع المبدعين، فالشاعران حسب الشيخ جعفر وخالد علي مصطفى قد عمدا إلى نمط صعب في الكتابة وطوعاه إلى الكتابة العربية وذلك بكتابتهما السوناتة<sup>(٢٢)</sup> الشعرية، وقد تم التنظير لهذه

(١٦) م. ن : ٩٤

(١٧) ينظر: م. ن: ٩٤

(١٨) م . ن: ٩٤

(١٩) ينظر: الشعر الحر في العراق، يوسف الصائغ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٦ ، ص ١٨٥

(٢٠) الإيقاع في شعر السياب، د. سيد البحراوي، ، ص ١٤٣

(٢١) الشعر الحر في العراق، يوسف الصائغ: ١٨٢ وينظر: الشعر العربي المعاصر قضيّاه وظواهره الفنية والمعنوية، د. عز الدين اسماعيل: ص ٥٤

(٢٢) Sonnet: السوناتة قصيدة شعرية مؤلفة من ١٤ بيتاً، لها وزن وترتيب قافية ثابتان. والاسم مشتق من الإيطالية، ويعني أغنية صغيرة. وتألف السوناتة الإيطالية من مقطعين: الأول افتتاحي ويدعى أوكتاف، (أول ثانية أبيات)، ويعرض فيه الشاعر موضوعه أو تجربته، والثاني خاتمي ويدعى سستيت، (آخر ستة أبيات)، وفيها تجذب مع الافتتاحية: أو تعقب على موضوعها. ترتيب قوافي الأبيات الافتتاحية أب ب أب ب، أي أن الأبيات الأولى والرابع والخامس والثامن لها قافية، والثاني والثالث، والسادس والسابع، لها قافية أخرى. غالباً يكون ترتيب قوافي الأبيات الخاتمية على نحو ج د هـ. أما خلال عصر النهضة الإيطالية، أي في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، فقد كتب الشعراء مجموعة قصائد غزلية متربطة موضوعياً أطلق عليها اسم السوناتة المتالية. فكتب ذاتي سوناتات ليبارتس. وكذلك بيترارك لخيته لورا. وكتب شاعر البلاط الفرنسي بيير دو رونسار مجموعة تسمى سوناتا

القضية والتطبيق عليها من قبل "حركة قصيدة شعر" التي ولدت في منتصف التسعينيات من القرن العشرين في العراق، وحققت نتائج طيبة تنتظراً وإنجازاً وتطبيقاً. ولا يقل ذلك من أسبقيّة نصوص عبد الأمير الحصيري الشاعر العراقي الذي نهض بالقصيدة "العمودية" نهضة جمالية.<sup>(٢٣)</sup> وتشير الدراسات الحديثة إلى أنه يمكن أن يكون في القصيدة الواحدة إيقاعات متعددة قد تقارب وقد تقابل وقد توجد السمتان مجتمعتين.... كل وحدة في القصيدة مثل الفصل أو المشهد أو الجملة الإيقاعية الدلالية تتعلق عن سمة إيقاعية قد تكون مغایرة للسابقة لها واللاحقة بها)<sup>(٢٤)</sup> خاصة وإن اللغة العربية لغة الأذن والسماع والإيحاء والترابيب التي لا تنتهي والاستعارات المتاحة إلى ما لا نهاية ( فهي في جملتها فمن منظوم منسق الأوزان والأصوات لا تنفصل عن الشعر في كلام تألفت منه ولو لم يكن من كلام الشعراء، وهذه الخاصة في اللغة العربية ظاهرة من تركيب حروفها على حدة إلى تركيب مفرداتها على حدة، إلى تركيب قواعدها وعباراتها، إلى تركيب أحاريفها وتفعيلاتها في بنية القصيدة<sup>(٢٥)</sup>. والمتابع لتاريخ الأوزان في الشعر العربي يستطيع أن يلاحظ أن استخدام مجموعات الأوزان قد ارتبط بأغراض حيادية مثل الرقص والغناء، ولذلك نجدها تزداد في العصور الأموية والعباسية، كذلك نجدها استخدمت بكثرة في الأشكال الشعرية الخارجية على الفهوم العروضي للقصيدة مثل المسمطات والموشحات والزجل، بالإضافة إلى الأشكال المقطوعية الحديثة، ومن هنا نجد أن نسبتها في العصر الجاهلي كانت ١٠٪ ثم زادت في القرن الأول إلى ١٧٪.....لتصل إلى ٣١٪ عند شعراء ابوالللو. ومن الطبيعي أن تكون هذه النسبة أعلى كثيراً في الشعر الحر حيث يعتمد أساسه على السطر وليس على البيت ، ويكون السطر فيه أقرب إلى الشطر في تواصله أو في عدد تفعيلاته<sup>(٢٦)</sup>. زيادة على ذلك فإن الشعر العربي ينقاد إلى الموسيقى بيسير بفعل غنى الإيقاع الموسيقي فيه وتنوعه ، في بحوره الصافية ، وغير الصافية على الأخص ، وجاهزيته هذه ليست إلا موسيقى أيسر ما

لهم(١٥٧٨). تعلم الشعراء الإنجليز هذا النوع من الشعر أثناء رحلاتهم في أوروبا. نشرت سوناتات للشاعرين السير توماس ويات، وهنري هوارد إيرل سري في كتاب بعنوان مقتطفات توتل (١٥٥٧م). وابتدع الشاعر إدموند سبنسر في مجموعة الشعرية قصائد حب بتركتية قواف خاصّة به. أما الشكل الذي اعتمده شكسبيّر في سوناتاته فقد أطلق عليه اسم السوناتة الإنجليزية، وهي تتّألف من ثلاثة أجزاء رباعية الآيات، يبعها بيتان يطلق عليهما اسم الكوبليت(doublit). وتترتّب قافية السوناتة الإنجليزية على نحو أب ج دج د ه وهو وزز . وبعد نشر سوناتات شكسبيّر عام ١٦٠٩م أصبح هذا النمط الشعري مهملاً. ينظر: المكتبة الشاملة، الموسوعة العربية العالمية، قرص ليزري وينظر : Adventures in English Literature, Classic Edition, Harcourt Brace Jovanovich, printed in USA, 1963, P:89 التوالي(كران البور) و(غزل في الجحيم)

(٢٣) ينظر: حركة قصيدة الشعر، سام صالح مهدي، دار التكون، دمشق - سوريا، ط ١، ٢٠١٠، ص ١٠٧ ، وينظر: قصيدة الشعر، من الأداء بالشكل إلى أشكال الأداء الفني، د. رحمن غرakan، دار الرائي، دمشق - سوريا، ط ١، ٢٠١٠، ص ٤٧ ، ٦٩ ، ٨٨ ، وينظر: إشكالية الخداثة في الشعر العربي المعاصر، د. ستار عبد الله، دار رند، دمشق - سوريا، ط ١، ٢٠١٠ ، ص ٩٧ ، وينظر: قائدة الشعر وقائدة النثر، ت. س.اليوت، ترجمة: د. يوسف نور عوض، دار القلم، بيروت - لبنان، ط ٤٥، ٢٠١٠، ص ٥٥ / ٥٣.

(٢٤) الإيقاع في الشعر العربي الحديث، خليل حاوي أنموذجاً، خميس الورتاني، دار الحوار، سوريا - اللاذقية، ط ١، ٢٠١٠، ص ٥٥ / ٥٣.

(٢٥) اللغة الشاعرة، عباس محمود العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٨ .. وهذا الرأي كان رحماً لولادة رأي باحث آخر حيث قال: (أن العربية من حيث هي لسان موقعة بطبعها على مستوى جدول الاستبدال. ومرجع ذلك أنها استئنافية أساساً. ومعنى هذا أن جزءاً من مفرداتها غير هين ينقسم إيقاعياً إلى مجموعة سمتها التماثل الصيغي. إذ نجد مجموعة اسم الفاعل ومجموعة اسم المفعول وما شابهه "اسم الزمان والمكان" ومجموعة الصفة المشبهة ومجموعة المصادر" في المزيد وحتى في الثلاثي المجرد". وكذلك الأمر بالنسبة إلى بنية الأفعال. وهذا ما يجعلها تمثل متأني للإيقاع ثرآ، بل إن المشتقات بمرتبة "الرحم الإيقاعي") ينظر: الإيقاع في الشعر العربي الحديث، خليل حاوي أنموذجاً: ١٢٢/١ ، وينظر: نظريات في اللغة الألسنية، أنيس فريحة، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٩٨١ ، ص ٦٨ - ٧٢

(٢٦) ينظر: العروض وإيقاع الشعر العربي ، د. سيد البحراوي ، ٩٣

توصف فيه أنها جدية، أو بلية تلائم بلامته<sup>(٢٧)</sup>. ويجد من يبحث في هذا الشأن أن في المذخر النصي العربي نظرة معتدلة للوزن، فأمام كل رأي مثبت ومغالٍ في الوزن نجد رأياً مقابل له ، وليس من العجيب أن نجد أن علي بن خلف (ت ٤٠٧هـ) قد شمل بالوزن الشعر والكلام، فقد عرّف الوزن بأنه (التعديل بالحروف والحركة والسكن). والتعديل بالحروف من وجهين: أحدهما المساواة في غير زيادة ولا نقصان، والآخر المساواة في الحفة والتقليل؛ فاما المساواة من طريق عدد الحروف والحركة والسكن فهو للشعر خاصة، لأن كل بيت من الكلم مساوٍ لما قبله وبعده، إلا ما أجازوه للزحاف، وأما المساواة في الحفة والتقليل على اللسان فهو في سائر الكلام<sup>(٢٨)</sup>. وربما سيستقر الرأي بعد البحث على أن الوزن في حقيقته عند العرب لم يكن ذلك الفاصل الحاد والحد الفاصل بين الشعر والنشر، وأن هذا المفهوم المتداول منذ اكتشاف العروض هو وزن كمي متراكب من وحدات قياسية، وأن الوزن الشعري عند العرب هو من النوع الذي صار يسمى فيما بعد بالوزن الكمي الذي يتراكب من وحدات صوتية هي الأسباب والأوتاد وهي التي منها تتشكل التفعيلة، وتتضمن هذه التفعيلات إلى أخرى على نحو معين هو في الأغلب الأعم متوازن متعادل بحيث ينتج منه البيت الشعري ذو الشطرين<sup>(٢٩)</sup>. حتى أن عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) لم يجعل للوزن علاقة بالفصاحة والبلاغة، فقال: (لو كان له مدخلًا فيهما، لكان يجب في كل قصيدة اتفقنا في الوزن أن تتفقا في الفصاحة والبلاغة)<sup>(٣٠)</sup>. وربما تقوي هذه الطروحات الزعم عندما يتحرك البحث باتجاه تقليل الحدود بين الشعر والنشر التي وضعت فيما بعد استقراءً ومعياراً ورزحت تحت تأثير الغناء والإيقاع الموسيقي والرياضي، حتى صارت استعارة مصطلحات الإيقاع الموسيقي وإسbagها على الوزن الشعري مطردة جداً في طروحات المذخر النصي العربي<sup>(٣١)</sup>.

(٢٧) الفضائل الموسيقية، فوزي كريم، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا - دمشق، ٢٠٠٢، ص: ١٧.

(٢٨) مواد البيان، علي بن خلف الكاتب (ت ٤٠٧هـ)، تحقيق: حسين عبد اللطيف، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس - الغرب، ١٩٨٢، ص ٢١٧.

(٢٩) ثانية الشعر والنشر في الفكر النصي، بحث في المشاكلة والاختلاف، د. احمد محمد ويس، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٢، ص ٢٥٥.

(٣٠) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)، تحقيق: محمد رشيد رضا، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٣٦٤.  
 وقد نوه د. سيد البحراوي إلى الإفادة من الرياضيات ونظرية التباديل والتواافق التي أفاد منها الخليل في إقامة أساس كتابه العين عليها، فتحن حين تتحدث عن الرياضيات هنا، فاما تتحدث بالتحديد عن نظرية التباديل والتواافق التي كانت معروفة في عصر الخليل جيداً، بدليل أنه أقام على أساس منها كتابه "العين"، وهي النظرية التي تقوم على حساب كل احتمالات التبدل في المكونات الأساسية للوحدة، فإذا كانت الحروف لا تندو أن تكون حرفين: متحرك وساكن، فإما أن يتكرر كل منهما عدداً لا متناهياً من المرات أو يجتمعان معاً)، ينظر: العروض وإيقاع الشعر العربي، سيد البحراوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣، ص ٢٢، وقال في موضع آخر: (لقد سبق أن رأينا أن التحرك والساكن قد تتجأ عن التكوين الطبيعي للغة العربية، وأن الوحدات الصغرى "الأسباب والأوتاد والفاصل" قد تجتئ عن تداخل التكوين اللغوي الطبيعي والتقليد العروضية عند العرب القدماء والموسيقي والرياضة، أما في الأوزان والدواير، فيبدو لنا أن الحكم الأساس كان لنظرية التباديل والتواافق الرياضية، والدليل الواضح على ذلك، هو أن الدائرة هي الأصل الذي يقياس عليه دائماً، فما يتوافق معه وإن كان بالتأويل والتعديل "غير الزهافات والعلل" أو حتى بالتعسف أجزء، وما لم يقبل التوافق رفض، كذلك فإن الدائرة - دائماً - أكبر من الشعر، ومن ثم فقد يكون فيها أوزان لم تقل فيها العرب، ومن ثم فهي أوزان مهملة) سيد البحراوي، المصدر السابق: ٣٧ - ٣٨. وفي موضع آخر رأى سيد البحراوي، بالاستاد إلى حازم القرطاوني أن الأسباب في الشعر العربي أكثر شيوعاً من الأوتاد، مما "يشكك في اعتبار أن الوتاد أصل بمعنى أصل الوضع. ومن ثم لا يبقى أمامنا إلا اعتبار أن مصطلح الأصل هنا هو أصل القاعدة أي أنه جزء من النظرية العروضية أو التجريد العروضي، البعيد عن أصل الوضع في اللغة. وهذا ما يذكرنا مرة أخرى بما سبق قوله عن تدخل عناصر معرفية أخرى غير النصوص الشعرية في وضع النظرية العروضية ومنها كما قلنا الموسيقي والرياضة. وإذا كنا قد أدركنا دور الرياضة في إقامة العلاقة بين الوحدات، فقد أشرنا إلى دور الموسيقي وخاصة "ضربات الصفارين" في تحديد الوحدات نفسها). سيد البحراوي، المصدر السابق: ص ٦٦.

إلا أن ما يطرحه المتجزء الابداعي الذي مثله النظم على البحور المركبة ، أن إمكانيات الابداع في استخدام هذه البحور لا ينتهي ، وأن هذه البحور تصلح للنظم لأنها توافق مع ما تثمر عنه اللغة من تراكيب جمة. كما أن العبارة الشعرية تميل إلى الانبساط والتخلص من قيود النظم بامتدادها على السلسلة الكلامية محملة بالمعنى والايحاء. أي أن هذه الحالات لو كتب لها الاستمرار(وهي مستمرة) والانتهاء إلى ما تتخض عنده من قصائد يذوب فيها الوزن والعبارة ويتضارفان بعد أن ينحى الشاعر الحرية في اختيار تدفق خاص لكل عبارة وتخلفه من التطريب وتشابه العبارات وتواتر قيمها الوزنية، وبذلك لا يعتمد الشاعر على التغيم المسبق أو تمثل الوزن صوتا واسقاطه على العبارة وارغامها على أن تخضع لشروط الوزن أو البحر. وما يكشف عنه الجدول التالي ، يعنى هذا الزعم.

جدول بالنصوص التي استعملت فيها البحور المركبة منذ عام ١٩٥٠ - ٢٠٠٨

الرقم	الشاعر	القصيدة	البحر	الديوان	الجزء والصفحة
١	بدر شاكر السباب (٣٢)	أفياء جيكور	البسيط	المعبد الغريق	١٨٦/١
٢		سفر أيوب / ٤	=	منزل الاننان	٢٥٧/١
٣		أسمعه يبكي	السريع	=	٢٨٧/١
٤		الى جميلة بو حيرد	السريع	أنشودة المطر	٣٧٨/١
٥		العودة الى جيكور / ٣	البسيط	أنشودة المطر	(٣٣) ٤٢٢/١
٦		ثعلب الموت	الخفيف	=	٤٤٧/١
٧		بور سعيد	البسيط	=	٤٩٥/١
٨		جيكور وأشجار المدينة	السريع	شناشيل ابنة الجلبي	٦٣٣/١
٩		ها ها هوه	الطول	=	٦٣٥/١
١٠		جيكور أمي	١١ سطر خفيف	=	(٣٤) ٦٥٦/١
١١		يا غربة الروح	البسيط	=	٦٦٠/١
١٢		أسير القرصنة	السريع	=	٦٦٨/١
١٣		رسالة	البسيط	شناشيل	٧٠٧/١
١٤		رسالة من مقبرة	السريع	أنشودة المطر	٣٨٩/١
١٥	شاذل طاقة	انطلاق	الخفيف	المساء الاخير	١٠٣
١٦	بلند الحيدري	في الليل	البسيط	أغاني المدينة الميتة	٦٤

(٣٢) ديوان بدر شاكر السباب ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٩

(٣٣) تحتوي القصيدة على ٧ مقاطع ، الاول والثاني والرابع والخامس والسادس والسابع على البحر السريع ، والثالث على البحر البسيط .

(٣٤) تحتوي القصيدة على ٣٧ سطرا شعريا ٢٢ رمل ، و٤ رجز ، ١١ خفيف

		أوراق على رصيف الذاكرة	البسيط	مقدمة قصيدة	عبد الرزاق عبد الواحد	١٧
	٤٥	من أجل توضيح التباس القصد <sup>(٣٦)</sup>	الطويل	بجر الطويل	زاهر الجيزاني	١٨
	٣٧	=	البسيط	أحضرت مركبي وأفراسي		١٩
	- ١٤٣ ١٤٥	الفضائل الموسيقية <sup>(٣٧)</sup>	البسيط	مقاطع	فوزي كريم	٢٠
١٩٧٣		لا شيء يحدث.. لا أحد يجيء	البسيط	وحشة	علي جعفر العلاق	٢١
		=	السريع	بداية للسفر		٢٢
		=	البسيط	انطفاء		٢٣
		=	البسيط	جئنا مساءً		٢٤
		=	البسيط	صداً		٢٥
١٩٧٥		وطن لطير الماء	بساط + رجز	إيقاعان للوحشة		٢٦
١٩٧٩		شجر العائلة	البسيط	الظبية القادمة		٢٧
١٩٩٩		مالك ضائعة	الخفيف	نار الرعاة		٢٨
		=	البسيط	النهر		٢٩
		=	الخفيف	ابتهاج		٣٠
		=	الخفيف	بكائية		٣١
		=	السريع	سيدة الماء		٣٢
		=	السريع	المغني		٣٣
		=	البسيط	طللية		٣٤
		=	الخفيف	فقا نيك		٣٥
		=	الخفيف	وحشة		٣٦
		=	البسيط	أنثى الينابيع		٣٧
		=	السريع	ديك الجن		٣٨
٢٠٠٦		سيد الوحشتين	السريع	كم كان عذبا شجر الساحل		٣٩
		=	البسيط	حبر الوحشة		٤٠
		=	الخفيف	لي بلاد أحبتها		٤١
		=	البسيط	ما أو حش الكون		٤٢
		=	الخفيف + الرمل	طائر يقبل من مزحة		٤٣

(٣٥) ديوان بلند الحيدري، دار العودة، بيروت، ١٩٧٤.

(٣٦) من أجل توضيح التباس القصد، زاهر الجيزاني، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٨١.

(٣٧) الفضائل الموسيقية، فوزي كريم، ص ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥.

		=	السريع	أرض من الأضداد		٤٤
٢٠٠٨		هكذا قلت للريح	البسيط	كذب لا ملاذه		٤٥
		=	البسيط	سنة جديدة		٤٦
		=	البسيط	غليان		٤٧
		=	البسيط	من يلوح هذا الركب		٤٨
٣٨) ٢٠٠٣	٣٣٨/٢	من يعرف الوردة	البسيط	القصيدة تأتي	سعدي يوسف	٤٩
			البسيط	تداخل		٥٠

### المصدر والمراجع

- إشكالية الحداثة في الشعر العربي المعاصر، د. ستار عبد الله، دار رند، دمشق سورية، ط١، ٢٠١٠
- الاعمال الكاملة، سعدي يوسف، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق سورية، ط٥، ٢٠٠٣
- الإيقاع في الشعر العربي الحديث في العراق، ثائر عبد المجيد ناجي العذاري، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية، ١٩٨٩
- الإيقاع في الشعر العربي الحديث، خليل حاوي أنموذجاً، خميس الورتاني، دار الحوار، اللاذقية سوريا، ط١، ٢٠١٠
- الإيقاع في شعر السباب، د. سيد البحراوي، دار نوارة للترجمة والنشر، القاهرة، د. ط، ١٩٩٦
- الإيقاع في شعر شاذل طاقة، شروق خليل اسماعيل ذو النون الامام، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٢
- تحولات الشجرة، د. محسن أطيميش، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٦
- ثنائية الشعر والشر في الفكر النقيدي، بحث في المشاكلة والاختلاف، د. أحمد محمد ويس، منشورات وزارة الثقافة، دمشق سورية، ط١، ٢٠٠٢
- حركة قصيدة الشعر، باسم صالح مهدي، دار التكوين، دمشق سورية، ط١، ٢٠١٠
- دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تحقيق: محمد رشيد رضا، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٦٦
- ديوان بدر شاكر السباب، دار العودة، بيروت لبنان، ١٩٨٩
- ديوان بلند الحيدري، دار العودة، بيروت لبنان، ١٩٧٤
- سيد الوحشتين، علي جعفر العلاق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٦
- شجر العائلة، علي جعفر العلاق، وزارة الاعلام، بغداد، ط١، ١٩٧٩
- الشعر الحر في العراق، يوسف الصائغ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سورية، ط١، ٢٠٠٦
- الشعر العربي المعاصر، قضيابه وظواهره الفنية والمعنوية، د. عز الدين اسماعيل، دار العودة، بيروت

(٣٨) الأعمال الكاملة، سعدي يوسف، دار المدى للنشر، دمشق - سورية، ط٥، ٢٠٠٣

لبنان، ط ١، ١٩٨١

- غزل في الجحيم، خالد علي مصطفى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١، ١٩٩٦
- فائدة الشعر وفائدة الشر، ت، س، اليوت، ترجمة: د. يوسف نور عوض، دار القلم، بيروت لبنان، ط ١٠، ٢٠١٠
- الفضائل الموسيقية، فوزي كريم، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق سوريا، ط ١، ٢٠٠٢
- فن التقاطع الشعري والقافية، د. صفاء خلوصي، منشورات مكتبة المتنبي، بغداد، ط ٤، ١٩٧٤
- في حداثة النص الشعري، علي جعفر العلاق، دار الشروق، عمان الأردن، ط ١، ٢٠٠٣
- قصيدة الشعر، من الأداء بالشكل إلى أشكال الأداء الفني، د. رحمن غركان، دار الرائي، دمشق سوريا، ط ١٠، ٢٠١٠
- كران البور، حسب الشيخ جعفر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١، ١٩٩٣
- لا شيء يحدث..لا أحد يجيء، وزارة الاعلام، بغداد، ط ١، ١٩٧٣
- اللغة الشاعرة، عباس محمود العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٩٩٥
- مالك ضائعة، علي جعفر العلاق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، ط ٢، ٢٠٠٤
- من أجل توضيح التباس القصد، زاهر الجيزاني، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ط ١، ١٩٨١
- مواد البيان، علي بن خلف الكاتب (ت ٤٠٧ هـ)، تحقيق: حسين عبد اللطيف، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس ليبيا، ط ١، ١٩٨٢
- الموجة الصاخبة، شعر الستينيات في العراق، سامي مهدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١، ١٩٩٤
- نظريات في اللغة الألسنية، أنيس فريحة، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ط ٢، ١٩٨١
- هكذا قلت للريح، علي جعفر العلاق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٨
- وطن لطير الماء، علي جعفر العلاق، وزارة الاعلام، بغداد، ط ١، ١٩٧٥
- وعي التجديد والريادة الشعرية في العراق، سامي مهدي، دار الشؤون الثقافية العامة، الموسوعة الصغيرة ٣٨٧، بغداد، ط ١، ١٩٩٣
- A dvventuresn English Literature, Classic Edition, Harcourt Brace Jovanovich, printed in USA, 1963,

## **أهل البيت عليهم السلام في الصحيفة السجادية**

### **قراءة تأويلية**

أ.د. حاكم حبيب الكريطي<sup>(١)</sup>

#### **المقدمة**

لأنريد هنا – ابتداءً – أن نركّز على حدود دلالة مصطلح (أهل البيت) عليهم السلام، فهذا أمر تكفلت به مصادر المسلمين منذ بداية المعرفة الإسلامية<sup>(٢)</sup>، ولكننا نبتغي استكشاف صفات أهل البيت عليهم السلام من أدبية الإمام علي بن الحسين عليهما السلام ومناجاته في الصحيفة السجادية، على الرغم من أن توصيفه – في الغالب يأتي في سياقات لا يراد منها ذلك فقط، وإنما يأتي لبيان السبل التي يسلكها الإمام في دعائه، بغية التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، ولن يكون ذلك نهجاً سجادياً لصالكي هذه السبل من المسلمين، من خلال الملابس مع النص والانفعال به، بفعل الفاعلية الثرة له.

إن نصوص الصحيفة السجادية تنفتح على دلالات لا تنتهي، لما فيها من سمات أسلوبية، تتعدد بتنوع الناظرين فيها، وتختلف عن بعضها باختلاف رؤية كل ناظر، وثقافته، ومعرفته، وتوجهه، وإلى الآن ما زال نص الصحيفة السجادية غضاً طرياً مثراً، ينفتح أمام العقل الذي ينفتح عليه، بما يمتلكه العقل (أو صاحب العقل) من مؤهلات لغوية أولاً، ومن ثم مساند فكرية وعلمية ثانياً، فلغة الصحيفة السجادية على وفق هذه الرؤية تمثل فكر الإمام عليه السلام في الدعاء والمناجاة، بوصفهما ضربين من ضروب العبادة، يقتربان بالعبد إلى رحمة الله تعالى، وفي الوقت نفسه، تمثل (أي اللغة) أداة نقل الفكر إلى المتضعين، فهي الأداة والمحظى في الوقت نفسه.

واستناداً إلى هذه المقدمة، سنقف عند مفردات اللغة وتراكيبيها، ونخن نقرأ النص السجادي قراءة تأويلية، أغراها بها اكتناز هذا النص بدلالات ثرة تختبئ خلفه، ولا تقدم نفسها إلا للناظر ذي الأنأة والتدبر، الذي قد يتأتي له أويله على وفق المعطيات اللغوية التي سمت بالنص هذا السمو الروحي والوجوداني والمعرفي، وإن شئت الفلسفى.

١ - كلية الآداب، جامعة الكوفة

٢ - ينظر تفاصيل ذلك في: العصمة – بحث تحليلي في ضوء المنهج القرآني ١٠٥ وما بعدها، إذ استقصى السيد كمال الحيدري ما يرتبط بهذه القضية لذا أثروا عدم الحديث عنها.

إنَّ منهجنا في التدبر التأويلي في نصِّ الصحيفة السجادية سيكشف لنا عن العلاقات المدهشة بين الألفاظ، التي تشتبك مع بعضها اشتباكاً دلائلاً يفضي إلى معارف إلهية، تتحول بالنص من دعاء منطوق باللسان، إلى تمثيل للوجود والكون، بما يقدمه الإمام عليهما السلام من معارف لدنيا، حباء الله تعالى - وقبل ذلك آباءه - بها<sup>(٣)</sup>.

سنعد في بحثنا التأويلي هذا إلى التوجُّه نحو المعجم العربي للإفاده مما يعطيه من دلالات للألفاظ، تلك الألفاظ التي تتحرك في حقول متقاربة، ثم تدقِّق النظر في علاقة هذه الألفاظ مع بعضها وما يتبع عن ذلك كله من معانٍ ستكون - كما نأمل - تشكيلاً عقلياً، يمكن أن يكون دليلاً لقراءات أخرى، تتلiven بالحسن، وتزهو برقى بياني، تتحسّن فيه لمساتٍ من نهج البلاغة تفصح عن نفسها.

ويكفي أن نضع الجمال الذي تتدثر به نصوص الصحيفة السجادية تحت ركنين:

**الأول:** جمال حسي في ألفاظ النصوص وصياغتها، ومعرفتي في دلالاتها، ندركه أولاً بمحاسنا ومشاعرنا، فيتغلغل من خلالها إلى نفوسنا، فيدفع بنا برفق شقيق إلى الميدان الجمالي للمعرفة وقيمتها.

**الثاني:** جمال عقلي، وهذا الجمال يكشفه لنا استبطان النصوص وقراءة ما ورائها من دلالات، تنتجهما (الحركة) التي تتصرف بها، والتي تجعلها خالدة على مر العصور، وهذا الركن هو ما يعنيه في بحثنا هذا.

ويلوح لنا هنا أمر، نحسبه محدداً معرفياً، لا يمكن أن نصرف أنظارنا عنه، وهو أنَّ هذا النمط من القراءات التأويلية، ينطوي على مخاطر قد تقود إلى الانزلاق والزلل عن جادة المعرفة السوية، من خلال الابتعاد عن معطيات النص، وهذا أمر ستحشاه - إن شاء الله تعالى - من خلال التمسك بالمعاني التي تقدمها المعجمات بعد استشارتها، وبحسب ما يقدمه السياق من معونة في هذا الاتجاه، كما أشرنا إلى ذلك. والآن سنبدأ بقراءة بعض النصوص التي ذكر فيها الإمام علي بن الحسين أهل البيت عليهما السلام، وعلى

النحو الآتي :

يقول الإمام عليهما السلام داعياً لأهل البيت عليهما السلام، وذاكراً بعض صفاتهم: ((رَبِّ صَلَّى عَلَى أَطَائِبِ أَهْلِ بَيْتِهِ الَّذِينَ احْتَرَتْهُمْ لِأَمْرِكَ، وَجَعَلْتُهُمْ خَرَّةً عِلْمِكَ، وَحَفَظَتْهُمْ دُبُّكَ، وَخَلْفَاءَكَ فِي أَرْضِكَ، وَحُجَّجَكَ عَلَى عِبَادِكَ، وَطَهَرَتْهُمْ مِنَ الرَّجْسِ وَالدَّنَسِ تَطْهِيرًا بِأَرَادِكَ، وَجَعَلْتُهُمْ الْوَسِيلَةَ إِلَيْكَ وَالْمَسْلَكَ إِلَى جَنَّتِكَ)).<sup>(٤)</sup>

بدأ الإمام عليهما السلام دعاءه بمناداة الله - عز وجل - بقوله (رب) لما في هذه اللفظة من تأكيد عبودية العبد لربه، فالرب في اللغة : المالك والسيد والمدبر والقيم والمنع<sup>(٥)</sup> ، وهذه الصفات تتماهي مع سياق الدعاء، لأنَّ ما يأتي هو ذكر لبعض نعم الله الكبرى على أهل البيت عليهما السلام ، فتكون لفظة (رب) مشعرة بنعم المشار إليها كلها، ومن جملة هذه النعم، الصلاة على أطائب أهل البيت عليهما السلام ، والصلوة رحمته وحسن ثنائه.

وعلى الرغم من معرفة المسلمين بدلالات (أهل البيت) عليهما السلام في هذا الدعاء، فإنَّ الإمام عليهما السلام أراد أن يبعد من يريد أن يضع نفسه مع النبي وأهل بيته بداعي القربى في النسب<sup>(٦)</sup> ، فكان قوله توكيداً لما قر في نفوس المسلمين من معرفة أهل البيت ، وهم الأطائب، فما دلالة هذه اللفظة ؟

الطيب في اللغة يكتنى به عِن الشرف والصلاح وطيب الأعراق<sup>(٧)</sup> ، وهذه بعض من صفات أهل البيت عليهما السلام بإجماع المسلمين ؛ إذ إن شرفهم وصلاحهم وطيب أعراقهم موصول إليهم من أبيهم إبراهيم عليهما السلام<sup>(٨)</sup>.

-٢- ينظر عن علم الإمام (عليه السلام): أصول الكافي ١ / ٢٠٣ ، وبحار الأنوار ٢ / ٤٠ .

-٤- الصحيفة السجادية ١٩٠ .

-٥- ينظر: لسان العرب: رب.

-٦- ينظر: شواهد التنزيل ٢ / ٦٤ .

-٧- ينظر: لسان العرب: طيب.

-٨- ينظر: المنقى من أخبار قريش ١ - ٤ .

والطيب في اللغة – أيضاً – الطاهر، بيد أنَّ استعمالها بهذه الدلالة غالباً ما يكون مقترباً من كانت طهارته من الله تعالى، كما في قول الإمام علي عليه السلام للنبي ﷺ وهو يغسله ويجهزه: ((بأبي أنت وأمي طبت حياً وطببت ميتاً))<sup>(٩)</sup>، أي طهرت، ومن هنا، فالراجح أنَّ الإمام علي بن الحسين عليهما السلام استعملها بهذه الدلالة، لأنَّ السياق يعارض هذا المعنى ويسانده، ولأنَّبني هاشم تشعروا في العصر الأموي كثيراً، والكل يريد شيئاً من شرف أهل البيت عليهما السلام، فأثر الإمام عليهما السلام أن يقيِّد دلالة المصطلح بهذا الوصف، – وما سيأتي بعد قليل – ليبعد من يريد أن يضع نفسه مع أهل البيت وليس منهم.

ثم يأتي التوجيه الآخر لدلالة أهل البيت عليهما السلام بقوله عليهما السلام: ((الذين اخترتهم لدينك))، فالأطائب من أهل البيت إذن اختارهم الله تعالى للقيام بشؤون دينه، ومن يختاره الله تعالى يعصم من الزلل، حتى يقوى على النهوض بمهمة دين الله دونها هفوة، ولا ينطuff في سيره عن حدود ما رسم الله لعباده. ومن هنا فإن اختيار الله تعالى للأطائب من أهل البيت عليهما السلام (الأئمة) هو منحة منه لهم، شرفهم بها.

ثم يضيف الإمام عليهما السلام صفتين آخرين لأهل البيت في بقية قوله: ((وجعلتم خزنة عِلمكَ، وَحَفَظَةَ دِينِكَ))، فعلم الله تعالى الذي وصل إلى عباده جاء من طريق القرآن الكريم، ومن طريق النبي ﷺ.

فالظهور الأول لعلم الله تعالى هو القرآن، بوصفه كتاباً يضم بين دفتيه مظاهر الوجود كلها، لأنَّ جاء تبياناً لكل شيء في الوجود ((وَنَرَلَنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَالكُلُّ شَيْءٌ))<sup>(١٠)</sup>، ولكننا نأخذ منه على قدر معارفنا، أما معانيه الحقيقة فهي التي ذكرها الله تعالى: ((هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٍ مُّحَكَّمَاتٍ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأَخْرُ مُتَشَابِهَاتٍ فَمَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَسْعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ اتِّعَاءُ الشَّيْنَةِ وَاتِّعَاءُ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَقْلُمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ أَمْنًا بِهِ كُلُّ مَنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَدْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ))<sup>(١١)</sup>، فتاویل معايني القرآن مقصور على الله تعالى وعلى الراسخين في العلم، إذا أخذنا برأي من يقول – وهو الراجح عندنا – أنَّ (الراسخون في العلم) معطوف على اسم الجلالة، وتكون (يقولون) حالاً<sup>(١٢)</sup>.

والراسخ في العلم بحسب المعجم هو الذي دخل فيه دخولاً ثابتاً<sup>(١٣)</sup>، وهو النبي ﷺ، لأنَّ دخوله في العلم دخول ثابت باختياره من لدن الله تعالى ليكون نبياً، والراسخ في العلم – أيضاً – من علمه النبي ﷺ وأدخله في علمه دخولاً ثابتاً أيضاً، وهم بذلك حقاً خزنة علم الله.

وهنا يمكن أن ندرك حقيقة ما قاله السيوطي في الإتقان عن الإمام علي عليهما السلام: ((إِنَّ الْقُرْآنَ أُنزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، مَا مِنْهَا حِرْفٌ إِلَّا وَلَهُ ظَهَرٌ وَبَطَنٌ، وَأَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَنْهُ مِنَ الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ))<sup>(١٤)</sup>، وهذا هو الرسوخ في العلم الذي كان عليه الإمام عليهما السلام والآئمة من بعده.

وثمة نص للإمام علي عليهما السلام ورد في نهج البلاغة، يقول فيه: (... أين الذين زعموا أنَّهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياناً علينا))<sup>(١٥)</sup>، وهذا يؤكِّد – حقاً – أنَّهم عليهما السلام خزنة علم الله بحسب قول الإمام علي

٩- نهج البلاغة.

١٠- التحل: ٨٩.

١١- آل عمران: ٧.

١٢- أما الرأي الثاني فهو أنَّ (الراسخون في العلم) الواو للاستئناف و (الراسخون في العلم) مبتدأ خبره (يقولون). ينظر: الإتقان ١ / ٧ - ٨.

١٣- ينظر: لسان العرب: رسخ.

١٤- الإتقان ٤ / ٤٩٣.

١٥- نهج البلاغة ٢ / ٧٢.

بن الحسين عليهما السلام، لأن الإمام علي عليهما السلام يستفهم استفهماما إنكارياً عمن يدعى أنه راسخ في العلم دونهم، لأن في هذه الدعوى ظلم وتجن وكذب وبغي.

وثمة إشارة أخرى وصلت إلينا عن الإمام علي عليهما السلام ما نحن بصدده، إذ يقول: (... والله لو شئت أن أخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعتل، ولكن أخاف أن تكفروا في رسول الله ﷺ ألا وإنني مفضي إلى الخاصة من يؤمن بذلك منه) <sup>(١٦)</sup>، وهذا ضرب من العلم أفضاه الإمام علي عليهما السلام إلى الخاصة من أصحابه، من يغول عليهم في استيعابه وحفظه وعدم البوح به، فما بالك بأبناء الذين ورثوا العلم، وصاروا خزنة له.

بقي أن نشير هنا إلى أن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام أراد أن يقطع السبيل أمام من يسعى إلى تنمية بغض أهل البيت عليهما السلام في العصر الأموي، من خالقين الفتن ومن الراكضين وراء السلاطين، إذ من غير المعقول أن يفكرون مسلم مستقيم بغض من كان وما زال حازنا على علم الله تعالى.

إن من تكون هذه صفاتهم سيكون - حتماً - متمكناً من حفظ دين الله تعالى، عقيدة يؤمن بها، وسلوكاً يجسدها، كي يعطي لمن يتأسى به القدوة الحسنة في التمسك بما يريده الله عز وجل، كي تستقيم الحياة، ويكون الدين محفوظاً، فهو لاء - إذن - حفظة الدين.

أما قوله عليهما السلام: ((وَخُلْفَاءِكَ فِي أَرْضِكَ، وَحُجَّاجُكَ عَلَىٰ عِبَادِكَ))، فالخلافة في اللغة: ((من يقوم مقام الذاهب ويسد مسده، والهاء فيه للمبالغة)) <sup>(١٧)</sup>، والمعنى أن الأئمة من أهل البيت خلفاء الله تعالى بعد النبي ﷺ في أرضه، لأنه - أي النبي - استخلفهم بعده، والخلافة الذي يستخلف من قبله.

وقد جاء عن بعضهم: ((جاز أن يقال للأئمة خلفاء الله في أرضه بقوله عز وجل: "يَا ذَا اؤُوذِ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ" <sup>(١٨)</sup>)).

ودلالة كلام الإمام عليهما السلام تعني أن خلافة أهل البيت عليهما السلام للنبي ﷺ لم تتأثر بالخلافة الأخرى، لأنها قائمة في الصدور، ويصدر الناس عنها في تدبير شؤون حياتهم.

وقد جاء عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام: أن النبي والإمام علي وذرته من الأئمة عليهما السلام، ((حجتهم واحدة وطاعتهم واحدة)) <sup>(٢٠)</sup>، فخلافتهم - إذن - قائمة، لأنهم أهل الدين وحماته.

وفي قول آخر له عليهما السلام يؤكد المعنى نفسه وزيادة: ((نحن في الأمر والفهم والحلال والحرام نجري مجرى واحداً، فاما رسول الله ﷺ وعليا فلهما فضلهما)) <sup>(٢١)</sup>، وهذا القولان يجسدان لنا الخلافة الحقة التي يريدها الإمام علي بن الحسين في دعائه، ويؤيد هذا أن ثمة قولاً للخلافة أبي بكر يكشف لنا صحة هذا التصور، فقد روي ((أن أعرابيا سأله أبو بكر، فقال له: أنت خليفة رسول الله ﷺ)، فقال: لا، قال: فما أنت؟ قال: أنا الخالفة بعده)) <sup>(٢٢)</sup>، معنى الخالفة، تقول: أنا خالفة أو خلفته أي جئت بعده <sup>(٢٣)</sup>، وجمع خالفة خوالف، والخلافاء جمع خليفة، وهذا ما جاء في نص دعاء الإمام عليهما السلام، ومن هنا نتبين صحة توجيهنا لمراد الإمام في دعائه.

-١٦- نهج البلاغة / ٢ / ٨٩.

-١٧- لسان العرب: خلف.

-١٨- سورة ص: ٢٦.

-١٩- لسان العرب: خلف.

-٢٠- الكافي ١ / ٢٧٥.

-٢١- نفسه.

-٢٢- الفائق في غريب الحديث والأثر / ٣٣٩.

-٢٣- تاريخ مدينة دمشق ١٩ / ٤٧٩، والنهاية في غريب الحديث ٢ / ٦٩، ولسان العرب: خلف، وتابع العروس: خلف.

ثم يأتي قول الإمام علي عليه السلام : ((وطَهَرُوكُم مِنَ الرِّجْسِ وَالدَّنْسِ تَطْهِيرًا بِإِرَادَتِكَ ))، فالإمام علي بن الحسين عليهما أشار هنا إلى أن إرادة الله عز وجل في طهارة أهل البيت عليهما استنادا إلى ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى : ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَدْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَتَطْهِيرُكُمْ تَطْهِيرًا ))<sup>(٢٤)</sup> ، وهذا ما أجمع عليه أغلب المسلمين ، وقالوا : إن المراد بأهل البيت هنا (محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين) عليهما ، ونكتفي لبيان ذلك بما قاله الألوسي في تفسيره روح المعاني : ((وأخبار إدخاله صلى الله عليه وسلم على فاطمة وابنيهما رضي الله تعالى عنهم تحت الكساء ، قوله عليه الصلاة والسلام اللهم هؤلاء أهل بيتي ودعائهما لهم وعدم إدخال أم سلمة أكثر من أن تخصى ، وهي مخصوصة لعموم أهل البيت بأبي معنى كان البيت فالمراد بهم من شملهم الكساء ولا يدخل فيهم أزواجه فَلَمْ يَرَهُنَّ)<sup>(٢٥)</sup> .

فقول الإمام هنا يصحح هذه الروايات ، ويقويها ، ويصحح الأحاديث الأخرى التي وردت في مصادر المسلمين ، وت نحو هذا النحو ، وهي تزيد على مائة حديث<sup>(٢٦)</sup> .

بيد أن ما يستحق الوقوف عنده والتأمل فيه ، وتدبر معانيه ، استعمال الإمام علي عليهما لفظة الدنس ، وقى بها لفظة (الرجس) الواردة في الآية ، وهنا نقول :

إن الدنس في اللغة تعني ((لطخ الوسخ ونحوه حتى في الأخلاق) ، يقال : رجل دنس المروءة ، ودنس الرجل عرضه إذا فعل ما يشينه)<sup>(٢٧)</sup> ، وهذه معانٍ اجتماعية تتصل بنظامية القيم الأخلاقية التي كانت سائدة في العصر الجاهلي وأقرها الإسلام ، فهل كان الإمام علي عليهما يريد هذا المعنى ؟ ونجيب عن هذا السؤال ، فنقول :

إن الإمام علي بن الحسين عليهما أظهر في قوله هذا أن طهارة أهل البيت شرعية واجتماعية وأخلاقية ، بعد أن رأى تبدل القيم والمعايير الاجتماعية في العصر الأموي ، بما جعل الناس يفكرون بروح قبلية أكثر مما كان عليه الأمر في العصر الجاهلي ، ومن هنا فإن من يريد أن يتحمّل إلى المعايير الاجتماعية في النظر إلى مقام أهل البيت عليهما فسيجد أن هذه المعايير تعطيهم كل ما يجعل لهم الصدارة الاجتماعية بين العرب والمسلمين ، كما هي صدارتهم في المعايير الإسلامية.

وي بيان الإمام علي عليهما مزايا أخرى لأهل البيت عليهما في قوله داعياً : ((اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَيَّدْتَ دِينَكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ بِإِيمَانِ أَقْمَتْتُهُ عَلَمًا لِعِبَادِكَ وَمَنَارًا فِي بَلَادِكَ، بَعْدَ أَنْ وَصَّلَتْ حَبْلَهُ بِحَبْلِكَ، وَجَعَلْتَهُ الْذَّرِيعَةَ إِلَى رَضْوَانِكَ، وَأَفْتَرَضْتَ طَاعَتَهُ، وَحَدَّرْتَ مَعْصِيَتَهُ، وَأَمْرَتَ بِامْتِشَالِ أُوَامِرِهِ وَالْأَتْهَاءِ عِنْدَ نَهْيِهِ، وَأَلَا يَتَقدَّمَ مُتَقَدِّمٌ، وَلَا يَتَأَخَّرَ عِنْهُ مُتَأَخِّرٌ، فَهُوَ عِصْمَةُ الْلَائِذِينَ، وَكَفْفُ الْمُؤْمِنِينَ، وَعُرْوَةُ الْمُتَمَسِّكِينَ، وَبَهَاءُ الْعَالَمِينَ))<sup>(٢٨)</sup> .

يؤكد الإمام علي عليهما هنا أن الإمامة مفروضة من الله تعالى ، وضعها لتأييد الدين وتمكينه ، ولو لاها لما تمكن الدين على النحو الذي نعرفه ، منذ أن جعل الله تعالى إبراهيم عليهما إماماً في قوله تعالى : ((وَإِذْ أَبْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رُبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلَّهِ أَمَّا مَا قَالَ وَمَنْ ذُرَّتِي قَالَ لَا يَأْتُكُ عَهْدِي الطَّالِمِينَ))<sup>(٢٩)</sup> ، فالإمامية هنا مقام ، وهو غير مقام الرسالة والنبوة ، هو المقام الذي يؤيد الدين ويظهره ويكتنه ، وكانت الإمامة وستظل

- ٢٤- الأحزاب : ٣٣.

- ٢٥- ذهب غير الإمامية إلى شمول الآية الكريمة نساء النبي ينظر : العصمة ٢٣٤ وما بعدها.

- ٢٦- روح المعاني ٢٢ / ١٤ .

- ٢٧- ينظر : شواهد التنزيل ٢ / ٦٤ وما بعدها.

- ٢٨- لسان العرب : دنس.

- ٢٩- الصحيفة السجادية ١٩١

- ٣٠- البقرة : ١٢٤ .

مستمرة في عقب إبراهيم عليهما السلام وذراته من بعده، وقد وضعها الله تعالى كي تؤيد الدين، وتقويه، إلى أن يرث الله الأرض، وقد كثرت الأحاديث النبوية التي تعضد قضية الإمامة كثرة لافتة<sup>(٣١)</sup>.

ف والله تعالى جعل دينه مؤيداً بالأئمة في كل حين؛ إذ إن وجودهم متصل لا ينقطع أبداً، يؤيد هذه القراءة ما أورده الشيخ الصدوق عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام بقوله: ((... فينا نزلت هذه، وجعلها كلمة باقية في عقبه، والإمامية في عقب الحسين بن علي عليهما السلام إلى يوم القيمة))<sup>(٣٢)</sup>، وقول الإمام هذا يصحح هذه الرواية ويقويها، ويجعل الإمامية أصلاً من أصول العقيدة الإسلامية.

ثم يأتي قول الإمام عليهما السلام: ((أقمته علمًا لعبادك))، وعند استقرائنا هذا النص، وما تقدمه لفظة (علم) من دلالات استطعنا أن نخرج بالدلائل الآتية للفظة (علم) بما يقدمه المعجم والسياق على السواء.

(العلم) في اللغة: شيء ينصب في الفلوس تهتدي به الضالة<sup>(٣٣)</sup>، فالإمام إذ علم نصبه الله تعالى لعباده ليهتدى به الضاللون عن طريق الحق، التائهون، الذين لا يعرفون أين يذهب بهم.

و (العلم): الجبل<sup>(٣٤)</sup>، فيكون مراد الإمام عليهما السلام أن الأئمة أوتاد للأرض كما الجبال أوتاد الأرض، قال الله تعالى في حكم كتابه العزيز: ((أَلَمْ تَجِدَ الْأَرْضَ مَهَادًا وَالْجَبَالُ أَوْتَادًا))<sup>(٣٥)</sup>.

وقد يكون المراد بالعلم: ((الراية التي يجتمع إليها الجند))<sup>(٣٦)</sup>، واجتماع الجنود إلى الراية يبعث في نفوسهم الاطمئنان لقربهم قادرين على الغلبة، ويوفّر لهم دريّة تحفظ لهم حياتهم، وهذا هو شأن الإمام عليهما السلام في حياة الناس.

والعلم أيضاً: رسم الثوب، يقال: علمه، أي رقمه في أطرافه، جعل فيه علامة، وجعل له علم<sup>(٣٧)</sup>، فالإمام على وفق هذا التوصيف هو القادر على رسم الدين على وفق حاجة الإنسان، إذ يضع له ما يحتاج إليه من علامات، هو أقدر على تقدير حاجة الإنسان إليها.

أما قول الإمام عليهما السلام: ((ومناراً في بلادك))، فالمنار: العلم، ما يوضع بين شيتين من الحدود<sup>(٣٨)</sup>، فالإمام عليهما السلام وضعيه الله تعالى بين حلاله وحرامه، ليتبين الناس بوساطته ما ييسر لهم أمر حياتهم، من دون أن يتسبّس عليهم حرام بحلال، وهذا يخص أهل الأرض كلّهم، لأن قوله عليهما السلام (في بلادك) يعني ذلك، فالإمامية - إذن - لا تخضع لتأريخ محدد، وقد سجلت عن الإمام عليهما السلام قبل أن يتحقق مضمونها، وتکتمل فكرة الأئمة الاثني عشر فعلاً، وهذا دليل ناهض على دقة المرويات الحديثية في هذا الشأن، وصحة ما جاء فيها من مضامين<sup>(٣٩)</sup>.

والمنار: علم الطريق، أي ما يوضع على الطرق من علامات لتهتدي بها الناس في سيرها، وهذا الوصف ينطبق على مهمة الإمام عليهما السلام في حياة الناس، فهو العالمة التي تضمن لل المسلمين السير على الطريق المستقيم.

-٣١ ينظر: كمال الدين ٣١١، والإرشاد ٢ / ٣٤٧، ومعاني الأخبار ٩٠، وتنظر تفاصيل أكثر في: العصمة ٢٥٤ - ٢٧٤.

-٣٢ كمال الدين ٣٢٣، وينظر: الإمامة والتبصرة ٢، وبخار الأنوار ٥١ / ١٣٤.

-٣٣ ينظر: لسان العرب: علم.

-٣٤ م. ن.

-٣٥ الباء ٦ - ٧.

-٣٦ ينظر: لسان العرب: علم.

-٣٧ م. ن.

-٣٨ لسان العرب: نور.

-٣٩ ينظر: كمال الدين ٣١١، والإرشاد ٣٤٧.

والمنار: المنارة التي يؤذن عليها<sup>(٤٠)</sup> ، وإذا أردنا أن نعيد صياغة الفكرة، نقول: المنار: المكان الذي يدعى منه إلى الله تعالى، أليس الأذان دعوة إليه جل شأنه، فالإمام عليه يكون في الموضع الذي يدعى إلى الله تعالى منه، والدعاة قد يكون من الإمام نفسه في هذا المكان، أو من يخوله من المكان نفسه.

ويتنقل الإمام علي بن الحسين عليهما السلام إلى قضية أخرى من قضايا الإمامة، وهي ما بقي من قوله المتقدم: ((بعد أن وصلت جبله بحبلك، وجعلته الذريعة إلى رضوانك، وافتراض طاعته، وحدرت معصيته)).

جعل الإمام عليهما السلام موصولاً بجبل الله تعالى، وهذا يعني انتقاد الإمام إلى أوامر الله تعالى بمشيئة الله، أي بالعصمة التي عصمه بها من الزلل والانزلاق، وهذه السعادة الكبرى، يقول السيد الطباطبائي: ((ثم إن هذا المعنى أعني الإمامة، على شرافه وعظمته، لا يقوم إلا من كان سعيد الذات بنفسه، إذ الذي ربما تلبس ذاته بالظلم والشقاء، فإنما سعادته بهداية من غيره، وقد قال الله تعالى: "أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يَتَعَمَّدَ مِنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي" ))<sup>(٤١)(٤٢)</sup>.

واستناداً إلى هذه المرتبة التي وضع الله تعالى الإمام فيها، صار الإمام ذريعة إلى رضوان الله تعالى، والذرية في اللغة الوسيلة، والذرية: الجمل يختل به الصيد، يمشي الصياد إلى جنبه فيستتر به<sup>(٤٣)</sup> ، فهل يمكن القول إنَّ من يسير إلى جانب الإمام وفي ظله، يصل إلى مبتغاه (رضا الله تعالى) بأمان ويسير أكيدين؟ أحسب أنَّ هذا ما أراده الإمام علي بن الحسين عليهما السلام لأنَّ في الإمام أمر (يصونه عن الواقع فيما لا يجوز من الخطأ والمعصية)<sup>(٤٤)</sup> ، ومن يهتدى بهداه، ويسير تحت ظله، سيعصمه هذا المسير من الوقوع في الخطأ أيضاً، وإذا كان الأمر كذلك، فقد افترض الله سبحانه وتعالى طاعة الإمام على عباده، وهذا يرد في نهاية قول الإمام علي بن الحسين عليهما السلام: ((وافتراض طاعته، وحدرت معصيته، وأمرت بامتثال أوامره والابتهاء عنده نهيه، وألا يتقدمة متقدم، ولا يتاخر عنده متاخر))، فالله سبحانه وتعالى جعل الإمام عليهما السلام سبيلاً إلى معرفته، ووسيلة لقبول أعمال العباد، لأنَّ طاعة الإمام وعدم معصيته والامتثال لأوامره، ضمان للفوز بما عند الله تعالى، ولعل في مقوله الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام ما يبين هذا المعنى: ((... فمن عرف من أمة محمد صلى الله عليه وآله واجب حق إمامه، وجد حلاوة إيمانه، وعلم فضل حلاوة إسلامه، لأنَّ الله تبارك وتعالى نصب الإمام علماً خلقه، وجعله حجة على أهل مواده وعالمه))<sup>(٤٥)</sup> ، ولا يخفى التطابق شبه التام بين القولين، لأنَّ الإمامين عليهما السلام يصدران عن منع واجب في قضية الإمامة.

إن الإمام بما جراه الله تعالى من صفات ومزايا - كما مر بنا - سيكون مانعاً وحافظاً لمن يلوذ به بتسلدته إلى سواء السبيل، لأنَّه لا يأمر بمعصية، والعصمة تعني الحبل، فاللاماذون بأهل البيت يمسكون بحبهم طلباً للهدية والنجاة، والإمام أيضاً يكون كهفاً للمؤمنين، والكهف ملجاً وهو كالبيت المنور في الجبل، في قوته وممتنته وتحصينه وعصمه، والمؤمن إذا استوطن في مثل هذا البيت - بيت الأئمة - أمن على نفسه من التهلكة التي يوردهم إليها غيرهم.

ثم يلتقط الإمام علي بن الحسين عليهما السلام وصفاً آخر للأئمة من أهل البيت فهم ((عروة المتسكين))، فما دلالة لفظة (عروة) هنا؟

-٤٠- لسان العرب: نور.

-٤١- يونس: ٣٥.

-٤٢- الميزان ١ / ٢٧٣.

-٤٣- ينظر: لسان العرب: ذرع.

-٤٤- الميزان ٢ / ١٣٤ ، وينظر: العصمة ١٣٣.

-٤٥- أصول الكافي ١ / ٢٠٣.

العروة في اللغة<sup>(٤٦)</sup> تعني مقبض الكوز والدلو، وهي ما يمسك به الإنسان بغية الإفادة مما في الكوز والدلو، فالذى يريد أن يتمسك بدينه عليه أن يحكم الإمساك بهذه العروة ليتفق بها، عليه أن يحسن ويخكم الإمساك بالآئمة عليهم السلام.

والعروة أيضاً في اللغة: من دق الشجر ماله أصل باقٍ في الأرض، فإذا أحمل الناس عصمت العروة الماشية فبلغت بها.

والعروة أيضاً: ما لا يسقط ورقه في الشتاء... الذي يعول الناس عليه إذا انقطع الكلأ.  
والعروة أيضاً: الشجر الملتف الذي تشتو فيه الإبل فتأكل منه.

إن القراءة التدبرية لمعاني لفظة (عروة) يكشف لنا عن أنها ضرب من النبات يحتاج إليه الناس في كل حين، لأنها ثابتة في الأرض ولا يسقط ورقه ولملتف مع بعضه بكثافة، فالناس محتاجون إليها في محلهم وربيعهم. وبإعادة صياغة المعنى الاجتماعي لهذا نقول: إن هذا الشجر لا غنى للناس عنه في كل حين، بل لا تستقيم حياتهم إلاّ به، وهذا التشبيه مصدق للأئمة عليهم السلام، فهم العروة التي يحتاج إليها الناس من أجل حفظ الحياة، لأنهم ثابتون ويعطون الناس ما يحتاجون إليه في كل حين، ولا يتأثرون بتعاقب الزمان، كما لا تتأثر (العروة) بتعاقب الزمان أيضاً.

ويستكمِل الإمام علي بن الحسين عليه السلام صفات الإمام بقوله: ((بهاء العالمين)), والبهاء: المنظر الحسن الرائع المالي للعين، إذن تأتي هذه الصفة لتتكلل ما ذكره الإمام عليه السلام من صفات، وقد يعتقد أنَّ هذا الوصف وصف جمالي قد لا يراد منه غير ذلك، ولكننا نظن أنَّ إشارة الإمام عليه السلام تختضُن ما ذكرناه من صفات وتنطوي عليها، وهذا يتجسد في الهيئة التي يكون عليها الإمام عليه السلام<sup>(٤٧)</sup> ، وبخاصة في نفوس خصومه، كما عرف ذلك عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام<sup>(٤٨)</sup>.

لا أريد أن أرفع القلم في هذا البحث، قبل أن أقول الآتي:

لو أخذ المسلمون بما في أقوال الأئمة عليهم السلام من أفكار تتصل بهذه القضايا العقائدية وغيرها، وابتعدوا عن التأويلات المتضارعة التي ارتبطت في الغالب بالرؤية السياسية لهذا الطرف أو ذاك، لتوحدت المفاهيم والأغراض العقائدية، ولصارت قضية (أهل البيت) قضية توحيد للمسلمين، كما هو شأنها في واقع الحال، ولما اختلف المسلمون بشأنها هذا الاختلاف.

وبعد هذه القراءة التي اعتمدنا على التأويل سبيلاً لها، في بيان صورة أهل البيت عليهم السلام في الصحيفة السجادية، نخلص إلى بعض النتائج التي توصل إليها البحث:

١. إن دلالات النص في الصحيفة السجادية دلالات لا تنتهي، والتأمل الهادئ والقراءة المتأنية كفيلان بالكشف عن بعض تلك الدلالات التي تشيري المعارف الإسلامية والإنسانية على السواء.
٢. إن قراءة الصحيفة السجادية قراءة تأويلية، كشفت لنا عن حمولات غنية من المضامين الفكرية والتربوية والجمالية، لم ياتفت إليها من قبل – فيما أظن – لأن المنهج التأويلي الذي طبقناه ينفتح على الدلالات اللغوية بكل ما تعطيه الألفاظ والتركيب من معان.
٣. من الممكن تصحيح كثير من الأحاديث النبوية الشريفة استناداً إلى نص الصحيفة السجادية، لأنَّها أقدم النصوص المدونة – بعد نهج البلاغة – التي وصلت إلينا من طريق أهل البيت عليهم السلام.

-٤٦ لسان العرب: عرا

-٤٧ ينظر عن الهيئة: الخصال ٤٨٣

-٤٨ ينظر: الأمالي ٧٤.

وفي الختام أدعوا الله تعالى أن ينفع بهذا البحث وينهجه من ي يريد أن يضع يديه على بعض من شذرات أقوال الإمام علي بن الحسين عليهما السلام.

**المصادر والمراجع:**

**- القرآن الكريم.**

١. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق سعيد المندوة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ.
٢. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ المفید ت ١٣٤٦هـ، تحقيق مؤسسة آل البيت علیهم السلام لتحقيق التراث، دار المفید.
٣. الأimalي، الشيخ المفید ت ١٣٤٥هـ، تحقيق استاد ولی وعلی أكبر الغفاری، مؤسسة النشر الإسلامي، إیران، قم.
٤. الإمامة والتبصرة من الحيرة، ابن بابویه القمي، مدرسة الإمام المهدي، قم، إیران، د. ت.
٥. بحار الأنوار الجامعۃ لدرر أخبار الأئمۃ الأطہار، الشيخ محمد باقر المجلسی، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٦. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضی الزبیدی ت ١٢٠٥هـ، مکتبة الحياة، بيروت.
٧. الخصال، الشيخ الصدوق ت ٢٨١هـ، تحقيق علی أكبر غفاری، جماعة المدرسین في الحوزة العلمیة، قم.
٨. روح المعانی في تفسیر القرآن العظیم والسیع الشانی، محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٩. شواهد التنزيل، الحاکم الحسکانی - من أعلام القرن الخامس، تحقيق الشیخ محمد باقر الحمو迪، مؤسسة الطبع والنشر، طهران، إیران، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
١٠. الصحیفة السجادیة، الإمام علی بن الحسین علیهم السلام، تحقيق وتنسیق علی انصاریان، إصدار سفاره إیران، دمشق، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
١١. العصمة - بحث تحليلي في ضوء المنهج القرآني، محاضرات السيد کمال الحیدری، بقلم محمد القاضی، دار فرائد للطباعة والنشر، إیران، ١٤٢٠هـ.
١٢. الفائق في غريب الحديث، الزمخشري، تحقيق علی محمد البجاوي و محمد أبي الفضل إبراهيم، ط ٢، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
١٣. الكافی، الكلینی ت ٢٣٩هـ، تحقيق وتعليق علی أكبر غفاری، دار الكتب الإسلامية، ط ٣، طهران، ١٣٨٨هـ.
١٤. کمال الدین وقام النعمة، الشيخ الصدوق ت ٣٨١هـ، تصحیح وتعليق علی أكبر غفاری، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إیران، ١٤٠٥هـ.
١٥. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان.
١٦. معانی الأخبار، الشيخ الصدوق ت ٣٨١هـ، تصحیح وتعليق علی أكبر غفاری، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إیران.
١٧. المنمق في أخبار قریش - ابن حبیب.

١٨. الميزان في تفسير القرآن، العلامة محمد حسين الطباطبائي ت ١٤٠٢ هـ، مؤسسة إسماعيليان، ط٥، قم، إيران، ١٤١٢ هـ.
١٩. النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير ت ٦٠٦ هـ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي، مؤسسة إسماعيليان، ط٤، قم، إيران.
٢٠. نهج البلاغة، مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، شرح الإمام محمد عبدة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د. ت.

## **ظاهرة التضخم النقدي في العراق**

### **واعنکاساتها الاقتصادية**

أ.م.د. كمال عبد حامد آل زيارة<sup>(١)</sup>

أ.م.د. حكمت عبد الرزاق الدباغ<sup>(٢)</sup>

#### **المقدمة:-**

مرّ العراق خلال العقود الأخيرة بتطورات سياسية مهمة ترَكَ آثارها على مناحي الحياة المختلفة، ومن ضمنها الجانب الاقتصادي، إذ شهد الاقتصاد العراقي تذبذباً في العديد من التغيرات الاقتصادية تبعاً للواقع السياسي والظروف المحيطة. وعلى الرغم من كل هذه التطورات والتباين في اتجاهات السياسة الاقتصادية وفي استخدام أدواتها، إلا أن القاسم المشترك خلال السنين الماضية كان هو التضخم. إذ شهد العراق ارتفاعاً في المستوى العام للأسعار طوال عقد التسعينيات من القرن الماضي والعقد الأول من القرن الحالي وكان من نوع التضخم الراهن الذي اتسم باستمراريته على مدار هذه المدة.

من هنا جاءت أهمية البحث الحالي، إذ حاول الباحثان التصدي لدراسة هذه الظاهرة للوقوف على أسبابها ومدياتها وأبرز انعکاساتها على الاقتصاد العراقي.

انطلق البحث من الفرضيتين الأساسية الآتيتين :-

١. التمادي في إصدار العملة بوصفه عاملاً أساسياً في التضخم النقدي.

٢. ضخامة الموازنة التشغيلية في العراق وبخاصة فقرة الرواتب والأجور لتنصيب الدولة والقطاع العام بكل ما يولده من زيادة في الطلب الكلي، مقابل تدني الجهاز الإنتاجي وضعف كفائه.

شمل البحث ستة مباحث وعلى النحو الآتي :-

المبحث الأول :- مفهوم التضخم

المبحث الثاني :- التضخم في النظرية الاقتصادية

المبحث الثالث :- طرق قياس التضخم

١ - كلية القانون - جامعة أهل البيت

٢ - كلية القانون - جامعة بابل

المبحث الرابع : - قياس مستوى التضخم النقدي في العراق

المبحث الخامس : - الانعكاسات الاقتصادية لظاهرة التضخم النقدي في العراق

المبحث السادس : - الاستنتاجات والتوصيات

### المبحث الأول: مفهوم التضخم:

اختلقت المدارس الاقتصادية في تحديد مفهوم التضخم (Inflation)، ويعود السبب في ذلك إلى أن نظرية التضخم مررت بتطورات عديدة تبعاً لتطور الفكر الاقتصادي. لذلك يلاحظ وجود تعريفات متباينة للتضخم انسجاماً مع اختلاف النظريات وتعددتها.

وقبل الخوض في تفاصيل أبرز النظريات التي بحثت ظاهرة التضخم، يمكن القول، عموماً، أن التضخم هو تعبير عن حالة الارتفاع المستمر في الأسعار، ونتيجة لذلك فإن الوجه الآخر له يتمثل بالانخفاض المستمر في القدرة الشرائية لوحدة النقد.

ويعكس التضخم حالات اختلال التوازن الاقتصادي في أسواق السلع والخدمات وعوامل الإنتاج، وبشكل عام فإن التضخم ناجم عن حالات عدم التوازن بين التدفقات النقدية وتدفقات السلع والخدمات في السوق، إذ تكون الزيادة في التدفقات النقدية بوتيرة أعلى من الزيادة في التدفقات السلعية والخدمة، الأمر الذي يؤدي إلى ظهور حالة التضخم في الاقتصاد المعنى، بل وتحويلها إلى ظاهرة يعني منها ذلك الاقتصاد بديمومة ارتفاع العرض النقدي في التداول بالمقارنة مع العرض السمعي في السوق.

وي يكن تعريف التضخم انطلاقاً من أسبابه أو من آثاره. فمن خلال أسبابه يمكن تعريف التضخم بوصفه ظاهرة نقدية: بأنه عبارة عن زيادة في كمية النقود تؤدي إلى ارتفاع في الأسعار. سواء برزت تلك الزيادة من خلال عرض النقود (الإصدارات النقدية أو التوسيع في خلق الائتمان) أم من خلال الطلب على النقود ( الإنفاق النقدي). واضح مدى تعبير هذا التعريف عن آراء المؤيدين للنظرية الكمية للنقود، التي ترى في كمية النقد المتغير الرئيسى للمستوى العام للأسعار، مع افتراض ثبات العناصر الأخرى على الأقل في الأجل القصير<sup>(٣)</sup>.

كما يمكن تعريف التضخم من خلال آثاره بوصفه ظاهرة سلعية: فحينما يبرز اتجاهها مستمراً ومؤكداً نحو تصاعد الأسعار، يمكن الاستنتاج بأننا نواجه حالة توصف بكونها تضخمية. وعلى النقيض من ذلك عندما يكون اتجاه الأسعار نحو الانخفاض الدائم والمستمر، يمكن القول إننا أمام حالة توصف بأنها انكماسية. فالتضخم من هذا المنطلق يعني حركة دائمة يرتفع من خلالها المستوى العام للأسعار، بغض النظر عن سبب هذا الارتفاع، سواء أكان زيادة كمية النقود أم اختلال التوازن بين التيار النقدي وتيار السلع والخدمات أم غير ذلك من الأسباب<sup>(٤)</sup>.

### المبحث الثاني: التضخم في النظرية الاقتصادية:-

تختصر عن الفكر الاقتصادي العديد من النظريات التي فسرت ظاهرة التضخم، ويمكن تناولها بإيجاز على النحو الآتي :-

#### أولاً: نظرية كمية النقود:-

أقام الكلاسيك علاقة طردية بين عرض النقود ( $M_1$ ) ومستوى الأسعار ( $P$ ) وعلاقة عكسية بين

عرض النقود وقيمة النقود أي مقلوب المستوى العام للأسعار  $\frac{1}{P}$ . واستندوا في ذلك إلى معادلة التبادل :-

٣ - مصطفى رشدي شيخه، اقتصاديات النقود والمصارف والمال، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط٦، ١٩٩٦. ص ٨٠٩.

٤ - المصدر نفسه، ص ٨١١.

$$Ms V = P Y$$

حيث أن :

$Ms$  عرض النقد بمعناه الضيق ( النقود القانونية بشكلها الورقي والمعدني + الودائع الجارية )

$V$  سرعة تداول ( أو دوران ) النقود

$P$  مستوى الأسعار للناتج الكلي

$Y$  الناتج الكلي الحقيقي

والملاحظ إن هذه المعادلة هي عبارة عن متطابقة أو بدائية والسبب في ذلك لأن الجزء الأيسر من المعادلة ( $Ms V$ ) يشير إلى الطلب الكلي النقدي ويعبر عن المدفوعات النقدية، أما الجانب الأيمن ( $P Y$ ) فيعبر عن قيمة الإنتاج الكلي أو المفروضات النقدية، وهذا يعني أن ما يدفع من نقد يقابل بالضرورة قيمة نقدية مماثلة بالنتاج<sup>(٥)</sup>.

أما عن كيفية تحويل هذه البدائية إلى نظرية مفسرة لغيرات المستوى العام للأسعار، فيطلق الكلasicik ابتداءً من الافتراضين الآتيين :-

١. تتسم سرعة تداول النقود في الاقتصاد القومي بالثبات، وذلك لأنها مرتبطة بعوامل محددة غير قابلة للتغيير في المدة القصيرة كالعادات الاستهلاكية والإنفاقية.

٢. يفترض الكلasicik وجود حالة الاستخدام الكامل، وهو ما يعني أن الناتج الكلي الحقيقي هو عند أعلى مستوى له، منطلقاً من أن الموارد الإنتاجية المتاحة في الاقتصاد مستغلة بصورة تامة أي موظفة توظيفاً كاملاً.

وأنطلاقاً من هذين الافتراضين يمكن كتابة معادلة التبادل أعلاه على النحو الآتي :-

$$Ms V = P Y$$

وعليه يصبح :-

$$P = F (Ms)$$

من هنا يرى أنصار المدرسة الكلasicikية أن أي تغيير في عرض النقد يؤدي إلى تغيير مناظر ( وبالنسبة نفسها ) في المستوى العام للأسعار، بمعنى أن زيادة كمية النقود وإطلاقها في التداول عن طريق الإنفاق الحكومي، مدعوة إلى ارتفاع مستوى الأسعار أي انخفاض قيمة النقود، لأن الطرف الأيمن من معادلة التبادل ( $Y$ ) يجب أن يزداد مع زيادة الطرف الأيسر ( $Ms V$ ) بالنسبة والاتجاه ذاتهما. وهذه الحالة هي التي تكون التضخم النقدي الذي يعني زيادة في كمية النقود دون أن يقابلها ارتفاع في الناتج من السلع المتداولة إلى الأسواق.

### ثانياً: التضخم من وجهة النظر الكينزية:-

لـ جون ماينرد كينز، عند دراسته ظاهرة التضخم، إلى منهجه الكلي في التحليل، وعلى النقيض من الكلasicik الذين استندوا إلى النظرية الكمية للنقود في تفسير الارتفاع العام في الأسعار بالعلاقة المباشرة بين عرض النقد ومستوى الأسعار ( بافتراض ثبات سرعة تداول النقود ومستوى الناتج الكلي الحقيقي )، يلاحظ لجوء كينز إلى دراسة تقلبات العرض الكلي والطلب الكلي في تفسير مشكلة التضخم. فهو يرى أن التضخم يتمثل بزيادة في مستوى الطلب الكلي المكون من الاستهلاك والاستثمار والإتفاق الحكومي على مستوى العرض الحقيقي زيادة محسوسة ومتواصلة، الأمر الذي يؤدي إلى حدوث سلسلة من الارتفاعات المفاجئة والمستمرة في المستوى العام للأسعار.

وفي هذا الصدد ميز كينز بين حالتين :-

3 – Lilaj. Truett , Daleb. Truett , Economics , West Publishing Co , Saintpaul , 1982. P253.

### الأولى: - حالة الاقتصاد القومي قبل وصوله مستوى الاستخدام الكامل :

فعدن هذه الحالة يكون جزء من الموارد الإنتاجية عاطلاً وتتوافر طاقات إنتاجية غير مستغلة، وحينما تحصل زيادة في الطلب الفعال بوساطة تصاعد الإنفاق النقدي (عرض النقد) فإن الاقتصاد يتمكن من الاستجابة لهذه الزيادة من خلال تحقيق زيادة مماثلة في مستوى الناتج ومن ثم الدخل وذلك عن طريق سعر الفائدة.

إذاً فالتأثير الأولي والأساس للتغير في كمية النقود على مقدار الطلب الفعال لا يكون مباشرةً، إنما من خلال تأثيره على سعر الفائدة، وبالتالي مع العناصر الثلاثة (تفضيل السيولة، الكفاية الحدية لرأس المال، مضاعف الاستثمار) يتحدد المقدار الكمي للتأثير<sup>(٦)</sup>. فأسعار الفائدة تنخفض نتيجة لزيادة كمية النقود وعند المقارنة بين أسعار الفائدة (المتحفضة) والكفاية الحدية لرأس المال تحصل زيادة في الاستثمار، وبفعل دور مضاعف الاستثمار يستمر الناتج (أو الدخل) بالارتفاع، الأمر الذي يعني زيادة الطلب على عناصر الإنتاج، ولكن طالما وجدت عناصر غير مستغلة فإن ارتفاع الطلب عليها سوف لا تتمحض عنه زيادات محسوسة في أسعارها، بسبب إمكانية زيادة الإنتاج بالنسبة نفسها للزيادة في الإنفاق النقدي. ومع ذلك، يرى كينز، أن تنامي الطلب على الموارد يمكن أن يرفع أسعارها حتى قبل بلوغ حالة الاستخدام الكامل، ويعبر عن هذا النوع من التضخم أسم (التضخم الجزئي).

ويعلل كينز هذا النوع من التضخم بأنه يحدث للأسباب الآتية<sup>(٧)</sup> :

١. ظهور اختناقات ناجمة عن نقص في بعض عناصر الإنتاج لقطاعات معينة مما يعمل على ارتفاع أسعاره.

٢. ممارسة الضغوط من النقابات العمالية، وبما يؤدي إلى ارتفاع مستوى الأجور بشكل لا يتناسب مع الزيادة المتوقعة في الإنتاجية.

٣. وجود ميول احتكارية في بعض فروع الاقتصاد القومي.

ويرى كينز التضخم الجزئي حافزاً على زيادة الإنتاج، وبعد حدوثه أمراً طبيعياً ومرغوباً في هذه الحالة بالنظر لما يتوقع من أرباح للمنظمين، وقد تخلق السلطات النقدية هذا النوع من التضخم في أوقات الكساد، بهدف تحقيق قدر أكبر من الاستخدام.

### الثانية: - الاقتصاد القومي عند مستوى الاستخدام الكامل:

حينما يكون الاقتصاد القومي في حالة الاستخدام الكامل للموارد الاقتصادية وتكون الطاقات الإنتاجية مستغلة بصورة تامة، وبافتراض تنامي الزيادة في الطلب الكلي الفعال، فإن العرض الكلي سوف لا يتمكن من الاستجابة للطلب الكلي المتزايد، حيث تكون مرونة هذا العرض بلغت الصفر عند نقطة الاستخدام الكامل، وبذلك فإن كل زيادة في الإنفاق النقدي التي تحفز الطلب سوف تتعكس بشكل ارتفاع في مستوى الأسعار أي ظهور التضخم ويرى كينز في هذا الصدد، أنه حينما يتم الوصول إلى مستوى الاستخدام الكامل، فإن آلية محاولة لزيادة الاستثمار ومن ثم الطلب بصورة أكثر، سوف تؤدي بالأسعار إلى الارتفاع اللامحدود، مهما يكن الميل الحدي للاستهلاك، وبالتالي الوصول إلى حالة تضخم حقيقي<sup>(٨)</sup>.

4- J.M.Keynes , The General Theory of Employment , Money and Interest , London , Macmillan and Co , Ltd , Martin's Street , 1942. pp 298-299.

٧- صلاح الدين عبد المسيح كاكو، التضخم الركودي في المجموعة الاقتصادية الأوروبية خلال الفترة ١٩٨٩ - ١٩٧٠ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قدمت إلى مجلس كلية الإدارة والاقتصاد - جامعة بغداد، آذار، ١٩٩٢. ص ١٩.

6 - J.M.Keynes , Op. Cit. P118-119.

ومع ذلك من المهم التأكيد على أن كينز يعتقد، أنه ليس من الضروري أن تؤدي زيادة كمية النقود (بعد الوصول إلى حالة الاستخدام الكامل) إلى ارتفاع في المستوى العام للأسعار، إذ قد يصاحب الزيادة في كمية النقود زيادة مناظرة في ميل الأفراد للاكتناز بحيث لا يترتب على ذلك ارتفاع في مستوى الطلب الفعال. فالنقود ليست العنصر الحاسم في تقرير المستوى العام للأسعار ومن ثم معدلات التضخم وإنما الزيادة المضطربة والمتوصلة في مستوى الطلب الكلي بالمقارنة مع قلة العرض هو الذي يؤدي إلى ارتفاع الأسعار<sup>(٩)</sup>.

### ثالثاً- نظرية العلاقة بين الأدخار والاستثمار (نظرية المدرسة السويدية):

تُميز مدرسة الفكر السويدي بين الكميات المتوقعة X-Post وبيان الكميات المتوقعة X-Ant للمتغيرات الاقتصادية الكلية، فالادخار المتحقق يعادل الاستثمار المتحقق، وتشير كلمة متحقق إلى نتائج القرارات الماضية للجماعة فيما يتعلق بالدخل والاستهلاك والادخار والاستثمار، في حين تشير كلمة متوقع إلى المتغيرات أعلى المستهدفة، ولا يوجد لدى أنصار المدرسة السويدية من الأسباب ما يحملهم على الاعتقاد بتعادل الاستثمار والأدخار المتوقعين، إذ قد يختلفان نتيجة الائتمان المصرف أو الأرصدة العاطلة، ولكن الأدخار والاستثمار والدخل المستهدفة كلها قادرة بالتأكيد على أن تختلف عن مثيلتها المتحققة.

إذاً أعطت هذه المدرسة أهمية خاصة للتوقعات (Expectation) في التحليل التقدي للتضخم، إذ ترى أن العلاقة بين الطلب الكلي والعرض الكلي لا تتوقف على مستوى الدخل فقط، كما ترى المدرسة الكينزية، إنما أيضاً على خطط الإنتاج القومي. أو بعبارة أخرى تتوقف على العلاقة بين خطط الاستثمار وخطط الأدخار، وعليه لا توجد أسباب تدعو إلى الافتراض بأن الاستثمار المتوقع يساوي الأدخار المتحقق، إلا في حالة التوازن، والسبب في ذلك يرجع إلى أن الأفراد متخدلي قرارات الاستثمار تحدهم حوافز ودوافع ورغبات تختلف عن تلك التي تدفع الأفراد للقيام بالأدخار. وتأسساً على ذلك يؤدي عدم التساوي بين الاستثمار المتوقع والأدخار المتوقع إلى تقلب في مستوى الأسعار، فإذا زاد الاستثمار المتوقع عن الأدخار المتوقع، فإن ذلك يعني أن الطلب أكبر من العرض وهذا يؤدي بدوره إلى ارتفاع مستوى الأسعار، وعندما ترتفع الأسعار يحقق المتوجهون في هذه الحالة بعض الدخول غير المتوقعة بسبب تفوق خطط الشراء على خطط الإنتاج ليس فقط في أسواق السلع بل كذلك في أسواق عوامل الإنتاج<sup>(١٠)</sup>.

### رابعاً- نظرية تضخم التكاليف:

على أثر منحني (Phillips)<sup>(١١)</sup> الشهير، الذي مثل الإطار النظري للمقاومة بين البطالة والتضخم (والذي ظهر لأول مرة عام ١٩٥٤ في بحثه الموسوم سياسة الاستقرار في اقتصاد مغلق)، تمكن اقتصاديون في السنتينيات من القرن الماضي وهم (R.Lipsey & R.Solow) أن يقيموا علاقة تقوم على أساس الربط بين ثلاثة متغيرات هي معدل البطالة ومعدل التغيير في الأجور النقدية ومعدل التغيير في مستوى الأسعار المحلية (معدل التضخم). واستناداً في دراستهما إلى نقطة مرئية هي أن الأجور ليست فقط قوة شرائية أو دخل بالنسبة للعامل، كما بينت النظرية الكينزية، إنما هي أيضاً تعد كلفة بالنسبة لرب العمل، وإن التغيير في

٩ - صلاح الدين عبد المسيح كاكو ، المصدر السابق. ص ٢٠.

١٠ - وزارة التخطيط - هيئة تخطيط القوى العاملة، الأبعاد الاجتماعية لظاهرة التضخم في الاقتصاد العراقي ، بغداد ، ١٩٩٢ .  
ص ١٦ - ١٧ .

١١ - للمزيد من التفاصيل انظر:-

- A.W.Phillips , ( Stabilization Policy in a closed Economy ), Economic Journal , No. 254 , June , 1954.

**الأجور النقدية سوف ينعكس بالتأكيد على هذه الكلفة ومن ثم على مستوى الأسعار، بعد الأخذ بالاعتبار مستوى الإنتاجية لعنصر العمل.**

ويمكن توضيح العلاقة المشار إليها أعلاه على النحو الآتي : كلما كان معدل البطالة منخفضاً (أي ارتفاع معدل الاستخدام) واستداد أسواق العمل كانت الظروف مهيأة للعمال من أجل الضغط باتجاه رفع مستوى الأجر، وعند حصول تغير في معدل الأجور النقدية باتجاه الأعلى (وبافتراض ثبات مستوى الإنتاج)، فإن ذلك لا بد وأن ينعكس على مستوى الأسعار المحلية باتجاه الأعلى أيضاً، بمعنى أن نظرية تضخم التكاليف ترتكز على نقطة جوهيرية تمثل في أن التغير في الأجور النقدية يعد سبباً مهماً في زيادة التكاليف وارتفاع الأسعار، لكن هذا الأمر يبقى ناقصاً من الناحية النظرية والعملية ما لم يجر ربط تلك المتغيرات بمستوى إنتاجية العمل. أي أنه ليس كل تغير في معدل الأجور النقدي يصب بالضرورة باتجاه زيادة حدة التضخم، إذ قد تقرن زيادة الأجور النقدية بمعدلات موازية في مستوى الإنتاجية، ومن ثم يصبح بالإمكان ضمان الحفاظة على مستوى التكاليف وبالتالي الأسعار، ولن يكون معدل التغير في الأجور النقدي عامل أساسياً في ظهور التضخم، إلا إذا كان هذا المعدل يفوق في معدله مستوى فهو إنتاجية العمل. وتجدر الإشارة إلى أن نظرية تضخم التكاليف تشير إلى أن مصادر هذا النوع من التضخم يمكن أن تكون على النحو الآتي :-

**المصدر الأول : - تغيرات معدلات الأجور النقدية :**

هذه التغيرات يمكن أن تنشأ عن عوامل عديدة أهمها ما يأتي (١٢) :-

١. إذا حصلت زيادات ملموسة أو مهمة في معدلات الأجور النقدية في بعض القطاعات الإنتاجية التي تتسم فيها الإنتاجية بالارتفاع، فإن النقابات العمالية في القطاعات الأخرى التي يكون فيها مستوى الإنتاجية قريب أو أقل من تلك السائدة في القطاعات الأولى يكون بإمكانها وبدافع العدوى أو التقليد المطالبة بزيادات في الأجور لعمالها ومن ثم إمكانية انعكاس هذه الزيادة على مستوى التكاليف فالأسعار، وخاصة إذا كانت معدلات التغير في الأجور النقدية في القطاعات الثانية أشد أو أعلى نسبياً من مستوى إنتاجية العمل فيها.
٢. يمكن حصول زيادات مهمة في أجور العمال إذا أقدمت الحكومة على رفع ما يعرف بالحد الأدنى للأجر دون مراعاة لمستوى إنتاجية العمل.
٣. إذا وجدت نقابات العمال أن معدلات الأرباح لرجال الأعمال بلغت مستويات عالية بالنسبة للدخل القومي وإن هذا الأمر أدى إلى تراجع الأهمية النسبية للأجور في الدخل القومي، فإن مثل هذا الوضع يمكن أن يكون حافزاً للمطالبة بزيادة الأجور، فإذا كانت هذه الأخيرة أيضاً أعلى من مستوى الإنتاجية في القطاعات التي تتولد منها كان هذا عاماً مساعداً في زيادة معدل التضخم.
٤. إذا كان هنالك فائضاً في الطلب على العمل مقارنة بعرض العمل فإن ذلك يشكل أيضاً عاماً مساعداً للمطالبة بزيادة الأجور.

**المصدر الثاني : - قد ينشأ تضخم الكلفة أيضاً نتيجة تضليل عاملين أساسيين :-**

**العامل الأول : - وجود درجة عالية من الانفتاح الاقتصادي للبلد إزاء السوق العالمية، ويستخدم الاقتصاديون للكشف عن درجة الانفتاح على العالم الخارجي مؤشر نسبة التجارة الخارجية إلى الناتج القومي أي :-**

١٢ - عرض فاضل إسماعيل الدليمي ، النقد والبنوك ، بغداد ، ١٩٩٠ . ص ٦٥٢ - ٦٥٣

الصادرات + الاستيرادات

$\times 100$

الناتج الفعلى الإجمالي

فكلما كانت درجة الانفتاح أو النسبة المستخرجة من هذه الصيغة عالية دل ذلك على أن البلد له صلات تبعية وثيقة بالعالم الخارجي.

**العامل الثاني:** - مستوى التضخم في العالم الخارجي، فكلما كان هذا الأخير مرتفعاً وكان البلد في الوقت ذاته يواجه درجة انفتاح عالية يتوقع في مثل هذه الحالة أن تسرب الزيادات في أسعار السلع والخدمات الأجنبية إلى داخل البلد ومن خلال التجارة الخارجية تلبية للاحتياجات الاستهلاكية والاستثمارية.

**المصدر الثالث:** - فـ يـ تـولـدـ تـضـخمـ الـكـلـفـةـ كـذـلـكـ، بـفـعـلـ اـنـتـهـاجـ الـحـكـوـمـةـ سـيـاسـةـ تـخـفـيـضـ الـعـمـلـةـ، فـكـمـاـ هوـ مـعـلـومـ أـنـ تـخـفـيـضـ يـعـنيـ دـفـعـ وـحدـاتـ أـكـبـرـ مـنـ الـعـمـلـةـ الـوطـنـيـ إـزـاءـ الـعـمـلـةـ الـأـجـنبـيـةـ أـوـ الـقـيـادـيـةـ، مـاـ يـقـودـ إـلـىـ تـحـمـلـ الـمـسـتـورـدـ الـو~طـنـيـ (ـالـمـلـيـ)ـ أـعـبـاءـ إـضـافـيـةـ نـتـيـجـةـ هـذـاـ تـخـفـيـضـ بـعـنـىـ عـلـيـهـ بـعـدـ تـخـفـيـضـ أـنـ يـدـفعـ وـحدـاتـ نـقـدـيـةـ أـكـبـرـ مـنـ السـابـقـ لـلـحـصـولـ عـلـىـ الـكـمـيـةـ نـفـسـهـاـ مـنـ السـلـعـ وـالـخـدـمـاتـ مـنـ الـعـالـمـ الـخـارـجـيـ،ـ الـأـمـرـ الـذـيـ يـتـمـخـضـ عـنـهـ تـحـمـلـ الـمـسـتـورـدـ أـعـبـاءـ مـالـيـةـ أـعـلـىـ،ـ وـهـذـهـ الـأـعـبـاءـ بـالـتـأـكـيدـ سـوـفـ تـنـعـكـسـ عـلـىـ مـسـطـوـ الـأـسـعـارـ الدـاخـلـيـةـ فـيـ الـبـلـدـ سـوـاءـ مـنـ خـلـالـ اـسـتـيـرـادـ السـلـعـ الـاستـهـلاـكـيـةـ أـمـ السـلـعـ الرـأـسـمـالـيـةـ<sup>(١٣)</sup>.

### المبحث الثالث: طرق قياس التضخم

هـنـاكـ عـدـدـ مـنـ الـطـرـقـ الـتـيـ تـسـتـخـدـمـ فـيـ قـيـاسـ التـضـخمـ لـعـلـ مـنـ أـبـرـزـهـ مـاـ يـأـتـيـ:

#### أولاً: طريقة الفجوات التضخمية<sup>(١٤)</sup>:

وـهـيـ طـرـيـقـةـ مـتـأـثـرـ بـالـتـحـلـيلـ الـكـيـنـزـيـ،ـ وـتـقـوـمـ عـلـىـ أـسـاسـ تـقـدـيرـ الفـروـقـ بـيـنـ حـجـمـ السـلـعـ وـالـخـدـمـاتـ الـمـنـتـجـةـ فـيـ الـاقـصـادـ،ـ وـبـيـنـ الـقـوـةـ الشـرـائـيـةـ الـمـتـاحـةـ فـيـ أـيـدـيـ الـمـسـتـهـلـكـينـ،ـ وـتـعـالـجـ هـذـهـ الفـروـقـ مـنـ خـلـالـ عـلـاقـاتـ الـطـلـبـ الـكـلـيـ أـوـ الـإـنـفـاقـ.ـ وـتـمـثـلـ بـالـفـرـقـ بـيـنـ فـائـضـ الـطـلـبـ الـكـلـيـ الـقـدـيـ أـوـ الـإـنـفـاقـ الـقـومـيـ (ـمـقـدـراـ بـالـأـسـعـارـ الـجـارـيـةـ)ـ وـبـيـنـ حـجـمـ النـاتـجـ الـقـومـيـ الـحـقـيقـيـ GNPـ (ـبـالـأـسـعـارـ الـثـابـتـةـ)ـ.ـ أـوـ النـاتـجـ الـمـلـيـ الإـجمـالـيـ GDPـ بـالـأـسـعـارـ الـثـابـتـةـ.

أـيـ أـنـ الـفـجـوةـ التـضـخـمـيـةـ (Inflationary Gap)ـ

حيـثـ أـنـ الـإـنـفـاقـ الـنـقـدـيـ الـكـلـيـ يـعـادـلـ:

$$Y = C + G + I + X - M$$

وـتـعـنـيـ:

Y: الإنفاق الكلي أو الدخل القومي

N: الدخل الحقيقي أو الناتج القومي الحقيقي

C: الإنفاق الاستهلاكي

G: الإنفاق الحكومي

I: الإنفاق الاستثماري

X: الصادرات

M: الاستيرادات

١٣ - المصدر نفسه. ص ٦٥٥.

١٤ - مصطفى رشدي شيخة، المصدر السابق. ص ٨٥٠.

ظاهرة التضخم النقدي في العراق وانعكاساتها الاقتصادية  
ويربط فجوة التضخم (فجوة فائض الطلب) بتطورات الأسعار يمكن الوقوف على مدى تأثير هذه الفجوة على مستوى الأسعار المحلية. ومن الواضح أنه كلما اتسعت هذه الفجوة كلما شكلت ضغطاً متزايداً على العرض الحقيقي للسلع والخدمات وبالتالي اختلالاً نقدياً أشد الأمر الذي يولد ارتفاعاً أكبر في مستوى الأسعار.

#### ثانياً: طريقة فائض المعروض النقدي:

وهي الطريقة التي يعتمد عليها صندوق النقد الدولي (والمستمدة من التحليل الحديث لمدرسة شيكاغو أو ما يعرف بالتحليل النقودي Monetarism) وهي عبارة عن الفرق بين التغير في عرض النقود (السيولة) وبين التغير في الطلب على النقود (أي حجم ما يرغب الأفراد الاحتفاظ به من دخل بصورة نقود) – عند أسعار ثابتة – وذلك خلال مدة زمنية معينة.

إذا كان : -

$$\Delta \frac{\text{التغيير في عرض النقود}}{\text{الطلب على النقود}} = \frac{\Delta M_s}{M_s} - \frac{\Delta Y}{Y}$$

ناتج القومي الإجمالي

التغير في الناتج القومي الإجمالي

فإن الفجوة التضخمية  $(^{(15)})$  :

$$\Delta M_s - \frac{M_s}{V} \times \Delta Y$$

وبعبارة أخرى فإذا زاد معدل التغيير في كمية وسائل الدفع  $\frac{\Delta M_s}{M_s}$  عن معدل التغيير في الناتج القومي الإجمالي الحقيقي  $\frac{\Delta Y}{Y}$  كان ذلك دليلاً على وجود ضغوط تضخمية. أما إذا كان معدل التغيير في كمية النقود أقل من معدل التغيير في الناتج القومي الإجمالي الحقيقي كان ذلك مؤشراً على وجود اتجاهات انكمashية. مما يدفع مستوى الأسعار إلى الأسفل. أما إذا تساوى معدل التغيير في وسائل الدفع مع معدل التغيير في العرض الحقيقي للسلع فإن ذلك يدل على استقرار نceği  $(^{(16)})$ .

#### ثالثاً: طريقة الأرقام القياسية:

وهي من أكثر الطرق شيوعاً وتعتمد على تقدير معدل التضخم من خلال تطورات الأسعار (الرقم القياسي للأسعار)، وتستخدم الأرقام القياسية لغرض قياس القوة الشرائية للأفراد والمجموعات والتعرف على تطور الأسعار لسلعة معينة خلال فترة زمنية معينة، إذ يجري اعتماد الأرقام القياسية المقارنة بين سنتين إحداهما سنة الأساس التي تكون ثابتة وتنسب التقلبات السعرية إليها والسنة الأخرى هي سنة المقارنة التي يراد فيها التعرف على مقدار التضخم.

إذا كان : -

P1 : المستوى العام للأسعار في سنة الأساس

P2 : المستوى العام للأسعار في سنة المقارنة

فإن معدل التضخم =

$$\frac{P_2 - P_1}{P_1} \times 100$$

١٥ - المصدر نفسه. ص ٨٥١.

١٦ - عرض فاضل إسماعيل الدليمي ، المصدر السابق. ص ٦٣٨.

ومن الأرقام القياسية التي يمكن استخدامها في قياس التضخم ما يأتي :

١. **الرقم القياسي الضمني للأسعار:** - ويمثل النسبة بين مقدار الناتج القومي الإجمالي بالأسعار الجارية ومثيله بالأسعار الثابتة. ويتسم هذا المؤشر بشموليته لأسعار السلع والخدمات جميعها المنتجة والمتدولة في الاقتصاد.

٢. **الرقم القياسي لتكليف الاستثمار:** - ويعبر عن العلاقة بين إجمالي تكوين رأس المال بالأسعار الجارية ومثيله بالأسعار الثابتة، ويحسب بقسمة الأول على الثاني. ويعد مؤشراً لأسعار السلع الإنتاجية وبيان أسباب التغيرات الحاصلة في الإنفاق الاستثماري. معنى إنه يساعد في الكشف عن طبيعة الزيادة في هذا الإنفاق، وهل إنها ناتجة عن زيادة حقيقة في تكوين رأس المال أم هي زيادة في تكليف الاستثمار؟ ومن هنا فإنه يعد أيضاً من المؤشرات الهامة المستخدمة في قياس التغيرات في المستوى العام للأسعار<sup>(١٧)</sup>.

٣. **الرقم القياسي لأسعار الجملة:** - يستخدم في قياس تطورات أسعار السلع في الأسواق التجارية، إذ تحدد السلع الداخلة في حسابه وكذلك أوزانها استناداً إلى أهميتها النسبية في تلك الأسواق. وغالباً ما يتخذ مجموع مبيعات السلعة في الأسواق المذكورة معياراً لقياس أهميتها<sup>(١٨)</sup>. ويعاني الرقم القياسي لأسعار الجملة في العراق من نقص في الدقة عند حساب الاتجاهات التضخمية، فهو يتضمن الأسعار لأعداد محدودة من السلع والخدمات، ويستثنى العديد من السلع الأخرى (المحلية والمستوردة)، الأمر الذي يقلل من أهميته. كذلك فإن هذا المؤشر يقتصر على اتجاهات الأسعار في منطقة جغرافية معينة كالعاصمة، وأحياناً بعض المدن الكبيرة، دون أن يشمل اتجاهات الأسعار في المناطق الأخرى الحضرية منها والريفية، ويلاحظ من جهة أخرى أن هذا الرقم لا يعبر بصدق عن حركة الأسعار في السوق المحلية بسبب تدخل الدولة في تثبيت الحدود العليا لأسعار بعض السلع الداخلة في تركيب الرقم القياسي<sup>(١٩)</sup>. وعلى الرغم من هذه الانتقادات الموجهة لهذا المؤشر والتي تقلل من دوره في توضيح اتجاهات التضخمية. إلا أنه لا زال من المؤشرات المولع عليها في قياس التضخم وخاصة وإنه يشمل عينة كبيرة من السلع الغذائية والنسيجية، وهي من الفقرات الاستهلاكية المهمة، الأمر الذي يجعله معياراً مقبولاً لحساب التغيرات في تكليف المعيشة.

٤. **الرقم القياسي لأسعار المستهلك:** - ويطلق عليه أيضاً الرقم القياسي لأسعار المفرد للمواد الاستهلاكية والرقم القياسي لتكليف المعيشة. والهدف الرئيس عادة من احتساب هذا الرقم القياسي هو تقدير ارتفاع مستوى الأسعار بالنسبة للمستهلك وذلك لمعرفة التغيرات الحاصلة في القوة الشرائية لوحدة النقد<sup>(٢٠)</sup>. وعلى الرغم من الانتقادات التي توجه لهذا المؤشر في العراق (والتي تتشابه إلى حد ما مع الرقم القياسي لأسعار الجملة)، ومن ذلك شموله لبعض السلع فقط ولمناطق معينة (وخاصة العاصمة بغداد)، إلا أن هذا الرقم القياسي يعد من المؤشرات التي يمكن التعويل عليها لقياس التضخم، فهو يعطي صورة جيدة عن تكليف المعيشة، إذ أنه يعتمد على أساس مسح ميزانية الأسرة والذي يتضمن عينة كبيرة من الريف والحضر، وتوزع على فصول السنة، فضلاً عن العدد الكبير للسلع المشمولة بهذا الرقم القياسي سواء في القطاع العام (ومنها بعض السلع الداخلة بالبطاقة التموينية) أم القطاع الخاص<sup>(٢١)</sup>.

١٧ - وزارة التخطيط ، المصدر السابق. ص ٣٥.

١٨ - وزارة التخطيط - المعهد القومي للتخطيط ، الإحصاء للمخططين والباحثين ، بغداد ، ١٩٨٨ . ص ٢١٢.

١٩ - عرض فاضل إسماعيل الدليمي ، المصدر السابق. ص ٦٣٦.

٢٠ - وزارة التخطيط - المعهد القومي للتخطيط. المصدر السابق. ص ٢١٣.

٢١ - وزارة التخطيط - هيئة تخطيط القوى العاملة ، المصدر السابق. ص ٣٤.

#### المبحث الرابع: - قياس مستوى التضخم النقدي في العراق:

لأجل الوقوف على تغيرات المستوى العام للأسعار في العراق أعتمد الباحثان سلسلة زمنية تمتد لأكثر من عشر سنوات ابتداء من عام ١٩٩٦ ولغاية ٢٠٠٩.

وشهد العراق خلال هذه الفترة تطورات سياسية مهمة تركت آثارها على عموم الاقتصاد العراقي وبخاصة على حركة أسعار السلع والخدمات. لذلك أخذ الباحثان بنظر الاعتبار، عند تحليل متغيرات السنوات ١٩٩٦ - ٢٠٠٢، إنها فترة حصار اقتصادي فرض على العراق من الأمم المتحدة وإن سنة ١٩٩٦ كانت البداية لتطبيق مذكرة التفاهم المعقدة بين العراق والأمم المتحدة (النفط مقابل الغذاء والدواء) في حين كانت السنوات السبع الأخيرة من السلسلة الزمنية قيد البحث، شهدت ظروف سياسية واقتصادية مختلفة تماماً تزامنت مع الاحتلال الأمريكي للعراق في نيسان عام ٢٠٠٣<sup>(٢٢)</sup>.

وحتى يتم الوصول إلى دقة أعلى وشموليّة أكثر حول مستوى التضخم النقدي في العراق خلال المدة المذكورة، لم يقتصر الباحثان على استخدام مؤشر واحد أو طريقة فريدة في الحساب، وإنما حاوّلا الاستعانة بطرق متعددة وبما تتيحه البيانات المتوفّرة.

ومن هذا المنطلق تم اعتماد مؤشر الرقم القياسي للأسعار المستهلك، بوصفه معياراً متطرضاً يصدره الجهاز المركزي للإحصاء في وزارة التخطيط سنويًا، بهدف التعرف على تغيرات المستوى العام للأسعار في البلد. وبما أن هذا المؤشر يتضمن عيّناً أساسياً يتمثل باقتصادره على عينة من السلع فقط (لاسيما الغذائية والتسيجية في العاصمة بغداد) دون غيرها، فنمط الاستعانا به مؤشرات أخرى تتسم بشموليتها للسلع والخدمات مثل الرقم القياسي الضمني<sup>(٢٤)</sup> والجوجة التضخمية<sup>(٢٥)</sup> (وفق المفهوم الكينزي).

ولكي تسع الصورة عن مديات التضخم النقدي وأن لا تقتصر على السلع الاستهلاكية بل تشمل كذلك السلع الرأسمالية، تم اعتماد الرقم القياسي لتكلّيف الاستثمار<sup>(٢٥)</sup>.

من خلال الجدول رقم (١)، الذي يبيّن تطور الأرقام القياسية للأسعار المستهلك، يمكن تكوين صورة واضحة عن مستوى التضخم النقدي في العراق، وعلى النحو الآتي :-

١. يلاحظ إن أعلى مستوى للتضخم النقدي شهدته العراق هو خلال السنوات ١٩٩٣ - ١٩٩٦ ، فكما هو واضح من الجدول أعلاه إن نسبة التضخم هي (٢٤٢.١٪) في عام ١٩٩٦ بالمقارنة مع سنة الأساس (١٩٩٣) التي اعتمدت في الجدول، أي أن متوسط نسبة التغيير السنوي في مستوى الأسعار خلال السنوات الثلاث هو (٧١٤٪). والسبب الرئيس في ذلك هو اعتماد الحكومة العراقية لسياسات نقدية ومالية توسيعتين مع مطلع التسعينيات من القرن العشرين، فبعد صدور قرارات الأمم المتحدة في فرض الحصار الاقتصادي على العراق التي بدأت في آب ١٩٩٠ (على أثر غزوه للكويت)، وتوقف شبه كلي لتصدير النفط العراقي الذي يشكل عماد الاقتصاد العراقي، ولأجل توفير مصدر إيرادات تموّل من خلاله نفقات الدولة، تم

٢٢ - حسب قرار مجلس الأمن الدولي رقم (١٤٨٣) في ٢٢ / ٥ / ٢٠٠٣ اعتُبر العراق محتلاً رسمياً من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا.

٢٣ - يقاس من خلال ما يأتي :-

الرقم القياسي الضمني = الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الجارية ÷ الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الثابتة × ١٠٠

٢٤ - تفاصل كما يأتي :-

الجوجة التضخمية = الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الجارية - الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الثابتة

٢٥ - يقاس من خلال الصيغة الآتية :-

الرقم القياسي لتكلّيف الاستثمار = إجمالي تكوين رأس المال الثابت بالأسعار الجارية ÷ إجمالي تكوين رأس المال الثابت بالأسعار الثابتة × ١٠٠

اعتماد سياسة نقدية توسيعية قائمة على التمويل بالعجز، إذ أصبح الإصدار النقدي الجديد والتزايد المتفاقم في المعروض النقدي (الذي يعكس ارتفاع الطلب) هو السمة الرئيسة لسياسة العراق الاقتصادية خلال النصف الأول من التسعينيات. ورافق ذلك سياسة مالية توسيعية أيضاً، إذ تعاظم الإنفاق الحكومي ليسهم بدرجة عالية في رفع مستويات الطلب الكلي في الاقتصاد، يقابل ذلك تدني في مستوى المعروض السمعي نتيجة للتقلص الهائل في مستوى الاستيراد سواء للسلع تامة الصناع أو الوسيطة والأولية التي تستخدم في القطاعات الإنتاجية، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع غير مسبوق في مستوى الأسعار.

٢. اتسمت المدة ١٩٩٦ - ٢٠٠٢، باستمرار التصاعد في الرقم القياسي لأسعار المستهلك مؤشراً للتضخم النقدي، وإن كان بوتيرة أقل من المدة السابقة، إذ أصبح الرقم القياسي المذكور في نهاية هذه المدة (٥١٩٦.٦٪) بالقياس لبدايتها البالغ (١١٪)، وبمتوسط تغير سنوي مقداره حوالي (١٥٪). وكانت أعلى نسبة تضخم سنوي في عام ١٩٩٧ إذ بلغت (٢٣.١٪).

إن من الواضح خلال المدة المذكورة أن مؤشرات ظاهرة التضخم لا زالت قائمة، ولكن بنسب أقل نسبياً، وتكمّن أسباب ذلك في العديد من العوامل والمتغيرات، لعل من أبرزها تطبيق مذكرة التفاهم بين العراق والأمم المتحدة التي بدأ العمل بها في عام ١٩٩٦، والتي أسهمت بتوفير بعض السلع، وبخاصة الأساسية، فضلاً عن اتهاج الدولة لسياسة نقدية انكمashية إلى حد ما قائمة على أساس الحد من عرض النقد، وكذلك سياسة مالية انكمashية تمثلت بتقليل الإنفاق العام وزيادة الإيرادات من خلال التفعيل (الناري) للجهاز الضريبي، وبيع بعض ممتلكات الدولة الفائضة، ورفع أسعار بعض الخدمات العامة. وأدى كل ذلك إلى الحد من مستوى الطلب في البلد، فضلاً عن سحب كميات كبيرة من السيولة النقدية في التداول، الأمر الذي انعكس على المستوى العام لأسعار الذي استمر بالتصاعد ولكن بصورة أخف.

٣. على الرغم من التباين الشاسع في ظروف العراق على الأصعدة المختلفة، إلا أن مؤشرات التضخم استمرت خلال المدة ٢٠٠٣ - ٢٠٠٨، بل وبوتيرة أعلى بالمقارنة مع السنوات التي سبقتها، ويظهر ذلك جلياً من خلال الجدول رقم (١)، ففي الوقت الذي لم تصل فيه نسبة الارتفاع السنوي في الرقم القياسي لأسعار المستهلك في أية سنة خلال المدة ١٩٩٦ - ٢٠٠٢ إلى (٢٥٪)، يلاحظ بعد عام ٢٠٠٣ تجاوز هذه النسبة وللعامين السابعين، إذ بلغ متوسط الزيادة السنوية للمدة ٢٠٠٣ - ٢٠٠٧ حوالي (٣٧٪).

إن الأسباب التي تكمّن وراء ذلك عديدة، لعل من أبرزها:-

أ- تعطل العديد من المرافق الاقتصادية.

ب- شحة مصادر الطاقة وارتفاع أسعارها، إذ شهد عاماً ٢٠٠٥، ٢٠٠٦ ارتفاعاً كبيراً في أسعار المشتقات النفطية، الأمر الذي أسهم بتصاعد جوهرى في المستوى العام لأسعار وبخاصة في عام ٢٠٠٦، إذ وصلت نسبة الزيادة في الأسعار حوالي (٥٣٪) وهي الأعلى خلال سنوات البحث.

ج- ارتفاع مستويات المرتبات والأجور لمنتسبي الدولة، وكذلك المدفوعات النقدية (شبكة الحماية الاجتماعية)، وهذا ما أسهم في رفع مستوى الطلب الكلي في الاقتصاد.

د- المشاكل الأمنية التي عانى منها العراق في السنوات الأخيرة، وما رافقها من تصاعد في التكاليف، وبالإضافة إلى تكاليف الحمايات الأمنية الباهظة، أسهم ضعف الأمن، بالتضارف مع تصاعد أسعار المشتقات النفطية، في زيادة أسعار النقل وتثامي في تكاليف الإنتاج.

هـ- تزايد درجة الانفتاح الاقتصادي على العالم الخارجي، وبالإضافة إلى كون الاقتصاد العراقي هو اقتصاد ريعي يعتمد بالدرجة الرئيسة على صادرات النفط الخام، يلاحظ أيضاً تسامي الاستيراد وللختلف أنواع السلع لتغطية متطلبات السوق، وهذا ما جعل العراق عرضة للتضخم النقدي المستورد.

**ظاهرة التضخم النقدي في العراق وانعكاساتها الاقتصادية**

- وجود خلل في بنية الهيكل الاقتصادي والذي تجسده نسبة عالية من البطالة المقنعة، إذ تشير إحصاءات الناتج المحلي الإجمالي إلى وجود خلل في إنتاجية القوة العاملة، فيشكل القطاع النفطي (١٠٪) من قوة العمل ويسهم بإنتاج (٦٤٪) من الناتج المحلي، في حين تمثل القوة العاملة (٦٦٪) من قطاع الخدمات، تسهم فقط بنسبة (٢٩٪) من الناتج المحلي الإجمالي، وينطبق الأمر نفسه على قطاعي الزراعة والصناعة، إذ تنخفض الإنتاجية إلى مستويات متدنية، وهذا الخلل البيكري يعكس جلياً في عدم التوازن بين سوق السلع والخدمات من ناحية والسوق النقدي من ناحية ثانية.

إن مؤشرات التضخم النقدي المشار إليها واضحة للعيان ليس من خلال الأرقام القياسية لأسعار المستهلك فحسب، إذ تبين العديد من المقاييس الأخرى (كما يعكسها الجدول رقم ٢) نمطاً مشابهاً في تغيرات الأسعار، بصورة عامة، وإن اختلفت بعض التفاصيل من طريقة إلى أخرى ومن مقاييس إلى آخر. فواضح من خلال الفجوة التضخمية والرقم القياسي الضمني، تصاعد المستوى العام للأسعار خلال السنوات ١٩٩٧ - ٢٠٠٨ أجمعها، فالالفجوة التضخمية التي كانت (١٥٠٦٦.٨) مليار دينار في عام ١٩٩٧، تصاعدت قرباً التسع مرات لتبلغ في عام ٢٠٠٨ (١٥٥٩٢٩.١) مليار دينار. كذلك يظهر الرقم القياسي الضمني تماماً إلى حد كبير، إذ يتضمن الارتفاع السنوي لهذا المقياس وللمدة بأكملها. كما يتبيّن من خلال هذين المؤشرتين أيضاً أن المدة، قيد البحث، التي أعقبت عام ٢٠٠٣ شهدت وتيرة متقدمة في الأسعار وبنسبة أعلى من تصاعدتها في المدة التي سبقت العام المذكور.

وكل ما تم ذكره أعلاه من مسارات الحركة السعرية في العراق، يؤكّد أنه أيضاً الرقم القياسي لتكلّيف الاستثمار، الذي يعبر عن ارتفاع أسعار السلع الإنتاجية خلال سنوات البحث، باستثناء عام ٢٠٠٤ الذي شهد تناقصاً في هذا المؤشر بالمقارنة بعام ٢٠٠٢، وهذا لا يمكن وصفه بأنه انخفاض في أسعار هذه السلع بل هو تعبير عن تردّي التكوين الرأسمالي وتأثير الإنفاق الاستثماري، بسبب ظروف الاحتلال.

#### **المبحث الخامس:- الانعكاسات الاقتصادية لظاهرة التضخم النقدي في العراق:**

أظهر البحث فيما تقدم أن العراق يعاني من تضخم زاحف، يعكسه الارتفاع المستمر في المستوى العام للأسعار، وأسهم في ذلك عوامل متعددة منها اختلال التوازن بين عرض النقد ومستوى الناتج الحقيقي، وضعف مرونة الجهاز الإنتاجي العراقي واعتماده شبه الكامل على إنتاج النفط الخام سلعة رئيسية معدة للتصدير، بالإضافة إلى ارتفاع الميل الحدي للاستهلاك. ومن ثم يمكن القول أن عوامل التوسيع في الطلب والتکاليف تضافرت معاً لتخلق هذه المستويات من التضخم.

وبالتالي انعكاسات وآثار عديدة لظاهرة التضخم، وعلى أكثر من صعيد، وسيحاول الباحثان الوقوف على أبرز تلك الانعكاسات والآثار ولاسيما في المجال الاقتصادي :-

#### **أولاً:- إعادة توزيع الدخول:**

إن التضخم بطبيعته يؤدي إلى إعادة توزيع الدخول الحقيقة للشريحة الاجتماعية المختلفة لأن الدخول النقدية والأسعار لا تزداد بالنسبة نفسها للقطاعات كافة، إذ أن التفاوت في درجة ارتفاع أسعار السلع والخدمات يؤدي إلى زيادة الدخول لشريحة اجتماعية على حساب شريحة اجتماعية أخرى والنتيجة تعكس سلباً على المستوى المعاشي لهذه الشريحة فتدني المستوى المعاشي يكون من نصيب أصحاب الدخول الثابتة (التعاقدية) كالموظفين وجميع الذين يعيشون على المعاشات التقاعدية والإعانات والمدفوعات التحويلية (شبكة الرعاية الاجتماعية) وكذلك بعض الحرفيين الصغار والعمال الزراعيين. في حين ترتفع وبدرجات متزايدة الدخول الحقيقة لفئة المنظمين وأصحاب المزارع والمقاولين والصناعيين والوسطاء وذوي المهن الحرة

وأصحاب الشركات التجارية، لأن دخول معظم هذه الفئات تتسم بالمرونة والاستجابة السريعة للتغيرات المستوى العام للأسعار.

واستنادا إلى ما جاء في أعلاه وبما أن معظم الموظفين والعمال يعملون أجراً في القطاع العام لدى الدولة ويشكلون نسبة مهمة من القوى العاملة المستخدمة، فإن التضخم يؤدي إلى خلق ظروف غير مناسبة لبلوغ إدارة كفؤة ولعملية التنمية بشكل عام، نظراً للتأثير النفسي السيء الذي ينجم عنه لدى الموظفين وذلك بالمقارنة مع الشرائح الأخرى ذوي الدخول المتزايدة في النشاط الخاص الذين تزداد دخولهم النقدية نتيجة لزيادة الأرباح التي يجنونها من ارتفاع أسعار السلع والخدمات التي يبيعونها ويقومون بأدائها.

ويمكن الاستدلال على ما تقدم من خلال إلقاء نظرة على الجدول رقم (٣)، إذ يبدو أن الخط البياني لكل من مؤشرى الرقم القياسي لأسعار المستهلك ومتوسط نصيب الفرد من الدخل القومي في تصاعد (على الرغم من انخفاض الأخير لبعض السنوات)، ولكن يلاحظ أن نسبة الارتفاع في المؤشر الأول أعلى من مثيلتها في المؤشر الثاني. وما ينتج عن ذلك، وكما يعكسه الجدول أعلاه، هو التدهور الواضح في متوسط دخل الفرد الحقيقي في السنوات الأخيرة من البحث مقارنة بالسنوات الأولى، الأمر الذي يدل على تدني المستوى المعاشي لأبناء المجتمع العراقي عموماً. ولكن هذا لا يدل بالتأكيد على تساوي العبء الواقع على أفراد المجتمع جميعاً، إنما السواد الأعظم منه هو الذي تختلف دخوله النقدية عن اللحاق بتصاعد الأسعار ليصل بعض الفئات دون مستوى الفقر المحدد دولياً، في حين يستفيد البعض من أصحاب الدخول المتغيرة.

إن عبء التضخم يتوقف مع عبء الضرائب غير المباشرة فيما يتعلق بأثره في ارتفاع الأسعار، وإن كان بتأثيرات أشد، في بينما يقع عبء الضرائب غير المباشرة على ذلك الجزء من الدخل الذي يخصص للاستهلاك، ومن ثم يتحمله أصحاب الدخول المحدودة من ذوي الميل الحدي المرتفع للاستهلاك، يلاحظ بالمقابل أن عبء التضخم يقع على الدخل بأكمله، بما في ذلك الجزء المخصص للإدخار. وقد يكون المشرع قادرًا في بعض الأحيان على التحكم والانتقائية في فرض الضرائب غير المباشرة بحيث يجعلها تسهم، إلى جانب الضرائب المباشرة، في إعادة التوزيع لصالح الفئات الأقل دخلاً.

أما فيما يخص عبء التضخم فإنه يقع على القوة الشرائية للنقود، ومن ثم فإنه يسهم في إعادة توزيع الدخول بشكل معاكس، إذ يكون أشد وقعًا على الفئات محدودة الدخل، وذلك نظراً لارتفاع المنفعة الحدية للنقود بالنسبة لهذه الفئات بالقياس النسبي للفئات عالية الدخول. وهكذا نجد أن التضخم يعمل على إعادة التوزيع، إذ يحصل أصحاب المشاريع على نصيب أكبر في التوزيع، وتعاظم أرباح المنظمين بصورة واضحة نتيجة الفرق بين تكاليف الإنتاج وبين أسعار المنتجات التي ترتفع بمعدلات أعلى، وبخاصة إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار نمط سياسة تسويق المنتجات الذي يتبعه أصحاب المشاريع في ظل ظروف التضخم، من خلال تحكمهم بالعرض السعوي وحجب المنتجات عن الأسواق توقعاً لزيادة جديدة في الأسعار، الأمر الذي يزيد من حدة التضخم ويرفع من معدلات الأرباح، في الوقت الذي يصادر التضخم مدخلات ودخول حقيقة من فئات بقيت دخولها ثابتة أو ارتفعت بنسبة أقل من ارتفاع تكاليف المعيشة لصالحة أولئك الذين ازدادت دخولهم بنسبة أكبر من نسبة ارتفاع تكاليف المعيشة.<sup>(٢٦)</sup>

وربما هنالك من يقول أن رواتب منتسبي الدولة في العراق شهدت تحسناً كبيراً خلال السنوات الأخيرة، وبما يصل إلى أضعاف عدة، ونحن نتفق مع هذا القول، إذ شهد عام ٢٠٠٤ استحداث سلماً جديداً

- ٢٦ - عدنان حسين يونس، التضخم ودور الضرائب المباشرة وإعادة التوزيع في العراق للفترة ١٩٨٦ - ١٩٩٦ ، المؤتمر العلمي الضريبي الأول، بغداد، ١. ٢٠٠٤. ص ٣٧.

**ظاهرة التضخم النقدي في العراق وانعكاساتها الاقتصادية**  
لرواتب الموظفين وبما يشكل نقلة نوعية فيها، ثم جرى تعديل آخر لهذا السلم في عام ٢٠٠٨. وكذلك الحال للمتقاعدين ومستحقي دفعات الرعاية الاجتماعية، إذ شهدت السنوات الأخيرة زيادة في رواتبهم التقاعدية ومدفوّعاتهم التحويلية. ولكن هذه الزيادات أدت دوراً آنياً في تحسين المستوى المعيشي، إذ سرعان ما أسلّمت الضغوط الضخمة والارتفاع المستمر في المستوى العام للأسعار في امتصاص هذه الزيادات من خلال التدهور السنوي في مستوى الدخول الحقيقة للفئات المذكورة.

#### **ثانياً:- إعادة توزيع الثروات:**

إن استمرار التضخم لهذه الفترة الزمنية في الاقتصاد العراقي، أدى إلى التأثير على القيم الحقيقية للأصول المالية والمادية المملوكة من قبل الأشخاص الاقتصاديين. فمن المعروف أن ارتفاع المستوى العام للأسعار (انخفاض قيمة النقود)، يحقق فعلاً للمدينيين على حساب الدائنين، بحيث يصبح بإمكان المقرضين بيع سلع وخدمات أقل لتسديد القيمة النقدية نفسها من المبالغ المقرضة في فترة سابقة. ولذلك يمكن القول أن تحولاً في القوة الشرائية قد حصل من الدائنين إلى المدينين الذين يتكونون من الأفراد الحاصلين على القروض العقارية لشراء أو بناء المساكن، وأصحاب المشاريع الإنتاجية الزراعية والصناعية ومالكي المزارع. ويستفيد هؤلاء من التضخم نتيجة حصولهم على قروض من المؤسسات المالية في وقت اتسمت فيه الوحدة النقدية بالارتفاع وتسيدهم لها في وقت شهدت فيه قيمة النقود تدهوراً ملحوظاً، وهذا ما ينفي من العباء الحقيقي لالتزاماتهم المالية.

أما الأفراد من يحتفظون بثرواتهم في صورة موجودات مالية مختلفة كشكّل من أشكال الاحتفاظ بالثروة فإنهم يتعرضون إلى خسارة كبيرة في أوقات التضخم. وهذا ما يشمل أصحاب الودائع الثابتة وودائع التوفير لدى المصارف التجارية وصناديق توفير البريد وحسابات الأدخار الأخرى، والسبب في ذلك هو التدهور الذي يصيب القيمة الحقيقية للأصولهم المالية نتيجة ارتفاع الأسعار، الأمر الذي يحدث عندما لا تتواءم أسعار الفائدة التي يحصلون عليها من امتلاكهم لهذه الأصول الهبوط في قوتها الشرائية، أي حينما يكون التضخم بمعدل أعلى من سعر الفائدة الاسمي<sup>(٢٧)</sup>.

وفي هذا الإطار يمكن القول أن أسعار الفائدة الحقيقية (سعر الفائدة الاسمي ناقصاً معدل التضخم) على الودائع أصبحت سالبة في العراق، إذ أن متوسط أسعار الفائدة الاسمية لسنوات ١٩٩٧ - ٢٠٠٨ لم تتجاوز (١٠٪) لودائع التوفير و (١٢٪) للودائع الثابتة ( لمدة سنة) كما تشير بيانات البنك المركزي العراقي، في حين أن متوسط معدل التضخم أو المتوسط السنوي لارتفاع الرقم القياسي لأسعار المستهلك كان أكثر من (٢٠٪) خلال الفترة نفسها، وهذا ما يؤيد فكرة التأكّل في القيمة الحقيقية لتلك الودائع.

وإذا كان هذا الحال بالنسبة للدائنين وأصحاب الودائع في أوقات التضخم فإن الأمر مختلف بالنسبة لمالكي الثروات المادية، إذ ينظرون إلى التضخم نظرة إيجابية على أساس أن الارتفاع في المستوى العام للأسعار سوف يصب في زيادة القيمة النقدية لموجوداتهم الحقيقية، ويشمل ذلك أصحاب الأراضي والعقارات الحديثة وينطبق أيضاً على أصحاب الأسهم ومالكي المصوغات الذهبية وهذا ما يفسر النزعة لدى أصحاب الأموال في المجتمع العراقي نحو اقتناص هذه الأصول، الأمر الذي يشكل بدوره عاملاً دافعاً لزيادة الطلب عليها ومن ثم ارتفاعات مستمرة في أسعارها. أما أصحاب العقارات القديمة المسكنة فالحالهم كحال أصحاب الدخول الثابتة، فهم من المتضررين من التضخم لأنهم التزموا بعدد إيجار ثابت لمدة من الزمن، ويسهم في ذلك الضرر القانوني النافذة في العراق التي تخدم المستأجر عموماً على حساب المؤجر.

- ٢٧ - عرض فاضل إسماعيل الدليمي ، المصدر السابق. ص ٦٧٧ - ٦٧٨ .

### ثالثاً: الأثر على الاستثمار:

من المعروف أن للتضخم بعض الآثار الإيجابية نتيجة لما يوفره من دفعه قوية للاقتصاد وتعزيز الأنشطة المتنوعة، على فرض أساسى هو أن زيادة المعروض النقدي يسهم في زيادة الطلب على عناصر الإنتاج المختلفة لاستخدامها في أغراض الاستثمارية، وفي ظل وجود موارد إنتاجية معطلة قابلة للاستغلال، وجود جهاز إنتاجي من قادر على الاستجابة للزيادة في الطلب، يمكن تحسين الطاقة الإنتاجية وطرح المزيد من السلع والخدمات، فضلاً عن الحد من البطالة. وهذا صحيح بالنسبة للدول المتقدمة ولكن المشكلة في العراق بوصفه دولة نامية هي أن الموارد والطاقات العاطلة ليست مهيأة للاستخدام المباشر وال سريع، فمشكلة الموارد الطبيعية والبشرية العاطلة لا ترجع إلى نقص في الطلب الفعال بل إلى قصور في كفاءة الجهاز الإنتاجي وعدم تأهيل هذه الموارد للانتظام في عجلة الإنتاج.

إن عدم مرونة العرض الحقيقي من السلع والخدمات بالنسبة للطلب المحلي التي شهدتها الاقتصاد العراقي خلال سنوات البحث، قد ولدت هي الأخرى مزيداً من الارتفاع في المستوى العام للأسعار، فضلاً عن إحداث انحراف عن التخصيص الأمثل للموارد. إذ أسهم التضخم في توجيه الاستثمارات في المجتمع. وأول ما نتج عنه هو شيوخ حالة عدم اليقين إزاء نتائج الاستثمار وصعوبة إجراء تقدير التكاليف لإنشاء مشاريع مستقبلية، الأمر الذي ترتب عليه توظيف رؤوس الأموال في الأنشطة الاقتصادية ذات المردود السريع أو ذات الدورات الإنتاجية القصيرة والتي تمتاز بالربح المضمون وإن كانت غير مجده من وجهة نظر التنمية الاقتصادية. وهذه تمحور، كما أشرنا، في شراء الذهب والأراضي والعقارات فضلاً عن شراء السلع الاستهلاكية تامة الصنع وال وسيطة وقطع الغيار بقصد تخزينها لمدة من الزمن ثم بيعها بأسعار باهظة تفوق كثيراً أسعار الشراء، الأمر الذي يسهم بنمو نشاط المضاربة، وهذا ما يعني الزيادة في الدخول النقدي لفئات معينة دون أن يصب ذلك في خدمة الاقتصاد الوطني الحقيقي، بمعنى دون آلية مشاركة في ثروة القطاعات السلعية المنتجة مثل الزراعة والصناعة. ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال متابعة نسبة مساهمة تلك القطاعات في الناتج المحلي الإجمالي في العراق. ففي عام ٢٠٠٠ ساهم قطاع الزراعة والصيد والغابات بـ(٤٥٨٩) مليون دينار (بالأسعار الثابتة لعام ١٩٨٨)، أي بنسبة مقدارها (١٠.٨٪) من الناتج المحلي الإجمالي لذلك العام البالغ (٤٢٣٥٨.٦) مليون دينار. ثم انخفضت هذه النسبة إلى (٧.٦٪) في عام ٢٠٠٨، إذ أصبح الناتج في القطاع المذكور (٤٠٣٦.٢) مليون دينار في الوقت الذي بلغ فيه الناتج المحلي الإجمالي (٥٣٢٠٥.٢) مليون دينار (بالأسعار الثابتة لعام ١٩٨٨).

أما بالنسبة لقطاع الصناعة التحويلية فقد انخفضت مشاركته في الناتج المحلي الإجمالي من (٤.١٪) إلى (٢.٢٪) بين عامي ٢٠٠٠ و ٢٠٠٨ على التوالي، إذ انخفض الناتج في هذا القطاع من (١٧٤٨.٣) مليون دينار إلى (١١٥٩.٤) مليون دينار (بالأسعار الثابتة لعام ١٩٨٨).

في الوقت ذاته يلاحظ أن نسبة مساهمة قطاع تجارة الجملة والمفرد والفنادق في الناتج المحلي الإجمالي، ازدادت من (٤.٢٪) عام ٢٠٠٠ لتصل في عام ٢٠٠٨ إلى (٦.٤٪) وكذلك الحال في قطاع المال والتأمين وخدمات العقارات، إذ ارتفعت نسبة مساهمته بين عامي ٢٠٠٠ و ٢٠٠٨ من (٢.٦٪) إلى (١٣.٢٪) وهي بالتأكيد قفزة عالية.

ويكن الخروج بالاستنتاج نفسه بحسب الأسعار الجارية للناتج المحلي الإجمالي، إذ انخفضت نسبة مساهمة كل من قطاعي الزراعة والصناعة التحويلية من (٥.٥٪) عام ٢٠٠٠ إلى (٥٪) عام ٢٠٠٨، في

**ظاهرة التضخم النكدي في العراق وانعكاساتها الاقتصادية**  
حين فزت النسبة المئالية لكل من قطاع التجارة والفنادق وقطاع خدمات العقارات في الناتج المحلي الإجمالي من (٤.٢٪) إلى (١٤.٢٪) خلال العامين المذكورين على التوالي<sup>(٢٨)</sup>.  
وعلى الرغم من أن هذه التغيرات الهيكيلية تشمل القطاع العام وتؤشر خلل في السياسة الاقتصادية للدولة، إلا أنها تعكس في الوقت ذاته استمرارية القطاع الخاص في نشاطه نحو المجالات التي لا تخدم عملية التنمية الاقتصادية.

من جانب آخر فإن للتضخم آثار سلبية على عملية التخطيط الاقتصادي عموماً، وعلى تخطيط الاستثمار بشكل خاص. فالنظرية الاقتصادية تشير إلى وجود أدوات لتنظيم الاستثمار يتم من خلالها التعرف على حجم الاستثمارات المطلوبة لإحداث معدلات نمو للناتج القومي حسب القطاعات. أي أن هذه الاستثمارات يجري التوقع اللازم لها خلال سنوات الخطة بالاعتماد على مدى الحاجة للاستثمار المطلوب لإحداث نمو مستهدف في الاقتصاد العراقي، وذلك من خلال ما يعرف بنسبة رأس المال إلى الناتج القومي. وبعد ذلك يتم البحث عن مصادر لتمويل ما جرى تقاديره من استثمار. وهذه النسبة (رأس المال للناتج) مهمة وهي تعكس القدرة الاستيعابية للاستثمار في أي بلد، أي كم هي النسبة المئوية التي يستطيع الاقتصاد القومي أن يقتطعها لكل توجه للاستثمار؟ وهذه النسبة تتراوح بين ٢٥٪ - ٢٠٪ بوجه عام في الدول التي ترغب في الحصول على نسب للنمو الاقتصادي تفوق معدلات نمو السكان وبما يرفع من متوسط نصيب الفرد من الدخل القومي.

كذلك فإن تخطيط الاستثمار في العراق يواجه صعوبة في ظل التضخم الراهن، فالدولة قد ترغب في تحقيق معدل نمو معين للدخل القومي، ولكن المشكلة تكمن في الجوانب الفنية التي تحكم في تحديد حجم الاستثمارات المطلوبة لإحداث هذا المعدل. فالكثير من الثوابت تصبح متغيرات ولا يمكن الركون إليها مهما بلغت الدقة في تقديرات معدلات التضخم، وذلك لأن تحويل الجانب المادي من الاستثمار (الأصول الثابتة) إلى قيم نقدية يصبح قريباً من المستحيل. وعلى هذا الأساس فإن خطط التنمية تحول تحت ظل ارتفاع المستوى العام للأسعار إلى خطط سنوية (مناهج سنوية للاستثمار) لعدم وجود قدرة أساساً على التخطيط للأبعد من سنة. ثم تضاءل الرؤيا المستقبلية للمخطط إذا استمر التضخم وبحدة، بحيث يكون وضع خطة استثمارية سنوية أيضاً موضع شك لعدم القدرة على التحكم بالخطة وفقاً لحركة التغيرات الاقتصادية خلال السنة.

#### **رابعاً:- الأثر على الاستهلاك:**

من التغيرات الاقتصادية الهامة التي تتأثر بالتضخم هو الاستهلاك. وهنا يرى البعض أن الأفراد يمكنهم مواجهة التضخم بتقليل مستوى استهلاكهم مقابل زيادة مستوى إدخارهم وذلك بدافع الاحتياط ضد ما يحمله المستقبل من مجهول، ولا شك أن حصول هذا الانخفاض في دالة الاستهلاك الفردي سيعمل، بافتراض ثبات الأشياء الأخرى، على فرملة الموجة التضخمية في الاقتصاد.

ولكن هذا الرأي يمكن أن يكون مقبولاً في دولة متقدمة يحصل فيها التضخم لفترة لا تتعدي بضع سنوات ويمتاز أفرادها بدرجة عالية من الوعي وتنسم سياساتها الاقتصادية بالكفاءة والانسجام فيما بين أدواتها المختلفة. أما في ظل دولة نامية مثل العراق مرت بظروف استثنائية وشهدت تضخماً بمستويات عالية ومستمرة فإن السيناريو المتحقق مختلف عن الرأي أعلاه. فارتفاع المستوى العام للأسعار في الاقتصاد العراقي خلال سنوات البحث، وما قبلها، مع الثبات النسبي للدخول النقدية لمعظم شرائح المجتمع، أسهم

- ٢٨ - وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي، الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات، المجموعة الإحصائية السنوية ٢٠٠٨ . ٢٠٠٩

في تدهور الدخول الحقيقة لتلك الشرائح، الأمر الذي أدى إلى تقليل الأدخار النقدي للأفراد للمحافظة على مستوى استهلاكهم. ثم أن الانخفاض الذي حصل في القوة الشرائية للنقد (الوجه الآخر للتضخم) أسمهم بدفع الأفراد نحو التخلص من السيولة النقدية باتجاه تحويلها إلى سلع وخدمات يمكن أن تزداد أقيامها بمرور الزمن، الأمر الذي أدى بدوره إلى تفاقم حدة الطلب وارتفاع في الأسعار، وهذا يعني أن التضخم لعب دوراً في تخفيض المدخرات النقدية لصالح تشجيع الأفراد على المدخرات العينية، فضلاً عن السعي إلى تحويل السيولة من العملة المحلية إلى عملات أجنبية تتمتع بقدر أكبر من الثبات في أقيامها (كما حصل بشكل واضح في أثناء فترة الحصار الاقتصادي) أو في شكل أصول مادية أخرى، ومن ثم فقدان النقود لإحدى وظائفهاتمثلة بخزن القيم.

من جانب آخر فإن الارتفاع الحاد في الأسعار الذي شهدته العراق أدى إلى تشويه نمط الاستهلاك وزيادة التفاوت في المبالغ المخصصة لذلك من قبل الشرائح الاجتماعية المختلفة، إذ أن التباين في قدرتها الإنفاقية أسمهم وبشكل ملموس في التأثير على حركة الأسعار وتصاعدتها نتيجة ضغوط الطلب على عدد معين من السلع والخدمات مما انعكس سليماً على الاستقرار الاقتصادي.

إن ظاهرة التضخم في العراق يعني الارتفاع المستمر في المستوى العام للأسعارأخذ طابع التضخم الراهن الذي يتصرف بارتفاع كبير في أسعار بعض المنتجات والانخفاض في البعض الآخر، ونظراً لأن نسبة الارتفاع في هذه المنتجات أعلى من نسبة الانخفاض في أسعار المنتجات الأخرى لذلك تأخذ الأسعار طابع التصاعد التراكمي والمستمر وكل ذلك حصل بصورة جلية خلال سنوات البحث. وإن أكبر الجموعات السلعية تأثيراً في ارتفاع المستوى العام للأسعار هي مجموعة المواد الغذائية الزراعية بعامة والمنتجات الحيوانية بصفة خاصة، وهذا ما ولد ضعفاً في الإنتاج الزراعي من ناحية وقدرة قطاع التجارة الداخلية على استغلال هذه الظاهرة من ناحية أخرى، وذلك لتحقيق أرباح كبيرة يمكن الاستدلال عليها من الفرق المتزايد بين أسعار الجملة وأسعار المستهلك.

#### خامساً- الأثر على ميزان المدفوعات:

إن ارتفاع معدل التضخم على الصعيد الوطني بصورة أكبر من معدلات التضخم على المستوى الدولي يؤدي إلى رفع أسعار الصادرات بالنسبة للأسعار السائدة في السوق الدولية، وبالتالي يؤدي ذلك إلى تدني قابلية الصناعات المحلية على التنافس في الخارج. بالمقابل فإن التوسع في الإنفاق الحكومي وزيادة الدخول النقدية للأفراد يترتب عليها زيادة في الطلب ليس فقط على السلع المنتجة محلياً، وإنما على السلع المستوردة أيضاً، الأمر الذي يؤدي إلى استنزاف جزء من موارد الدولة من النقد الأجنبي. وهذا ما ينطبق على الاقتصاد العراقي، فإذا استثنينا صادرات النفط الخام يلاحظ مدى الاختلال (العجز) الذي يعني منه ميزان المدفوعات، ثم تأتي الضغوط التضخمية، فضلاً عن ارتباك السياسات الاقتصادية، لتعمق من مشكلة العجز تلك، وهذا لا يشمل الفترة التي سبقت عام ٢٠٠٣ وما رافقها من حصار اقتصادي فحسب، وإنما يمتد حتى للسنوات التي أعقبت العام المذكور، إذ اتجهت القوة الشرائية المتداة التي شملت بعض فئات المجتمع ومنها منتسبي الدولة نحو البضائع المستوردة بخاصة في ظل غياب تام للقيود القانونية والكميركية لمدة تجاوزت السنة.

وعلى هذا يمكن استنتاج التأثير السلبي للتضخم على ميزان المدفوعات، من خلال القوة الشرائية المتزايدة التي لا تواجهها زيادة كافية في الإنتاج المحلي، ومن ثم يرتفع الميل الحدي للاستيراد وتقل مقدرة الاقتصاد الوطني على التصدير، وتهتز قيمة العملة قياساً بالعملات الأجنبية، وتحتل وبالتالي معدلات التبادل بين السلع الوطنية والأجنبية، ويقل بذلك مجدداً الميل الحدي للتصدير.

**المبحث السادس : الاستنتاجات والتوصيات :**

يتضح من خلال العرض لنظريات التضخم في الفكر الاقتصادي أنها على اختلاف منطلقاتها ومرحلة نمو الاقتصاد الرأسمالي التي تعكسها والظروف التاريخية التي ظهرت في ظلّها والحلول والسياسات التي تعرضها لمعالجة ظاهرة التضخم تلتقي عند حقيقة جوهرية وهي :

إن التضخم هو في الأساس زيادة محسوبة في المستوى العام للأسعار وهذه الحقيقة تفسّر ظاهرة ارتفاع الأسعار في ظروف الرواج الاقتصادي كما تفسّرها في ظل الكساد، إذ يتوجه العرض إلى التناقص بمعدل أسرع من تناقص الطلب ومن ثم يظل الطلب أكبر من العرض عند المستوى الأقل من الناتج.

ومع أن هذه النظريات جميعها تلتقي عند تفسير التضخم بالاختلال بين العرض والطلب غير إنها لا تقدم الأسباب الحقيقة التي تؤدي إلى هذا الاختلال. وصحيح أن زيادة كمية النقود أو زيادة الإنفاق أو الاختلال بين الاستثمار والادخار أو ارتفاع التكاليف يسهم بقدر أو بأخر في ارتفاع الأسعار ولكن هذه النظريات لم تفصح عن السبب الذي يؤدي إلى تجاوز كمية النقود أو الإنفاق أو الاختلال بين الاستثمار والادخار وارتفاع التكاليف بالقدر الذي يخل بالتوازن بين العرض والطلب وبالتالي ظهور الضغوط التضخمية والاتكاسات الانكمashية بمعنى مرور الاقتصاد بالدورات الاقتصادية، كما إن هذه النظريات تطرح حلولاً ناقصة لظاهرة التضخم والانكمash. فنظرية كمية النقود تطرح السياسة النقدية كحل ، ونظرية الطلب تطرح السياسة المالية ، ونظرية الاختلال بين الادخار والاستثمار تطرح قضية سعر الفائدة ، أما نظرية تضخم الكلفة فتطرح إلى جانب السياسة النقدية والمالية التي تستهدف اقتصاد الزيادة في الأجور سياسة فرض قيود سياسية واقتصادية على مستلمي الأجور والرواتب.

إن التضخم وإن كان بطبيعته ظاهرة نقدية إلا أنه في الواقع انعكاس لاختلال التوازن الاقتصادي، فالتضخم هو انعكاس لاختلال بين الطلب الكلي والعرض الكلي بين نمط الطلب وتشكلة العرض بين التدفقات العينية (السلع والخدمات) والتدفقات النقدية بين كل عامل من عوامل الإنتاج والطلب عليه بين طلب قطاعات الاقتصاد الوطني من أحد القطاعات وقدرة هذا القطاع على توفير المطلوب منه من السلع والخدمات وأخيراً بين طلب أي قطاع من قطاعات الاقتصاد الوطني وقدرة القطاعات الأخرى على الوفاء بهذا الطلب.

بين البحث أن الاقتصاد العراقي شهد التضخم طبقاً للتعریف الشائع وهو الارتفاع في المستوى العام للأسعار، إذ كان التغيير السنوي في الأرقام القياسية العامة لأسعار المستهلك في العراق ايجابياً خلال المدة (١٩٩٧ - ٢٠٠٨)، وإن اختلفت النسبة في ذلك من سنة لأخرى، كما توضح في الجدول رقم (١)، والاستنتاج الرئيس هنا أن متوسط التغيير السنوي كان بمحدود ١٥.٢٪ خلال السنوات ١٩٩٧ - ٢٠٠٢، في حين تجاوز هذا المتوسط ضعف ذلك في السنوات اللاحقة ٢٠٠٣ - ٢٠٠٨، إذ بلغ حوالي ٣٠.٧٪.

أما الرقم القياسي الضمني والرقم القياسي لتكاليف الاستثمار فشهدت هي الأخرى تغيراً سنوياً مرتفعاً تجاوز نسبة ال (٢٠٪) في معظم سنوات البحث، وكما هو واضح في الجدول رقم (٢).

إن مدلولات هذه الأرقام وغيرها من المؤشرات التي تم بحثها تؤيد فرضية البحث، إذ أن أثر الإصدار النقدي الجديد على الأسعار كان واضحاً، فشهد العراق تضخماً تقديراً من خلال زيادة المعروض النقدي بالقياس للطلب عليه، وهذا الاختلال في الاقتصاد العراقي والمتمثل بعدم التوازن بين هذين المتغيرين هو دلالة على أن السياسة النقدية قد سارت على غير هدى وبدون ارتباط وتكامل مع أهداف النشاط الاقتصادي كالإنتاج والاستهلاك والاستثمار. وهذا ما اقترن بسياسة مالية توسيعية أبرز ملامحها هو الارتفاع في الموازنة التشغيلية للدولة مقابل تدني وضعف في الجهاز الضريبي.

وفيما يأتي نستعرض مجموعة من السياسات والخطوات (كتوصيات)، بغض النظر عن كون بعض منها معمول به بشكل أو باخر وذلك بهدف التكامل في استعراض التوصيات الأساسية لمعالجة ظاهرة التضخم في الاقتصاد العراقي:

١. ضرورة تحفيض الإنفاق الجاري في ضوء مراجعة تفصيلية لمكوناته المختلفة لتحديد أهميتها ومدى ضرورتها على أن تتضمن هذه المراجعة موازنة الدولة وأنشطة القطاع العام.
٢. إقرار التخصيصات الاستثمارية في ضوء معرفة حدود الموارد الحقيقة المتاحة والإمراض الاقتصادي الذي يؤمن فعلاً يفوق أصل القرض وفوائده طبقاً لحسابات مالية واقتصادية دقيقة.
٣. إعداد دراسات الجدوى الفنية والاقتصادية الكاملة للمشاريع الإنتاجية التي تلبي المتطلبات الأساسية الداخلية وبشكل خاص المشاريع الاستثمارية التي تساعده على تعظيم موارد القطر.
٤. الاستمرار في تنظيم وتطوير الأسس الإدارية والتنظيمية لجهاز ضريبة الدخل بحيث يمكن إعادة المسلح الضريبي بفترات مناسبة وتكثيف التحري الضريبي والخليولة دون التهرب بمختلف الوسائل.
٥. ضرورة التمييز بين ضريبة الدخل على العمل الحر والعمل المأجور لتكون مرتفعة بالنسبة للعمل الحر ومنخفضة للعمل المأجور. فضلاً عن تقليل الإعفاءات الضريبية حتى تحقق الضريبة أهدافها الاقتصادية.
٦. العمل على زيادة الضرائب على الملكيات العقارية والأصول الأخرى والتي تدخل في عمليات المضاربة على أن لا يضر ذلك بالفئة من ذوي الدخل المحدود.
٧. إعادة النظر بالسياسة النقدية للبلد بما يؤدي إلى تقليل الإصدار النقدي الجديد الذي لا يقابله عرض مناسب من السلع والخدمات.
٨. العمل على وضع سلم ترتيبى وحسب الأهمية لاستخدام النقد الأجنبي المتوفّر بما يضمن زيادة استيراد مستلزمات الإنتاج والسلع الإنتاجية للقطاع الخاص الصناعي والزراعي بأسعار صرف مناسبة، مع اشتراط تسعير المنتجات بما يتتناسب مع كلفة الحصول عليها، بالإضافة إلى تشغيل الجهاز الإنتاجي القائم بطاقة الكاملة.
٩. اتخاذ كافة الإجراءات الالزمة للحفاظ على مستوى معاشي مناسب لأصحاب الدخول المحدودة والثابتة وحمايتهم من الارتفاعات السعرية الكبيرة، من خلال ربط هذه الدخول بمؤشر ارتفاع تكاليف المعيشة.
١٠. التحكم بالسياسة السعرية وجعلها عاملاً في امتصاص الفوائض النقدية وتقليل استهلاك السلع الكمالية وذلك عن طريق هواشم الأرباح والضرائب غير المباشرة.

## جدول رقم (١)

الأرقام القياسية لأسعار المستهلك في العراق للسنوات ١٩٩٦ - ٢٠٠٩  
 $100 = 1993$

السنة	الرقم القياسي العام %	التغيير السنوي %
١٩٩٦	٢٢٤٢.١	—
١٩٩٧	٢٧٥٩.٢	٢٣.١
١٩٩٨	٣١٦٦.٧	١٤.٨
١٩٩٩	٣٥٦٥.٠	١٢.٦
٢٠٠٠	٣٧٤٢.٥	٥.٠
٢٠٠١	٤٣٥٥.٣	١٦.٤
٢٠٠٢	٥١٩٦.٦	١٩.٣
٢٠٠٣	٦٩٤٣.٥	٣٣.٦
٢٠٠٤	٨٨١٥.٦	٢٧.٠
٢٠٠٥	١٢٠٧٣.٨	٣٧.٠
٢٠٠٦	١٨٥٠٠.٨	٥٣.٢
٢٠٠٧	٢٤٢٠٥.٥	٣٠.٨
٢٠٠٨	٢٤٨٥١.٣	٢.٧
٢٠٠٩	٢٤١٥٥.١	٢.٨

المصدر: - وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي، الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات، المجموعة الإحصائية السنوية لعام للأعوام ٢٠٠٧ - ٢٠٠٩.

ملاحظة: -

- ١/ تم حساب التغيير السنوي من قبل الباحثين بالاستناد إلى البيانات المتوافرة في الجدول.
- ٢/ يلاحظ انخفاض الرقم القياسي لعام ٢٠٠٩ مقارنة بعام ٢٠٠٨ وهذا لا يعني انخفاضاً في عموم الأسعار في سنة ٢٠٠٩ ، إنما هو يعود إلى فقرة واحدة حسب بيانات الجهاز المركزي للإحصاء وهي الوقود والإضاءة. وتعليق ذلك هو توفر المشتقات النفطية واعتماد البطاقة الوقودية. ولذلك يتحفظ الباحثان على الرقم القياسي لعام ٢٠٠٩ لأنّه لا يعكس حقيقة المستوى العام للأسعار.

جدول رقم (٢)

الفجوة التضخمية والرقم القياسي الضمني والرقم القياسي لتكاليف الاستثمار في العراق للسنوات ١٩٩٧ - ٢٠٠٧ (مليار دينار)  
الأسعار الثابتة = ١٠٠ = ١٩٨٨

السنة	الناتج المحلي الإجمالي GDP بالأسعار الجارية (١)	الناتج المحلي الإجمالي GDP بالأسعار الثابتة (٢)	الفجوة التضخمية = (١) - (٢)	الرقم الضمني (٤) %	الرقم القياسي (٥) %	التغيير السنوي (%)	الرقم القياسي لتكاليف الاستثمار (٦) = ١٠٠ × (٧) %	إجمالي تكوبن رأس المال GFCF بالأسعار الثابتة (٧)	إجمالي تكوبن رأس المال GFCF بالأسعار الجارية (٦)	إجمالي تكوبن رأس المال GFCF بالأسعار الثابتة (٧)	الرقم القياسي الضمني (١) ÷ (٢) = ١٠٠ × (٤) %
١٩٩٧	١٥٠٩٣	١٥٠٦٧	-٢٦	١٠٠٦٧	١٠٠٣٨	-٠٣	-	٤٤٤٠٧	٤٤٤٠٧	٤٤٤٠٧	-
١٩٩٩	٢٣٦٦	٢٣٤٦	-١٠	٣٤٣٦٢	٣٤٣٤٥	-٠٣	-٠٣	٦٦٧٥٧	٦٦٧٣٨	٦٦٧٣٨	-٠٣
٢٠٠٣	٤١٠٣	٤٠٨٣	-٠٣	٤٠٩٨٢	٤٠٧٥٣	-٠٣	-٠٣	٦٦٧٥٧	٦٦٥٣٣	٦٦٥٣٣	-٠٣
٢٠٠٦	٩٥٥٨٨	٩٥٣٦	-٢٢	٩٥٤٠١	٩٥٣٠٠	-٠١	-٠١	٦٦٧٤٥	٦٦٥٣٢	٦٦٥٣٢	-٠١
٢٠٠٩	٩٧٥٦	٩٧٣٣	-٢٣	٩٧٣٢	٩٧١٠	-٠٢	-٠٢	٦٦٧٤٦	٦٦٥٣٣	٦٦٥٣٣	-٠٢
٢٠١٣	٢٠٠٣	١٩٨٣	-١٠	٢٠١٣	٢٠٠٧	-٠٣	-٠٣	٦٦٧٤٩	٦٦٦٩٠	٦٦٦٩٠	-٠٣
٢٠١٦	٢٠٠٦	١٩٨٦	-٣	٢٠٠٦	٢٠٠٣	-٣	-٣	٦٦٧٤٩	٦٦٦٩٠	٦٦٦٩٠	-٣
٢٠١٩	٢٠٠٣	١٩٨٣	-٣	٢٠٠٣	٢٠٠٣	-٣	-٣	٦٦٧٤٩	٦٦٦٩٠	٦٦٦٩٠	-٣

المصادر: -

- ظاهرة التضخم النقدي في العراق وانعكاساتها الاقتصادية
١. وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي، الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات، المجموعة الإحصائية السنوية للأعوام ٢٠٠٤، ٢٠٠٧، ٢٠٠٨، ٢٠٠٩ - ٢٠٠٩.
  ٢. وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي، الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات، مديرية الحسابات القومية، الدخل القومي والناتج المحلي الإجمالي للسنوات ١٩٩٧ - ٢٠٠٤، آب ٢٠٠٥. ص ١٢.
- الملاحظات :-
١. تم حساب الأعمدة (٣) (٤) (٥) (٨) (٩) من قبل الباحثين بالاستناد إلى البيانات الموجودة في الجدول.
  ٢. هناك طفرة كبيرة في الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الجارية لسنة ٢٠٠٨ مقارنة بسنة ٢٠٠٧ في حين أن الناتج المحلي لسنة ٢٠٠٨ حسب صندوق النقد الدولي = ١٠٨٤٦٠ مليار دينار وهذا أقرب للصحة من الجهاز المركزي للإحصاء.

جدول رقم (٣)

الرقم القياسي لأسعار المستهلك ومتوسط دخل الفرد النقدي وال حقيقي للمدة ١٩٩٧ - ٢٠٠٩

متوسط دخل الفرد الحقيقي (ألف دينار)	متوسط نصيب الفرد من الدخل القومي (ألف دينار)	الرقم القياسي لأسعار المستهلك %	السنة
٢١.٨	٦٠٠.٤	٢٧٥٩.٢	١٩٩٧
٢٠.٩	٦٦١.٣	٣١٦٦.٧	١٩٩٨
٣٧.٦	١٣٤٢.١	٣٥٦٥.٠	١٩٩٩
٥١.٧	١٩٣٦.٢	٣٧٤٢.٥	٢٠٠٠
٣٤.٠	١٤٨٠.١	٤٣٥٠.٣	٢٠٠١
٢٦.١	١٣٥٦.٥	٥١٩٦.٦	٢٠٠٢
١٤.١	٩٧٦.٨	٦٩٤٣.٥	٢٠٠٣
١٧.٥	١٥٤٠.٢	٨٨١٥.٦	٢٠٠٤
١٦.٨	٢٠٣٠.٥	١٢٠٧٣.٨	٢٠٠٥
١٥.٨	٢٩٢٦.٣	١٨٥٠٠.٨	٢٠٠٦
١٣.٩	٢٣٧٢.٤	٢٤٢٠٥.٥	٢٠٠٧
١٦.٦	٤١٢٥.٠	٢٤٨٥١.٣	٢٠٠٨
١٥.١	٣٦٤٧.٠	٢٤١٠٥.١	٢٠٠٩

المصدر السابق ذكره في الجدول رقم (١)

ملاحظة : - حسب متوسط دخل الفرد الحقيقي من قبل الباحثين وفق الصيغة الآتية : -

متوسط دخل الفرد التقديري

$$\text{متوسط دخل الفرد الحقيقي} = \frac{\text{الرقم القياسي العام لأسعار المستهلك}}{100} \times 100$$

## **دور الأم في نقل الجنسية إلى الأولاد**

### **في التشريعات العربية والعراقية**

#### **- دراسة مقارنة -**

د. حسن الياسري<sup>(١)</sup>

#### **ملخص البحث :**

إن عملية نقل الجنسية إلى الأولاد إنما تتم بالأساس عن طريق الأب. وأعني بذلك أن الأب يفرض بجنسيته المفروضة – الأصلية – على الأولاد، فولد العراقي عراقي ، وهكذا. وهذا ما درجت عليه معظم التشريعات في العالم. أما الأم فإن القاعدة العامة، أنها غير قادرة على نقل الجنسية الأصلية إلى الأولاد بالسوية مع الأب ، ولكن ، وبالنظر للإعتبارات الإنسانية، فإن التشريعات العربية، قد قضت – بصورة عامة – بإمكانية الأم على نقل جنسيتها إلى الأولاد ، ولكن بصورة إستثنائية ، وبناءً على توافر شروط معينة. ولقد بقي الحال على ما هو عليه، حتى جاء التغيير في عامي ٢٠٠٤ و ٢٠٠٥ ، وما تلاهما. وبقتضاه غدا للأم – في بعض التشريعات – الحق في نقل الجنسية الأصلية إلى الأولاد بالسوية مع الأب، دون قيدٍ أو شرطٍ مضان. ييد أن ذلك التغيير ما زال محدوداً وفي تشريعاتٍ محدودة.

#### **المقدمة:-**

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين ، نبينا وشفيعنا محمدٌ ، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين . وبعد : فإن مقدمة البحث ستخصص لبحث المخاور الآتية :

#### **أولاً- إشكالية البحث:**

إن الإشكالية التي يطرحها البحث ، تمثل في إثارة التساؤل المتعلق بقدرة الأم على نقل الجنسية إلى الأولاد ، فهل الأم لها القرة ذاتها التي يتلکها الأب في نقل الجنسية ، أو لا ؟  
للإجابة عن هذا التساؤل ، ينبغي الإشارة إلى أن هنالك محورين في عملية نقل الجنسية .  
المحور الأول : ومفاده أن كلا من الأب والأم لهما القدرة على نقل الجنسية إلى الأولاد .

---

١ - كلية القانون ، جامعة اهل البيت

ويقتضي هذا المفهوم يكون للأم الحق في نقل جنسيتها إلى أولادها، على حد سواء، مع الأب، إذ تنتقل الجنسية هنا، بناءً على ما يمكن تسميته "حق الدم المطلق". إن غالبية التشريعات، لحد الآن، ما زالت قاصرة عن الوصول إلى هذا المفهوم.

المحور الثاني : ومؤداه أن الأب وحده، هو القادر على نقل الجنسية إلى الأولاد، دون الأم، بناءً على "حق الدم المطلق". بيد أن ذلك لا يمنع الأم من نقل الجنسية إلى أولادها، بطريق آخر، بعبارةً أوضح، إن عملية نقل الجنسية، من قبل الأب والأم، على وفق هذا التصور، قد تتفق من حيث المفهوم، لكنها تختلف من حيث المدى. وبيان ذلك، إن الحوصلة النهائية، هي أن كلاً من الأب والأم سينقل الجنسية إلى الأولاد. أما من حيث المدى، فإن الأب سينقل الجنسية بصورة مطلقة "حق الدم المطلق" ، أما الأم، فإنها ستنتقل الجنسية، بصورة استثنائية، لا أساسية. وهو ما يمكن أن يعرف بـ "حق الدم الثانوي". إن هذا المحور، يمثل، وبلا ريب، الاتجاه الغالب في التشريعات، بصورة عامة، والتشريعات العربية بصورة خاصة.

وبناءً على ما تقدم، يغدو من المبذر، دراسة هذا الموضوع، وما يشيره من إشكاليات تتمثل بوقوع أولاد الأم الوطنية - المتزوجة برجل أجنبي - في حالة أو ظاهرة اللاجنسية، إذ ربما يغدو هؤلاء الأولاد - ثمرة هذا الزواج - دون جنسية، ولا سيما في تلك الحالة التي يحدث فيها الفراق والطلاق بين الأبوين، وتعود الأم إلى وطنيها لتجد أن أولادها يعانون أحد الأمرين : إما أن يكونوا بلا جنسية أساساً، لا جنسية الأم، ولا جنسية الأب. أو أن يكونوا قد حصلوا على جنسية أبيهم - الأجنبية - ويجدون أنفسهم، يعيشون في وطنيهم - وطن الأم - بلا جنسية، ويعاملون معاملة الأجانب. وغني عن البيان، مدى الصعوبات والمشكلات التي سيعلون منها طيلة تلك المدة.

### **ثانياً:- هدف البحث:**

إن ما يروم البحث الوصول إليه، هي أن عدم قدرة الأم على نقل جنسيتها إلى أولادها، ليست ظاهرةً عابرةً، أو ظاهرةً مرتبطة بتشريع دون آخر . فالحقيقة أن هذه الظاهرة، هي ظاهرة عالمية، وإن الذين يريدون تصحيحها، لا يستطيعون إلى ذلك سبيلاً، ما لم يكن ثمة إجماع دولي على ضرورة تبنيها. ينبغي على ذلك، أن نقول، إن من المفترض ابتدأً أن تحصل قناعة لدى المجتمع الدولي، ولدى المشرع الوطني على إعطاء الأم هذا الدور الأساس، ثم يتم تبني ذلك في التشريعات الوطنية . وبعكس ذلك، فإن التشريع لوحده، دون قناعةٍ بجدوته، قد لا يغنى من الأمر شيئاً.

### **ثالثاً:- نطاق البحث:**

#### **1. النطاق الشخصي :**

وأعني به الأفراد الذين يسري عليهم البحث، وهؤلاء الأفراد، هم كلُّ من الأم الوطنية، التي تتزوج برجل أجنبي. ثم أولادهم الذين هم ثمرة هذا الزواج. وهؤلاء قد يحصلون على جنسية أمهم، أو لا يحصلون. بل ربما سيكونون عديمي الجنسية.

#### **2. النطاق الموضوعي :**

وأعني به تحديد المراكز القانوني للمرأة الوطنية المتزوجة بأجنبي، وما إذا كانت قادرةً على نقل جنسيتها إلى أولادها بصورة مطلقة - حق الدم المطلق - ، أو أن دورها يقتصر على نقل الجنسية بصورة استثنائية

- حق الدم الثانوي - .

#### **3. النطاق التشريعي :**

إن التشريعات التي يعتمدتها البحث، إنما تمثل أساساً بتشريعات الجنسية، عربيةً وعراقيّةً. وسنحاول إجراء المقارنة بين هذه التشريعات، لمعرفة موقفها من الموضوع الذي يطرحه البحث.

#### رابعاً- خطة البحث:

بغية الإحاطة بموضوع البحث، فإننا سنقسم البحث، على فصلين إثنين، تسبقهما بطبيعة الحال مقدمة. نتناول في الفصل الأول دور الأم في نقل الجنسية المبنية على حق الدم المستمد منها - أي حق الدم الثاني - ، وهذا الفصل سينقسم بدوره على مبحثين إثنين، نخصص الأول منهم للحديث عن دور الأم هذا في ظل التشريعات العربية، وهذا البحث بدوره يتوزع إلى مطلبين، نتناول في المطلب الأول منهما، دور الأم في نقل الجنسية المبنية على حق الدم الثاني غير المعزز بحق الإقليم، ونخرج في المطلب الثاني على دور الأم في نقل الجنسية المبنية على حق الدم الثاني ، والمعزز بحق الإقليم. أما البحث الثاني من هذا الفصل، فسنكرسه للحديث عن دور الأم في نقل الجنسية المبنية على حق الدم الثاني في القانون العراقي: أما الفصل الثاني، فسيكون مخصصاً للبحث في دور الأم في نقل الجنسية المبنية على حق الدم المستمد منها بصورةٍ مطلقة، ونعني به حق الدم المطلق. وحيث أن هذه القضية لما تزل مثاراً للجدل والاختلاف، ليس بين التشريعات فحسب، بل وبين الشرح والفقهاء، لذا يندو صحيحاً التطرق إلى آراء كل من المؤيدین لدور الأم هذا، والمعارضین. وهو ما سيكون محلاً للدراسة في البحث الأول. أما البحث الثاني، فلسوف نبين فيه موقف التشريعات العربية والعراقية، من هذا الدور. وهو ما يستلزم بطبيعة الحال، توزيع هذا البحث إلى مطلبین، نبين في الأول منهما، موقف التشريعات العربية، ونوضح في الثاني موقف التشريعات العراقية، وبالخصوص قانون الجنسية العراقية النافذ - الجديد - رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٦ . وبعد الانتهاء من هذا، وذاك، سوف نختتم البحث بخاتمةٍ، نبين فيها أهم النتائج المستخلصة من البحث، وأهم التوصيات والمقترنات. ولسوف نتناول ذلك كله تباعاً، إن شاء الله تعالى. ونسأله عز وجل أن يكون عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، وان يوفقنا فيه. وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت، واليه أنيب -

ربی أدخلنی مدخل صدقٍ، وأخرجنی مخرج صدقٍ، واجعل لی من لدنک سلطاناً نصیراً.

#### تمهید

تضفاوت تشريعات الجنسية في دول العالم المختلفة من حيث الأخذ بالأساس الذي بموجبه يتم فرض الجنسية الأصلية<sup>(٢)</sup>.

ويمكن إجمال موقف التشريعات في هذا الصدد بالاتجاهات الثلاثة الآتية :

١- إتجاه أول، يتبنى في فرض الجنسية الأصلية ما يُعرف بأساس أو حق الدم الأصيل المستمد من الأب وحده، ومؤدى هذا الأساس أن يتم فرض الجنسية على المولود بمجرد ولادته ما دام أبوه وطنياً، وبغض النظر عن كون الولادة في داخل الإقليم أو خارجه. كما لو ولد ولد لعربي الجنسية - مثلاً - فإن هذا الولد سيكون بالتبعية لأبيه عراقي الجنسية أيضاً، استناداً على أساس أو حق الدم المستمد من الأب، وسواء

٢ يعني بالجنسية الأصلية، تلك الجنسية التي تفرض على المولود فور ولادته، وبقوة القانون، ولا تحتاج إلى أي إجراء آخر، ولذلك تسمى أيضاً بالجنسية المفروضة أو "جنسية الميلاد".

أكانت الولادة في داخل العراق أم خارجه. ولذا يُعرف بـ "حق الدم الأصيل"<sup>(٣)</sup> لأنه مستمد من الأصل العائلي.

٢- اتجاه ثان، يتبنى في فرض الجنسية الأصلية ما يُعرف بأساس أو حق الإقليم. وبمقتضى هذا الأساس يتم فرض الجنسية على المولود الذي يولد في إقليم الدولة، بصرف النظر عن جنسية أبيه أو والديه.

٣- اتجاه ثالث، يقوم على أساس الأخذ بالحقين السابقين معاً في فرض الجنسية، أي بحق الدم وحق الإقليم معاً، ويتم الأخذ بذلك في حالة فرض الجنسية عن طريق الأم. بمعنى آخر أن التشريعات إنما تفرض الجنسية بناء على حق الدم لوحده - في الغالب - فيما لو كانت الولادة للأب، أي بناء على حق الدم المستمد من الأب وحده. أما لو كانت الولادة لأم وطنية، وابٍ مجهول - مثلاً - أو لا جنسية له، ففي هذه الحالة يتم فرض الجنسية بناء على أساسين، أو حقيقتين : الأولى : هو حق الدم، وهو هنا مستمد من الأم لا الأب.

الثاني : هو حق الإقليم، يعني أن تتم الولادة في الإقليم أيضاً. إن هذا البحث يأتي لدراسة حق الدم المستمد من الأم فقط، ودوره في نقل الجنسية. ومعلوم أن التشريعات العربية - وحتى الأجنبية - مختلفة في هذا الصدد، ذلك أن الغالب والشائع فيها، هو فرض الجنسية بناء على حق الدم - الأصيل - المستمد من الأب وحده، ولا يكون للأم دور في نقل الجنسية إلى أولادها إلا إذا تعزز حق الدم بالحق الآخر، وأعني به حق الإقليم. وبناء على ذلك يكون للأم دور في نقل الجنسية بناء على حق الدم الثانيي - أي الدم المستمد من الأم - والمعزز بحق الإقليم.

وتأسيساً على ما قد سبق فإننا سنبحث ذلك كله في فصلين، خصص الفصل الأول لبحث دور الأم في نقل الجنسية بناء على حق الدم المستمد منها، وهو ما سنطلق عليه تسمية "حق الدم الشانوي أو الوقائي". وخصص الفصل الثاني لبحث دور الأم في نقل الجنسية بناء على حق الدم المستمد منها، وهو ما سنطلق عليه "حق الدم الأصيل". وهو ما ستناوله تباعاً إن شاء الله.

## الفصل الأول: دور الأم في نقل الجنسية المبنية على حق الدم المستمد منها (حق الدم الشانوي أو الوقائي)

يعد - كما تقدم - حق الدم الأصيل المستمد من الأب هو القاعدة والأساس الغالب اعتماده في التشريعات - ولا سيما التشريعات العربية - بمعنى أن يحصل المولود على جنسية أبيه فور ولادته وبقوه القانون.

وحيث أن ثمة حالات استثنائية يولد فيها الطفل لأب مجهول أو عديم الجنسية، مما يعني أن هذا الطفل سيقع في حالة اللاجنسية، وسيكون عديم الجنسية، لأنه لا يستطيع أن يكتسب جنسية أبيه، ذلك أن هذا الأخير إما أن يكون مجهولاً - أي أن الولادة غير شرعية - ، أو أن يكون معلوماً، لكن الأب ينكر النسب، أو أن يكون معلوماً لكنه عديم الجنسية.

وتلافياً لهذه الحالة الاستثنائية، ورعاياً للطفل من حالة انعدام الجنسية، فقد دأبت التشريعات العربية على إعطاء الجنسية لهذا المولود استناداً على حق الدم المستمد من أمه، وهو ما يمكن أن نسميه "حق الدم الشانوي". وذلك لأنه مفروض على سبيل الاستثناء لا القاعدة، وإن شئت قلت أنه مفروض بشكل ثانوي لا أصيل أو - أصلي - . ويمكن أن نسميه أيضاً "حق الدم الأمي أو الأمومي" ، ذلك أنه مفروض استناداً

<sup>٣</sup> يرتتأي البعض. ولا سيما في العراق. تسمية هذا الحق "حق الدم الأصلي" وهذه التسمية - الأخيرة - وان كانت صحيحة، لكننا نعتقد أن التسمية الأولى التي ذكرناها هي الأدق من الناحية اللغوية، وقل مثل ذلك بالنسبة للجنسية الأصلية التي تسمى في العراق "الجنسية الأصلية".

على حق الدم المستمد من الأم لا الأب. كما يمكن تسميته "حق الدم الوقائي أو الاحتياطي"، ذلك أنه مفروض على سبيل الوقاية والاحتياط، وأن الغاية منه هي وقاية المولود من الواقع في حالة اللاجنسية. وحيث أن هذا الحق يأتي استثناءً من القاعدة، لذا يمكن حصره في حالاتٍ ضيقةٍ جداً.

وبغية الإحاطة بهذه الحالات، فإننا سنتناول ذلك عبر مباحثين إثنين، تخصص الأول منها لبيان موقف التشريعات العربية، ونكرس الثاني لإيضاح موقف القانون العراقي.

### **المبحث الأول: دور الأم في نقل الجنسية المبنية على حق الدم الثانوي في التشريعات العربية**

إن من يستقصي موقف التشريعات العربية، يخرج بنتيجة مؤداها، أن ثمة إتجاهين إثنين في هذا الصدد.

إتجاه أول، يجنب للأخذ بحق الدم المستمد من الأم بوصفه حقاً ثانوياً لا أصيلاً، دون الحاجة لأن يعزز بحق آخر. بعبارةٍ أوضح، إن هذا الاتجاه يأخذ في حالاتٍ استثنائيةٍ بحق الدم المستمد من الأم في فرض الجنسية على المولود، دون أن يشرط كون الولادة في إقليم الدولة.

وأتجاه آخر، يجنب للأخذ بحقِّ الدم المستمد من الأم بوصفه حقاً ثانوياً، لا أصيلاً، أي على سبيل الإستثناء. ولكن بشرط، وهو أن يعزز بحقٍ آخر، هو حق الإقليم، بمعنى أن تتم الولادة في إقليم الدولة.

وهو ما سنبيه في المطلبين الآتيين:

**المطلب الأول: نقل الجنسية بناءً على حق الدم الثانوي غير المعزّز بحق الإقليم**

تأخذ بعض التشريعات العربية بهذا الاتجاه، ومؤدي ذلك أن تفرض الجنسية على المولود بناءً على حق الدم المستمد من أمها، بصرف النظر عن مكان الولادة. وستستعرض في أدناه موقف هذه التشريعات.

#### **أولاً : القانون السعودي :**

إن موقف التشريع السعودي مختلف عن غيره من التشريعات العربية، وذلك بإنفراده بحصر الإعتراف بحق الدم الثانوي في ثبوت الجنسية من جهة الأم لمولودها، في حالة واحدةٍ فقط، وهي حالة الولد الشرعي.

ولا شك في أن هذا الموقف مختلف تماماً عن موقف بقية التشريعات العربية، ذلك أننا قلنا أن الغاية من فرض هذه الجنسية هي حماية ورعاية الطفل المولود لأمٍ وطنية وأبٍ مجهول أو لا جنسية له. بمعنى آخر إن فرض الجنسية إنما يكون في حالة الولد غير الشرعي، أو في حالة كون الأب عديم الجنسية.

أما التشريع السعودي فإنه لم يأخذ بحالة الولد غير الشرعي. أي أنه لم يعطه الحق في الجنسية، بل اقتصر الأمر على الولد الشرعي فقط، والمولود لأبٍ مجهول الجنسية أو عديمها.

وبهذا السياق جاءت المادة السابعة من نظام<sup>(4)</sup> الجنسية السعودية رقم ٤ لعام ١٣٧٤ هـ النافذ لتنص على الآتي:

يكون سعودياً من ولد داخل المملكة العربية السعودية أو خارجها لأبٍ سعودي أو لأمٍ سعودية وأبٍ مجهول الجنسية أو لا جنسية له".

ومن هذا النص يمكن أن نستخلص الآتي:

- 1- قد تبين أن المشرع السعودي لا يأخذ بحالة الولد غير الشرعي، وأن النص واضحٌ في دلالته على حالة المولود لأمٍ سعودية وأبٍ مجهول الجنسية أو عديمها، مما يعني أن الولادة ينبغي أن تكون شرعية.
- ويبدو أن هذا التوجه معهـة الفلسفة التي يعتنقها التشريع السعودي القائم على أساس احترام ثوابـت الشريـعة الإسلامية، وحيـث أن الـولد غير الشرـعي لا نـسب لهـ، فـكـذا لا جـنسـيـة لهـ. وهذا بلا رـيب خـلطـ بين النـسبـ والـجـنسـيـةـ.

٤ - نظام هنا يعني قانون.

٢- إن هذا النصٌ - وكذا بقية النصوص في التشريعات العربية - يُفرق بين جهالة الجنسية، وإنعدامها. وذلك أمر صحيح، وقد درجت عليه التشريعات العربية، ومنها القانون العراقي - كما سيوضح لاحقاً - ذلك أن جهالة الجنسية تختلف عن انعدامها. فجهالة الجنسية تعني أنها نجهل جنسية الأب مع أنه قد تكون له جنسية في الواقع. أما انعدام الجنسية، فإنها تعني أنه ثابتٌ أن لا جنسية للأب<sup>(٥)</sup>. وحالة اللاجنسية أو انعدامها تتحقق في حالات كثيرة، منها أن الأب قد أسقطت عنه الجنسية على سبيل العقوبة، أو أنه قد فقدها بأحد أسباب الفقدان<sup>(٦)</sup>.

٣- ثمة فارقٌ في الآثار المترتبة على جهالة الجنسية، والأثار المترتبة على اللاجنسية أو إنعدامها، في حالة الكشف عن جنسية الأب فيما بعد، وحالة اكتساب الجنسية من قبل الأب عديم الجنسية بعد الولادة. ففي حالة اكتساب الأب عديم الجنسية، وقت ولادة ولده جنسيةٌ لاحقةٌ، فإن هذا الكسب الجديد لا أثر له على جنسية ولده، إذ يظل الطفل متمنعاً بالجنسية التي منحت له على أساس حق الدم الثانوي، لأن العبرة بحالة الأب وقت ولادة الطفل، أما إذا كان الأب مجهول الجنسية وقت ولادة الطفل، ثم علم أن له جنسية أخرى، فهنا يجب الرجوع إلى أحكام الجنسية الأصلية، حيث ثبتت جنسية الأب لولده بناءً على حق الدم الأصيل.

ويستتتج من هذا أن جنسية الأم الوطنية هنا ثبتت لولدها بصفةٍ دائمةٍ إن كان الأب عديم الجنسية، بيد أنها ثبتت بصفةٍ مؤقتةٍ، إن كان الأب مجهول الجنسية.

### ثانياً: القانون الكويتي :

يُعد القانون الكويتي من التشريعات التي أخذت بالاتجاه المتقدم في فرض الجنسية المبنية على حق الدم الثانوي غير المعزز بحق الإقليم، بيد أنه يختلف عن القانون السعودي، وذلك بتوسيعه النص ليشمل الولد غير الشرعي. وتجدر الإشارة إلى أن موقف القانون الكويتي من هذه القضية قد مر بمراحلتين :

#### أ- المرحلة الأولى :

هي مرحلة صدور قانون الجنسية الكويتي النافذ رقم ١٥ لعام ١٩٥٩ إذ نصت المادة الثالثة من هذا القانون على ما يأتي :

"يكون كويتياً ١- من ولد في الكويت أو في الخارج، من أمٍّ كويتية، وكان مجهول الأب أو لم ثبت نسبته لأبيه قانوناً، أو كان أبوه مجهول الجنسية أو لا جنسية له".

ويمقتضى هذا النص يمكن استنتاج الآتي :

١- إن القانون الكويتي يضفي الجنسية المفروضة - الأصلية - على الأولاد بناءً على حق الدم الثاني المستمد من الأم، وذلك في حالتين :

- الحالة الأولى :- حالة كون الولادة لأم كويتية وأبٍ مجهول أو لم يثبت نسب الولد إليه. ومعنى ذلك كون هذا الولد ولداً غير شرعي، وذلك بأن يكون ثمرة علاقة غير مشروعة، أو أن تكون ثمة علاقة لكن الأب لا يعترف بنسب ولده، فإن المحصلة من هذا وذاك هو كون الولد غير شرعي. وهنا يختلف القانون الكويتي - ومعه أكثر التشريعات العربية - عن موقف القانون السعودي الذي لا يأخذ بهذه الحالة - كما تقدم آنفًا - .

٥- ينظر: د. سعيد يوسف البستاني، الجنسية والقومية في تشريعات الدول العربية، منشورات الحلبي الخفوقية، ٢٠٠٣، ص ١٣٢ - ١٣٣.

٦- للمزيد حول هذا الموضوع ينظر: د. حسن الياسري، ظاهرة اللاجنسية، بين القانون العراقي والقانون المقارن، بحث منشور في مجلة بيت الحكمة، بغداد.

الحالة الثانية : حالة كون الولادة من أمٍّ كويتية وأبٍ مجهول الجنسية أو عديمها ، وفي هذه الحالة يكون الولد شرعاً وليس ثمة إنكار للنسب ، لكن الأب مجهول الجنسية ، فلا يُعرف جنسيته ، أو أن يكون بالأصل عديم الجنسية . ففي هذه الحالة تفرض الجنسية على المولود استناداً على حق الدم المستمد من الأم ، وبصرف النظر عن مكان الولادة سواءً أكانت في الكويت أم في خارجها .

٢ - إن العبرة بجنسية الأم وقت ولادة الطفل لا قبلها ولا بعدها ، وعلى هذا ينبغي أن تكون الأم كويتية الجنسية لحظة ولادة ولدتها . وكذا الحال فإن العبرة تكون الأب مجهولاً أو لم تثبت نسبة الولد إليه أو يكونه عديم الجنسية أو مجهولها ، هو لحظة ولادة الطفل .

ويترتب على ذلك أنه في حالة كون الأب مجهولاً وقت الولادة ، ثم عرف ، أو لم يثبت النسب إليه وقت الولادة ، ثم ثبت بعد ذلك ، وتبين بأن الأب كويتي الجنسية وقت الولادة ، بقيت للولد الجنسية الكويتية التي فرضت عليه بناءً على حق الدم الثانيي ، لكن أساسها القانوني سيتغير إذ ستكون استناداً على حق الدم من قبل الأب لا الأم . أما إذا ثبت أن الأب كان متمنعاً بجنسية أجنبية وقت الولادة ، ففي هذه الحالة تزول الجنسية الكويتية عن الطفل وبأثرٍ رجعي ، لأن الولد القاصر يتبع أبياه . وهكذا الحال فيما لو كان الأب مجهول الجنسية أو عديمها .

وكل ذلك مبني على كون فرض الجنسية بناءً على حق الدم الثانيي هو أساس أو ضابطٍ احتياطي أو وقائي ، وإن الأصل هو فرض الجنسية بناءً على حق الدم المستمد من الأب .

#### **ب - المرحلة الثانية :**

ونعني بها مرحلة تعديل النص القانوني السابق ، إذ تم تعديله في عام ١٩٨٠ على النحو الآتي :  
"يكون كويتياً : ١- من ولد في الكويت أو في الخارج من أمٍّ كويتية ، وكان مجهول الأب أو لم تثبت نسبة لأبيه قانوناً" .

و واضحٌ من هذا التعديل أنه قصر حالات إضفاء الجنسية الكويتية بناءً على حق الدم الثانيي على حالة كون الأم كويتية لحظة الولادة ، وكون الأب مجهولاً أو لم يثبت نسب الولد إليه . بعبارة أخرى انه قد حرم الأم الكويتية من حق نقل الجنسية إلى أولادها في حالة كون زوجها - أب هؤلاء الأولاد - مجهول الجنسية أو عديمها . وبهذا الشكل تزداد حالات انعدام الجنسية في الكويت ، ذلك البلد الذي يعني بالأساس من كثرة هذه الحالات ، ولا سيما فيما يتعلق بما يسمى "البدون" <sup>(٧)</sup> .

#### **ثالثاً : القانون الإماراتي :**

لقد سار القانون الإماراتي على نهج سلفه القانون الكويتي ، في اعتناقه للمبدأ القائل بفرض الجنسية الإماراتية - الأصلية - بناءً على حق الدم المستمد من الأم ، بصرف النظر عن مكان ولادة الطفل ، سواءً أكانت في داخل الإمارات أم في خارجها ، وبالحالات ذاتها .

فللقد نصت الفقرة "ج" من المادة الثانية من قانون الجنسية الإماراتية رقم ١٧ لعام ١٩٧٢ النافذ على الآتي :

يعتبر مواطناً بحكم القانون المولود في الدولة أو في الخارج من أم مواطنة بحكم القانون ولم يثبت نسبه لأبيه قانوناً . وجاء في الفقرة "د" من المادة ذاتها : "يعتبر مواطناً بحكم القانون المولود في الدولة أو في الخارج من أم مواطنة يحكم القانون ولابٍ مجهول أو لا جنسية له" .

إن هذين النصين قد تضمنا حالتين لفرض الجنسية بناءً على حق الدم من ناحية الأم هما :

٧ - لمعرفة المزيد عن مشكلة البدون من الناحية القانونية ، ينظر : د. حسن الياسري ، ظاهرة اللاجنسية ، مصدر سابق .

١- **الحالة الأولى:** المولود لأم إماراتية بحكم القانون مع عدم ثبوت نسبة لأبيه :

إذ يشترط لـ إعمال هذه الحالة توافر شرطين :

- الشرط الأول: أن تكون الأم إماراتية بحكم القانون :

ومعنى ذلك أن تكون الأم مواطنة بحكم القانون، أي أن لا تكون متجمسة بالجنسية الإماراتية، فإذا كانت متجمسة فإنها لا تستطيع أن تنقل الجنسية إلى أولادها. ثم يجب أن تكون هذه الأم مواطنة بحكم القانون لحظة ولادة ولدتها، لا قبل الولادة ثم تفقدتها عند الولادة، ولا بعدها. ولا يهم جنس المولود ذكرا كان أو أنثى<sup>(٨)</sup>.

- الشرط الثاني : عدم ثبوت نسبة المولود لأبٍ من الناحية الشرعية :

ومعنى ذلك أن يكون المولود غير شرعي لأنه لم يثبت نسبة لأبٍ ما، أو كان هناك ادعاءً بانتسابه إلى أبٍ، لكن الأخير ينكر نسبة.

وما قد قيل سابقاً، بصدق ثبوت النسب لاحقاً، يجري هنا أيضاً. فإذا ثبتت النسبة فيما بعد وتبين أن الأب هو أجنبي الجنسية، فهنا تزول الجنسية الإماراتية عن المولود بأثر رجعي، أي منذ ولادته، وبصرف النظر عما إذا حصل المولود بعد ذلك على جنسية أبيه أو لا، وكذا بصرف النظر عما إذا كان الولد قاصراً أو بالغاً. أما إذا اتضحت أن الأب هو إماراتي الجنسية، فهنا ينبغي التفرقة بين ما إذا كان الأب إماراتي الجنسية بحكم القانون، أو كونه متجمساً بالجنسية الإماراتية. فإذا كان إماراتي الجنسية، ففي هذا الفرض تبقى جنسية المولود التي اكتسبها عن طريق أبيه، لكن أساسها سيتغير، وبعد أن كان أساسها حق الدم المستمد من الأم، سيكون أساسها حق الدم المستمد من الأب.

أما إذا كان الأب إماراتياً بحكم التجنس، فهنا سوف يتمتع المولود بهذه الجنسية. معنى أوضاع أن جنسيته ستكون إماراتية بحكم التجنس، أي أنه سيكون متجمساً بالجنسية الإماراتية، لا إماراتياً بحكم القانون. وفي ذلك مفارقة غريبة، فإن الولد غير الشرعي تكون جنسيته إماراتية بحكم القانون إذا كانت أمه كذلك، ولكن إذا كان له أبٌ شرعي متجمساً بالجنسية الإماراتية فهنا ستكون جنسية المولود إماراتية بالتجنس. وينبني على ذلك أن الوضع القانوني للولد غير الشرعي سيكون أفضل حالاً من الولد الشرعي.

**الحالة الثانية:** المولود لأم إماراتية بحكم القانون مع جهة الأم أو انعدامها : وفي هذا الفرض ينبغي أن تكون الأم إماراتية بحكم القانون، لا متجمسة وإن يكن الأب مجهول الجنسية أو عديها. وقد تم شرح ذلك سابقاً.

#### رابعاً: القانون التونسي :

لقد أخذ القانون التونسي - قيل التعديل الجديد في أواخر عام ٢٠١٠ - في أحدى حالاته بفرض الجنسية الأصلية عن طريق الدم المنحدر من الأم، بصرف النظر عن مكان الولادة. إذ نصت الفقرة "٢" من الفصل السادس من مجلة الجنسية التونسية عدد ٦ لعام ١٩٦٣ على الآتي :

"يكون تونسياً: ٢- من ولد من أم تونسية وأبٍ مجهول أو لا جنسية له أو مجهول الجنسية".

وبناءً على هذا النص فإن المولود يكون تونسي الجنسية في فرضين :

٨- ينظر: د. عصام القصبي، القانون الدولي الخاص لدولة الإمارات، نفلاً عن د. هشام خالد، أهم مشكلات قانون الجنسية العربي، منشأة المعارف، ٢٠٠٦، الإسكندرية، ص ١٥٣.

الفرض الأول: إذا كان المولود غير شرعي ، ففي هذا الفرض يستحق الجنسية التونسية بتوافر الشروط الآتية :

- أـ أن تكون الأم تونسية الجنسية ، ولا يهم بعد ذلك أن تكون هذه الجنسية أصلية أو مكتسبة.
- بـ أن يكون الأب مجهولاً . ومعنى ذلك أن لا يعرف أب الولد. بعبارة أخرى أن الولد هنا يكون ولداً غير شرعي.

- الفرض الثاني: إذا كان المولود شرعاً : ففي هذا الفرض يستحق الجنسية بتوافر الشروط الآتية :

- أـ أن تكون الأم تونسية الجنسية.

بـ أن يكون الأب مجهول الجنسية أو لا جنسية له ، أي عديم الجنسية. وقد تقدم شرح ذلك سابقاً .  
ثم جاء تعديل مهم في أواخر عام ٢٠١٠ وتم بمقتضاه منح الجنسية التونسية إلى المولود في خارج تونس من أم تونسية وأب أجنبي ، فلقد نص الفصل (٤) من مجلة الجنسية التونسية على الآتي :  
(يصبح تونسياً من ولد خارج تونس من أم تونسية وأب أجنبي والذي بلغ سن الرشد في تاريخ نفاذ القانون عدد ٣٩ لسنة ٢٠١٠ المؤرخ في ٢٦ جويلية ٢٠١٠ ، المتعلق بتوحيد سن الرشد المدني ، على أن طالب بالجنسية التونسية بمقتضى تصريح خلال السنة المولدة لنفاذ هذا القانون ويتم التصريح طبق أحكام الفصل ٣٩ من مجلة الجنسية التونسية ، ويكتسب المعنى بالأمر الجنسية التونسية من تاريخ تسجيل التصريح مع مراعاة الأحكام المنصوص عليها بالفصلين ١٥ و ٤١ من المجلة المذكورة ).

ويستخرج من هذا النص ما يأتي :

١- إن هذا النص جاء ليعالج مشكلة المولود في خارج الإقليم التونسي من الأم التونسية ، إذ أن القانون قبل تعديله لم يكن يمنح هذا المولود الجنسية التونسية ، بل كان يشترط أن تكون الولادة في داخل تونس - كما سيتضح - .

٢- يشترط لإعمال هذا النص توافر الشروط الآتية :

- أـ أن تكون الأم تونسية الجنسية لحظة الولادة.

بـ أن تكون الولادة في خارج تونس.

جـ أن يكون الأب أجنبياً.

دـ أن يكون المولود قد بلغ سن الرشد في عام ٢٠١٠ ، أي وقت صدور قانون التعديل . مما يعني أن من لم يكن بالغاً سن الرشد في هذا الوقت ، فإنه لا يستفيد من هذا الإمتياز.

هـ أن يقدم المولود طلباً لإكتساب الجنسية التونسية بعد مرور عام على بلوغه سن الرشد. ويتم منحه الجنسية من تاريخ تسجيل الطلب.

#### خامساً: القانون الجزائري :

ينبغي أن نميز بصدق القانون الجزائري بين مرحلتين :

المرحلة الأولى : هي مرحلة قانون الجنسية الجزائرية رقم ٧٠ - ٨٦ لسنة ١٩٧٠ قبل تعديله في سنة ٢٠٠٥ .

المرحلة الثانية : مرحلة التعديل الكبير والمهم في سنة ٢٠٠٥ .

وحيث أن موضوع بحثنا في هذا الفصل له صلة بالمرحلة الأولى ، لذا سنذكر موقف القانون الجزائري في هذا المقام. إذأخذ القانون الجزائري ، قبل تعديله ، - كما القانون التونسي - في أحدي حالاته بفرض الجنسية الجزائرية على المولود من أم جزائرية وأب مجهول. حيث نص الفصل الخامس من القانون على الآتي :

يكون جزائرياً بالنسبة : ١- : الولد المولود من أم جزائرية وأب مجهول.

- ٢ - الولد المولود من أم جزائرية وأب عديم الجنسية".

وطبقاً لهذا النص ينبغي توافر الشروط الآتية:

أـ. أن تكون الأم جزائرية الجنسية، وسواء أكانت هذه الجنسية أصلية أم مكتسبة.

بـ. أن يكون الأب مجهولاً، أي غير معروف. بمعنى آخر، أن المولود ناشئ عن علاقة غير شرعية. أو أن يكون الأب عديم الجنسية. ولا يهم بعد ذلك أن تكون الولادة في داخل إقليم الجزائر أو خارجه، وسواء أكان الولد ذكرًا أم أنثى. ولقد بات معلوماً أن التشريعات التي تأخذ بهذا الاتجاه - ومنها القانون الجزائري - إنما تهدف إلى تلافي حالة انعدام الجنسية.

سادساً:- القانون العماني:

نصت المادة الأولى من قانون الجنسية العمانية رقم ٨٣ النافذ على الآتي: "يعتبر عمانياً حكماً: ٢- من ولد في عُمان أو خارجها من أم عمانية وكان مجهول الأب إذا لم ثبت بنوته لأب شرعاً أو كان أبوه عمانياً وأصبح فاقد الجنسية".

ومن هذا النص يتضح أن القانون العماني يفرض الجنسية على المولود من أم عمانية، وبصرف النظر عن مكان الولادة، سواء أكانت في داخل عمان أم في خارجها. بشرط أن يكون الأب مجهولاً، أي لم ثبت النسب إليه، أو أن يكون الأب مجهول الجنسية أو عديمه. وما ذلك كله إلا لوقاية المولود من الواقع في حالة اللاجنسية.

سابعاً:- القانون السوري:

إن القانون السوري يأخذ بحالة واحدة في فرض الجنسية بناءً على حق الدم المستمد من الأم. تلك هي حالة الولد غير الشرعي، ولم يأخذ بحالة المولود لأب مجهول الجنسية أو عديمه. إذ تنص المادة الثالثة من المرسوم التشريعي رقم ٢٧٦ لسنة ١٩٦٩ على الآتي:

"يعتبر عربياً سورياً حكماً :

بـ- من ولد في القطر من أم عربية سورية ولم ثبت نسبته إلى أبيه قانوناً .  
ويمقتضي هذا النص يكون للأم السورية دور في نقل جنسيتها إلى أولادها في حالة واحدة فقط، وهي حالة ما إذا كان الولد غير شرعي ، وبالشروط التي شرحتها آنفاً.

ثامناً- القانون اللبناني:

تنص المادة الثانية من القرار رقم ١٥ لسنة ١٩٢٥ الذي نظم الجنسية اللبنانية على ما يأتي :  
"الوليد غير الشرعي الذي ثبت بنوته وهو قاصر، يتخذ التابعة<sup>(٩)</sup> للبنانية، إذا كان أحد والديه، الذي ثبتت البنوة أولاً بالنظر إليه، لبنانياً، وإذا كان برهان ثبوت البنوة بالنظر إلى الأب والأم، ناتجاً عن عقد واحد أو حكم واحد، اتخاذ الابن تابعة للأب إذا كان هذا الأب لبنانياً".

بداية ينبغي الإشارة إلى أن الفقه اللبناني يؤكّد أن ثمة خطأ قد وقع عند تعرّيف هذا النص من الفرنسيّة، فالنص الأصلي الموضوع باللغة الفرنسية - بحسب هذا الفقه - كان يتكلّم عن الولد الطبيعي لا عن الولد غير الشرعي. والولد الطبيعي، هو ذلك المولود من شخصين لا تجمعهما رابطة زوجية، ومن غير أن يقوم بحق أيٍّ منهما مانع من موانع الزواج - كالقرابة المحرمية مثلاً - وقت الحمل<sup>(١٠)</sup>.

٩- التابعة هنا يعني الجنسية.

١٠- ينظر د. عكاشة محمد عبد العال، أحكام الجنسية، منشورات الحلبي، ٢٠٠٧، بيروت، ص ٣٣٦.

وعلى وفق النص المقدم، يحق للمرأة اللبنانية، أن تقوم بنقل جنسيتها إلى ولدها الطبيعيٍّ وذلك في حالةٍ واحدة، وهي التي تقوم فيها هذه المرأة بالاعتراف بالولد، قبل أن يعترف به الأب. وتأسساً على ذلك يمكن لهذه المرأة أن تنقل جنسيتها إلى ولدها، بالشروط الآتية:

أـ أن يكون ثمة ولد طبيعيٍّ: إذ ينبغي أن يكون هذا الولد طبيعياً، بمعنى أن يكون ناتجاً عن علاقةٍ غير مشروعةٍ بين شخصين لا تربطهما علاقة زوجية، ودون أن تكون بينهما قرابة مانعة من الزواج.

بـ أن تكون المرأة - الأم - لبنانية الجنسية، فإذا كانت أجنبيةً، فإن الجنسية اللبنانية لا تثبت للولد آنذاك.

جـ أن تعترف المرأة - الأم - بالولد الطبيعيٍّ أولاًً: ومعنى ذلك أن يصدر الاعتراف بنسب الولد من قبل الأم قبل الأب. وعلى هذا الأساس، فإن الاعتراف بالنسبة لو صدر أولاً من الأب، وكان هذا الأب لبناني الجنسية فان جنسيته تنتقل إلى الولد، لا جنسية أمه، أما إذا كان الأب أجنبياً، ففي هذه الحالة لا تثبت للولد الجنسية اللبنانية، حتى لو إعترفت الأم اللبنانية به لاحقاً.

دـ أن يكون الولد قاصراً: لا يؤتي الاعتراف بالولد الطبيعيٍّ ثماره، ما لم يكن هذا الولد قاصراً، أي لم يبلغ سن الرشد بعد على وفق أحكام القانون اللبناني. ثم إن الاعتراف له أثر رجعي يرتد إلى لحظة الولادة. ولا يهم بعد ذلك أن تكون الولادة في داخل لبنان أو خارجه<sup>(11)</sup>.

#### تسعاً : القانون البحريني :

لم يخرج القانون البحريني عن موقف التشريعات العربية السابقة، فلقد نصت المادة (٤) من قانون الجنسية البحرينية رقم ٨ لعام ١٩٦٣ المعدل، على الآتي :

(يعتبر الشخص بحرينياً : بـ إذا ولد في البحرين أو خارجها وكانت أمه بحرينية عند ولادته، على أن يكون مجهول الأب أو لم تثبت نسبته لأبيه قانوناً). وبناءً على هذا النص فإن المولود يكون بحريني الجنسية على وفق الشروط الآتية :

- ١ـ أن تكون الأم بحرينية الجنسية لحظة ولادة المولود.
  - ٢ـ أن يكون الأب مجهولاً، أي غير معروف، وإن الولادة غير شرعية، أو أن يكون الأب معلوماً، ولكن لم يثبت نسب المولود إليه. ولقد فصلنا القول في هذين الشرطين آنفًا.
- إذا تحقق هذان الشرطان يكتسب المولود الجنسية البحرينية، بصرف النظر عن مكان الولادة وما إذا كانت في داخل البحرين أو خارجها.

#### عاشرًا : القانون المغربي :

يُعد القانون المغربي لعام ١٩٥٨ - قبل التعديل في عام ٢٠٠٧ - من القوانين التي أخذت بحق الدم الثانوي غير المعزز بحق الإقليم، وايضاً بحق الدم المعزز بحق الإقليم. وفيما يتعلق بالأول، فإن الفصل (٦) من هذا القانون قد نص على الآتي :

(يعتبر مغاربياً : ثانياً: الولد المزداد<sup>(12)</sup> من أم مغربية وأب مجهول). وبمقتضى هذا النص فإنه يتشرط أن تكون الأم مغربية الجنسية، والأب مجهولاً، أي أن الولادة غير شرعية، أو أن الأب لا يعترف بنسب المولود. ففي هذه الحالة يمنع هذا المولود الجنسية المغربية، بصرف النظر عن مكان الولادة، سواءً أكانت في داخل المغرب أم خارجه

١١ـ ينظر د. عكاشه عبد العال، مصدر سابق، ص ٣٥٠.

١٢ـ هكذا ورد في النص، والظاهر من سياق نصوص هذا القانون أن المقصود بذلك هو "المولود".

ومن كل ما تقدم في هذا المطلب، يمكن أن نخلص إلى القول، أن هذا الاتجاه من التشريعات العربية يعطي للأم دوراً في نقل الجنسية إلى أولادها، بناء على حق الدم المستمد منها، والذي أسميه "حق الدم الثاني أو الوقائي" بصرف النظر عن مكان الولادة، سواء أكانت في الإقليم، أم في خارجه.

**المطلب الثاني: دور الأم في نقل الجنسية المبنية على حق الدم المستمد منها والمعزز بحق الإقليم**  
لقد نحت بعض التشريعات العربية منحياً آخر، وذلك عندما قررت أن يكون للأم دور في نقل جنسيتها إلى أولادها، بناء على حق الدم المستمد منها، والمعزز بحق الإقليم. بعبارة أخرى، أن هذه التشريعات لا تكتفي بأن تكون الأم وطنية والأب مجهولاً أولاً جنسية له، إنما تشترط أن تكون الولادة في إقليمها لا خارجه. ويبعدوا - بحسب فهمي - أن السبب وراء ذلك يكمن في الآتي:

١- إن الولادة في إقليم الدولة، يعطي انطباعاً بأن هذه العائلة متدرجة في هذا المجتمع، أكثر مما لو كانت الولادة في خارج الإقليم.

٢- إن بعض التشريعات تكافح ظاهرة إزدواج الجنسية، أو في الأقل تروم التخفيف من غلوائها. وبناءً على ذلك فإنها تشترط أن تكون الولادة - فيما يتعلق بالصورة الماثلة أمامنا - في إقليم الدولة حتى لا يحصل إزدواج في الجنسية، ذلك أن الولادة في خارج الإقليم، قد يفضي إلى حصول المولود على جنسية أخرى، تلك هي جنسية الدولة التي حصلت الولادة في إقليمها.

وسنستعرض فيما يأتي موقف التشريعات العربية التي تأخذ بهذا الاتجاه:

### أولاً:- القانون المصري:

لقد كان القانون المصري لعام ١٩٧٥، قبل التعديل الكبير والمهم في عام ٢٠٠٤، يأخذ بالاتجاه القائل بحق الدم الثاني أو الأمي في فرض الجنسية، والمعزز بحق الإقليم. فلقد نصت المادة الثانية من قانون الجنسية المصري رقم ٢٦ لعام ١٩٧٥ على ما يأتي:

"يكون مصرياً : ٢- من ولد في مصر من أم مصرية ومن أب مجهول الجنسية أو لا جنسية له. ٣- من ولد في مصر من أم مصرية ولم ثبتت نسبة إلى أبيه قانوناً".

ومن هذا النص يمكن الخلوص إلى أن ثمة حالاتٍ ثلاث لاكتساب الجنسية بناءً على حق الدم الثاني - أي حق الدم المستمد من الأم -. وهذه الحالات هي:

#### ١- الحالة الأولى: جهالة الأب:

ونعني بذلك أن يكون الأب مجهولاً، أي غير معروف، بمعنى أن نسب الولد لم يثبت اليه، إما لكونه غير معروف بالأساس، أو انه معروف لكنه ينكر النسب . والنتيجة المترتبة على ذلك هي أن يكون المولود غير شرعي.

ويقتضى النص يشترط، لنقل الأم المصرية جنسيتها إلى أولادها، توافر الشروط الآتية :

##### أ. أن تكون الأم مصرية الجنسية :

اذ يجب أن تكون الأم مصرية الجنسية لحظة ولادة المولود، فإذا كانت الأم مصرية الجنسية قبل الولادة، ثم فقدت هذه الجنسية، فإن الجنسية لن تنتقل إلى أولادها. وكذا الحال لو كانت أجنبية، ثم تجنست بالجنسية المصرية بعد الولادة. ولا يؤثر في ذلك كون الأم ممتدة بالجنسية المصرية الأصلية أو المختارة الطارئة، كما لا يؤثر في ذلك كون الأم وحيدة الجنسية، أو مزدوجة الجنسية.

ب- أن يكون الأب مجهولاً :

وجهالة الأب هنا تعني الجهة القانونية، يعني أن لا ينسب المولود إلى أبيه قانوناً، ويستوي في ذلك أن يكون المولود ثمرة علاقة زوجية، لكن الأب ينكر النسب، أو أن يكون ثمرة علاقة غير مشروعة.

جـ- أن يولد المولود في داخل الأقاليم المصري:  
لا يكفي في حصول المولود على جنسية أمه، أن تكون الأم مصرية الجنسية، وأن يكون الأب مجهولاً، فحسب، بل لابد أن تكون الولادة في داخل مصر.

ويبدو أن المشرع المصري قد أخذ بأساس حق الدم المستمد من الأم، بشرط الولادة في داخل مصر، وذلك ليس متوقفاً عن أن هذا المولود مرتبط بيده. بيد أن المشرع لم يشترط الاستقرار والإقامة، بل اكتفى بالولادة المبردة، وهو الأمر الذي نقده بعض الفقهاء المصريين<sup>(١٢)</sup>.

## ٢- الحالة الثانية: جهالة جنسية الأب:

وفي هذه الحالة لا يكون الأب مجهولاً، إنما جنسيته مجهولة. وعموماً فإنه يتطلب لإعمال هذه الحالة - بحسب النص - توافر الشروط الآتية:

أـ. أن تكون الأم مصرية الجنسية لحظة الولادة:  
إذ يجب أن تكون الأم مصرية الجنسية لحظة ولادة المولود، كما تقدم سابقاً.

بـ. أن يكون الأب مجهول الجنسية:

وهنا يتطلب في الأب أن يكون مجهول الجنسية، لأن يكون هو مجهولاً. ومعنى ذلك أن الأب قد يكون معلوماً ويثبت نسب الولد إليه، لكنه مجهول الجنسية، فهنا يمكن للمولود أن يكتسب جنسية أمه المصرية، شريطة أن تكون جهالة الأب لحظة ولادة المولود لا قبلها أو بعدها. فإذا كان الأب معلوم الجنسية وقت الحمل ثم أصبح مجهولها وقت الولادة، فهنا ينطبق هذا النص. وهكذا لو كان مجهول الجنسية وقت الولادة، ثم أصبح معلومها فيما بعد، فهنا ينطبق النص كذلك.

## جـ- أن يولد المولود في داخل الأقاليم المصري:

يجب أن تتم الولادة في داخل مصر - كما تقدم شرح ذلك سابقاً - ، ولا يهم بعد ذلك أن يقيم المولود في مصر أو لا. وكذا الحال، لا يهم أن تقييم الأم بعد الولادة في مصر أو لا. حيث أن المشرع لم يشترط سوى ضرورة كون الولادة في داخل الأقاليم المصري.

ومن الجدير بالذكر، إن ما سبق قوله من أثر بالنسبة لاكتشاف جنسية الأب وكونها مصرية، وكذا بالنسبة لثبوت النسب، فإن ذلك كله ينطبق لها أيضاً.

## ٣- الحالة الثالثة: إنعدام جنسية الأب:

في هذه الحالة لا يكون الأب مجهولاً، ولا تكون جنسيته مجهولة، إنما يكون منعدم الجنسية، ويشترط لإنعدام هذه الحالة توافر الشروط الآتية:

أـ. أن تكون الأم مصرية الجنسية.

بـ. أن يكون الأب عديم الجنسية.

جـ. أن تكون الولادة في داخل مصر.

وقد تم شرح هذه الشروط سابقاً. لكننا هنا سنتعلق على الشرط الثاني المتعلق بانعدام جنسية الأب، إذ يجب أن يكون الأب عديم الجنسية لحظة ولادة المولود. وكما هو معلوم فإن عديم الجنسية هو فرد لا جنسية له أساساً، ولذا فإن المولود يكتسب الجنسية عن طريق أمه المصرية، وذلك لتفادي حالة انعدام الجنسية التي قد يقع فيها هذا المولود.

١٣ - ينظر: د. هشام خالد، مصر سابق، ص ٣٥٧.

### ثانياً :- القانون الأردني :

يُعد القانون الأردني من التشريعات التي تأخذ حق الأم في نقل الجنسية إلى أولادها - حق الدم الثاني - والمعزز بحق الإقليم. يترتب على ذلك القول، أن القانون الأردني - كسابقه - القانون المصري الذي يشترط في فرض الجنسية على المولود أن تكون الولادة في داخل الإقليم، هذا فضلاً عن توافر الشروط السابقة التي ذكرناها.

وعلى أية حال ، فإن الفقرة (٤) من المادة (٣) من قانون الجنسية الأردنية رقم ٦ لسنة ١٩٥٤ ، تنص على الآتي :

"يعتبر أردني الجنسية من ولد في المملكة الأردنية الهاشمية من أم تحمل الجنسية الأردنية وأب مجهول الجنسية أو لا جنسية له أو لم يثبت نسبته إلى أبيه قانوناً ."

ومعنى هذا النص ، ثبت الجنسية الأردنية للمولود، استناداً على حق الدم المستمد من أمه الأردنية ، ولكن بعد توافر الشروط الثلاثة الآتية - وهي كما ذكرنا قبل قليل تتشابه مع موقف القانون المصري - :

أ- أن تكون الأم أردنية الجنسية :

يجب أن تكون الأم أردنية الجنسية لحظة الولادة ، لاقبها ولا بعدها . وكما ذكرنا سابقاً ، لا يؤثر في ذلك كون جنسية الأم جنسية أصلية ، أو طارئة .

ب- أن يكون الأب مجهولاً ، أو مجهول الجنسية ، أو عديمها :

إذ يشترط أن يكون الأب واحداً من ثلاثة فروض : إما أن يكون مجهولاً ، بمعنى أن الولد غير شرعي ، أو أن يكون مجهول الجنسية ، أو أن يكون عديمها . وقد تم شرح ذلك سابقاً .

ج- أن تكون الولادة في داخل الإقليم الأردني :

إن الشرطين السابقين لا يكفيان لوحدهما ، ما لم يشفعا بشرط ثالث ، وهو أن تكون ولادة المولود في داخل الأردن ، لا خارجه . وكما قيل سابقاً ، لا يؤثر ما إذا كانت الأم مقيمة في الأردن أو لا . كما لا يؤثر ، ما إذا كان المولود يقيم بعد ولادته في الأردن أو لا . ذلك أن الغاية من فرض هذه الجنسية هو تلافى الواقع في حالة انعدام الجنسية .

### ثالثاً :- القانون اليمني :

لقد نصت المادة الثالثة من قانون الجنسية اليمنية رقم ٦ لسنة ١٩٩٠ والمعدل بالقانون رقم ١٧ لسنة ٢٠٠٩ ، وفي فقرتيها ب و ج ، على ما يأتي : "يتمتع بالجنسية اليمنية: ب - من ولد في اليمن من أم تحمل هذه الجنسية وأب مجهول الجنسية أو لا جنسية له . ج - من ولد في اليمن من أم تحمل هذه الجنسية ولم تثبت نسبته إلى أبيه قانوناً".

ويتبين من هذا النص ، أن القانون اليمني ، كما التشريعات الأخرى التي تأخذ بالاتجاه ذاته ، قد فرض الجنسية اليمنية للمولود من أم مبنية بناء على حق الدم المستمد منها - حق الدم الثاني أو الوقائي - ، وبالشروط ذاتها المذكورة سابقاً . مما يعني أن إعمال النص اليمني يستلزم توافر الشروط الآتية :

أ- أن تكون الأم يمنية الجنسية .

ب- أن يكون الأب إما مجهول الجنسية أو لا جنسية له ، وإما مجهولاً ، أي لم يثبت نسب المولود اليه .

ج- أن تكون الولادة في داخل الإقليم اليمني .

#### رابعاً: القانون الجزائري:

قد ذكرنا سابقاً أن القانون الجزائري - قبل التعديل - قد أخذ في إحدى حالات فرض الجنسية بناءً على حق الدم المستمد من الأم، فيما لو كان الأب مجهولاً، أو عديم الجنسية، وبصرف النظر عن مكان الولادة.

ونلاحظ أن هذا القانون - بعد تعديله - قد أخذ في حالة خاصةٍ ونادرة بفرض الجنسية بناءً على حق الدم الثانوي المستمد من الأم، على أن لا تكون الجنسية الجزائرية ثابتة لها من الناحية القانونية، وشرط كون الولادة في داخل الجزائر. بعبارة أخرى أنه قد أخذ بحق الدم الثانوي المعزز بحق الأقليم.

و عموماً فإن المادة السادسة من قانون الجنسية الجزائرية رقم ٧٠ - لعام ١٩٧٠ والمعدل في عام ٢٠٠٥ نصت على ما يأتي: "يعتبر من الجنسية الجزائرية بالولادة في الجزائر:

٢ - الولد المولود في الجزائر من أبٍ مجهول وأمٍ مسماة في شهادة ميلاده دون بياناتٍ أخرى تمكن من إثبات جنسيتها".

وعلى وفق هذا النص، يمكن أن نستخلص أن المولود لأمٍ جزائرية، تثبت له الجنسية الجزائرية، بتوافر الشروط الآتية:

أ- أن يكون الأب مجهولاً.

ب- أن تكون الولادة في داخل الجزائر. ذلك أن فرض الجنسية هنا معززة بحق الأقليم، أي الولادة في إقليم الجزائر.

ج- أن تكون الأم مسماة في شهادة ميلاد المولود، دون أن تمتلك أية بيانات أخرى تثبت جنسيتها. مما يعني أن هذه المرأة ليست جزائرية الجنسية من الناحية القانونية، بسبب عدم قدرتها على إثبات هذه الجنسية. والملاحظ هنا أن المشرع الجزائري قد اقتصر على حالة كون الأب مجهولاً، ولم يتطرق إلى كونه عديم الجنسية. وقد يُعد القانون الجزائري خارجاً عن المألوف من هذه الناحية، إذ أن العلة التي اقتضت فرض الجنسية الجزائرية فيما لو كان الأب مجهولاً، تقتصي أيضاً فرض الجنسية فيما لو كان الأب عديم الجنسية. ولعل السبب في ذلك يكمن في أن هذا القانون قد خطى خطواتٍ كبيرة في مجال التسوية بين الأب والأم في فرض الجنسية الأصلية، كما سيتضمن بعد ذلك.

#### خامساً: القانون التونسي:

قد ذكرنا سابقاً أن القانون التونسي - قبل التعديل الأخير - قد أخذ بأساس فرض الجنسية الأصلية بناءً على حق الدم الثانوي - المستمد من الأم - وغير المعزز بحق الإقليم، فيما لو كان الأب مجهولاً، أو مجهول الجنسية، أو عديمها. وذلك بمقتضى الفقرة الثانية من الفصل السادس من مجلة الجنسية التونسية. أما الفقرة الثالثة من الفصل ذاته - أي الفصل السادس - فإنها جاءت لتعالج حالة فرض الجنسية للمولود من أمٍ تونسية، بشرط أن تكون الولادة في داخل تونس. بمعنى آخر، أن الفقرة الثانية من الفصل السادس تعالج حالة فرض الجنسية الأصلية بناءً على حق الدم الثانوي غير المعزز بحق الإقليم، أما الفقرة الثالثة، فإنها تعالج فرض الجنسية الأصلية بناءً على حق الدم الثانوي المعزز بحق الإقليم. وعلى أية حال، فإن الفقرة الثالثة تنص على الآتي:

"يكون تونسياً: ٣- من ولد بتونس من أمٍ تونسية وأبٍ أجنبي". ولإعمال هذا النص، ينبغي توافر الشروط الآتية:

أ- أن تكون الأم تونسية الجنسية.

ب- أن يكون الأب أجنبي الجنسية . ومعنى كونه أجنبياً، أن يكون متعملاً بجنسية دولة ما، أي أنه يحمل جنسية أخرى، غير الجنسية التونسية. ولا يؤثر ما إذا كانت جنسية الأب اصيلة أو طارئة، واحدة أو متعددة.

ج- أن تكون الولادة في داخل الإقليم التونسي :

إن فرض الجنسية هنا لا يبني على كون الأم تونسية الجنسية، بل ينبغي أن يعزز بحق آخر، وهو حق الإقليم، أي الولادة في داخل الإقليم، فإذا ما كانت الولادة خارج تونس، فإن الجنسية لا تثبت لهذا المولود.

وقد راعى المشرع ذلك، بناءً على أن ابن الأم التونسية المولود في تونس، ومن أبٍ أجنبي، يفترض به العيش في تونس مع أمها وأهلها، وأنه سيترى ويترعرع في البيئة التونسية والوسط التونسي. الأمر الذي يولد له شعوراً بالولاء نحو تونس، بحسب ما ذهب إليه البعض.<sup>(١٤)</sup>

وما تقدم، يتضح أن المشرع التونسي قد خطأ خطوة أكبر بإتجاه فرض الجنسية على المولود لأم تونسية، حتى لو كان الأب أجنبياً، فيما لو كانت الولادة في داخل الإقليم. في حين أنها وجدنا أن معظم التشريعات العربية لم تأخذ بهذا الاتجاه، بل اكتفت بفرض الجنسية في هذه الحالة فيما لو كان الأب مجهولاً، أو مجهولاً الجنسية أو عديها. ولم تثبت هذه التشريعات الجنسية للمولود من أم وطنية، فيما لو كان الأب أجنبياً - ولا سيما في مرحلة ما قبل التعديلات الأخيرة التي طالت بعض تلك التشريعات - .

#### سادساً : القانون المغربي :

قد ذكرنا سابقاً أن القانون المغربي - قبل التعديل في عام ٢٠٠٧ - ، قد أخذ في أحدى حالاته بحق الدم المستمد من الأم وغير المعزز بحق الإقليم. وبلاحظ على هذا القانون أنه قد أخذ في حالة أخرى بحق الدم المستمد من الأم، والمعزز بحق الإقليم. فلقد نص الفصل (٧) من قانون الجنسية المغربية لعام ١٩٥٨ على الآتي :

(يعتبر مغاربياً : ثانياً : الولد المزداد في المغرب من أم مغربية وأبٍ لا جنسية له). وبمقتضى هذا النص يمنح المولود الجنسية المغربية بهذه الشروط الثلاثة - التي شرحناها سابقاً :

١. أن تكون الأم مغربية الجنسية.

٢. أن يكون الأب عديم الجنسية. والملاحظ على القانون المغربي أنه قد فرق بين حالتين : الأولى : هي كون الأب مجهولاً. وفي هذه الحالة لم يشترط القانون أن تكون الولادة في داخل المغرب - كما تقدمت الإشارة إليه سابقاً - .

الثانية : هي كون الأب عديم الجنسية - وهي هذه الحالة الماثلة - . وهنا أشترط القانون أن تكون الولادة في داخل المغرب. ويدو أن هذا الإتجاه لامبر له، إذ أن الحكمة تكاد تكون واحدة، ما دام الأب مجهولاً أو عديم الجنسية. ولذلك لم تأخذ التشريعات العربية بهذه التفرقة - كقاعدة عامة - .

وما تقدم في هذا المطلب، يتضح أن ثمة اتجاه آخر قد سلكته التشريعات العربية، يتمثل بالنص على أن للأم دوراً في نقل جنسيتها إلى أولادها بناءً على حق الدم المستمد منها - حق الدم الشانوي - والمعزز بحق الإقليم. مما يعني أن حق الدم هنا لم يكن لوحده قادرًا على فرض الجنسية، فعزز بحق الإقليم. ولا يفوتنا القول، أن دور الأم إنما يقتصر على نقل الجنسية فيما لو كان الأب مجهولاً، أو مجهول الجنسية، أو عديمها، بحسب التفصيل الذي أشرنا إليه.

١٤. ينظر بهذا الصدد: د. حسن الممي ، الجنسية في القانون التونسي ، نقاً عن د. هشام خالد ، مصدر سابق ، ص ١٨٠ .

## المبحث الثاني: دور الأم في نقل الجنسية المبئنة على حق الدم المستمد منها لله الشانوي لله في التشريعات العراقية

سنستعرض هنا موقف تشريعات الجنسية العراقية في المدة ما بين تأسيس الدولة العراقية في عشرينات القرن الماضي ، والى حين تغيير النظيم السابق في عام ٢٠٠٣ وصدور دستور عام ٢٠٠٥ .  
وتأسساً على ذلك ، فإننا سنين موقف قانون الجنسية العراقية الأول رقم ٤٢ لسنة ١٩٢٤ - الملغى - ثم نبين موقف قانون الجنسية العراقية الثاني رقم ٤٣ لسنة ١٩٦٣ - الملغى - . وهذا ما يستدعي توزيع هذا البحث إلى مطلبين اثنين.

### المطلب الأول: موقف قانون الجنسية العراقية رقم ٤٢ لسنة ١٩٢٤

لعل من نافلة القول ، إن القانون الأول الذي صدر لتنظيم أمر الجنسية في العراق ، هو قانون الجنسية رقم ٤٢ لسنة ١٩٢٤ . ومعلوم أن هذا القانون هو الذي أسس الجنسية العراقية ، وقد صدر وفقاً لمعاهدة لوزان المبرمة في عام ١٩٢٣ بين بريطانيا وحلفائها في الحرب العالمية الأولى من جهةٍ ، والدولة العثمانية من جهة أخرى . وبموجبها اعترفت الدولة العثمانية بانسلاخ العراق منها وتأسيسه الدولة العراقية .

وحيث أن هذه المعاهدة - التي دخلت حيز النفاذ في ٦ آب عام ١٩٢٤ - قد أوجبت في المادة "٣٠" منها تنظيم جنسية أهالي الأقاليم المنسلحة عن الدولة العثمانية بوجب قانون محلي ، لذا فقد أصدر العراق في ١٠/٩/١٩٢٤ أول قانون للجنسية العراقية ، وهو القانون المشار إليه سابقاً . وقد نص فيه على أن نفاذة يكون من يوم نفاذ معاهدة لوزان في ٦ آب عام ١٩٢٤<sup>(١٥)</sup> .

وفيما يتعلق بدور الأم في نقل جنسيتها إلى أولادها في هذا القانون ، فإن الملاحظ أن الفقرة (أ) من المادة الثامنة من هذا القانون قد نصت على الآتي : "يعتبر عراقياً : كل من كان له حين ولادته بصرف النظر عن محلها والد عراقي..." .

ومن هذا النص يمكن أن نستنتج أن الأم العراقية لم يكن بإمكانها أن تقوم بنقل جنسيتها إلى أولادها ، لأن هذا الحق مقتصر على الأب دون الأم .

ومن الجدير بالذكر أن تساؤلاً قد أثير في ظل القانون القديم الملغى لعام ١٩٢٤ ، يتعلق بمدى حق الأم العراقية في نقل جنسيتها إلى أولادها ، فيما لو كان الأب مجهولاً . ولقد اختلفت الآراء آنذاك ، والسبب في هذا الاختلاف يكمن في الاختلاف حول تفسير مصطلح "والد" وما إذا كان يقتصر على الأب وحده ، أم أنه يشمل الأم كذلك .

فقد ذهب الرأي الأول إلى أن مصطلح "والد" الوارد في النص المقدم ، يشمل الأب لوحده ، دون الأم . وحججة هذا الرأي مستقاة من كلمة "Father" الواردة في النص الانكليزي لقانون الجنسية . وتأسساً على هذا الاجتهد فإن الولد غير الشرعي ، والذي لم يثبت نسبة إلى أبيه ، لا يكتسب جنسية أمه العراقية بوجب الفقرة "أ" من المادة ٨ المذكورة آنفاً .

ويترتب على ذلك أن الأولاد غير الشرعيين المولودين في العراق من أم عراقية وابٍ مجهول سيقعون في حالة اللاجنسية . وعلى عكس هذا الرأي ، ذهب رأي آخر إلى القول ، بأن نص الفقرة "أ" من المادة (٨) تسمح للأم العراقية بنقل جنسيتها إلى أولادها غير الشرعيين - أي المولودين لأبٍ مجهول - ، وحججة

١٥ - د. حسن الهداوي و د. غالب علي الداودي ، القانون الدولي الخاص ، ج ١ ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، بدون سنة طبع ، ص ٤٠ .

هذا الرأي تمثل في أن كل تذكير في القانون يحمل على التأنيث، ما لم توجد قرينة صارفة، إعمالاً للمادة الثانية من قانون الجنسية<sup>(١٦)</sup>، ونظراً لاتقاء هذه القراءة، فإن مصطلح أو الكلمة "الوالد" الواردة في النص المتقدم تشمل الأم بالإضافة إلى الأب.

وهذا ما أيدته ديوان التدوين القانوني في أحد قراراته<sup>(١٧)</sup>. عندما قرر أن الأولاد الصغار يتبعون الأم في اكتساب الجنسية العراقية في حالة وفاة الأب. وعلى أية حال يبدو أن وزارة الداخلية قد رجحت الرأي الثاني، وذلك عندما قررت منح الجنسية العراقية لأولاد الأم العراقية والأب المجهول.

وبناءً على ما تقدم، فإن الأم العراقية في ظل القانون المتقدم، لم تكن قادرة على نقل جنسيتها إلى أولادها إذا كان زوجها مجهول الجنسية أو عديمها، فإذا ولد للأم العراقية ولد شرعي وكان زوجها عديم الجنسية، فإن هذا الولد سيكون عديم الجنسية أيضاً، حتى لو كان محل ولادته في العراق، وهكذا لو كان الزوج مجهول الجنسية<sup>(١٨)</sup>.

#### المطلب الثاني: موقف قانون الجنسية العراقية الملغى رقم ٤٣ لسنة ١٩٦٣

يعتبر قانون الجنسية العراقية الملغى رقم ٤٣ لسنة ١٩٦٣ من التشريعات التي لم تسمح للأم بنقل جنسيتها إلى أولادها إلا استثناءً. ومعنى بذلك أن يعزز حق الدم المستمد من الأم بحق الإقليم. إذ يجب أن تكون الولادة في داخل العراق. وفي هذا السياق جاءت الفقرة "٢" من المادة "٤" من هذا القانون لتنص على الآتي :

"يعتبر عراقياً ... ٢- من ولد في العراق من أم عراقية وأب مجهول أو لا جنسية له ."  
ومن هذا النص يمكن أن نستشف الشروط الواجب توافرها، لكي تستطيع الأم العراقية نقل الجنسية إلى أولادها، وهذه الشروط تمثل بالآتي :

#### ١- الشرط الأول أن تكون الأم عراقية الجنسية :

ينبغي أن تكون الأم عراقية الجنسية، بصرف النظر عن طبيعة هذه الجنسية، اصيلةً كانت أو طارئة. كما يشترط أن تكون الأم متعدة بالجنسية العراقية لحظة ولادة المولود، فإن لم تكن كذلك، لم يكن يسعها نقل الجنسية. وبناءً على ذلك لو افترضنا أن الأم كانت عراقية وقت الحمل، ثم فقدت جنسيتها قبل الولادة، لم ينطبق النص عليها. وهكذا لو أفترضنا أنها لم تكن عراقية الجنسية وقت الحمل والولادة، ثم اكتسبت الجنسية العراقية بعد ذلك، فإن النص لا ينطبق عليها أيضاً، الأمر الذي يعني عدم امكانية منع الجنسية العراقية لمولودها استناداً على حق الدم المستمد منها.

ولا يفوتنا القول هنا، إن تمعن هذه الأم بجنسية أخرى إلى جانب جنسيتها العراقية، لا يؤثر في قدرتها على نقل الجنسية العراقية إلى ولديها ما دامت لحظة الولادة متعدة بهذه الجنسية، بمعنى أوضح، إن مسألة ازدواج الجنسية بالنسبة لهذه المرأة لا يؤثر في مدى انطباق النص، ذلك لأنه لا يعتمد من الناحية القانونية إلا بالجنسية العراقية فقط إعمالاً للقواعد العامة. ويجب إثبات واقعة الولادة بالوثائق الرسمية الأصلية.

١٦- تنص المادة الثانية من قانون الجنسية القديم الملغى رقم ٤٢ لسنة ١٩٢٤. على ما يأتي: "كل تذكير في هذا القانون يشمل التأنيث ما لم تقم قرينة على خلاف ذلك".

١٧- المؤرخ في ١٤/٥/١٩٣٤.

١٨- د. حسن الهداوي، الوجيز في القانون الدولي الخاص، ج ١، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦١، ص ٤١٣٩ نقلًا عن د. هشام خالد، مرجع سابق، ص ٢٣٩. ٢٤١.

## ٢- الشرط الثاني : أن تتم الولادة في داخل الإقليم العراقي :

يلاحظ في هذه الحالة، أن حق الدم المستمد من الأم، لم يكن - لوحده - كافياً في نقل الجنسية العراقية إلى المولود، بل إنه دعم بحق آخر، هو حق الإقليم. ونعني بذلك ضرورة حصول الولادة في داخل إقليم العراق، البري أو البحري أو الجوي. وببناء على ذلك لو افترضنا أن هذا المولود قد ولد في خارج العراق، ثم أدخلته أمه العراقية إلى العراق، لم يكن بذلك قادراً على الحصول على الجنسية العراقية.

## ٣- الشرط الثالث : جهة الأب أو انعدام جنسيته :

لا يكفي لتطبيق النص المذكور آنفًا، أن تكون الأم عراقية الجنسية، والولادة في داخل العراق، بل لابد من إضافة شرط ثالث يتعلق بالأب - إذ ينبغي أن يكون الأب واحداً من أمرin: إما مجهولاً، أو منعدم الجنسية. ونقصد بمجهولة الأب، أن نسب المولود لم يثبت إليه، إما لأنه ثمرة اتصال غير مشروع، بمعنى أن الولد غير شرعي، أو أنه ثمرة اتصال مشروع، لكن الأب ينكر نسبة. أما عديم الجنسية - كما ذكرنا سابقاً - فالمقصود به الشخص الذي لا يتمتع بجنسية أيّة دولة من الدول - لأي سبب كان - .

وبناء على ذلك، إذا كان المولود في العراق لأم عراقية، وأب مجهول أو لا جنسية له - أي عدم الجنسية - ، فإنه سيمنح الجنسية العراقية، تطبيقاً للنص المذكور آنفًا - وهو الفقرة الثانية من المادة الرابعة - .

أما إذا لم يكن الأب كذلك، كأن يكون معلوماً غير مجهول، أو معلوم الجنسية، فهنا سيأخذ المولود جنسية أبيه لا جنسية أمه، ذلك أن المشرع إنما فرض هذه الحالة - المثلثة - استثناءً من القاعدة العامة وحتى لا يقع المولود للأم العراقية في حالة اللاجنسية ويكون عديم الجنسية. وحيث أن الأب معلوم الجنسية، إذا تنتهي الحاجة إلى اللجوء إلى الاستثناء، ويعاد العمل بالقاعدة العامة، المتمثلة بأن الأب ينقل جنسيته إلى أولاده.

## آثار استعلام حال الأب أو اكتشاف جنسيته :

يمكن أن تثار عدة أسئلة، تتعلق باستعلام حال الأب، أو اكتشاف جنسيته. وببداية لابد من التتويه إلى أن هذه الجنسية، هي عبارة عن جنسية مؤقتة، ذلك أنها مهددة بالزوال، متى ما اكتشفت جنسية الأب، أو تم استعلام حاله. فإذا ما تبين أن الأب يتمتع بجنسية دولة ما فإننا تكون بإزاء أكثر من فرض :

### - الفرض الأول : أن يتبيّن أن الأب عراقي الجنسية :

في هذا الفرض، نفترض أن الأب، تبيّن بأنه يتمتع بالجنسية العراقية وأنه كان عراقياً منذ لحظة ولادة المولود، بيد أن هذه الجنسية كانت مجهولة وغير معلومة. هنا سوف يظل المولود متعمداً بالجنسية العراقية، كما كان، بيد أن الأساس القانوني لفرض الجنسية سيتغير. وبعد أن كان أساسها حق الدم المستمد من الأم - وبالشروط المذكورة آنفًا - سيصبح أساسها، حق الدم المستمد من الأب وحده. ولربما يكون الأب يحمل الجنسية العراقية لوحدها، أو أن يكون مزدوج الجنسية، فهذا لا يؤثر في الأمر شيئاً.

### - الفرض الثاني : أن يتبيّن أن الأب أجنبي الجنسية :

في هذا الفرض، نفترض أن يتبيّن أن جنسية الأب أجنبية غير عراقية، يتربّ على ذلك زوال الجنسية العراقية عن المولود وبتأثير رجعي، ويعدّ كأن لم يكن عراقياً من قبل. دونما فرق، بين ما إذا استطاع هذا المولود من الدخول في جنسية أبيه الجديدة، أو لم يستطع، بحسب ما ينص عليه قانون جنسية الأب.

وبناءً على ذلك فان من المتصور، أن يقع هذا المولود في حالة اللاجنسية، ويغدو عديم الجنسية، بعد أن فقد جنسيته العراقية من جهة، ولم يستطع الدخول في جنسية أبيه الجديدة، من جهة أخرى، لأن قانون جنسية الأب لا يمنحه إياها. هذا كله من ناحيةٍ، ومن ناحيةٍ أخرى، فإن زوال الجنسية العراقية عن المولود، تقع سواءً كان هذا المولود بالغاً سن الرشد، أو أنه لما يزال قاصراً، ذلك أن الزوال يحدث بأثر رجعي، كما ذكرنا.

### - الفرض الثالث: أن يتبيّن أن الأب عديم الجنسية:

في هذا الفرض، يتبيّن أن الأب، لا يحمل الجنسية العراقيّة من جهةٍ، كما أنه لا يتمتع بجنسية أيّة دولة، إنما هو عديم الجنسية. في هذا الفرض، يظل المولود محتفظاً بجنسية العراق التي اكتسبها عن طريق أمه. أما إذا قام هذا الأب باكتساب جنسية جديدة، بعد ولادة المولود، فإن هذا أيضاً لا يؤثّر في جنسية المولود، الذي لا يفقد جنسيته العراقيّة بمجرد هذا الاكتساب، ذلك أن العبرة بجنسية الأب لحظة الولادة لا قبلها، ولا بعدها. وليس صحيحاً القول بإمكانية قياس ذلك، على الحكم الذي يقضي بأنّ العراقي الذي يفقد الجنسية العراقية، فإن أولاده الصغار يفقدون أيضاً بالتبعية الجنسية العراقية، والسبب في ذلك، أنّ هذا النص لا يسري إلا على العراقي الذي فقد جنسيته العراقية، في حين ان الحالة التي تتحدث عنها هنا، أنّ الأب هو أجنبي.<sup>(١٩)</sup>

هذا فيما يتعلق باكتشاف جنسية الأب، أما فيما يتعلق بالنسبة، فإن من الممكن أن يثبت نسب المولود لأم عراقية، إلى أبيه، بعد الولادة. فإذا ثبتت النسب، وتبيّن أنّ الأب عديم الجنسية، فإن المولود يبقى محتفظاً بجنسيته العراقية، أما إذا ثبتت جنسية أحدى الدول، فإن المولود هنا يفقد جنسيته العراقية، ذلك لأنّ الجنسية المستمدّة من جهة الأم ما قررت إلا لاستحالة تطبيق حق الدم المستمد من جهة الأب، بسبب عدم ثبوت النسب، وحيث أنّ النسب قد ثبت، فإن هذا يعني انتفاء الولد لأبيه منذ الولادة، لا من تاريخ ثبوت النسب، مما يعني أن المولود وقت ولادته، كان يتسبّب لأبٍ معلوم. وبذلك يتضيّق أحد شروط اكتساب الجنسية العراقية، وهو مجهولية النسب<sup>(٢٠)</sup>. وأما إذا ثبتت جنسية الأب هو العراقي الجنسية، فهنا سيتغيّر الأساس القانوني لفرض الجنسية، وبعد أن كانت نفرض استناداً على حق الدم المستمد من الأم (م٤ فقرة٢)، فإنها ستفرض استناداً على حق الدم المستمد من الأب (م٤ فقرة١).

ويستخلص من ذلك كله، أنّ الجنسية العراقية التي اكتسبها المولود عن طريق أمه، تبقى له، ما دام الأب مجهولاً، أولاً جنسية له، وإن هذه الجنسية تزول وبأثر رجعي، إذا ظهر الأب المجهول وأقر بنسب المولود، أو إذا ظهر الأب المتنع عن الاعتراف به، وثبتت النسب إليه، واتضح أنّ جنسية الأب كانت وما تزال أجنبية، والجنسية هنا تزول بصرف النظر عمّا إذا كان المولود ما زال صغيراً أو انه بلغ سن الرشد، وسواء دخل في جنسية أبيه الأجنبية أم لم يدخل. إن هذه النتيجة تعني إمكانية زوال الجنسية عن المولود حتى بعد بلوغه سن الرشد، بمعنى أن لا أجل محدد لزوال الجنسية، هذا هو ما يفهم من نص القانون، والسبب وراء ذلك يكمن في أن استعلام حال الأب أو جنسيته الأجنبية، يؤدي إلى الكشف عن حقيقة تردد

١٩. ينظر بصدق ذلك: د. حسن البداوي، الجنسية ومركز الاجانب، مطبعة الارشاد، الطبعة الثالثة، بغداد، ١٩٧٢، ص ٧٩، د. هشام خالد، مصدر سابق، ص ٣٦٣ وص ٣٨٥٣٨٣.

٢٠. ينظر بصدق ذلك: د. حسن البداوي، المصدر السابق، ص ٧٩.

إلى يوم ولادة المولود، ويختلف عنصر جوهري من عناصر فرض الجنسية العراقية المبنية على حق الدم المنحدر من جهة الأم، وحق الإقليم المستند على حصول الولادة في العراق من أبي مجھول أو لا جنسية له. ونخن هنا نتفق مع من يذهب إلى أن المشرع كان عليه أن يحکم باستمرار الجنسية العراقية للمولود، بعد ظهور والدِه الأجنبي، وذلك فيما لو كان هذا المولود قد بلغ سن الرشد، مما يعني أن بلوغ سن الرشد يمثل أجالاً نهائياً لفقدان الجنسية العراقية، وأنذاك يعد الفرد قد حصل على حق يكتسب لا يجوز المساس به مطلقاً. إن هذا الإجراء هو خير من أن تبقى جنسية هذا الفرد مزرولة، إذ يمكن أن يتزوج وينجب أولاداً يكتسبون الجنسية العراقية بالتبعية إليه، فكيف يمكن القول بإمكانية فقدان كل هذه الأجيال للجنسية العراقية بعد ذلك<sup>(٢١)</sup>.

## الفصل الثاني: دور الأم في نقل الجنسية البوسنية على حق الدم المستمد منها "حق الدم المطلق - الأصيل"

لعل من نافلة القول، إن ما تم بيانه في الفصل السابق، إنما كان يتعلق بإمكانية الأم في نقل جنسيتها إلى أولادها، استناداً على حق الدم المستمد منها، والمعزز ببعض الشروط. وغني عن البيان، إن هذه الجنسية التي تنقلها الأم هي جنسية أصلية، وليس طارئة أو مكتسبة. لكنها في الوقت ذاته، لا تفرض بسبب حق الدم من جهة الأم فحسب، بل لابد من تعزيزه ببعض الحالات أو الشروط، وهي جهالة الأب، أو جهالة جنسيته، أو انعدامها. مما يعني أن السبب الرئيس وراء فرض هذه الجنسية، هي تلافي وقوع المولود في حالة اللا جنسية - بالإضافة إلى بعض الأمور الأخرى المذكورة سابقاً -. في هذا الفصل، نريد أن نتحدث عن إمكانية الأم ودورها في نقل جنسيتها إلى أولادها، استناداً على حق الدم المستمد منها فقط، وغير المعزز بأي حق آخر، أو أي شرط آخر. بعبارة أخرى، إننا نريد أن نتحدث عن دور الأم في نقل جنسيتها إلى أولادها، تماماً كما ينقل الأب جنسيته إلى أولاده، أي بالمساواة بينهما في نقل الجنسية إذ تكون الجنسية هنا، جنسية مفروضة - أصلية - وقائمة على أساس حق الدم المستمد من الأم لوحده.

وبغية الإحاطة بذلك كله، فإننا سنقوم بتقسيم هذا الفصل على مبحثين اثنين، نبحث في الأول منهما، في الحجج التي يعتمدها المناهضون لفكرة قدرة الأم في نقل الجنسية إلى الأولاد. بمعنى آخر، المناهضون لفكرة المساواة بين الرجل والمرأة في نقل الجنسية، وكذلك نعرض للحجج التي يعتمدها المؤيدون لفكرة المساواة. ونكرس المبحث الثاني لبيان موقف التشريعات العربية والعراقية من هذه الفكرة المهمة.

## المبحث الأول: حجج المناهضين والمؤيدین لفكرة المساواة بين الرجل والمرأة في نقل الجنسية

من المعلوم أن قدرة المرأة - الأم - على نقل جنسيتها إلى أولادها بشكل أصيل، ومتساو مع الرجل - الأب - قد نشب الخلاف بشأنه. وغني عن البيان، أن الفكرة السائدă في تشريعات الجنسية - بصورة عامة - ، ولا سيما في التشريعات العربية، تمثل بمعارضة فكرة المساواة هذه، إذ يقتصر الأمر على إعطاء دور للأم يتمثل بنقل الجنسية استناداً على حق الدم المستمد منها، والمعزز بالشروط، التي ذكرناها سابقاً. ولقد بقي الوضع هكذا إلى أن قامت بعض التشريعات العربية في السنوات الخمس الأخيرة بتغيير هذا الوضع - كما سيتضح لاحقاً -. لا ريب في أن الاتجاه المناهض يستند على حجج عديدة تدعم رأيه. كما

٢١ - ينظر : د.مدوح عبد الكريم حافظ، القانون الدولي الخاص وفق القانونين العراقي والمغربي، دار الحرية للطباعة، مطبعة الحكومة، ١٩٧٣ ، بغداد، ص ٨٦.

أن ثمة اتجاه آخر، يعارض الاتجاه الأول، ويؤكد قدرة المرأة - الأم - على نقل جنسيتها إلى أولادها، بشكل متساوٍ مع الرجل - الأب - وهذا الاتجاه يعتمد بالتأكيد على حجج عديدة، تدعم اتجاهه. وبغية الإحاطة بهذين الاتجاهين، فإننا سنوزع هذا البحث، إلى مطلين اثنين، نخصص الأول منهما، لعرض الاتجاه المناهض، وحججه، ونكرس الثاني منها، لعرض الاتجاه المؤيد، وأداته. وهذا ما سنتناوله تباعاً، إن شاء الله.

#### **المطلب الأول: الاتجاه المناهض وحججه**

يذهب فريق من الفقهاء - ومن قبلهم معظم تشريعات الجنسية العربية - ، إلى القول بضرورة التفرقة بين الأب والأم في نقل الجنسية إلى المولود، والقول بأن الأب وحده، هو الذي ينقل جنسيته - بشكلٍ أساسي و مباشر - إلى المولود، دون الأم. ولقد استند هذا الفريق، في توجيهه هذا، على أدلةٍ وحجج متعددة. ونحن هنا نقوم بالإشارة إلى هذه الحجج، التي يمكن حصرها بالأتي :

- ١- حجة إجتماعية.
- ٢- حجة إقتصادية.
- ٣- حجة أخلاقية.
- ٤- حجة أمنية.
- ٥- تلافي ازدواج الجنسية.
- ٦- انتساب المولود للأب وليس للأم.
- ٧- عدم مساواة المرأة والرجل.
- ٨- إمكان حصول المولود على الجنسية المكتسبة.
- ٩- عدم تشجيع زواج الوطنيات بالأجانب.
- ١٠- عدم الاندماج بالمجتمع.
- ١١- عدم مخالفه القانون الدولي.
- ١٢- عدم مخالفه الدستور.

وسنستعرض هذه الحجج في فروع مستقلة<sup>(٢٢)</sup>.

#### **الفرع الأول : الحجة الاجتماعية**

إن قوام هذه الحجة، هي اعتبارات الاجتماعية، ومؤداها، أن الأب هو الأقدر على تنشئة المولود تنشئة وطنية، وغرس الشعور لديه بالولاء. وهذا الولاء هو الذي يمثل العنصر الروحي في رابطة الجنسية. ثم إن الأب هو رب الأسرة مما يغلب دوره في تكوين عقلية الولد.

#### **الفرع الثاني : الحجة الاقتصادية**

وهي حجة قائمةٌ على اعتباراتٍ اقتصادية، تتعلق بمشكلة السكان. ومؤداها، ان الدول التي تعاني من كثافة سكانية، تكون بالمحصلة دولاً طاردة للجنسية والت الجنس، لا جاذبة لها. وبناءً على هذا، فإن اعطاء

٢٢ . ينظر بصدر هذا الاتجاه، وحججه، د. هشام علي صادق، مصدر سابق، ص ١٤ وما بعدها، د. عكاشه محمد عبد العال، أحكام الجنسية، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٣٥٢ - ٣٥٣ . د. هشام خالد، مصدر سابق، ص ٤٠١ وما بعدها، د. حفيظة السيد الحداد، مدخل إلى الجنسية ومركز الاجانب دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٧، ص ١٠٦ وما بعدها، د. عبد المنعم زمم، جنسية ابناء الأم المصرية، قرارات وزير الداخلية والتعديل التشريعي، دار النهضة العربية، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ١٩١ - ١٩٢ .

الأم الحق في نقل جنسيتها، سيفضي بالضرورة إلى زيادة عدد السكان، وهو أمرٌ يتنافى مع السياسة التشريعية لدول تعاني من المشكلة السكانية.

### **الفرع الثالث : الحجة الأخلاقية**

وقوام هذه الحجة، الاعتبارات الأخلاقية، التي تستلزم - بحسب أنصارها - ، ضرورة منع الأم الوطنية من نقل جنسيتها إلى أولادها المولودين في الخارج. إن هذا المنع سيفضي بالضرورة، إلى مكافحة ظاهرة الأولاد غير الشرعيين. بعبارةٍ أوضح، إن السماح للأم الوطنية بنقل جنسيتها إلى أولادها المولودين في الداخل أو الخارج، على حد سواء، من شأنه أن يزيد من ظاهرة الأولاد غير الشرعيين، وهي ظاهرة غير أخلاقية، بكل تأكيد، وتؤدي إلى تفكك الأواصر الاجتماعية.

### **الفرع الرابع : الحجة الأمنية**

ومفادها، إن الاعتبارات الأمنية تدعو إلى ضرورة عدم إعطاء الأم الوطنية، الحق في نقل الجنسية إلى أولادها، ما دام الأب هو أجنبي الجنسية. إذ أن دخول هؤلاء الأولاد في جنسية الأم سيجعلهم من المواطنين. إن النتيجة المترتبة على ذلك هي ضعف الرقابة الداخلية على نشاط بعض الأجانب، هذا بالإضافة إلى أن هؤلاء الداخلين في الجنسية لا يعلم حالهم، وما إذا كانوا متذمرين في المجتمع أو لا.

### **الفرع الخامس : تلافي إزدواج الجنسية**

إن إعطاء الأم الحق في نقل الجنسية إلى الأولاد، والتسوية بينها والأب في هذا الحق، سيؤدي، بلا شك، إلى تعدد أو ازدواج الجنسية. كما لو تزوجت امرأة عراقية برجل مصرى أو كويتى مثلاً، ولو افترضنا أنها نسوى بين الأم والأب في نقل الجنسية، فإن مؤدى ذلك أن يحصل المولود على جنسيةين، أي سيكون مزدوج الجنسية منذ لحظة الولادة، إذ سيحصل على جنسية الأب - الأجنبي - استناداً على حق الدم، وسيحصل كذلك على جنسية الأم العراقية، استناداً على حق الدم المستمد منها.

لقد بات واضحًا، أن ظاهرة ازدواج الجنسية، هي من الظواهر غير المرغوب فيها في المجتمع الدولي، وأن هذا المجتمع يحاول القضاء عليها، أو في الأقل، التخفيف من غلوتها، وذلك عبر إبرام المعاهدات الدولية المعنية بهذه المشكلة. هذا من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى، فلقد غدا معلوماً، أن هذه الظاهرة - ازدواج الجنسية - تتعارض مع الأصول والمفاهيم المثلية في الجنسية، تلك الأصول التي ينشدها المجتمع الدولي.

وفضلاً عن هذا وذاك، فإن هذه الظاهرة، توقع الفرد الذي يعاني منها، في مشكلاتٍ عديدة لا تعد ولا تحصى<sup>(٢٢)</sup>.

### **الفرع السادس : انتساب المولود للأب وليس للأم**

إن الأب هو الأصل الذي ينسب المولود إليه، وذلك وفقاً للأصول المتعارف عليها في الشريعة الإسلامية. تلك الشريعة التي تمثل المصدر الأساس للتشريع في معظم الدول العربية. وإن الأب هو الولي الشرعي للمولود، الأمر الذي يسوغ كون حق الدم المستمد من الأب، هو الأصل، وأن حق الدم المستمد من الأم يكون ثانوياً.

٢٣ - لمزيد من الاطلاع، على المساوى والمشكلات التي تثيرها هذه الظاهرة، ينظر: د. حسن الياسري، ازدواج الجنسية، في ضوء أحكام الدستور العراقي وقانون الجنسية الجديد والقانون المقارن، بغداد، ٢٠٠٨.

### الفرع السابع : عدم مساواة الرجل والمرأة

إن ثمة فرقاً بين الرجل والمرأة في المركز القانوني، ومن ثم يمكن ان تختص بعض الحقوق بالرجل دون المرأة. ومن هذه الحقوق، الحق في نقل الجنسية إلى الأولاد. فلقد أقرت الشريعة الإسلامية بالتفرقة بين الرجل والمرأة في بعض الحقوق، ومنها الحق في الميراث.

### الفرع الثامن : إمكان حصول المولود على الجنسية المكتسبة

إن عدم إعطاء الأم الحق في نقل الجنسية إلى الأولاد بشكل متساوٍ مع الأب، لا يعني إلغاء دور الأم في هذا المقام، ذلك أننا علمنا أن الأم يمكنها أن تنقل جنسيتها إلى الأولاد ببناء على حق الدم الشانوي - فيما لو كان الأب مجهولاً ، أو مجهول الجنسية، أو عديها- والجنسية هنا هي جنسية مفروضة بقوة القانون - أصلية- كما أنه يمكن من ناحية أخرى، للمولود من أم وطنية "كأن تكون عراقة الجنسية مثلاً" والولادة في خارج الإقليم "العراق" ، يمكن لهذا المولود أن يكتسب جنسية أمه (العراقية) بعد بلوغه سن الرشد . وإن الجنسية هنا هي جنسية مكتسبة - طارئة- . إن هذا النص معمول به في معظم تشريعات الجنسية العربية، ومنها القانون العراقي<sup>(٢٤)</sup> . ومن هنا يتضح أن للأم دوراً كبيراً في نقل الجنسية إلى الأولاد، وإن لم تكن بدرجة الأب.

### الفرع التاسع : عدم تشجيع زواج الوطنيات بالأجانب

إن عدم التسوية بين الرجل والمرأة في نقل الجنسية الأصلية إلى الأولاد، يفضي بطبيعة الحال، إلى عدم تشجيع الوطنيات على الزواج بالرجال الأجانب. إذ لو علمت المرأة أنها لو أقدمت على الزواج بـرجل أجنبي ، فإن أولادها لن يحصلوا على الجنسية الوطنية (العراقية مثلاً) ، فإن هذا ربما سيمثل رادعاً لها، للإقدام على هذا الزواج.

### الفرع العاشر : عدم الاندماج الحقيقي بالمجتمع

من المعلوم أن الجنسية تقوم في إحدى عناصرها - وفقاً للاحتجاهات المثالية في الجنسية - على الرابطة الروحية والاندماج الحقيقي والفعلي في المجتمع. إن هذه الرابطة الروحية، وهذا الاندماج الحقيقي، هو أمر غير متحقق بالنسبة للمولود من أبٍ أجنبي ، وأم وطنية. إذ الغالب أن تكون الإقامة في دولة الأب الأجنبي، لا في دولة الأم الوطنية، أو لربما في دولةٍ ثالثة. وبالمحصلة فقد يكون الاندماج متحققاً في دولة الأب الأجنبي ، لا في دولة الأم.

### الفرع الحادي عشر : عدم مخالفة القانون الدولي

إن التشريعات التي لا تسوى بين الرجل والمرأة في موضوع نقل الجنسية إلى الأولاد، لا تخالف القانون الدولي، وذلك استناداً على المبدأ المعروف في فقه القانون الدولي الخاص بـ (حرية الدولة في تنظيم جنسيتها). هذا المبدأ الذي يعني ببساطة ، أن لكل دولة الحق في تنظيم أمر جنسيتها على وفق قوانينها الخاصة ، وبما يحقق مصالحها. ومن مضامين هذا المبدأ، إختصاص الدولة وحدها في تنظيم جنسيتها، دون أن يسمح لأية دولة أخرى ، أو لأي فرد ، أو هيئة في التدخل في هذا الاختصاص. وبناء على ذلك ، فإن

٢٤- تنص المادة الخامسة من قانون الجنسية العراقية الملغى رقم ٤٣ لسنة ١٩٦٣ على الآتي : "للوزير ان يعتبر من ولد خارج العراق من أم عراقية وأبٍ مجهول او لا جنسية له، عراقي الجنسية، اذا اختارها خلال سنة من تاريخ بلوغه سن الرشد، بشرط ان يكون مقيناً في العراق وغير مكتسب جنسية اجنبية" ، ولقد جاء النص ذاته في المادة الرابعة من قانون الجنسية الجديد رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٦ ، مع اضافة العبارة الآتية: "... الا اذا حالت الظروف الصعبة دون ذلك بشرط ان يكون مقيناً في العراق وقت تقديم طلب الحصول على الجنسية العراقية".

الدول التي ترى أن مصالحها، تقتضي عدم المساواة بين الرجل والمرأة في قضية نقل الجنسية، لا يمكن الاحتجاج عليها بأنها خرقت القانون الدولي، بل هي مارست إختصاصاً منوطاً لها بموجب ذلك القانون. ولا يمكن القول أن ثمة دولاً أخرى، تسوى بين الرجل والمرأة في نقل الجنسية. إذ الأمر - كما قلنا - مرتبط بنظومة القوانين التي تعنتقها كل دولة من جهةٍ، وبمصالحها الخاصة التي تسعى إلى تحقيقها من خلال فرض الجنسية من جهةٍ أخرى. وإن الدول التي أجرت تلك المساواة، ربما تكون مصالحها قد إنقذت ذلك.

### الفرع الثاني عشر: عدم مخالفه الدستور

إن أنصار هذا الاتجاه، يذهبون إلى القول، بأن اتجahهم هذا، لا يتعارض مع الدستور بتاتاً. ومعنى ذلك أن كون هنالك فرقاً بين الرجل والمرأة في نقل الجنسية، لا يتعارض مع الدستور. إن السبب في ذلك يكمن في أن الدستور، وإن كان قد كفل المساواة بين الجنسين - في معظم الدساتير - ، إلا أن تلك المساواة، ترتبط بالمركز القانوني لكل من الرجل والمرأة في بعض الوظائف والحقوق. ومن هنا فإن القضية تتعلق بالمركز القانوني أكثر مما تتعلق بالحقوق. هذا من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى، فإن معظم الدساتير العربية تنص على ضرورة مراعاة أحكام الشريعة الإسلامية في تشريعاتها. ومؤدي ذلك جواز اختلاف مركز الرجل عن المرأة في بعض القضايا - من هذه الناحية - ، ما دام الأمر يتعلق بإجراءٍ تنظيمي، ويرتبط بمصالح الدولة العليا.

هذه هي أهم الحجج التي يعتمد عليها أنصار هذا الاتجاه، في تدعيم رأيهما، الذي ينسجم بالضرورة، مع موقفُ أغلب التشريعات العربية التي اعتقدت هذا الاتجاه من قبل.

#### المطلب الثاني: الاتجاه المؤيد وججه

هنالك اتجاه آخر على التقيض من الاتجاه الأول، يذهب إلى ضرورة التسوية بين الرجل والمرأة - الأب والأم - في نقل الجنسية إلى الأولاد. وقد أسميناه بالاتجاه المؤيد، لأنه يؤيد فكرة إعطاء الأم دوراً اصيلاً ومتقدماً في نقل الجنسية، على حد سواء مع الأب. ومعنى ذلك أن يكون للأم دور أساسٍ في نقل الجنسية الأصلية إلى الأولاد على حد سواء مع قدرة الأب، دون أن يكون ذلك الحق مقتضاً على ما يعرف بـ "حق الدم الشانوي". وبالمحصلة فإن هذا الاتجاه يتعارض مع اغلب التشريعات العربية التي تعطي للأم دوراً ثانوياً في نقل الجنسية إلى الأولاد، خلافاً للدور الأب الذي تعطيه دوراً أساسياً ومتقدماً، بناءً على حق الدم المطلق، لا الشانوي. وبطبيعة الحال، فإن هذا الاتجاه الفقهي، يعتمد على حجج متعددة، يمكن تصنيفها إلى صنفين:

- صنفٌ هو عبارة عن حججٍ يعتقد بها هذا الاتجاه.

- صنفٌ هو عبارة عن ردٍّ ودحضٍ للحجج التي قدمها الاتجاه المناهض.

وأياً كان الأمر، فإننا سنقوم بعرضُ أهم هذه الحجج بصورةٍ موجزة في فروعٍ ثانية. <sup>(٢٥)</sup>

### الفرع الأول: الرد على الحجة الاجتماعية

إن أنصار هذا الاتجاه، يردون على الاتجاه الأول، بتصدي الحجة المتعلقة بالطابع الاجتماعي، ويعني بذلك كون الأب هو الأصل، وهو الذي يزرع في أبنائه الشعور بالانتماء إلى البلد، وينمي فيهم الروح الوطنية. وفحوى هذا الرد، يتمثل بالقول، بأن ليس الأب وحده، هو الذي يسهم في ذلك، بل الأم يمكن

٢٥ - ينظر بتصدي هذه الحجج: د. هشام علي صادق، مصدر سابق، ص ١٤ وما بعدها، د. عكاشه عبد العال، أحكام الجنسية، ص ٣٥٥٣٥٤، د. حفيظة الحداد، مدخل إلى الجنسية ومركز الاجانب، ص ١١٤ وما بعدها، د. هشام خالد، مصدر سابق، ص ٤٧٦ وما بعدها، د. عبد المنعم زمزم، مصدر سابق، ص ١٩٢ وما بعدها.

أن تلعب الدور ذاته، بل ربما قد تفوقه في أحيان. ويمكن للأم أن تزرع في نفوس أولادها حب الوطن، وتربي لديهم القيم والمثل الوطنية. والمحصلة أن الأم تتساوى في هذا الدور مع الأب.

### الفرع الثاني : الرد على الحجة الإقتصادية

إن أنصار هذا الاتجاه يردون على الحجة التي أبدتها، الاتجاه الأول، ذات البعد الاقتصادي، والمتعلقة بكون الدول ذات الكثافة السكانية، تسعى لتقليل حالات التجنس واكتساب الجنسية.

إذ يقولون بأن الكثافة السكانية في الدولة لا تعالج من خلال حرمان الأم من نقل الجنسية بالسواء مع الأب. وإنما يكون ذلك عبر برنامج تضعه الدولة لمعالجة هذه المشكلة، ومن خلال تنظيم النسل، كما يحدث في بعض الدول التي تعاني من هذه المشكلة.

### الفرع الثالث : الرد على الحجة الأمنية

قد قمنا سابقاً، أن الاتجاه المناهض، يعتمد في بعض حججه، على دواعي الأمان واعتبارات الأمان القومي. إن أنصار الاتجاه الآخر، يردون على هذه الحجة بالقول، إن الاعتبارات الأمنية لا دخل لها في هذه القضية، وإن من غير الصحيح الرجح بالاعتبارات الأمنية في قضية نقل الأم جنسيتها إلى أولادها. ذلك أن فكرة - دواعي الأمان - هي فكرة مرنة، وقابلة للاجتهد. هذا من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى، فإن دواعي الأمان تبقى قائمة حتى بالنسبة لدور الأب في نقل الجنسية إلى أولاده، ولا سيما فيما إذا تزوج الرجل الوطني بإمرأة أجنبية.

### الفرع الرابع : تلافي إزدواج الجنسية

من الحجج التي استند إليها الاتجاه الأول - المناهض - هو أن إعطاء الجنسية لأولاد الأم الوطنية بشكل متساوٍ مع الأب، يؤدي إلى تزايد ظاهرة إزدواج الجنسية. وقد بات معلوماً مدى المشكلات التي تسببها هذه الظاهرة. وللرد على هذه الحجة، فإن أنصار الاتجاه الآخر يذهبون إلى القول بأن تشريعات الجنسية - بشكل عام - تتعجب بكثير من حالات الإزدواج. مما يعني أن تشريعات الجنسية، تسمح لهذه الظاهرة بالنمو، ولو بصورةٍ غير مباشرة. ومن ناحيةٍ ثانية، فإن مكافحة هذه الظاهرة - العالمية - لا تكون عبر تشريع الجنسية في دولةٍ ما، إنما يكون ذلك، عبر التعاون ما بين الدول، بغية إيجاد الحلول الفعلية لمكافحة هذه الظاهرة. وهذا هو الاتجاه الذي سارت عليه معاهدات دولية عديدة. ومن ناحيةٍ ثالثة، فإن ظاهرة الإزدواج المترتبة على إعطاء الأم الدور الأساس في نقل الجنسية إلى أولادها، يمكن تلافيها، عبر إعطاء هؤلاء الأولاد الخيار بين جنسية الأم، أو جنسية الأب، عد بلوغهم سن الرشد.<sup>(٢٦)</sup>

### الفرع الخامس : مساواة المرأة بالرجل

إن أنصار هذا الاتجاه، يصررون على أن عدم إعطاء الأم الحق في نقل الجنسية إلى الأولاد، على حد سواء مع الأب، هو من الأمور التي تخل بمبدأ المساواة بين الرجل والمرأة. تلك المساواة التي تنادي بها المعاهدات الدولية، ونصت عليها أغلب الدساتير. ومن ثم فان عدم مساواة الأم بالأب في نقل الجنسية الأصلية يعد مخالفًا للدستور كذلك.

### الفرع السادس : ضرورة مواكبة تشريعات الجنسية للتطورات الاجتماعية والاقتصادية

من المعلوم ان المجتمعات المعاصرة، تعيش حالة من الانفتاح الاقتصادي والاجتماعي، ذلك الانفتاح الذي أدى الى حدوث كثير من الزيجات المختلطة. وبإزاء هذا الواقع ينبغي على التشريعات أن تعالج ما يسفر عن هذه الزيجات، وأن توافق التطور، وذلك عبر السماح لأولاد الأم الوطنية باكتساب جنسية أمهم

٢٦ . للمزيد حول اجراءات تلافي ظاهرة إزدواج الجنسية، ينظر: د. حسن الياسري، إزدواج الجنسية، مصدر سابق .

المتزوجة بأجنبى، وبصرف النظر عن مكان الولادة. وإن المشكلة لتزداد، حينما يحصل طلاق، وتعود الأم الوطنية إلى ديارها، دون أن يحصل أولادها على الجنسية.

#### الفرع السابع : إحترام الأصول المثالية في الجنسية

هناك أصول مثالية متعارف عليها تحكم موضوع الجنسية. ومن هذه الأصول ضرورة أن يكون لكل إنسان الحق في الجنسية. وكذلك الطفل، إذ ينبغي أن تكون له جنسية أحدى الدول. إن هذا الحق يقابله، بالتأكيد، التزام يقع على عاتق الدولة بضرورة منح هذه الجنسية لكل من يرتبط معها برابطة الدم أو الإقليم، وفقاً لقوانين الدولة.

وهذا ما أكد عليه الإعلان العالمي لحقوق الإنسان<sup>(٢٧)</sup>، وكذلك العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية<sup>(٢٨)</sup>، بالإضافة إلى الاتفاقية الدولية بشأن تقليل حالات انعدام الجنسية<sup>(٢٩)</sup>. وغير ذلك.<sup>(٣٠)</sup>

#### المبحث الثاني: موقف التشريعات العربية والعراقية

نتحدث عن ذلك عبر مطلبين، نبحث في الأول منها في موقف التشريعات العربية من إعطاء الأم دوراً أساسياً في نقل الجنسية إلى الأولاد، ونبين في الثاني منها، موقف القانون العراقي.

##### المطلب الأول: موقف التشريعات العربية

لقد كانت التشريعات العربية، والى وقت قرب، تتبنى الاتجاه المناهض للتسوية بين الأب والأم في نقل الجنسية الأصلية إلى الأولاد. فلقد كانت هذه التشريعات - قاطبة - ، تعطي للأم دوراً ثانوياً، يتمثل بالحق في نقل الجنسية بناءً على ما أسميناها "حق الدم الشانوي". وبمقتضاه يكون للأم الوطنية دور في نقل جنسيتها إلى أولادها، ولكن بشروط، وهي أن يكون زوجها إما مجهولاً غير معروف، أو مجاهلاً الجنسية أو عديها. ولقد تبين لنا في العرض السابق أن بعض التشريعات العربية تشترط أن تكون الولادة في الإقليم لا خارجه، بالإضافة إلى الشروط المذكورة آنفاً.

ما تقدم، ومن العرض السابق في الفصل الأول من هذا البحث، يتجلّى لنا بوضوح، أن التشريعات العربية، لم تعط للأم دوراً في نقل الجنسية إلى أولادها، استناداً على ما أسميناها "حق الدم الأصيل"، إنما يقتصر دورها في نقل الجنسية، بناءً على "حق الدم الشانوي". ولقد أوفينا بذلك شرحاً فيما سبق.

ولقد بقي الحال هكذا، حتى عام ٢٠٠٤، عندما خطت مصر، ومن بعدها العراق، خطوات جريئةً، قلبت الوضع رأساً على عقب. ومن خلال متابعتي الدقيقة لهذا الموضوع، فإنني أخلص إلى القول، أن ثمة إنجاهين إثنين في الوقت الراهن يحكمان هذا الموضوع - أي قدرة الأم على نقل جنسيتها إلى الأولاد بصورةٍ أصليةٍ لا ثانوية - ، الأول يتمثل بالإتجاه التقليدي، الذي يمكن أن أصفه بـ(الإتجاه التقليدي). والثاني

٢٧ - تنص المادة الأولى من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في ١٠ كانون الأول عام ١٩٤٨ على الآتي :

١- لكل فرد حق التمتع بجنسية ما.

٢- لا يجوز تعسفاً حرمان أي شخص من جنسيته ولا من حقه في تغيير جنسيته .

٢٨ - تنص المادة الرابعة والعشرون (٢٤) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية الصادر في ١٦ كانون الأول عام ١٩٦٦ ، على ما يأتي : "يكون لكل ولد، دون أي تمييز بسبب العرق أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الأصل القومي أو الاجتماعي او الشروءة أو النسب، حق على أسرته وعلى المجتمع وعلى الدولة في اتخاذ تدابير الحماية التي يقتضيها كونه قاصراً .

٢- يتوجب تسجيل كل طفل فور ولادته ويعطى إسماً يعرف به .

٣- لكل طفل حق في اكتساب جنسية ."

٢٩ - تنص المادة الأولى (١) من هذه الاتفاقية التي اعتمدها مؤتمر المفوضين في عام ١٩٥٩ ، ثم في عام ١٩٦١ ، على الآتي : "١- تمنح كل دولة متعاقدة جنسيتها للشخص الذي يولد في إقليمها ويكون لولا ذلك عديم الجنسية..." .

٣٠ - ومنها معايدة لاهي ب شأن الجنسية لعام ١٩٣٠ ، والاتفاقية الخاصة بوضع اللاجئين لعام ١٩٥١ .

يتمثل بالإتجاه الذي يمكن أن أصفه بـ (الإتجاه الحديث)، الذي غير النظرية من أساسها، وقام بإعتماد نظرية جديدة.

وحيث أننا قد ذكرنا موقف الإتجاه التقليدي، وقلنا بأن التشريعات العربية كلها، كانت تأخذ بهذا الإتجاه، الذي مفاده أن الأم لا تستطيع أن تنقل جنسيتها إلى أولادها بصورةٍ أصليةٍ كالآب، وإنما يبقى دورها مقتضياً على ما ذكرناه سابقاً، من نقل الجنسية بصورةٍ ثانوية. أما الإتجاه الحديث، فالملاحظ أن بعض التشريعات العربية، في السنوات الست الأخيرة، قد أخذت بنظريّة جديدة، تلك هي المتعلقة بالتسوية بين الآب والأم في نقل الجنسية إلى الأولاد. بعبارة أخرى، أن الأم تنقل جنسيتها إلى أولادها تماماً كما ينقلها الآب، وبصورةٍ أصليةٍ، بناءً على ما أسميه (حق الدم الأصيل أو المطلق). وبالنظر لأهمية هذا الإتجاه، وما أحده من نقلٍ نوعيٍّ، ولكونه إنجهاً جديداً لم تسلط الأضواء عليه، ولا يعلمه الكثير من الباحثين، فسأحاول تسليط الضوء عليه.

تعد مصر الدولة العربية الأولى التي أخذت بالإتجاه الحديث، وقضت بأن الأم المصرية تنقل جنسيتها إلى الأولاد، مثلها كمثل الآب. ثم تلاها العراق في هذا الموقف، فالجزائر، فالمغرب، فتونس. تلك دول خمس أخذت بهذا الإتجاه. وسنستعرض موقف تشريعات هذه الدول بحسب تسلسلها الزمني، وأرجئ الحديث عن القانون العراقي إلى المطلب الثاني.

#### أولاً : القانون المصري وتعديلاته في عام ٢٠٠٤ :

لقد بينما سبق موقف القانون المصري، وأنه جاء متوافقاً مع منظومة التشريعات العربية، فيما يتعلق بموضوع البحث. ييد أن الفقه المصري لم يهدأ له بال، وبدأ الشرح المصريون يعالجون هذه المشكلة - قدرة الأم على نقل الجنسية إلى الأولاد بصفةٍ أصليةٍ كالآب - بمزيدٍ من البحث والتحليل. ولقد كان جلهم من أنصار الإتجاه المؤيد لإعطاء الأم دوراً مساوياً للآب في عملية نقل الجنسية. إن ما قام به الفقه القانوني المصري، لم يحدث في أي بلدٍ عربي آخر، وهو أمر ليس بغربي، إذ أن الفقه القانوني المصري له السبق في معظم القضايا القانونية. وعلى أية حال، فإن هذه الآراء التي سطرها الشرح والفقهاء، قد آتت أكلها، وتركت تأثيراً في الرأي العام المصري من جهةٍ، وفي موقف المشرع من جهةٍ أخرى. وفعلاً فقد استجاب المشرع المصري لهؤلاء الشرح والفقهاء في عام ٢٠٠٤، فصدر في تموز منه قانون التعديل رقم ١٥٤ لعام ٢٠٠٤، ليحدث تغييرًا شاملًا وجذريًا في الموضوع. إذ يقتضي هذا القانون أصبحت الأم المصرية قادرة على نقل جنسيتها إلى أولادها - من زوجها الأجنبي - ، تماماً وعلى حد سواء مع قدرة الآب المصري، بصورةٍ مطلقة، دون قيدٍ أو شرطٍ مضيق. فما دام الآب المصري ينقل جنسيته إلى أولاده، كذلك الحال في الأم المصرية، إذ لها القدرة على نقل جنسيتها إلى أولادها. وهكذا عدل قانون الجنسية المصرية رقم ٢٦ لعام ١٩٧٥، بهذا القانون. أي قانون رقم ١٥٤ لعام ٢٠٠٤<sup>(٣١)</sup>.

لقد نصت المادة الأولى من قانون تعديل قانون الجنسية رقم ١٥٤ لعام ٢٠٠٤ على الآتي:

"يستبدل بنص المادة (٢) من القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٧٥ بشأن الجنسية المصرية، النص الآتي:

مادة (٢) : يكون مصريةً :

١- من ولد لأبٍ مصرى، أو لأم مصرية.

٢- من ولد في مصر من أبوين مجهولين، ويعتبر اللقيط مولوداً فيها ما لم يثبت العكس".

ويتضح بجلاء، أن هذا النص قد قرر حق الدم المطلق من ناحية الآب والأم معاً. وبذلك أصبحت الأم قادرة على نقل جنسيتها المصرية إلى أولادها، على حد سواء مع قدرة الآب في ذلك.

٣١. لقد نشر قانون التعديل هنا، في الجريدة الرسمية، العدد ٢٨، بتاريخ ١٤/٧/٢٠٠٤.

### ثانياً : القانون الجزائري :

لقد جاء قانون التعديل رقم ٠١ - ٢٠٠٥<sup>(٣٢)</sup> ، لتعديل قانون الجنسية الجزائرية رقم ٧٠ - ٨٦ لعام ١٩٧٦ ، وليحدث نقلة في التشريع الجزائري. إذ جاءت المادة (٦) من هذا التعديل لتسير على هدى القانون المصري ، ولتنص على الآتي :

(يعتبر جزائرياً الولد المولود من أبٍ جزائري أو أمٍ جزائرية). وبذلك يكون هذا التعديل قد سوى بين الأب والأم في نقل الجنسية. إذ بات كلاً منهما ينقل الجنسية الأصلية إلى المولود، دون قيدٍ أو شرط، وبصرف النظر عن مكان الولادة.

### ثالثاً : القانون المغربي :

وعلى المثال ذاته سار القانون المغربي، وبعد أن كان هذا القانون - وكغيره من التشريعات العربية - لا يعطي الأم الحق في نقل الجنسية إلى أولادها بصورةٍ أصليةٍ ومطلقة. بات بعد التعديل المهم في عام ٢٠٠٧ ، يعطي ذلك الحق. فلقد جاء القانون رقم ٦٢ - ٢٠٠٧<sup>(٣٣)</sup> ، قانون تعديل قانون الجنسية المغربية لعام ١٩٥٨ ، لينص في الفصل (٦) على الآتي :

(يعتبر مغربياً الولد المولود من أبٍ مغربي أو أمٍ مغربية). وبهذا النص يكون القانون المغربي قد خطأ خطواتٍ كبيرة في مقام التسوية بين الأب والأم في نقل الجنسية الأصلية المبنية على حق الدم المطلق.

### رابعاً : القانون التونسي :

على الرغم من أن القانون التونسي كان سابقاً في إعطاء الأم دوراً أكبر في نقل جنسيتها، وذلك عبر تعديل القانون التونسي في تسعينيات القرن الماضي، وتحديداً في عام ١٩٩٣ ، الذي أعطى الحق للأم التونسية بنقل جنسيتها إلى ولدتها المولود في تونس من أبٍ أجنبي. لقد مثل هذا التعديل في وقته طفرة نوعية، إذ لم تكن التشريعات العربية تسمح بذلك - قاطبة - ، بل كانت تسمح للأم في ذلك فيما لو كان الأب مجهولاً أو محظوظاً أو عديماً - كما اتضح ذلك فيما سبق - .

أقول، على الرغم من موقف القانون التونسي هنا، إلا أنه من ناحيةٍ أخرى، قد تأخر في إعطاء الأم حقاً متساوياً مع الأب في نقل الجنسية عن القوانين في كل من : مصر والعراق والجزائر والمغرب. إذ أن القانون التونسي لم يعط الأم هذا الحق إلا في عام ٢٠١٠ . وعلى آية حال، فقد جاء القانون عدد ٥٥ لسنة ٢٠١٠<sup>(٣٤)</sup> ، قانون تعديل مجلة الجنسية التونسية عدد ٦ لسنة ١٩٦٣ ليعطي الأم التونسية هذا الحق. فلقد نص الفصل (٦ المعدل) على ما يأتي :

(يكون تونسيّاً الطفل الذي ولد لأبٍ تونسي أو لأمٍ تونسية). وبهذا النص تكون الأم التونسية قد تساوت مع الأب التونسي في نقل الجنسية إلى الأولاد بناءً على حق الدم المطلق لا الثانوي. وحيث قد تساوت الأم مع الأب، لذلك قام القانون بمحذف النصوص الأخرى التي كانت تعطي الأم دوراً ثانوياً في نقل الجنسية، فيما لو كان الأب مجهولاً أو محظوظاً أو عديماً.

### المطلب الثاني: موقف التشريعات العراقية

قد ذكرنا سابقاً موقف تشريعات الجنسية العراقية السابقة، وأعني بها قانون الجنسية العراقية الاول رقم ٤٢ لسنة ١٩٢٤ ، وقانون الجنسية رقم ٤٣ لسنة ١٩٦٣ . وقد تبين أن هذين القانونين لم يسمحا للأم بنقل جنسيتها إلى أولادها إلا استثناءً، وهو ما أسميناه "حق الدم الثانوي".

٣٢ - صدر بموجب الأمر رقم ٠١ - ٢٠٠٥ في ٢٧ شباط ٢٠٠٥ .

٣٣ - المؤرخ في ٢٣ آذار (مارس) ٢٠٠٧ .

٣٤ المؤرخ في ١ كانون الأول (ديسمبر) عام ٢٠١٠ .

وقد بقي الحال هكذا لغاية سقوط النظام السابق، وصدور الدستور العراقي الدائم الجديد لعام ٢٠٠٥ ، الذي أحدث تغييرًا جذرًا شاملًا في موضوع الجنسية، تمثل بعده مسائل جوهيرية عديدة. لكننا هنا نقتصر على موضوع بحثنا، وفيما يتعلق بهذا الموضوع، فإن النقطة التي أحدثها الدستور الجديد، تمثلت بالتسوية الكاملة بين الأب والأم في نقل الجنسية. بعبارة أخرى، إن الأم قد باتت قادرة على نقل جنسيتها بناءً على حق الدم الأصيل إلى أولادها، تماماً كقدرة الأب على ذلك. وهذا ما صرخ به البند الثاني من المادة (١٨) من الدستور، الذي نص على الآتي :

"يعد عراقياً كل من ولد لأبٍ عراقي أو لأمٍ عراقية، وينظم ذلك بقانون".

وبهذه المثابة يكون الدستور العراقي قد أرسى دعائمه الجنسية العراقية، بوضعه نصاً موجهاً إلى المشرع يلزمه بسن قانون جديد للجنسية العراقية<sup>(٣٥)</sup>، يكفل هذه المساواة. ويستشف مما سبق، ان الدستور العراقي لم يكتف بالنص على هذه الحالة "حق الدم الأصيل أو المطلق" للأم في القانون فحسب، بل نص عليها في متن الدستور. وفي ذلك اشارة إلى أنه أراد أن يرفع مستوى هذه الحالة إلى مصاف النص الدستوري لا القانوني فقط.

وتأسيساً على ما تقدم، يعد هذا الموقف رائداً، ليس على صعيد المنظومة التشريعية العربية فحسب، بل وعلى صعيد المنظومة التشريعية العالمية أيضاً. وهذا ما أشار إليه بعض خبراء الأمم المتحدة<sup>(٣٦)</sup>.

هذا ما يتعلق بموقف الدستور العراقي، أما فيما يتعلق بموقف القانون العراقي، فإن الملاحظ أن المشرع العراقي قد قام بسن قانون جديد للجنسية - إعمالاً للنص الدستوري المتقدم - فصدر قانون الجنسية العراقية الجديد - الثالث - رقم ٢٦ لعام ٢٠٠٦ . لقد كان هذا القانون ملزماً - كما أشرنا سابقاً - بالأخذ بالأسس التي وضعها الدستور من قبل، ومن ضمنها عدم جواز إسقاط الجنسية العراقية عن العراقي بالولادة، ورد الجنسية لكل من أسقطت عنه لأسباب سياسية أو دينية أو قومية. ومنها ما يتعلق بموضوعنا، إلا وهو إعطاء الأم دوراً متساوياً لدور الأب في عملية نقل الجنسية.

وهكذا جاء هذا القانون ليتص في الفقرة "أ" من المادة الثالثة، على الآتي :

"يعتبر عراقياً: أ- من ولد لأبٍ عراقي أو لأمٍ عراقية".

وبناءً على ذلك، أصبحت الأم العراقية قادرة على نقل جنسيتها إلى أولادها بناءً على حق الدم الأصيل - لا الثنائي - تماماً كقدرة الأب على ذلك.

ومن هذا النص يمكن ان نستنتج الحقائق الآتية:

١- إن الأم العراقية أصبحت قادرة على نقل جنسيتها إلى أولادها. سواءً أكانت الولادة داخل العراق أم خارجه ، وسواءً أكان زوجها عراقياً أم اجنياً.

٢- إن الأم لها القدرة على نقل الجنسية إلى الأولاد، بصرف النظر عما إذا كان الزوج عديم الجنسية أو اجنياً.

٣- لا بد لإعمال النص من توافر شرطين :

أ- أن تكون الأم عراقية الجنسية، بصرف النظر عما إذا كانت جنسيتها أصليةً - مفروضة - ، أو مكتسبةً - طارئة - .

٣٥- لقد نص البند "سادساً" من المادة "١٨" من الدستور المشار إليها، على الآتي : "تنظم أحکام الجنسية بقانون، وينظر في الدعاوى الناشئة عنها من قبل المحاكم المختصة".

٣٦- وهذا ما سمعته شخصياً من قبل بعض هؤلاء الخبراء الذين كانوا في فريق الأمم المتحدة لدعم الدستور ابان وضع مشروع الدستور، وكذا بعد اقراره.

ب- أن تكون ولادة الأم ناشئة عن علاقةٍ شرعية، فإن لم تكن كذلك، إنفي الحق.

وبناءً على ذلك، فقد وجد المشرع نفسه في غنى عن إيراد نص يتعلّق بقدرة الأم على نقل الجنسية متى كان زوجها مجهول الجنسية أو عديمها، وهو ما أسميهناه "حق الدم الثانوي". بعبارة أخرى، إن الأم ما دامت قادرةً على نقل جنسيتها إلى أولادها المولودين وبصرف النظر عن كون الأب - أي زوجها - عراقياً أو أجنبياً، معلوم الجنسية أو عديمها، فإن ذلك بالطبع يعني عن وضع نصٍ يعالج حالة الولادة من أم عراقية وأبٍ مجهول الجنسية أو لا جنسية له، تلك الحالة التي أشرنا إليها سابقاً والتي اتضح أن المشرع كان بحاجة إليها، لأنَّ لم يكن يعطي الأم الحق في نقل الجنسية الأصلية إلى الأولاد.

لكنني اعتقد أن هذا النص - المذكور في الفقرة "أ" من المادة الثالثة - لا يشمل في حكمه حالة كون الأب مجهولاً، أي لم يثبت النسب إليه، إما لأن العلاقة غير مشروعة، أو أن العلاقة مشروعة وهناك عقد زواج، لكن الأب ينكر النسب، ففي هذه الحالة لا يسري النص.

ودليلي على هذا الكلام، ما يأتي :

١- من المعلوم بداعه أن الجنسية، حتى تثبت، لابد من توافر عدة شروط، منها أن يكون ثمة عقد زواج شرعي بين الزوج والزوجة. وبدون ذلك، فإن الجنسية لا تمنح للمولود، لأن النسب أساساً غير ثابت. ونحن نعلم أن الجنسية - في غالبيها - تُمنح استناداً على حق الدم المستمد من الأب. بمعنى آخر، أن يكون النسب ثابتاً بين الوالد والمولود، فإن انتفى النسب، انتفى المسوغ القانوني لمنح الجنسية. وهذا أمرٌ معمولٌ به في تشريعات الجنسية على نحو العموم. وهكذا لو كان القانون يمنحك الجنسية استناداً على حق الدم المستمد من الأم، فإن المحصلة واحدة، وهي ضرورة ثبوت النسب. وهذا فإن العلاقة غير المشروعة لا مشروعة، وعقد زواج قد تم على وفق الشروط الشرعية والقانونية. وهكذا فإن العلاقة غير المشروعة لا تولد نعمة النسب، ومن ثم فإنها لا تولد نعمة أو حق الجنسية.

٢- إن قانون الجنسية العراقية رقم ٤٣ لعام ١٩٦٣ الملغى، وكذلك بقية التشريعات العربية ذات الصلة، قد صرحت بأن الولادة من أمٍ وطنية (العراقية مثلاً) تعطي للمولود الحق في الجنسية متى ما تحققت بعض الشروط - المذكورة آنفًا - ومنها أن يكون الأب مجهولاً مثلاً، أي أن النسب غير ثابت، ومنها أن تكون الولادة في داخل الإقليم - في بعض التشريعات ومنها العراقي - أو حتى لو كانت في خارجه - في بعضها الآخر .

إن هذه التشريعات قد أعطت الحق للمولود في الجنسية على الرغم من أن العلاقة غير مشروعة - وذلك في حالة كون الأب مجهولاً - ولعل سائلاً يسأل، لماذا لا نقيس ما ورد في الدستور العراقي وقانون الجنسية الجديد، على هذه الحالة؟.

إن جوابنا عن هذا الإشكال هو بحد ذاته يمثل دليلاً آخر على صحة ما ذهبنا إليه. وجوابنا هو ببساطة، إن مصدر هذا الحق، هو القانون ذاته، حيث أن قانون الجنسية العراقية الملغى، وكذلك بقية التشريعات العربية - ذات الصلة - قد نصت صراحةً على هذه الحالة، واعطت للمولود هذا الحق بنص القانون. وهذا ما نصت عليه المادة الرابعة من قانون الجنسية الجديد، التي نصت على الآتي :

"للوزير أن يعتبر من ولد خارج العراق من أم عراقية وأبٍ مجهول أو لا جنسية له عراقي الجنسية إذا اختارها خلال سنة من تاريخ بلوغه سن الرشد إلا إذا حالت الظروف الصعبة دون ذلك بشرط أن يكون مقيداً في العراق وقت تقديمه طلب الحصول على الجنسية العراقية". أما قانون الجنسية الملغى لعام ١٩٦٣ فقد جاء بنصين في هذا المقام :

الأول هو ما يشبه النص الذي جاء في القانون الجديد إذ نصت المادة الخامسة من هذا القانون على الآتي :

للوظير أن يعتبر من ولد خارج العراق من أم عراقية وأب مجهول أو لا جنسية له عراقي الجنسية إذا اختارها خلال سنة من تاريخ بلوغه سن الرشد بشرط أن يكون مقيماً في العراق وغير مكتسب جنسية أجنبية". والنص الثاني هو ما ورد في الفقرة (٢) من المادة الرابعة، التي نصت على الآتي :

"يعتبر عراقياً : من ولد في العراق من أم عراقية وأب مجهول أو لا جنسية له".

ومن مجموع هذه النصوص يتضح أن المشرع قد أشار بصورةٍ صريحة إلى منح الجنسية العراقية للمولود من أم عراقية وأب مجهول أو لا جنسية له - بالشروط المذكورة أعلاه ، بمعنى آخر ، أن هذه النصوص قد أشارت صراحة إلى كون الأب مجهولاً.

وتأسياً على ما تقدم فإن هذه الحالة - المثلثة - هي غير منصوص عليها في القانون العراقي . ويبدو لي أن عدم النص عليها ، لا يعني غفلةً أو سهواً ، إنما هو يعني حكماً ، يتمثل بالقول الآتي :

إن الأم العراقية قد بات لها الآن الحق في نقل جنسيتها العراقية إلى أولادها ، وإن كان زوجها اجنبياً أو عديم الجنسية ، ولكن يشترط أن تكون هذه الأم قد ارتبطت بعقد زواجٍ شرعي تم على وفق الشروط الشرعية والقانونية المنصوص عليها في قانون الأحوال الشخصية العراقي رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩ .

وبينبني على ذلك ، أن العلاقة غير المشروعة التي ترتبط بها المرأة العراقية برجلٍ أجنبي ، لا تتم نسباً ، ولا جنسية البتة . وإن القول بخلاف ذلك لا يتعارض مع القانون فحسب ، بل يتعارض مع النظام العام أيضاً . وإن كل ما يتعارض مع النظام العام ، فإنه يكون ممحوماً بالبطلان على وفق القواعد العامة المعمول بها في معظم القوانين ، بل أصبحت هذه القاعدة واحدةً من المبادئ المستقرة والشائعة في القانون الدولي الخاص .

## الخاتمة

ما تقدم في هذا البحث يمكن الخلوص إلى النتائج الآتية :

١- لقد أخذت كل التشريعات العربية بحق الأم في نقل الجنسية إلى الأولاد بناءً على ما أسميناه " حق الدم الشانوي " ، ولكن بشروطٍ معينة .

٢- لقد تفاوتت تلك التشريعات بصدر هذا الحق المعطى للأم ، فإن منها لما يأخذ بحق الدم الشانوي المجرد ، وأعني بذلك حق الدم الشانوي غير المعزز بحق الإقليم ، وإن منها لما يأخذ بهذا الحق ولكن مع تعزيزه بحق آخر ، هو حق الإقليم .

٣- قد تبين مما سبق ، أن ثمة حالاتٍ ثلاث مرتبطة بزوج الأم ، الذي هو غير وطني بالأساس ، وهي إما أن يكون هذا الزوج مجهولاً ، أو أن يكون مجهول الجنسية ، أو أن يكون عديم الجنسية . ولقد تبنت معظم التشريعات العربية هذه الحالات الثلاث . بيد أن بعضها قد أهمل كون الأب مجهولاً - كالقانون السعودي - ، وبعضاً منها قد أهمل كون الأب مجهول الجنسية - كالقانون الجزائري - . ولشن كان موقف القانون السعودي له ما يبرره فإن ليس ثمة تبرير للقانون الجزائري - في وقته وقبل التعديل - ، إذ كيف يمكن الأخذ بحالة كون الأب مجهولاً أو عديم الجنسية ، ولا يمكن الأخذ بحالة كون الأب مجهول الجنسية ، وهو الأمر الأهون بالنسبة لما قد سبقه .

٤- لقد جاء القانونان السوري واللبناني متشابهان - إلى حدٍ ما - في الأخذ بحق الدم الشانوي ، وكون إلام قادرةً على نقل جنسيتها إلى الأولاد في حالةٍ واحدةٍ ، وهي كون المولود غير شرعي " أو الولد الطبيعي بحسب الفقه اللبناني " .

وهذا الموقف من القانونين يعد، بلا ريب، موقفاً غريباً، ذلك أن إعطاء الأم الحق في نقل الجنسية إلى الأولاد في حالة كون الأب مجهول الجنسية أو عديمها، هو أهون شرًا من كون الأب مجهولاً، ولئن كان العسيرة جائزاً، فإن اليأس أولى. ولقد بات واضحًا أن معظم التشريعات العربية تأخذ بهذه الحالات الثالث، بل أن بعضًا من تلك التشريعات (كالقانون السعودي) يأخذ بالحالتين (أي كون الأب مجهول الجنسية أو عديمها) ولا يأخذ بالحالة الثالثة، التي اقتصر عليها القانونان السوري واللبناني (وهي كون الأب مجهولاً، معنى أن الأولاد غير شرعيين).

وتأسيساً على قد سبق، فإن من المبتدء دعوة المشرع السوري للأخذ بهذه الحالات الاستثنائية، ولا سيما (حالتي كون الأب مجهول الجنسية أو عديمها).

وكذا يغدو صحيحاً، دعوة المشرع اللبناني للأخذ بهاتين الحالتين، منعاً لظاهرة اللاجنسية، تلك الظاهرة التي تترك آثاراً سيئة على الأسرة والمجتمع، وتلك الظاهرة التي ما فتئت المعاهدات الدولية والإقليمية، تكافحها، وتحاول التخفيف من غلوتها.

٥ - لا ريب في أن القانون التونسي كان يمثل - في وقته - تقدماً بإزاء بقية التشريعات العربية، وذلك بنصيه على حق الأم التونسية في نقل جنسيتها إلى الأولاد متى كانت الولادة في تونس، حتى لو كان الأب اجنبياً. معنى أن هذا القانون لم يكتف بالحالات الثلاث المتقدمة - على الرغم من أنه قد اخذ بها أيضاً - بل تقدم خطوة نحو الأمام، وأعطى للأم التونسية الحق في نقل جنسيتها حتى لو كان زوجها معلوماً ولديه جنسية أجنبية - ولو تزوجت أمراً تونسية برجل عراقي مثلاً ولدت هذه المرأة في تونس فإن المولود سيكتسب جنسية أمه التونسية - طبعاً بالإضافة إلى جنسية أبيه العراقي - .

وغمي عن البيان، أن هذا التقدم في موقف القانون التونسي قد تقهقر وأصبح يقف في الوراء، بعد صدور تعديلات جديدة في بعض تشريعات الجنسية العربية، وهي التشريعات في كلٍ من : مصر والعراق والجزائر والمغرب، ثم لحقتهم تونس بعد ذلك في هذا العام، أعني به عام ٢٠١٠ . إن هذه التعديلات، قد قضت - كما تقدم - بالتسوية بين الأب والأم في نقل الجنسية إلى الأولاد، بناءً على حق الدم الأصيل، لا الثانوي.

٦ - وإن يكون القانون العراقي - الجديد - قد أعطى الأم الحق في نقل الجنسية الأصلية إلى الأولاد. وإن يكون هذا القانون قد أهمل النص على فرض الجنسية العراقية بناءً على حق الدم الثانوي - فيما لو كان الأب مجهولاً أو مجهول الجنسية أو عديمها - ، فإن ما يتربى على ذلك، هو القول، أن المشرع أثما صنع ذلك لعدم الحاجة إلى هذا النص، بعد إعطاء الأم هذا الدور الكبير.

ولقد نعلم أن عدم النص هنا، يعد دليلاً على عدم قدرة الأم على نقل جنسيتها فيما لو كان الأب مجهولاً، بعبارةٍ أوضح، فيما لو كانت العلاقة بين الزوج والزوجة غير مشروعة. وتأسيساً على ما تقدم، فإن ليس بسع الأم العراقية أن تنقل جنسيتها إلى الأولاد الذين يكونون ثمرة علاقة غير مشروعة، بل لأبد من أن تكون العلاقة مشروعة، وثمة عقد زواج موافق للشرع والقانون. وبناءً على ذلك، فإن المرأة العراقية المسلمة، لو تزوجت برجل مصرى مسيحي، فإن العقد يكون باطلًا، ولا يمنح الأولاد الجنسية العراقية، على الرغم من كون العلاقة كانت نتيجة عقد زواج. والسبب في ذلك يكمن في أن العقد غير موافق للشريعة الإسلامية، ولما نص عليه قانون الأحوال الشخصية العراقي. لكن هذه الأم يمكن أن تنقل الجنسية العراقية إلى الأولاد في هذه الحالة - أي كون الأب مجهولاً - ، بيد أن هذه الجنسية ستكون جنسية مكتسبة - طارئة - ، لا جنسيةً أصليةً - مفروضة - . ومعنى ذلك أن هذه الجنسية لا تفرض على المولود بقوة القانون، وإنما تترك للسلطة التقديرية للسلطات العراقية، إن شاءت منحت الجنسية للمولود، وإن شاءت إمتنعت. هذا بالإضافة إلى توافر شروطٍ أخرى قد ذكرتها المادة الرابعة المذكورة آنفاً.

## المصادر والمراجع

### أولاً : القانون الدولي الخاص:

- ١- د. البيسطاني، سعيد، الجنسية والقومية في تشريعات الدول العربية، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣.
- ٢- د. الحداد، حفيظة السيد، الموجز في الجنسية ومركز الاجانب، منشورات الحلبي الحقوقية، الطبعة الاولى، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥.
- ٣- د. الحداد، حفيظة السيد، مدخل الى الجنسية ومركز الاجانب، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٧.
- ٤- د. الداودي، غالب علي، القانون الدولي الخاص "النظيرية العامة وأحكام الجنسية" ، مطبعة أسعد، الطبعة الاولى، بغداد، ١٩٥٧.
- ٥- د. الداودي، غالب علي، ود. المداوي، حسن، القانون الدولي الخاص ، الجزء الأول، وزارة التعليم العالي، والبحث العلمي، بغداد، ١٩٨٨.
- ٦- العيون، قصي محمد، شرح أحكام الجنسية الأردنية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الطبعة الاولى، عمان،الأردن، ٢٠٠٩.
- ٧- د. المداوي، حسن، الجنسية ومركز الاجانب ، بدون سنة طبع ، بغداد.
- ٨- د. حافظ، ممدوح عبد الكرييم ، القانون الدولي الخاص وفق القانونين العراقي والمقارن ، دار الحرية للطباعة ، مطبعة الحكومة ، الطبعة الأولى ، بغداد، ١٩٧٣.
- ٩- د. صادق، هشام علي، القانون الدولي الخاص ، دار الفكر الجامعي ، الإسكندرية ، مصر، ٢٠٠٥.
- ١٠- د. عبد العال، عكاشه محمد، أصول القانون الخاص اللبناني المقارن ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٨ .
- ١١- د. عبد العال، عكاشه محمد، أحكام الجنسية ، منشورات الحلبي الحقوقية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٧ .
- ١٢- د. عبد العال، عكاشه محمد، الاتجاهات الحديثة في مشكلة "تبازع" الجنسيات ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩١ .
- ١٣- د. زمزم، عبد المنعم، جنسية ابناء الأم المصرية ، قرارات وزير الداخلية والتعديل التشريعي ، دار النهضة العربية ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠٠٥ ، ص ١٩١ - ١٩٢ .
- ١٤- د. فتحي، حسام الدين، مشكلات الجنسية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، مصر ، ٢٠٠٧ .
- ١٥- د. منصور، سامي بديع ، و د. العجوز، أسامة، القانون الدولي الخاص ، الطبعة الثانية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٥ .

### ثانياً : الدساتير وقوانين الجنسية:

- ١٦- دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.
- ١٧- قانون الجنسية العراقية رقم ٤٢ لسنة ١٩٢٤ (الملاوي).
- ١٨- قانون الجنسية العراقية رقم ٤٣ لسنة ١٩٦٣ (الملاوي).
- ١٩- قانون الجنسية العراقية النافذ رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٦.

- ٢٠ قانون الجنسية المصرية رقم ٢٦ لسنة ١٩٧٥ المعدل.
- ٢١ قانون الجنسية اللبنانية الصادر بالقرار رقم ١٥ لسنة ١٩٢٥.
- ٢٢ قانون الجنسية اللبنانية الصادر في ١١ كانون الثاني لسنة ١٩٦٠.
- ٢٣ قانون الجنسية السورية رقم ٢٧٦ لسنة ١٩٦٩.
- ٢٤ قانون الجنسية الأردنية رقم ٦ لسنة ١٩٥٤.
- ٢٥ قانون الجنسية الكويتية رقم ١٥ لسنة ١٩٥٩ المعدل.
- ٢٦ قانون الجنسية البحرينية عدد ١١ لسنة ١٩٦٣.
- ٢٧ قانون الجنسية القطرية رقم ٢ لسنة ١٩٦١.
- ٢٨ قانون جنسية دولة الإمارات العربية المتحدة رقم ١٧ لسنة ١٩٧٢.
- ٢٩ نظام الجنسية العربية السعودية رقم ٤ لسنة ١٣٧٤ هـ.
- ٣٠ مجلة الجنسية التونسية رقم ٦ لسنة ١٩٦٣ المعدل.
- ٣١ قانون الجنسية المغربية رقم ٢٥٠ لسنة ١٩٥٨ المعدل.
- ٣٢ قانون الجنسية الجزائرية رقم ٧٦ - ٨٠ لسنة ١٩٧٠ المعدل.
- ٣٣ قانون الجنسية السودانية رقم ٢٢ لسنة ١٩٥٧.

**ثالثاً : الاتفاقيات الدولية :**

- ٣٣ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في ١٠ كانون الأول عام ١٩٤٨.
- ٣٤ العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية الصادر في ١٦ كانون الأول عام ١٩٦٦.
- ٣٥ الاتفاقية الدولية بشأن تقليل حالات انعدام الجنسية لعام ١٩٦١.
- ٣٦ معاهدة لاهاي بشأن الجنسية لعام ١٩٣٠.
- ٣٧ الاتفاقية الدولية الخاصة بوضع اللاجئين لعام ١٩٥١.

## **أساليب الأمر والنهي والاستفهام في جزء من الصحيفة السجادية (الأيام المباركة أئمدةً)**

أ.م.د. باقر جواد الزجاجي<sup>(١)</sup>  
د. محمد حسن الأسدی<sup>(٢)</sup>

### **ملخص البحث**

ما لا شك فيه أن النحو والأدب بكل صنوفه صنوان لا يفترقان، فالعالم مهما علا قدره وعظمت منزلته وارتفع شأنه لا يستغني عن علم النحو الذي به تعرف أواخر الكلم، من هذا المنطلق ولما لاحظنا من كثرة دوران أساليب الأمر والنهي والاستفهام في الصحيفة السجادية ارتأينا أن ندرس هذه الأساليب الثلاثة في أيام مخصوصة ورد ذكرها في ذلك السفر الحالد.

للإمام زين العابدين عليه السلام ، والذي جعلنا أكثر ميلاً للموضوع ما وجدناه من رصانة، وبلاغة، وفصاحة، ودقة في اختيار الكلمات وذلك الخطاب الممزوج بالخشوع، والتضرع، والرهبة، وهذا ليس بعيد عن إمام نهل من معين القرآن وتربى على معانيه ، وارتشف من رحيقه حتى بات له ظلاً ومفزواً .

إن ما ذكرناه من مزايا جعلت تلك الكلمات الخالدة المضيئة ترنيمه يرددها المؤمنون السالكون طريق النور، والحق ما دارت الأيام والسنون .

لقد انتظم البحث في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، ثم قائمة بالمصادر والمراجع . تحدثنا في المقدمة عن دواعي اختيار هذا الموضوع بعد أن وجدنا أن هذه الأساليب الثلاثة قد كثرت وتميزت في تلك الأيام المخصوصة كيوم الفطر، ويوم عرفة، ويوم الأضحى، وأيام الجمع، والذي جعلنا مشدودين أكثر للموضوع تلك الفصاحة والبلاغة، والعذوبة، والدقة في اختيار الكلمات ، وذلك الخطاب الممزوج بالخشوع، والتضرع . فآثرنا تناول الموضوع من جانب نحوي لغوي بلاغي متخذين من تلك الأساليب أئمدةً لعملنا الذي كانت له نتائجه سنذكرها في الخاتمة إن شاء الله .

---

١ - كلية الآداب، جامعة اهل البيت عليهما السلام  
٢ - كلية الآداب، جامعة اهل البيت عليهما السلام

ما لا شك فيه أن النحو والأدب بكل صنوفه صنوان لا يفترقان، فالعالم مهما علا قدره وعظمت منزلته وارتفع شأنه لا يستغني عن علم النحو الذي به تعرف أواخر الكلم، من هذا المنطلق ولما لاحظنا من كثرة دوران أساليب الأمر والنهي والاستفهام في الصحفة السجادية ارتأينا أن ندرس هذه الأساليب الثلاثة في أيام مخصوصة ورد ذكرها في ذلك السفر الخالد.

للإمام زين العابدين عليه السلام، والذي جعلنا أكثر ميلاً للموضوع ما وجدناه من رصانة، وبلاغة، وفصاحة، ودقة في اختيار الكلمات وذلك الخطاب المزوج بالخشوع، والتضرع، والرهبة، وهذا ليس بعيد عن إمام نهل من معين القرآن وتربى على معانيه، وارتفع من رحيقه حتى بات له ظلاً ومفرعاً. إن ما ذكرناه من مزايا جعلت تلك الكلمات الخالدة المصيحة ترنيمة يرددها المؤمنون السالكون طريق التور، والحق ما دارت الأيام والسنون.

لقد انتظم البحث في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، ثم قائمة بالمصادر والمراجع. تحدثنا في المقدمة عن دواعي اختيار هذا الموضوع بعد أن وجدنا أن هذه الأساليب الثلاثة قد كثرت وتميزت في تلك الأيام المخصوصة كيوم الفطر، ويوم عرفة، ويوم الأضحى، وأيام الجمع، وأيام التماس، والذي جعلنا مشدودين أكثر للموضوع تلك الفصاحة والبلاغة، والعدوية، والدقة في اختيار الكلمات، وذلك الخطاب المزوج بالخشوع، والتضرع. فآثرنا تناول الموضوع من جانب نحوي لغوي بلاغي متخذين من تلك الأساليب أنموذجاً لعملنا الذي كانت له نتائجه سنذكرها في الخاتمة إن شاء الله.

في البحث الأول جاء كلامنا عن الأمر الذي ورد ذكره في كتب القدماء، ولكننا لو عدنا إلى كتب المتأخرین لوجدناهم لم يفردوا له بحثاً خاصاً - يجمع صيغه، وتراتيبيه، وطبيعته، وأصل معناه، والمعاني الإضافية التي يمكن أن يستعمل فيها، وإنما تناولوا مباحثه في أبواب متفرقة، ثم بينما أن النحوين يفرقون بين استعمال الصيغة في الأمر، وبين استعمالها في الدعاء، أو الالتماس ثم ذكرنا أن البلاغيين يشترطون في الأمر (الاستعلاء) وأن الدعاء يشترطون فيه (الخشوع والتضرع) وأن الالتماس يشترطون فيه (التساوي مع نفي التضرع والاستعلاء) وهذا ما ذهب إليه بعض النحاة المتأخرین، بعدها اخترنا نماذج لأدعية وردت بصيغة الأمر كانت آية في الصياغة والسبك، والدقة وقفنا عند بعضها متأملين، محللين مبينين مدلولها وغرضها فألفيناها تمثل بالتسليم بعظمة الحالق ووحدانيه وسلطانه.

أما البحث الثاني فقد خصصناه لأسلوب النهي ذاكرين صيغته الوحيدة التي أجمع عليها النحاة، وكيف فرقوا بين استعمال الصيغة في معنى النهي وبين استعمالها في معنى الدعاء والالتماس، ثم أشرنا إلى اشتراط البلاغيين (الاستعلاء) في صيغة (لا تفعل) وإذا لم تستعمل على سبيل الاستعلاء سموها دعاء أو التماساً، بعدها ذكرنا متابعة بعض النحاة المتأخرین للبلاغيين في اشتراطهم الإستعلاء في النهي وإنتهينا بذلك بعض آراء النحاة في (لا الناهية) وختمنا البحث بانتقاء نماذج لأدعية وردت بصيغة النهي، صيغت بأسلوب يدل على تمكن من اللغة، والبيان، وقد وقفنا عند بعضها مبهورين ذاكرين غرضها، ومدلولها.

أما البحث الثالث فتناولنا فيه أسلوب الاستفهام مبتدئين بذكر معناه موضعين أنه يشارك الشرط في كونه كلاماً معقوداً على الشك، بعدها وقفنا عند آراء النحاة في الاستفهام. الذاهب إلى أن الاستفهام في القرآن مختلف عن الاستفهام في كلام البشر، لأن الله تبارك وتعالى لا يستفهم خلقه عن شيء لهذا كان الاستفهام في القرآن غير حقيقي لأنّه لا يحتاج إلى جواب، فهو صادر من عالم الغيب والشهادة، بعدها أشرنا إلى أن النحاة والمفسرين، والبلاغيين شغلوا أنفسهم في الوقوف على الأسباب والأعراض التي تدفع المتكلم إلى استعمال الاستفهام في غير معناه الحقيقي، وإذا خرج الاستفهام عن حقيقته واستعمل في معانٍ أخرى هل نقول: إنّ معنى الاستفهام موجود فيه وأنضم إليه معنى آخر، أم نقول: أنه تجرد من الاستفهام

**أساليب الأمر والنهي والاستفهام في جزء من الصحيفة السجادية (الأيام المباركة أثوذجاً)**  
وختمنا المبحث بالكلام عن أدوات الاستفهام أيهما أصل وأيهما فرع؟ ثم لماذا بنيت أسماء الاستفهام؟  
بعدها ذكرنا نصوصاً تضمنت استفهams تدور مدلولاتها حول الإقرار والتسليم والتعجب، والنفي،  
والتضرع، والخشوع، والتعظيم، والاسترشاد، وغيرها من المعاني.

ختاماً نرجو أن تكون قد وفقنا في تسلیط الضوء على جانب مهم من الصحيفة السجادية، ذلك هو  
الجانب النحوی، واللغوي، والبلاغي لما له من دور فاعل ومؤثر في جودة النص، واستقامته ومن الله  
الرضا والقبول والسلام.

### **المبحث الأول: الأمر**

عندما تذكر أساليب الطلب ينصرف الذهن إلى أساليب: الأمر والنهي، والاستفهام، والنداء،  
والتمني، والتبرّجي، والتحضيض، والعرض، ولو رجعنا إلى كتب النحو الأولى كسيبویه (ت: ١٨٠هـ)  
نجده قد أفرد باباً خاصاً للأمر، والنهي بعنوان: (باب الأمر والنهي) <sup>(٣)</sup>. ولكننا لو عدنا إلى كتب النحو  
المتأخرة لم نجد بحثاً خاصاً بأسلوب الأمر يجمع صيغه وتراتكبيه، ويبحث في طبيعته، وأصل معناه والمعانی  
الإضافية التي يمكن أن يستعمل فيها، وإنما نجد النحوة قد تناولوا مباحثه في أبواب متفرقة، فتناولوا صيغة  
أمر المخاطب (افعل) ضمن موضوع المعرفة والمبني وتناولوا صيغة أمر غير المخاطب (ليفعل) ضمن  
موضوع عوامل الجزم، وتناولوا صيغة الأمر بالمصدر ضمن موضوع إعمال المصدر، وتناولوا الألفاظ  
الأخرى الدالة على الأمر، والتي أطلق النحوة عليها أسماء الأفعال ضمن موضوع خاص بها <sup>(٤)</sup>.

لقد فرق النحوة بين استعمال الصيغة في الأمر وبين استعمالها في الدعاء وفي ذلك يقول سیبویه: (٥)  
وأعلم أن الدعاء بمنزلة الأمر والنهي، وإنما قيل (دعاء) لأنه أُستعظام أن يُقال أمر، أو نهي <sup>(٦)</sup>. ويقول  
المبرد (ت: ٢٨٥هـ): (والدعاء يجري مجرى الأمر والنهي، وإنما سمي هذا أمراً، أو نهياً، وقيل للآخر  
(طلب) للمعنى فأما اللفظ فواحد فلو قلت لل الخليفة (أنظر في أمري) لقلت: سأله ولم تقل (أمرته) <sup>(٧)</sup>،  
ولو أخذنا برأي البلاغيين لوجدنا أن الأمر عندهم يشترط فيه (الاستعلاء) ولو من الأدنى، وإن الدعاء  
يشترط فيه التضرع، والخشوع، ولو من الأعلى، والالتماس يشترط فيه التساوي مع نفي التضرع  
والاستعلاء <sup>(٨)</sup>.

بينما نجد من النحوة ولإسیما المتأخرین من وافق البلاغيين في رأیهم فهذا ابن یعيش (ت: ٦٤٣هـ)  
يشترط الاستعلاء لأجل أن یسمی الصيغة أمراً وهو لا یرتضی تسمیتها أمراً مع عدم (الاستعلاء) وعلى هذا  
قسم صيغة (افعل) إلى أمر، وطلب، وداعاء فقال: (إعلم أن الأمر معناه طلب الفعل بصيغة مخصوصة وله  
ولصيغته أسماء بحسب إضافاته فإن كان من الأعلى إلى من دونه قيل له أمر، وإن كان من النظير إلى النظر  
قيل له طلب، وإن كان من الأدنى إلى الأعلى قيل له: (داعاء) <sup>(٩)</sup>. والشيء نفسه قال به ابن هشام  
(ت: ٧٦١هـ) الذي قسم صيغة (ليفعل) إلى أمر، وداعاء، والالتماس <sup>(١٠)</sup>، وهذا ما ذهب إليه السيوطي  
(ت: ٩١١هـ) في الإنقان <sup>(١٠)</sup>.

(٣) الكتاب: ١٣٧/١ - ١٤٧.

(٤) أساليب الطلب: ٨٣.

(٥) الكتاب: ١٤٢/١.

(٦) ينظر المقتصب: ٤٤/٢.

(٧) ينظر: شروح التلخیص: ٣٢١/٢.

(٨) شرح المفصل: ٥٨/٧.

(٩) ينظر: مفہی اللیب: ٢٢٣/١.

(١٠) ينظر: الإنقان في علوم القرآن: ١٧١/١.

وعند رجوعنا إلى الصحيفة السجادية وخصوصاً أدعية الإمام علي عليه السلام في الأيام المباركة كيوم الفطر، و يوم عرفة، و يوم الأضحى، و يوم الجمعة ، والتي اخذناها نموذجاً لبحثنا المتواضع هذا وجدنا أن صيغة (افعل) تكررت كثيراً لما تتضمنه من (تضرع، وخشوع، وخشية) وقد حاولنا إيراد بعضها منها بغية تأملها والوقوف عندها فرأيناها تمثل بما يأتي :

نماذج من أدعية الإمام السجاد (عليه السلام)	نوع الدعاء	الصفحة	ت
١. <b>واعني اللهم على جهاد عدوك في سيلك مع وليك</b>	خاص	٣١٢	
٢. <b>اللهم فارني ذلك السبيل حتى أقاتل فيه بنفسي</b>	خاص	٣١٢	
٣. <b>إلهي فكّن بي رؤوفاً رحيمًا واقبلني وتقبل مني</b>	خاص	٣١٢	
٤. <b>فأعني بال توفيق على بلوغ رضاك</b>	خاص	٣١٣	
٥. <b>وأنشركني يا إلهي في دعاء من أحبيته</b>	خاص	٣١٣	
٦. <b>فاستحب لي ولهم يا أرحم الراحمين</b>	دعاء عام	٣١٣	
٧. <b>واسمع نجوي واستحب دعائي</b>	خاص	٣١٣	
٨. <b>رب صل على محمد وآل محمد المتجب</b>	عام	٣٢٠	
٩. <b>وبارك عليه وأتم بركتك وترحم عليه أمنع رحماتك</b>	خاص	٣٢٠	
١٠. <b>رب صل على محمد وآل صلاة زاكية</b>	عام	٣٢١	
١١. <b>رب صل على أطاييف أهل بيته</b>	عام	٣٢٢	
١٢. <b>رب صل عليهم زنة عرشك وما دونه</b>	عام	٣٢٢	
١٣. <b>اللهم فأوزع لوليك شكر ما أنعمت به عليه</b>	خاص	٣٢٣	
١٤. <b>اللهم وصل على أولائهم المعترفين بمقامهم</b>	عام	٣٢٣	
١٥. <b>وأجعل لي في هذا اليوم نصيباً أثناً به حظاً من رضوانك</b>	خاص	٣٢٥	
١٦. <b>تفعدي في يومي هذا بما تتغمد به من جار إليك متصلة</b>	خاص	٣٢٦	
١٧. <b>ونحن من غمرات الفتنة وخلصني من لهوات البلوى</b>	خاص	٣٢٧	
١٨. <b>وهب لي التطهير من ذنس العصيان</b>	خاص	٣٢٨	
١٩. <b>وطوقي طوق الإلقاء عما يحيط الحسنان</b>	خاص	٣٢٨	
٢٠. <b>واذهب عني درن الخطايا وسريلني بسريرال<sup>(١)</sup> عافيتك</b>	خاص	٣٢٨	
٢١. <b>واجعل رغبتي إليك فوق رغبة الراغبين</b>	خاص	٣٢٩	
٢٢. <b>فأحسني حياة طيبة تنتظم بما أريد</b>	خاص	٣٢٩	
٢٣. <b>وزدني إليك فاقة وفقرًا وأعندي من شماتة الأعداء</b>	خاص	٣٢٩	
٢٤. <b>واعمر ليلى بإيقاظي فيه لعبادتك وتفردي بالتهجر لك</b>	خاص	٣٣٠	
٢٥. <b>واجعل لي عندك مقيلاً آوي إليه مطمئناً</b>	خاص	٣٣١	
٢٦. <b>وانزع الغل من صدري للمؤمنين وأعطف بقلبي على الخاشعين</b>	خاص	٣٣١	

خاص	٣٣١	ووفر على حظوظ الإحسان من أفضالك	٢٧
خاص	٣٣١	وَتَمْ سَبُوغْ نِعْمَتِكَ عَلَيْ وَظَاهِرْ كَرَامَاتِهَا لَدِي	٢٨
خاص	٣٣٢	وَاجْمَعْ لَيْ الغَنِيِّ وَالْعَفَافِ وَالدَّعْةِ وَالْمَعَافَةِ وَالصَّحَّةِ وَالسَّعْةِ	٢٩
خاص	٣٣٢	وَصَنْ وَجْهِيِّ عن الطلب إلى أحد من العالمين	٣٠
خاص	٣٣٢	وَاحْجُلْ باقِي عمرِي في الحج والعمرمة ابتغاء وجهك يا رب العالمين	٣١
خاص	٣٣٥	فَفَرِحْ عَنِي ما ضاق به صدري	٣٢
خاص	٣٣٦	فَاحْلَمْ يَا حَلِيمَ عن جهلي وَأَفْلَنِي يَا مَقْيلَ عَشْرَتِي	٣٣
خاص	٣٣٦	سَيِّدِي أَرْحَمْ تضرعي إِلَيْكَ وَانتصاري بَيْنَ يَدِيكَ	٣٤
خاص	٣٣٧	اللَّهُمَّ أَذْهَبْ عَنِي كُلَّ هُمْ وَفَرِجْ عَنِي كُلَّ غُمْ	٣٥
خاص	٣٣٧	اللَّهُمَّ تَقْبِلْ مِنِي مَا كَانَ صَالِحاً وَأَصْلِحْ مِنِي مَا كَانَ فَاسِداً	٣٦
خاص	٣٣٧	وَأَهْدِنِي في كُلِّ سَبِيلٍ مِّن سَبِيلِ الْحَقِّ وَهَذِهِ عَنِي كُلَّ خَطِيئَةٍ	٣٧
خاص	٣٤٤	اللَّهُمَّ وَارْحَمْ صَرَاخِي وَاعْتَرَافِي بِذَنْبِي وَتَضْرِعِي	٣٨
خاص	٣٤٤	اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي الْعَظِيمِ إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذَّنْبُ الْعَظِيمُ إِلَّا الْعَظِيمُ	٣٩
خاص	٣٤٥	يَا تَوَابَ تَبَّ عَلَيِّ وَاقْلِيلَ تَوْبَتِي	٤٠
عام	٣٤٥	اللَّهُمَّ لَغَفِرْ رُوحَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَنِي تَحْيَةٍ وَسَلَامًا	٤١
خاص	٣٤٦	اللَّهُمَّ وَأَوْسِعْ عَلَيِّ مِنْ رِزْقِكِ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ	٤٢
خاص	٣٤٦	اللَّهُمَّ مِنْ عَلَيِّ بِالْمَغْفِرَةِ وَجِلْمَلَنِي بِالْعَافِيَةِ وَأَجْرِنِي مِنَ النَّارِ	٤٣
عام	٣٤٧	اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدِي وَلِنَّ وَلِدِنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ	٤٤
عام	٣٤٧	اللَّهُمَّ فَرِحْ عَنْ آلِ مُحَمَّدٍ وَأَجْعَلْهُمْ أَئْمَةً يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَيَهُدُّونَ	٤٥
خاص	٣٤٨	اللَّهُمَّ افْسِحْ لِي فِي عُمْرِي وَاسْطِلْ لِي فِي رِزْقِي	٤٦
عام	٣٤٨	اللَّهُمَّ أَمْنِنْ بِهِ عَلَىٰ فَقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَرْأِمْهُمْ وَمَسَاكِنَهُمْ	٤٧
خاص	٣٥٠	وَتَوَلْ قَضَاءَ كُلِّ حَاجَةٍ هِيَ لِي بِقَدْرِتِكَ عَلَيْها	٤٨
خاص	٣٥٢	اللَّهُمَّ وَاجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالإِيمَانِ بِكَ وَالْتَّصْدِيقِ بِرَسُولِكَ	٤٩
خاص	٣٥٢	وَهَبْ لَنَا يَا الَّهِي مِنْ لَدُنْكَ فَرْجًا بِالْقَدْرَةِ الَّتِي بِهَا تَحْيِي أَمْوَاتَ الْعَبَادِ	٥٠

## المبحث الثاني: النهي

إذا كان للأمر أربع صيغ، فلننهي صيغة واحدة هي: المضارع المسبوق بـ (لا النافية) والنحوة كلهم يجمعون على أن لا النافية تختص بالدخول على الفعل المضارع فتقتصي جزمه، كما أن النهي في اصطلاحهم يعني نفي الأمر، يقول سيبويه (ت: ١٨٠هـ): (إِنْ لَا تَضْرِبْ نَفِي لَقُولِهِ أَضْرِبْ)، ويقول ابن السراج (ت: ٣١٦هـ): (إِذَا قُلْتَ قَمْ إِنَّمَا تَأْمُرُهُ بِأَنْ يَكُونَ مِنْهُ قِيَامٌ، فَإِذَا نَهَيْتَ فَقُلْتَ: لَا تَقْعُمْ فَقَدْ أَرَدْتَ مِنْهُ نَفِي ذَلِكَ فَكَمَا أَنَّ الْأَمْرَ يَرَادُ بِالْإِيجَابِ، فَكَذَلِكَ النَّهْيُ يَرَادُ بِالنَّفِيِّ).

(١٢) الكتاب : ١٣٦/١.

(١٣) الأصول في النحو : ١٦٣/٢.

لقد اشترط البلاغيون الاستغاء في صيغة (لا تفعل) وإن لم تستعمل على سبيل الاستغاء سموها (دعاً أو التماساً) وهو يرون أن صيغة (لا تفعل) تستعمل في معنى الدعاء أو الالتماس استعمالها في معنى النهي حقيقة لا مجازاً<sup>(١٤)</sup>.

أما النحاة القدامى فقد فرقوا بين استعمال صيغة (لا تفعل) في معنى النهي وبين استعمالها في معنى الطلب أو الدعاء، يقول المبرد (ت: ٢٨٥هـ): (اعلم أن الطلب من النهي بمنزلة من الأمر يجري على لفظه كما جرى على لفظ الأمر)<sup>(١٥)</sup>.

وقد تابع بعض النحاة المتأخرین البلاغین في اشتراط (الاستغاء) في صيغة (لا تفعل) لأجل تسميتها نهیاً، ولذلك هم يسمونها دعاً إن استعملت على سبيل التضرع والتماساً ان استعملت في حق المساوي في الرتبة.

يقول ابن هشام (ت: ٧٦١هـ): (ولا فرق في اقتضاء (لا) الطلبية بين كونها مفيدة للنهي، وكونها للدعاء، كقوله تعالى: «ربنا لا تؤاخذنا» (البقرة/٢٨٦)، وكونها للالتماس كقولك لنظيرك غير مستعمل عليه (لا تفعل كذا)، وكذا الحكم إذا خرجت من الطلب إلى غيره (كالتهدید) في قولك لولدك أو عبدك (لا تطعني)<sup>(١٦)</sup>.

وللسیوطی (ت: ٩١١هـ) رأى مفاده بأن صيغة النهي موضوعة أصلاً للتحريم، فقال: (النهي وهو طلب الكف عن فعل، وصيغته (لا تفعل) وهي حقيقة في التحریم وترتّد مجازاً معانٍ منها: الكراهة نحو قوله تعالى: «ولا تمش في الأرض مرحباً» (الإسراء/٣٧)<sup>(١٧)</sup>. وال الصحيح أن صيغة النهي موضوعة لطلب الكف عن الفعل ولا يتبعين فيها التحریم أو الكراهة إلا مع وجود قرینة تدل على ذلك)<sup>(١٨)</sup>.

بعد أن استعرضنا آراء النحوين والبلغيين في النهي وكيف فرقوا بين النهي والدعاء والالتماس تيقناً أن أدلة النهي (لا) تستعمل مع المخاطب، والغائب على السواء: يقول المبرد: (فاما حرف النهي فهو (لا) وهو يقع على فعل الشاهد، والغائب وذلك قوله: (لا يقم زيد) و (لا تقم يا رجل)<sup>(١٩)</sup>. وذهب بعضهم إلى أن الأكثر فيها كونها للمخاطب<sup>(٢٠)</sup>، أما بخصوص أصل (لا) فقد زعم بعض النحاة أن أصلها لام الأمر زيد عليها ألف، ففتحت لأجلها، وانتقل بذلك معناها من الأمر إلى النهي، وزعم السهيلي (ت: ٥٨١هـ) أنها (لا) النافية، والجزم بعدها بـ(لام الأمر) المضمرة قبلها ولكنها حذفت كراهة اجتماع لامين في اللفظ<sup>(٢١)</sup>. وهذا الرأي ضعيف.

ولقد ورد في الصحيفة السجادية دعاً بصيغة (لا تفعل) حاولنا جردها، والوقوف عندها فألفيناها تختصر بالآتي:

ت	نماذج من أدعية الإمام السجاد (عليه السلام)	نوع الدعاء	الصفحة
١.	ولا تختتم يومي بخنيبي ولا تجهبني بالرد في مسألتي	خاص	٣١٦
٢.	ولا تردني صفراما ينقلب به المتعبدون لك من عبادك	خاص	٣٢٥

(١٤) أساليب الطلب: ٤٦٦.

(١٥) المقتضب: ١٣٥/٢.

(١٦) معنى الليب: ١/٢٤٧ - ٢٤٨.

(١٧) الإنقان: ٨٢/٢.

(١٨) أساليب الطلب: ٤٦٩.

(١٩) المقتضب: ١٣٤/٢.

(٢٠) ينظر: همع الموامع: ٥٦/٢.

(٢١) ينظر: الجنى الداني: ٣٠٠.

٣٠	ولا تؤاخذني بتفريطي في جنبي وتعدي طوري في حدودك	خاص	٣٢٦
٤٠	ولا تتحققني فيمن تحقق من المستخفين بما أو عدت	خاص	٣٢٧
٥٠	ولا تعرض عنِّي إعراض من لا ترضي عنه بعد غضبك	خاص	٣٢٧
٦٠	ولا تؤيسي من الأمل فيك فيغلب على القنوط من رحمتك	خاص	٣٢٧
٧٠	ولا تختبني بما لا طاقة لي به فتلهظني <sup>(٢٢)</sup> مما تحملنيه من فضل مجتك	خاص	٣٢٧
٨٠	ولا ترسلني من يدك إرسال من لا خير فيه ولا حاجة بك إليه	خاص	٣٢٧
٩٠	ولا ترم بي رمي من سقط من عين رعايتك	خاص	٣٢٨
١٠٠	ولا تشغلي بما لا ادركه إلا بك عما لا يرضيك عنِّي غيره	خاص	٣٢٨
١١٠	ولا تكلني إلى حولي وقوتي دون حولك وقوتك	خاص	٣٢٨
١٢٠	ولا تخزني يوم تبعشني للقاءك	خاص	٣٢٩
١٣٠	ولا تفضحني بين يدي أوليائك	خاص	٣٢٩
١٤٠	ولا تنسي ذكرك	خاص	٣٢٩
١٥٠	ولا تذهب عنِّي شكرك	خاص	٣٢٩
١٦٠	ولا تخذلني عند فاقتي إليك	خاص	٣٢٩
١٧٠	ولا تهلكني بما أسدته إليك	خاص	٣٢٩
١٨٠	ولا تجهبني <sup>(٢٣)</sup> بما جببته به المعاندين لك	خاص	٣٢٩
١٩٠	ولا تبدلني مدا يقسو معه قلبي	خاص	٣٣٠
٢٠٠	ولا تقرعني قارعة <sup>(٢٤)</sup> يذهب لها بهائي	خاص	٣٣٠
٢١٠	ولا تستمني خسيبة يصغر لها قدرى	خاص	٣٣٠
٢٢٠	ولا تروعني روعة أليس بها ولا خيفة أوجس دونها	خاص	٣٣٠
٢٣٠	ولا تذرني في طغياني عامها <sup>(٢٥)</sup> ولا في غمرتي ساهيا	خاص	٣٣٠
٢٤٠	ولا تجعلني عظة لمن اعظ ولأنكالا لمن اعتبر	خاص	٣٣٠
٢٥٠	ولا تكربي فيمن تكر به	خاص	٣٣٠
٢٦٠	ولا تبدل بي غيري	خاص	٣٣٠
٢٧٠	ولا تغير لي اسمًا	خاص	٣٣٠
٢٨٠	ولا تبدل لي جسماً	خاص	٣٣٠
٢٩٠	ولا تختبني هزوا خلقك	خاص	٣٣٠
٣٠٠	ولا تقايسي بعظيمات الجرائر	خاص	٣٣١
٣١٠	ولا تحبط حسناتي بما يشوبها من معصيتك	خاص	٣٣٢
٣٢٠	ولا تجعلني للظالمين ظهيراً	خاص	٣٣٢

(٢٢) (فتقلني)

(٢٣) (لا تردني)

(٢٤) (الداهية)

(٢٥) (متعددًا - حائرًا)

خاص	٣٣٧	ولا تسلط عليَّ من لا يرحمني ولا باغياً ولا حاسداً	٣٣
خاص	٣٤٥	ولا تردني خائباً	٣٤
خاص	٣٤٥	لا تقطع رجائِي	٣٥
خاص	٣٤٧	ولا تكلني إلى أحد سواك	٣٦
خاص	٣٥٠	ولا تخيب اليوم ذلك من رجائِي	٣٧
خاص	٣٥٢	ولا تهلكني يا إلهي غمماً حتى تستجيب لي	٣٨
خاص	٣٥٢	ولا تشمُّت بي عدوِي	٣٩
خاص	٣٥٢	ولا تتمكنه من عنقِي ولا تسلطه علىَّ	٤٠
خاص	٣٥٣	ولا تبتليني ببلاء علىَّ أثر بلاء	٤١
خاص	٣٥٢	ولا تجعلني للبلاء غرضاً	٤٢
خاص	٣٢٧	ولا تهلكني مع من تهلك من المعرضين لمقتك	٤٣
خاص	٣٢٧	ولا تترنني <sup>(٢٧)</sup> فيمن تترن من المنحرفين عن سبكَ	٤٤
خاص	٣٢٧	ولا تستدرجني بإملائك لي استدرج من معنوي خير ما عنده	٤٥

### المبحث الثالث: الاستفهام

مفهوم الاستفهام في اللغة والاصطلاح واحد، ويراد به طلب الفهم <sup>(٢٧)</sup> ، يقول الجرجاني (ت: ٤٧١ هـ) فيهما: (( وبينهما من المناسبة ما لا يخفى ، ألا ترى أنك إذا قلت : أضررت زيداً ؟ كنت طالباً لم يستقر عنك ، كما أنك إذا قلت : إن تضرب زيداً اضرب كان كلاماً معقوداً على الشك )) <sup>(٢٨)</sup> .  
 ولكون الاستفهام طلب ما في الخارج أو تحصيله في الذهن لزم ألا يكون حقيقاً إلا إذا صدر من شاك مصدق يامكان الإعلام ولذلك ذهب النحاة إلى أن الاستفهام في القرآن مختلف عن الاستفهام في كلام البشر ، لأن المستفهم غير عالم إنما يتوقع الجواب فيعلم به ، والله تبارك وتعالى لا يستفهم خلقه عن شيء لذا فالاستفهام في القرآن غير حقيقي لأنه واقع من يعلم ويستغنى عن طلب الإفهام ، وإنما يخرج الاستفهام في القرآن مخرج التوبيخ والتقرير <sup>(٢٩)</sup> ، لذا فإن أكثر استفهامات القرآن لا تحتاج إلى جواب لأنها من عالم الغيب والشهادة <sup>(٣٠)</sup> ، وعلى هذا لا يكون الاستفهام حقيقياً إلا إذا كان لفظه الظاهر موافقاً لعناء الباطن عند سؤالك عما لا تعلمه فتقول : ما عندك ؟ من رأيت ؟ <sup>(٣١)</sup> .

لقد ذهب النحاة أيضاً إلى أن الاستفهام له الصداره في الكلام وفي ذلك يقول صاحب المفصل الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ) : (( وللاستفهام صدر الكلام ، ولا يجوز تقديم شيء مما في حيزه عليه فلا تقول : ضربت أزيداً )) <sup>(٣٢)</sup> ، وإنما يجب أن تكون لأدوات الاستفهام الصداره في الكلام لأجل أن تفيد فيه معنى الاستفهام ، شأنها في ذلك شأن أدوات المعانى الأخرى ، لأنها إذا تقدم عليها شيء من الجملة فقدت الدلالة على معنى الاستفهام وهذا ما ذهب إليه ابن يعيش أيضاً بقوله : (( إن الاستفهام له صدر الكلام من قبل

(٢٦) ولا تدمريني

(٢٧) ينظر : أساليب الطلب : ٣٠٧.

(٢٨) المقتصد في شرح الإيضاح : ١١٢٠/٢.

(٢٩) ينظر : البرهان : ٢٢٧/٢ ، والمقتضب : ٢٩٢/٣.

(٣٠) ينظر : البحر الحيط : ٤١٨/٢.

(٣١) ينظر : الصاحبي : ١٨١.

(٣٢) المفصل : ٣٢٠.

أسلوب الأمر والنهي والاستفهام في جزء من الصحيفة السجادية (الأيام المباركة أثمن وأحلى)  
أنه حرف دخل على جملة تامة خبرية ، فنقلها من الخبر إلى الاستخار فوجب أن يكون متقدماً  
عليها ليفيد ذلك المعنى فيها )<sup>(٣٣)</sup>.

وأكَدَ القولين السابقيين الاسترابادي (ت: ٦٨٦هـ) عندما قال : (( كلَّ ما يغيِّر معنى الكلام ويؤثر في  
مضمونه وكان حرفًا فمرتبته الصدر ))<sup>(٣٤)</sup>.

الاستفهام قد يخرج عن حقيقته بأن يقع من يعلم ويستغني عن طلب الفهم ، والنحو والمفسرون ،  
والبلغيون كانوا حريصين على الوقوف على الأسباب أو الأغراض التي تدفع المتكلم إلى استعمال  
الاستفهام في غير معناه الحقيقي ، فأبُو عبيده (ت: ٢١٠هـ) يرى أن الاستفهام قد لا يطلب به المتكلم الفهم  
لنفسه ، وإنما يريد به تفهم المخاطب أو السامع فيخرج الاستفهام إلى معنى النهي ، أو التهديد ، أو التحذير  
)<sup>(٣٥)</sup>.

ونجد المبرد يذكر أن الاستفهام ولا سيما في القرآن الكريم قد يستعمل في غير معناه الحقيقي ، فلا يراد به  
طلب الفهم للمتكلم ، وإنما يراد به توبيخ السامع وتقريره وذلك تنبئه له على خطئه وزجرًا له عن ركوب  
ما يؤدي به إلى التهلكة<sup>(٣٦)</sup>.

وإذا خرج الاستفهام عن حقيقته واستعمل في معانٍ أخرى هل نقول إن معنى الاستفهام موجود فيه  
وانضم إليه معنى آخر ؟ أو نقول أنه تجرد من الاستفهام بالكلية ؟ لقد عالج المفسرون هذا الموضوع ، فأبُو  
عبيده (ت: ٢١٠هـ) يذهب إلى أن (الهمزة) المستعملة في معنى التقرير تتجزء من معنى الاستفهام ، بل هي  
أداة ثانية لا صلة لها بهمزة الاستفهام<sup>(٣٧)</sup> ، أما النحو فلهم رأيهم بهذا ابن جنبي (ت: ٣٩٢هـ) يرى إن  
استعمال الاستفهام في غير معناه يجوز لأجله أن تتجزء أداة الاستفهام في بعض الأحوال يصعُّ ذلك المعنى  
المستعملة فيه فتفق (هل) مثلاً في بعض الأحوال موضع حرف التحقيق<sup>(٣٨)</sup> كقوله تعالى : « هل جراء  
الإحسان إلا الإحسان » ، أما السبكي (ت: ٧٥٦هـ) من البلاغيين فيرى أن معنى الاستفهام موجود وباقٍ  
في أكثر المعاني التي يخرج إليها الاستفهام<sup>(٣٩)</sup>.

بحخصوص أدوات الاستفهام أيهما أصل وأيهما فرع ؟ فالنحو يرون أن الهمزة هي أم باب أدوات  
الاستفهام ويدرك أكثُرُهم أنها وحدة الأداة الأصلية في الاستفهام التي لا تستعمل في غيره ، وأن بقية  
أدوات الاستفهام قد تضمنت معنى همزة الاستفهام فحملت عليها واستعملت استعمالها ، وإن معنى  
الاستفهام عارض فيها مستفاد من همزة مقدرة معها<sup>(٤٠)</sup>.

يقول سيبويه في همزة الاستفهام : (( إنها حرف الاستفهام الذي لا يزول عنه إلى غيره وليس للاستفهام  
في الأصل غيره ))<sup>(٤١)</sup>. أما لماذا بنيت أسماء الاستفهام ؟ فالنحو يرون إنما بنيت لأنها تضمنت معنى همزة  
الاستفهام ، فصاحب المقتضى في شرح الإيضاح عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) يقول : (( وأما سبب  
البناء فتضمن الحرفية في (كيف) و (أين) ولما تضمن كل واحد منها معنى حرف الاستفهام بني كما يكون

. ١٥٥/٨) شرح المفصل: (٣٣)

. ٩٧/٢) شرح الكافية: (٣٤)

. ١٨٣/١ - ١٨٤) ينظر: مجاز القرآن: (٣٥)

. ٢٩٢/٣) ينظر: المقتضى: (٣٦)

. ٦٣/١) ينظر: مجاز القرآن: (٣٧)

. ٤٦٥/٢) ينظر: الخصائص: (٣٨)

. ٣٠٧ - ٣٠٦/٢) ينظر: عروس الأفراح (شرح التلخيص): (٣٩)

. ٣١٩) ينظر: أساليب الطلب: (٤٠)

. ٩٩/١) الكتاب: (٤١)

الحرف مبناً<sup>(٤٢)</sup>، وهذا ما ذهب إليه ابن عصفور : (ت: ٦٦٩هـ) بقوله : (( والأسماء كلها معربة إلا ما أشبه الحرف ، أو تضمن معناه كأسماء الشرط فإنها تضمنت معنى (إن) وأسماء الاستفهام فإنها تضمنت معنى (الهمزة)<sup>(٤٣)</sup> .

بعد هذا العرض لآراء النحاة ، والمفسرين ، والبلغيين في مضمون الاستفهام وحقيقة لتبين كيف وجّه الإمام السجاد (عليه السلام) هذا الأسلوب في صحفته ؟ وأي غرض أراد به ، ومن خلال تبعنا وجدها ينحصر بالآتي :

نماذج من أدعية الإمام السجاد (عليه السلام)	الصفحة	نوع الدعاء	ت
إلهي أين المفر عنك ؟	٣١٢	عام ، للخشية	١.
فكم لي يا رب من ذنب أنا فيه مغفور متحير ؟	٣٣٣	خاص ، إقرار	٢.
عافية من أرجو إذا لم أرج رحمتك ؟	٣٣٥	تعظيم وإقرار	٣.
عفو من أرجو إذا لم أرج عفوك ؟	٣٣٥	تعظيم وإقرار	٤.
رحمة من أرجو إذا لم أرج رحمتك ؟	٣٣٥	تعظيم وإقرار	٥.
مغفرة من أرجو إذا لم أرج مغفرتك ؟	٣٣٥	تعظيم وإقرار	٦.
رزق من أرجو إذا لم أرج رزقك ؟	٣٣٥	تعظيم وإقرار	٧.
فضل من أرجو إذا لم أرج فضلك ؟	٣٣٥	تعظيم وإقرار	٨.
وكيف لاأشكرك يا إلهي ؟	٣٣٥	خاص ، تعظيم وتعجب	٩.
فمن لي بعذر يا مولاي ؟	٣٣٦	خاص ، تعظيم وتضرع	١٠.
وكيف يستغني العبد عن ربه ؟	٣٣٦	عام ، تعظيم وتفاني	١١.
وكيف يستغني المذنب عنم يملأ عقوبته ومغفرته ؟	٣٣٦	عام ، للتفاني	١٢.
ما أنت صانع بغير لك بذنبه ، خاشع لك بذله ؟	٣٤٣	خاص ، استسلام	١٣.
إلهي إن رفعتني فمن ذا الذي يضعني ؟	٣٥٢	خاص وحدانية	١٤.
وإن وضعتنوني فمن ذا الذي يرفعني ؟	٣٥٢	خاص وحدانية	١٥.
وإن أكرمتني فمن ذا الذي يهينني ؟	٣٥٢	خاص وحدانية	١٦.
وإن أهنتني فمن ذا الذي يكرمني ؟	٣٥٢	خاص وحدانية	١٧.
وإن عذبتني فمن ذا الذي يرحمني ؟	٣٥٢	خاص وحدانية	١٨.
وإن أهلكتني فمن ذا الذي يعرض لك في عبرك	٣٥٢	خاص وحدانية	١٩.

إن المتأمل لأسلوب الاستفهام في هذا الجزء من الصحفة يدرك حقيقة مغزاها : إن الاستفهام لم يكن حقيقياً كما بدا من الأمثلة السابقة ، وكيف يكون حقيقياً والإمام يدعو ويناجي رب العزة العالم بالأشياء كلها الذي يعلم خائنة الأعين ، وما تخفي الصدور ، لأن الاستفهام الحقيقي معناه طلب العلم بشيء مجهول ، وكيف يجهل - تزهت أسماؤه - أشياء هي من صنعه وتكوينه ، لذا فالتابع لأمثلة الاستفهام يجد لها قد

(٤٢) المقتضى في شرح الإيضاح : ١٣٤/١ - ١٣٥ .

(٤٣) المقرب : ٢٨٩/١ .

**أساليب الأمر والنهي والاستفهام في جزء من الصحيفة السجادية (الأيام المباركة أثمن ذجا)**  
 خرجت لمعان منها: التعظيم والتفحيم، كقوله: (وَكَيْفَ يَسْتَغْنِي الْعَبْدُ عَنْ رَبِّهِ)، والتسليم، كقوله عليه السلام: (مَا أَنْتَ صَانِعٌ بِعَرْلَكَ بِذَنْبِهِ، خَائِشٌ لِكَ بِذَنْبِهِ)، والإقرار: (فَكُمْ لَيْ يَا رَبِّ مَنْ ذَنَبَ إِنَّا فِيهِ مَغْرُورٌ مُتَحِيرٌ)، والدعاء كقوله: (فَمَنْ لَيْ بَعْدُكَ يَا مُولَّاي)، ومعظم ما ورد في النصوص من (٣ - ٨)، والتوجع كقوله: (عَافِيَةٌ مِنْ أَرْجُو إِذَا لَمْ أَرْجُ رَحْمَتَكَ؟)، وكذلك ما ورد في النصوص من (١٥ - ١٩)، وسوهاها من المعاني التي صيغت بعبارات يجللها الخشوع، والانقياد، والتسلل لبارئ هذا الكون جبار السموات والأرض، القائل في محكم كتابه العزيز: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة ٢٩).

## الخاتمة

يُقِيَّناً أنَّ كُلَّ عَمَلٍ ثُرَّةٌ وَحَصْيلَةٌ، وقد كانت حصيلةنا بعد ملازمتنا لهذا المصنف جملة من النتائج نوجزُ أبرزها بما يأتي:

١. إن الأدعية بالأساليب المذكورة آنفاً كانت أغلب معانيها مستوحاة من كلامه تبارك وتعالى.
٢. إن الصحيفة السجادية مثلت أدب الدعاء خير تمثيل لأنها غاية في السبك والانتقاء والموضوعية.
٣. إن استشهاده عليه الصلاة والسلام بآيات من القرآن الكريم وكلام نبيه العظيم دليلان على أنَّ هذين المؤردين من موارد الاحتجاج كانا حاضرين لديه يعزز بهما كلامه ويدعمه.
٤. إن مناجاته لله جل ثناؤه كانت بعبارات يجللها الخشوع والرهبة والإيمان المطلق بوحدانيته.
٥. إن الاستفهام أينما ورد في القرآن لم يكن حقيقياً بل كان مجازياً خرج لأغراض مختلفة.

## المصادر والمراجع

العنوان	اسم المصدر والمراجع
١. الإتقان في علوم القرآن: بخلال الدين السيوطي ، الطبعة الثالثة . مصر ١٩٥١ م .	١. ت
٢. أساليب الطلب عند النحوين والبلغيين: الدكتور قيس إسماعيل الأوسي ، دار الكتب للطباعة والنشر ١٩٨٩ م .	٢. ت
٣. الأصول في النحو: لأبي بكر بن السراج ، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي ، النجف ١٩٧٣ م .	٣. ت
٤. البحر الحيط: لأبي حيان النحوي ، الطبعة الأولى – مصر ١٣٢٨ هـ .	٤. ت
٥. البرهان في علوم القرآن: لبدر الدين الزركشي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى – مصر ١٩٥٧ م .	٥. ت
٦. الجنى الداني في حروف المعاني: للحسن بن عبد الله المرادي ، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل – الطبعة الأولى حلب ١٩٧٣ م .	٦. ت
٧. الخصائص: لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق: محمد علي النجار ، الطبعة الثانية ، دار الهدى – بيروت .	٧. ت
٨. شرح الكافية في النحو: لابن الحاجب لرضي الدين الاستريادي ، دار الكتب العلمية – بيروت .	٨. ت
٩. شرح المفصل: للزمخشري لموفق الدين بن يعيش ، عالم الكتب – بيروت .	٩. ت
١٠. شروح التلخیص: طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر .	١٠. ت
١١. أصحابي في فقه اللغة و السنن العرب في كلامها: لأحمد ابن فارس ، القاھرہ ١٩١٠ م ، وطبعه بيروت	١١. ت

١٢	الصحيفة السجادية: الإمام زين العابدين (عليه السلام) مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت – الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
١٣	الكتاب: لسيويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مصر ١٩٦٦ - ١٩٧٦ م.
١٤	مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المشى التميمي، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، الطبعة الثانية – بيروت ١٩٨١ م.
١٥	معنى اللبيب عن كتب الأغاريب: لابن هشام الأنباري، تحقيق: محمد محبي الدين عبد الحميد، مطبعة المدنى – القاهرة .
١٦	المفصل في علم العربية: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الجيل – بيروت .
١٧	المقتضى في شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: الدكتور كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام – الجمهورية العراقية ١٩٨٢ م .
١٨	المقتضب: لأبي العباس المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عصيمة، القاهرة ١٣٨٦ هـ .
١٩	المقرب: لأبي عصفور، تحقيق: احمد عبد الستار الجواري، وعبد الله الجبورى ، الطبعة الأولى، بغداد ١٩٧١ - ١٩٧٢ م .
٢٠	همم الهوامع شرح جمع الجواجم في علم العربية: جلال الدين السيوطي، دار المعرفة – بيروت .

## **مدينة الكاظمين: معلم ديني سياحي**

### **(دراسة تأريخية)**

م.م. علي جاسم طلال الموسوي<sup>(١)</sup>

#### **المقدمة:**

إن من الطبيعي أن تكون لكل مدينة من المدن الدينية المعروفة في جميع أنحاء العالم مجموعة من العوامل التي ساعدت على نشوئها وبقائها واستمرارها على وجه الأرض.

وبالنسبة إلى مدينة الكاظمية فهناك عدة عوامل منها التاريخية حيث اشتهرت هذه المدينة على مر العصور وكانت لها جذور تاريخية طويلة تنتد إلى أواسط القرن الخامس عشر قبل الميلاد وهذا ما جعل من العامل التاريخي أحد العوامل الرئيسية في نشوء مدينة الكاظمية، بالإضافة إلى العامل الطبيعي من سطح ومناخ وتربة وموارد مائية مما سهل على عدد كبير من الناس إن يسكنوا هذه المنطقة نظراً لوفرة الموارد فيها، بالإضافة إلى العامل الديني الذي يعمل على جذب إعداد كبيرة من الزوار سواء أكانوا من داخل القطر أم خارجه.

وهذه العوامل المذكورة سلفاً لم تساعد على نشوء مدينة الكاظمية وإنما ساعدت على جعل المشهد الكاظمي منطقة جذب سياحية دينية مهمة في العراق.

#### **الفصل الأول**

##### **المبحث الأول: تاريجية مدينة الكاظمية والمشهد الشريف**

ان تاريخ مدينة الكاظمية يعود إلى زمن قديم جداً حيث ساعد هذا الامتداد التاريخي على نشوء هذه المدينة فتشير بعض المصادر التاريخية إلى أن هذه الأرض كانت مسكونة من قبل الكيشين في أواسط القرن الخامس عشر قبل الميلاد ومن المؤكد أن مثل هذا التاريخ جعل هذه المدينة إحدى المدن التاريخية المعروفة في العالم، بالإضافة إلى اكتسابها أهمية دينية إلى جانب الأهمية التاريخية المعروفة وبخاصة بعد دفن الإمامين الكاظمين موسى بن جعفر و محمد بن علي الجواد عليهما السلام مما جعل هذه المدينة من المدن التاريخية و الدينية المعروفة في العالم الإسلامي فشكلت على مر العصور بؤرة استقطاب سكاني وبخاصة حول المشهد الشريف.

---

١ - كلية الشريعة الإسلامية، جامعة أهل البيت عليهما السلام

لقد اختلف الباحثون في تاريخية مدينة الكاظمية و ذلك بسبب عدم وجود المصادر التاريخية التي تنص على هذا التاريخ بشكل واضح.

بعض المصادر التاريخية تؤكد إن ارض الكاظمية القديمة كانت مسكونة من قبل الكيشين الذين جاءوا في أواسط القرن الخامس عشر قبل الميلاد من الجبال الشمالية الشرقية لمنطقة لورستان في إيران يقودهم زعيم اسمه كندش ، فاحتلوا مدينة بابل الأولى المعروفة باسم الامورية و كان من ابرز ملوكهم الملك (كاريكالزو) الذي شيد عاصمة جديدة للدولة أطلق عليها اسمه و تعرف إطلالها و تلها العظيم اليوم باسم عقرقوف ، و هذا التل هو بقية زقورة المدينة و ارض الكاظمية جزء من تلك العاصمة.<sup>(٢)</sup>

وهناك مصادر أخرى تؤكد أن الذي بنى عقرقوف هو الملك كيكاووس الذي أطلق عليه اسم النمرود و نسبت إليه قصة محاربته لنبي الله إبراهيم عليهما السلام كما جاء ذكرها في القرآن الكريم<sup>(٣)</sup>. وتؤكد مصادر تاريخية أخرى أن أقدم ذكر للكاظمية كان في العهد الساساني حيث كانت المنطقة عبارة عن بستان لأحد ملوك الفرس و كانت تعرف بتسوج قطربل<sup>(٤)</sup> وهذا الاسم كان معروفاً في أواخر القرن الرابع عشر قبل الميلاد و هو القرن الذي أنشأت فيه دولة السلوقيين اليونانيين بعد وفاة الاسكندر المقدوني ، و كانت تروي هذه المنطقة من أحد فروع نهر دجلة الذي صار يعرف في العصر العربي بنهر الدجيل ، و تؤكد مصادر أخرى أن ارض الكاظمية قبل الإسلام كانت مناطق زراعية واسعة تتشرّف فيها البساتين والحقول العاملة بأشجارها و محاصيلها ، حيث يرى إن كسرى ابو شروان الملك الساساني كان يمتلك بستانًا في مدينة بغداد من ناحية الشمال سماه بستان العدل<sup>(٥)</sup>.

وتشير بعض المصادر التاريخية إلى إن القرى و المدن الواقعة جنوب الكاظمية و شرقها و جنوبها الغربي كانت قبل الإسلام كثيرة و متعددة تتسلسل و تتلاحم حتى تصل جنوباً إلى مدينة سلوقيا عاصمة بابل القديمة ، و اقرب تلك القرى غالى الكاظمية قرية سونايا الواقعة في جنوبها الشرقي و هي قرية مشهورة بالعنب الأسود حيث أصبحت هذه القرية فيما بعد محلة تدعى بالعتيقه و فيها مسجد الإمام علي بن ابي طالب عليهما السلام و يعرف بمشهد المنطقة و ما زالت لحد الآن تسمى بالمنطقة بين الكاظمية والكرخ<sup>(٦)</sup>. وكانت الكاظمية تعرف باسم مقبرة الشوينيز الصغير وهي تسمية عربية يحمل أطلاقها عند مجيء الإسلام ، و الشوينيز في اللغة الحبة السوداء<sup>(٧)</sup>.

إما بالنسبة إلى مقبرة الشوينيز الكبير فتعرف اليوم بمقبرة الشيخ جنيد البغدادي الصوفي غربي قبر معروف الكرخي في الكرخ.

وتشير المصادر التاريخية كذلك إلى إن هذه البقعة قبل إن يدفن فيها الإمام موسى بن جعفر و حفيده الإمام الجواد عليهما السلام و قبل إن تكون مقابر قريش كانت تعرف بمقبرة الشهداء أو قبور الشهداء لأنها كانت مدفناً لعدد من الذين استشهدوا في حرب الخوارج و دفنت هناك في غرب الكاظمية الجنوبي و ذلك في سنة

(٢) جواد، مصطفى، الكاظمية قديماً، بحث منشور في موسوعة العتبات المقدسة، مطبعة دار التعارف، ط ١٩٦٧، ص ٩ . ١٠

(٣) الموسوي، قبس من الكاظميين، ص ٤٣.

(٤) جواد، المصدر السابق ، ص ٢٠ - ٢١.

(٥) الموسوي، العوامل التاريخية لنشأة المدن العربية الإسلامية، ص ١٧١.

(٦) آل ياسين، شعراء كاظميون، ص ٩.

(٧) آل ياسين، مقابر قريش ، ص ١٤٣.

**٣٧** هـ و هم أصحاب أمير المؤمنين علي عليهما السلام و كانوا قد استشهدوا معه في قتال الخوارج بالنهر وان ، ولما رجعوا من الحرب أدركهم الموت في ذلك المكان بعد إن تأثروا بالجرح فدفنوا هناك<sup>(٨)</sup>.

وعندما أنهى المنصور بناء مدينة بغداد المدورة في عام ١٤٩ هـ في الجانب الغربي لبغداد جعل تلك المنطقة المجاورة لبغداد من الشمال مقبرة تحضن أسرته و أقاربه و اسمها مقابر قريش<sup>(٩)</sup> ، من أجل إن تضم موتى قريش خاصة مثل العباسين والعلويين بعد إن كانت هذه المنطقة تسمى بمقدمة الشونيزي الصغير.

وأول من دفن في هذه المقبرة هو جعفر الأكبر ابن المنصور العباسي سنة ١٥٠ هـ و دفنت كذلك أم جعفر و زبيدة أم الأمين ثم دفن فيها أبو يوسف القاضي سنة ١٨٢ هـ و في سنة ١٨٣ هـ دفن فيها الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام حيث يروى إن الإمام الكاظم عليهما السلام ابْتَاع لنفسه قطعة من الأرض في مقابر قريش بمدينة السلام ، وفي سنة ٢٢٠ هـ دفن الإمام الجواد في جنب جده الكاظم (عليهما السلام)<sup>(١٠)</sup>.

وابتدأت بعد دفن الإمامين الكاظمين في هذه البقعة الشريفة مرحلة جديدة حيث اتسع السكن ازداد حول مقابر قريش بعد دفن الإمامين وقد دفعت العقيدة الدينية بعض الناس إلى السكن حول المشهد الشريف لحمايته وإدارته وإيواء زائرية ، وربما يكون هذا التجمع هو النواة الأولى لهذه المنطقة<sup>(١١)</sup>.

وسميت بعد ذلك باسم قبر موسى عليهما السلام نسبة إلى الإمام موسى الكاظم عليهما السلام ثم المشهد الكاظمي نسبة إلى الإمامين الكاظم والجواد عليهما السلام<sup>(١٢)</sup> ، وكذلك سمي المشهد الشريف بمشهد الجوادين من باب التغليب نسبة إلى الإمام الجواد وجده الكاظم عليهما السلام<sup>(١٣)</sup>.

وقد سمي المشهد الكاظمي بهذا الاسم بِعَا لصفة الكظم التي اتصف بها الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام الذي اشتهر بحلمه وكظمه الغيط والعفو عند الإساءة.

وهناك بعض الباحثين يسمون المشهد الكاظمي بمشهد باب التبن نسبة إلى مقبرة باب التبن الواقعة في شرق مقابر قريش وهي محلة كانت ببغداد على الخندق بإزاره قطيعة أم جعفر وفيها قبر عبد الله بن احمد بن حنبل<sup>(١٤)</sup>.

والواقع إن مثل هذه التسمية يجب إن تطلق على قبر عبد الله بن احمد بن حنبل لأن مرقده الشريف واقع في نفس المقبرة وان هذه المقبرة واقعة شرقي مقابر قريش<sup>(١٤)</sup> فلا يجوز إن تعمم هذه التسمية على مقبرة باب التبن و مقابر قريش التي احتضنت الإمامين الكاظمين وقد أصبح قبرا الإمامين نواة لتوسيع المنطقة التي تشغله الكاظمية الحالية وبسبب مكانة الإمامين في نفوس المسلمين فقد كانا يُعرفان بأنهما إمامين كبيراً القدر، عظيمَا الشأن، كثيراً التهجد، جادان في الاجتهاد، مشهوران في العبادة، مواطنان على الطاعة، مشهوران في الكرامات.

وعلى هذا الأساس أصبح الناس يسكنون بالقرب من الإمامين للتربي بهما<sup>(١٥)</sup> و عدد آخر من الناس يوصي بأن يدفن بجوارهما و عدد آخر اهتم بتأمين راحة الزوار و لهذا أصبحت هذه المنطقة جزء متصلًا من مدينة بغداد.

(٨) الموسوي ، المصدر السابق ، ص ١٧١

(٩) الخطيب البغدادي ، ص ٥٥

(١٠) الورد ، حوادث بغداد في ١٢ قرن ، ص ٢٨ .

(١١) الكتاني ، استعمالات الأرض في مدينة الكاظمية ، ص ٨ .

(١٢) بشير ، بغداد آثارها و تاريخها ، ص ١٦ .

(١٣) حدة ، المعالم الأثرية و السياحية للوطن العربي ص ٥٩٨ .

(١٤) جواد ، المصدر السابق ، ص ٢٤

(١٥) الكندي. نوبل عبد الرضا ، ص ٦١

وعلى هذا الأساس توسعت مدينة الكاظمية في العصر العباسي الأول توسيعاً كبيراً حتى أصبحت في نهاية هذه الفترة تشمل عدة محلات مثل محلة باب التين<sup>(١٦)</sup> والقطيعة الزيدية والخربية وربض أبي حنيفة وجهار سور وباب الشعير و العتابين و دار العمارة و محلة الشارع و الرميلة والنصرية<sup>(١٧)</sup> وغيرها.

إما الكاظمية في العهد البوبي فقد تميزت هذه الفترة بتزديدي الأوضاع الاقتصادية وعدم الاستقرار السياسي وبالرغم من ذلك نال المشهد الكاظمي اهتماماً كبيراً من البوبيين بسبب إتباع البوبيين المذهب الجعفري فقد شيد المشهد الكاظمي تشييداً رائعاً و تم إعداد المستلزمات الخاصة بالزوار للمحافظة على الأمن والاستقرار في تلك المنطقة بالإضافة إلى توفير الطعام والشراب لزوار المشهد الشريف<sup>(١٨)</sup>.

وقد اشتهر في هذه الفترة بعض السلاطين البوبيين أمثال معز الدولة الذي قام بتشييد المشهد الكاظمي من جديد و وضع على القبور ضريحين خشبيين وفي عام ٣٦٧ هـ غرفت جهات كثيرة من الجانب الشرقي لبغداد فقام عضد الدولة ببناء سور حول المشهد ليقيه من الغرق<sup>(١٩)</sup>. وقد حدثت في تلك الفترة الفتنة ما أدى إلى إحراق المشهد الكاظمي وكذلك نهب ما فيه من هدايا وغيرها<sup>(٢٠)</sup>. ثم قام البساسيري بتشييد المشهد الشريف. إما في العهد السلاجوقى فقد تميزت هذه الفترة باستمرار الفتنة والاضطرابات ولم يحظ المشهد الكاظمي بأى اهتمام بل تقلصت مساحته بسبب التدهور في الأوضاع السياسية والاقتصادية. كما نهب المشهد الكاظمي في سنة ٤٤٨ هـ وتعرض لفيضانات دجلة عدة مرات مما أدى إلى حدوث الكثير من الخراب في الكاظمية بالإضافة إلى ذلك فقد تم في هذه الفترة بناء عدة منشآت للمشهد الشريف مثل دار لاستقبال الضيوف في سنة ٥٦٩ هـ<sup>(٢١)</sup> وأصبحت الكاظمية بعد انتهاء العصر العباسي مدينة مستقلة تضم عدداً كبيراً من الناس والمنشآت التابعة لها<sup>(٢٢)</sup>.

وأما في العهد المغولي فقد عرف هذا العهد بكثرة الاضطرابات والفتنة وسوء الأوضاع الاقتصادية و السياسية التي استمرت طيلة فترة حكم المغول<sup>(٢٣)</sup> على الرغم من ذلك فقد تم في هذه الفترة الاهتمام بالمشهد الكاظمي من قبل المغول مثل عمارة المشهد من قبل شهاب الدين علي وغيره، وفي هذا العهد أيضاً عرف المشهد الكاظمي الكثير من العمارة والتنظيم كما تبين لنا أقوال المؤرخين المعاصرين أمثال ابن بطوطه الذي زار بغداد سنة ٧٢٧ هـ وأبو الفداء.

ومن العلامات البارزة لهذه الفترة هي فيضانات دجلة المتكررة، ولعل ابرز حدث في العهد المغولي هو قيام السلطان اوس الجلائري بتعمير المشهد الكاظمي بشكل كامل وبناء قبتين ومنارات وهي العمارة الأولى بعد انقضاء العصر العباسي.<sup>(٢٤)</sup>

إما المشهد الكاظمي في العهد الصفووي الأول فقد عرف في هذا العهد اهتمام الصفوين بالمشهد الكاظمي بدرجة كبيرة وأولوه اهتماماً كبيراً في هذا المشهد ، فقد أمر الشاه إسماعيل الصفووي بقلع عمارة المشهد من أساسها وتجديدها تجدیداً شاملـاً وتوسيع الروضة وتزيين الحرم وغيرها من الإعمال ،<sup>(٢٥)</sup> وفي هذا العهد تم

(١٦) الحموي، معجم البلدان، ص ٤٤٣.

(١٧) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣٨٧.

(١٨) السماوي، صدى الفؤاد إلى حمى الكاظم والجواب، ص ١١.

(١٩) المصدر نفسه، ص ١٢.

(٢٠) أبن كثير، البداية والنهاية في التاريخ، ص ١٨٣.

(٢١) نسرین محمود، الجغرافية الاجتماعية لمدينة الكاظمية الكبرى، ص ٣٣.

(٢٢) آل ياسين، مقابر قريش، ص ١٤٣.

(٢٣) القرزاـز، الحياة السياسية في عهد السيطرة المغولـية ص ١١٢.

(٢٤) السماوي، المصدر السابق، ص ١٥.

(٢٥) آل ياسين، تاريخ المشهد الكاظمي، ص ٥٥.

**مدينة الكاظمين ؛ معلم ديني سياحي (دراسة تاريخية)**  
تشيد هيكل الحرم وروضته وأروقته وهو البيكل القائم لأن ولا يزال جزء من هذه الإعمال قائماً لحد الأن مثل الطابوق الكاشاني في جدار الروضة<sup>(٢٦)</sup> والصندوقين الخشبيين الموضوعين حتى يومنا هذا على الضريحين الشريفين ، وعلى هذا الأساس فان المشهد الكاظمي في هذا العهد تميز باهتمام الصفوين به اهتماماً كبيراً.

إما العهد التركي الأول الذي يبدأ سنة ٩٤١ هـ فقد تميز بعض الاهتمام بالمشهد الكاظمي من قبل بعض السلاطين من أمثال سليمان القانوني الذي قام ببعض إعمال الصيانة للمشهد الشريف وتنظيم شؤونه وكذلك قام بإكمال بعض أعمال البناء التي لم يكملها الصفويون<sup>(٢٧)</sup>.

إما المشهد الكاظمي في العهد الصفووي الثاني الذي يبدأ سنة ١٠٣٢ هـ والذي شهده الكثير من الحروب والفتن وبالرغم من ذلك وبعد استقرار الأوضاع قام الشاه عباس الكبير بتشيد المشهد الشريف بعد هذه الحروب وأمر بصنع ضريح من الفولاذ من أجل وضعه على الضريحين ليقيهما من حوادث النهب و السلب إثناء المعارك والفتن<sup>(٢٨)</sup> ، إلا انه لم يصل إلى الكاظمية حتى سنة ١١١٥ هـ بسبب تأزم العلاقات السياسية بين إيران وتركيا.

إما في العهد التركي الثاني الذي يبدأ سنة ١٠٤٨ هـ فقد تميزت هذه الفترة بإثارة الفتنة مما أدى إلى نهب المشهد الشريف ولم تصلنا من تلك الفترة معلومات كافية وقد قام نادر شاه بإرسال هدايا ثمينة للعتبات المقدسة في العراق سنة ١١٥٣ هـ و كذلك قام محمد شاه القاجاري بإكمال ما بدأه الصفويون في هذا المشهد الشريف<sup>(٢٩)</sup>.

وفي فترة لاحقة من هذا العهد اهتم الأتراك بالروضة الشريفة فقد قاموا بأعمال بناء وتشيد وتنظيم شؤون الروضة بالإضافة إلى الاهتمام بزوار الروضة المطهرة. واستمرت الأعمال في الروضة الكاظمية حتى وقتنا الحاضر.

### **المبحث الثاني: العرض السياحي الديني في الكاظمية.**

**المطلب الأول:** مرقد الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام  
الإمام هو موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، ويكتنأ بأبي إبراهيم وأبي إسماعيل وأبي الحسن وأبي الحسن الأول وأبي علي .  
أما أسماؤه وألقابه فهي باب الحوائج ، الكاظم ، العبد الصالح ، الحليم ، الفقيه ، الوصي ، الأستاذ ، الأمين ، الزاهر ، زين المجتهدين ، الشيخ ، صاحب الصرر ، النفس الزكية ، الوصي الموسوي ، راهب آل محمد<sup>(٣٠)</sup>.

ولد الإمام الكاظم عليه السلام في الأبواء وهي منطقة بين مكة المكرمة والمدينة المنورة في سنة ١٢٨ هـ<sup>(٣١)</sup> ، حيث أن الإمام فتح عينيه ليجد نفسه في أروع معاهد العبادة والطاعة والتقوى ، فأهل البيت عليه السلام هم أساس الدين والتقوى لهذا لا نجد غرابة في أن يكون الإمام الكاظم عليه السلام أعبد أهل زمانه وأخلصهم في طاعة الله فهو رب الرسالة المحمدية<sup>(٣٢)</sup>.

(٢٦) المصدر نفسه، ص ٥٦ - ٥٧.

(٢٧) آل ياسين ، تاريخ المشهد، ص ٨٥.

(٢٨) السماوي ، صدى الفؤاد إلى حمى الكاظم والجود ، ص ١٦

(٢٩) آل ياسين ، تاريخ المشهد، ص ٩١

(٣٠) الماقاني ، الكنى والألقاب ، ص ١٦٦.

(٣١) السامر ، الإمام موسى بن جعفر باب الحوائج ، ص ١٢.

(٣٢) المسعودي ، العبد الصالح موسى بن جعفر ، ص ٩٩ - ١٠٠.

لقد بقي الإمام موسى الكاظم مع أبيه الصادق عليهما السلام مدة عشرين عاماً منها خمس سنوات تقريباً في عهد الأمويين وأربع سنوات ونصف في عهد عبد الله الملقب بالسفاح وتسع سنوات وأشهر في حكم المنصور الدوانيقي، حيث كانت وفاة الإمام الصادق عليهما السلام ، وعاش بعد أبيه خمسة وثلاثين عاماً قضى منها مع المنصور بعد أبيه حوالي عشر سنوات ومع ولده الملقب بالمهدي عشر سنوات ومع ولده موسى الهادي سنة واحدة ومع أخيه هارون نحو خمسة عشر عاماً<sup>(٣٣)</sup>.

أما حياة الإمام موسى الكاظم فكانت منارة للمسلمين في جميع جوانب شخصيته الكريمة فلو أخذنا عبادته إذ كان يعرف بأنه أعبد أهل زمانه وأعلمهم<sup>(٣٤)</sup> ، حيث يروى أنه كان إذا صلى العتمة حمد الله ومجده ودعا إلى أن يزول الليل<sup>(٣٥)</sup> وكان هذا دأبه إلى أن مات.

أما عن حلمه فبسبب فرط حلمه وتجاوزه عن المعتدلين عليه دعي بالكاظم فكان يجازي المساء لالحسان، ويقابل الجافي بالغفو عنه<sup>(٣٦)</sup>. وكذلك الحال في كرمه فإن جميع المصادر التاريخية تحدثنا بأنه ما رد قاصداً خائباً قط ، حيث كان سخياً كريماً وكان يصر الصرر ويعطيها إلى المحتاج حتى سمي بصاحب الصرر<sup>(٣٧)</sup>.

الآن جزء كبيراً من حياة الإمام الكاظم قضاه في سجون العباسيين إذ لم يتوانوا من نقله من سجن لآخر، ففي حكم المهدي سجن الإمام فترة من الزمن ثم أطلق سبيله، أما في حكم الرشيد فقد عاش الإمام متتناولاً من سجن لآخر وقضى فترة كبيرة في طوامير السجون، وفي عهد الرشيد سجن الإمام الكاظم ونقل من المدينة إلى البصرة وحبس عند عيسى بن جعفر ومن ثم نقل إلى سجن بغداد فحبس عند الفضل بن الربيع<sup>(٣٨)</sup>. وما زال ينتقل من حبس إلى آخر حتى مضت عليه ثمان سنوات ثم انتقل إلى حبس السندي بن شاهك حتى استشهد الإمام مسموماً بعدما أعطى رطباً مسموماً من قبل السندي وهو في حبس الرشيد وكان استشهاده في ٢٥ رجب عام ١٨٣هـ<sup>(٣٩)</sup>.

**المطلب الثاني: موقد الإمام محمد بن علي الجواد:**  
والإمام هو محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقي بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام . ويكتن باب الرضا وأبي جعفر وأبو جعفر الثاني وأبي علي<sup>(٤٠)</sup>.

أما ألقابه فهي الجواد، النقي، الرضي، الزكي، العالم، القانع، العالم الرباني، المتقي، المختار، المتوكل، المتوضّح بالرضا، المرتضى، المنتخب<sup>(٤١)</sup>.

ولد الإمام الجواد في المدينة المنورة في شهر رمضان سنة ١٩٥هـ<sup>(٤٢)</sup> حيث نشأ الإمام الجواد عليهما السلام في بيت النبوة والإمامية ذلك البيت الذي أعزه الله ، وقد ترعرع الإمام في ظلاله وهو يتلقى المثل العليا من أبيه الرضا عليهما السلام ، وقد تولى الإمام الرضا بنفسه تربيته فكان بصحته في حله وسفره<sup>(٤٣)</sup>.

(٣٣) الحسيني، سيرة الأنئمة لأئمتنا عشر ص ٣١١.

(٣٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ، ج ١٣، ص ٢٧.

(٣٥) الخليلي ، موسوعة العقبات المقدسة ، ج ١ ، قسم الكاظمين ، ص ٥٦.

(٣٦) ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ ج ١٠ ص ١٨٣.

(٣٧) المسعودي ، العبد الصالح موسى ابن جعفر ، ص ٩٩ - ١٠٠.

(٣٨) الطالقاني ، نور الأ بصار في مواليد الأنئمة الأطهار ، ص ٢٧٣ - ٢٧٥.

(٣٩) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ص ٢٩٠.

(٤٠) الماقاني ، محمد رضا ، الكني والألقاب ، ص ١٦٨.

(٤١) المقيد ، الإرشاد ، ص ٣٠٧.

مدينتي الكاظمين ؛ معلم ديني سياحي (دراسة تاريخية)  
عاش الإمام في ظل أبيه الرضا فترة قصيرة حوالي سبع سنين وبقي بعد أبيه أكثر من سبع عشرة سنة في  
عهد الخليفة المأمون العباسي وجزء من خلافة المعتصم<sup>(٤٤)</sup>.  
وبعد استشهاد الإمام الرضا قام الخليفة المأمون باستدعاء الإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد سنة ٢٠٤ هـ من  
اجل إن يزوجه ابنته أم الفضل<sup>(٤٥)</sup>.  
لم تكن حياة الإمام الجواد عليه السلام طويلة فقد وافاه الأجل بعد إن بلغ الخمس والعشرين سنة وبعد أقصر  
الأئمة عليه السلام عمرًا.

عاش الإمام الجواد عليه السلام ولم يتعرض إلى ضغوط سياسية واقتصادية كالتي تعرض لها جده الكاظم  
عليه السلام ، وعلى الرغم من قصر حياته إلا أنه اتجه صوب العلم فرفع منارة وأسس أصوله وقواعديه واستغل  
مدة بقائه في بغداد بالتدريس وإشاعة العلم وبلورة الفكر بالمعارف والأداب الإسلامية وقد التف حوله  
جمهور كبير من العلماء والرواة من أجل الاستزادة من علمه<sup>(٤٦)</sup>.

إما عن شخصية الإمام الجواد فهي غنية عن التعريف وفوق كل مدح لا ترضى إلا بالسمو والرقة ،  
فلو أطلعنا على بعض جوانبها كالعلم لوجدنا أنه كان معروفاً بالعلم لا يدانيه أحد في سعة علومه وعارفه  
وأنه لا بد إن يكون أعلم أهل زمانه وأدراهم بشؤون الشريعة وأحكام الدين<sup>(٤٧)</sup>.

إما عن زهد الإمام الجواد فكان معروفاً به ، على الرغم من أنه كان شاباً في مقبل العمر وبمحوزته  
الكثير من الأموال الوافرة التي كان يمتلكها ومع ذلك فإنه لم ينفق شيئاً منها في أموره الخاصة وأنما كان  
ينفقها على الفقراء والمحاججين<sup>(٤٨)</sup>.

إما عن كرمه فإنه كان أكثر الناس كرماً وسخاءً وقد لقب بالجواد لكثرة كرمه وأحسانه إلى  
الناس. استشهد الإمام الجواد مسموماً بعدما أعطى عنباً مسموماً من قبل أم الفضل في حكم المعتصم  
العباسي<sup>(٤٩)</sup>.

**مخطط المشهد الكاظمي عليه السلام :**  
تبلغ المساحة الكلية للمشهد الكاظمي بما فيه الصحن والجامع والأسوار ما يساوي ١٩٥٧٥ م٢ وقد  
بني على الطراز العربي الإسلامي على شكل مستطيل<sup>(٥٠)</sup>. إما مساحة بناء المشهد الكاظمي بما فيه الحرم و  
الأروقة والطارمات فهي ٢٣٦٠٠ م٢ يحيط بالصحن الكاظمي سور كبير من جهاته الأربع وهو مرتفع بعلو  
١٠ م تقريباً وينقسم من الداخل طابقين الأول بنيت فيه الغرف والآواوين وأما الثاني فهو عبارة عن اتصال  
السور حتى الأعلى. حيث قسمت الآواوين في الصحن الشريف على طول الأسوار الأربع بمساحة محددة  
وأشكال بدعة لا تختلف عن بعضها البعض سوى في الرسوم والألوان وهي في غاية الروعة والإبداع، ويبلغ  
عدد الآواوين في الصحن ثلاثة وستين إيواناً<sup>(٥١)</sup>.

حيث يوجد في كل إيوان قبران لدفن الموتى وفضلاً عن وجود الآواوين توجد في الصحن الشريف  
مداخل صغيرة بعدد ١٤ مدخلاً توصل إلى غرف واسعة ذات أبعاد مختلفة، وهناك أيضاً غرف كبيرة متصلة

(٤٢) المسعودي، إثبات الوصية، ص ٢٠٩.

(٤٣) القرشي، المصدر السابق، ص ٢٨.

(٤٤) الكليني، الكافي، ج ١ ص ٤٩٢.

(٤٥) الحسني، سيرة الأئمة لاثني عشر، ص ٤٤٩ - ٤٥٠.

(٤٦) القرشي، المصدر السابق. ص ٣١٤.

(٤٧) دخيل، الإمام محمد الجواد، ج ٩ ص ٦.

(٤٨) العطاردي، مسند الإمام الجواد، ص ٦٦.

(٤٩) عبد الله، الحضرة الكاظمية، ص ٧٤.

(٥٠) الموسوي، قيس من الكاظمين، ص ٧٠.

بـالـأـوـاـيـن بـوـاسـطـة أـبـوـاـيـن خـشـيـة عـدـدـهـا ٧٦ غـرـفـة عـلـى طـول مـسـاحـة السـور، وـإـحـدـى هـذـه الغـرـف هـي المـكـتـبـة (٥١) ولـلـمـشـهـد الشـرـيف عـشـرـة أـبـوـاـيـن لـدـخـول الزـائـرـين إـلـى الإـمامـيـن مـنـهـا الـكـبـيرـة وـمـنـهـا الـمـوـسـطـة وـمـنـهـا الصـغـيـرة، عـلـمـاً إـنـ الـأـبـوـاـيـن فـي الـأـصـل كـانـت سـبـعـة ثـم أـضـيـفـت إـلـيـها ثـلـاثـة.

وـالـأـبـوـاـيـن هـي بـابـ الـمـرـاد، وـبـابـ الـقـبـلـة، وـبـابـ صـاحـبـ الـزـمـان، وـبـابـ قـرـيشـ، وـبـابـ الرـجـاءـ، وـبـابـ الـمـغـرـفـة، وـبـابـ الـرـحـمـةـ، وـبـابـ قـاضـيـ الـحـاجـاتـ، وـبـابـ الفـرـهـادـيـةـ، وـبـابـ الـجـواـهـرـيـةـ. وهـذـه الـأـبـوـاـيـن مـخـتـلـفـة الـأـحـجـامـ حـيـثـ إـنـ بـابـ الـمـرـادـ وـبـابـ الـقـبـلـةـ وـبـابـ صـاحـبـ الـزـمـانـ كـبـيرـةـ الـحـجـمـ وأـمـاـ بـابـ قـرـيشـ وـبـابـ الرـجـاءـ وـبـابـ الـمـغـرـفـةـ وـبـابـ الـرـحـمـةـ وـبـابـ قـاضـيـ الـحـاجـاتـ فـهـيـ مـتـوـسـطـةـ الـحـجـمـ، وأـمـاـ بـابـ الفـرـهـادـيـةـ وـبـابـ الـجـواـهـرـيـةـ فـهـيـ صـغـيـرةـ الـحـجـمـ (٥٢).

وـمـنـ ثـمـ يـاتـيـ الصـحنـ الذـيـ يـحـيطـ بـالـحـرمـ الشـرـيفـ مـنـ أـطـارـفـهـ الشـرـقـيـةـ وـالـجـنـوـيـةـ وـالـغـرـبـيـةـ وـهـوـ فـضـاءـ كـبـيرـ وـاسـعـ تـقـامـ فـيـ الصـلـاـةـ، وـيـأـوـيـ إـلـيـهـ الزـائـرـونـ (٥٣) وهـذـهـ ثـلـاثـةـ أـقـسـامـ مـنـ الصـحنـ وـهـيـ الـقـسـمـ الـأـوـلـ وـهـوـ صـحنـ قـرـишـ وـالـقـسـمـ الغـرـبـيـ مـنـ الـمـشـهـدـ، وـالـقـسـمـ الثـانـيـ هوـ صـحنـ بـابـ الـمـرـادـ وـهـوـ الـقـسـمـ الشـرـقـيـ مـنـ الـرـوـضـةـ وـالـقـسـمـ الثـالـثـ هوـ صـحنـ بـابـ الـقـبـلـةـ وـهـوـ الـقـسـمـ الـجـنـوـيـ مـنـ الـرـوـضـةـ الـمـقـدـسـةـ.

أـمـاـ الطـارـمـاتـ، فـتـوـجـدـ فـيـ الصـحنـ الشـرـيفـ ثـلـاثـ طـارـمـاتـ كـبـيرـةـ الـحـجـمـ، رـفـيـعـةـ الـبـنـاءـ، دـقـيـقـةـ الـمـنـظـرـ، جـمـيـلـةـ الـطـرـازـ وـالـنـقـوـشـ وـهـيـ تـحـيطـ بـالـرـوـضـةـ مـنـ جـهـاتـهـاـ الشـرـقـيـةـ وـالـجـنـوـيـةـ وـالـغـرـبـيـةـ وـهـيـ كـالـآـتـيـ:

الـطـارـمـةـ الشـرـقـيـةـ: حـيـثـ تـوـجـدـ فـيـ هـذـهـ الـطـارـمـةـ سـتـةـ مـاـدـخـلـ تـسـمـيـ الـكـشـوـانـيـاتـ وـيـفـصـلـ بـيـنـ الصـحنـ الـمـطـهـرـ وـالـطـارـمـةـ شـبـاكـ حـدـديـ وـتـسـتـنـدـ كـلـ طـارـمـةـ عـلـىـ أـعـمـدـ مـخـتـلـفـةـ فـيـ الطـوـلـ وـالـعـدـدـ وـالـحـجـمـ وـقـدـ قـسـمـتـ هـذـهـ الـطـارـمـةـ إـلـىـ الـبـابـ الرـئـيـسـ وـهـوـ بـابـ ذـهـبـيـ عـظـيمـ الصـنـعـ وـبـابـ فـضـيـنـ مـنـ جـهـتـيـ الـطـارـمـةـ الشـمـالـيـةـ وـالـجـنـوـيـةـ وـهـذـهـ إـيـوـانـ مـقـرـنـصـانـ بـالـمـرـايـاـ وـالـزـجاجـ الـبـدـيعـ.

الـطـارـمـةـ الـجـنـوـيـةـ: تـمـتـازـ هـذـهـ الـطـارـمـةـ بـعـلـوـهـاـ الشـاهـقـ وـفـنـهـاـ الـبـدـيعـ الرـائـعـ وـتـحـتـويـ هـذـهـ الـطـارـمـةـ مـدـخـلـيـنـ وـيـوـجـدـ فـيـهـاـ خـمـسـةـ أـوـاـيـنـ كـبـيرـةـ وـصـغـيـرةـ (٥٤).

الـطـارـمـةـ الغـرـبـيـةـ: تـمـتـازـ هـذـهـ الـطـارـمـةـ عـنـ غـيرـهـاـ بـاـنـهـاـ تـحـمـلـ طـابـعـ الـمـاضـيـ الـمـجـيدـ وـتـحـتـويـ هـذـهـ الـطـارـمـةـ بـاـبـاـ واحدـاـ فـيـ وـسـطـهـاـ بـالـإـضـافـةـ إـلـىـ سـتـةـ أـوـاـيـنـ مـزـيـنـةـ بـالـمـرـايـاـ وـلـهـاـ مـاـدـخـلـ إـلـاـ الـأـرـوـقـةـ فـهـيـ تـحـيطـ بـالـحـرمـ الـمـقـدـسـ مـنـ جـهـاتـهـاـ الـأـرـبـعـ مـكـوـنـةـ أـرـبـعـ أـرـوـقـةـ مـتـصـلـةـ مـعـ بـعـضـهـاـ بـعـضـ مـكـوـنـةـ كـبـيرـةـ تـحـيطـ بـالـحـرمـ، حـيـثـ تـوـجـدـ فـوـقـ أـرـكـانـ الـأـرـوـقـةـ الـأـرـبـعـ أـرـبـعـ كـبـيرـةـ مـغـلـفـةـ مـنـ القـسـمـ الـعـلـوـيـ بـالـأـجـرـ الـذـهـبـيـ (٥٥).

وـقـدـ قـسـمـتـ هـذـهـ الـأـرـوـقـةـ بـشـكـلـ مـعـمـاريـ بـدـيعـ وـهـيـ مـزـيـنـةـ بـالـمـرـايـاـ الـخـلـابـةـ الـتـيـ تـزـينـ أـرـوـقـةـ الـمـشـهـدـ مـنـ أـوـاسـطـ جـدـرـانـهـاـ، وـمـنـ الـجـدـيـرـ بـالـذـكـرـ إـنـ لـكـلـ رـوـاقـ مـدـخـلـاـ مـنـ الـطـارـمـةـ الـمـحـيـطـةـ بـهـ الـذـيـ يـشـكـلـ الـحدـفـاـصـلـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ طـارـمـةـ الصـحنـ، كـمـاـ يـشـكـلـ حـدـاـ فـاصـلـاـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ الـحـرمـ الشـرـيفـ مـاـ عـدـاـ الـجـهـةـ الشـمـالـيـةـ فـهـيـ مـتـصـلـةـ بـالـجـامـعـ وـالـأـرـوـقـةـ هـيـ (٥٦).

الـرـوـاقـ الـشـرـقـيـ: يـعـدـ هـذـهـ الـرـوـاقـ ذـاـ شـكـلـ هـنـدـسـيـ بـدـيعـ وـلـهـ بـابـ فـضـيـانـ اـحـدـهـمـاـ فـيـ الشـمـالـ الشـرـقـيـ وـالـأـخـرـ فـيـ الـجـنـوـيـ وـبـابـ كـبـيرـ مـنـ الـذـهـبـ فـيـ الـوـسـطـ.

(٥١) زيارة ميدانية في ٩/١٠/٢٠٠٦.

(٥٢) زيارة ميدانية في ٦/١٧/٢٠٠٨.

(٥٣) آل ياسين، تاريخ المشهد الكاظمي، ص ٩٠.

(٥٤) زيارة ميدانية في ٨/١٤/٢٠٠٧.

(٥٥) سلمان، العمارات العربية الإسلامية في العراق، قصور ومشاهد، ص ١٨٩.

(٥٦) عبد الله، الحضرة الكاظمية، ص ٧٤.

**مدينة الكاظمين؛ معلم ديني سياحي (دراسة تاريجية)**  
حيث يوجد في هذا الرواق أربعة أبوابين كما توجد في هذه الأروقة قبور تاريجية كثيرة ومنها قبر الشيخ المفید وقبر الفقيه ابن قولوية وقبور آل الصدر وغيرهم من السادة الأشراف والأعيان<sup>(٥٧)</sup>.

- الرواق الغربي: حيث يوجد فيه مدخل واحد من جهة طارمة بباب صاحب الزمان وبابان فضيان متصلان بالحرم الشريف، ويتحذ نفس الشكل والمواصفات بالنسبة إلى الرواق الشرقي، ويوجد فيه قبر العالمة الطوسي، وله ستة أبوابين متقابلة.

الرواق الجنوبي: وله ثلاثة أبواب من جهة طارمة بباب القبلة مصنوعة من الذهب الخالص مع باب واحد فضي يتصل بالحرم، كما توجد فيه أربعة أبوابين متقابلة<sup>(٥٨)</sup>.

الرواق الشمالي: ليس له أبواب للدخول إليه سوى باب واحد يتصل بالحرم الشريف، وتوجد فيه أربعة أبوابين متقابلة مع وجود شبابيك مطلة على جامع الجوادين<sup>(٥٩)</sup>. إما الحرم الشريف فإننا ذكرنا سابقاً إن هناك ستة مداخل للحرم المطهر مكونة من أربعة أبواب فضية وبابين ذهبيين كبيرين.

وينقسم الحرم المطهر قسمين حرم جنوبي ويدعى حرم الإمام الكاظم<sup>عليه السلام</sup> وحرم شمالي ويدعى حرم الإمام الجواد<sup>عليه السلام</sup> ويصل بينهما من الشرق والغرب طريقان والضريح المطهر يقع في الوسط ، إن طول الضريح الفضي ٦٧٤ م وعرضه ٥١٧ م وترتفع أعلى نقطة فيه قرابة ثلاثة أمتار ونصف المتر عن الأرض وهو مشبك ومنقوش على نحو جميل جداً وكتبت عليه الآيات القرآنية الكريمة وقسم الحرم الشريف قسمين قسم جنوبي يدعى حرم الإمام الكاظم.

والقسم الشمالي يدعى حرم الإمام الجواد وهو متصلان من الشرق والغرب بمرات والضريح المطهر يقع في الوسط ، وفي بداخل الضريح صندوقان يقعان فوق قبر الإمام الكاظم<sup>عليه السلام</sup> وهما صندوقان كبيران متساويان في الهيئة والحجم مصنوعان من الخشب ومزخرفان ومغلفان بالزجاج ومنقوش على كل منهما الآيات القرآنية . وجدار الحرم الشريف من الداخل مغلف بالمرمر وأعلاه مزین بقطع الزجاج الجميلة ، وتوجد فوق أركان الروضة الشريفة أربع مآذن صغيرة الحجم مغلفة بالذهب ، إما القبةتان حيث تعلوان فوق الضريح المقدس واحدة فوق قبر الإمام الكاظم<sup>عليه السلام</sup> والأخرى فوق قبر الإمام الجواد<sup>عليه السلام</sup> ، حيث تتكون كل واحدة منها من طبقتين شكل الداخلية مفلطحة لا ترتفع كثيراً عن مستوى ارتفاع الجدران الخارجية لهذا الجزء من البناء.

إما الخارجية فهي أصغر حجماً من القبة الداخلية والقبتان متناظرتان ، وتميز كل منهما برقبة طويلة خالية من النوافذ وشكلهما نصف كروي مدبب قليلاً وقد طليت هاتان القبةتان بالذهب.<sup>(٦٠)</sup>

وكذلك يحوي المشهد الكاظمي ساعة تاريجية توجد في الطرف الجنوبي الشرقي من باب القبلة مرتفعة بحوالي ٢٠ م ارسى أساسها في إحدى غرف الصحن وهي تظهر للناظر من جوانب مختلفة ، حيث يكون القسم الأول من الساعة على شكل قوس في البناء ، إما القسم الثاني من الساعة فقد رسمت فيه مناظر طبيعية خلابة تتوسط عقارب الساعة من الجهات الأربع ، إما قمة الساعة فقد صفت من الكاشان الأزرق وطليت بماء الذهب.<sup>(٦١)</sup> ، وفي الوقت الحالي قسم الحرم الشريف قسمين قسم خاص بالرجال وهو القسم الشرقي والقسم الغربي خاص النساء.

(٥٧) مقابلة مع السيد زهير الموسوي أحد سادة المشهد الكاظمي في ٤/٨/٢٠٠٥.

(٥٨) زيارة ميدانية في ٢٣/١١/٢٠٠٨.

(٥٩) آل ياسين ، مقابر قريش ص ٩٠.

(٦٠) الجنابي ، العمارت الدينية ، ج ١٠ ، ص ٢٩.

(٦١) جمال ، توظيف الموروثات الحضارية والثقافية والدينية العباسية في مركز مدينة بغداد ودورها في التنمية السياحية ، ص ٥٤.

**الفصل الثاني****المبحث الأول: أعمال الصيانة والترميم:**

إن العمارة الأولى كانت بعد وفاة الإمام الكاظم عليهما السلام مباشرة حيث كانت عمارة بدائية صغيرة لا تتجاوز غرفة واحدة بالقبر الشريف عليها قبة ولها عدة أبواب للدخول والخروج.<sup>(٦٢)</sup> وفي سنة ٣٣٦هـ قام معاز الدولة أحمد بن بوه بتشييد المقد ووضع على القبرين ضريحين من الخشب وبنى قبتين من الساج وكذلك بنى صحنًا واسعًا وزينه.

وفي سنة ٣٦٩هـ قام عضد الدولة أبو شجاع ببناء سور حول المشهد الشريف وعمر المشهد من الداخل والخارج، وفي سنة ٣٧٦هـ شيدت أبواب المشهد وبنى سور حول المشهد.<sup>(٦٣)</sup>

وفي سنة ٤٤٥هـ قام الحارث بن ارسلان المعروف بالبسيري بتشييد المشهد وتتجديد البناء، وفي سنة ٤٩٠هـ قام أبو الفضل الأسعد بن موسى بعمير المشهد حيث قام ببناء الروضة المقدسة بناءً على مذكرة محكم الأساس<sup>(٦٤)</sup> ووضع صندوقين من الساج على القبرين وبنى كذلك مآذنتين فوق الروضة.

وفي سنة ٥٧٥هـ قام الخليفة الناصر لدين الله بتجديده الصندوقين وبناء رواق جديد وبه ومتازت متعددة ووسع الصحن الشريف، وقام الناصر لدين الله كذلك في سنة ٦٠٤هـ ببناء دار ضيافة تقوم بتقديم الطعام للفقراء والزوار، بالإضافة إلى تحصين المشهد بسور في عام ٦٠٨هـ واتخذت الغرف الموجودة في الصحن الشريف مدارس للعلوم الدينية في سنة ٦١٤هـ.<sup>(٦٥)</sup> وفي سنة ٦٢٢هـ قام الخليفة الظاهر بأمر الله بعمير المشهد الشريف بعد وقوع الحريق فيه.

وفي سنة ٦٢٤هـ قام الخليفة المنصور العباسى باكمال تعمير المشهد الشريف وتتجديد القبة والصندوق الساج.<sup>(٦٦)</sup> وفي سنة ٦٤٧هـ قام الخليفة المستعصم بعمارة المشهد الشريف وبناء سور حوله، وفي سنة ٦٥٧هـ قام علاء الدين ملك الجويونى بعد دخول هولاكو إلى بغداد واحتراق المشهد الشريف بترميم المشهد الشريف وتزيين الجدران من داخل الروضة وخارجها والرواق والصحن بالحجر الكاشانى.<sup>(٦٧)</sup>

وفي سنة ٧٦٩هـ قام السلطان اويس الجلائري بعمير المشهد حيث رمم الرواق والصحن ووضع صندوقين على القبرين الشريفين وزين الروضة بالكاشان وبنى قبتين ومناراتين.<sup>(٦٨)</sup>

وفي سنة ٩١٤هـ بعد دخول الشاه اسماعيل الصفوي إلى بغداد أمر بقلع عمارة المشهد من أساسها وتتجديدها وتوسيعها وتبليط الأروقة بالرخام ووضع صندوقين خشبيين وتزيين الحرم بالكاشان وأمر كذلك ببناء أربع مآذن بالإضافة إلى تشييد جامع كبير في الجهة الشمالية سمي بالجامع الصفوي.<sup>(٦٩)</sup>

واستمرت هذه الاعمال فترة طويلة من الزمن كما هو ملاحظ في تاريخ وضع الصندوقين الخشبيين على الضريحين في سنة ٩٢٦هـ وكذلك التاريخ الموجود على الطابوق الكاشانى الموضوع على جدار الروضة المطهرة في سنة ٩٣٦هـ، وفي سنة ٩٤١هـ دخل السلطان سليمان القانوني إلى بغداد وأمر باكمال النوافذ

(٦٢) إل ياسين، تاريخ المشهد الكاظمي، ص ٤٢.

(٦٣) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ص ٣٥٩.

(٦٤) الموسوي، المصدر السابق، ص ٣.

(٦٥) السماوي، المصدر السابق، ص ١٤.

(٦٦) الرنجاني، جولة في الأماكن المقدسة، ص ١١٠.

(٦٧) المصدر نفسه، ص ١١٠ - ١١١.

(٦٨) مشروع تطوير السباحة الدينية في العراق ، ص ٤٥.

(٦٩) الجلاي ، مزارات أهل البيت وتاريخها ، ص ١١٧.

**الموجودة في المشهد الكاظمي.** وفي سنة ٩٧٨ هـ قام السلطان سليم الثاني ببناء المئذنة الواقعة شمال شرقي الحرم.<sup>(٧٠)</sup>

وفي سنة ١٠٣٢ هـ دخل الشاه عباس الصفوي الى بغداد وامر بوضع ضريح من الفولاذ لحفظ القبرين الشريفين وزين الرواق والروضة المطهرة.<sup>(٧١)</sup> ، وفي سنة ١٠٤٢ هـ أمر الشاه حقي بترميم المشهد الكاظمي بعدما حدث غرق في بغداد، كذلك سنة ١٠٤٥ هـ حيث تم تشييد أربع مآذن صغيرة الحجم فوق أركان الروضة.

وفي سنة ١٠٤٧ هـ دخل السلطان مراد الرابع وتم نهب المشهد الكاظمي وسرقة قناديل الذهب والفضة. وفي سنة ١١١٢ هـ جدد سقف الروضة الشريفة وأجريت عليها بعض الترميمات والصلاح وفي سنة ١١١٥ هـ وضع شباك فوق الضريح<sup>(٧٢)</sup>.

وفي سنة ١١٣٥ هـ جدد سقف الحرم الشريف من قبل الوالي حسن باشا ، وفي سنة ١١٥٣ هـ أرسل نادر شاه هدايا ثمينة الى الروضة الكاظمية.

وفي سنة ١٢٠٧ هـ أمر السلطان محمد شاه القاجاري بإكمال ما بدأه الصفويون في هذا المشهد وقد شملت هذه الاعمال انشاء ثلاث مآذن كبيرة وتأسیس صحن واسع حول الحرم المطهر وقام سنة ١٢١١ هـ بتذهيب القبتين ورؤوس المناور وتدھیب الابواب وإكساء ارضية الرواق بالمرمر الابيض وتزيین سقف الروضة بماء الذهب والمينا وقطع الزجاج الملون<sup>(٧٣)</sup>. وفي سنة ١٢٣١ هـ أمر السلطان فتح علي القاجاري بترميم داخل الروضة ونقش باطن القبتين بملاء المذهب وفي سنة ١٢٥٥ هـ قام الوزير معتمد الدولة بتجديـد أبواب الروضة<sup>(٧٤)</sup>.

وفي سنة ١٢٦٥ هـ أنشأت طارمة باب المراد وطارمة باب القبلة من الخشب وجذوع النخيل.

وفي سنة ١٢٨٢ هـ تم نقش الإيوان الشرقي وزينت الجدران بالكاشاني.

وفي سنة ١٢٨٣ هـ تم وضع ضريح فضي على الضريح الفولاذـي.

وفي سنة ١٢٨٧ هـ أجريت بعض الاصلاحات على الروضة الشريفة.

وفي سنة ١٢٩٣ هـ قام فرهاد ميرزا ببناء الصحن وتتجـيد عمارته بعدما اشتري عدداً من البيوت المجاورة<sup>(٧٥)</sup> ، بالإضافة الى بناء سراديب لدفن الموتى وتدھـيب المـناور وتشـيد سور الصـحن كما هو شـائع الان.

وفي سنة ١٣٠١ هـ اهـديت ساعة كبيرة موجودة في بـاب القـبلـة . وفي سنة ١٣١٤ هـ تم نصب احد أبواب الفـضـة .

وفي سنة ١٣٢٠ هـ زـين الـامـير تـوـمان الرـوـاق الجنـوـبي بالـزـجاج ، وـفي سـنة ١٣٢١ هـ زـين الرـوـاق الشرـقـي ، وـفي سـنة ١٣٢٤ هـ وضع الضـريح الفـضـي ، وـفي سـنة ١٣٥٩ هـ تم تـرمـيم هـذا الضـريح ، وـفي سـنة ١٣٦٣ هـ تم اـصـلاح الصـندـوقـين الخـشـبيـن ، وـفي سـنة ١٣٧٠ هـ تم تـبـلـيط الرـوـضـة بالـرـخـام الجـمـيل ، وـفي سـنة ١٣٨٣ هـ وضع الـبـاب الجنـوـبي للـرـوـضـة ، وـفي سـنة ١٣٨٤ هـ وضع الـبـاب الشرـقـي<sup>(٧٦)</sup> .

(٧٠) آل ياسين ، تاريخ المشهد ، ص ٨٥.

(٧١) الزنجاني ، إبراهيم ، جولة في الأماكن المقدسة ، ص ١١٢.

(٧٢) مجلة شناشيل ، الروضة الكاظمية ، لسنة ٢٠٠٤ ص ١٣٨.

(٧٣) الموسوي ، المصدر السابق ، ص ٥٧.

(٧٤) الزنجاني ، جولة في الأماكن المقدسة ، ص ١١٣.

(٧٥) الجلالي ، المصدر السابق ، ص ١١٨.

(٧٦) الحائرـي ، حـيـاة أولـيـ النـهـيـ ، ص ٢٤٢.

وفي سنة ١٤٨٨ هـ تم إكساء الصحن الشرقي بالمرمر وتنظيم شبكة الكهرباء<sup>(٧٧)</sup> ، وفي سنة ١٤١٩ هـ تم القيام بعدة أعمال صيانة من قبل وزارة الأوقاف حيث قامت بصيانة الطارمة الخلفية وإكساء السور الخارجي بالكاشان الكربلاوي وإكساء العتبات والماذن بالذهب الخالص واقامة دار ضيافة داخل الصحن الشريف ودار استراحة للنساء . وفي سنة ١٤٢١ هـ قسم الحرم الشريف قسمين وهما القسم الشرقي الخاص بالرجال والقسم الغربي الخاص بالنساء وفي سنة ١٤٢٢ هـ تم إكمال أعمال الصيانة في جميع أنحاء المشهد الشريف وبشكل خاص تذهيب القبتين<sup>(٧٨)</sup> ، وفي عام ١٤٢٥ هـ تم صيانة الحرم الشريف وترميمه وتزيينه وتوسيعه من الجهة الشرقية<sup>(٧٩)</sup>.

### شهرة المشهد وأهميته.

ترجع شهرة المشهد وأهميته إلى الإمامين موسى بن جعفر و محمد بن علي عليهما السلام اللذين ينتهي نسبهما إلى الإمام علي عليه السلام . ونظراً لما يمتلكه الإمامان من صفات جعلتهما يحتلان مكانة متميزة في نفوس المسلمين فانهما امامان كباراً القدر عظيمان الشان كثيراً التهجد جادان في الاجتهد مشهوران في العبادة مواطنان على الطاعة مشهوران بالكرامات بيتان الليل ساجدين وقائمين ويقطعان النهار صائمين . وعلى هذا الاساس أصبح المشهد الكاظمي واحداً من أفضل مناطق الجذب السياحي الديني في مدينة بغداد بالإضافة إلى أن المشهد يعد المحور الثالث من المآكن المقدسة في العراق بعد النجف وكربلاء . فما زال الزوار يتزدرون على هذا المشهد من أجل الدعاء والبركة وقضاء الحاجات ولازال الواحد منهم يردد الكلمة القدسية باقاضي الحاجات . بالإضافة إلى الأهمية الأثرية للمشهد الكاظمي فهو يضم في جنباته العديد من الآثار التي تعد متميزة وفريدة من نوعها مثل الساعة الأثرية التاريخية الموجودة في المشهد . إضافة إلى أن المشهد يعد واحداً من أفضل الابنية عمرانياً وأفضل ما في العمارة الهندسية إن الصلуг الشرقي للصحن مؤقت توقفنا محسوباً مع صلاة الظهر فلا تختلف فيه استقامات الشمس وسط النهار أبداً في الفصول والمواسم جميعها .

وكذلك تأتي أهمية هذا المشهد كونه مزاراً وملتقى للزوار وطلبة العلم فضلاً عن العديد من العلماء والصالحين الذي عقدوا فيه حلقات الوعظ والعلم ، حيث كانت توجد فيه مدرسة دينية تلقى فيها الحاضرات وتدرس فيها العلوم الدينية المختلفة بالإضافة إلى احتواه مكتبة تراثية معروفة وهي مكتبة الجوادين التي تضم في كنفاتها العديد من المخطوطات والكتب والمراجع والترجمات المختلفة .

ونظراً لتلك الأمور المذكورة سلفاً فقد أصبح المشهد الكاظمي مركز جذب سياحي ديني مهم في بغداد وهذا ما نراه جلياً في عدد الزوار كل يوم وعلى وجه الخصوص في المناسبات الدينية حيث يتزدرون الآلاف المألفة من الناس إلى هذا المشهد الشريف .

### المبحث الثاني:

#### ١- مشهد الشريف الرضي . مقام محمد بن الحسين المعروف بالشريف الرضي .

يقع هذا المقام في مدينة الكاظمية قرب جده الكاظم عليهما السلام جنب الصحن الكاظمي خلف مرقد الشريف المرتضى في شارع الشريف الرضي .<sup>(٨٠)</sup>

(٧٧) المصدر نفسه ص ٢٤٢ - ٢٤٣ ..

(٧٨) حامد ، توظيف الموروثات الحضارية والثقافية والدينية العباسية في مركز مدينة بغداد ودورها في التنمية السياحية ، ص ٥٨

(٧٩) مقابلة مع السيد زهير جعفر خادم الإمامين في ٧ / ٨ / ٢٠٠٤

(٨٠) مقابلة مع الدكتور إحسان محمد الشهريستاني القائم بأعمال التوسيع في المرقد في ٦ / ٩ / ٢٠٠٤ .

**مدينة الكاظمين ؛ معلم ديني سياحي (دراسة تاريخية)**  
والسيد هو محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم الأصغر بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام . ويكنى بابي الحسن ، ويلقب بالشريف الرضي و ذي الحسينين و نقيب النقباء والشريف الاجل و ذي المقتين و اشعر قريش .<sup>(٨١)</sup>

ولد الشريف الرضي في دار أبيه بمحلة باب المحول في الجانب الغربي من بغداد في الكرخ في سنة ٣٥٩ هـ ، عاش الشريف الرضي في ظل عائلة علمية معروفة فقد كان أبوه أبو احمد الحسين بن موسى جليل القدر عظيم المنزلة في دولة بني العباس ودولةبني بويه فقد كان متولياً لنقايةِ النساء وامارة الحاج وديوان المظالم ، واخوه الشريف المرتضى اوحد اهل زمانه فضلاً وعلماً وكلاماً وشعراً وخطابة .<sup>(٨٢)</sup>

نشأ الشريف الرضي نشأة علمية جيدة كان لها دور كبير في اظهار امكاناته وتطوير موهبه ، حيث درس على يد افضل أساتذة عصره أمثال الشيخ المفيد ، وابن نباتة وغيرهم من الافاضل لقد كان الشريف الرضي معروفاً بفضائل متعددة لم تقتصر على جانب من جوانب المعرفة ، فقد كان معروفاً بأنه احده افضل علماء عصره ، ونقيب الطالبيين نسبة عن أبيه وكذلك في ادارة الحاج وديوان المظالم .<sup>(٨٣)</sup>

بالإضافة إلى كونه أديباً ومفسراً وشاعراً خلف مؤلفات ضخمة في التفسير والشعر والأدب توفي الشريف الرضي في شهر محرم سنة ٤٠٦ هـ ودفن في داره ثم نقل إلى مشهد الحسين عليهما السلام ودفن عند أبيه وجده بجانب قبر إبراهيم الحاج .<sup>(٨٤)</sup>

اما مخطط المقام فيبدأ بباب خشب صغير الحجم جميل الشكل يتصل بباب الصلاة ، حيث تكون القاعة سدايسية الشكل ، وتكون غرفة المرقد على يمين الدار على يمين الدار رئيس في غرفة دائرة الشكل متعلقة الأركان والقبر يتوسط الغرفة وفوقه صندوق خشبي وتعلو الغرفة قبة جميلة الشكل مصنوعة من الكاشاني الأزرق ، وبجانب غرفة المرقد توجد غرفة صغيرة الحجم خاصة بالضيوف تليها من جهة اليمين أماكن خاصة باللوضوء وعلى يسار المقام يوجد محراب الصلاة .<sup>(٨٥)</sup>

اما إعمال الصيانة والترميم ، فان مقام الشريف الرضي لم يكن معروفاً الا في فترة زمنية غير بعيدة ولهذا فان اعمال الصيانة والترميم ابتدأت في عام ١٩٤٤ م حيث كان المقام في منتصف الشارع المسمى الان بشارع الشريف الرضي وجدد البناء من قبل السيد فاضل عبد الحميد . وفي سنة ١٩٨١ م تم ترميم السور الخارجي للمقام وتم وضع ابواب من الخشب الصاج من قبل الحاج حسين الكاظمي وحسين السامرائي . وفي سنة ١٩٨٢ م تم وضع المرمر على الجدران الداخلية وكذلك تم تجديد الصندوق فوق القبر الشريف . وفي سنة ١٩٨٥ م تم تجديد السطح الخاص بالمرقد .<sup>(٨٦)</sup>

وفي سنة ١٩٩٢ م تم القيام ببعض اعمال الصيانة والترميم في المقام الشريف ، وفي سنة ١٩٩٧ م تم القيام ببعض اعمال الصيانة مثل صبغ المقام الشريف<sup>(٨٧)</sup> ، وفي سنة ٢٠٠٢ م تم ترميم سطح المقام الشريف .

اما شهرة المقام وأهميته فهي مستوحاة من صاحب المقام الشريف الذي يرجع نسبه الى الامام الكاظم ، بالإضافة الى انه واحداً من افضل علماء عصره واعبدهم واتقاهم حيث كان معروفاً بأنه لم

(٨١) عبده ، نهج البلاغة ، ج ١ ، ص ٧

(٨٢) ابن عتبة ، عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب ، ص ١٨٨ .

(٨٣) الحكيمي ، تاريخ العلماء عبر العصور المختلفة ، ص ٣٧٩ .

(٨٤) الكاظمي ، نهج البلاغة بحث منشور في مجلة الزهراء الثقافية العدد ٨ ، السنة الأولى ، في تاريخ ٢٢ شباط ٢٠٠٤ ، ص ٣٠

(٨٥) الخورناري ، روضات الجنات ، ص ٣٤ .

زيارة ميدانية في ٢٣/٩/٢٠٠٤ .

(٨٦) زيارة ميدانية في ٢٣/٩/٢٠٠٤ .

(٨٧) مقابلة مع السيد مهدي خضرير عباس إمام وخطيب مقام الشريف الرضي في ٢٣ / ٩ / ٢٠٠٤

يأخذ برأ حتى من أبيه وأقاربه ، بالإضافة إلى كونه درس على يد أفضل العلماء وهم شيخ الطائفة والشيخ المفید وابن نباتة ، وعرف عن الشیف الرضی بأنه ادیب ومفسر ولغوی وكاتب بارع خلف مؤلفات كثيرة النفع واسعة الافق في التفسیر والشعر والادب ، وأشهر كتب الشیف الرضی هو نهج البلاغة الذي إلـفـه الإمام علي عليه السلام وجـمـعـهـ الشـرـيفـ الرـضـيـ والـذـيـ قـرـنـ اـسـمـهـ باـسـمـ الإـمـامـ عـلـيـ عليه السلام .<sup>(٨٧)</sup>

إما في مجال الشعر فقد كان يعرف باـشـعـرـ قـرـيشـ لـأـنـهـ كانـ يـجـمعـ بـيـنـ الـاـكـثـارـ وـالـاجـادـةـ وـخـلـفـ دـيوـانـ شـعـرـ كـبـيرـ ، ومنـ هـنـاـ أـصـحـ مـقـامـ الشـرـيفـ الرـضـيـ اـحـدـ المـقـامـاتـ الـمـعـرـوفـةـ وـالـمـشـهـورـةـ فـيـ مدـيـنـةـ بـغـدـادـ الـتـيـ تـعـجـ بالـعـدـيدـ مـنـ الزـائـرـينـ يـوـمـيـاـ وـعـلـىـ وـجـهـ الـخـصـوـصـ فـيـ الـمـنـاسـبـاتـ الـدـينـيـةـ ، وـمـنـ الـمـعـرـوفـ أـنـ تـكـوـنـ زـيـارـتـهـ بـعـدـ زـيـارـةـ الـإـمـامـيـنـ الـكـاظـمـيـنـ وـعـلـىـ هـذـاـ الـاسـاسـ اـصـبـحـ مـقـامـ الشـرـيفـ الرـضـيـ مـرـكـزـ جـذـبـ سـيـاحـيـ دـينـيـ يـأـمـدـهـ الـعـدـيدـ مـنـ الزـوـارـ طـلـبـاـ لـلـدـعـاءـ وـالـبـرـكـةـ .

#### ٤- مشهد الشـرـيفـ المـرـتضـيـ . مـقـامـ عـلـيـ بنـ الحـسـينـ الـمـعـرـوفـ بـالـشـرـيفـ الـمـرـتضـيـ .

يقـعـ مـقـامـ الشـرـيفـ فـيـ مدـيـنـةـ الـكـاظـمـيـةـ قـرـبـ مشـهـدـ جـدـهـ الـإـمـامـ الـكـاظـمـ جـنـبـ الصـحنـ الـكـاظـمـيـ فـيـ الـجـنـوبـ الـشـرـقـيـ ، وـالـسـيـدـ هوـ عـلـيـ بنـ الـحـسـينـ بنـ مـوـسـىـ بنـ اـبـيـ اـبـراهـيمـ بنـ مـوـسـىـ بنـ جـعـفرـ بنـ مـوـمـيـاـ وـعـلـىـ وـجـهـ الـخـصـوـصـ فـيـ الـمـنـاسـبـاتـ الـدـينـيـةـ ، وـمـنـ الـمـعـرـوفـ أـنـ تـكـوـنـ زـيـارـتـهـ بـعـدـ زـيـارـةـ الـإـمـامـيـنـ الـكـاظـمـيـنـ وـعـلـىـ هـذـاـ الـاسـاسـ اـصـبـحـ مـقـامـ الشـرـيفـ الرـضـيـ مـرـكـزـ جـذـبـ سـيـاحـيـ دـينـيـ يـأـمـدـهـ الـعـدـيدـ مـنـ الزـوـارـ طـلـبـاـ لـلـدـعـاءـ وـالـبـرـكـةـ .<sup>(٨٨)</sup>

ولـدـ الشـرـيفـ المـرـتضـيـ فـيـ دـارـ أـيـهـ بـمـحلـةـ بـابـ الـحـوـلـ فـيـ الـجـانـبـ الـغـرـبـيـ مـنـ بـغـدـادـ فـيـ الـكـرـخـ فـيـ شـهـرـ رـجـبـ سـنـةـ ٣٥٥ـ هـ<sup>(٩٠)</sup> عـاـشـ فـيـ ظـلـ عـائـلـةـ عـلـمـيـةـ مـعـرـوفـةـ ، حـيـثـ كـانـ أـبـوـهـ الشـرـيفـ الـحـسـينـ بنـ مـوـسـىـ نـقـيبـ الـطـالـبـيـنـ وـعـالـمـهـ وـيـحـتـلـ مـكـانـةـ مـتـمـيـزةـ فـيـ الـوـسـطـ الـاجـتـمـاعـيـ الـذـيـ عـاـشـ فـيـهـ . نـشـأـ الشـرـيفـ المـرـتضـيـ نـشـأـ عـلـمـيـةـ مـتـازـةـ كـانـ لـهـ أـثـرـ الـبـالـغـ فـيـ تـوجـيهـهـ وـتـربـيـتـهـ وـصـقـلـ مـواـهـبـهـ وـإـنـاءـ إـمـكـانـيـاتـهـ<sup>(٩١)</sup> حـيـثـ درـسـ عـلـىـ يـدـ أـفـضـلـ أـسـاتـذـةـ زـمـانـهـ وـهـمـ اـبـنـ نـبـاتـهـ السـعـديـ وـالـشـیـخـ المـفـیدـ وـالـشـیـخـ الـمـسـنـيـ عـلـيـ بنـ بـابـوـیـهـ .

وـكـانـ الشـرـيفـ المـرـتضـيـ غـيـرـ مـقـتـصـرـ عـلـىـ جـانـبـ مـنـ جـوـانـبـ الـعـلـمـ فـقـدـ كـانـ مـعـرـوفـاـ بـأـنـهـ مـنـ أـكـابرـ فـقهـاءـ عـصـرـهـ وـكـذـلـكـ كـانـ أـدـيـاـ خـلـفـ ثـرـوـةـ أـدـيـبـةـ كـبـيرـةـ بـالـإـضـافـةـ إـلـىـ كـوـنـهـ شـاعـرـاـ خـلـفـ دـيوـانـاـ ضـخـمـاـ يـزـيدـ عـلـىـ عـشـرـينـ فـلـفـ بـيـتـ مـنـ الشـعـرـ بـالـإـضـافـةـ إـلـىـ كـوـنـهـ رـجـلـ حـرـبـ وـسـيـاسـةـ فـضـلـاـ عـنـ كـوـنـهـ رـجـلـ عـلـمـ وـزـعـيمـ قـومـ<sup>(٩٢)</sup> ، كـذـلـكـ تـولـيـ دـيوـانـ الـمـظـالـمـ وـنـقـابةـ الـطـالـبـيـنـ وـإـمـارـةـ الـحـجـ<sup>(٩٣)</sup> .

تـوـفـيـ الشـرـيفـ المـرـتضـيـ فـيـ شـهـرـ رـبـيعـ الـأـوـلـ بـعـدـ اـنـ بـلـغـ الـثـمـانـيـنـ سـنـةـ ٤٣٦ـ هـ فـتـولـيـ تـعـسـيـلـهـ تـلـمـيـذـهـ اـحـمـدـ الـنـجـاشـيـ وـدـفـنـ فـيـ مـرـقـدـهـ الـمـعـرـوفـ حـالـيـاـ وـمـنـ ثـمـ نـقـلـ إـلـىـ كـرـبـلـاءـ بـجـانـبـ جـدـهـ الـأـكـبـرـ اـبـراهـيمـ الـجـابـ<sup>(٩٤)</sup> .

إـمـاـ مـخـنـطـطـ الـمـقـامـ فـهـوـ مـسـطـيلـ الشـكـلـ بـيـداـ بـيـابـ صـغـيرـ لـلـدـخـولـ يـتـصلـ هـذـاـ الـبـابـ مـباـشـرـةـ بـالـقـاعـةـ الـمـخـصـصـةـ لـلـصـلـاةـ ، وـيـقـابـلـ الدـاخـلـ مـنـ الـبـابـ الرـئـيـسـ لـلـقـاعـةـ غـرـفـةـ الـمـقـامـ الـذـيـ يـكـوـنـ عـلـىـ شـكـلـ غـرـفـةـ مـرـبـعـةـ يـتوـسـطـهـ الـمـرـقـدـ الـشـرـيفـ الـذـيـ يـعـلـوـ شـبـاكـ خـاصـيـ جـمـيلـ وـتـعلـوـ غـرـفـةـ الـمـرـقـدـ قـبةـ جـمـيلـةـ الشـكـلـ مـرـصـعـةـ

(٨٧) مقابلة مع السيد ابراهيم العوادي متولى مقام الشـرـيفـ الرـضـيـ فـيـ ٢٢ / ٩ / ٢٠٠٤ .

(٨٩) الحـسـينـيـ ، مـصـادـرـ نـهـجـ الـبـلـاغـةـ وـاسـانـيـدـ ، صـ ٢٣٨ـ .

(٩٠) مـبارـكـ ، عـقـرـيـةـ الشـرـيفـ الرـضـيـ ، صـ ٢٢ـ .

(٩١) ابنـ عـتـبةـ ، عـمـدةـ الـطـالـبـ فـيـ اـنـسـابـ اـبـيـ طـالـبـ ، صـ ١٨٩ـ .

(٩٢) الصـفـارـ ، دـيوـانـ الشـرـيفـ المـرـتضـيـ ، صـ ٤٤ـ .

(٩٣) حـرـزـ الـدـيـنـ حـمـدـ ، مـرـاقـدـ الـعـارـفـ ، جـ ٢ـ صـ ٣٠٤ـ . الحـسـينـيـ ، حـيـةـ الشـرـيفـ المـرـتضـيـ ، صـ ١٨ـ .

(٩٣) الحـسـينـيـ ، حـيـةـ الشـرـيفـ المـرـتضـيـ ، صـ ١٨ـ .

**مدينة الكاظمين ؛ معلم ديني سياحي (دراسة تاريخية)**  
بالكاشان الازرق ، وعلى يسار غرفة المرقد توجد غرفة اخرى وهي مكتبة تضم المئات من الكتب الفنية  
<sup>(٩٥)</sup> والاثرية الا ان يد الظلم طالت هذه المكتبة في ظل النظام السابق حيث كانت معروفة بانها تضم الالاف من الكتب الثمينة الا انه لم يبق من هذه الاعداد الا المئات ، بالإضافة الى وجود اماكن خاصة بالوضوء على يمين الداخل. اما اعمال الصيانة والترميم ، ففي سنة ١٩٥٥ تم ترميم المقام الشريف بعد ان كان مؤلفا من غرفة صغيرة المساحة من قبل السيد هاشم البياع وعبد الوهاب المشاط ، <sup>(٩٦)</sup> وفي عام ١٩٦٦ تم توسيع المقام من قبل بعض المؤمنين وفي سنة ١٩٦٨ تم تعويير قبة المقام الشريف ، وفي سنة ١٩٧٦م جرت بعض اعمال صيانة ، وفي سنة ١٩٨٦ تم توسيع المقام من قبل وزارة الاوقاف ، وفي سنة ١٩٩٥م جرت بعض اعمال الترميم التي شملت سقف المرقد وارضيته وكذلك السرداد الموجود بداخله ، <sup>(٩٧)</sup> وفي سنة ١٩٩٩ تم القيام ببعض اعمال الترميم ، وفي سنة ٢٠٠٤ تم توسيع المقام بشكل عام حيث شمل التوسيع غرفة المرقد وحرم الصلاة وبنية مكتبة جديدة في الطابق الثاني وشيد سور خارجي حول المرقد الشريف بالإضافة الى قاعة صلاة خاصة بالنساء وهذه الاعمال مستمرة لحد الان. <sup>(٩٨)</sup>

اما شهرة المقام وأهميته فان تلك الشهرة مستمدۃ من صاحب المقام الشريف الذي يرجع نسبه الى الامام الكاظم عليه السلام الذي يعد واحدا من افضل علماء عصره واعبدهم حيث كانت الزعامة تحت لوائه ، بالإضافة الى انه تتلمذ على يد افضل العلماء وهم شيخ الطائفة الشيخ المفید ، وابن باتة السعدي وغيرهم وكذلك عرف الشريف المرتضى بأنه أديب عظيم حيث ترك خلفه ثروة ادبية كبيرة وكانت مكتبه عامرة تحتوي ما يقارب الشهرين الف كتاب من مختلف العلوم والمعارف وله مؤلفات تصل الى ثمانين كتاباً ، بالإضافة الى كونه شاعراً معروفاً خلف ديواناً ضخماً يزيد على عشرين الف بيت من الشعر. <sup>(٩٩)</sup>

وعلى هذا الأساس أصبح مقام الشريف المرتضى واحدا من المقامات المعروفة في بغداد والتي تجذب الكثير من الزوار بعد زيارة الإمامين الكاظمين عليهما السلام لذلك فهو مركز من مراكز الجذب السياحي الديني في مدينة بغداد التي تستقطب الآلاف من الزوار يومياً وخصوصاً في المناسبات الدينية. <sup>(١٠٠)</sup>

### ٣- مشهد أبي يوسف الأنباري:جامع الشيخ أبو يوسف الأنباري ومرقده.

يقع جامع ابو يوسف الأنباري ومرقده في الكاظمية بجوار الإمامين الكاظمين عليهما السلام . على يسار الداخل من باب المراد.

وابو يوسف هو يعقوب بن ابراهيم بن سعد بن ابراهيم بن عبد الله بن عوف. <sup>(١٠١)</sup> ويلقب بالأنباري وقاضي القضاة ويكنى بابي يوسف. ولد ابو يوسف في الكوفة سنة ١١٣ هـ وعاش في ظل عائلة فقيرة الا انه اتجه نحو العلم وتتلمذ على يد اكابر الفقهاء من امثال ابن ابي ليلى وابي اسحاق الشيباني وابي حنيفة النعمان، واخذ يتدرج في العلم حتى اصبح واحدا من افضل طلبة العلم، <sup>(١٠٢)</sup> ومن ثم انتقل الى بغداد

(٩٥) الصفار ، المصدر السابق ، ص ٤٥.

(٩٦) ابن الجوزي ، المتنظم في تاريخ الملوك والأمم ، ص ٢٢٦.

(٩٧) جواد ، ديوان الشريف المرتضى ، ص ٢٨.

(٩٨) زيارة ميدانية في ٢٠٠٤/٩/٧.

ابن الجوزي ، المتنظم في تاريخ الملوك والأمم ، ص ٢٢٦.

(٩٩) الحسيني ، المصدر السابق ، ص ٤.

حرز الدين ، مرآد المعارف ، ص ٣٠٧.

(١٠٠) مقابلة مع السيد صاحب محمد حسن خادم مقام الشريف المرتضى في تاريخ ٤/١٠/٢٠٠٤.

مقابلة مع الشيخ مالك المالكي أمام وخطيب مقام لشريف المرتضى في ٨/٩/٢٠٠٤.

(١٠١) زيارة ميدانية في ٥/١٠/٢٠٠٤.

(١٠٢) حرز الدين ، مرآد المعارف ص ٣٠٧.

الشكتة ، الأئمة الأربع ، ص ٥٢٠. الدولابي ، الكتب والأسماء ، ص ١٦٠

واصبح فيها قاضي القضاة لثلاثة خلفاء من بني العباس وهم المهدى والهادى والرشيد وكان ابو يوسف احد المقربين الى الرشيد ،والشيخ الانصاري هو اول من غير لباس العلماء وجعله بهذه الميئه . وكان الانصاري شديد الاقبال على العلم وافر الذكاء عظيم العطة .  
توفي الانصاري في ربيع الاول سنة ١٨٢ هـ ودفن بمرقده المعروف حالياً بجوار الإمامين الكاظمين وصلى عليه ابنه يوسف ودفنه.

اما مخطط الجامع فانه يبدأ بباب خشب كبير الحجم جميل الشكل يتصل هذا الباب بمنبر صغير يؤدي الى القاعة المخصصة للصلوة وهي مربعة الشكل ، وعلى بين الداخل من الباب الرئيس توجد دار ضيافة للزوار واخرى للادارة ، بالإضافة الى وجود مصلى خاص بالنساء وعلى يسار الداخل بجانب المحراب يوجد مرقد الشيخ ابي يوسف الانصاري والمرقد عبارة عن غرفة مربعة الشكل كبيرة في منتصفها المرقد الشريف وفوق المرقد صندوق خشبي جميل الشكل مطرز بالآيات القرآنية وتعلو المرقد قبة جميلة الشكل ولغرفة المرقد بابان احدهما يطل على المحراب والآخر يطل على الداخل من الباب الرئيس ، وتعلو الجامع قبة كبيرة الحجم جميلة مرتکزة على دعائم كبيرة على طول الجامع ، وسقف الجامع مزخرف على الطريقة المغربية .<sup>(١٠٣)</sup>

اما اعمال الصيانة والترميم ، ففي سنة ١٩٣٩ م أهدى الملك غازي باباً من الخشب الى مرقد الشيخ الانصاري ووضع في الجهة الشرقية للصحن الكاظمي . وفي سنة ١٩٦٨ م شيدت الطارمة والملحق معها من قبل وزارة الاوقاف في زمن السيد احمد ابراهيم إمام وخطيب الجامع . وفي سنة ١٩٩٦ م قامت الدائرة الهندسية بحملة كبيرة لصيانة وترميم جامع ومرقد الشيخ الانصاري حيث شملت وتجديـد الارضية ووضع المرمر على الجدران الداخلية ونقش الزخارف الجميلة على الجدران الداخلية والسقوف وكذلك اضافة بعض (الثريات) الجميلة اليه واستمرت هذه الحملة مدة ستين وكذلك تعمير الدار الواقعـة بجانب المرقد وهي خاصة بمتحـولي مرقدـالـشـيخـالـانـصـارـيـ . وفي سـنةـ ٢٠٠٣ـ مـ تمـ اـغـلـاقـ الـبـابـ المـؤـدـيـ الىـ الصـحنـ الكـاظـميـ .<sup>(١٠٤)</sup> اما شهرةـالـجامـعـ وـاـهـمـيـتـهـ فـهـيـ تـرـجـعـ الىـ شـهـرـةـ الشـيـخـ اـبـيـ يـوسـفـ الـانـصـارـيـ الـذـيـ كـانـ يـعـدـ اـحـدـ عـلـمـاءـ عـصـرـهـ وـتـلـمـذـ عـلـىـ يـدـ اـفـضـلـ الـعـلـمـاءـ وـهـمـ اـبـوـ اـسـحـاقـ الشـيـبـانـيـ وـسـلـیـمـانـ التـمـیـمـیـ وـاـبـوـ حـنـیـفـةـ النـعـمـانـ وـغـیرـهـمـ مـنـ الـعـلـمـاءـ ،ـ بـالـاـضـافـةـ إـلـىـ كـونـ مـرـقـدـ مـلاـصـقـاـ لـالـمـشـهـدـ الـكـاظـمـيـ مـاـ جـعـلـ ذـاـ اـهـمـيـةـ خـاصـةـ فيـ نـفـوسـ الـمـسـلـمـينـ تـكـونـ زـيـارـةـ هـذـاـ مـرـقـدـ بـعـدـ زـيـارـةـ الـإـمـامـينـ الـكـاظـمـينـ عليـهمـالـحـلـمـاتــ وـكـذـلـكـ تـأـتـيـ أـهـمـيـتـهـ مـنـ حـيثـ كـوـنـهـ اـحـدـ مـرـاـقـدـ التـارـيـخـيـ وـالـأـثـرـيـ حـيثـ يـرـجـعـ وـجـودـهـ لـأـكـثـرـ مـنـ ١٢٠٠ـ عـامـ .<sup>(١٠٥)</sup>

#### ٤- جامع الجوادين.

يقع جامع الجوادين في الجهة الشمالية من حرم الإمامين الكاظمين عليـهمـالـحـلـمـاتـ داخل الصحن الشريف ، وتاريخ هذا الجامع يعود إلى سنة ٩١٤ هـ حينما فتح الشاه إسماعيل الصفوي بغداد وزار مرقد الإمامين موسى والجواد وأمر بقلع عمارة المشهد من الأساس وتجديده تجديداً واسعاً وتشييد مسجد كبير في الجهة الشمالية للمرقد .<sup>(١٠٦)</sup> وسمي هذا الجامع بداية بالصفوي نسبة إلى الصفوين وبعد ذلك غير اسمه إلى جامع الجوادين لكونه مجاوراً لمرقد الجوادين عليـهمـالـحـلـمـاتـ .

(١٠٣) مقابلة مع الشيخ مالك المالكي أمام وخطيب مقام لشريف المرتضى في ٢٠٠٤/٩/٨ .

(١٠٤) الدولابي ، الكتب والأسماء ، ص ١٦٠ .

(١٠٥) الشكعة ، الأئمة الأربع ، ص ٢٠٥ .

(١٠٦) زيارة ميدانية ٢٠٠٧/٧/٢ .

**مدينة الكاظمين** ؛ معلم ديني سياحي (دراسة تاريخية)  
إما مخطط الجامع، فهو على شكل مستطيل كبير الحجم له أربعة أبواب اثنان منها يؤديان إلى الصحن الشرقي وهما باب الجمعة وباب النساء والثالث وهو باب الجمعة يؤدي إلى الصحن الغربي، والباب الرابع يؤدي إلى رواق الحرم الشرقي ، وتبلغ مساحة الجامع حوالي ٢٠١٨٠ م<sup>٢</sup> يطلّها جميعاً سقف قائم على ٦٦ عموداً ضخماً من الأجر وتوجد في منتصفه قبة خضراء دائرة الشكل كبيرة تكون بمحاذة القبتين الذهبيتين بالإضافة إلى وجود قباب صغيرة الحجم على طول سقف الجامع تبلغ ٤٢ قبة ويكون المحراب في منتصف الجامع على يسار الداخل وكذلك توجد الاواني على طول الجدار الذي يفصل الجامع عن المرقد واحد من هذه الاواني جعل مكتبة تضم العديد من الكتب.<sup>(١٠٧)</sup>

إما إعمال الصيانة والترميم، فلكون هذا الجامع مجاوراً لمرقد الكاظمين عليهما فانه نال من اعمال الصيانة والترميم ما ناله المرقدان فقد قامت فيه اعمال صيانة وترميم في سنة ٩١٤ هـ عندما دخل الشاه اسماعيل الصفوي إلى بغداد وامر بتشييد جامع في الجهة الشمالية للمرقد. وفي سنة ٩٤١ هـ عندما دخل السلطان سليمان القانوني إلى بغداد قام بعض اعمال الترميم فيه<sup>(١٠٨)</sup>. وفي سنة ٩٧٨ هـ تم بناء اول منارة من المنائر الاربع وهي منارة الجامع الواقعه في قبلته الى الشرق بامر من السلطان العثماني سليم الثاني.  
وفي سنة ١٢٠٧ هـ تمت بعض اعمال الصيانة فيه في عهد محمد القاجاري وفي سنة ١٢٢٩ هـ قام الشاه فتح علي بتذهيب المنائر الاربع.<sup>(١٠٩)</sup> وفي سنة ١٢٩٨ تمت بعض اعمال الترميم فيه من قبل فرهاد الميرزا وفي سنة ١٣٦٩ هـ جرت فيه بعض اعمال الصيانة والترميم بعد ان اهمل فترة من الزمن. وفي اوائل السبعينيات من القرن الماضي تمت فيه اعمال ترميم وصيانة شملت الجامع بشكل كلي.<sup>(١١٠)</sup>

أما أهمية الجامع وشهرته فهو يعد واحداً من أوسع الجوامع في الكاظمية وشهرها على الاطلاق وكذلك اجملها فنا وهندسة وعماراناً وله أهمية كبيرة في نفوس المسلمين نظراً لسعته ورحماته من جهة وكونهبني مع الروضة المقدسة من جهة أخرى بالإضافة إلى أنه يعد واحداً من أروع الجوامع التاريخية والاثرية في مدينة بغداد حيث يعود تاريخ بنائه إلى أكثر من خمسمائة عام وما أدى إلى اعطاء هذا الجامع مكانة منفردة جواره للروضة المقدسة لهذا فإن الزوار يتهاقون عليه، بالإضافة إلى دوره البارز في نشر الوعي الديني من خلال اعطاء الدروس الدينية والحلقات الدراسية والوعظ. وعلى هذا الاساس يعد جامع الجنودين ذا اثر كبير في حركة السياحة الدينية مما جعل الزوار يأتون إليه بعد زيارتهم الامامين الكاظمين عليهما السلام .

## ٥- مكتبة الجنودين:

تقع هذه المكتبة في الجانب الجنوبي الشرقي من الصحن الكاظمي الشريف، تأسست هذه المكتبة سنة ١٩٤١ م من قبل العلامة السيد محمد هبة الدين بعد إن كانت سابقاً مكاناً خاصاً بالعبادة من قبل الطائفة البكتاشية الذي بناه فرهاد خان أيام العهد العثماني عام ١٨٨٠ م.<sup>(١١١)</sup>  
والسيد هو محمد علي هبة الدين السيد حسين العابد الذي يرجع نسبه إلى الإمام الحسين عليهما السلام . ويلقب بالحسيني نسبة إليه وكذلك يلقب بالشهرستاني نسبة إلى الأسرة الشهرستانية المعروفة في كربلاء .

(١٠٧) مقابلة مع السيد مثنى شوكت الاعرجي خادم جامع ومرقد الامام ابي يوسف في ٢٠٠٦/١٠/٢٧.

(١٠٨) مقابلة مع الشيخ عبد العزيز اسماعيل امام وخطيب جامع ابي يوسف الانصاري في ٢٠٠٩/٨/٩.

(١٠٩) منشورات جمعية التوحيد، الجماعة والجامع، ص ٥٥.

(١١٠) زيارة ميدانية في ٢٠٠٤/١٢/١٢.

(١١١) الموسوي ، قبس من الكاظمين ، ص ١٢١.

ولد السيد محمد في مدينة سامراء سنة ١٣٠١ هـ من أسرة عرقية معروفة بالفضل والقوى والصلاح، ولقد نشأ وترعرع في ظل هذه الأسرة واخذ يتدرج في العلم حتى وصل الى مرحلة الاجتهد، وله مؤلفات كثيرة يبلغ عددها حوالي ٨١ مؤلفاً وشغل عدة مناصب منها وزير المعارف سنة ١٩٢١ م<sup>(١١٢)</sup> وكذلك قاضي القضاة، إما مخاطب المكتبة فهي تشغّل مساحة ٤٩ م و تكون مستطيلة الشكل مكونة من طابقين، حيث توجد في الطابق الأول على طول الجدران رفوف طويلة مملوءة بالكتب ومقسمة على شكل مجاميع الأولى خاصة بالقرآن الكريم وتفسيره وعلومه، والثانية تشتمل على كتب الفقه والأصول والعقائد والحكمة والمنطق والثالثة كذلك والرابعة خاصة بحياة الأنئمة والتاريخ الخامسة خاصة بعلم الرجال وما يتعلق به، والسادسة خاصة بالأدب والشعر والسابعة خاصة بكتب القانون والسياسة.

وتقع في وسطها قاعة خاصة بالطالعه تعلوها قبة دائريه كبيرة الحجم جميلة الشكل نقشت عليها نقوش إسلامية بديعة وكتبت عليها سورة الدهر والطابق الثاني مشابه للطابق الأول من حيث الرفوف الخشبية.

وفي وسط المكتبة قبر العالمة محمد علي هبة الدين الذي وفاه الأجل في عام ١٩٦٧ م ودفن فيها.<sup>(١١٣)</sup>

أهمية المكتبة وشهرتها، مستوى من شهرة مؤسسها العالمة محمد علي هبة الدين صاحب المؤلفات الكثيرة، ولكونها واحدة من أقدم المكتبات الموجودة في بغداد وأكبرها حيث تضم أكثر من عشرين ألف كتاب في مختلف العلوم بالإضافة إلى وجود هذه المكتبة في الجانب الشرقي من الصحن الشريف مما جعل لها مكانة متميزة في نفوس المسلمين وطلبة العلم بالإضافة إلى إن هذه المكتبة كانت ولا تزال تقوم بنشر الوعي الديني من خلال إلقاء المحاضرات والدروس الدينية وكذلك كونها محطة التقاء العلماء والمفكرين والشعراء وغيرهم.<sup>(١١٤)</sup>

#### الخاتمة:

تعد السياحة الدينية من أقدم أنماط السياحة في العالم حيث كان زوار العتبات المقدسة منذ أمد بعيد يزورون أماكن العبادة كزيارة بيت الله الحرام ومرقد الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى الرغم من عدم وجود وسائل نقل مريحة من تلك الأماكن إليها. ومتاز السياحة الدينية عن غيرها من أنماط السياحة بأنها سياحة مستديمة أي مستمرة على طول أيام السنة بالرغم من أن الذروة السياحية تبلغ أմدها في أيام المناسبات الدينية إلا أن السياحة الدينية تعد مستمرة بالمقارنة مع غيرها من أنماط السياحة من خلال الأعداد الكبيرة للزوار الذين يصلون إلى المشهد الكاظمي يومياً. وتعد إيرادات السياحة الدينية مردودات اقتصادية مهمة لأي بلد من البلدان ويمكن الاستفادة منها من خلال آثار السياحة الدينية المباشرة وغير المباشرة. وتعد مدينة الكاظمية إحدى المدن المعروفة والمشهورة على نطاق محلي وإقليمي وعالمي وهي تمثل المدينة الدينية الثالثة من حيث الأهمية بعد النجف وكرباء. ومتاز مدينة الكاظمية بميزات عديدة منها التاريخية حيث تشير بعض المصادر بأنها كانت مسكنة من قبل الكيشين في أواسط القرن الخامس عشر قبل الميلاد، ومنها الطبيعية من سطح ومناخ وترية وموارد مائية مما جعل الكاظمية في مقدمة المدن الزراعية التي تنتشر فيها البساتين، ومنها أيضاً التجارية حيث تعد هذه المدينة مركزاً من مراكز التجارية المعروفة في العاصمة بغداد وتنتشر فيها مختلف الأسواق لتلبية احتياجات الزوار، وكل تلك الميزات جعل من مدينة الكاظمية من المدن المميزة. يعد المشهد الكاظمي من أشهر مراكز الجذب السياحية الدينية في مدينة بغداد بالرغم من أن هذه المدينة يوجد فيها عدد كبير من المرافق والمعالم إلا أنه يعد أشهرها لأنه يحيي قبرين

(١١٢) منشورات جمعية التوحيد ، الجماعة والجامع ، ص ٥٥.

(١١٣) مقابلة مع الشيخ جواد الحالصي امام وخطيب جامع الجوادين في ٢٠٠٥/٧/٧

(١١٤) الكاظمي ، مكتبة الجوادين العامة ، ص ٩.

**مدينتنا الكاظمية**؛ معلم ديني سياحي (دراسة تاريخية)  
 لأنّة المسلمين هما موسى بن جعفر و محمد بن علي عليه السلام . وكذلك تميّز مدينة الكاظمية بوجود مراكز  
 جذب سياحية دينية بالإضافة إلى المشهد الكاظمي كمرقد القاضي أبي يوسف الأنصاري و مقامي الشّريف  
 الرضي والشّريف المرتضى وعادة ما تتم زيارتها بعد زيارة المشهد الكاظمي .  
 تصل إلى المشهد الكاظمي نسبة كبيرة جداً من الزوار قد تصل هذه النسبة إلى الآلاف المؤلفة يومياً  
 فضلاً عن أيام المناسبات الدينية وهو بذلك يعد من أكثر المراقد التي يصلها زوار بهذا العدد في مدينة بغداد  
 سواء أكانوا من داخل العراق أم من خارجه .

#### المصادر والمراجع:

##### القرآن الكريم

- ١- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية في التاريخ، مطبعة السعادة، ج ١٠، ١٩٢٢، ح ١٠.
- ٢- ابن الجوزي، أبو المظفر بن يوسف، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، مطبعة مجلس دار التعارف، حيدر آباد، ١٩٥١.
- ٣- ابن عبة، جمال الدين احمد بن علي، عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٦١.
- ٤- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الله، المنظم في تاريخ الملوك والأمم، مطبعة المعارف العثمانية، ط ١، ج ٧، ١٩٥٩.
- ٥- آل ياسين، محمد حسن ، تاريخ المشهد الكاظمي ، مطبعة المعارف ، ط ١ ، بغداد ، ١٩٦٧
- ٦- آل ياسين ، محمد حسن ، شعراء كاظميون ، مطبعة المعارف ، ج ١ ، بغداد ، ١٩٨٠.
- ٧- ابن خلkan ، أبو العباس شمس الدين احمد ، وفيات الأعيان وأنباء أبناءبني الزمان ، حققه إحسان عباس ، المجلد الخامس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٧
- ٨- الاعظمي ، هاشم ، تاريخ جامع الإمام الأعظم ومساجد الاعظمية ، مطبعة العاني ، ج ١ ، بغداد ، ١٩٦٤
- ٩- الاعظمي ، هاشم ، دليل جامع الإمام أبي حنيفة ومدرسته العلمية ، مطبعة خضير الاعظمي ، بغداد ، ١٩٧٠
- ١٠- الاعظمي ، هاشم تاريخ جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني ومدرسته العلمية مطبعة الأزهر ، ١٩٧١
- ١١- أبو عياش ، عبد الإله أزمة المدينة العربية ، منشورات وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط ٢ ، ١٩٨٥
- ١٢- الاصطباناني ، محمد حسن ، نور العين في زيارة الحسين مؤسسة مولود الكعبة ، ط ١ ، ٢٠٠٤
- ١٣- اشرف ، سيد علي ، الإمام موسى بن جعفر ، منشورات المكتبة الحيدرية ، ط ١ ، ٢٠٠٤
- ١٤- احمد ، غريب سيد ، المعطي ، عبد الباسط ، حلبي ، عبد الرزاق ، المدخل الى علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، ط ١ ، ١٩٩٦
- ١٥- الأمين ، عبد الوهاب ، البasha ، زكريا عبد الحميد ، مبادئ الاقتصاد ، مطبعة ، جامعة الكويت ، ط ٢ ، ١٩٨٧
- ١٦- أبو رمان ، اسعد حماد ، الديوه جي ، أبو سعيد ، التسويق السياحي والفندقي ، مطبعة الحامد ، ط ١ ، ٢٠٠٠
- ١٧- أبو رحمة ، مروان بليبل ، انس ، الحناوي ، ريم ، الحسن ، هديل ، إدارة المشات السياحية ، دار البركة للنشر والتوزيع ، عمان ، ط ١ ، ٢٠٠١

- ١٨ - احمد، محمد شهاب، علاء الدين، مؤمل، المتطلبات الفضائية لخطيط المدينة مطبعه التعليم العالي، بغداد، ١٩٩٠
- ١٩ - أبو زيد، احمد، حسين، علية حسن، التنمية نظريا وتطبيقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧
- ٢٠ - بشير، فرانسيس، بغداد أثارها وتاريخها، مطبعة الرابطة، ط١، بغداد، ١٩٥٩
- ٢١ - البناء، علي، صادق، دولت، امبابي، نبيل سيد، أساس الجغرافية العامة، مطبعة الانجلو المصرية، ط٢١٧٨، ١٩٧٨
- ٢٢ - البكري، علاء الدين، السياحة في العراق، التخطيط العلمي الجديد، مطبعة ثنيان، بغداد، ١٩٧٢
- ٢٣ - البياتي، مظفر فاضل وآخرون الإحصاء السياحي، عدد مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠٠٠
- ٢٤ - الجنابي، طارق جواد، العمارت الدينية، موسوعة حضارة العراق، دار الحرية للطباعة، بغداد، ج١٠، ١٩٨٥
- ٢٥ - الجلاوي، محمد حسين، مزارات أهل البيت وتاريخها، موسسة الاعلمى لنشرات، ط١، بيروت، ١٩٨٥
- ٢٦ - جواد، مصطفى، ديوان الشريف المرتضى مطبعة الدار، ط١، ١٩٩٨
- ٢٧ - الجوزي، عبد الرحمن بن علي، مناقب معروف الكرخي وأخباره، وتحقيق عبد الله الجبورى، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت، ١٩٨٥
- ٢٨ - جواد، مصطفى، سوسة، احمد، دليل خارطة بغداد المفصل، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٥
- ٢٩ - الجلاد، احمد، التنمية السياحية المتواصلة، مطبعة عالم الكتب، ط١، القاهرة، ٢٠٠٠
- ٣٠ - الحسن، إحسان محمد، دراسات تحليلية في المجتمع المعاصر، مطبعة دار السلام، ط١، ١٩٧٥
- ٣١ - الحسن، إحسان محمد، طرق الإحصاء الاجتماعي، دار الكتب للطباعة، جامعة الموصل، ١٩٨٢
- ٣٢ - الحسن، إحسان محمد، الأسس العلمية لنهج البحث الاجتماعي، بيروت، ١٩٨٢
- ٣٣ - الحسن، إحسان محمد، المدخل إلى عالم الاجتماع، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٨
- ٣٤ - حمدي، عبد العظيم، اقتصاديات السياحة، مدخل نظري وعلمي متكملاً، مكتبة زهراء الشرق، ١٩٩٢
- ٣٥ - حديد، احمد سعيد، جغرافية الطقس، مطبعة دار الكتب، بغداد، ١٩٧٩
- ٣٦ - حديد، احمد سعيد الحسن، وآخرون، المناخ المحلي، مطبعة دار الكتب، الموصل، ١٩٨٢
- ٣٧ - حلبي، علي عبد الرزاق، دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية، مطبعة دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، ط١، ١٩٨٩
- ٣٨ - حافظ، نبيل عبد الفتاح، سليمان عبد الرحمن سيد، علم النفس الاجتماعي، مطبعة زهراء الشرق، ط١، القاهرة، ٢٠٠٠
- ٣٩ - الحسني، هاشم معروف، سيرة الأئمة الأثني عشر دار العلم، بيروت، ط١، ج٢، ١٩٧٨
- ٤٠ - الحسني، عباس، مفاتيح الجنان، بغداد، ط١، ١٩٦٠
- ٤١ - الحائرى، محمد رضا، حياة أولي النهى، موسسة الاعلمى للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٩٢

- \_\_\_\_\_ مدينة الكاظمين ؛ معلم ديني سياحي (دراسة تاريخية)
- ٤٢ - الحكيمي، محمد رضا، تاريخ العلماء عبر العصور المختلفة، موسسة الاعلمى للمطبوعات، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٣
- ٤٣ - الحسيني، عبد الزهراء، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، مطبعة القضاء النجف الأشرف ، ط١ ، ١٩٦٦ ،
- ٤٤ - الحسيني، احمد، حياة الشريف المترضى، منشورات مكتبة الشريف المترضى الكاظمية، بدون سنة
- ٤٥ - الحسيني، عميد الدين، بحر الأنساب ، تحقيق محمد الرفاعي ، مطبعة مصر ١٩٣٦
- ٤٦ - الحسيني، عبد الرزاق كمونه، مشاهد العترة الطاهرة واعيان الصحابة والتابعين ، مطبعة الآداب ، النجف الأشرف ، ١٩٦٨
- ٤٧ - الحسيني، علي، في رحاب الزيارة الجامعية ، مطبعة دار الغدير ، ط١ ، ٢٠٠٣ ،
- ٤٨ - حدة، حسن، المعالم الأثرية والسياحة للوطن العربي ، دار دمشق للنشر والتوزيع ، ج٣ ، دمشق ، ١٩٧٥
- ٤٩ - الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ، معجم البلدان المجلد الأول ، منشورات مكتب الأسدية ، طهران ، ١٩٦٥ .
- ٥٠ - حرز الدين، محمد، مراقد المعارف ، علق عليه وحقق محمد حسين حرز الدين ، مطبعة الآداب ، ج٢ ، النجف الأشرف ، ١٩٧١
- ٥١ - حمود، محمد جميل ، الفوائد البهية في شرح عقائد الأمامية ، دار الفقه للطباعة والنشر ، ط١ ، ج٢ ، ٢٠٠٤
- ٥٢ - الحوري، مثنى طه ، الدباغ ، إسماعيل محمد ، اقتصاديات السياحة ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٩
- ٥٣ - الحوري، مثنى طه الدباغ ، إسماعيل محمد ، مبادئ السفر والسياحة ، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٠
- ٥٤ - حسن، زهير عبد الله ، القطاع السياحي في المغرب الواقع والآفاق ، مطبعة العارف الجديدة المغرب ، ١٩٩١
- ٥٥ - الحميدي، أبو بكر ، السياحة والفنادق ، مطبعة نحال ، ١٩٦٨
- ٥٦ - حداد، مهنا ، الأردن والسياحة ومشكلات وهموم على الساحة ، جامعة اليرموك ، الأردن ، ١٩٩٧
- ٥٧ - الحناوي، ريم ، مبادئ السياحة ، دار البركة للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠١
- ٥٨ - الخليلي، جعفر ، موسوعة العتبات المقدسة ، قسم الكاظمين ، ج١ دار التعارف ، ط١ ، بغداد ، ١٩٦٧
- ٥٩ - الخورناري، محمد باقر ، روضات الجنات ، ج٤ قم المقدسة ، ١٩٣٢
- ٦٠ - الخوارزمي، محمد بن محمود ، جامع الإمام الأعظم ، مطبعة دائرة المعارف الهندية ، ج١ ، ١٩١٢
- ٦١ - الخطيب البغدادي، أبو بكر احمد بن علي تاريخ ، بغداد ، مطبعة السعادة ، ط١ ج١٣ بدون سنة.
- ٦٢ - الخولي، سناء ، مدخل إلى علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، ط١ الإسكندرية ، ١٩٧٨
- ٦٣ - الخضيري، محسن ، التسويق السياحي ، مدخل اقتصادي متكمال ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٨٩
- ٦٤ - الخوري، الياس ، السياحة في لبنان والعالم ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥

- ٦٥ - دخيل، علي محمد، الإمام الجواد، سلسة كتب أئمتنا، ج ٩، ط ١، بدون سنة
- ٦٦ - الدولابي، أبو بشير محمد بن احمد، الكنى والأسماء، مطبعة دائرة المعارف، ط ١  
الهند، ج ٢، ١٩٠٢
- ٦٧ - الدروبي، إبراهيم، الباز الأشهب في حياة الشيخ عبد القادر الكيلاني، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٥
- ٦٨ - دسوقي، كمال، دينامية الجماعة في الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي المطبعة الفنية  
الحديثة، ط ١، ج ١، ١٩٦٩
- ٦٩ - الدباس، نزيه، أدارة القرى السياحية، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٢

## **دراسة نقدية في تطور فكرة التجديد في النحو العربي عند شوقي ضيف**

محمد باقر حسيني<sup>(١)</sup>  
احمد حنيفي زاده<sup>(٢)</sup>

### **المؤلف**

ان الدكتور شوقي ضيف من اكبر الناشطين الذين عالجوا قضية التجديد في النحو العربي اذ كثرت الدعوات من الادباء الكبار كطه حسين بضرورة تجديد النحو العربي و تسهيله لما هو عليه من القدم و العسرة . وقد خطأ شوقي ضيف في هذا المجال خطوات واسعة تستحق التبجيل و التجليل لكنه لم يستطع ان يكون المجدد الناجح اذ بقيت محاولاته حبرا على ورق ولم يكتب لها النجاح . و السبب الرئيسي في هذا الاخفاق\_ ان صح التعبير\_ يرجع لصراع القديم و الجديد في ثقافة شوقي ضيف و تفكيره فقد يبدو جليا من كتبه تحبطه و حيرته في مدى قبول او رفض كلام القديم و الجديد لتأسيس نحو عربي سهل و بسيط و تكريسه كنظام نحوي يلبي حاجة الانسان العربي المعاصر مع المحافظة علي صحة اللغة العربية و فصاحتها.

**الكلمات الدليلية :** التجديد في النحو ، شوقي ضيف ، المدرسة الكوفية ، ابن القرطبي

### **المقدمة**

هكذا جرت العادة ان يتحمل اصحاب الفكر الجديد - خاصة في مجال الثقافة و الادب - المصاعب و المتاعب من اجل تفهيم افكارهم الرائدة او او تكريسها في ذلك المجال. فقد روی لنا تاريخ الثقافة البشرية او أدابها و حتى في بعض الأحيان تاريخ علومها نماذج كثيرة من هذه الصراعات بين المجددين و انصار الفكر القديم. وقد يجر هذا الصراع من بين الأشخاص الى كيان الشخص - مجددا كان او من انصار القديم - اذ يشعر بالحاجة الماسة للتغيير لكن لا يستطيع ان يقدر مدى رفضه او قوته للتجديد لتعارضه مع فكره القديم و ثقافته ، او لانه يشعر بالخطر ازاء القديم و تقاليده.

يمكن ان نشير الي محاولات شوقي ضيف التي كانت ترمي الي تجديد النحو كانت من هذا النوع اذ نري اشتباكه مع نفسه قبل ان يستبك مع غيره في سبيل تفهيم آرائه و تطبيقه علي النحو العربي . هذا المقال يتطرق الي صراع شوقي مع نفسه في هذا السبيل و تصادم ميوله التجددية مع ثقافته القديمة.

١ - قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة الفردوسي - مشهد - ايران

٢ - طالب دكتوراه ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة الفردوسي مشهد - ايران

ان الدكتور شوقي ضيف كان من ابرز الكتاب المعاصرين علي الساحة الأدبية و اكثراهم نشاطاً . وقد عالج في كتاباته الكبير من مواضيع اللغة والأدب ، قد اشتهر اكثر ما اشتهر كناقد ادبى كان له دور بارز و فعال في النقد الأدبي المعاصر . لكن ذلك لم يمنع الدكتور شوقي ضيف من أن يخوض في دراسة النحو العربي لما كان عليه العرب آنذاك من انهماك في امر النهضة العلمية التي تتطلب الكثير من الاصلاحات و خاصة نحو اللغة العربية التي كان يعتمد عليها أساس للنهضة .

و علي هذا الصعيد حاول الكثير من الأدباء والعلماء أن يساهموا مساهمة فعالة في هذا المجال فالعوا  
لكثير من الكتب الجديدة في النحو العربي مثل «النحو الواضح» لعلي الجارم ومصطفى أمين اللذان حاولا  
أن ييسروا قواعد النحو العربي تيسيراً يتلائم مع روح الناشئة والشباب والنظم التعليمية في العصر المعاصر .  
كما وضع مصطفى الغلايني كتاب «جامع الدروس العربية» وكتاب رفاعة الطهطاوي قبل ذلك كتاب  
«التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية» و«الف حنفي ناصف كتاب «قواعد اللغة العربية» وكتب ابراهيم  
مصطففي كتاب «احياء النحو» الذي يعد ثورة عارمة ضد النحو العربي واستمراراً مكملاً لنظريات ابن  
مضاء القرطبي في كتاب «الرد على النجا» الذي حققه شوقي ضيف و دعا اليه و اعتمد في الكثير من آرائه  
عليه . كما انه ظهر هناك فريق يدعوا الي ترك الاعراب و اتخاذ اللغة العامية لغة رسمية . (حسن ، بلاط ، ص  
(٢٦٧)

### نشأة فكرة التجديد في النحو عند شوقي ضيف

ذكرنا ان الجو كان مهيئاً لظهور نشاطات تحاول أن تسهل النحو بل يستدعي أن يقرأ النحو قراءة جديدة  
وتنسق ابوابه بصورة جديدة تتلاءم مع الروح العصرية . وكان مجتمع اللغة العربية في القاهرة علي اتم  
الاستعداد لمناقشة آخر الآراء والتطورات في مجال النحو الذي كان شغله الشاغل .

في هذه الأثناء عثر الدكتور شوقي ضيف علي نسخة مخطوطة من كتاب «الرد على النجا» لابن مضاء  
القرطبي في قائمة المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية . يشور ابن مضاء القرطبي في كتابه هذا علي نظرية  
العامل في النحو وما تستدعيه من مقدرات في الكلام ، ثورة عنيفة تحاول الي الغاء و هدم تلك النظرية هدماً  
كاملاً (ضيف ، تحقيق كتاب الرد علي النجا ، ص ٢٤) كما يلغى ابن مضاء العلل الثنائي والثالوث و  
يلغى القياس في النحو اذ مثلاً يعلل النجا رفع الفعل المضارع لشبهه بالأسم (المصدر السابق ، ص ٣٧-٣٨)  
او يعللون امراً نحوياً لتشابهه مع بعض الشواهد القديمة لديهم كما ان للنجا احياناً ظواهر غير مطردة و ذلك  
حين جعل بعضهم من تلك الظواهر قانوناً او معياراً صالحًا للقياس عليه (الجسم ، ص ٢٠٠٧ م ، ص ٢٧)  
يدعوا ايضاً الي الغاء التمارين غير العلمية التي وضعها النجا للتدریب او مقارعة خصومهم في مجال النحو .  
(ضيف ، تحقيق كتاب الرد علي النجا ، ص ٤٣)

فأعجب الدكتور شوقي ضيف بما في هذا الكتاب من آراء خاصة الغاء نظرية العامل ، و حقق الكتاب و  
طبعه فلقى ترحيباً واسعاً و اقرت لجنه بمجمع اللغة العربية بعضى جوانبه .

اذن ان فكرة التجديد في النحو العربي عند شوقي ضيف كان مصدرها كتاب «الرد على النجا» لابن  
مضاء القرطبي الذي كان علي المذهب الظاهري في عهد الموحدين و اراد أن يهدم النحو لذاته واما كان  
يهدم الي هدمه باعتباره وسيلة لفهم الفقه المشرقي الذي اشتراك هو في الثورة عليه . (الراجحي ، ١٩٧٥ م ،  
ص ١٧١) لكن الدكتور شوقي ضيف بقي في هذه المرحلة داعياً الي افكار ابن القرطبي وليس اكثراً . انه لم  
يستطيع أن يضيف اليها شيئاً جديداً لانه لم يركز جهوده علي هذه المسألة بصورة تامة . رغم كل هذا كانت  
هذه المرحلة ذا اثر كبير علي نشاط المجددين في النحو و الداعين اليه اذ كانوا يرون اولاً الدكتور شوقي ضيف  
و الدكتور طه حسين الذي كان يمجده هذا الكتاب كثيراً و يطري عليه بالثناء (نفس المؤلف ، ١٩٧٥ م ، ص

دراسة تقديرية في تطور فكرة التجديد في النحو العربي عند شوقي ضيف ١٧٢ ) وغيرهم من كبار الأدباء إلى جنبهم وثانياً رحوا كتاب ابن القرطبي الذي يشتمل على أسس وأصول موضوعية يجعلهم قادرين على خوض هذه المعركة .  
نقد لهذه المرحلة

إنها مرحلة مهمة جداً بالنسبة للمؤلف ومجدهي النحو وتعتبر خطوة جديدة في تجديد النحو وإن كان ابن القرطبي من القدماء ، لكن أحياء هذه الآراء بعد أن كانت قد اهملت وغيّرت لعدة قرون كانت تحتاج إلى شجاعة لا تقل عن شجاعة ابن القرطبي في فتح طريق جديدة للدراسة النحو العربي إذ طالما يعاني المجددون من عسف وجمود المتعصبين للقديم والمتصررين له في كل المجالات . وقد بذل المؤلف كثيراً من الجهد في خلال بحثه لاحياء في هذه الظرفية النفسية من طرف الفكر الأندلسي لكنه لم يستطع أن يوسع نطاق هذه الآراء ولم يحاول أن يطبقها تطبيقاً جديداً في النحو ، فاكتفي بالدعوة لآراء ابن القرطبي الذي هو بدوره كان ناجحاً في هذا الأمر إذ أن أساس نظريته في الغاء العامل يتعلق ببعض ملاحظات ابن جني في كتابه «الخصائص» حيث يقول : «اما في الحقيقة ومحصول الحديث ، فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم ، إنما هو للمنتكلم نفسه لا لشيء غيره» (ضيف ، تحقيق كتاب الرد على النحوة ص ٧٧) واستطاع أن يصنع ابن القرطبي من مثل هذه الجملة ، نظريات وآراء شكلت أساس كتابه . لكن الدكتور شوقي ضيف توسع في فروع آراء ابن القرطبي بدل التوسيع في أصلها إذ أخذ مثلاً بتنسيق أبواب النحو وحذف بعض أبوابه ببردها إلى غيرها والغاء الاعراب التقديري وغير ذلك من الأفكار التي سنشير إليها في محلها .

### دراسة تاريخ النحو ومدارسه

رأينا إن شوقي ضيف حاول أن يضع أصلاً هاماً للدراسات التي كانت تحاول أن تجدد في النحو العربي وكانت جادة في عملها لهذا الغرض . انه رأى برأي العين أن تاريخ النحو العربي ومدارسه بحاجة ماسة إلى دراسة جديدة . لأنّه كما يقول بعض العلماء لا يجوز أن نبدأ بوضع نحو جديداً قبل أن نعرف نحو القديم والأسس التي قام عليها و العوامل التي تأثر بها ويجب علينا أن ندرس الأسس و المحاور التي قام عليها (المبارك ، ١٩٨١ . م ، ص ٤) فان النحو العربي اتخذ في صياغته نزعة منطقية متأثرة بمنطق ارسطوالي الذي قد غزي الفكر الإسلامي . (نفس المؤلف ، ١٩٨١ ، ص ٧٣) وقد صب النحوة جهودهم علي البحث وراء العامل دون أن يهتموا بتركيب الجمل و ترابط المعاني فيها (الوردي ، ص ١٤٤) حتى أصبح النحو العربي يشبه الفلسفة في أن لكل معلوم علة . و ان النحوين تجاوزوا كل هذا في تدوينهم للنحو حتى وصل بهم الأمر أن تتشبّهوا بأبيات وأقوال مجھولة النسبة او موضوعة (مجاهد ، ٢٠٠٦ ، ص ٨٧) .

إن تأثير العرب بالأجانب لا يتختص بالنحو فقط اذنرى هذا التأثير أيضاً في وضعهم لقواعد البلاغة و تدوين اصولها و توسيعها خاصة الفكر اليوناني والايراني (ضيف ، البلاغة ، تطور و تاريخ ، ص ٣٩ - ٣٨) . ولهذا يجب على المجددين في النحو أن يعرفوا تاريخه و كيفية تدوينه و تطورها .

الا اننا في هذه المرحلة نجد شوقي ضيف منحازاً للقديم و متصرراً له و ينظر إلى النحو العربي ب تقديس و خاصة نظرية العامل التي حاربها عند تحقيقه لكتاب «الرد على النحوة» لابن مضاء القرطبي عام ١٩٤٧ . م الذي اعده المؤلف بداية جديدة لتفكيره في تجديد النحو مراراً في مقدمات كتبه النحوية .

ونري شوقي ضيف ينقض اصول كتاب «الرد على النحوة» و ينافق نفسه التي اخذت تفكير في تجديد النحو منذ تحقيق هذا الكتاب (ضيف ، تجديد النحو ، ص ٥) حيث يكتب كتابه «المدارس النحوية» الذي يقول في مقدمته «و قد ذهبت إلى أن الخليل بن أحمد الفراهيدي هو المؤسس الحقيقي للدراسة البصرية او لعلم النحو بمعناه الدقيق ، و صورت في تصاعيف ذلك إقامته لصرح النحو بكل ما يتصل به من نظرية

العوامل والعمولات وبكل ما يسنه من سماع وتعليق وقياس سديد، مع بيان ما امتاز به من علمٍ  
بأسرار العربية وتدوّق خصائصها التركية».

و خلفه علي تراثه تلميذه سبيويه الذي تمثل آراءه النحوية تمثلاً غريباً رائعاً، نافذاً منها الي ما لا يكاد  
يخصي من الآراء فإذا هو يسوى من ذلك «الكتاب» آيته الكبري (ضيف، المدارس النحوية، ص ١٦) ونراه  
هنا يمدح فطنة الخليل و سبيويه في وضع قواعد اللغة العربية حسب نظرية العامل والقياس وغيرها من  
الأصول التي كان يحاول أن يطردتها من النحو العربي. و يصور من نفسه شخصاً متعصباً على القديم بكل  
ما فيه من عيوب. كما انه يمدح العقل البصري و دقته وعمقه لاتصاله بالثقافات الأجنبية وبالتفكير اليوناني  
و ما وضعه اسطاليس من المنطق و حدوده و اقيسته، (ضيف، المدارس النحوية، ص ٢١) وبذلك قد  
مدح مرة أخرى نظرية العامل و ما تسببه من بناء صعب للنحو العربي.

الا إنـه أـنـ تـقولـ الـحقـ، وـ الـحقـ يـقالـ أـنـ شـوـقـيـ ضـيـفـ فـيـ مـقـدـمـتـهـ لـهـذـاـ الـكتـابـ يـقـولـ: «وـ لـمـ اـتـابـعـ الـجهـودـ  
الـخـصـبـةـ الـتـيـ بـذـلـتـ فـيـ عـصـرـنـاـ لـتـجـدـيـدـ النـحـوـ وـ تـيـسـيرـهـ، لـأـنـ أـنـمـاـ قـصـدـ بـهـاـ إـلـيـ غالـيـاتـ تـرـبـوـيـةـ فـيـ تـعـلـيمـ النـاشـئـةـ  
وـ هـيـ حـرـيـةـ بـكـتـابـ مـسـتـقـلـ» (ضـيـفـ، نـفـسـ الـمـصـدـرـ، صـ ٨ـ) وـ لـيـسـ هـذـهـ كـلـ الـحـقـيـقـةـ فـإـنـهـ قـدـ يـئـسـ مـنـ  
الـتـجـدـيـدـ فـيـ النـحـوـ لـأـنـهـ فـيـ بـدـايـةـ الـأـمـرـ حـاـوـلـ أـنـ يـزـيـحـ نـظـرـيـةـ الـعـاـمـلـ مـنـ الـطـرـيقـ وـ أـنـ يـبـنـيـ النـحـوـ بـنـاءـ جـدـيـداـ  
لـكـنـهـ هـنـاـ يـذـكـرـ أـنـ جـهـودـ التـجـدـيـدـ فـيـ النـحـوـ قـصـدـ بـهـاـ إـلـيـ غـيـاـيـاتـ تـرـبـوـيـةـ فـيـ تـعـلـيمـ النـاشـئـةـ. وـ هـذـاـ اـنـسـحـابـ  
لـشـوـقـيـ ضـيـفـ مـنـ مـوـقـعـهـ الـأـوـلـ، يـحـبـ أـنـ نـسـجـلـهـ عـلـيـهـ، لـأـنـ تـسـهـيلـ النـحـوـ لـأـغـرـاضـ تـرـبـوـيـةـ يـتـاقـضـ مـعـ  
مـخـارـبـتـهـ وـ مـحاـوـلـةـ الـقـضـاءـ عـلـيـهـ وـ هـدـمـهـ هـدـمـاـ كـامـلـاـ بـالـغـاءـ نـظـرـيـةـ الـعـاـمـلـ كـمـاـ يـعـتـرـفـ بـذـلـكـ هـوـ فـيـ تـحـقـيقـهـ لـكـتـابـ  
«الـرـدـ عـلـيـ النـحـاةـ».

هو ناقش في هذا الكتاب موضوعات جزئية جداً لاستحق المناقشة لوضع نحو جديد. و توصل الي آراء  
لانظمتن بها في بعض الأحيان لانه لم يدعمها بحجج قوية و اثنا بناها على تصورات افترضها من قبل.  
من الأمور التي ناقشها شوقي ضيف هي مسألة البحث عن الواقع الأول للنحو العربي، والمعروف انه  
ابوالأسود الدؤلي الذي وضع المبادي العربية الأولى بارشادات من امير المؤمنين علي بن ابي طالب (زاهد،  
١٩٨٦م، ص ٤٨) وقدوردت روايات كثيرة من علماء كبار - علي اختلاف في كيفية الأمر - تشهد بهذه  
الحقيقة بأن اباالأسود استعن بالامام علي (ع) في وضع النحو كما يقول الاستاذ سعيد الافغاني «و من يقرأ  
بامعان ترجمة ابن الأسود في تاريخ دمشق لابن عساكر مثلاً ثم يفكّر في توارد أكثر المصادر على جعله  
واضع الأساس في بناء النحو لا يبتعد ذلك» (المبارك، ١٩٨١م، ص ٣١)  
لكن الدكتور شوقي ضيف ينفي في كتابه «المدارس النحوية» هذا الأمر بحججة ان الإمام علي (ع) كان  
مشغولاً في تلك الفترة بالتخطيط لحرب معاوية و حرب الخوارج (ضـيـفـ، الـمـدارـسـ الـنـحـوـيـةـ، صـ ١٤ـ) و  
كان طاقات كل البشر سواء و كأنها محدودة جداً. و كأنه لم يعرف ثقافة علي (ع) و المame بالعلوم و فهمه  
الواسع و غوره الذي لا يسر في العلم والأدب (العقد، ٢٠٠٧م. ص ١٢١).

### فقد لهذه المرحلة

ان شوقي ضيف هنا يتراجع ضمنيا عن آرائه السابقة الداعية للثورة علي القديم و الدعوة للتحرر من  
ثقل النحو العربي القديم اذ نراه يتعصب للقديم و يتصرّ له بل يمدحه بما يفوق التصديق لانه ينافق مواقفه  
السابقة و يسحق ما حقق من مكاسب لتجديد النحو في كتابه السابق. لكن هذا لا يبدو غريباً لمن يعرف  
شوقي ضيف فانه تتفق ثقافة قديمة لا يستطيع ان يفارقها و بقي عليها حتى وفاته عام ٢٠٠٥ للميلاد. انه  
لم يستطع ان يفعل فعل استاذه الدكتور طه حسين الذي ثار علي القديم ليس لتدميره بل لدارسته دراسة  
واعية تساعد علي اصلاحه.

## الاتجاه نحو النحو الكوفي وعلم التجويد

حاول الدكتور شوقي ضيف في كتابه «تجديددالنحو» أن يضع قواعد اللغة العربية بصيغة نهائية ترضي المجددين والمحافظين معاً لأنَّه كان الكثير من محاولات التجديد تواه رداً عنيفاً من علماء الأزهر الذين كانوا يرون فيها افساداً للغة العربية بل كانوا يعدونها خروجاً عن الدين (الصعيدي، بلاط، ص ٩٦) كما واجهوا محاولات ابراهيم مصطفى واعضاء لجنة مجمع اللغة العربية بشيءٍ من هذا القبيل.

أراد شوقي ضيف أن يمسك العصا من الوسط لمعرفته بهذه الأمور من جانبٍ ولا دراكه أن تدوين النحو من جديد ليس بالأمر البسيط، ولا تجاهاته القديمة كما ذكرنا قبل ذلك لهذا نراه للنحو الكوفي بدل ابن القرطبي ليحييه مرة أخرى وي Mizجه بال نحو البصري المعروف والمداول حالياً في التعليم. انه وإن أراد أن تكون له كلمة الفصل حيث يقول في مقدمة كتابه: «ولعلني بهذا اكون قد حققت املاً طال انتظاره بتجديد النحو علي منهجٍ وطريقٍ يذللُه ويُسْطِه ويُعِينُ على تمثيلِ قواعدهِ واستكمالِ نوافذهِ» . (ضيف، تجديددالنحو، ص ٨) لكنه ما استطاع أن يحقق هذا الأمل إذ انَّ الكتاب لا يحتوي على شيءٍ كثیر من الجديد في النحو وانما اعاد فيه المؤلف الكثیر من القواعد الصرفية والنحوية كما سجلها واتفق عليها النحاة القدامی وثانياً ان ما احتوي عليه الكتاب من جديد سقيم في منطقه و إن دافع عنه المؤلف بحجج أوردها في الكتاب نفسه الا انها حجج ليست قوية و دامغة بل تفتقرالي الدلائل والبراهين المنطقية في هيكلها العام إن صح القول. كما حاول المؤلف أن يدمج علم التجويد مع كل صعوباته في علم النحو (ضيف، تجديددالنحو، ص ٤٩)

ان المؤلف في هذا الكتاب حاول أن يصل الى نظرية جديدة وهي أن يجمع بين النحو البصري والنحو الكوفي وأن يكون الأساس هو النحو البصري الذي مدحه المؤلف في كتابه «المدارس التحوية» لما هو عليه من المنطق والدقة والعقلانية، وأن يكون النحو الكوفي بكلمة له تساعده عند ما يتعدد الأمر ويطلب قليلاً من التسهيل او عندما يرى المؤلف ذلك لازماً.

### مناقشة بعض آراء شوقي ضيف في كتابه (تجديددالنحو)

حاول المؤلف في أن يعيد تنسيق ابواب النحو من جديد ولهذا مثلاً قد حذف المؤلف باب كان و اخواتها، و بابها ولوالات العاملات عمل ليس ، و باب كادو اخواتها و باب ظن و اخواتها و باب اعلم و اخواتها دون أن يحذف امثالها لأنَّه يردها إلى ابوابٍ أخرى. فمثلاً انه يرد باب كان و اخواتها إلى الجملة الفعلية و يعرّبها فعلًا و يعرّب مرفعها فاعلاً و منصوبها حالاً فان «زيد» في جملة «كان زيد مسافراً» ، فاعل و ان «مسافراً» حال منه. (ضيف، نفس المصدر، ص ١٢) ويجيب شوقي ضيف في كتابه على اعترافاتٍ وهمة قد تتعرض عليه بعد نشر الكتاب. ويحاول أن يظهر مظهراً منطقياً في اجويته ولهذا يرد عليها رداً بصررياً اذ المدرسة البصرية تمثل عنده الوجهة العقلية.

من تلك الاعتراضات هي اتنا لو اعرَبنا خبراً كان في بعض الأحيان ثابتاً ويرد على هذا الاعتراض بـأنَّ هناك في اللغة العربية احوالاً ثابتة. و الاعتراض الثاني هو أنه يجب أن تكون الحال نكرة و لكننا نجد مثلاً في جملة «كان المسافر محمدًا» أن «محمدًا» علم وقع حالاً. ويجيب شوقي ضيف على هذا بأنَّ هناك بعض الأحيان تأتي الحال معرفة في النحو البصري مثل « جاءَ زيدَ وحدَه » و « ارسَلَ عمروَ الابلَ العراكَ

» و «صنع ذلك جهده» (ضيف، نفس المصدر، ص ١٣) والاعتراض الثالث هو ان الحال يجب أن تكون مشتقة ويرد عليه شوقي ضيف بان في بعض الأحيان تأتي الحال جامدة مثل «باء زيد اسدا» وينسى اوينتاسي الدكتور شوقي ضيف في رده على هذه الاعتراضات بان هناك شروطا خاصة عند البصريين مثلا للإتيان بالأحوال الثابتة وهي أن تكون جامدة غير مؤولة بالمشتق او أن تكون مؤكدة او أن تكون دالة على تجدد صاحبها. (الأندلسي، ...، ج ٢، ص ١١٣) وهذا لا يصدق علي خبركان في معظم الأحيان وهناك فرق جوهري لم يلاحظه شوقي ضيف وهو أن الحال لبيان الهيئة وكان وآخواتها توضع في أكثر الأحيان للاحبار عن امر و يلحق بها كل فعل لا يستغني عن الخبر مثل آض، ورجع واستحال (الشرتوني، ١٣٧٣ هـ. ش، ج ٤ ، ص ٢٠٨) كما انه في الاعتراض الثاني ينسى شوقي ضيف ان الاحوال المعرفة يجب أن تكون قابلة للتأويل بالنكرة «وحدة» في الجملة المذكورة تأول «وحيدا» و «العراء» تأول «معتركة» (ابن عقيل، ج ٢ ، ص ٢٥٤) في حين ان هذه لا تصدق علي خبركان وآخواتها خاصة اذا كان اسماعينا علمما كما رأينا في المثال المذكور عند الاستاذ شوقي ضيف «كان المسافر محمد». وفي رده على الاعتراض الثالث لا يذكر ان الجامد يكون حالا اذا دل علي معنى المشتق.

### نموذج آخر من آرائه

تعرب المدرسة البصرية كاد وآخواتها بانها افعال ترفع المبتدأ ويسمي اسمها وتنصب الخبر ويسمي خبرها ويلزم أن يكون خبرا جملة فعلية. اما الدكتور شوقي ضيف يقترح أن تعرب الجملة علي أنها فعلية ويعرّب اسمها فاعلاً فعلها ويعرّب خبرا مفعولاً به (ضيف، نفس المصدر، ص ١٦٥) فنقول مثلاً في «كاد زيد يقوم» ان «كاد» فعل ماضي مبني على الفتح، و«زيد» فاعل ومرفوع و«يقوم» فعل مضارع مرفوع بالضمة وهو مفعول به لفعل «كاد»

ويصر شوقي ان تفسر افعال القلوب علي أنها جمل فعلية دون أن يتبه الي أن في بعض الأحيان خبر هذه الأفعال الذي يسميه شوقي ضيف مفعولاً به، لا تأول بمصدر. وأن في كثير من الأحيان تختلط مع أفعال أخرى تشبهها في الصياغة، وليس في المعاني ولا النظام، منها «اخذ، وشرع وقاد وجعل» اذ تكون للمقاربة مرة ولغيرها مرة أخرى، لكن تفسير شوقي ضيف يخلط نظام هذه الأفعال وجملها بصورة كبيرة. فهنالك فرق بين «أخذ علي يدرس» وجملة «أخذ علي الكتاب» ولكن الدكتور شوقي ضيف يفسرهما تفسيرا واحدا مع بونهما الشاسع في المعنى والتركيب. كما ان تنسيقه لابواب النحو من جديد يحدث خطاً بين موضوع الدرس النحوبي والدرس الصرفي (الحمزاوي، بلاط، ص ٢٦)

### نقد لكتاب «تجديد النحو»

إن هذه المرحلة تبين لنا تحبّط شوقي في تجديده للنحو اذ نراه مرة يقف الي جانب ابن مضاء القرطبي ويدح كتابه ونظرياته التي تخالف اساس النحو البصري ومرة أخرى يمدح العقل البصري لدقته في وضع قواعد النحو العربي ونراه هنا يحارب تلك الدقة ويريد أن يبدلها بقواعد المدرسة الكوفية التي لا تنسجم بتلك الدقة.

إن مشكلة شوقي ضيف هي أنه يريد يأتي التجديد في النحو من حيث لا يمكن و يريد أن يهدم بالنحو الكوفي، وبأسس بصرية اهم نظريات المدرسة البصرية التي قابلت بها المدرسة الكوفية، وهذا شيء لا يمكن اذ شارك العقل البصري باكبر عظمائه في وضع هذه القواعد لسنوات عديدة وهي من حيث

انطباقها بنظرية العامل على درجة عالية من الدقة التي يمدحها شوقي ضيف في العقل البصري. اذن انه يريد أن يحارب ما يؤمن به ويفكر على أساسه. انه لم يستطع أن يقابل الأصول التي قام عليها النحو البصري كما فعل غيره من المجددين.

ثم انه حاول أن يجعل علم التجويد في كتب الصرف والنحو لا بد من ذلك برأيه. وهذا ما يُشَقِّل عباءً الصرف والنحو على الناشئة و المتعلمين الذين يدافعون باسمهم عن نظرياته و خاصة في مرحلته القادمة كما سنرى إن شاء الله.

لقد فشل محاولة الدكتور شوقي ضيف في كتابه «تجديد النحو» فشلاً ذريعاً لأنّه لم يعرض علينا إلاّ ما قال به القدماء مِنْ قبل وقد اخذ كتابه صبغة تعليمية تحاول أن تعرّض النحو بلغة سهلة. ولذلك لا يمكن أن نسميه تجديداً لأنّه لا يتعلّق بأسس النحو وإنما يعالج التعليم و تسهيل تدريس النحو للناشئة والشباب. على إننا لاننكر ما فيه من آراء جديدة خولت المؤلف أن يطلق عنوان التجديد على كتابه لكن تلك المقتراحات والتعديلات التي اقترّبها المؤلف ضعيفة جداً في أساسها ولا تستطيع أن تصمد أمام النقاش شيئاً قليلاً مادام التفكير يبقى بصرياً.

وقد انتبه شوقي ضيف إلى عظم فشل محاولة و حاول أن يعيد الأمور إلى مجاريها، و الدليل على ذلك ان الفاصل الزمني لاعمال شوقي ضيف النحوية قبل هذا الكتاب كان يفوق العقد، او العقدتين في بعض الأحيان، لكل كتاب اذ حقق «الرد على النحو» عام ١٩٤٧ م. و كتب بعد واحد وعشرين عاماً اي في عام ١٩٦٨ للميلاد كتاب «المدارس النحوية». و كتب «تجديد النحو» بعد اربعة عشر عاماً اي عام ١٩٨٢ للميلاد. لكنه بعد هذا الكتاب اخذ يقلّص الفارق الزمني الى اقل من نصف العقد. فنزاه يكتب في عام ١٩٨٦ م. و بعد اربع سنوات من نشر كتاب «تجديد النحو» يكتب كتابه «تيسير النحو التعليمي قديماً و حديثاً مع نهج تجديده» عام ١٩٨٦ م. و بعد اربع سنوات من هذا الأخير يكتب كتابه «تيسيرات لغوية» عام ١٩٩٠ للميلاد.

انا اذا نظرنا بدقة الى هذه الفواصل و الفوارق الزمنية رأينا أنّ شوقي ضيف يحاول تغطية فشله في كتابه «تجديد النحو» اذ اخذ يسرع في تأليف كتبه النحوية. كما أن هناك دليلاً آخر يدلنا على هذا الأمر و هي ان محاولات شوقي ضيف للتتجديد في النحو قبل هذا كانت مبعثرة فمن تحقيق كتاب «الرد على النحو» و الثورة على العامل النحوي، نراه يرجع اليه و للمدرسة البصرية الدقيقة في وضع القواعد حسب نظرية العامل و بعد ذلك يميل الى الكوفة و سهولة فكرها في وضع القواعد النحوية. لكن بعد هذا الكتاب يحاول شوقي ضيف أن يركز على غاية واحدة و قد حمل كتابه الاخيران في بداية عنوانهما كلمة مشتركة و هي كلمة «تيسير» .

ان مشكله ضيف التي تمثل بتصادم ثقافته القديمة مع محاولاته التجددية تظهر باجلبي صورها في هذا الكتاب اذ نراه متخططاً لاحادث التجديد في هيكلة النحو العربي ، يتوجه مناحي شتي بغية ان يجد منيته بتسجيل اسمه في قائمة نوابغ و عباقرة الفكر العربي بتجديده النحو العربي ، لكن هيهات ان يجتمع التعصب للقديم و التطلع للحداثة و ان يتمنى لشوقي ضيف الهروب من هذا الصراع المرير.

### الكشف عن وثائق جديدة و الاتجاه نحو لغة عتابية

يدافع الدكتور شوقي ضيف في كتابه «تيسير النحو التعليمي قديماً و حديثاً مع نهج تجديده» عن جل آرائه في كتابه السابق «تجديد النحو» و لهذا قد فتح فصلاً خاصاً فيه للدفاع عن آرائه السابقة في كتاب «تجديد النحو» .

ويكشف عن وثائقٍ جديدةٍ في هذا الفصل بالتحديد إذ يقول مثلاً عن رأيه في جعل اسم كان و اخواتها فاعلاً و جعل خبرها حالاً و يقول ان هذا الرأي لسيبوه و غيره من كالمبرد الذي اخذ خبرها في برية الأمر مفعولاً مجازاً، لكنه تراجع عن رأيه في كتابه «المقتضب» و يسمى مرفوع كان اسمًا لها و يسمى منصوبها خبراً لها (ضيف، تيسير النحو التعليمي قديماً و حديثاً مع نهج تجديده، ص ٩٢) و غير ذلك من هذه الأمور التي يحاول شوقي ضيف أن يكشف عن تاريخها و بذلك يجد مخرجاً لنفسه مما وقوع فيه في كتابه «تجديـنـالـنـحـوـ».

ان كتاب «تيسير النحو التعليمي قديماً و حديثاً مع نهج تجديده» هو في الحقيقة اهم ما خلف شوقي ضيف في مجال نقد النحو و قد حاول أن يقص في قصة تجديد النحو باكمتها من الزمن القديم حتى الزمن الحاضر. فكتب عن «الرد على النحاة» لابن مضاء القرطبي و كتب عن «احياء النحو» للاستاذ مصطفى ابراهيم و كتب عن كافة المقترنات و الردود عليها في جمع اللغة العربية فيما يختص بهذه القضية.

إن هذا الكتاب هو ملخص جهود شوقي ضيف في هذا المجال و يجمع ايضاً في طياته الكثير من قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة و العراق. كما ان المؤلف يظهر فيه كمعلم حنون اذ يكثـرـ فيه من همه على تعليم الناشئة و تخفيـفـ الكـثـيرـ من الوطـءـ عليهم.

ان اهم ميزـهـ هذا الكتاب هي اشتـمالـهـ على مناقـشـةـ اصعبـ الـأـبـوـابـ النـحـوـيـةـ و تـارـيخـ تـدوـينـهـاـ و مشـكلـاتـهاـ بصـورـةـ دقـيقـةـ و علمـيـةـ. و قدـ تمـثلـ فيـ ذاتـهـاـ التـجـاءـ المـؤـلـفـ مـرـةـ اخـرـيـ اليـ آرـاءـ اـبـنـ القرـطـبـيـ ماـ عـدـاـ نـظـرـيـةـ العـاـمـلـ الـذـيـ بـقـىـ مـلـزـمـاـ بـهـاـ وـهـيـ التـيـ سـبـبـتـ لهـ هـذـهـ المـشاـكـلـ.

وـ هـنـاكـ مـحاـوـلـةـ جـديـدـةـ تـظـهـرـ عـنـ شـوـقـيـ ضـيـفـ فيـ هـذـاـ الـكـتـابـ وـ هـيـ آنـهـ يـحـاـوـلـ أـنـ يـضـعـ تـعـرـيـفـاتـ وـ ضـوـابـطـ دـقـيقـةـ لـلـكـثـيرـ مـنـ اـبـوـابـ النـحـوـ اـذـ يـرـيـ آنـ الـكـثـيرـ مـنـ الضـوـابـطـ وـ التـعـرـيـفـاتـ فيـ النـحـوـ لـيـسـ دـقـيقـةـ قـاماـ وـ تـحـتـاجـ اليـ تـعـدـيلـ. لـكـنـنـاـ نـرـاهـ لـاـيـتـجـاـزـ فيـ هـذـاـ الـأـمـرـ التـعـرـيـفـاتـ وـ الضـوـابـطـ التـيـ جـاءـتـ فيـ كـتـبـ اـبـنـ هـشـامـ الـأـنـدـلـسـيـ اـذـ يـورـدـ بـعـضـ الـأـشـكـالـيـاتـ عـلـيـهـ. (نفسـ المـصـدـرـ، صـ ٦٠)

وـ يـكـشـفـ اـيـضـاـ فيـ هـذـاـ الـكـتـابـ عـنـ سـرـ تـرـاجـعـهـ عـنـ الغـاءـ نـظـرـيـةـ العـاـمـلـ عـنـدـمـاـ يـتـكـلـمـ عنـ اـبـرـاهـيمـ مـصـطـفـيـ وـ يـقـولـ بـاـنـ اـسـلـوـبـهـ لـمـ يـعـدـ فـيـهـ مـفـعـولـ بـهـ وـ مـفـعـولـ لـهـ وـ مـفـعـولـ مـطـلـقـ وـ اـسـتـشـاءـ وـ حـالـ وـ غـيرـهـاـ مـنـ اـبـوـابـ النـحـوـ، وـ هـذـاـ الـالـغـاءـ يـضـعـ عـلـيـ النـاـشـئـةـ مـعـرـفـةـ وـ ظـائـفـ هـذـهـ الـكـلـمـاتـ فيـ الصـيـاغـةـ الـعـرـبـيـةـ مـمـاـ قـدـ يـحـدـثـ بـلـبـلـةـ فيـ تـصـوـرـهـاـ لـأـسـالـيـبـهـ. (نفسـ المـصـدـرـ، صـ ٢٩)

وـ هـذـاـ يـفـسـرـ لـنـاـ ضـمـنـاـ مـرـاجـعـةـ شـوـقـيـ ضـيـفـ لـأـفـكـارـهـ وـ تـنـازـلـهـ عـنـ الغـاءـ نـظـرـيـةـ العـاـمـلـ.

لـكـنـ الـأـمـرـ لـيـسـ بـهـذـهـ بـسـاطـةـ وـ لـعـلـ هـذـاـ يـعـدـ نـقـداـ غـيرـ سـلـيـمـ لـكـتابـ «احـيـاءـ النـحـوـ» لـابـراهـيمـ مـصـطـفـيـ لـانـ اوـلاـ صـدـورـ هـذـاـ الـكـتـابـ وـاجـهـ تـرـحـيـباـ عـظـيـماـ مـنـ الدـاعـيـنـ اليـ التـجـديـدـ فيـ النـحـوـ وـ مـنـهـاـ تـمجـيدـ الدـكتـورـ طـهـ حـسـينـ الـذـيـ كـتـبـ مـقـدـمةـ لـهـ وـ ثـانـيـاـ تـفـسـيـرـهـ المـتـعـنـ مـنـ النـحـوـ الـعـرـبـيـ بـصـورـةـ جـديـدـةـ وـ سـهـلـةـ جـداـ. فـقـدـ واـصـلـ الـمـؤـلـفـ فـيـ مـيـسـرـ اـبـنـ مـضـاءـ القرـطـبـيـ فـيـ الغـاءـ نـظـرـيـةـ العـاـمـلـ وـ تـطـوـيرـهـاـ وـ عـرـضـهـاـ فـكـرـ جـديـدـ. فـقـدـ اـكـدـ أـنـ النـحـوـ الـعـرـبـيـ يـشـبـهـ فـيـ نـظـامـهـ، المـنـطـقـ الـأـرـسـطـالـيـسـيـ فـيـ حـينـ أـنـ الـعـرـبـ قـبـلـ الـاسـلـامـ لـمـ يـكـوـنـواـ يـفـكـرـونـ فـيـ تـكـلـمـهـمـ عـلـيـ هـذـهـ الأـصـوـلـ الـمـنـطـقـيـةـ وـ يـعـرـضـ فـهـمـهـ الـجـديـدـ مـنـ النـحـوـ الـعـرـبـيـ وـ يـلـقـيـ نـظـرـيـتـهـ الشـهـيـرـةـ الـتـيـ تـفـسـرـ النـحـوـ الـعـرـبـيـ بـأـجـمـعـهـ فـيـ أـرـبـعـ اـصـوـلـ وـ عـدـةـ فـرـوـعـ وـ هـيـ سـهـلـةـ جـداـ وـ مـنـطـقـيـةـ فـيـ بـنـائـهـ الـفـكـرـيـ وـ سـنـتـكـلـمـ عـنـهـ بـاـخـتـصـارـ فـيـ هـذـهـ الـمـاـلـةـ.

## نـقـدـ لـهـذـهـ المـرـحـلـةـ

ان هذا علي رغم ما فيه من ملامح التجديد في بعض فصوله الا انه ايجالاً في القديم فقد نري فيه المؤلف يعتمد علي آراء القدماء بل يتحقق من اصولها و بداياتها و يحاول ان ينتقض من بعض محاولات بعض المجددين مثل ابراهيم مصطفى الذي يشهد له الكثير بالنجاح الباهر و لقد كتب صديقه الحميم طه حسين مقدمة لكتابه «احياء النحو» الذي يتضمن آراءه التجددية تميز بالاطراء و الثناء تدل على مدى اعجابه بهذا الكتاب. لكن شوقي ضيف التلميذ بدل ان يحاول ان يتم انجازات ابراهيم مصطفى المجدد ، ينتقضها و يطردتها رغم اعجابه بها الذي نفهمه من خلال كلماته في نقد هذا الكتاب اذ لم يورد شوقي ضيف علي آرائه إلى اشكالية واحدة و هي احتمال اضاعة وظائف الكلمات في الجملة علي الطالب. لكن صراع القديم و الجديد يظهر مرة اخرى هنا و لم يستطع ضيف ان يخلص نفسه منه فيبدو فيه متخططا لا يجيد التعامل معهما اذ يخشى التجديد و يتجنبه لما فيه من احتمال اضاعة وظائف الكلمات علي الطالب في الجملة و يظهر مالاً من اصر قواعد القديم و ثقلها لكنه يريد ان يتتصدى لها من حيث تتتصدى هي أبداً الدهر و هي الالتزام بما تفرضه هي يعني نظرية العامل.

ومما يدقق في لغة كتابه الدكتور شوقي ضيف يجدها لغة عتبٌ و لغة من يحاول أن يدافع عن رأيه و ذلك حين يقص ما جري له من حوار من جمع اللغة العربية اذ يصر هو علي بعض الجوانب ويرفض الجمع تلك الآراء بحججه. (نفس المصدر، ص ٥١) و نعود هنا مرة اخرى لنقول ان مشكلة شوقي ضيف هي انه يريد ان يحارب النحو البصري ، إن صح القول ، لتجديده ، بالفکر و العقل البصري وهذا لا يمكن ابداً لأنهم فرضوا تفكيرهم علي نحو بحيث أصبح صرحاً كما عبر عنه شوقي ضيف نفسه. (ضيف ، المدارس النحوية ، ص ١٦)

### البصرة في فصل الاتهام

في هذه المرحلة يكتب شوقي ضيف آخر كتابه في هذا المجال. يحمل الكتاب عنوان «تيسيرات لغوية» إلا أنه يحمل في طياته الكثير من الأبحاث واللاحظات النحوية. فقد ظهر الدكتور شوقي ضيف في هذا الكتاب كعالم نحو و لغوي كبير يناقش مسائل كثيرة و يحاول أن يصححها. في الحقيقة ان كثيراً من هذه المسائل التي يناقشها شوقي ضيف هي من المدرسة البصرية التي حاول المؤلف أن يدل علي اخطاء علمائها. كما حاول ان يتطرق الي بعض الفظواهر المستحدثة في اللغة و يعالجها معاجلة نحوية ثبت صحتها.

ان الكتاب فيه ثلاثة اقسام ، ففي القسم الأول يصحح شوقي ضيف الكثير من القواعد الموجودة في مدرسة البصرة. و منها ان تعددية الفعل اللازم تكون بأربعة طرق ، بهمزة افعل او بتضييف وسطه او بالف المفاعة او باخذه علي باب استفعال للطلب والصيورة. و يطالب شوقي ضيف أن تزداد الي هذه الطرق تسوية بين الأفعال المتعدية بواسطة حرف الجر و المتعدية مباشرة فقد تكلم عنها ابن جني في كتابه «الخصائص» و ساق منها سبعة و عشرين فعلاً ، وهي افعال لازمة تتبعي بنفس صيغتها مثل (غاض الماء و غضته ، و عمر المنزل و عمرته ، و سارت الدابة و سرتها ، هلك و هلكته ، و هبط و هبطته) ثم يزيد شوقي ضيف امثلة اخرى علي امثلة ابن جني مثل اكـرـ البـئـرـ و اـكـرـهاـ ، و بـتـ الـحـبـلـ و بـتـهـ ، و بـرـدـ المـاءـ و بـرـدـهـ ، و بـرـعـ المـاشـيـةـ و رـعـاـهـاـ ، و فـطـرـ الشـيـءـ و فـطـرـهـ ، و نـشـفـ الشـيـءـ و نـشـفـهـ ، و هـجـتـ النـارـ و هـجـهـاـ). و يطالب أن تكون هذه قاعدة تكثرة امثالتها (ضيف ، تيسيرات لغوية ، ص ١٢-١٣)

كما انه يطالب ان تكون نيابة حروف الجر عن بعضها البعض قاعدة عامة لكثره امثالتها و يرى رأي الكوفيين الذين يجعلون هذه النيابة قياساً مطروداً اكثراً سداداً من رأي البصريين (ضيف ، نفس المصدر، ص

٨٦) ويقول الدكتور شوقي ضيف عن هذا الأمر في المدرسة البصرية: «وكان حرياً بـن جـنيـوـر قد اكـدـ انـ نـيـابةـ الـحـرـوفـ بـعـضـهاـ عـنـ بـعـضـ كـثـيرـ فـيـ الـلـغـةـ كـثـرـةـ مـفـرـطـةـ،ـ أـنـ يـجـعـلـ ذـلـكـ قـانـونـاـ لـغـوـيـاـ عـامـاـ لـيـحـتـاجـ إـلـيـ تـفـسـيرـ مـجاـزـيـ اوـ غـيرـمـجاـزـيـ،ـ وـ لـاتـحـاجـ عـبـارـاتـ إـلـيـ تـخـرـيجـ وـ لـاتـأـوـيلـ» (ضـيـفـ،ـ نـفـسـ الـمـصـدـرـ،ـ صـ ٨٥ـ)ـ وـ يـدـافـعـ فـيـ الـقـسـمـ الثـانـيـ مـنـ كـتابـهـ هـذـاـ عـنـ صـيـغـ وـ تـعـبـيرـاتـ صـحـيـحةـ شـائـعـةـ فـيـ الـعـصـرـ الـحـدـيثـ وـ لـكـ يـظـنـهـ الـكـثـيرـ خـطـطاـ لـأـنـهـ تـبـدوـ فـيـ ظـاهـرـهـاـ غـيرـمـنـطـيقـةـ عـلـيـ اـصـولـ الـصـرـفـ وـ الـنـحـوـ.ـ وـ يـحـاـولـ الـدـكـتـورـ شـوـقـيـ ضـيـفـ أـنـ يـطـرـدـ هـذـهـ الـظـنـونـ الـمـخـطـطـةـ وـ لـهـذـاـ نـرـاهـ يـفـتـشـ فـيـ كـتـبـ الـصـرـفـ وـ الـنـحـوـ لـيـجـدـ تـبـرـيـراـ لـهـذـهـ الصـيـغـ يـتـلـائـمـ مـعـ تـرـكـيـبـهـاـ.ـ مـنـهـ أـنـ يـكـثـرـ أـنـ تـأـتـيـ «ـحـتـىـ»ـ الـعـاطـفـةـ بـدـوـنـ مـعـطـوـفـ عـلـيـهـ مـثـلـ «ـالـبـرـيـةـ الـيـوـمـ تـهـدـدـ اـسـرـائـيلـ»ـ،ـ يـعـتـرـفـ بـذـلـكـ حـتـىـ الـمـتـعـاطـفـونـ مـعـهـاـ»ـ وـ «ـهـوـ لـمـ يـقـرـأـ حـتـىـ الـصـحـفـ»ـ وـ يـقـولـ عـنـ ذـلـكـ الـمـعـرـوفـ أـنـ حـذـفـ الـمـفـعـولـ بـهـ وـ الـجـارـوـالـجـرـورـ كـثـيرـ مـادـاـمـ يـدـلـ عـلـيـهـمـاـ الـسـيـاقـ،ـ وـ نـسـتـطـيـعـ أـنـ نـعـمـ ذـلـكـ فـيـ بـقـيـةـ الـأـمـلـةـ اـذـ جـاءـ فـيـ الـقـرـآنـ حـذـفـ الـفـاعـلـ مـعـ دـلـالـةـ الـسـيـاقـ عـلـيـهـ فـيـ مـثـلـ «ـحـتـىـ تـوـارـتـ بـالـحـجـابـ»ـ ايـ الشـمـسـ وـ مـثـلـ ذـلـكـ كـثـيرـ فـيـ نـائـبـ الـفـاعـلـ وـ الـخـبـرـ (ضـيـفـ،ـ نـفـسـ الـمـصـدـرـ،ـ صـ ١٣٨ـ)ـ وـ كـذـلـكـ يـدـافـعـ اـيـضاـ عـنـ وـقـوعـ فـعـلـ الـشـرـطـ وـ وـجـوـاـبـ مـاـضـيـنـ فـيـ «ـمـهـمـاـ»ـ لـكـنـ الـبـصـرـيـوـنـ يـقـولـوـنـ اـنـ فـعـلـ شـرـطـ «ـمـهـمـاـ»ـ وـ وـجـوـاـبـ لـاـيـكـونـاـنـ الـامـضـارـعـينـ.ـ اـنـهـ يـنـاقـشـ اـصـلـهـاـعـنـدـالـنـحـاحـ اـذـ يـقـرـنـوـنـهـاـ «ـبـاـ»ـ وـ يـقـولـ بـعـضـهـمـ:ـ اـنـهـاـمـكـرـرـةـ،ـ وـ وـصـلـهـاـ بـاـ يـجـعـلـهـاـ اـدـنـيـ اـلـيـ أـنـ تـأـخـذـ حـكـمـهـاـ فـيـ بـابـ الـشـرـطـ وـ خـاصـيـةـ اـنـهـاـ مـثـلـهـاـ قـدـ تـكـوـنـ زـمـانـيـةـ وـ يـحـاـولـ اـنـ يـجـدـلـهـاـ شـوـاهـدـ خـوـيـةـ مـنـ قـوـلـ

الـشـاعـرـ الـهـنـدـلـيـ الـقـدـيمـ الـمـتـنـخـلـ الـذـيـ يـرـثـيـ اـبـاهـ وـ يـقـولـ:

وـ مـهـمـاـ وـكـلـتـ اـلـيـهـ كـفـاهـ

وـ كـذـلـكـ فـيـ بـيـتـ آـخـرـ لـلـأـسـوـدـ بـنـ يـعـفـرـ

**الـأـهـلـ لـهـذـاـ الـدـهـرـ مـنـ مـتـعـلـلـ**

وـ بـهـذـاـ يـرـيـ الـدـكـتـورـ شـوـقـيـ ضـيـفـ اـنـ وـقـوعـ فـعـلـ الـشـرـطـ وـ الـجـوـابـ جـائزـ وـ صـحـيـحـ فـيـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ الـفـصـحـيـ (ضـيـفـ،ـ نـفـسـ الـمـصـدـرـ،ـ صـ ١٣١ـ)

وـ يـدـافـعـ مـثـلاـ عـنـ قـرـارـ مـجـمـعـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ فـيـ تـسـكـيـنـ اوـ خـرـ الـاعـلـامـ الـثـلـاثـيـةـ الـتـيـ تـشـكـلـ بـحـذـفـ كـلـمـةـ «ـبـنـ»ـ يـبـيـنـهـاـ اـذـمـلـاـ يـقـالـ فـيـ «ـعـلـيـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ سـعـيدـ»ـ (عـلـيـ مـحـمـدـ سـعـيدـ)ـ وـ يـسـكـتوـنـ هـذـهـ الـاسـمـاءـ فـيـ درـجـ الـكـلامـ.ـ يـبـيـثـ شـوـقـيـ ضـيـفـ فـيـ كـتـبـ الـنـحـوـ لـيـجـدـ تـبـرـيـراـ لـهـذـاـ الـأـمـرـ وـ يـقـولـ اـنـ جـاءـ فـيـ كـتـابـ سـيـبـوـيـهـ اـنـ الـعـربـ يـسـكـنـوـنـ الـحـرـفـ الـمـرـفـوـعـ وـ الـجـرـوـرـ فـيـ الـشـعـرـ كـمـاـ يـسـكـنـوـنـ الـحـرـفـ الـثـانـيـ الـمـكـسـورـ وـ الـمـضـمـوـنـ فـيـ الـاـسـمـ الـثـلـاثـيـ مـثـلـ «ـفـخـذـ وـ عـضـدـ»ـ اوـ فـيـ قـوـلـ اـمـرـيـ الـقـيـسـ الـذـيـ يـسـكـنـ آـخـرـ الـفـعـلـ

فـالـليـوـمـ اـشـرـبـ غـيرـمـسـتـحـقـبـ اـثـمـاـ مـنـ اللهـ وـ لـاـوـاغـلـ

وـ يـذـكـرـ اـيـضاـ قـوـلـ بـعـضـ الـعـربـ «ـاـنـقـيـ اللـهـ اـمـرـوـ فـعـلـ خـيـرـاـ يـشـبـعـ عـلـيـهـ»ـ (ضـيـفـ،ـ نـفـسـ الـمـصـدـرـ،ـ صـ ١١٣ـ)ـ وـ بـذـلـكـ يـكـوـنـ التـسـكـيـنـ مـنـ غـيرـ دـاعـيـ عـنـدـ الـحـاجـةـ قـاـعـدـةـ مـطـرـدـةـ.

وـ فـيـ الـقـسـمـ الـثـالـثـ يـظـهـرـ شـوـقـيـ ضـيـفـ لـغـوـيـاـ عـظـيـمـاـ وـ يـحـاـولـ أـنـ يـجـدـ جـذـورـ الـكـثـيرـ مـنـ كـلـمـاتـ الـلـغـةـ الـدـارـاجـةـ الـتـيـ تـتـكـلـمـ بـهـاـ عـامـةـ النـاسـ وـ قـدـ يـظـنـ الـكـثـيرـ مـنـ عـلـمـاءـ الـلـغـةـ اـنـهـاـ لـيـسـ فـصـيـحـةـ وـ لـيـسـ لـهـاـ جـذـورـ فـيـ الـفـصـحـيـ.ـ لـكـنـ الـدـكـتـورـ شـوـقـيـ ضـيـفـ يـبـيـثـ جـذـورـهـاـ فـيـ الـفـصـحـيـ،ـ مـثـلـ كـلـمـةـ «ـشـوـيـةـ»ـ الـتـيـ تـعـنـيـ الـقـلـيلـ مـنـ كـلـ شـيـءـ وـ هـيـ فـيـ الـوـاقـعـ كـلـمـةـ «ـشـيـءـ»ـ اـذـ تـصـغـرـ «ـشـيـءـ»ـ وـ اوـرـدـ «ـشـوـيـ»ـ صـيـغـةـ تـصـغـيرـ ثـانـيـةـ وـ فـيـهـاـ قـلـبتـ الـيـاءـ الـأـوـلـيـ وـ اوـاـ وـ هـيـ كـثـيرـاـ مـاـ تـقـلـبـ وـ اوـاـ فـيـ النـسـبـ وـ اـيـضاـ سـهـلـتـ الـهـمـزـةـ وـ اـصـبـحـتـ يـاءـ وـ هـوـ تـصـغـيرـ مـقـبـولـ فـيـ الـعـرـبـيـةـ كـمـاـ يـقـولـ الـزـيـديـيـ فـيـ تـاجـ الـعـرـوـسـ كـمـاـ يـرـوـيـ عـنـ شـاعـرـ نـجـديـ مـنـ رـبـيـعـةـ يـسـمـيـ قـيـساـ.

معـاـهـدـ لـمـ يـقـ صـرـفـ الزـماـ نـ مـنـهـاـ وـ مـنـيـ إـلـاـ شـوـيـاـ (ضـيـفـ،ـ نـفـسـ الـمـصـدـرـ صـ ١٨٠ـ)ـ اوـ كـلـمـةـ غـمـوسـ الـتـيـ تـسـتـخـدـمـ بـعـنـيـ الـأـدـامـ وـ هـيـ مـشـتـقـةـ مـنـ غـمـسـ الـخـبـزـ فـيـ الـخـلـ اـذـ غـمـرـهـ بـهـ اـذـ انـ لـهـ جـذـورـ فـيـ الـفـصـحـيـ (ضـيـفـ،ـ نـفـسـ الـمـصـدـرـ صـ ١٨٦ـ)ـ وـ بـذـلـكـ يـنـاقـشـ الـكـثـيرـ مـنـ الـكـلـمـاتـ.

### نقد لهذه المرحلة

انَّ الدكتور شوقي ضيف يظهر في هذا الكتاب مظهر العلماء الكبار في تدقيقه النقدي اذ نراه ينقد مسائل هامة في كتابه و يحاول أن ييسرها و يشرحها شرعاً يقنع الكثير من منتقدي هذه المسائل و قد حاول أن يورد أخطاء المدرسة البصرية و يحاول أن يعدل بعض قواعدها كما رأينا.

هنا نستطيع ان نشاهد بوضوح صراع الجديدين في تفكير شوقي ضيف اداعي الي التجديد في النحو العربي اذ يحاول ان يهاجم المدرسة البصرية التي طالما اشاد بها و بعلمائها و بدقتهم في تشيد صرح النح العربي. كما يري شوقي ضيف ضمنا ان يدافع عن آرائه السالفة ، لكن هذا الدفاع عما في آرائه من الجدة يدعوه لنسف بعض اقواله السابقة عن النحو البصري ، الامر الذي يكشف عن مناقضات الدكتور شوقي ضيف لنفسه في هذا المجال.

و تكمِّن أهمية الكتاب في غوص الشوقي ضيف و تدقيقه في مسائل هامة و جديدة في ذاتها احياناً لكنه بذلك لايمثل استمرار الكاتب بآرائه السابقة بصورة واضحة الا أن يقول انه اراد أن يظهر عجز النحو البصري في بعض المسائل و قوة النحو الكوفي على معاجلتها. و الكتاب أيضاً يحتوي علي مسائل أخرى لغوية و لا تختص بال نحو و تجديده. و قد تستطيع أن تورد اشكالية علي عنوان الكتاب اذ يحمل عنوان «تسيرات لغوية» و يعالج مسائل صرفية في نحوية في اكثر صفحاته.

### مقارنة نقد النحو عند شوقي ضيف و ابراهيم مصطفى

ان كلا من شوقي ضيف و ابراهيم مصطفى اخذ بذرة افكارهم في تجديد النحو من نظريات ابن مضاء القرطبي ، ولكن هناك فرق كبير بين طريقة شوقي ضيف و بين طريقة ابراهيم مصطفى في كيفية استمرارهم في معاملتهم لنظريات ابن مضاء القرطبي. فقد رأى شوقي ضيف أنه ليس بوعن العرب أن يحاربوا ماضيهم و نحوهم القديم من الأساس لأنها تجربة سكون لها عوائق متساوية علي الأدب العربي إن فشلت. كما أنها تواجه دائماً بالرد من قبل العلماء والناس في أغلب الأحيان و هذا ما يجعل الخوض فيها صعباً. وقد يمس الغاء نظرية العامل و ظائف الكثير من ابواب النحو و يجعل بذلك الكثيرين لايميزون بين الاساليب الدقيقة للغة العربية.

اما الاستاذ ابراهيم مصطفى فكان اكثراً جرأة من الدكتور شوقي ضيف اذ اخذ نظرية ابن القرطبي في الغاء نظرية العامل اساساً لعمله و أمن ببطلان نظرية العامل النحوي و حاول أن يصيغ نظرية اشمل و اكمل لتوسيع اساس النحو العربي قبل تدوينه علي أساس منطقية فيما نرى شوقي ضيف يتراجع عن الغاء نظرية العامل و يحاول أن يجد غايته في كتب الكوفيين النحوية و بعض البصريين القدامى.

إن نظرية الاستاذ ابراهيم مصطفى في النحو العربي قبل تدوينه تتلخص في اصلها علي ثلاثة اسس و عدة فروع و الأساس هي :

- ١- ان الضمة عند عربِ الجاهلية كانت علامه الاستاد فكانوا يضعونها علي آخر كل كلمة يتحدثون عنها او يستدون اليها خبراً. (مصطفى، احياء النحو، ص ٥٣)
- ٢- وكانوا يجعلون الكسرة علماً للاضافة او للجر بمحروف الجر. و اما صارت الكسرة في نظرهم علامه الاضافة لما فيها من شبه بباء النسبة.
- ٣- والفتحه ليست حركة اعراب و كانوا يضعونها علي آخر كل كلمة غير مجرورة او مرفوعة لانها الحركة الخفيفة المستحبة عندهم و هي في الواقع اخف من السكون الذي يستخدمونه العرب اليوم في اواخر

الكلمات في لغتهم الدارجة (مصطفي، نفس المصدر، ص ٨١ - ٧٩) و يشهد الوقف بالنقل والروم والاقواء والاصراف بان الفتحة ليست حركة اعراب عندهم (مصطفي، نفس المصدر، ص ٨٩ - ٨٧) وهذا تفسير جديد لنظام النحو العربي المستعصي والوعيص. يجب على المجددين ان يستمروا في اصلاح وتطوير هذه النظرية وإزالة عيوبها بدل ان يرفضوها بأكملها كما فعل شوقي ضيف.

### النتيجة

كان الدكتور شوقي ضيف متخططاً في مدى قبول او رفض كلامن القديم والمجددين بغية تجديد النحو العربي اذ نراه يحاول بآية الى الغاء نظرية العامل بتحقيقه لكتاب الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي و هجومه على المدرسة البصرية في النحو ثم دفاعه عنها في كتابه مدارس النحو و اطرائه و ثنائه عليها. ثم حاول مرة اخرى ان ينسفها لكن ليس باكملها بل بتنقض بعض ابوابها و احلال النحو الكوفي محل تلك الابواب . وهذا ايضاً لم ينجح لان لم تقبل المدرسة البصرية منذ القديم بهذا و اقامت حاججاً دامغةً لohen النحو الكوفي و ضعه ، فقد نرى مرة اخرى بوضوح انه يناقض اراءه السابقة مره اخرى . و تستمر هذا الصراع حتى آخر محاولات شوقي ضيف في هذا المجال كما اوضحنا في هذا المقال . انه يمثل صراع الشخص مع نفسه لتخبطه بكيفية معاملة القديم او المجددين او كيفية التوفيق بينهما . يعد شوقي ضيف في هذا المجال نموذجاً من المجتمع العربي الذي عانى هو ايضاً من صراع القديم والمجددين في ادبه و ثقافته و ادارة شؤونه ايضاً .

### المصادر والراجع

- ١- ابن عقيل ، شرح الألفية ، بيروت ، احياء التراث العربي ، دون تاريخ .
- ٢- الجاسم ، محمود حسن ، القاعدة النحوية تحليل و نقد ، دمشق ، دار الفكر ، ط ١ ، ٢٠٠٧ م.
- ٣- حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، القاهرة ، دار المعارف ، ط ٢ ، دون تاريخ
- ٤- الحمزاوي ، علاء اسماعيل ، موقف شوقي من الدرس النحوی دراسة في المنهج والتطبيق ،
- ٥- الراجحي ، عبده ، دروس في كتب النحو ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ط ١٩٧٥ م.
- ٦- زاهد ، زهير غازى ، في التفكير النحوي عند العرب ، بيروت ، عالم الكتب ، ط ١ ، ١٩٨٦ م.
- ٧- الشرتوني ، رشيد ، مبادي العربية ، تهران ، اساطير ، ط ٢ ، ١٣٧٣ هـ . ش.
- ٨- الصعيدي ، عبدالتعال ، النحو الجديد ، دار الفكر العربي ، ط ، دون تاريخ .
- ٩- ضيف ، شوقي ، البلاغة تطور و تاريخ ، القاهرة ، دار المعارف ، ط ٨ ، ١٩٩٢ م.
- ١٠- ضيف ، شوقي ، تجديد النحو ، القاهرة ، دار المعارف ، ط ٤ ، دون تاريخ .
- ١١- ضيف ، شوقي ، تحقيق كتاب الرد على النحاة ، القاهرة ، دار المعارف ، ط ٣ ، دون تاريخ .
- ١٢- ضيف ، شوقي ، تيسيرات لغوية ، القاهرة ، دار المعارف ، ط ، دون تاريخ .
- ١٣- ضيف ، شوقي ، تيسير النحو التعليمي قدماً و حدثاً مع نهج تجديده ، دون تاريخ .
- ١٤- ضيف ، شوقي ، المدارس النحوية ، القاهرة ، دار المعارف ، ط ٢ ، دون تاريخ .
- ١٥- العقاد ، عباس محمود ، عبقرية الامام علي ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ط ٢ ، ٢٠٠٧ م.
- ١٦- المبارك ، مازن ، النحو العربي العلة النحوية : نشأتها و تطورها ، بيروت ، دار الفكر ، ط ٣ ، ١٩٨١ م.
- ١٧- مجاهد ، عبدالكريم ، دراسات في اللغة و النحو ، عمان ، دار المشرق الثقافي ، ط ٢ ، ٢٠٠٦ م.

- ١٨- مصطفى، ابراهيم، احياء النحو، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٢ م.
- ١٩- الاندلسي، ابن هشام، مغني الليب عن كتب الأعاريب، بيروت، دار احياء التراث العربي، ط ٢، ٢٠٠٨ م.
- ٢٠- الوردي، علي، اسطورة الأدب الرفيع، قم، منشورات سعيد بن جبير، ط ١، ٢٠٠٥ م.

## استعمال حروف المعاني وأثرها في البنية الإيقاعية عند الجواهري

م.م. جواد عودة سبهان<sup>(١)</sup>

### ملخص البحث

من الظواهر النحوية البارزة في أسلوب الجواهري الشعري كثرة استعماله لحروف الجر واعتمادها في كثير من بنائه الشعري وتوظيفها من الناحية الجمالية. إن حرف الجر حاجة معنوية ولكنه في الشعر ليس كذلك وإنما هو حاجة لفظية قبل كل شيء، وهذا ما يؤكّد عليه هذا البحث.

الجواهري شاعر مولع باستعمال حروف الجر إلى حدٍ غريب فهو يستعمل الحرف مرة أو مرتين أو ثلاثة أو أربعًا أو خمسًا في البيت الواحد.

إن هذا البحث يدرس هذه الظاهرة مع كل ما يتربّب عليها من آثار في البيئة الإيقاعية، وبالتالي علّنا نستطيع أن نتوصل إلى سر روعة الجملة العربية عند هذا الشاعر المبدع.

### المقدمة

لا ينكر أنَّ حروف الجر كثيرة في لغتنا العربية كما لا ينكر تشعب معاني هذه الحروف وكثرة تداخل هذه المعاني بعضها في بعض وهذه المعاني تمتد ظلالها الشعرية من خلال البيت الواحد أو المقطع أو القصيدة بأفياء شعرية وارفة. وهي بلا شك تتعلق بمعتقداتها فترتبط بها في الجملة ارتباطاً وثيقاً فضلاً عن أنها تستعمل هي ومجبرواتها في أحد ركني الجملة، فترت شبه جملة مع المبدأ في الجملة الاسمية، كما ترد شبه جملة هذه حالاً أو نعتاً أو صلة للموصول إلى غير ذلك من المسائل النحوية الأخرى. فالجار وال مجرور يشكلان في الجملة العربية ركناً أساسياً حيناً وفضله ربما لا يستغنى عنها الكاتب أو الشاعر في تعيرهما حيناً آخر. ولعل بالشاعر حاجة إلى توظيفها معاً في الجملة الشعرية أكثر مما بغیره إليهم وذلك لما يؤديان من معانٍ كثيرة وما يقدمان من فنون بلاغية وما يسدان من ثغرات كبيرة أو صغيرة في البناء الشعري.

غير أن الجواهري يستعمل حروف الجر استعمالاً واسعاً يلفت إليه قارئ شعره إذا ما أمعنَ النظر فيه، وهذا الاستعمال يؤكّد أن الشاعر كان يعطي الناحية اللفظية في شعره أهمية تكاد تكون أكثر مما يعطيه للناحية المعنوية ولذلك فهو أحياناً يضحي باستقامة المعنى ووضوحه من أجل تركيبة معينة تتفق ومزاجه الموسيقي فيصيب أحياناً وربما لا يصيب. ومن هنا كان واحداً من هذه الاهتمامات إثارته من استعمال حروف الجر في البيت الواحد يسد بها كثيراً من الفجوات والفراغات لتقوية بنائه الشعري.

ولقد تبعت كل بيت في ديوانه ووقفت على كل حرف جر استعمله الشاعر فوجدت أن ولعه يصل أحياناً إلى استعمال خمسة أحرف في البيت الواحد<sup>(٢)</sup>. لقد ادرك الجواهري أدراكاً واعياً خطورة الإيقاع المتحرك وقدرته على السمو بفن الشعر إلى ارفع الذرى، فأهتم به اهتماماً بالغاً، (وقد أعلن ذلك صراحة وسجله بيان واضح، فمما يدل على ولعه الكبير بالإيقاع وحرصه المتزايد على أن يكون شعره ذا فضائل إيقاعية أكثر من أي شيء آخر، قوله)<sup>(٣)</sup>

**أعيذ القوافي زاهيات المطالع**  
**مزامير عزاف اغاريده ساجع<sup>(٤)</sup>**  
**لطافا بأفواه الرواة نوافذا**  
**الى القلب يمرى سحرها في المسامع**  
 وهو في نص آخر يتباهى بأمتلاكه زمام أدوات الإيقاع حتى أنها تقاد له مطيعة كييفما شاء.  
**انالي من طبيعتي قيثار<sup>(٥)</sup>** **بالذى شئت تنطق الاوتار**

وفي نص آخر يشير إلى احكام صنعته الإيقاعية وتمكنه منها، يقول:  
 **وهل لك والدنيا تغنى بمولد<sup>(٦)</sup>**  **لـ تموز الا ان تغنى فتطربنا**  
 **وهل لك عنز والقوافي ثبليها<sup>(٧)</sup>**  **متى شئت قيشارا ونايا مشينا<sup>(٨)</sup>**  
 وإذا أراد الجواهري أن يقدم رؤيته وفهمه للشعر، ركز على الجانب الإيقاعي فيه، فهو هددهة للسمع،  
 وفي ذلك يقول :

**يا دجلة الخير : إن الشعر هددهة**  **للسمع ما بين ترخيم وتنوين<sup>(٩)</sup>**

كل هذا يظهر أهمية الإيقاع عند الجواهري، بيد أن شعر الجواهري لم ينل قسطه الواجبي من الدراسة الإيقاعية، إذ لا يقع الباحث إلا على حديث غير متفصل عن إيقاع الشعر في سياق عمل الاستاذ مقداد محمد شكر الموسوم بـ (البنية الإيقاعية في شعر الجواهري) حيث ركز الباحث على دراسة حروف المياني دون حروف المعاني وعمل د. علي عباس علوان الموسوم بـ (تطور الشعر العربي الحديث في العراق) وحديث آخر مختصر عند د. سليمان جبران في كتابه (مجمع الأضداد) دراسة في سيرة الجواهري وشعره، والباحث الموسوم بـ (الحكمة في شعر الجواهري) دراسة ادبية للدكتور علي محمد حسين الخالدي، وكتاب (لغة الشعر عند الجواهري) للباحث علي ناصر غالب ومقالة كتبها الأديب غزاي درع الطائي ونشرت في جريدة الزمان تحت عنوان (اطلاله على مطولة الجواهري) والدكتورة خيال الجواهري في كتابها الموسوم (مسيرة قرن) حيث جمعت العشرات من مقالات النقاد والكتاب ولا يفوتنا ان نذكر الاستاذ عبد الكريم الدجيلي والاستاذ جبرا والاستاذ حسن العلوى والدكتور عبد الحسين شعبان والدكتور زهدي والدكتور وسام الخالدي. اذ ان معظم هذه الدراسات، لم تفرد لها دراسة مستقلة لذاتها، بل كانت تعالجها بشكل متصل مع شعر الشاعر. في هذه المعانى يمكن الدافع الذي وجهني لاختيار الموضوع ودراسته وقد يضاف إلى ذلك مما يعد دافع آخر وان الدراسة الإيقاعية ذات أهمية كبيرة وضمن مستويات الدراسة النقدية، (وذلك لأن الإيقاع أهم أدوات التذوق الأدبي التي يسعى الباحث إلى الامساك بها).<sup>(١٠)</sup>

- (٢) ديوان تنظر الآيات، ج ٥، ص ٧٥٨، ج ٥، ص ٨٧١، ج ٣، ص ٤٨٤، ج ٥ ص ٧٨.

- (٣) البنية الإيقاعية في شعر الجواهري، مقداد محمد شكر، ص ٣٣.

- (٤) الديوان، ج ٣ ص ٢٢.

- (٥) م.ن، ج ٥، ص ١٣٧.

- (٦) م. ن ج ٧، ص ١٢٣.

- (٧) م. ن، ج ٥، ص ٨٩.

- (٨) الاسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، د. ابتسام احمد حمدان، ص ٧.

وقد حاولت هذه الدراسة ان تحليل النظر في جوانب استعمال حروف المعاني واثرها في البنية الإيقاعية، واستقام لها ذلك من خلال ثلاثة مباحث، كان الاول منها مخصص لمتابعة الموزنات الصوتية في حين اختار المبحث الثاني ايقاع التكرار عبر تأسيسات التكرار العمودي والافقى، اما المبحث الثالث فكان ضرورة اخرى من توظيف حروف المعاني. ثم ختمت الدراسة بخلاصة لأهم النتائج مع قائمة المصادر مفهرسة.

### المبحث الأول: الموزنات الصوتية

إن أول ما يطالعنا في ديوانه، قصيده (الثورة العراقية) التي تقع في أربعة وسبعين بيتاً، استعمل فيها الجواهري حرف الجر واحداً وثمانين مرة لثمانية حروف أبرزها : (من) (١٣ مرة)، و(في) (١٠ مرات) و(الياء) (٩ مرات)، و(على) (٦ مرات). ونستمر على سبيل المثال في قصيده (الشاعر السليم) التي تقع في تسعة عشر بيتاً، استعمل فيها الجواهري حرف الجر خمساً وعشرين مرة لستة حروف أبرزها : (من) (٨ مرات)، و(اللام) (٥ مرات)، و(الياء) (٣ مرات).

وقصيده (شكوى وأمال) التي تقع في ثمانية عشر بيتاً استعمل فيها حرف الجر ثلاثة وعشرين مرة لستة حروف أبرزها : (في) (٨ مرات)، و(من) (٤ مرات)، و(الياء) (٤ مرات)، و(اللام) (مرتان)، وقصيده (ذكرى الوئام) التي تقع في ثلاثة وعشرين بيتاً استعمل فيها حرف الجر ثمانية وثلاثين مرة لسبعة حروف أبرزها : (في) (٨ مرات)، و(عن) (٤ مرات)، و(من) (٤ مرات) و(الياء) (٤ مرات)، و(على) (٣ مرات)، و(إلى) (مرتان)، و(اللام) (مرة واحدة).

وإذا أردنا أن نتبع القصائد التي استعمل فيها حرف الجر وما إلى ذلك تطاول البحث علينا، وحسبنا ما ذكرناه شهادة وبرهاناً<sup>(٤)</sup>.

لذا أفاد الجواهري كثيراً من الجار والمجرور في موازنة البيت، ولهذه الموازنة مزنة جليلة في تكوين الإيقاع المتحرك، ولذلك أولاهما دارسو الإيقاع عنائهم، فهي عند بعضهم تُشكل أعمدة الإيقاع المتحرك<sup>(١)</sup> ، في حين اتسعت رقعتها لدى بعضهم الآخر لتشمل جميع المقومات الصوتية الإيقاعية التي تُشكل مع الإيقاع العروضي البنية الإيقاعية للشعر العربي<sup>(١١)</sup> ، فضلاً عن (مردودها الصوتي وفاعليتها في إغناء الإيقاع، فهي لون من ألوان الإيقاع المعجب في الشعر)<sup>(١٢)</sup> ، وفضلاً عن كونها ظاهرة شعرية عامة في الشعر العربي فإنها تبدو لنا ظاهرة ذات طابع خاص في شعر الجواهري وذلك لكثره استعمالها وأثر الاستعمال في الإسهام في معماريه البيت وقوته في تشكيل الإيقاع المتحرك.

وللموزنات الصوتية حضور كبير واضح في تشكيل الإيقاع المتحرك لشعر الجواهري، وأبسط صورها الموازنة المعقودة بين تركيبين متوزنين على شاكلة قوله.

قامت على جسرٍ من الحسراتٍ يرسى على موجٍ من العبراتٍ<sup>(١٣)</sup>

(٤) - انظر قصائده (الروضة الغناء)، ج ١ ص ٩٨، (النشيد الخالد) ج ١ ص ١٠٢، (سلام على أرض الرصافة) ج ١ ص ١٠٣، (صوت من النجف) ج ١ ص ١٠٥، (نذكـرـ الـعـهـودـ) ج ١ ص ١١٠، (يا فراتي) ج ١ ص ١١١، (النجوى) ج ١ ص ١١٢، (سبيلـ الجـماـهـيرـ) ج ٢ ص ٢٣٩، (إلىـ البـعـثـةـ المـصـرـيـةـ) ج ٢ ص ٢٤٩، (وردةـ بيـنـ أـشـوـاكـ) ج ٢ ص ٢٧٤، (قتلـ العـواـطـفـ) ج ٢ ص ٣١٧، (ثورةـ النـفـسـ) ج ٢ ص ٣٢٦، (أـجـبـ أيـهـاـ القـلـبـ) ج ٣ ص ٣٩٦، (الـلـاجـةـ فـيـ العـيـدـ) ج ٤ ص ٦٢٨، (أـزـحـ رـكـابـكـ) ج ٥ ص ٨٨.

(١٠) - قراءة في تجربة ابن المعتز العباسي، دكتور احمد جاسم، ص ١٢٧.

(١١) - تحليل الخطاب الشعري، البنية الصوتية للشعر، د. محمد العمري، ص ١١.

(١٢) - تمييز في النقد الحديث، روز غريب، ص ١٠٥.

(١٣) - الديوان، ج ٤ ٧٢٨.

فقد وازن بشكل رائع ومبدع بين شطري البيت مستعملًا نوعين من حروف الجر مع مجروريهما (على جسر – على موج)، (من الحسّرات – من العبرات) وذلك ما يجعل ايقاع الموازنة أشد كثافة وأوضح حضوراً.

ومثله قوله : -

**وَعَلَى الْعَيْوَنِ مِنَ الْمَغَاضِةِ جَمَرَةٌ<sup>(١٤)</sup>**

ومثله قوله

**فِي الْكَوْخِ طَفْلٌ غَرِيرٌ حَوْلَهُ بَقَرٌ<sup>(١٥)</sup>**

أكرأ نوع الحرف نفسه وبالموقع نفسه على خريطة البيت (على العيون – على القلوب)، (من المغاضة – من الهوان). ومن ذلك قوله :

**وَعَلَى الْعَيْوَنِ مِنَ الْأَسَى رَهْجٌ<sup>(١٦)</sup>**

غير أنَّ الجواهري لا يكتفي بالموازنة بين شطري البيت، بل أحياناً يجعل التوازن في موقعين عروضيين متميزين (العروض والضرب).

إذا ما وقع التوازن في هذين الموقعين ازدادت قابليته على استقطاب النغمة الإيقاعية، وإشارة انتباه المتلقٰي، ومثال ذلك قوله : -

**تَلَوَّذَ الدَّهْوَرُ فَمِنْ سَجَدٍ<sup>(١٧)</sup>**

وقوله : -

**تَعَالَيْتَ مِنْ مَفْزِعِ الْحَتَّافِ<sup>(١٨)</sup>**

ولا تقتصر الموازنات الصوتية في صورة تقفيات داخلية واقعة في موقع محدد من بنية الوزن على الآيات المفردة، فقد يتسع مداها لتشمل بيتين كما في قوله

**سَلَامٌ عَلَى الْوَاهِبِ النَّاذِرِ<sup>(١٩)</sup>**

**سَلَامٌ عَلَى سَابِعِ مَاهِرٍ<sup>(٢٠)</sup>**

وقوله :

**وَمِنَ الزَّاحِفِينَ كَالْدَوْدِ هُونَا<sup>(٢١)</sup>**

**وَمِنَ الصَّائِلِينَ فِي الْحُكْمِ زُورَا<sup>(٢٢)</sup>**

وقد يوازي الجواهري بين تركيبين متوازبين مع الفصل بينهما بالاداء (او) التي بدت كالمترکز الايقاعي يكتنفه من جانبيه التركيزيان المتوازيان كما في قوله<sup>(٢٣)</sup> : -

**وَالْعُمْرُ كَالْلَّيلِ نَحْيِيهِ مَغَالِطَةً<sup>(٢٤)</sup>**

**يُشَكِّي مِنَ الطُّولِ أَوْ يُشَكِّي مِنَ الْكَسْلِ<sup>(٢٥)</sup>**

- (١٤) م.ن، ج ٤، ص ٥٨.

- (١٥) م.ن، ج ٤، ص ٧٢٣.

- (١٦) م.ن، ج ٣، ص ٥٨.

- (١٧) الديوان، ج ٣، ص ٤٩١.

- (١٨) م.ن، ج ٣، ص ٤٩١.

- (١٩) م.ن ج ٤، ص ٦١٨.

- (٢٠) م.ن، ج ٢، ص ٣٨٢.

- (٢١) م.ن، ج ٥، ص ٣١٤.

فقد وازن بين تركيبين متوازنين (يشكى من الطول) و(يشكى من القصر) في عجز البيت مع الفصل بينهما بالاداة او . كما قد يوازن بين تركيبين من دون فصل بينهما بعنصر لغوي كما في قوله : -

وطارح به سجع الحمام فإنه لهات على الجرحي نواح على الصرعي<sup>(٢٢)</sup>

فقد جاء التوازن في هذا البيت بين تركيبين (لهات على الجرحي) و(نواح على الصرعي)، وما زاد من اثر ايقاع هذه الموازنة التركيبية انها اقتسمت ايقاع البحر العروضي (الطوبل) بالتساوي ، فاستقل كل تركيب بنصف تفعيلات العجز ، أي أن كلاً منها كان على وزن (فعولن مفاعيلن) ، وذلك ما من شأنه أن ييرز ايقاع البحر ويعزره لتلقطه الأذن بسهولة.

كما يلاحظ ان الموازنة في المثالين السابقين تغيرت الشطر الثاني موقع لها وذلك راجع (إلى ان العجز في بيت الشعر يتوج التركيب ويختضن القافية ، فمن الطبيعي ان يظهر فيه اثر الفن اكثر من الصدر)<sup>(٢٣)</sup> كما تظهر الموازنات الصوتية على المستوى العمودي ، بعد ان كانت متجلية في المستوى الافقى في الامثلة السابقة مثل قوله<sup>(٢٤)</sup> :

ان هذا العمر يخترق كاختراق الثوب بالإبر

وهو بالاوهام يسترق كاستراق الغيم للمطر

والحال نفسها تكررت في قوله<sup>(٢٥)</sup> :

مواطِرِ الغيثِ حِي جانِبِ الوادي وهدِيَه بِإِبْرَاقِ وَارِعَادِ

مَدِيَّ بِه بِسْطِ الْأَعْشَابِ زَاهِرَةِ وَطَرْزِيهَا بِأَزْهَارِ وَأَورَادِ

وقوله<sup>(٢٦)</sup> :

وَصَلَبٌ عُودٌ حِينَ بَعْضِ مَرْوَنَةِ فِي ضَعْفِهَا خَطْرٌ مِنَ الْأَخْطَارِ  
وَطَرِيْ نَفْسٌ حِينَ بَعْضِ صَلَابَةِ فِي عَقْمِهَا حَجَرٌ مِنَ الْأَحْجَارِ

لا يخفى ان الالفاظ المتوازنة في الشطرين تتواءز على المستوى العمودي (بإبراق - بأزهار - كاختراق - كاستراق) ، (في ضعفها خطٌ من الاخطار - في عقمتها حجر من الاحجار). فالقمة الايقاعية السمعية للتوازن معززة بالشكل البصري الناجم عن كتابة الشطرين بطريقة متعمدة ، مما يجعله اقدر على تحريك المتلقى الذي تشد الماثلة الايقاعية انتباهه.

وفي ابيات اخرى يأتي ايقاع الموازنة ناشتاً من التشابه في النسق التركيبي من ذلك قوله<sup>(٢٧)</sup> :

الشعر في تأثيره والغيث في آثاره والشمس في الاشراق

(الشعر في تأثيره - والغيث في آثاره)

وقوله<sup>(٢٨)</sup> :

دَمْتُمْ وَدَمَ الْمَجْدُ فِي تَشْرِيفِهِ جُودًا ، وَدَمَ الْفَضْلُ فِي تَأْلِيفِهِ

(الْمَجْدُ فِي تَشْرِيفِهِ - الْفَضْلُ فِي تَأْلِيفِهِ)

وقوله<sup>(٢٩)</sup> :

- (٢٢) - الديوان، ج ٥، ص ١١٧

- (٢٣) - خصائص الاسلوب في الشوقيات ، ص ٧٧

- (٢٤) - الديوان، ج ٥، ص ١١٧.

- (٢٥) - م.ن، ج ٥، ص ١١٧.

- (٢٦) - م.ن، ج ٣، ص ١٤٠.

- (٢٧) - الديوان، ج ١، ص ٣٤.

- (٢٨) - م.ن، ج ١، ص ١٣٥.

كالسيل في تحذيره والسيف في تطبيقه والرمح في تثقيفه  
 (السيل في تحذيره – والسيف في تطبيقه – والرمح في تثقيفه)  
 وقوله<sup>(٣٠)</sup> :

كالعود في اهزاجه ، والسهم في اصماته ، والطرف في ايائه  
 (العود في اهزاجه – والسهم في اصماته – والطرف في ايائه)  
 وقوله<sup>(٣١)</sup> :

أفي الغنم أشجع مِن قسورة وفي الغرم أجبن من صافر  
 (في الغنم – في الغرم – أشجع من قسورة – أجبن من صافر)

يلاحظ في الآيات أنها تتكون من وحدات دلالية يشكل كل منها وحدة إيقاعية بارزة الحدود واضحة المعاني وهذا التطابق يعمل على بروز النغم.

ومن الضروري ان نقف قليلاً مع روعة أمثل التقسيم الموسيقية في شعره والتي وظف فيها الجار والمجرور في كثير منها يشكل رائعاً من ذلك قوله<sup>(٣٢)</sup> :

ونزج من ماء الفراتين جرعة بذكراه مما عب من صفوه جرعاً  
 وقوله<sup>(٣٣)</sup> :

ودر بالفكر في خلد الليالي وجل في الكون رأياً مستفاداً  
 وقوله<sup>(٣٤)</sup> :  
 عصفت بأنفاس الطغاة رياح وتنفست بالفرحة الأرواح  
 وكم من خمول لاح وجه متعرف وكم من نبوغ شع في عين عادم<sup>(٣٥)</sup>  
 تبيت على وعد قريب بفتنة وتضحي على قرن من الشر ناجم<sup>(٣٦)</sup>  
 في اليسر نار لمسورين أجهجها نبل وفي العسر نار شبها الحنق<sup>(٣٧)</sup>  
 في دمي تمشي الحروف دماً وسدى تهف على قلمي<sup>(٣٨)</sup>  
 وبكل بيت من قصيدي منشد وبكل حفل من شذات مجمر<sup>(٣٩)</sup>  
 وشاهد ذلك في شعر الجواهري كثيرة<sup>(٤٠)</sup>.

ويقىي رصد القافية أساساً ومبدأ لتواли هذا التقسيم وضرورة استعمال ما يدفع القافية إلى روّيها من رفع، أو نصب، أو جر، إلا أنه من الملحوظ تماماً أنه مولع بأن تأتي القافية المجرورة بحرف الجر ضمن مجئها مجرورة بسبب آخر بالإضافة والتبعية وغيرهما، فلو أخذنا قصيده (أخي إلياس) مثلاً لذلك

- م. ن، ج ١، ص ١٣٤<sup>(٢٩)</sup>

- م. ن، ج ١، ص ١٢٤<sup>(٣٠)</sup>

- م. ن، ج ٤، ص ٧١٢<sup>(٣١)</sup>

- الديوان، ج ٤، ص ٤٢٨<sup>(٣٢)</sup>

- م. ن، ج ٤، ص ٤٢٩<sup>(٣٣)</sup>

- م. ن، ج ٤، ص ٧١٢<sup>(٣٤)</sup>

- م. ن، ج ٢، ص ٣٧٨<sup>(٣٥)</sup>

- م. ن، ج ٦، ص ١٠١٠<sup>(٣٦)</sup>

- م. ن، ج ٦، ص ٩٦٩<sup>(٣٧)</sup>

- م. ن، ج ٦، ص ٥٩٠<sup>(٣٨)</sup>

- أنظر : أمثلة على ذلك في ديوانه، ج ٤ - ص ٧٠٧، ج ٣ - ٤٣٣، ج ٥ - ص ٧٧٦، ج ٢ - ص ٣٧٢، ج ٢ - ص ٣١٦،  
 ج ٥ - ص ٧٥٦، ج ٣ - ص ٥٨٠، ج ٤ - ص ٦٨٨، ج ٢ - ص ٤٥٤، ج ٤ - ص ٦٨٨، ج ٥ - ص ٨

لوجدنا أن القصيدة تقع، مع تصريعها، في (٢٠) بيتاً استعمل الشاعر فيها القافية مجرورة بحرف الجر في أحد عشر بيتاً منها وترك سبعة فقط للمضاف إليه، و(٢) مواضع أخرى، وقصيدته (اللاجئة في العيد) لوجدنا أن القصيدة تقع مع تصريعها، في (١١٨) بيتاً استعمل الشاعر فيها القافية مجرورة بحرف الجر في ثلاثة وأربعين بيتاً منها وترك أثنتين وأربعين فقط للمضاف إليه وستة وسبعين مواضع أخرى، وقصيدته (وحي الموقد) لوجدنا أن القصيدة تقع في (٣٦) بيتاً استعمل الشاعر فيها القافية مجرورة بحرف الجر في سبعة عشر بيتاً منها وترك سبعة فقط للمضاف إليه و(١٢) مواضع أخرى.

ولعل من المفيد ونحن نتحدث عن رصد القافية ان نشير الى بعض النماذج التي استعمل فيها الشاعر صيغة القافية المجرورة بحرف الجر لندلل على ما ذهبنا إليه :-

الهاديات خطى الأقوام من عصرٍ والمشرفات على الدنيا إلى عصرٍ<sup>(٤٠)</sup>  
هذا الصباح الذي يلغى بناظرةٍ على القصور، ومن أخرى على الحفرِ  
على صريعين من بؤس ومن خورٍ هناً وثمةٌ من قصفٍ ومن سمرٍ  
فإن رأيت بثوب العيد ذا سغبٍ فظن خيراً ولا تسأل عن الخبرِ  
وقوله<sup>(٤١)</sup> :-

لطافاً بأفواه الرواة نوافذاً إلى القلب يجري سحرها في المسامع  
على أنها إذ يعزز الشعر راقدٌ تلوح له أشباحها في الطلائع  
وقوله<sup>(٤٢)</sup> :-

يا غيمة الشعر مُلتاثلاً في قمرٍ يا باسمة الشغر مغترًا عن النضدِ  
يا روعة البحر في العينين صافيةٌ يا نشوة الجبل الملتف في العُضدِ  
وقوله :-

لَا ثُورَةَ النَّفْسِ فِي الْأَشْعَارِ لَمَسَّهَا إِلَّا قَلِيلٌ وَلَا تَأْثِيرٌ فِي الْخَطْبِ<sup>(٤٣)</sup>

وقوله :-

وَقَوْلِي قد صَبَرْتَ عَلَى اغْتِبَاقٍ فَمَاذا لَوْصَبَرْتَ عَلَى اصْطِبَاحٍ<sup>(٤٤)</sup>

هذه الأمثلة تكشف بوضوح عن مدى اهتمام الشاعر بالحفظ على التبرة الموسيقية، فكان حِسْهُ الإيقاعي لا يكتفي إلا أن يسعى إلى توجيهه بإيقاع القافية المجرورة.  
وهو حين يقي على حرف الجر نفسه في كل تقسيم، إنما يخالف ذلك أحياناً فيأتي بحروف متعددة، والأبيات التالية تربينا مقدرة اللغة الفائقية وتوزيعه المتعادل في استعمال هذه الحروف :-

إِلَى أَنْ أَقْمَتَ عَلَيْهِ الدَّلِيلَ لَمَنْ مَبْدَأً بِدَمْ مَشَبِعٍ<sup>(٤٥)</sup>

فقد استعمل حروف الجر أربع مرات ولكنها حروف مختلفة الأنواع حين استعمل حروف (إلى، على، من، والباء) على التوالي من غير تكرار.

(٤٠) - الديوان، ج٤، ص٦٢٨.

(٤١) - م.ن، ج٣، ص٣٩٦.

(٤٢) - م.ن، ج٣، ص٤٠٧.

(٤٣) - الديوان، ج٢، ص٣١٦.

(٤٤) - م.ن، ج٤، ص٤٤٤.

(٤٥) - م.ن، ج٣، ص٤٩٣.

وقوله : -

**نأت بي قرونَ عن زَهير ورَدْني على الرِّغم مِنِي عَلِمَه بالطَّبائع<sup>(٤٦)</sup>**

وقوله : -

**وَجَدْتُكَ فِي صُورَةٍ لَمْ أَرَعْ بِأَعْمَمْ مِنْهَا وَلَا أَرَوْع<sup>(٤٧)</sup>**

وقوله<sup>(٤٨)</sup> : -

**نذيرك من خلق أطيل امتهانه وإن بات في شكل الضعيف المُسالم<sup>(٤٩)</sup>**

ويَا أخَا الطِّيرِ فِي وَرَدٍ وَفِي صَدْرٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُ عَشٌ عَلَى شَجَرٍ<sup>(٥٠)</sup>

لَهُفِي عَلَى أَمَةٍ غَاضِبٍ الضَّمِيرُ بِهَا مِنْ مُدْعِيِ الْعِلْمِ وَالآدَابِ وَالدِّينِ<sup>(٥١)</sup>

فِي كُلِّ يَوْمٍ بِلَا وَعِيٍ وَلَا سَبِّ يُنْزَلُنَ نَاسًا عَلَى حُكْمٍ وَيُعْلِمُنَا<sup>(٥٢)</sup>

وتُكْمِنُ القيمة الجمالية لهذا الاختلاف في الحروف، في أنه يمثل حلقة مغلقة يرتبط فيها أول البيت  
بآخره، فيخرج بها عن حدود الحرف المفرد ويمثل تراكيب كاملة لتبدى كل مرتكز الإيقاعي.

ان هذه الموزانات الصوتية ذات فاعلية ايقاعية، اذ تقوم بوظيفة الربط والتوكيل الايقاعي، (وقد يكون  
هذا الربط داخل اطار شطر واحد او بيت واحد، او بين البيت الشعري والذى يليه)<sup>(٥٣)</sup> ، فضلاً عن  
وظيفتها الجمالية المؤثرة في ايقاع القصيدة، فهي تعمل على ان يكون الايقاع اكثراً وضوهاً، واعمق اثراً،  
لذلك شبهاً صاحب خصائص الاسلوب في الشوقيات (موسيقى الغناء التي تصاحب موسيقى الشعر)،  
فتكتسبه ايقاعاً اضافياً، وطاقة جديدة في الاداء<sup>(٥٤)</sup> ، ومن هنا تكون دالاً من دوال الايقاع مما تزيد انسجاماً  
وجمالاً بالقدر الذي يسهم في البناء الشعري ما يجعله اقدر على تحريك المتنقى الذي تشد الموزانة الصوتية  
انتباهه، وتجعله اكثر استيعاباً للایقاع الذي تحمله ونصوص الجواهري السابقة حققت هذا المبدأ بمستوى  
عالٍ.

### المبحث الثاني: تكرار حروف المعاني

التكرار هو ملامح البناء في شتى الفنون<sup>(٥٤)</sup> ، وشكل من اشكال التنظيم في بناء القصيدة وعلامة بارزة  
في التشكيل الصوتي لها<sup>(٥٥)</sup> من هنا تبدو اهميته في دراسة النص الشعري ، وعلى وجه الخصوص الجانب  
الايقاعي منه ، والذى يهمنا في هذا البحث هو ما يصاحب تكرار من ابعاد لایقاع ، إذ ان جميع أنماط  
التكرار ترتبط ارتباطاً وثيقاً ومطلقاً بقيمة سمعية تردد الايقاع<sup>(٥٦)</sup> ، فالاذن تجذب الى التكرارات الصوتية  
قبل ان يتدارك أمر معانيها<sup>(٥٧)</sup> ، لذا يعد تكرار الحروف المطلقة الاول في الايقاع المترک الذي يتركب

- م. ن، ج ٣، ص ٣٩٨.<sup>(٤٦)</sup>

- م. ن، ج ٣، ص ٤٩٣.<sup>(٤٧)</sup>

- الديوان، ج ٥، ص ١٩٢.<sup>(٤٨)</sup>

- م. ن، ج ٥، ص ٨٨٨.<sup>(٤٩)</sup>

- م. ن، ج ٥، ص ٧٨١.<sup>(٥٠)</sup>

- م. ن، ج ٤، ص ١٩٩.<sup>(٥١)</sup>

- المكونات الصوتية لالایقاع وانماطه في الشعر والنشر، حامد مزعل حميد، ص ١٧٦.<sup>(٥٢)</sup>

- خصائص الاسلوب في الشوقيات، محمد الهادي، ص ٧٧.<sup>(٥٣)</sup>

- حروف القرآن، دراسة دلالية في علمي الاصوات والنغمات، د. نعيم اليافي، ص ١٠٦.<sup>(٥٤)</sup>

- نحو علم للعرض المقارن، د. سيد الجناوي ، ص ١١٧.<sup>(٥٥)</sup>

- جرس الافاظ ودلائلها د. ماهر مهدي ، ص ١٣٩.<sup>(٥٦)</sup>

- البنية الدالة في شعر امل دنقلى ، د. عبد السلام المساوي ، ص ٦٩.<sup>(٥٧)</sup>

منه النص الشعري ، فالشاعر حينما يكرر حرفًا بغية أوٰ حروفًا مجتمعة ، إنما يريد أن يؤكّد حالة ايقاعية أو يبرز منطقة من مناطق النص بنسيج ايقاعي يوفر امتناعاً لاذان المتلقين ، ومن الايقاع المبني على التكرار ، تكرار الحرف نفسه ، نحو : -

في السفح ، في قمم الشرى      في البحر ، في خضر السهوب<sup>(٥٨)</sup>

ويشكل تكرار الحرف<sup>(في)</sup> هنا لازمة تكرار اربع مرات تكراراً قائماً على التساوي في عدد التكرارات لكل شطر ما ولد ايقاعاً جميلاً ومثل ذلك تكراره لحرف الجر<sup>(الى)</sup> بطريقة توزيع منتظمة اثنين لكل شطر - :

الى "ين" الى "حلب" تسمى      الى "مصر" الى درب الزقاق<sup>(٥٩)</sup>

وكما كرر الجواهري حرف الجر<sup>(الى)</sup> مرتين لكل شطر ، كرر حرف<sup>(على)</sup> مرة لكل شطر كما في قوله<sup>(٦٠)</sup> - :

سلام على طيبات النذور      سلام على الواهب الناذر

وقوله<sup>(٦١)</sup> كرر حرف الجر<sup>(من)</sup> :

فإنني من دمع عليكم أذيله      شروبُ من سوداء قلبي أكالُ

وقوله<sup>(في)</sup> في تكرار حرف الجر<sup>(في)</sup> مرة لكل شطر - :

والليوم تشرق في النفوس وضاحكة      ويسشع في حلقاتها مصباح<sup>(٦٢)</sup>

وقوله<sup>(من)</sup> في تكرار<sup>(٦٣)</sup> - :

من ليل أيار نسيم عواطفني      ومن النهار وقدحة جمراتي

وقد يكرر الجواهري الحرف نفسه في الشطر الثاني من البيت ، ومن ذلك تكراره لحرف الجر<sup>(الى)</sup> - :

يا سامر الحي بي شوق يرمضني      الى اللذات الى النجوى الى السمر<sup>(٦٤)</sup>

وفي بيت آخر يكرر حرف الجر<sup>(في)</sup> مرتين في الشطر الثاني ، على شاكلة قوله<sup>(٦٥)</sup> - :

مدي إلي يدا تمدد إليك يد      لا بد في العيش او في الموت تأخذ

يبدو بخلافه ان تكرار الحرف في الشطر الثاني من البيت قد ولد ايقاعاً جميلاً ، مما يدل على ان الشاعر

يتجه الى اختيار الحرف وكيفية تكراره وذلك من خلال اختصاصه بضيغة ايقاعية ميزته عن غيره.

ولا يكتفى الجواهري بذلك ، بل يكرر الحرف نفسه في شطري البيت كما فعل ذلك في الايات التالية - :

من مراقي تعمي وهوات بؤس من أشم ومن أحسن أحسن

نحو صرعي إهموم في كل وادٍ وضحايا الجلاد في كل حين<sup>(٦٦)</sup>

نامي على حمة القنا      نامي على حسد الحسام<sup>(٦٧)</sup>

(٥٨) - الديوان ، ج ٥ ، ص ٧٥٨.

(٥٩) - م. ن ، ج ٥ ، ص ٨٧١.

(٦٠) - م. ن ، ج ٤ ، ص ٦١٨.

(٦١) - الديوان ، ج ١ ، ص ١٣٠.

(٦٢) - م. ن ، ج ٤ ، ص ٧١٢.

(٦٣) - م. ن ، ج ٤ ، ص ٧٢٧.

(٦٤) - م. ن ، ج ٥ ، ص ٣١٤.

(٦٥) - م. ن ، ج ٢ ، ص ٣٥٢.

(٦٦) - م. ن ، ج ٥ ، ص ١٩١.

(٦٧) - م. ن ، ج ٤ ، ص ٧٣.

هو اصفى من اللُّجين وارقى  
في المعالي من الهضاب وأرسى<sup>(٦٨)</sup>  
يدفن شهد ابتسام في مراشفنا  
عذباً بعلقم دمع في مآقينا<sup>(٦٩)</sup>  
وقد يكرر الشاعر حرف الجر ضمن البيت تكراراً متنوعاً، أي أنه يورد الحرف في الصدر أو في العجز من ذلك، قوله في الآيات التالية :-

اذا تخلصت من هم أطاحت به      شب هموم على انفاصه جدد  
لي ثقة بالنفس أنعشتها      كفاب قوسين من الانحلال<sup>(٧٠)</sup>  
على نخب الندامى من هفوٍ      بخلو الذكريات ومن مجيب<sup>(٧١)</sup>  
واللوح كوجه الصبح بيض      يحلل بالسود لها فضول<sup>(٧٢)</sup>  
ولم ار في الضرائب مثل ضدٍ      الى ضدٍ نقيس من ضريب<sup>(٧٣)</sup>

ويبدو ان هذه الآيات كلها قد توفرت على درجة عالية من التماугم الإيقاعي بفعل تكرار حرف الجر بشكل متعدد مرات عديدة، فإذا ما تكرر صوت الحرف كان بأنه ثغرة تتبع أخرى على وتر واحد فيتميز الرنين، ويقوى باعث الإيقاظ والتأثير<sup>(٧٤)</sup>، وذلك ادعى إلى اشارة الاشباه من لدن المتنقي، لأن التكرار الحرفية صيغة خطابية رامية إلى تلوين النص الشعري بسمات صوتية مميزة، هدفها اشتراك الآخر(المتنقي) في عملية التواصل النغمي، ولذلك(يعد التلازم الحرفي من اهم خصائص الخطاب الشعري في البنيات التشكيلية)<sup>(٧٥)</sup>.

ولا يكتفي الجواهري بتكرار الحرف افقياً على مستوى البيت، بل قد يكرره أيضاً تكراراً عمودياً على مستوى آيات متعددة. فمما تكرر فيه الحرف تكراراً عمودياً قوله :-  
ومن ضحكاتك العذبات صبحاً      ام الناعيك ليلاً يستزد ؟  
ومن إنسان عيني ام سواه      يجلل بيتك الألق السواد ؟  
مشق تؤودني الكرب الشداد ؟<sup>(٧٦)</sup>  
وقوله :-

على النخيل ذي السعفات الطوال	على سيد الشجر المُقتني <sup>(٧٧)</sup>
على الرطب الفض إذ يجتل	كوشي العروس وإذ يجتني <sup>(٧٧)</sup>

وقوله كذلك :-

ومن النفوس ومن اللهيبي اذا أدنى <sup>(٧٨)</sup>	ومن الصدور الحابسات زئيرها
كانت وما زالت ليبلغ مدفنا	ومن السجون الداجيات فإنها
بنهاية الجlad كان ملحننا	ومن السياط فإن حر نشيدها

- الديوان، ج ١، ص ٢٣٧ .<sup>(٦٨)</sup>
- م.ن، ج ٤، ص ١٩٩.<sup>(٦٩)</sup>
- م. ن، ج ٧، ص ١٠٦٥.<sup>(٧٠)</sup>
- م. ن، ج ٧، ص ١٠٥٣.<sup>(٧١)</sup>
- م. ن، ج ٧، ص ١٠٥٣.<sup>(٧٢)</sup>
- م. ن، ج ٧، ص ١٠٦٤.<sup>(٧٣)</sup>
- البناء الصوتي في البيان القرآني، د. محمد حسن شرش، ص ٩١.<sup>(٧٤)</sup>
- من جماليات ايقاع الشعر العربي، د. عبد الرحيم كنان، ص ٢٩٠.<sup>(٧٥)</sup>
- الديوان، ج ٤، ص ٧٠٩.<sup>(٧٦)</sup>
- م. ن، ج ٣، ص ٤٨٤.<sup>(٧٧)</sup>
- م.ن، ج ٤، ص ٧٠٩.<sup>(٧٨)</sup>

من التضحيات به الباهر	سلام على يومها المجلبي
على باطن منه او ظاهر	سلام على غدتها المرتجبي
تسيل على الوطن الطاهر	سلام على المهج الطاهرات
بياناً سوى النظر الخازر <sup>(٧٩)</sup>	تعاليت من محق لا يطيق
وبوركت من دار حاسـر	تعاليت من عاجز قادر
ومن مثل منجح سائر	تعاليت من قدوة تقدـى
علم الحساب ، وتفخر الارقام <sup>(٨٠)</sup>	بك والضحايا الغـر يزهو شـاخـا
بك والذـي ضـمـ الشـرىـ من طـيـبـهـم	تـعـطـرـ الـأـرـضـونـ وـالـأـيـامـ
بك يبعث الجـيلـ المـحـتمـ بـعـثـهـ	وبـكـ الـقـيـامـ لـلـطـفـلـةـ تـقـامـ
وبـكـ العـتـاـةـ يـحـشـرـونـ وـجـوهـهـمـ	سـودـ، وـحـشـوـ أـنـوـفـهـمـ إـرـغـامـ

هذا التكرار لحرف الجر أسمهم في ايجاد الترابط المتين بين الايات ، فقد أصبح الحرف بؤرة ينشق عنه المعنى كل مرة ، ثم تتضافر المعاني لإنتاج الصورة الكلية أي اراد الشاعر رسماها ، فاللتكرار العمودي لحرف الجر في تلك الايات قام بوظيفة ايقاعية متمثلة في اعادة الصورة السمعية للحرف من جهة ، وبوظيفة بنائية تجلت في تهيئة جسر رابط بين هذه الايات وذلك عن طريق تصدير الايات كلها بحرف واحد يتكرر ، فيعمل هذا الحرف المكرر على شد الايات الى بعضها من خلال الايقاع .

### المبحث الثالث: ضروب أخرى من توظيف حروف المعاني

واثنة في شعر الجواهري ضرب آخر من توظيف حروف المعاني الذي افاد منها في تغذية الجانب الايقاعي المتحرك لنصوصه الشعرية ، وهو توظيفه للحرف واستخدامه له حين يوصله لغيره فيستفيد مما يصييه من تشديد يشد الفاظ البيت الواحد من ذلك : (عما ، مني ، لي ، إلى ، مما) ومن استعماله (عما) قوله<sup>(٨١)</sup> :-

سائليـيـ عـمـاـ يـورـقـنيـ	لاـ تـكـنـ خـصـمـيـ وـلـاـ حـكـميـ
ليـ نـفـسـ كـيـفـ بـتـصـعـيـدـهـ	وـالـشـوـقـ مـنـيـ آـخـذـ بـالـخـنـاقـ
فـحـاسـبـ الـقـوـمـ عـنـ كـلـ الـذـيـ اـجـتـرـحـواـ	عـمـاـ اـرـاقـواـ وـمـاـ اـعـتـلـواـ وـمـاـ اـحـتـكـرـواـ <sup>(٨٢)</sup>
وـمـنـ اـسـتـعـمـالـهـ (إـلـيـ)ـ قـولـهـ <sup>(٨٣)</sup> ـ :	
فـشـكـتـ إـلـيـ لـغـيـ تـضـيقـ حـرـوفـهـاـ	عـنـ انـ تـسـيـغـ السـجـعـ وـالـأـوزـانـ <sup>(٨٤)</sup> ـ :
وـمـنـ اـسـتـعـمـالـهـ (لـيـ)ـ قـولـهـ <sup>(٨٤)</sup> ـ :	
أـرجـعـيـ مـاـ اـسـتـطـعـتـ لـيـ مـنـ شـبـابـيـ	يـاـ سـهـوـلـاـ لـاـ تـدـرـتـ بـالـهـضـابـ
وـمـنـ اـسـتـعـمـالـهـ (مـاـ)ـ قـولـهـ <sup>(٨٥)</sup> ـ :	
يـاـ صـاحـبـ الـمـعـذـبـينـ وـعـنـهـ	مـاـ يـعـانـونـ الـعـذـابـ الـأـكـبـرـ

- (٧٩) م. ن، ج ٤، ص ٦١٩.

- (٨٠) م. ن، ج ٣، ص ٢٦٩.

- (٨١) م. ن، ج ٦، ص ١٢٦.

- (٨٢) م. ن، ج ٢، ص ٣٦٢.

- (٨٣) م. ن، ج ٢، ص ٣٧٣.

- (٨٤) م. ن، ج ٢، ص ٣٨٠.

- (٨٥) م. ن، ج ٤، ص ٥٩٠.

ولعلَّ أروع من كل ذلك استعمال حرف الكاف الذي له ما يُميِّزه عن باقي الحروف لكونه يستعمل أكثر ما يستعمل في التشبيه. والتشبيه أسلوب بلاغي يعتمد الشاعر كثيراً في رسم كثير من صوره الشعرية ولا تتعذر وظيفته أن يأتي لها الغرض فحسب وإنما هو يشد الأبيات بعضها ببعضٍ بما يرسم من صور متلاحقة ولذلك فتكراره أمر ضروري أحياناً في شد القصيدة وتقوية بنائها. لننظر معاً إلى الأبيات التالية :-

فَأَنَا كَالْمَوْجِ مُنْصَرِّمٌ  
وَأَنَا كَالْبَرْقِ مُنْطَلِقاً  
وَأَنَا كَالْعُودِ يَقْضِي  
وَقُولَهُ<sup>(٨٧)</sup> :-

فِي عَابِ غَيْرِ مَنْصِرٍ  
فَاتٌ حَتَّى خَيْلَ لَمْ يَشِّمْ  
سَارِبٌ مِنْ سَارِحِ النَّعْمِ

إِنَّ الرَّجُولَةَ حَرَّةَ  
بَنْتِ الطَّبِيعَةِ كَالنَّدِيِّ  
كَالْزَهْرِ يَحْمِلُ شَوْكَهُ

وَقُولَهُ<sup>(٨٨)</sup> :-

غَضَرَ الْفَتُوَّةَ كَالصَّبَا خَشِّ الشَّبَا  
كَشْبَا الْحِمَامَ، وَكَالْمَرْوِةَ لِيَنَا

وَقُولَهُ<sup>(٨٩)</sup> :-

كَسْنَا الشَّمْسَ مَتَى مَا تَعْلُمُ تُدْنِي  
وَأَقَامَ الشَّعْبُ جَمْهُورِيَّةً

وَقُولَهُ<sup>(٩٠)</sup> :-

كَالطَّفْلِ حِينَ يُهْزَهُ مَهْدُ  
حَسْمُ الْوَدَاعِ فَتَحَنَّ في يَدِهِ

وَقُولَهُ<sup>(٩١)</sup> :-

وَمَا شَمْسُ الظَّهِيرَةِ وَهِيَ تَغْلِي  
كَمْلُ الشَّمْسِ قَارِبُ الزَّوَالِ

ومن المناسب أن يذكر الحرف (رُبَّ) الشبيه بالزائد واحداً من الحروف المتميزة في الشعر وهو يرد كثيراً عند غيره من الشعراء، وربما كان فيه من عوامل الحاجة إليه في الشعر، بالنظر إلى التشديد على أنه صوتان مدغمان عن طريق تضييف الحرف الذي غالباً موضع ارتكان نغمي، وقد يرد وحده من ذلك قوله :-

وَيَخْلُفُ الْبَنَاءَ، وَرَبُّ بَانَ      بَنِي مِنْ فِكْرَةِ صَرْحًا وَشَادَا<sup>(٩٢)</sup>

وَقُولَهُ :-

رَبَّ لَيلِ سَهِرَتَهُ أَرَقَبَ النَّجَ  
مَ بَعْنَ الدَّلَلِيِّ الْمَعْوِدِ<sup>(٩٣)</sup>

- .٩٦٨ الديوان، ج ٦، ص .٩٦٨
- .١٠٣٢ م. ن، ج ٧، ص .١٠٣٢
- .٧٠٧ م. ن، ج ٧، ص .٧٠٧
- .٧٢١ م. ن، ج ٤، ص .٧٢١
- .٧٠٤ م. ن، ج ٤، ص .٧٠٤
- .٤١٠ م. ن، ج ٣، ص .٤١٠
- .٤٣٠ الديوان، ج ٢، ص .٤٣٠

وقوله :-

رَبِّ مَلِيُونٍ جَثَةٌ فِي نَعْوَشٍ من بَطْوَنِ الْوَحْوشِ عَبْرَ الْبَيْدِ<sup>(٩٤)</sup>

أو تأتي (رب) ممحونة بعد الواو مع بقاء عملها الجر وهذا غالباً ما يقع في أول الأبيات من ذلك قوله :-  
وليلٍ بِهِ تَمَ السَّنَا عَنْ سَدْوَفَهُ فَنَمَتْ بِهَا تَطْوِي عَلَيْهِ الْأَضَالَعَ<sup>(٩٥)</sup>

وقوله :-

وَمَؤْقِرٍ تَعْجَلَ عَاقِدَهُ وَمَؤْقِرٍ سَيُؤْذَنَ بَانْعَقَادِ<sup>(٩٦)</sup>

ومن روائع توظيفه استعماله حرف الجر مع الضمائر وبذلك يستطيع أن يستخدم أكبر عدد من حروف الجر في البيت الواحد ومن أمثلة ذلك قوله :-

وَسَقَنَا النَّاسَ مَكْرَهَةً عَلَيْهِ عَلَى يَدِ نَاعِمِينَ بِهِ وَقَاحِ<sup>(٩٧)</sup>

وقوله كذلك<sup>(٩٨)</sup> :-

أَعِيدُكَ مِنْ مَصِيرِنَ خَنْ فِيهِ لَقَدْ عَوَدْتَ مِنْ أَجْلِ مَتَاجِ<sup>(٩٩)</sup>

وقوله :-

أَقْلَتْنِي مِنَ الْزُورَاءِ رِيحَ إِلَى "يَافَا" وَحَلَقَ بِي عَقَابَ<sup>(١٠٠)</sup>

وقوله :-

مِنِي إِلَيْكَ سَلامٌ لَا يَقُومُ لَهُ سُنُّ الْيَرَاعِ وَلَا يَقُوِي بِهِ الْوَرَقُ<sup>(١٠١)</sup>

وقوله :-

أَنَا لِي دِيَنَانَ : دِينُ جَامِعٍ وَعَرَاقِي وَغَرَامِي فِيهِ دِينُ<sup>(١٠٢)</sup>

وقوله :-

أَنَا الْعَرَاقُ لِسَانِي قَلْبِهِ وَدَمِي فَرَاتِهِ وَكِيَانِي مِنْهُ أَشْطَارُ<sup>(١٠٣)</sup>

وَالْجَوَاهِريُّ حِينَ يُولَعُ باستعمال حروف الجر بهذا القدر الذي مثلنا له إنما يصل أحياناً إلى استعمال خمسة مواقع لحروف الجر من مثل قوله<sup>(١٠٣)</sup> :-

وَيَا أَخَا الطِيرِ فِي وَرَدٍ وَفِي صَدَرٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُ عَلَى شَجَرٍ

فَقَدْ اسْتَعْمَلَ (فِي) ثَلَاثَ مَرَاتٍ فَضَلَّاً عَنْ حِرْفَيْنَ آخَرَيْنَ هَمَا (لَهُ - عَلَى) وَقُولُهُ كُذَلِكَ<sup>(١٠٤)</sup> :-

فَمِنْ عَنَاءِ بَلِيَاتِ نَهَكَتْ بِهَا إِلَى عَنَاءِ وَمِنْ دَاءِ إِلَى دَاءِ<sup>(١٠٤)</sup>

(٩٣) - م. ن، ج ٥، ص ٧٦٨.

(٩٤) - م. ن، ج ٥، ص ٧٦٨.

(٩٥) - م. ن، ج ٥، ص ٧٦٨.

(٩٦) - م. ن، ج ٤، ص ٥٣١.

(٩٧) - الديوان، ج ٣، ص ٤٤٥.

(٩٨) - م. ن، ج ٣، ص ٤٥٥.

(٩٩) - م. ن، ج ٣، ص ٤٥٠.

(١٠٠) - م. ن، ج ٦، ص ١٠١٠.

(١٠١) - م. ن، ج ١، ص ١٣٢.

(١٠٢) - م. ن، ج ٤، ص ٦٩٧.

(١٠٣) - م. ن، ج ٥، ص ٨٨٨.

(١٠٤) - م. ن، ج ٢، ص ٩١.

فقد استعمل (الى) مرتين و (من) مرتين فضلاً عن حرف آخر هو (بها).

ومن استعمله أربعة مواقع لحروف الجر قوله<sup>(١٠٥)</sup> : -

عن نخب الندامي من هتوفٍ بخلو الذكريات ومن مجيب

فقد استعمل (من) مرتين فضلاً عن حرفين آخرين هما (على والياء) وقوله كذلك<sup>(١٠٦)</sup> : -

لن أتوب وفي دمشقٍ هو أصلي عليه ويصطلي بي

وقوله وقد استعمل ثلاثة مواقع لحروف الجر كقوله<sup>(١٠٧)</sup> : -

وقد حمدت شفيعاً لي على رشدي أما وجدت على الاسلام وأبا

وهي كما يلاحظ كثيرة<sup>(١٠٨)</sup> فكأنما تعهد الشاعر الاكثر منها سداً لرغبته الملحة في تطريز ابياته في هذه الحروف فيكسو البيت بذلك جمالاً ايقاعياً مرده إلى انس المتنقي.

ولعل أوضح دلالة لولع الجواهري بحروف الجر انه اهتم بطالع قصائده اهتماماً كبيراً لذا بدأ بعضها

بحروف الجر ومحرورة لا على سبيل ما يدل عليه الحرف من المعنى ولا من أجل معلقة أو محور وإنما وجد

الشاعر في هذا الحرف نفسه أساساً متيناً يقيم عليه البيت ثم القصيد، ومثال ذلك قوله : -

على رغم أنفِ الموت ذكركَ خالدٌ ترنّ بسمع الدهرِ منكَ القصائد<sup>(١٠٩)</sup>

ومثل هذه البداية قصيده<sup>(١١٠)</sup> : -

في ذمة الله ما ألقى وما أجذ

وكذلك مطلع قصيده<sup>(١١١)</sup> : -

مِنْ جَدِيدٍ شَمِيتَ عَطْرَكَ يَنْدِي

ومن ذلك مطلع قصيده<sup>(١١٢)</sup> : -

بقلبي أُمِّ بَنْعَشْكَ حِينَ مَادَوا

وقوله<sup>(١١٣)</sup> : -

برغم الاباء ورغم العُلُى ورغم أنوفِ كرامِ الملا

قد لا يكتفي الشاعر في مطلع قصيده وإنما يأتي بجارين أحدهما في الصدر والأخر في العجز من ذلك قوله<sup>(١١٤)</sup> : -

على مجلسِي مادمتَ حِيَا أَخْطَهَا وفي مرقدي أَنْ مِتْ خَطْوًا نصائحِي

- (١٠٥) الديوان، ج ٧، ص ٦٥.

- (١٠٦) م. ن، ج ٧، ص ٦٥.

- (١٠٧) م. ن، ج ١، ص ١١٧.

- (١٠٨) ينظر الديوان، ج ٤، ص ٦٨٩ - ٦٩٠، ج ٢، ص ٣٧٤.

- (١٠٩) الديوان، ج ٢، ص ٣٥٣.

- (١١٠) م. ن، ج ٢، ص ٣٧٥.

- (١١١) الديوان، ج ٤، ص ٦٣٦.

- (١١٢) م. ن، ج ٤، ص ٦٣٦.

- (١١٣) م. ن، ج ٣، ص ٤٧٦. وينظر: م. ن، ج ٥، ص ٨٣٢ وج ١، ص ١٢٣ وج ٢، ص ٢٨٢ وج ٣، ص ٤٧٦.

- (١١٤) م. ن، ج ١، ص ١٢٠.

ومن الفظاعة أن يمْدَرَعَةً في ظل دستور لها وشعار  
ومثل ما يوظف الجوواهري حرف الجر مطلع قصيده يوظفه لقافية من ذلك قوله<sup>(١١٦)</sup> :-  
ومشت عرسى لتسعيوني وكما تهوى لتشمت بي  
وقوله<sup>(١١٧)</sup> :-

إِيَّهُ لَبَنَانَ وَالْحَدِيثَ شَجَونَ هَلْ يَطِيقَ الْبَيَانَ دَفَعَ لَمَا بَيْ ?

ولما كان تحسين المطالع مما يهتم به الشعراء كثيراً، لذا نرى الجوواهري لا يغفل ذلك من القيمة الایقاعية  
لطالع قصائد  
إذ هي الطليعة الدالة على ما بعدها المتزللة من القصيدة منزلة الوجه والغرفة، تزيد النفس بمحسنها ابتهاجاً  
ونشاطاً لتلقي ما بعدها<sup>(١١٨)</sup>.

اما من حيث استعمال الجوواهري حروف المعاني فيما يخص الكثرة والقلة فمن المعلوم انَّ عدد حروف  
الجر كما وردت في كتب النحو عشرون حرف<sup>(١١٩)</sup>، وليس جميع هذه الحروف متساوية في الاستعمال كما  
إنها ليست جميعها صالحة للبناء الشعري ولذلك فإنَّ الحروف التي استخدمها الجوواهري في أغلبها هي  
الحروف الأصلية الكثيرة الاستعمال المتداولة بين الكتاب والشعراء، وليس بين النحاة، ولعلَّ أبرز هذه  
الحروف (من، في، الباء، على، اللام، عن، إلى)، تضاف إليها (رب والواو) إلا أنَّ هذه الحروف مختلف  
استعمالها باختلاف الحاجة إليها أو إلى ميل الشاعر إلى استعمالها. ومن الملاحظ أنَّ الجوواهري شديد الولع  
في استعمال الحرف (من) أكثر من غيره وذلك للتناغم الموجود في حرف الميم وحرف التون كل على حده  
وللتباين بين الحرفين في هذا التناغم.

ففي قصيده (أرج ركابك) التي بلغ عدد أبياتها (١٢٧) استعمل الشاعر حرف (من) ٤٤ مرة، وفي  
قصيده (يا بن الفراتين) بأبياتها (١٦٤) استعمل (من) ٤٤ مرة كذلك، وفي قصيده (يا دجلة)  
الخير (بأبياتها) (١٧٣) استعمل (من) ٤٥ مرة، وفي قصيده (ذكريات من أثينا) بأبياتها (٦٦) استعمل  
الشاعر (من) ٢٠ مرة.

وبعد (من) يأتي الحرف (في)<sup>(١٢٠)</sup>، ولا نجد تعليلاً لكثرة استعماله إليها إلا كونها حاجة لغوية لابد منها في  
التعبير عن معانيها المتعددة، ثم تأتي بعد ذلك الحروف الأخرى بقلة وكثرة من دون تمييز.

### الخاتمة

١. من كل ذلك نوصل إلى أنَّ الحروف التي استعملها الجوواهري في أغلبها هي الحروف الأصلية الكثيرة  
الاستعمال المتداولة بين الكتاب والشعراء، وليس بين النحاة، الا انَّ هذه الحروف مختلف استعمالها  
باختلاف الحاجة إليها او إلى ميل الشاعر إلى استعماله.

(١١٥) - م.ن، ج ٣، ص ٤٥١.

(١١٦) - م.ن، ج ٤، ص ٦٨٩.

(١١٧) - م.ن، ج ٢، ص ٣٨٢.

(١١٨) - منهاج البلغاء وسراج الادباء، ص ٣٠٩.

(١١٩) - النحو الباقي، عباس حسن، ج ٢، ص ٣٣٨.

(١٢٠) - ينظر الديوان، ج ١، ص ٦٣، ص ٧١، ص ٨٠، ص ٨٧، ص ١١٢، ج ٢، ص ٢٥٣، ص ٢٦٦، ص ٢٧٢،  
ص ٣٦٩، ج ٣، ص ٣٩٦، ص ٤٠٢، ص ٤٧٦، ص ٤٩٨، ص ٥٦٢، ج ٤، ص ٥٨٤، ص ٦١٠، ص ٦٣٤، ص ٧٠٢،  
ص ٧١٩، ج ٥، ص ٧٥٤، ص ٧٧٢، ص ٨٣٥، ج ٦، ص ٩٧٦، ص ٩٨٤، ص ١٠٠٩، ج ٧، ص ١٠٢٨، ص ١١٠٥،  
ص ١١٠٤.

٢. إنَّ هذا الاستخدام يؤكد أنَّ الشاعر كان يعطي الناحية اللفظية في شعره أهمية تكاد تكون أكثر مما يعطيه للناحية المعنوية، وذلك فهو أحياناً يضحي استقامة المعنى ووضوحيه من أجل تركيبة معينة ومزاجه الموسيقي فيصيب أحياناً وربما لا يصيب.
٣. أفاد الجواهري كثيراً من دور الجار والجبر في موازنة البيت الشعري، وهذه الموازنة فضلاً عن كونها صفة شعرية عامة في الشعر العربي، فإنها تبدو لنا صفة ذات طابع خاص في شعر الجواهري، وذلك لكثر استعمالها وأكثر من هذا الاستعمال في الإسهام في البنية الإيقاعية وقوتها.
٤. اعتمد الشاعر على تكرار حرف الجر في توليد صور مختلفة يرتبط كل منها باللفظ المكرر، وفي هذا دليل على قدرة الشاعر وتمكنه من اشتقاء المعاني التفصيلية، التي يوطد بها المعنى العام.
٥. والجواهري حين يولع باستعمال حروف الجر بالقدر الذي مثنا له إنما يصل أحياناً إلى استعمال خمسة مواقع بحروف الجر في البيت الواحد ليسد بها كثيراً من الفجوات والفراغات لتقوية بناءه الشعري. وقد جرت الاشارة إليها في هذا البحث.
٦. ظهر من خلال البحث أن تكرار الحرف المنطلق الأول للايقاع المتحرك الذي يتراكب منه النص الشعري، فالجواهري حينما يكرر حرفاً معينه أو حروفاً مجمعة، إنما يريد أن يؤكد حالة إيقاعية أو يبرز منطقة من مناطق النص بنسيج إيقاعي يوفر من خلاله امتناعاً لآذان الملتقطين.

#### المصادر والمراجع

- الاسس الجمالية للايقاع البلاغي في العصر العباسي ، د. ابتسام احمد حمدان ، دار القلم العربي ، حلب - سوريا / ط ١ / ١٩٩٧ .
- اطلاالة على مطولة الجواهري ، غزاي درع الطائي ، جريدة الزمان ، بتاريخ ٢٤/٦/٢٠٠٩ .
- البنان الصوتي في البيان القرآني ، د. محمد حسن شرسن ، دار الطباعة الحمدية ، القاهرة / ط ١ / ١٩٨٨ .
- البنيات الدالة في شعر امل دنقل ، د. عبد السلام المساوي ، مطبعة اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٤ .
- البنية الإيقاعية في شعر الجواهري ، مقداد محمد شكر قاسم ، عمان ، دار دجلة ، ٢٠٠٨ .
- تحليل الخطاب الشعري ، البنية الصوتية في الشعر ، د. محمد العمري ، دار العالمية للكتاب ، الدار البيضاء / ط ١ / ١٩٩٠ .
- التكرار في الشعر الجاهلي ، دراسة اسلوبية ، د. موسى ربابة ، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات ، العدد ١ ، ١٩٩٠ .
- تمهيد في النقد الحديث ، روز غريب ، دار المكتشوف ، بيروت - لبنان / ط ١ / ١٩٧١ .
- جرس الأفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقد عند العرب ، د. ماهر مهدي هلال ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠ .
- حروف القرآن ، دراسة دلالية في علمي الأصوات والنغمات ، د. نعيم اليافي ، مجلة الفيصل ، العدد ١٠٢ ، السنة التاسعة ، ذو الحجة ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- خصائص الأسلوب في الشوقيات ، محمد الهادي الطرابلسي ، منشورات الجامعة التونسية ، المطبعة الرسمية - تونس ، ١٩٨١ .

- ديوان الجوادري ، محمد مهدي الجوادري ، جمعه وحققه واشرف على طبعة د. ابراهيم السامرائي . د. مهدي المخزومي ود. علي جواد الطائي ورشيد بكتاش ، مطبعة الاديب البغدادية - العراق ، ١٩٧٣ .
- الشعرية ، قراءة في تجربة ابن المعتز العباسي ، د. احمد جاسم الحسيني ، دار بنشر للنشر والتوزيع - دمشق / ط ٢٠٠٠ / ١٦ .
- المكونات الصوتية للايقاع وانماطه في الشعر والثر ، حامد مزعل حميد الرواوي ، رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية الآداب بجامعة بغداد ، ١٩٩٦ .
- من جماليات ييقاع الشعر العربي ، د. عبد الرحيم كنوان ، دار أبي رقراق للطباعة والنشر ، - الرباط / ط ٢٠٠٢ / ١٦ .
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ابو الحسن حاز القرطاجني ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ، دار الكتب الشرقية - تونس ، ١٩٦٦ .
- نحو علم العروض المقارن ، د. سيد البحراوي ، مجلة المعرفة ، العدد ٢٩٥ ، ١٩٨٦ .
- النحو الوافي ، عباس حسن ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

### The Impact of the Meanings of prepositions in the rhythmic Foundation of Al-Jawahiri's poetry

One of the Obvious syntactic phenomenon in Al- Jwahiri poetic style is his excessive use of preposition and his reliance on it in much of his poets.

The preposition is a moral need but in poetry is not. It is an articulary need before anything and this what this research confirms.

Al- Jwahiri is attached to use prepositions to a large extent , therefore , he use the preposition once , twice or three times or even four times in a single verse of poetry.

This research studies this phenomenon with all its consequences in poetry , perhaps it may be possible for us to assimilate the secret of the beauty of the Arabic sentence in the writings of that poet.

## **القيود الدستورية على عمل السلطة التنفيذية**

### **والتشريعية في العراق**

م.م. خالد عبد الأمير الجاروش<sup>(١)</sup>

م.م. رشا شاكر حامد<sup>(٢)</sup>

#### **المحتويات**

المبحث الأول: الرقابة البرلمانية على السلطة التنفيذية

المطلب الأول: ماهية الرقابة البرلمانية وأطرافها

المطلب الثاني: أهداف الرقابة البرلمانية وأدواتها

الفرع الأول: اهداف الرقابة البرلمانية

الفرع الثاني: أدوات الرقابة البرلمانية

#### **المبحث الثاني: الرقابة على دستورية القوانين**

المطلب الأول: معنى الرقابة القضائية على دستورية القوانين

الفرع الأول: الرقابة القضائية بطريق الدعوى المباشرة

الفرع الثاني: الرقابة القضائية بطريق الدفع بعدم الدستوريه

المطلب الثاني: تطبيق الرقابة على دستورية القوانين في ظل دستور العراقي لعام ٢٠٠٥

الفرع الأول: تكوين المحكمة الإتحادية العليا

الفرع الثاني: اختصاصات المحكمة الإتحادية العليا

الخاتمة

#### **المقدمة**

يفرض الدستور قيوداً على النظام السياسي في الدول حيث لا تتجاوز سلطاته التي حددها الدستور،

وان لا تتدخل سلطة في اعمال سلطة اخرى أو تطغى احداها على الأخرى، وإنما تعمل جميع السلطات

بشكل متعاون ومتوازن من أجل تحقيق وظيفة الدولة وكفالة الحقوق والحريات العامة للأفراد.

١ - كلية القانون، جامعة أهل البيت عليها السلام

٢ - كلية القانون، جامعة أهل البيت عليها السلام

لذلك فقد يفرض الدستور نفسه عقوبه على سلطة ما في داخل النظام السياسي ، اذا ماتجاوزت حدودها الدستورية وخرجت على القواعد التي فرضها الدستور .  
وعليه فقد درجت النظم السياسية على اختلاف تنظيماتها وانماطها التقليدية (رئاسية – برلمانية – جمعية نيابية او مختلطة) على تحديد اوجه التعاون مع التوازن ، او الفصل بين سلطاتها .

وضمنت الوثيقة الدستورية وسائل لتحقيق ما تقدم ، من خلال أدوات دستورية محددة بدقة وتمثل فيها تقدم بما اسماه الفقه الدستوري ، بأوجه الرقابة المتبادلة أساساً بين السلطات التشريعية والتنفيذية ، والتي تختلف في النظام البرلماني عنها في النظام الرئاسي ، وتعني نظم الحكومات بهذه الدراسة انباتاً من مبدأ الفصل بين السلطات ، وطبقاً لطبيعة وظروف كل تنظيم سياسي سواء تمثلت في أدوات اتصال مع التوازن ، أم أدوات انفصال بين السلطات التشريعية والتنفيذية .

وعليه تبرز أهمية موضوع البحث بعنوان (القيود الدستورية على عمل السلطة التنفيذية والتشريعية في العراق) ، هو من أجل بيان أهم الضمانات الدستورية التي كفلتها دستور العراق لعام ٢٠٠٥ النافذ حالياً من أجل حماية نصوصه الدستورية من التجاوزات التي قد تحصل من قبل السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية ، ومن أجل ضمان عدم تدخل سلطة في عمل سلطة استناداً إلى مبدأ الفصل بين السلطات ، وكذلك من أجل ضمان التوازن في عمل كل سلطة من هذه السلطات ذلك لأن التزام السلطات في نصوص الدستور يعني ضمان الحقوق الإفراد وحرياتهم .

وكذلك تناول من خلال هذا البحث طرح مشكلة وهي مدى فاعلية الضمانات والقيود الدستورية التي كفلتها دستور العراق لعام ٢٠٠٥ في حكومات الوحدة الوطنية (الحكومة الإئتلافية) حيث تندم المعارضة البرلمانية وتكون جميع الأحزاب المتنصرة في الإنتخابات مشاركة في الحكومة .  
وعليه ومن خلال كل ما تقدم أرتئينا تقسيم هذا البحث الى مبحثين الأول هو الرقابة البرلمانية على عمل السلطة التنفيذية والمبحث الثاني الرقابة على دستورية القوانين .

### **المبحث الأول : الرقابة البرلمانية على السلطة التنفيذية**

تمارس البرلمانات عدداً من الوظائف ، تتراوح في مجالها ونطاقها من دولة الى أخرى ، وذلك حسب الاطار الدستوري السائد واسلوب توزيعه الإختصاصات الحكومية كذلك تبعاً لمدى تطوره الديمقراطي وقوة البرلمان وقدرة أعضائه .

واحتراماً للإرادة الشعبية ونزاولاً على مقتضيات المبادئ الديمقراطية المختلفة أقرت الدساتير في الأنظمة السياسية المعاصرة مبدأ اخضاع اعمال ادارة العامة للرقابة البرلمانية .<sup>(٣)</sup>  
ويعتبر هذا المبدأ صورة من الصور المختلفة للرقابة على اعمال الإدارة ، والتي تختلف بأختلاف الهيئة التي تمارسها وبأختلاف طبيعة هذه الرقابة ، فقد تكون الرقابة ادارية ، تباشرها الإدارة العامة بنفسها على أعمالها ، لذلك يطلق عليها البعض الرقابة الذاتية ، وقد تكون قضائية تباشرها المحاكم وتحتفل بأختلاف البيئات القضائيات داخل كل دولة ، وقد تكون الرقابة سياسية وهي مايطلق عليها بعض الكتاب اسم الرقابة الشعبية .

ان القصور بالرقابة السياسية أو البرلمانية ، هي الرقابة التي يمارسها المجتمع عن طريق الهيئات النيابية أو عن طريق التنظيمات الشعبية سواء كانت ممثلة على مستوى الأمة أو على مستوى الوحدات الإقليمية .

(٣). وسيم حسام الدين الأحمد: الرقابة القضائية على أعمال الإدارة في النظام البرلماني والرئاسي ، منشورات الخلبي الحقوقية ، لبنان ، ٢٠٠٨ ، ص ٥ .

ومن المسلم به بأن الرقابة البرلمانية هي جوهر الرقابة السياسية على أعمال الإدارة في ظل النظام النيابي عن طريق البرلمانات التي تتمتع بحق محاسبة السلطة التنفيذية، بناء على المبادئ الدستورية التي تخول لها سلطة في الرقابة على نشاط الحكومة.

حيث يعتبر البرلمان هو جمعية مراقبين، ومهملته الأولى وربما الأكثر أهمية من التصويت على القوانين هي مراقبة الحكومة واجبارها على الالتزام بنصوص الدستور والقوانين العادلة، عن طريق، المناقشة، والأسئلة، والإستجواب، وسحب الثقة، وجلان التحقيق، وغيرها من طرق المراقبة.

كما تتحقق الرقابة البرلمانية، عن طريق مباشر في النظام البرلماني بممارسة الرقابة المالية، وذلك بمناسبة فحص وأعتماد مشروع الميزانية العامة، والتصديق على الحساب الختامي للإدارة المالية للدولة وبمناسبة طلب موافقته على مصروفات غير واردة في الميزانية أو زائدة على التقديرات الواردة فيها او نقل اي مبلغ من باب الى آخر من ابواب الميزانية.. الخ.

ولقد عالج الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ هذه المسائل بصورة صريحة حيث نصت المادة (٦٢) منه (أولاً):  
يقدم مجلس الوزراء مشروع قانون الموازنة العامة والحساب الختامي إلى مجلس النواب لإقراره.

ثانياً: لمجلس النواب، اجراء المناقشة بين ابواب وفصول الموازنة العامة، وتحفيض جمل مبالغها، وله عند الضرورة ان يقترح على مجلس الوزراء زيادة اجمالي مبالغ النفقات).

ولكن حتى يتمكن البرلمان من ممارسة دورة الرقابة بشكل المطلوب لابد من توافر شرطين رئисيين وهما:

الأول : ويتعلق بال المجالس النيابية نفسها، اذ يفترض أن تتحقق فيها السلطة والمقدرة والرغبة في مراقبة السلطة التنفيذية، ويتحدد ذلك من خلال الاطار القانوني اي الدستوري التي تنظم عمله، اما القدرة على ممارسة الرقابة، فلا تحددها القوانين المجردة، بل الامكانيات المادية والبشرية الملحوظة التي توضع تحت تصرف اعضاء مجلس النواب للقيام بالرقابة ، فالغرض الرئيس من تأمين هذه الامكانيات هو السماح للمجلس الحصول على أكبر قدر من المعلومات حول أداء السلطة التنفيذية اذ انه بدون هذه المعلومات يستحيل على النائب المراقب القيام بمهنته. وقد لاحظنا من خلال مراجعة نصوص دستور العراق لعام ٢٠٠٥ والنظام الداخلي لمجلس النواب العراقي ، انهما قد هيئا لاعضاء مجلس النواب كافة الادوات القانونية التي تتيح لهم ممارسة دوره الرقابي وسوف نبحث فيه بشكل مفصل من خلال البحث.

ثانياً: يتعلق بالظروف العامة التي تعمل بها المجالس النيابية ذلك ان استعدادية المجلس النيابي للقيام بدوره الرقابي تتأثر بعوامل موجودة داخل المجلس وخارجـه.<sup>(٤)</sup>

حيث أن عمل المجلس الرقابي يتحدد بمادة علاقته بالسلطة التنفيذية ، لذلك نلاحظ ان مجلس النواب العراقي على الرغم من وجود القوانين التي تتيح له مباشرة الرقابة الا الواقع السياسي لتشكيل الحكومة وهي حكومة ائتلافية تشارك فيها كافة الأحزاب المنتصرة في الإنتخابات، لذلك مما يجعل السلطة التنفيذية هي نسخة مصغرـة من مجلس النواب وبالتالي الطعن بعمل السلطة التنفيذية يعني الطعن بالأحزاب المشاركة فيها مما يضعف من ممارسة الرقابة بالشكل المطلوب.

عليـه ومن كل ما تقدم سوف نقسم هذا المبحث الى مطلبـين تتناول في المطلب الأول : ماهية الرقابة البرلمـانية واطرافـها.

(٤). المحامي وسيم حسام الدين الأحمد، مصدر سابق ، ص ٩.

## المطلب الأول: ماهية الرقابة البرلمانية

أولاً: يقصد بالرقابة البرلمانية في النظام السياسي مجموعة السلطات التي تستعملها السلطة التشريعية في مواجهة السلطات الأخرى داخل الدولة لضمان احترام القانون.<sup>(٥)</sup>

ولم يتفق الفقه الدستوري ولم يهتم كثيراً بوضع تعريف للرقابة البرلمانية على الرغم من أنها تعد وظيفة من أقدم وظائف البرلمانات في العالم، الأمر الذي انعكس على قلة التعريف التي وضعها باحثي الفقه الدستوري، وعرف الدكتور حامد ربيع الرقابة البرلمانية، بأنها صورة من صور الضبط ولعل ما يؤخذ على على هذا التعريف أنه لا يقر بوجود أي نوع من أنواع الرقابة البرلمانية في النظم السياسية الرئاسية، رغم أن بعض تلك النظم درجات ، بما تفوق بكثير عما هو قائم في النظم البرلمانية.<sup>(٦)</sup>

وقد عرّفها الدكتور فارس عمران بأنها تقصي الحقائق من جانب السلطة التشريعية لأعمال الحكومة للكشف عن عدم التنفيذ السليم للقواعد العامة في الدولة وتحديد المسؤول عن ذلك ومسئوليته .<sup>٢</sup>

ونرى أن الرقابة البرلمانية هي شكل من أشكال الرقابة السياسية الذي تمارسه السلطة التشريعية على عمل السلطة التنفيذية ومدى مطابقة للدستور والقوانين النافذة أيًّا كان شكل النظام السياسي.

ومن كل التعريف السابقة الذكر نلاحظ أن الرقابة البرلمانية هي شكل من أشكال الرقابة السياسية لكنها ليست الوحيدة ، إن الرقابة البرلمانية تظهر وبشكل واضح في النظام البرلماني حيث يوفر هذا النظام أدوات تساعدها على القيام بعملها كالسؤال وجواب التحقيق والإستجواب والمسؤولية السياسية الفردية والتضامنية للوزراء على عكس النظام الرئاسي الذي لا يعرف سوى وسيلة تقصي الحقائق التي تلعب دوراً كبيراً في تعميق الرقابة البرلمانية في هذا النظام.

وكذلك تسعى الرقابة البرلمانية بشكل عام إلى الكشف عن عدم التنفيذ السليم للقواعد العامة في الدولة ومساءلة المسؤول السياسي أو جنائياً هذا بالإضافة إلى كشف الأخطاء.

### ثانياً: أطراف الرقابة البرلمانية

من المسلم به أن عضو البرلمان هو من يمارس الرقابة البرلمانية على عمل السلطة التنفيذية ، لكن دور عضو البرلمان مختلف حسب النظام السياسي ، برلماني أو رئاسي حيث يكون دور العضو في النظام البرلماني مقيد ، لا يستطيع استخدام الكثير من أدوات الرقابة البرلمانية كالسؤال والإستجواب بسبب وجود درجة كبيرة من التماس克 الحزبي داخل البرلمان ، وترى ذلك بشكل واضح في النظام البرلماني العراقي حيث أنه بسبب الإنتماء الشديد إلى الحزب وان الحكومة تشكل من جميع الأحزاب الفائزة فإنه لا يمكن العضو البرلمان أن يمارس دوره من خلال الرقابة البرلمانية لأن العضو لا يعتقد عمل حزبه وبالتالي لا يصوت ضد حزبه.

أما النظام الرئاسي فإن العضو لا يعرف سوى استعمال تقصي الحقائق والرقابة على الميزانية بشكل اساسي دون غيرها من الوسائل<sup>(٧)</sup>.

ويمارس الرقابة البرلمانية على ما يصدر من الوزير في نطاق صلاحياته الدستورية والوظيفية وأعمال الخاضعين له ، وتشمل حياته الشخصية أيضاً ، كما لا تقتصر الرقابة البرلمانية على أعمال السلطة لتنفيذية ، وإنما تمتد شاملة لما تصدره بطبيعتها الإدارية ، وهذا مفاده أن أعمال الحكومة وأعمال السيادة تخضع لها تماماً

(٥). المحامي وسيم حسام الدين الأحمد ، مصدر سابق ، ص ١٠.

(٦). د. حامد ربيع ، مذكرات في النظرية السياسية ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ٣٢٠.

٢. د. فارس عمران ، التحقيق البرلماني في مصر والولايات المتحدة وملخص عنه في بعض الدول العربية ، مجموعة النيل العربية ، ١٩٩٩ ، ص ٣٣٢.

(٧). د. أمين عاطف صليبا ، دور القضاء الدستوري في إرساء دولة القانون (دراسة مقارنة) ، مؤسسة الحديث للكتاب ، لبنان ، ٢٠٠٢ ، ص ٧٠.

خضوع الأعمال الإدارية ويختلف الطرف الخاضع للرقابة بأختلاف النظام السياسي ففي النظام البرلماني يقصد رئيس الحكومة والوزراء هم الطرف الذي يخضع للرقابة من خلال مسؤوليتهم السياسية والجناحية أما بالنسبة للنظام الرئاسي يعتبر رئيس الجمهورية هو الطرف الذي يخضع للرقابة من خلال مسؤولية الجنائية.<sup>(٨)</sup>

### المطلب الثاني: أهداف الرقابة البرلمانية وأدواتها

ستنقسم هذا المطلب إلى فرعين تتناول في الفرع الأول أهداف الرقابة البرلمانية وفي الفرع الثاني أدوات الرقابة البرلمانية

#### الفرع الأول: أهداف الرقابة البرلمانية

يسعى أعضاء البرلمان من خلال ممارستهم للرقابة إلى التأكيد على تطبيق الدستور والقوانين في الدولة من أجل تحقيق الصالح العام وكذلك مراقبة عمل الإدارة الخاضعة للسلطة التنفيذية منع انتهاكها للسياسات المقررة الوقوف تجاه الظلم الذي يتعرض له المواطنين على يد الإدارة. وكذلك تتولى مراقبة الميزانية العامة للدولة التي تتضمن الإيرادات والنفقات لمدة، كذلك الرقابة على ضغط التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

كذلك تعمل الرقابة البرلمانية متابعة كل ماتم انجازه من خطط التنمية الاقتصادية. أي أن يعمل البرلمان بالإضافة إلى التشريع القوانين هو مراقبة ومتابعة تنفيذ هذه القوانين من خلال الرقابة المستمرة عليها.<sup>(٩)</sup>

كذلك تهدف الرقابة البرلمانية كل ما يتعلق بالأمن القومي للدولة مما يتعلق بالسياسات الخارجية والداعمة للدولة.

بالنسبة للسياسات الخارجية حيث يتم مرافقته كافة الإستثمارات العاملة في الداخل أو الموجهة إلى الخارج ، فيما يتعلق بالعمالة الأجنبية في الداخل والعمالة الوطنية في الخارج.<sup>(١٠)</sup>

ويوضح دور الرقابة البرلمانية على السياسة الخارجية للدول النامية من خلال الحفاظ على سيادة الدولة بما يتضمن محاولة تعبئة الرأي العام في مواجهة ما قد تخذه السلطة التنفيذية من قرارات تهدف إلى الإنغماس في الإقتصادات العالمية وفق شروط مجحفة التي تقع كافة الدولة النامية في هذا الإطار.

بالنسبة للسياسات الداعمة فهي تهدف إلى الرقابة على الجيش وذلك ليس فقط من خلال التحكم في قرارات الحرب وأيضاً في الميزانية العسكرية للدولة ، التي من خلالها يتم التحكم المباشر في كافة الشؤون الدفاعية الخاصة بالتصنيع والتدريب العسكري.<sup>(١١)</sup>

بالإضافة إلى الأهداف الخزينة التي يسعها لها القائمون بالرقابة في كثير من الأحيان التي تحقق مصالح حزبية ، ويحدث ذلك في ظل النظم السياسية التي تعتبر الأحزاب السياسية ذات مكانة وتأثير في المجتمع.

#### الفرع الثاني: أدوات الرقابة البرلمانية

تتعدد وسائل الرقابة البرلمانية على أعمال السلطة في النظم السياسية المختلفة ، ولا يمكن عملياً احصاء تلك الوسائل ، نظراً لكثرتها وتبديها من نظام سياسي آخر ، ويمكن أن تورد ابرز تلك الوسائل في النظام البرلماني وفقاً لما اخذ به الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ على النحو التالي :

(٨). د. عمرو هاشم ربيع ، الرقابة البرلمانية في النظم السياسية دراسته في تجربة مجلس الشعب المصري ، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص ٥٥ .

(٩). د. محمد باهي ابو يونس ، الرقابة البرلمانية على أعمال الحكومة في النظمين المصري والكوني ، دار الجامعة الجديدة للنشر ، ٢٠٠٢ ، ص ٧٨ .

(١٠). د. حامد ربيع ، مصدر سابق ، ص ٣٣٥ .

(١١). د. حامد ربيع ، نفس المصدر أعلاه ، ص ٣٣٦ .

## أهـلـ الـ بـيـت

### اولاً : السؤال

هو استيضاح عن قضية معينة يوجهه أحد أعضاء البرلمان الى الحكومة او الى أحد الوزارات.  
ان طريقة الأسئلة مستمدّة من التقليد البرلماني الإنكليزي ، حيث كان الأعضاء الإنكليز لا يلجؤون الى الإستجواب إلا نادراً بسبب التماسك بين العضو وبين الحزب الذي يتميّز اليه لذلك كان يلجؤون الى توجيهه الأسئلة ، حيث خصص مجلس العموم الإنكليزي الثلاثة أربعاء الساعة الأولى من كل جهة لتوجيهه الأسئلة الى الوزراء التي يجب عليهم الإجابة عليها بإيجاز. <sup>(١٢)</sup>  
وإذا كان السؤال يعني مجرد الإستفسار عن أمر معين والوقوف على حقيقة فهو لا يضمن معنى الإتهام او النقد للمسؤول كالإستجواب.

والسؤال يمكن أن يكون شفهياً ويمكن أن يكون كتابياً والأصل في السؤال أن لا يوجه إلا من عضو واحد ويجب أن يكون السؤال في أمر من الأمور العامة التي تختص فيها الحكومة ، وقد أشار الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ على حق العضو في توجيه السؤال في المادة (٦١ / سابعاً) حيث نصت (العضو مجلس النواب أن يوجه الى رئيس مجلس الوزراء والوزراء، أسئلة في أي موضوع يدخل في اختصاصهم ولكل منهم الإجابة عن اسئلة الأعضاء ، وللسائل وحده حق التعقيب على الإجابة).

وكذلك نظم النظام الداخلي لمجلس النواب حق العضو في توجيه السؤال في المادة (٥٠) منه حيث نص (لكل عضو ان يوجه الى اعضاء مجلس الرئاسة أو رئيس مجلس الوزراء أو غيرهم من اعضاء الحكومة اسئلة خطية مع اعلام هيئة الرئاسة في شأن من الشؤون التي تدخل في اختصاصهم ، وذلك للإلمام عن أمر لا يعلمه العضو أو للتحقق من حصول واقعة وصيل علمه اليها ، أو الوقوف على ماتعترضه الحكومة في أمر من الأمور) ، فإذا كان الإجابة على السؤال شفهياً فيتم ادراجه في اقرب جلسة مناسبة وذلك بعد اسبوع على الأقل من تاريخ ابلاغه بالسؤال ولا يجوز يتاخر الرد على السؤال اكثر من اسبوعين. م ٥١.

اما اذا كانت الأسئلة مرتبطة بموضوعات محالة الى بجانب المجلس فلا يجوز توجيه السؤال إلا بعد تقديم للجان تقريرها للمجلس.

ويحق للعضو الواحد توجيه سؤال واحد فقط في الجلسة الواحدة م/٥٢ ، ويكون صاحب السؤال فقط حق التعقيب على الإجابة ولرئيس المجلس السماح حسب أهمية الموضوع أن يأذن لرئيس اللجنة المختصة بموضوع السؤال أو لعضو آخر بابداء تعليق موجز أو ملاحظات موجزة م/٥٣ ويجوز للعضو سحب سؤاله في أي وقت كما ويسقط السؤال بزوال حقه مقدمة أو من وجه اليه. م/٥٤ .

اذن من خلال النصوص اعلاه من الدستور العراقي ومن النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي ، نجد انهما قد وضعا كافة الاطر القانونية التي تتيح للعضو توجيه اسئلته في اي موضوع ، لذلك نرى ان الدستور العراقي قد وفر للعضو الاطر الدستورية التي تمكّنه من الحصول على كافة المعلومات حول اي موضوع او اجراء اتخذه الحكومة من اجل تمكّنه من الاطلاع عليه من ثم مطابقته مع احكام الدستور والقانون فاذا رأى انه غير دستوري ، فيحق للعضو ان يمارس الطرق الرقابية الاخرى التي يكون فيها اتهام للحكومة كالاستجواب.

### ثانياً// طرح موضوع عام للمناقشة

يعتبر هذا الإسلوب في الفقه الدستوري من الأساليب الرقابية الهادئة التي تهدف الى اجراء حوار بين الحكومة والبرلمان حول موضوع له أهمية معينة بقصد الوصول الى حل يتفق عليه الطرفان. <sup>(١٣)</sup>

(١٢). د. أنور الخطيب، الأصول البرلمانية في لبنان وسائر البلدان العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦١، ص ٣٨٣.

(١٣). د. ايها زكي سلام، الرقابة السياسية على أعمال السلطة التنفيذية في النظام البرلماني ، عالم الكتب، ١٩٨٣ ، ص ٨٨.

ولعل هذا ما افضى بعض الفقهاء الى اعتباره من قبيل تبادل الرأي والتعاون بين البرلمان والحكومة في تحقيق المصلحة العامة ومن هنا فإن له أهميته البالغة بين وسائل الرقابة الأخرى اذا أنه من ناحية يتحقق للبرلمان بغية في معرفة سياسة الحكومة في مواجهة مشكلة آنية أو حالة معاصرة، ومن ناحية أخرى يكشف للحكومة عن أتجاهات البرلمان في شأن المسألة المطروحة للمناقشة، ومدى دعمه لها في الإجراءات التي تخذلها مواجهتها، بشكل تتوافق من خلاله المسائلة أمامه سياسياً بشأنها.<sup>(١٤)</sup>

وفي الواقع تجد هذه الوسيلة اساسها الدستوري في مصر في المادة ١٢٩ من الدستور المصري نصت على أنه (يجوز لعشرين عضواً على الأقل من أعضاء مجلس الشعب طرح موضوع عام للمناقشة لأستيضاح سياسة الوزارة بشأنه).

كما تنص المادة (١١٢) من الدستور الكويتي على أنه بناء على طلب موقع من خمسة / ٥ ألاعضاً طرح موضوع عام على مجلس الأمة للمناقشة لأستيضاح سياسة الحكومة في شأنه وتبادل الرأي بصدره ولسائر الأعضاء حق الإشتراك في المناقشة).<sup>(١٥)</sup>

أما الدستور العراقي لعام (٢٠٠٥) فقد نصت المادة ٦١ / سابعاً

(ب: يجوز لخمسة وعشرين عضواً في الأقل من أعضاء مجلس النواب، طرح موضوع عام للمناقشة، لأستيضاح سياسة وأداء مجلس الوزراء، أو أحدى الوزارات، ويقدم الى رئيس مجلس النواب، ويحدد رئيس مجلس الوزراء أو الوزراء موعداً للحضور أمام مجلس النواب لمناقشته).

عليه فإن الدستور العراقي أشترط موافقة (٢٥) عضو من أعضاء مجلس النواب وبعد ذلك يقدم الطلب الى رئيس مجلس النواب بين فيه الموضوع المطلوب مناقشة رئيس الوزراء وتوقيع الأعضاء مقدمي الطلب وهو بدوره يقوم بتوجيهه الى صاحب الشأن، ثم بعد ذلك يقوم رئيس الوزراء او الوزير المطلوب مناقشته بتحديد موعد يأتي به الى مجلس النواب ويدرج في جدول أعمال المجلس.

ونلاحظ ان اعضاء مجلس النواب في الغالب يلجأون الى هذه الطريقة في مراقبتهم لعمل الحكومة، والسبب في ذلك يرجع الى أمور عدة أهمها، أن الوضع السياسي الذي يمر به العراق لا يسمح لأعضاء البرلمان توجيه اتهام مباشر للحكومة محاسبتهم بشدة من خلال الإستجواب او التحقيق معهم وذلك بسبب تشكيلات الحكومة الإئتلافية التي تجمع كافة الأحزاب وبالتالي تندم المعارضة او الرقابة الحقيقة لعضو البرلمان.

ما يدفعهم لممارسة دورهم الرقابي عن طريق طرح موضوع عام للمناقشة لأن هذه الوسيلة لا تعتبر محاسبة للمسؤول أو ثبات تقصيره وإنما هي مجرد وسيلة من أجل أن يبين رئيس الوزراء أو الوزير وجهة نظره في موضوع معين، وكذلك لكي يتعرف على وجهة نظر البرلمان وبالتالي التوصل الى حلول ترضي الطرفين ويتحقق المصلحة العامة.

لذلك فإن من النادر في العراق ان يقوم مجلس النواب بـاستجواب رئيس الوزراء أو الوزير لصعوبة تحقيق النتيجة المرجوة منه فعليه نجد ان هذه الطريقة هي الأكثر تلائماً مع الوضع السياسي العراقي.

كذلك اشارة المادة (٥٥) من النظام الداخلي لمجلس النواب على حق مجلس النواب طرح موضوع عام للمناقشة حيث نصت (يجوز لخمسة وعشرين عضواً من أعضاء مجلس النواب طرح موضوع عام للمناقشة لأستيضاح سياسة وأداء مجلس الوزراء أو أحدى الوزارات ويقدم الى رئيس مجلس النواب ويحدد رئيس مجلس الوزراء موعداً للحضور مع تحديد سقف زمني أمام مجلس النواب لمناقشته).

.أ. د. يحيى الجمل، النظام الدستوري في جمهورية مصر العربية، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٤، ص ٢٢٦.<sup>(١٤)</sup>

.د. محمد باهي ابو يونس، مصدر سابق، ص ٩٢ - ٩٣.<sup>(١٥)</sup>

## ثالثاً // الإستجواب

هو انذار موجه من أحد النواب للحكومة أو لأحد الوزراء لشرح عمل من أعمال وزارة أو وزارتين أو السياسة العامة للحكومة.<sup>(١٦)</sup>

والإستجواب يتضمن معنى النقد والإتهام للحكومة أو لأحد الوزراء، لذلك فإنه يعد ابعد أثراً من السؤال لكنه يتضمن معنى محاسبة الحكومة أو الوزراء عن كيفية تصرفها عما عهد إليها من سلطة فالنائب يقدم الإستجواب عن أساس وقوع خطأ من الحكومة أو الوزير المستوجب.<sup>(١٧)</sup>

والإستجواب يختلف عن السؤال في أن الإستجواب لا يجعل المناقشة محصورة بين مقدم الإستجواب فيه ، فالإستجواب بل يكون لجميع أعضاء البرلمان حق الإشتراك فيه ، فالإستجواب يفتح الباب لمناقشة عامة بشأن الموضوع المستوجب عليه ويترتب على الإستجواب غالباً طرح الثقة بالحكومة كلاً أو بالوزير المستوجب.<sup>(١٨)</sup>

ولقد اجاز الدستور العراقي لعام (٢٠٠٥ / ٦١) في المادة (٢٥) أستجواب رئيس مجلس الوزراء أو الوزراء بناء على موافقة (٢٥) عضو من أعضاء مجلس النواب على أن يكون الغرض من الإستجواب هو لمحاسبتهم في التي تدخل في اختصاصهم حيث نصت على (عضو مجلس النواب ، وبموافقة خمسة وعشرين عضواً ، توجهاً أستجواب الى رئيس مجلس الوزراء أو الوزير لمحاسبتهم في الشؤون التي تدخل في اختصاصهم ، ولا تجري المناقشة في الإستجواب إلا بعد سبعة أيام في الأقل من تقديمها) وكذلك نصت نفس المادة (٦١ / ثانياً/هـ) (مجلس النواب ، حق أستجواب مسؤولي الميئات المستقلة وفقاً للأجراءات المتعلقة بالوزراء ، وله اعفاءهم بالأغلبية المطلقة).

اذن الإستجواب هو محاسبة رئيس الوزراء أو الوزير عن تقصير أو خطأ أو فساد مالي أو إداري ، يدخل في اختصاصهم وقد يتربّط على الإستجواب طرح الثقة اذا ثبت ان رئيس الوزراء أو الوزير أو رئيس الهيئة المستقلة قد قصر في اداء واجهة أو ثبت عدم كفاءته ، لذلك فان عضو البرلمان لا يلي جاؤن الى الإستجواب إلا في الحالات النادرة ، وقد حدث أنه تم إستجواب وزير التجارة السابق فلاح السوداني وبعد أن ثبت مسؤوليته وتقصيره في أداء واجبه تم سحب الثقة منه ، وثم بعد ذلك استجواب وزير الكهرباء السابق وثبت تقصيره.

ان الواقع السياسي العراقي يجد من استعمال الإستجابات بسبب ان الحكومة تأتي عن طريق التوافقات وان هذه التوافقات تمنع من طرح الإستجابات لأنها قد يؤدي إلى ارباك العلاقة بين الأحزاب المتفقة وبالتالي يؤثر سلباً على عمل الحكومة والبرلمان مما يعود سلباً على المصلحة العامة لكن هذا لا يمنع أستجواب الوزير اذا ثبت امام الشعب انه غير جدير بالوزارة هذا ما حصل مع وزير التجارة والكهرباء العراقي .

وقد نظم النظام الداخلي لمجلس النواب عملية الإستجواب في المواد من (٥٦ - ٦١) وقد حدد الإجراءات الخاصة بالإستجواب حيث أشترط أن يتم المناقشة في الإستجواب بعد سبعة أيام في الأقل من تقديمها ويتم تقديم الطلب كتابة الى رئيس المجلس موقع من طالب الإستجواب وبموافقة (٢٥) عضو على الأقل ، على أن يبين في الطلب موضوع الإستجواب والأمور المستوجب عنها والأسباب التي يستند إليها في

(١٦). د. انور الخطيب، مصدر سابق، ص ٣٩٠.

(١٧). الحامي وسيم حسام الدين، مصدر سابق، ص ٢٣.

(١٨). نفس المصدر أعلاه، ص ٢٣.

استجوابه والدلائل والأسانيد والأمور المخالفة التي قام بها المستجوب ، ولا يجوز تقديم طلب الإستجواب في موضوع سبق للمجلس أن فصل فيه مالم تطأ وقائع جديدة توسيع ذلك. م ٥٨/ .

ويقدم طلب الإستجواب في أي وقت ويسقط الإستجواب بزوال حقه من تقدم به أو وجه اليه .  
وإذا كان مقدم الإستجواب هو أحد أعضاء هيئة رئاسة مجلس النواب ، عليه أن يترك منصة الرئاسة ويجلس في المكان المخصص له في قاعة اجتماع المجلس .

أما نتيجة المناقشة فهي أما ان تنتهي بأقتناع مجلس النواب بوجهة نظر المستجوب ويغلق الإستجواب ، أو يثبت تقصيره وبالتالي يؤدي ذلك الى سحب الثقة بالمستجوب .

وهذا ما وأشار له المادة (٦١) من النظام الداخلي لمجلس النواب (إذا أنهت المناقشة بأقتناع المجلس بوجهة نظر المستجوب تعد المسألة منتهية ، وبخلافه يجوز أن يؤدي الإستجواب الى سحب الثقة بالمستجوب على المجلس وفقاً للأجراءات الواردة في النظام الداخلي) .

#### رابعاً / لجان التحقيق البرلماني

عندما يرغب المجلس بالإطلاع على معلومات تتيح له ممارسة صلحياته ، فإنه يكلف لجنة من أعضاءه لجمع هذه المعلومات وتقديم تقرير يتخذ على ضوئه القرار المناسب .<sup>(١٩)</sup>

وتأخذ معظم الدول بأسلوب التحقيق البرلماني وإن يحل ممارسة البرلمان لدوره الرقابي عندما تحدث اختفاء أو أزمة معينة فيشكل المجلس لجنة من أجل جمع المعلومات الازمة بهذا الشأن على أن تختلف الأنظمة فيما بينها في طبيعة عمل اللجان في النظام الرئاسي (الولايات المتحدة الأمريكية) تم منح هذه اللجان العديد من السلطات التي تمكنها من محاسبة كبار أعضاء السلطة التنفيذية ، ويمكن أن يكون السبب في ذلك أن النظام الرئاسي لا يعترف لا بهذا الوسيلة الرقابية دون غيرها من الوسائل الأخرى ، وذلك على عكس النظام البرلماني الذي اعطتها حجماً أقل من حجمها الحقيقي في النظام الرئاسي<sup>(٢٠)</sup> ، لذلك هو يعتبر أحد الأدوات التي يوفرها الدستور لأعضاء البرلمان لكي يتمكن من الإطلاع على ما يجري داخل مؤسسات الدولة وأجراءات التحقيقات من أجل الوصول إلى الحقيقة .

أما مدى صلحيات اللجان فقد أختلفت الأنظمة السياسية في ذلك وسلط الضوء على صلحيات اللجان المؤقتة في العراق فقد اشار النظام الداخلي لمجلس النواب على حق مجلس النواب تشكيل لجان فرعية ولجان مؤقتة ولجان تحقيق بحسب متطلبات العمل والمواضيع المعروضة عليه . م ٨٢/ .  
على أن يتم تشكيل اللجان المؤقتة بموافقة أغلبية عدد الحاضرين في المجلس بناء على اقتراح من هيئات الرئاسة أو من خمسين عضواً من الأعضاء . م ٨٣/ .

وتتمتع هذه اللجان بصلاحيات تقصي الحقائق فيما هو معروض عليها من قضايا ويحق للجنة دعوة أي شخص لسماع أقواله وفق الطرق الأصولية ولها حق الإطلاع على كل ماله علاقة بالقضية المعروضة عليها من دون المساس بالقضايا المعروضة على القضاة ولها الإستعانة بالخبراء ويتم تحديد أجور الخبراء بالأتفاق مع هيئة الرئاسة . المادة ٨٤/ .

بعد أن يتم للجنة عملها ترفع تقريرها مع توصياتها إلى هيئة الرئاسة لحضها لأخذ ما يراه مناسباً ، المادة ٨٥ ومن حق اللجنة اقالة رئيس اللجنة أو نائبه أو المقرر عند ثبوت عدم كفائته أو عجزه .

وتلاحظ أن عمل اللجنة هو فقط جمع المعلومات وتقصي الحقائق على أن يكون في كثير الأمور المعروضة على القضاة ولها حق رفع توصياتها إلى هيئة الرئاسة من أجل اتخاذ ما يلزم

(١٩). المحامي وسيم حسام الدين ، مصدر سابق ، ص ٢٥ .  
(٢٠). د. أنور الخطيب ، مصدر سابق ، ص ٣٨٥ .

## المبحث الثاني: الرقابة على دستورية القوانين

ان الرقابة على دستورية القوانين تمثل احد اهم الضمانات الأساسية والهامة لتطبيق الدستور، حيث تمثل الرقابة على دستورية القوانين تحقيق المشرعية أو الشرعية بتكامل يتفق ومبادأ سمو الدستورز وتدرج القوانين، وهذا يعني ان القوانين الإعتيادية لا يمكنها أن تغير أو تعديل القواعد دستورية.

لذلك كان لابد من وضع جزاء على المشرع اذا خالف هذا المبدأ، وهذا الجزاء يتمثل بالغاء أو عدم تطبيق القوانين التي تخالف نصوص الدستور، وذلك عن طريق الرقابة على دستورية القوانين، لذلك تمثل الرقابة على دستورية القوانين أخطر الموضوعات الدستورية على الإطلاق خاصة في وقتنا المعاصر ومنذ أكثر من قرنين، كما أنها تمثل ايضاً أهم موضوعات القانون الدستوري حيث يتتأكد من خلالها تحقيق مبدأ الشرعية.

وان ممارسة عملية الرقابة، تعني تفسير نصوص القانون، وتفسير نصوص الدستور، لمعرفة مدى مطابقة القانون للدستور، وهل هو مخالف للدستور أم لا ، وان تفسير النصوص القانونية يعود للمختصين بهذا المجال أي المشتغلون بالقانون ، لأن ممارسة الرقابة يعني اصدار حكم عليه بأبقاء أو القاءه أو عدم تطبيقه لذلك فإن القضاء هو المؤهل بالدرجة الأولى للقيام بهذا العمل.

وسواء أكانت الرقابة على دستورية القوانين رقابة قضائية أم رقابة لاقضائية ، فإن الغاية منها هي ضمان علوية الدستور ومنع تشريع قوانين مخالفه للدستور، وهي بهذا تعمل على تأكيد علوية وسمو الدستور على غيره من القواعد القانونية النافذة في الدولة.

ولقد أخذ الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ بالرقابة القضائية على دستورية القوانين بموجب المادة (٩٣) منه حيث أنطت مهمة الرقابة الى المحكمة الإتحادية العليا وأعتبرها هيئة قضائية مستقلة مالياً وأدارياً ، لذلك يعتبر الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ أخذ بالرقابة القضائية على دستورية القوانين.

وعليه سوف نقسم هذا المبحث الى مطلبين، نبحث في المطلب الأول معنى الرقابة القضائية على دستورية القوانين، ويتناول في المطلب الثاني تطبيق الرقابة القضائية على دستورية القوانين في العراق.

### المطلب الأول: معنى الرقابة القضائية على دستورية القوانين

ان الرقابة القضائية على دستورية القوانين تعني ان البت في مصير قانون ما (من حيث كونه يخالف أو لا يخالف الدستور) يعود الى هيئة قضائية أي الى المحكمة<sup>(٢١)</sup> ، ضمناً لسيادة حكم القانون لكي تكتمل عناصر الدولة القانونية ، فالمحكمة التي يعهد اليها امر هذه الرقابة تقوم بالحفاظ على علوية الدستور، وذلك بالغاء او شل جميع القوانين المخالفة للدستور، إلا أنه لابد من تحريك هذه الرقابة أي التوصل الى المحكمة من أجل ممارسة الرقابة لابد أن يحرك أحد يطعن أحد بعدم دستورية القانون فلا يمكن للمحكمة أن تمارس الرقابة من تلقاء نفسها.<sup>(٢٢)</sup>

وقبل التطرق الى النظم الرقابة القضائية المعتمدة في الأنظمة السياسية الحديثة، لابد من التنويه بأن هذه الرقابة أنطلقت بفعل قرار المحكمة العليا في أمريكا في عام ١٨٠٣ ، إلا أن جذورها من اصل انكليزي لعدم اعتمادها دستوراً مدوناً حيث رأى بعض الفقهاء ان بوادر هذه الرقابة يمكن استنتاجها من خلال قرار اصدره أحد القضاة وهو (COKE) في معرض حكم أصدره في قضية (Bonham) حيث تضمن (ان مراجعة ملفاتنا تثبت أنه في كثير من القضايا يتقدم القانون الغير مكتوب المبني على العرف والعادة والذي يمكن

(٢١). د. منذر الشاوي، القانون الدستوري، نظرية الدستور، منشورات مركز البحوث القانونية، وزارة العدل، بغداد، ١٩٨١، ص. ٥٨.

(٢٢). د. منذر الشاوي، معنى الرقابة على دستورية القوانين، بلا سنة طبع، بلا مكان طبع، ص. ٨.

القول انه لحد ما يشبه القاعدة الدستورية على القوانين الصادرة من البرلمان وفي بعض الحالات يعتبرها باطلة لأنها لم تكن، وهكذا كانت المسيرة من بريطانيا الى امريكا ، من خلال اجتهادات بعض المحاكم وكتاب القضاة ، تطور مفهوم الرقابة على دستورية القوانين ليشع نوره على كافة الأنظمة الديمocratique في القانون المقارن .<sup>(٢٢)</sup>

وقد طبقت هذه الرقابة بطريقتين وهي الرقابة القضائية بطريق الدعوى المباشرة (رقابة الغاء) أو الرقابة المركزية والثانية الرقابة القضائية بطريق الدفع بعدم الدستورية (رقابة الإلزام) الرقابة الالامركية.

#### الفرع الأول: الرقابة القضائية بطريق الدعوى المباشرة

بموجب هذا النوع من الرقابة القضائية يكون للأفراد او البعض هيئات الدولة دون الأفراد الحق في مهاجمة قانون معين ، أو الطعن في دستورية القانون ، وذلك عن طريق اقامة دعوى مباشرة أمام القضاء .<sup>(٢٤)</sup>

اذن فهناك دعوى لاقامة من قبل فرد أو هيئة على فرد آخر وإنما من قبل فرد (أو هيئة) على قانون معين بسبب خالفته للدستور ، فالمدعى هو فرد أو هيئة والمدعى عليه ، أن صح التعبير هو القانون المشكوك في دستوريته .<sup>(٢٥)</sup>

لذلك توصف الدعوى المباشرة بأنها دعوى موضوعية وليس دعوى شخصية ، لأنها تقام على قانون معين أي ان المدعى في القضية هو فرد أو هيئة والمدعى عليه القانون .<sup>(٢٦)</sup>

ويكفي أن تباشر هذا النوع من الرقابة ، على مشروع القانون وكذلك بالنسبة للقانون النفاذ ، لذلك فرقابة الالغاء يمكن أن تكون سابقة على صدور القانون أو تكون لاحقة له ، مثل الدساتير التي أخذت بررقابة الغاء السابقة أمام هيئة قضائية ، دستور ايرلنديه لعام ١٩٧٣ ، الذي نص على أن القوانين التي يقرها البرلمان تقدم الى رئيس الدولة لأصدارها وان لهذا الأخير قبل اصدار القانون احالته الى المحكمة العليا للنظر في دستوريته ، فإذا قضت المحكمة بعدم دستوريته لا يمكن اصداره<sup>(٢٧)</sup> ، وان الدول التي تأخذ بالرقابة القضائية (الغاء) السابقة لاتخون حق الطعن بالأقانين للأفراد ، وإنما فقط لم矣يات الدولة .

هذا ولا يشترط في اقامة دعوى الالغاء انتظار تطبيق القانون ، أو وجود نزاع معين مرفوع أمام القضاء ، ولهذا السبب توصف هذه الدعوى بأنها أصلية أو مباشرة ، وقد تكون الدعوى فرعية عندما مايسمع الدستور للمحاكم العادلة بقبول الطعن بعدم دستورية قانون معين إلا أنها لانتظرها هي بل تنتظرها المحكمة الدستورية المختصة فعندما تقتضي المحاكم العادلة بوجهة نظر الأفراد تقدم هي بدعوى الإلغاء إلى المحكمة الدستورية .<sup>(٢٨)</sup>

اذن فعندما يتم الطعن بعدم دستورية قانون معين أمام المحكمة المختصة وتقتضي المحكمة بعدم دستورية القانون ، تصدر قرار اما بالغاء القانون ، أو ايقاف العمل به و ، يكون قرار المحكمة في هذه الحالة قرار يتمتع بمحاجية مطلقة على الكافة اي يكون ملزم لكافة هيئات الدولة .

(٢٣). د. أمين عاطف صليبا ، مصدر سابق ، ص ١١٦ .

(٢٤). د. احسان حميد المفرجي ، د. كطران زغير نعمه ، د. رعد ناجي الجدة ، النظرية العامة في القانون الدستوري والنظام الدستوري في العراق ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص ١٨٦ .

(٢٥). د. منذر الشاوي ، نظرية الدستور ، مصدر سابق ، ص ٥٩ .

(٢٦). د. احسان المفرجي وآخرون ، مصدر سابق ، ص ١٧٧ .

(٢٧). د. أمين عاطف صليبا ، مصدر سابق ، ص ١٢٣ .

(٢٨). د. ابراهيم درويش ، القانون الدستوري النظريه العامة ، الرقابة الدستورية ، دار النهضة العربية ، ط ٤ ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٢٠ .

ويختلف الأثر الناجم عن قرار المحكمة بعدم دستورية القانون، في بعضها يعتبر القانون ملغياً من تاريخ صدور قرار المحكمة بعد الدستورية، وأخذ بها الحال الدستور العراقي لعام ١٩٢٥ (القانون الأساسي)، وبعضهم يعتبرها ملغى من تاريخ صدوره أي بأثر رجعي ، مثاله الدستور الياباني لعام ١٩٤٦ ، وبعضها يقضي فقط بعدم جواز تطبيق القانون الغير الدستوري وتكون السلطة التشريعية ملزمة بالغاء القانون، او النص الذي قضت المحكمة بعدم دستوريته مثاله الدستور المصري لعام ١٩٧١ .<sup>(٢٩)</sup>

ونظراً للآثار هذا النمط من الرقابة الدستورية، ولما تتضمنه من تحويل القضاء سلطة الحكم بأعدام القوانين التي يسنها البرلمان وافتاء هذه التشريعات ، فإنها لم تلق تطبيقاً إلا في عدد محدد من النظم السياسية ، وكثيراً ما تردد الدول في الأخذ برقابة الإلغاء اللاحقة بسبب الإحساس بخطورة ما يتربّب عليها من آثار ، لذلك عملت الدول التي أخذت بها تشددت في الشروط والإجراءات التي تباشر من خلالها<sup>(٣٠)</sup> لذلك فإن أمر الرقابة القضائية بدعوى الإلغاء لا يعهد إلى أية محكمة من المحاكم الإعتيادية، أنها إلى أعلى محكمة اعتيادية في الدولة بالإضافة إلى اختصاصها بالنظر في مختلف الدعاوى المدنية والجزائية، تنظر كذلك في الدعاوى المقلمة على القوانين التي يدعي أنها تخالف الدستور، فأمر الرقابة على دستورية القوانين قد عهد إلى أعلى درجة من درجات المحاكم الإعتيادية وذلك لأهمية موضوع الدعوى والتائج المتربّبة على اصدار المحكم في هذه الدعوى ، وهو الغاء القانون اذا ثبت مخالفته للدستور<sup>(٣١)</sup> ، من أمثلة هذه النظم المحكمة الفيدرالية في سويسرا حيث لا يوجد محكمة انشأ خصيصاً للنظر في دستورية القوانين وإنما عهد بهذه المهمة من قبل الدستور الفيدرالي، م ١١٣ ، ف ٣) إلى المحكمة الفيدرالية التي تمثل أعلى درجات المحاكم الإعتيادية، وكذلك دستور كولومبيا لعام ١٨٨٦ (م ١٥١) ودستور هايتي لعام ١٩٢٨ (م ٩٩) وكذلك دستور فنزويلا لعام ١٩٣١ .<sup>(٣٢)</sup>

لكن أعطاء المحكمة مكنة الغاء القوانين التي يضعها المشرع الإعتيادي ، قد يجرها إلى الدخول في صراع مع هذا المشرع وهو القابض الحقيقي على السلطة في الدولة ، لذلك نجد ان الإتجاه العام للدساتير هو اعطاء مكنة الرقابة على دستورية القوانين لمحكمة شكلت خصيصاً لهذا الغرض ، كما ان تشكيلاً هذه المحكمة يرعى فيه ، الناحية السياسية بحيث يكون لأعضائها (أو لبعضهم) تاثيراً سياسياً لأنهم يتمتعون بقوة سياسية أو يمثلون قوى سياسية ، فالأمر الذي يمنح هذه المحكمة القدرة يجعل احكامها أكثر قبولاً من قبل القابضين على السلطة.<sup>(٣٣)</sup>

ومن أمثلة الدولة التي أخذت بهذا النوع هو دستور النمسا لعام ١٩٢٠ والمحكمة الدستورية الإتحادية في ظل دستور المانيا الإتحادية لعام ١٩٤٩ المادة (٩٣ ف ٢) التي صدر قانونها عام ١٩٥١ ، وكذلك في العراق في ظل دستور العراق لعام ٢٠٠٥ حيث انماط مهمة الرقابة على دستورية القوانين الى المحكمة الإتحادية العليا بموجب المادة (٩٣ / أولاً).

#### الفرع الثاني: الرقابة القضائية بطريق الدفع بعدم الدستورية

تعني ان القاضي يهمل القانون الغير دستوري بمعنى أنه يمتنع عن تطبيقه في القضية المطروحة أمامه، وهذا القضاء لا ينهي حياة القانون الغير دستوري ، وإنما يستمر هذا القانون المعيب دستورياً.<sup>(٣٤)</sup>

(٢٩). د. احسان المفرجي آخر، مصدر سابق، ص ١٧٧.

(٣٠). د. ابراهيم درويش، مصدر سابق، ص ٢٢٢.

(٣١). د. منذر الشاوي، معنى الرقابة على دستورية القوانين، مصدر سابق، ص ١٣.

(٣٢). د. احسان المفرجي وآخرون، مصدر سابق، ص ١٧٧.

(٣٣). د. منذر الشاوي، نظرية الدستور، مصدر سابق، ص ٦٣.

(٣٤). د. ابراهيم درويش، مصدر سابق، ص ١٩٢.

وتعتبر الرقابة القضائية بطريق الدفع وسيلة دفاعية هدفها التخلص من تطبيق قانون دون المساس به ، في حين الرقابة بطريق الدعوى المباشرة تعتبر هجومية هدفها الغاء القانون الغير دستوري .<sup>(٣٥)</sup>

لذلك فإن هذه الطريقة لا تتضمن إقامة الدعوى على القانون المشكوك بدستوريته وإنما تتضمن التخلص من تطبيقه على شخص معين في دعوى مدنية (المطالبة بدين) أو جزائية (أي أبقاء عقوبة الحبس) أقيمت أمام محكمة انتيابية (مدنية أو جزائية) فالمدعى عليه الذي تردد أداته وفقاً لقانون معين يدفع بأن القانون المذكور يخالف أو يناقض الدستور، وبالتالي لطلب عدم تطبيقه في القضية التي قدم من أجلها للمحاكمة ، إذن الدعوى بين شخصين وليس بين شخص وقانون ما).<sup>(٣٦)</sup>

وقرار المحكمة بالإمتناع عن تطبيق القانون يتمتع بمحاجية نسبية لأن أثره يقتصر على أطراف الدعوى فقط ، ذلك لأن المحكمة لا تلغى القانون الذي أقرت عدم دستوريته ، بل تكتفي بعدم تطبيقه في القضية المعروضة أمامها ، وقرار المحكمة هذا غير ملزم بالنسبة للمحاكم الأخرى ، وليس هنالك ما يمنع من الناحية النظرية نفس المحكمة من تطبيق نفس القانون في قضية أخرى مشابهة ، اذا لم يدفع أحد الخصوم بعدم الدستورية ، إلا أن المبدأ الذي يقضى بأن تحترم المحاكم الدنيا المحاكم التي تتمتع بقراراتها بقوة السوابق يجعل من الناحية العملية الكلمة الأخيرة في دستورية القوانين للمحكمة العليا ، كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية بحيث يساوي إعلانها عدم دستورية قانون معين الغاء .<sup>(٣٧)</sup>

وتعتبر الولايات المتحدة الأمريكية سابق الدول التي تبنت هذا النوع من الرقابة القضائية ، وقد ساعدت عدة عوامل في إقامة هذا النوع من الرقابة في أمريكا ، من هذه العوامل هي ١ - صفة الجمود التي تميز بها الدستور الأمريكي والتي تعود إلى عوامل تاريخية وشكل الدولة الاتحادي ، وأخيراً الجهد الذي بذلتها المحكمة العليا .<sup>(٣٨)</sup>

لذلك فالمحاكم الأمريكية لا تلغى القانون الذي ثبت عدم دستوريته ، بل تكتفي بعدم تطبيقه في القضية المعروضة أمامها .<sup>(٣٩)</sup>

ولكن القضاء الأمريكي لم يتوقف عند هذا الحد في ممارسته للرقابة على دستورية القوانين بل خلق وسائل أخرى من شأنها التوسيع في هذه الرقابة ويرزت مظاهر هذا التوسيع عن طريق النفس الواسع للنصوص الدستورية من ناحية ، وابتداع صور أخرى للرقابة من ناحية أخرى وتتضمن هذه الوسائل ، (عدم انتهاك شرط الإجراءات القانونية الصحيحة ، مراعاة قاعدة المقلولة ، الرقابة بطريق الأمر القضائي ، وحماية وأحترام الشروط الخاصة بحماية الحريات والفردية والرقابة القضائية بطريق الإعلان القضائي ، الحكم التقريري ).<sup>(٤٠)</sup>

## المطلب الثاني : تطبيق الرقابة على دستورية القوانين في ظل دستور العراقي لعام ٢٠٠٥

بعد أن كان دستور العراق لعام ١٩٧٠ قد تجاهل تنظيم الرقابة على دستورية ولم يتطرق لها ، ولكن بعد أن تبدل النظام السياسي في العراق عام ٢٠٠٣ ، وضع قانون ادارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية

(٣٥). د. احسان المفرجي وآخرون ، مصدر سابق ، ص ١٨٢ .

(٣٦). د. منذر الشاوي ، نظرية الدستور ، مصدر سابق ، ص ٦٤ .

(٣٧). د. احسان المفرجي وآخرون ، مصدر سابق ، ص ١٨٢ .

(٣٨). د. ابراهيم درويش ، مصدر سابق ، ص ١٩٣ .

(٣٩). د. منذر الشاوي ، معنى الرقابة على دستورية القوانين ، مصدر سابق ، ص ١٥ .

(٤٠). د. احسان المفرجي وآخرون ، مصدر سابق ، ص ١٨٨ .

فقد نظم موضوع الرقابة على دستورية القوانين في المادة (٤٤) منه (أ)- يجري تشكيل محكمة في العراق بقانون وتسمى المحكمة الإتحادية العليا.

ب- تختص المحكمة الإتحادية العليا بما يأتي : ..... ٢. الإختصاص الحصري والأصل ، وبناء على دعوى من مدع او بناء على حالة من محكمة أخرى ، في دعوى بأن قانوناً أو نظاماً أو تعليمات صادرة عن الحكومة الإتحادية أو الحكومات الإقليمية أو إدارات المحافظات والبلديات والإدارات المحلية لاتفاق مع هذا القانون).

وكذلك نصت نفس المادة في الفقرة ٣/ج حيث نصت (إذا قررت المحكمة العليا الإتحادية أن قانوناً أو نظاماً أو تعليمات جرى الطعن بها أنه غير متفق مع هذا القانون يعد ملغياً).

وبالفعل صدر القانون الخاص بالمحكمة رقم (٣٠) لسنة (٢٠٠٥) الذي ظل نافذ لحد الآن ، ويناقش في مجلس النواب الآن مشروع قانون المحكمة الأتحادية الجديد ، حيث نظم الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ حالياً موضوع الرقابة على دستورية القوانين بموجب المادة ٩٣ منه التي نصت على (تختص المحكمة الإتحادية العليا بما يأتي ١. أولاً الرقابة على دستورية القوانين والأنظمة النافذة. ثانياً تفسير نصوص الدستور.....).

وعليه نلاحظ من كل ما تقدم أن قانون ادارة الدولة العراقية للمرحلة الإنقالية ودستور العراق لعام ٢٠٠٥ قد أثناط مهمة الرقابة على دستورية القوانين الى هيئة قضائية وهي المحكمة الإتحادية العليا وعلى أن يتم تنظيم عمل المحكمة بموجب قانون يصدر من قبل مجلس النواب يحدد فيه اختصاصات المحكمة وعدد القضاة وشروط الخواصتهم وطريقة العمل داخل المحكمة.

وقد صدر فعلاً القانون الخاص بالمحكمة الإتحادية العليا رقم (١) لسنة ٢٠٠٥ (النظام الداخلي لسير العمل داخل المحكمة) في ظل قانون ادارة الدولة العراقية للمرحلة الإنقالية واستمر العمل حتى في ظل دستور العراق لعام ٢٠٠٥ ، وقد عمل مجلس الوزراء على صياغة مشروع قانون المحكمة الإتحادية الجديد ليصدر وفقاً لأحكام الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ ، وهو الآن في مجلس النواب يجري مناقشته لأقراره.

عليه سوف تقوم بتسليم الضوء على تشكيل هذه المحكمة وأختصاصات المحكمة وفقاً لقانون المحكمة رقم (١) لسنة (٢٠٠٥) ولنظام المحكمة الداخلي رقم (٣٠) لسنة (٢٠٠٥) مع الإشارة لما جاء به مشروع قانون المحكمة الإتحادية الجديد.

#### الفرع الأول : تكوين المحكمة الإتحادية العليا

(تألف المحكمة الإتحادية العليا من رئيس وثمانية أعضاء يجري تعيينهم من مجلس الرئاسة بناء على ترشيح من مجلس القضاء الأعلى بالتشاور مع المجالس القضائية للأقاليم وفق ما هو منصوص عليه في الفقرة ه من مادة رقم الرابعة والأربعين من قانون ادارة الدولة العراقية للمرحلة الإنقالية) م / ٣ / من قانون المحكمة الإتحادية العليا رقم (٣٠) لسنة (٢٠٠٥) ، إذن فإن تشكيل المحكمة الإتحادية يتم من تسع قضاة رئيس وثمانية أعضاء ويتم تعيينهم من قبل مجلس رئاسة الجمهورية بناء على ترشيح من قبل مجلس القضاة الأعلى والمجالس القضائية للأقاليم.

أما بالنسبة لمشروع قانون المحكمة الإتحادية الجديد فإن تشكيل المحكمة مختلف تماماً حيث اشارة المادة (٢) منه تكون المحكمة من (١٣) شخص رئيس ونائب للرئيس وأحد عشر عضواً وعلى النحو الآتي :

أولاً : هيئة قضائية تتكون من رئيس المحكمة ونائب للرئيس وسبعة أعضاء.

ثانياً : الهيئة الإستشارية تتكون من أربعة مستشارين اثنان من خبراء الفقه الإسلامي واثنان من فقهاء القانون ، على أن يكون للمحكمة عضوان أحدياً من قضاة محكمة التمييز يختارهما رئيس المحكمة ليحل

أحدهما عند غياب أحد أعضاء المحكمة الأصلين وكذلك عضوان أحياط من خبراء الفقه الإسلامي وخبراء القانون في حال غياب أو تعذر حضور أحد المستشارين الأصلين.

أما بالنسبة إلى طريقة تعيين أعضاء الهيئة القضائية بالمحكمة فقد أشارت المادة (٤) من مشروع قانون المحكمة الإتحادية، يتم ترشيح أعضاء الهيئة القضائية من مجلس القضاء الأعلى على أن يكون لهم خدمة قضائية لا تقل عن (٢٠) سنة ويتم اقتراح لكل منصب ثلاث مرشحين يتم اختيار أحدهم من قبل رئيس الجمهورية ويعينون بمرسوم جمهوري.

أما هيئة المستشارين فتقوم وزارة التعليم العالي بترشيح أربعة مرشحين من بين فقهاء القانون على أن يتم اختيار اثنين من قبل مجلس الوزراء بعد موافقة مجلس النواب بالأغلبية المطلقة ويعينان بمرسوم جمهوري.

وكذلك يرشح ديواناً الوقف الإسلامي أربعة مرشحين من بين خبراء الفقه الإسلامي، يتم اختيار اثنين من قبل مجلس الوزراء بعد موافقة مجلس النواب بالأغلبية المطلقة ويعينان بمرسوم جمهوري.

على أن يكون جميع أعضاء المحكمة سواء هيئة قضائية أو مستشارين أن تكون خدمتهم لا تقل عن (٢٠) سنة في مجال اختصاصهم، كما أشارت المادة (١٣) من نفس المشروع على أن يكون دور المستشارين هو فقد الإسهام في مداولات المحكمة دون الإشتراك في اصدار القرار.

ولدينا بعض الملاحظات على تشكيل المحكمة الإتحادية وفق مشروع قانون المحكمة الإتحادية وهي الآتي :

١. لقد قسم المشروع أعضاء المحكمة إلى فئتين هيئة قضائية تكون صاحبة القرار وهيئة استشارية تعمل على تقديم المشورة فقط ، ونرى أن لا يمبر لها التقسيم وذلك أن عمل المحكمة هو ليس فقط قضائي وإنما تختص كذلك في تفسير نصوص الدستور، كذلك فإن مادرج عليه العمل في أغلب دول العالم هو عدم التمييز بين أعضاء المحكمة.

٢. لقد أجاز القانون أن يتم اختيار الهيئة القضائية بترشيح من مجلس القضاء الأعلى وموافقة رئيس الجمهورية فقط ، وهذا أمر غريب ، حيث وأشار نفس المشروع إلى اعتبار رئيس المحكمة بدرجة رئيس الوزراء ورئيس مجلس النواب وأعضاء المحكمة بدرجة الوزير لذلك كان لابد من المساواة في اختيارهم وجعل تعينهم بموافقةأغلبية المطلقة من مجلس النواب ، بالإضافة لذلك ان مشروع القانون قد جعل الهيئة القضائية هي التي تصدر القرارات لذلك كان الأخرى أن يشدد في اختيارهم.

في حين نرى أنه تشدد في اختيار المستشارين حيث تتطلب موافقة مجلس النواب بالأغلبية المطلقة وجعل اختصاصهم هو فقط المشاركة في مداولات المحكمة.

٣. ان الدور الذي يتطلع به المحكمة كبير وخطير جداً ، وينبع ذلك الخطر من اختصاصات المحكمة ، التي تشكل مساساً بمبدأ الفصل ما بين السلطات حيث لها الحق بالغاء قوانين مشرعة من قبل مجلس النواب سواء قوانين اتحادية أو مشرعة من قبل الأقاليم وكذلك اختصاصاتها في حل النزاعات بين الحكومة الإتحادية والأقاليم لذلك لابد من مراعاة ذلك في تشكيل المحكمة من حيث ضمان تمثيل مناسب في أعضاء المحكمة من قبل السلطات القضائية في الأقاليم ويكون ذلك على الأقل في حق السلطات القضائية في الأقاليم في المشاركة في ترشيح أعضاء المحكمة.

#### الفرع الثاني: اختصاصات المحكمة الإتحادية العليا

لقد حدد قانون ادارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية ودستور العراق لعام ٢٠٠٥ اختصاصات متعددة للمحكمة الإتحادية ، وما يهمنا هو اختصاصها في الرقابة على دستورية القوانين .  
تتولى المحكمة الإتحادية العليا الرقابة على دستورية القوانين على الوجه التالي :

تمارس المحكمة مهمة الرقابة على دستورية القوانين من خلال اربع حالات وفقاً لما حدده النظام الداخلي رقم (١) لسنة (٢٠٠٥) وطبقاً للمادة (٤٤) من قانون ادارة الدولة العراقية للمرحلة الإنقالية وهي :  
أ. اذا طلبت احدى المحاكم من تلقاء نفسها ، اثناء نظرها دعوى ، البت في شرعية نص في قانون او قرار تشريعي او نظام أو تعليمات يتعلق بتلك الدعوى فترسل الطلب معللاً الى المحكمة الإتحادية العليا للبت فيه . (م/٣) من النظام الداخلي للمحكمة.

ب. اذا طلبت احدى المحاكم الفصل في شرعية نص في قانون او قرار تشريعي او نظام او تعليمات او امر بناء على دفع من احد الخصوم بعدم الشرعيه فيكلف الخصم بتقديم هذا الدفع بدعوى وبعد استفتاء الرسم عنها تبت في قبول الدعوى فإذا قبلتها ترسلها مع المستندات الى المحكمة الإتحادية للبت في الدفع بعدم الشرعيه وتتخذ قراراً باستئناف الدعوى الأصلية للنتيجة ، اما اذا رفضت الدفع فيكون قرارها قابلاً للطعن امام المحكمة الإتحادية العليا . م / ٤ من النظام الداخلي للمحكمة.

ج. اذا طلبت احدى الجهات الرسمية ، بمناسبة منازعة قائمة بينها وبين جهة أخرى الفصل في شرعية نص في قانون او قرار تشريعي او نظام او تعليمات او امر ، فترسل الطلب بدعوى الى المحكمة الإتحادية العليا ، معللاً مع اسانيده ، وذلك بكتاب بتوقيع الوزير المختص او رئيس الجهة غير المرتبطة بوزارة . م / ٥ .

د. اذا طلب مدع ، الفصل في شرعية نص في قانون او قرار تشريعي او نظام او تعليمات او امر فيقدم الطلب بدعوى مستوفية للشروط المنصوص عليها في قانون المرافعات على أن تقدم الدعوى بواسطة محام ذي صلاحية مطلقة على أن تتوافق في الدعوى الشروط التالية :

١. أن تكون للمدعي في موضوع الدعوى مصلحة حالة مباشرة ومؤثرة في مركزه القانوني أو المالي أو الاجتماعي .

٢. أن يقدم المدعي الدليل على أن ضرراً واقعياً قد لحق به من جراء التشريع المطلوب لقاوه .

٣. أن يكون الضرر مباشرًا ومستقلًا بعناصره ويمكن إزالته إذا ما صدر حكم بعدم شرعية التشريع المطلوب الغاؤه .

٤. أن لا يكون الضرر نظرياً أو مستقبلياً أو مجهولاً .

٥. أن لا يكون المدعي قد أستفاد بجانب من النص المطلوب الغاؤه .

٦. أن يكون النص المطلوب الغاؤه قد طبق على المدعي فعلاً أو يراد تطبيقه عليه . (م/٦)  
وعليه نلاحظ من كل ما تقدم أنه اختصاص المحكمة في الرقابة على دستورية القوانين واسع حيث حدد النظام الداخلي للمحكمة وفقاً للدستور الإنقالى لعام ٢٠٠٤ جهات متعددة لها الحق في الطعن بعدم الدستور سواء ان كان ذلك بمناسبة نزاع أو بدون نزاع .

حيث اعطى الحق للمحاكم العادلة اذا رأت اثناء نظر نزاع معين ن قانوناً غير دستوري فلها أن تطعن به من تلقاء نفسها ، كذلك فقد أعطى الحق لممثلي الدعوى أن تطعن بقانون أو قرار أو لائحة أوامر غير دستورية أمام المحكمة الإتحادية العليا بصورة مباشرة .

كذلك أعطى الحق للأفراد الطعن بقانون من خلال طريقين الأول في حالة وجود نزاع أمام المحكمة وطعن أحد الخصوم بعدم دستورية قانون المراد تطبيقه عليه فيقدم للمحكمة العادلة الطعن مع الأسانيد القانونية فلها قبول الطعن ونرى لطعن يعد استيفاء الرسم الى المحكمة الإتحادية العليا ولها رفض الطعن اذا رأت ان الادلة غير كافية ويكون قرارها برفض الطعن قابلاً للطعن به أمام المحكمة الإتحادية العليا ، أما الطريق الثاني وهو الطعن بصورة مباشرة من قبل الفرد أمام المحكمة الإتحادية العليا وبدون مناسبة أو نزاع ولكن حدد شروط سابقاً ، ونرى أنه قد تشدد بصورة كبيرة جداً على الفرد من حيث تطلب أن يكون هناك ضرر وأن يكون واقعاً وان المدعي لم سبقاً ومن تطبيق القانون حيث نرى أنه لا يمبرر لمثل هذه

الشروط حيث ان الغاية هو الوصول الى قانون مطابق للدستور سواء ضرراً أو لا سوء استفاد منه المدعى او لا.

## الخاتمة

لقد تبين لنا مما تقدم ان الرقابة البرلمانية التي يمارسها البرلمان على عمل السلطة التنفيذية تمارس من أجل ضمان عدم خروج السلطة التنفيذية عن اختصاصاتها المحددة في الدستور وتجاوزها على اختصاصات السلطات الأخرى كما أنها تمارس من أجل حماية حقوق الأفراد وحرياتهم، كذلك تبين لنا مما تقدم ان الرقابة على دستورية القوانين لا يمكن أن تؤدي الى ضمان علوية الدستور إلا من خلال ضمان حياد الهيئة التي تمارس الرقابة على دستورية القوانين.

وعليه توصلنا الى عدة نتائج من خلال بحثنا (القيود الدستورية على عمل السلطة التنفيذية والتشريعية في العراق)، وكذلك لدينا بعض المقترنات التي نود أن نطرحها على المشرع عسى أن تأخذ طريقها الى التطبيق.

## أولاً // النتائج

١. أن دور الرقابة البرلمانية على عمل السلطة التنفيذية مختلف بإختلاف النظام السياسي ففي النظام الرئاسي يكون دورها ضعيف بسبب قلة الأدوات المتوفرة لها بينما نجد أن دور الرقابة البرلمانية بين النظام البرلماني دور فعال بسبب توافر الأدوات الالزمة لقيامه.

٢. إن نجاح الرقابة البرلمانية يعتمد على توافر عدة عوامل منها توفير الأدواء والمعلومات التيتمكن العضو من ممارسة دوره من خلال إعطاء الحق في الإطلاع على كافة الإجراءات التي يقوم بها السلطة التنفيذية في أي أمر معين، كذلك على قدرة العضو والرغبة لديه في ممارسة دوره الرقابي كما ويعتمد على الأوضاع السياسية في البلاد فقد رأينا ان النظام البريطاني على الرغم من وجود الأدوات الالزمة لقيام العضو بدوره الرقابي.

إلا أنه بسبب تمسك العضو بجزء يمنع من استخدام الرقابة من ممارسة عمله، وهذا فعلاً ما يحدث في العراق حالياً حيث أن الدستور العراقي والنظام العراقي وفر كافة المستلزمات والأدوات التي تتيح للعضو من ممارسة عمله ولكن، هنالك عدة أسباب أدت إلى عدم قيام النائب بدوره الحقيقي وأهمها هي :

أ. الإنتماء الشديد من قبل العضو للحزب الذي يتبع له وبالتالي يمنعه من استخدام دوره الرقابي عندما يكون موجهاً الى الوزير المسؤول الذي يتبع نفس الحزب.

ب. الحكومة الإئتلافية التي تضم كافة الأحزاب الفائزة في الإنتخابات مما يؤدي الى إنعدام المعارضة البرلمانية مما يؤثر وبصورة كبيرة جداً على أداء البرلمان الرقابي.

ج. حداثة التجربة السياسية الديمقراطية في العراق، حيث أن التجربة الديمقراطية حديثة التكوين في العراق مما يؤدي الى تقليل الخبره والتجارب السابقة التي تؤدي الى عدم توافر الثقة لدى النائب أنه ممكن أن يمارس دوره بشكل مؤثر.

د. الظروف الإستثنائية التي مرت بها البلاد وما شهدته من حرب طائفية مما أدى سكوت الكثير من الأعضاء من ممارسات خطأة في عمل السلطة التنفيذية لأنه كان يتخوف أن يحاسب الظعن بعمل السلطة التنفيذية ليس على أساس موضوعي وإنما على أساس طائفي أو عرقي أو مذهبي مما أضطرر من الكثير من أعضاء مجلس النواب من عدم ممارسة دورهم الرقابي من أجل ضمان إستقرار الأوضاع في البلاد.

نص المادة (٩٣) من دستور العراق لعام (٢٠٠٥)

٣. ان الرقابة على دستورية القوانين تمارس من أجل حماية نصوص الدستور من خروج السلطة التشريعية على نصوصه.
٤. ان الرقابة على دستورية القوانين في العراق هي رقابة قضائية حيث أثاط الدستور العراقي مهمة الرقابة الى هيئة قضائية وهي (المحكمة الإتحادية العليا) بوجب نص المادة (٩٣) من دستور العراق لعام ٢٠٠٥.
٥. إن الرقابة القضائية على دستورية القوانين في العراق هي رقابة (الغاء) حيث نص قانون المحكمة الإتحادية العليا رقم (١) لسنة (٢٠٠٥) يكون قرار المحكمة ملزماً لجميع هيئات الدولة وغير قابل للطعن به (بات) ويؤدي الى الغاء القانون من تاريخ صدور قرار المحكمة مالم ينص القرار على خلاف ذلك.

### **ثانياً // المقترنات**

١. لقد أصبح واضحاً لنا الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ والنظام الداخلي لمجلس النواب قد أعطى حرية كبيرة لعضو البرلمان في ممارسة دوره الرقابي لكن الذي يحصل في إمتناع الكثير من أعضاء مجلس النواب من ممارسة دورهم الرقابي هو أنهم لم يأتوا عبر صادق الإقرار بل عن طريق قوائهم التي أوصلتهم الى مقاعد مجلس النواب وبالتالي يكونون أصوات مدافعة عن أحزابهم التي أوصلتهم الى مجلس النواب لا أصوات معبرة عن إرادة الشعب وبالتالي تقترح بإتالي سن قانون إنتخابات جديد بضمن وصول الأشخاص الى البرلمان بعدد كافي من الأصوات الذي يؤهله لذلك.
٢. لابد من تفعيل الدور الرقابي للبرلمان يعد ضمن الدستور العراقي للعضو كافة مستلزمات دوره الرقابي من خلال تفعيل نصوص الدستور. وهذا يقع على عاتق مجلس النواب العراقي.
٣. لقد أطلعنا من خلال البحث على مشروع قانون المحكمة الإتحادية ولدينا بعض الملاحظات عليه أرتأينا أن نوردها عسى أن يؤخذ بنظر الإعتبار من قبل المشرع العراقي.
- أ. يتعلق بتشكيل المحكمة اقتراح أن تشكل من (١٣) عشر عضواً بدلاً من (١١) عضواً ويكون تسع أعضاء من القضاة الذين لا تقل مارستهم عن عشرين سنة في مجال عملهم، هذا مسارط عليه أغلب الدول التي أخذت بهذا النوع من المحكمة.
- ب. نرى بضرورة أخذ موافقة مجلس النواب على جميع أعضاء المحكمة وليس فقط على هيئة المستشارين وبأغلبية الثلثين وذلك للدور الخظير الذي تقوم به المحكمة.
- ج. أن تشارك هيئة المستشارين في اتخاذ القرار وليس فقط المشاركة في مشاورات المحكمة، وعليه تطالب بالغاء التقسيم في إعضاء المحكمة من هيئة قضاة وهيئة مستشارين بل أن يكون جميع الأعضاء هم أعضاء محكمة يشاركون في مداولات المحكمة وفي إتخاذ القرارات على حد سواء وذلك ان دور المحكمة لا يقتصر على إصدار القرار بل كذلك تختص في تفسير نصوص الدستور ايضاً.

### **المصادر**

#### **أولاً // الكتب**

١. د. إبراهيم درويش ، القانون الدستوري النظرية العامة ، والرقابة الدستورية ، دار النهضة العربية ، الطبعة ٤ ، القاهرة ، ٢٠٠٤ .
٢. د. احسان حميد المفرجي ، د. كطران زغير نعمة ، د. رعد ناجي الجدة ، النظرية العامة في القانون الدستوري والنظام الدستوري في العراق ، بغداد ، ١٩٨٩ .
٣. د. أمين عاطف صليبيا ، دور القضاء الدستوري في ارساء دولة القانون (دراسة مقارنة) ، مؤسسة الحديث للكتاب ، لبنان ، ٢٠٠٢ .

٤. د. أنور الخطيب، الأصول البرلمانية في لبنان وسائر البلدان العربية، دار العلم للملاتين، بيروت، ١٩٦١.
٥. د. أيهاب زكي سلام، الرقابة السياسية على أعمال السلطة التنفيذية في النظام البرلماني، عالم الكتب، ١٩٨٣.
٦. د. حامد ربيع، مذكرات في النظرية السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٨٧.
٧. د. عمرو هاشم ربيع، الرقابة البرلمانية في النظم السياسية دراسة في تجربة مجلس الشعب المصري، مركز الإهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠٢.
٨. د. فارس عمران، التحقيق البرلماني في مصر والولايات المتحدة ولحة عنه في بعض البلدان العربية، مجموعة النيل العربية، ١٩٩٩.
٩. د. محمد باهي ابو يونس، الرقابة البرلمانية على أعمال الحكومة في النظمتين المصري والكويتي، دار الجامعة الجديدة للنشر، ٢٠٠٢.
١٠. د. منذر الشاوي، القانون الدستوري، نظرية الدستور، منشورات البحوث القانونية، وزارة العدل، بغداد، ١٩٨١.
١١. د. منذر الشاوي، معنى الرقابة على دستورية القوانين، بلا سنة طبع، بلا مكان طبع.
١٢. المحامي وسيم حسام الدين الأحمد، الرقابة البرلمانية على أعمال الإدارة في النظام البرلماني والرئاسي، منشورات الخليلي الحقوقية، لبنان، ٢٠٠٨.
١٣. د. يحيى الجمل، النظام الدستوري في جمهورية مصر العربية، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٤.

#### ثانياً // القوانين

١. دستور العراق لعام، ٢٠٠٥.
٢. قانون إدارة الدولة العراقية للمرحلة الإنقلالية لعام ٢٠٠٤.
٣. قانون المحكمة الإتحادية رقم (١) لسنة ٢٠٠٥.
٤. مشروع قانون المحكمة الإتحادية العليا.
٥. النظام الداخلي للمحكمة الإتحادية العليا رقم (٣٠) لسنة ٢٠٠٥.
٦. النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي.

## تجليات الانبعاث والموت في الطللية والتموزية

### طللية لبيد بن ربيعة وتموزية السيّاب انموذجاً

#### (دراسة مقارنة)

د. ليلى نعيم عطية الخفاجي<sup>(١)</sup>

#### المقدمة

في هذا البحث لسنا بقصد العزف على قيارة الزمن وقضية التأثر والتأثير ، بل بقصد ابرازِ المشتركات الأساسية التي تجمع بين طللية العصر الجاهلي والقصيدة التمزية التي لمسنا صداتها واضحاً في قصائد الشعراة الرواد ، ومن هذه المشتركات قضية الانبعاث والموت التي تبدو تجلياتها واضحة في تلك القصائد. فالشاعر الجاهلي يقع تحت تأثير البيئة الصحراوية التي تمارس عليه نوعاً من أنواع الدهر تجسد في وقوفه على الطلل وما يمثله من دمار وخراب ، وللطلل برها نفسية يفرغ فيها الشاعر افعالاته وأحساسه المكتوبية لتكون تعويضاً عما يعيشه من قهر وحرمان. " ومadam الابداع الفني إنما ينبع من الرغبة في التخلص من ثقل يرهق البنية النفسية ، أي أنه تعويض يتم من خلال تفريغ الانفعالات"<sup>(٢)</sup>.

حظيت مطالع القصائد باهتمام النقاد القدامي والمحدثين ومنهم ابن قتيبة الذي قال "سمعت بعض أهل الأدب يذكر ان مقصد القصيد إما ابتدأ بذكر الديار والدمن والأثار فبكى وشكوا وخطاب الربع واستوقف الرفيق ليجعل لذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها... ثم وصل ذلك بالنسبي فشكوا شدة الوجد وألم الفراق ، وفرط الصباية والشوق ليميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجه ويستدعي به اصغاء الاسماع إليه ؛ لأن التشبيب قريب من القلوب ، لائط بالقلوب"<sup>(٣)</sup>.

أما ابن رشيق القيرواني فقد تفسيراً يقترب في جوهره من تفسير ابن قتيبة من حيث الصورة الظاهرة للدلالات المطالع في القصيدة فهو يرى ان الوقوف على الاطلال وافتتاح القصائد بالنسبي وربطه بالمكان يرجع إلى " ما فيه من عطف القلوب واستدعاء القبول بحسب ما في الطياع من حب الغزل ، والميل إلى اللهو والنساء ، وان ذلك استدرج إلى ما بعده"<sup>(٤)</sup>.

(١) المديرية العامة ل التربية الصرافة ، بغداد

(٢) مقالات في الشعر الجاهلي (يوسف اليوسف) : ٢٨ .

(٣) الشعر والشعراء : (ابن قتيبة) : ٢٠ .

(٤) العمدة ، (ابن رشيق) ، ج ١ : ٢٥٥ .

أما الباحثون المحدثون فقد آثروا الجانب النفسي في تفسيرهم والابتعاد عن الجانب التقليدي في مفهوم الطللية<sup>(٥)</sup>.

ويرى الدكتور محمود الجادر ان الطلل هو محاولة استرجاع الماضي المفقود<sup>(٦)</sup>، أما الدكتور عناد غروان اسماعيل فيرى فيه أنه رمز لتجربة الألم<sup>(٧)</sup>.

ومهما تعددت الآراء يبقى للجانب النفسي أثر كبير في تحديد مفهوم الطلل؛ لأن الوقوف على الطلل لم يكن تقليداً يتبعه الشاعر الجاهلي لافتتاح قصائده بل كان فضاءً نفسياً يشكل رؤاه النفسية في النظرة إلى الماضي ومواجهة الواقع المؤلم الذي فرضته عليه الطبيعة واستشراف المستقبل وما يحمله من تصورات في نمط ابداعي متكملاً البناء وواقع الحال أن الطللية أكثر من تعبير عن الواقع الجاهلي كقائم راهن، لأنها تجسّد برهة التحول من الماضي إلى المستقبل، إذ هي تختزن الماضي كنقيض مباشر للحاضر، وكمطابق صميمياً للمستقبل المأمول<sup>(٨)</sup>.

فالشاعر الجاهلي قد جمع في طلله صورتين متناقضتين هما الموت والحياة، وليس اجتماع هذين النقيضين في لحظة زمنية واحدة إلا تأكيداً لإحساسه بالتناقض الموجود في عالمه الذي يحيى فيه "فالشعور بالموت لا يمكن ان يكون شعوراً واعياً كالشعور بالحياة، بل هو شعور غایة في الخفاء، يظهر أحياناً في ظروف خاصة، متخدناً من الأيقونة أو الرموز مرة أخرى ما يضمن اختفاءه وان نم عليه"<sup>(٩)</sup>.

هذا ماذا نظرت إلى الطلل على انه شكل من أشكال التعبير الأدبي ونمط من الأنماط الفنية، أما من الناحية النفسية فهو انعكاس لذلك الصراع الأبدبي في نفس الإنسان وفي الحياة من حوله بين "ايروس" و"ثاناتوس" أي بين حب الحياة وغريزة الموت أو التخريب التي تعمل في صمت كما يقول فرويد<sup>(١٠)</sup>.

وعلى الرغم من التشابه الكبير بين الطللية والتمزية<sup>(١١)</sup>، هذا التشابه الذي يتجلّى في كون كلّ منها ينطوي على عنصر البكاء احتجاجاً على الجدب والقبح، كما تحتوي التمزية على العنصر الجنسي مندجاً اندماجاً عضوياً مع العنصر السابق المتمثل بمارسة نساء بابل للعملية الجنسية مع الأغراب في طقس معين هدفه الاخصاب واعادة الحياة إلى تموز إله الخصب. فنحن لا يسعنا إلا أن نقول ان الطللية استمرار للموروث التموزي السامي الذي ربما انتقل إلى ثقافات العرب البايدة في القرون السابقة على الجاهلية، غير اننا لا نملك الوثائق التاريخية التي تساعدنا في تقديم الحقائق المؤكدة<sup>(١٢)</sup>. إلا أنها نظر إلى الطللية بأنها نمط من أنماط طقوس الخصب والانفعال أمام الشح الذي تمارسه الطبيعة على الإنسان مدغوماً بعنصري

(٥) ينظر الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي (عبدالقادر فيدوح): ٢٤٧ حيث يذكر لنا ثلاثة انواع من التقسيمات من حيث كونها تعتمد النظرية النفسية ميدانياً لبحثها على وفق المناخي الآتية : ١) المنحى الوجودي النفسي. ٢) المنحى النفسي. ٣) المنحى الاجتماعي النفسي.

(٦) قراءة معاصرة في مقدمة القصيدة الجاهلية (الدكتور محمود الجادر) بحث: ٦

(٧) المرأة الغزلية في الشعر العربي (الدكتور عناد غروان): ٢

(٨) مقالات في الشعر الجاهلي (يوسف يوسف): ١٢٠.

(٩) روح العصر (الدكتور عز الدين اسماعيل): ٢١.

(١٠) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢.

(١١) الطللية القصيدة الجاهلية التي تبدأ بالوقوف على الاطلال والديار الدارسة للحجية بعد ارتحالها عنها، أما التمزية القصيدة الحديدة التي تتضمن اسطورة تموز إله الخصب والحياة.

(١٢) ينظر: مقالات في الشعر الجاهلي (يوسف يوسف): ١٣٨

انهيار الحضاري الذي يتمثل في الأطلال الدارسة والديار الخربة والانسان الجنسي الذي يتمثل بالحرمان من الحبوبة الراحلة<sup>(١٣)</sup>.

ان وقوف الشاعر الجاهلي على الطلل ليس من قبيل المصادفة أو المزاجية وإنما هي لحظة ذهنية نفسية شكلت رؤية الشاعر ونظرته إلى الكون وتناقضات الحياة والواقع تحت طائلة القهر والاستلام الذي تمارسه الطبيعة بحق الإنسان بصورة عامة والشاعر بصورة خاصة ، فالصراع بين البقاء والفناء والحياة والموت صراع أزلية منذ بدء الخليقة ولحد الآن ، والشاعر يسبح في فضاء هذا الصراع ويؤطره بفلسفته الخاصة.

ان الطبيعة بكل عناصرها تمارس ضغطاً تسلطياً على الشاعر وتحول إلى حشد من سقطات الذات عنده وقد مارست الطبيعة هذه الضغوط التسلطية على كل البشر وفي كل بقاع الأرض وهذا هو عبيد بن الأبرص يؤكد هذه الحقيقة المؤلمة بقوله:

أَرْضَ تَوَارِثُهُ ا شَعُوبَ  
فَكُلَّ مِنْ حِلَّهَا مُحْرُوبَ  
إِمَا قَتِيلًاً إِمَّا هَالِكًا  
وَالشَّيْبُ شَيْنٌ لِمَنْ يُشَيْبَ<sup>(٤)</sup>

فالقصيدة الطللية تعج بالألفاظ الدالة على القفر والجذب والقبح مثل "أفتر، قفر، امحت، الدار قفر، عفت" وهذه الألفاظ تعكس رؤية الشاعر بتوقف غريبة الحياة وانتصار قوة الموت وجبروته ، فهو القوة القادرة على القضاء على كل فعل انساني والأداة المخطمة لقدراته ، مما يستدعي من الشاعر الوقوف بوجهه التدمير والموت واستدعاء رموز الطبيعة الأخرى التي يبث من خلالها الحياة في طلله كالملط، الماء، عود الحيوانات وهذه الرموز تشکل حيزاً لا يستهان به في تغليب اراده الانبعاث والحياة على عناصر الخراب والموت والدمار وهذه الثنائية الضدية تؤطر حركة الابداع في قصيدة، ولو استعرضنا طللية الشاعر ليبد بن ربيعة العامري لوجدنا انها تتحرك في أبعد هذه الثنائية (الانبعاث والموت) بقوله :

عفت الديار محلها فمقامها	عفت تأبد غولها في جامها
فمدافع الريان عري رسماها	خلقاً كما ضمن الوحي سلامها
دمن تجرم بعد أنيسها	جيوج خلون حلالها وحراماها
رزقت مراييع النجوم وصابها	ودق الرواعد جودها فرهاماها
من كل سارية وغاد مدرج	وعشيّة متجاوب ارزاماها
فعلاً فروع الأيقان وأطفالت	بالجهلتين ظباءها ونعمها
والعين ساكنة على أطلالها	عوذأ تأجّل بالفضاء بهاماها
أو رجع واشمة أسف نورها	كيفاً تعرض فوهن وشاماها
فوقفت أسألها وكيف سؤالنا	صماماً خوالد ما بين كلامها
عررت وكأن بها الجميع فابكروا	منها وغودر نؤيهما وثمامها <sup>(٥)</sup>

ان بنية النص تقوم على أبعد الثنائية الأساسية (الانبعاث / الموت) ، فالديار الدارسة وما حلّ بها من بلاء ودمار بفعل الطبيعة (المتمثلة بأحد طرفي الثنائية - الموت) قد أينعت فيها رموز الطبيعة الأخرى من مطر دافق ، وارتفاع فروع الأيقان ، وتوالد الحيوانات ، والسيول التي أظهرت معالم هذه الديار ، الوشم " (الطرف الآخر للثنائية - الانبعاث).

(١٣) ينظر: مقالات في الشعر الجاهلي (يوسف يوسف): ١٣٩.

(١٤) الديوان: ٢٠.

(١٥) شرح الديوان: ٣٠٠ - ٢٩٧.

ان النص يكشف بوضوح عن قوة العامل الزمني في احداث صور التخرّب والدمار لهذه الديار وهذا استكناه للواقع الذي رأه الشاعر في وقفة تأملية أشعرته بهو الموت السحيقة التي عزّزها قوله "صُمًا خوالد" ويأسه القائل وعجزه عن لقاء الحبيبة. فاردها بفردات الخصب والانبعاث والنمو ورموز المواجهة وعناصر الحياة، فكان ودق الرواعد "المطر" الذي ساعد على نمو وارتفاع فروع الايهقان "النَّبْتُ الْبَرِّي" دليلاً على البعث والنمو. والشاعر الحديث ينظر إلى المطر على أنه البعض مثلما ينظر إليه الشاعر الجاهلي وإذا كانت نظرته هذه شعورية واعية مقصودة، فربما كان الشاعر الجاهلي ينظر إليه بوصفه كذلك ولكن بداعف لا شعوريّة بعيدة عن الصنعة والتقنية الأدبيتين<sup>(١٦)</sup>. كما ان احساس الشاعر الجاهلي بالمطر أكثر عمقاً وتأثيراً انطلاقاً من بيته الصحراوية التي يعيش فيها.

ان المطر يحمل معانٍ ودلائل متنوعة عند الشاعر، كما ان للمطر شحنات ايمائية يحشدتها الشاعر في طلله لطرحه كبديل للجدب والاقرار الذي أحال الطلل من حالة إلى أخرى مناقضة لها.

ان الشاعر هنا يعطي الطلل قدرة كبيرة على مواجهة عوامل الاندثار والخراب فكأنما يسلّح نفسه بعناصر المقاومة والتحمل والتصرّب للانفلات من واقع مؤلم إلى واقع يتماهى، واقع يحمل فيه بالحياة بكل أبعادها، حيث ان التوجه إلى الطلل هو في النهاية توجه إلى الذات، لأن الشاعر يجد في هذه الدار الخربة الدائرة صورة عن نفسه المنهمدة الرثة، لأن المجال المكاني مرآة تعكس له أوضاعه الداخلية المضطربة<sup>(١٧)</sup>.

فالشاعر يسعى جاهداً للانفلات من قبضة الواقع الأليم المتمثل بالديار الخربة التي عفا عليها الزمن، كما ان "الطلل رمز الزمن الذي يتسم رغم ما يشوبه من قسوة، المضي والانفلات بالايجابية الواضحة"<sup>(١٨)</sup>. والمطر رمز الخصوبة والنمو والحياة يطرحه الشاعر بدليلاً عن الجدب والقطط. وحضوره في الطللية إنما هو رمز واع في الدلالـة يجدد دورـة الحياة فنبثـ الحياة في الأرض والنـبات، وينتقلـ الطلـل من الموت إلىـ المـيلـاد، منـ الجـمـودـ إلىـ الحـرـكةـ والـحـيـويـةـ، منـ العـفـاءـ إلىـ الـخـصـبـ والنـمـاءـ.

كما ان عملية التوالد والانجاب بين الحيوانات اشارـة إلىـ عـمقـ الدـفـقـ الحـيـاتـيـ الذيـ أـضـفـاهـ الشـاعـرـ عـلـىـ طـلـلـهـ مـاـ يـعـزـزـ طـرـفـ الثـانـيـةـ الآـخـرـ (الـانـبعـاثـ)ـ وـيـعـزـزـ الشـاعـرـ طـلـلـهـ بـفـرـدـاتـ التـجـدـدـ والـانـبعـاثـ المـتـمـثـلـةـ بـالـوـشـمـ.ـ وـالـوـشمـ أـهـمـ إـشـكـالـ التـبـرـجـ والـزـيـنـةـ لـدـىـ الـرـأـءـةـ الـجـاهـلـيـةـ وـذـلـكـ الرـجـلـ عـلـىـ السـوـاءـ فـهـوـ التـبـرـجـ المـقـحـمـ عـلـىـ الـجـسـدـ لـيـغـدوـ جـزـءـاـ مـنـ فـهـوـ اـعـظـمـ مـنـ الـعـطـورـ وـالـمـسـاحـيقـ وـالـحـلـيـ.ـ وـاعـادـتـهـ اـعـادـةـ لـتـرـمـيمـ الـحـيـاةـ فـيـ هـذـاـ الـطلـلـ وـاصـلاحـ ماـ تـهـدـمـ مـنـهـاـ.

وهـنـاـ يـتـوارـدـ إـلـىـ الـذـهـنـ التـشـابـهـ الكـبـيرـ بـيـنـ الـعـمـلـيـةـ التـوـالـدـ بـيـنـ هـذـهـ الـحـيـوـانـاتـ وـالـطـقـوـسـ الـجـنـسـيـةـ الـتـيـ تـمـارـسـ فـيـ الـقـصـيـدةـ التـمـوزـيـةـ.

ان الصمت المطبق على هذا الطلل يعلم الشاعر ليد بن ربيعة كنهه، كما انه يدرك عبـيـةـ السـؤـالـ واستـحـالـةـ الـجـوابـ مـنـ تـلـكـ الـحـجـارـةـ الصـلـدـةـ الـتـيـ لـاـ تـفـقـهـ شـيـئـاـ،ـ فـيـدـوـ الشـاعـرـ حـاضـرـاـ وـمـسـتـعـداـ لـلـمـوـاجـهـةـ بـطـرـحـ الـبـدـيـلـ،ـ وـيـكـونـ الـبـدـيـلـ بـثـ الـحـيـاةـ وـالـرـغـبـةـ فـيـ اـنـبـاعـهـ مـنـ جـدـيدـ،ـ وـبـذـلـكـ تـتـحـقـقـ عـمـلـيـةـ التـواـصـلـ وـالـمـشـارـكـةـ الـوـجـانـيـةـ يـسـعـيـ إـلـىـ إـلـيـهـ.ـ فـالـقـدـمـةـ الطـلـلـيـةـ جـمـعـتـ بـيـنـ عـنـصـرـيـنـ أحـدـهـماـ يـذـكـرـ بـالـفـنـاءـ،ـ وـهـوـ الـأـطـلـالـ،ـ وـالـآـخـرـ يـذـكـرـ بـالـحـيـاةـ وـهـوـ الـحـبـ.ـ وـلـيـسـ اـجـمـاعـ هـذـيـنـ النـقـيـضـيـنـ:ـ الـحـيـاةـ وـالـفـنـاءـ فـيـ الـمـوـقـعـ الـوـاحـدـ،ـ وـارـتـبـاطـ أحـدـهـماـ بـالـآـخـرـ،ـ إـلـاـ تـأـكـيـداـ لـاـ حـسـاسـ الشـاعـرـ بـالتـاقـضـ الـعـامـ الـمـاـلـ سـوـاءـ فـيـ الـعـالـمـ الـخـارـجيـ أوـ عـالـمـ الـبـاطـنـيـ،ـ وـلـكـنـ هـذـاـ التـاقـضـ هـوـ الـذـيـ يـكـونـ سـرـ حـيـةـ الـإـنـسـانـ فـيـ حـدـ ذـاتـهـ،ـ بلـ سـرـ

(١٦) يـنـظـرـ:ـ مـقـالـاتـ فـيـ الشـعـرـ الـجـاهـلـيـ (يـوسـفـ الـيـوسـفـ):ـ ١٤٣ـ.

(١٧) فـيـ النـصـ الشـعـريـ الـعـرـبـيـ -ـ مـقـارـيـاتـ مـنـهـجـيـةـ (الـدـكـتوـرـ مـحمدـ بـلـوـحـيـ):ـ ٢٩٢ـ.

(١٨) قـرـاءـةـ ثـانـيـةـ لـشـعـرـنـاـ الـقـدـيمـ (الـدـكـتوـرـ مـصـطـفـيـ نـاصـفـ):ـ ١١ـ.

الوجود في كليته والبني وثنائية الحياة والفناء<sup>(١٩)</sup>. ويتخذ الطلل شكلاً انسانياً حين يحاول الشاعر أنسنته أي بث الروح فيه من خلال السؤال عن أهله وكأنه كائن حي تسرى فيه طاقة وحيوية فيعكس من خلالهما عمق المشاركة الوجدانية والاحساس بالألفة والانسجام، فإذا بالشاعر يخترق نظام الكون بأسره ليحاكي الجمامد ويجعل منه صديقاً وأنيساً يجاوره ويوجه إليه الأسئلة التي يبتغيها، ومثلكما كان هذا الطلل حلم الشاعر وحينيه وموطن ذكرياته فجيكور في توزية السياں هي الولادة الأولى وهي الأم الأبدية، كما أنها تتخذ شكلاً انسانياً يؤطره الشاعر بطافة الروح والفعل.

وتتجلى الصورة أمام لييد واضحة لا تقبل للبس، فالجميع قد غادر المكان، موطن الذكريات، وبمبعث اللذات إلى مكان آخر يجدون فيه الخصب والنماء ويعاولون الانفلات من قبضة الطبيعة وقللها، وهذا يجذب انتباها إلى هجرة أبناء القرية في توزية السياں إلى المدينة فتبعد جيكور حزينة هي الأخرى بعدما أصابها الجفاف وهجرها أهلها، إلى المدينة القاحلة، مدينة بلا حب، بلا ربيع تعيش في جفاف، روحي قاتل على العكس من جيكور الخصب والنماء.

وما يعزز مأساوية الشاعر في طلله ملاحقة هوادج النساء ومتابعتها وذكر تفاصيل رحيلها مدققاً في دخولهن الهوادج وصرير خيمهن وابتعادها عنه. ان دقة متابعته لحركة الهوادج يعكس عمقاً وجданياً وانكساراً نفسياً لديه وتوكده له حتمية الانفصال والفراق، ولهذا فإن "الطلل هو بيت الذكرى، ولأنه بين الذكرى "بيت الحلم" ويرتبط الحلم والذكرى بالحقيقة اذن غابة أسرار سعيدة"<sup>(٢٠)</sup>.

اما ارتباط الطلله بذكر فراق المرأة وجمالها ومحاسنها؛ فلأن المرأة هي التي تكمل الحضور الانساني للشاعر، وان نضوب ملامحها يعني تضييع الحياة الاجتماعية وانهيارها<sup>(٢١)</sup>.

فيقول الشاعر لييد بن ربيعة في لوحة الظعن:

فتكسوا قطناً تصير خيامها زوج عليه كلةٌ وقرامها وظباءٌ وجرةٌ عطفاً آرامها أجزاءٌ ييشةً أثلها ورضامها وتقطعت أسبابها ورمامها أهل الحجاز فاين منك مراماها فتضمنتها فردةٌ فرخامها	شاقتكم ظعنُ الحبي حين تحملوا مِنْ كِلِّ مَحْفُوفٍ يظلِّ عصيه زِجْلاً كَأَنْ نعاجَ توضِّحُ فوقها حفَرَتْ وزايلها السراب كأنها بِلِّ مَا تذَكَّرُ مِنْ نوارٍ وقد نأتْ مريمة حلَتْ بقيـد وجـاؤرتْ بـمشـارقـ الجـبـلـينـ أوـ بـمحـجـرـ
---	--

ان متابعة الشاعر لرحيل النساء وحركة الهوادج تبدو وكأنها "سعى للتواصل وأصرار على التمسك بهؤلاء النساء يتعارض مع حركة الانفصال والابتعاد التي تقطع صلة النساء بالمكان وبالشاعر"<sup>(٢٢)</sup>.

ويبدو حديث الظعن عند وهب رومية ينبعاً دافعاً من بنابع الشعر يجتمع عليه العشاق والقائل ومن طردتهم الحياة من مرابع اللهو والشباب الى منازل الشيخوخة، والذين فرت من ايديهم ساعات

(١٩) آيات الخطاب النقيدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي (الدكتور محمد بلوحى): ١٠٨.

(٢٠) نجاليات الحداثة - قراءة في الابداع العربي المعاصر (ماجد السامرائي): ٢٩.

(٢١) ينظر: في النقد الجمالي - رؤية في الشعر الجاهلي (الدكتور احمد محمود خليل): ١٤٧.

(٢٢) شرح الديوان: ٣٠٢ - ٣٠٠.

(٢٣) في النص الشعري العربي - مقاربات منهجية (الدكتور سامي سويدان): ٢٢١.

الصفو والعيش الرغيد فصاروا إلى ضيق الحال، أو هو القصيدة الجميلة التي يوقع عليها الشعراء انقام حياتهم في فرحتها وحزنها في النغم وينتفتون في التنويع<sup>(٢٤)</sup>.  
وهنا يمكن القول أن المرأة في حياة الشاعر الجاهلي رمز كرامته وكبرائه واحساسه بالرجلة وعنوان لذاته الحسية، فهو يبحث عنها في كل مكان.  
وتلاحق صور الحيوية التي يبئها الشاعر ليد في طلله فيطرح صورة الناقة العظيمة امتداداً لقوته الذاتية وتجسيداً على القدرة والتحمل فيقول:

ولشِّرِّ اصْلِ خَلَّةِ صَرَامَهَا باق اذا ظلعت وزع قوامها منها فاحتقَّ صُلُبُها وسَنَامُها وتقطعت بعْدِ الْكَلَالِ خَدَامُها صهباء حف مع الجنوبَ جهاماها طرب الفحول وضربيها وكمداها <sup>(٢٥)</sup>	فأقطع لِبَانَةَ من تعرُّض وصلَهُ واحب المُجَامِلَ بالجزيل وصرمهُ بطليع أسفار تركن بقيمة واذا تغالى لحمها وتحسرت فلها هِيَابٌ في الزمامِ كأنها أو ملمع وسقت لأحقب لاحَهُ
--	--

ان ناقة الشاعر ناقة قوية أنهكتها الأسفار، رشيقه ضامرة تقطع الفيافي والقفار بكل نشاط وحيوية، فهي قاتلة قيمة رمزية لمواجهة مخاطر الصحراء ففي وسط الجفاف والعدم تبدو الناقة بأوج قوتها وحيوتها، كما ان الناقة والأتان الوحشية العظيمة النشاط التي يشبه بها ناقه هما صورتان من صور النشاط والقوة، كما أنها حافلة بالتقاطعات الحادة بين القوة والضعف والفناء والحياة أما البقرة الوحشية شبيهة الناقة تمثل صورة الحياة بكل أبعادها بما تحمله من صراعات وتناقضات، فالبقرة التي افترس الوحش ولدها والتي تصارع كلاب الصياد تمثل صراع الحياة بكل تناقضاتها والمواجهة بينها وبين الصياد وكلابه هي مواجهة بين الحياة والموت وانتصار البقرة هو انتصار لإرادة الحياة والاستمرارية وتخطي العقبات الصلدة التي يواجهها

الشاعر :

خُذِلَتْ وَهَادِيَةَ الصُّوَارِ قَوَامَهَا عِرْضِ الشَّقَائِقِ طُوفِهَا وَبِغَامَهَا غَبْسِ كُوَاسِبِ لَا يَمِنْ طَعَامَهَا إِنَّ الْمَنَى لَا تَطِيشُ سَهَامَهَا يُرَوِي الْخَمَائِلُ دَائِمًا تَسْجَامَهَا فِي لَيْلَةِ كَفَرِ النَّجُومِ غَامَهَا بَعْجَوبِ أَنْقَاءِ يَمِيلُهُ هِيَامَهَا كَجْمَانَةِ الْبَحْرِيِّ سُلُّ نَظَامَهَا بَكْرَتْ تَزَلُّ عَنِ الشَّرِّي أَزْلَامَهَا سَبْعَ تَوَامَّا كَامِلًا أَيَامَهَا لَمْ تَبْلِهِ ارْضَاعَهَا وَفِطَامَهَا عَنْ ظَهَرِ غَيْبِ وَالْأَنْيَسِ سَقَامَهَا مَوْلَى الْمَخَافَةِ خَلْفَهَا وَأَمَامَهَا	أَفْتَلَكِ أَمْ وَحْشَيَةَ مَسْبُوَّةَ خَنْسَاءَ ضَيَعَتِ الْفَرِيرِ فَلِمْ يَرِمْ لَعْقَرِ قَهْدَ تَنَازِعِ شَلَوَهُ صَادَفَنِهَا غَرَّةً فَأَصْبَنَهَا بَاتَتْ وَأَسْبَلَ وَاكِفَ مِنْ دِيمَهُ يَعْلُو طَرِيقَةً مَتَهَا مَتَوَاتِرِ تَجْتَافُ أَصْلَأَ قَالَصَا مَتَبَذِّنَا وَتَضَيءُ فِي وَجْهِ الظَّلَامِ مَنِيرَهُ حَتَّى إِذَا اخْسَرَ الظَّلَامُ وَأَسْفَرَتْ عَلِهَتْ تَرَدَّدَ فِي نَهَاءِ صَعَادِهِ حَتَّى إِذَا يَئِسَّتْ وَأَسْحَقَ خَالِقَهُ فَتَوَجَّسَتْ رَزِّ الْأَنْيَسِ فَرَاعَهَا فَغَدَتْ كَلَا الْفَرَجِينِ تَحْسَبُ أَنَّهُ
--	---

(٢٤) ينظر: الرحلة في القصيدة الجاهلية (وهد رومية): ٢٢٦.

(٢٥) شرح الديوان: ٣٠٣ - ٣٠٤.

كالسميرية حدها وتمامها  
أن قد أحسم من الح توفِّ حمامها  
بدمٍ غودر في المكر سخامها  
واجتاب أردية السرابِ إكامها<sup>(٢٦)</sup>

فلحقنَ واعتكرت لها مدريّة  
لتذودهنِ وأيقنت إن لم تَذَدْ  
فتقصدت منها كسابِ فضرجت  
في تلكَ إذ رقص اللوامع بالضحى

ان البقرة لا تعرف موت ابنها وهي ماضية في البحث عنه في عيشية يائسة لا طائل منها، فالموت يترصد  
الأحياء بينما كانوا والمواجهة مع الموت مازالت مستمرة وهذا المشهد الفجائي الذي مرت به البقرة هو  
فجائحة الموت تجاه الحياة. ويبدو ان النص يستسلم لحكم الموت وحتميته لكن الحياة تنتقض من جديد  
وتعلن اصرارها على المواجهة في هذه اللحظة الحاسمة ويأتي المطر رمز الخصب والنماء لينفجر في سياق  
الموت :

يُرويُّ الْخَمَائِلَ دَائِمًا تَسْجَمُهَا  
فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النَّجُومُ غَمَامُهَا<sup>(٢٧)</sup>

ان هطول المطر هنا يأتي مسبلاً من ديمٍ يروي الخمائل بحركة هادئة وينحى البقرة ملذاً للالتحماء في ترنيمه  
وحدانية تمتليء بالمشاعر العاطفية، فالمطر لم يكن قوة تدميرية بل قوة مانحة للدفء والحياة والاحتماء.  
وينبش الفجر من قلب الليل "وتضيء في وجه الظلام منيرة" فتندفع البقرة إلى خضم الحياة معلنة  
انتصارها في مواجهة الموت لعالم الخصب والنماء ، لكنه انتصار يحمل بين طياته الآيس القاتل من فقدان  
ولدها ، فهي تعيش أزمة حادة ، أزمة فقدان والحزن ويأتي الموت مرة أخرى يترصد حباء البقرة فهي  
تسمع "رز الأنبياء" الصياد وتتهيأ للمعركة. ان الصراع الدائر بين البقرة وكلاب الصياد يمثل ثورة الشاعر  
على مواجهة معركة الحياة وغضض التناقضات التي يتحرك في فضائها ورفض الاستسلام للموت والرغبة في  
الحياة ، فالموت قد انقض بمخالبه ليفترس ولدها وهما الآن يحاول افتراسها. هذا الصراع الجدلية بين الحياة  
والموت صراع أزلي يبعث القلق في نفس الشاعر ، وتأكد صورة الانتصار عند البقرة والنجاة من الموت وهو  
انتصار الحياة ضد الموت وانباث النقيض من قلب النقيض<sup>(٢٨)</sup>.

وتتجدد رؤيا الانبعاث في وعي الشاعر والهامة من خلال العودة إلى الحبيبة "نوار" فيقول:

أو لِمْ تَكُنْ تَدْرِي نُوَارَ بِأَنِّي  
وَصَالَ عَقْدَ حِبَائِلِ جَذَامُهَا  
أَوْ يَعْتَلُقُ بَعْضُ النُّفُوسِ حِمَامُهَا  
طَلْقٌ لِذِيَّلِهَا وَنِدَامُهَا  
وَافِيَّتُ اذْ رَفَعْتُ وَعَزَّ مَدَامُهَا  
أَوْجُونَةٌ قَدِحَتْ وَفِضَّ خَتَامُهَا  
بِمُوْتَرْ تَأَتَالُهُ ابْهَامُهَا  
لَاْغِلَّ مِنْهَا حِينَ هَبَّ نِيَامُهَا<sup>(٢٩)</sup>

تَرَاكُ أَمْكَنَةً إِذَا لَمْ أَرْضُهَا  
بَلْ أَنْتُ لَوْ تَدْرِينَ كَمْ مِنْ لِيَّةَ  
قَدْ بَتْ سَامِرَهَا وَغَايَةَ تَاجِرَ  
أَغْلَيَ السِّبَاءَ بِكُلِّ أَدْكَنِ عَاقِرَ  
بِصَبُوحٍ صَافِيَّ وَجَذْبٍ كَرِينَةَ  
بَادِرَتْ حَاجَتَهَا الدِّجاجَ بِسُحْرَةَ

ان الصراع الوحشي بين البقرة وكلابها له صلة بالصراع الداخلي في ذات الشاعر وربما كان له صلة  
بفارق الحبيبة نوار ، فهو يتحدث عن جهل نوار بقدرتها على الوصال والفارق من خلال تساؤله المطروح

(٢٦) شرح الديوان : ٣٠٧ - ٣١٢.

(٢٧) شرح الديوان : ٣٠٩ .

(٢٨) الرؤى المقنعة (كمال ابو ديب) : ٨١.

(٢٩) شرح الديوان : ٣١٢ - ٣١٥.

الذي يشكل أزمة نفسية تعكس صراعه المستبطن كنوع من الاستدعاء الوجданاني لهذه المرأة ، كما ان حضور الخمرة في الايات السابقة نوع من أنواع استجلاب اللذّة تعويضاً عن لذة الاستمتاع بهذه الحبّية الغائبة ، فهو يندمج في الخمرة كاندماجه في المجتمع وحمایة قبيلته في الحرب واعالتها عن طريق الصيد وقيامه بالمسؤوليات الملقاة على عاته ، وهذا الاندماج يشير إلى حقيقة لا تقبل الشك إلى قدرته على بلوغ السلوك المثالى واستعداده للتواصل الاجتماعى لا برازه كقيمة عليا فهو يقول :

وَمَقْسِيمٌ يَعْطِيُ الْعَشِيرَةَ حُقُوقَهَا  
فَضْلًا وَذُو كَرْمٍ يَعْنِيُ عَلَى النَّدَى  
سَمْعَ كَسْوَبٍ وَغَائِبٍ غَنَمَهَا  
مِنْ مَعْشِرٍ سَنَتْ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ  
وَلَكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمَامُهُمْ<sup>(٣٠)</sup>

فالطلل كان مكاناً مسكوناً ممثلاً بالحضور الإنساني والمشاركة الوجدانية غير ان الجدب والموت والصراع القبلي أحدث انقلاباً مخيفاً فحال الطلل إلى فراغ موحش وصمت وطبق يتجسد فيه الغاء الملamus الإنسانية ، تفوح منه رائحة الموت . كما أنه "تجسيد للهزيمة التي تحقق بإرادة الإنسان ، وتدمير لرغبة الجماعة البشرية في التوطن والاستقرار ، وأشارت إلى الكآبة العميقـة إـزاء الوطن الذي يستلب قهـراً ، ويصـير يـابـاً"<sup>(٣١)</sup> . وهذا ينطبق تماماً على تموزية الشعـراء الروـاد في العـصر الـحـديث ، فالـسيـاب "يـجد معـالمـاـضـيـ هـذا خـرابـ ماـ اـنـ يـنـزعـ الـأـبـابـ عـنـهـاـ حتـىـ تـغـدوـ أـطـلاـلاـ"<sup>(٣٢)</sup> .

ان طللية لبيد تكشف عن عمق القبح الذي تمارسه الطبيعة على الإنسان وعمق الصراع النفسي والواقع المأسلي الذي يعيشـهـ فيـ هـذـهـ الطـبـيـعـةـ ،ـ إذـ تـعدـ الـطلـلـيـةـ اـحـدىـ النـماـذـجـ الـاـبـدـاعـيـةـ الـعـلـىـ الـتـيـ اـصـطـفـتـهـاـ فـلـسـفـةـ الـخـطـابـ الـشـعـريـ الـجـاهـلـيـ ،ـ لـتـحـمـلـ رسـالـةـ الـهـمـ الـاجـتـمـاعـيـ ،ـ وـاـنـ كـانـ هـذـاـ هـمـ مـمـزـجـاـ بـالـذـانـيـ إـلـاـ أـنـ فـيـ صـدـقـ التـعـرـفـ إـلـىـ الـوـاقـعـ وـتـنـاقـصـاتـهـ وـاـدـرـاكـ الـفـوـارـقـ الـمـوـجـوـدـةـ فـيـهـ وـقـدـ كـانـتـ مـحـنـةـ الشـاعـرـ الـجـاهـلـيـ تـمـثـلـاـ لـدـيـمـوـمـةـ الـحـيـةـ النـابـضـةـ بـالـحـرـكـةـ وـالـمـجـاهـدـةـ منـ أـجـلـ صـيـاغـةـ التـرـكـيبـ الـكـلـيـ لـلـوـعـيـ السـلـيمـ ،ـ وـاـنـ الشـعـورـ الـمـغـلـقـ بـالـزـمـانـ هـوـ الصـورـةـ الـجـوـهـرـيـةـ لـهـذـاـ التـرـكـيبـ الـكـلـيـ لـلـطـلـلـيـةـ الـذـيـ يـجـعـلـ جـمـيعـ التـرـكـيبـاتـ الـشـعـورـيـةـ الـأـخـرـىـ فـيـ حـيزـ الـامـكـانـ"<sup>(٣٣)</sup> .

وهـذاـ الـأـمـرـ يـنـطـبـقـ عـلـىـ مـحـنـةـ الشـاعـرـ السـيـابـ الذـاتـيـ الـتـيـ تـمـتـجـحـ بـحـثـةـ الـجـمـعـ وـتـنـاقـصـاتـهـ الـتـيـ بـدـتـ جـلـيةـ مـنـ خـلـالـ قـصـائـدـ الـتـمـوزـيـةـ الـتـيـ صـورـتـ الـوـاقـعـ الـمـحـيطـ أـعـظـمـ تصـوـيرـ وـجـهـادـ الشـاعـرـ فـيـ الـبـحـثـ عـنـ مـنـافـذـ حـيـوـيـةـ لـلـانـبـاعـ وـالـتـجـدـيدـ فـيـ سـيـاقـ الـنـكـوـصـ وـالـتـرـاجـعـ أـمـامـ الـقـهـرـ الـمـسـلـطـ عـلـىـ الـإـنـسـانـ لـكـنـ لـيـسـ بـالـطـرـيـقـةـ الـمـبـاشـرـةـ الـتـيـ عـرـضـ بـهـاـ الشـاعـرـ الـجـاهـلـيـ لـبـيـدـ بـنـ رـبـيـعـ الـعـامـرـيـ مـنـ خـلـالـ طـلـلـيـتـهـ الـتـيـ عـرـضـنـاـهـ ،ـ فـالـسـيـابـ استـخـدـمـ الرـمـزـ .ـ الأـسـطـوـرـةـ .ـ لـيـنـفـذـ مـنـ خـلـالـهـ إـلـىـ تـجـسـيدـ رـؤـاهـ الـنـفـسـيـ وـالـذـهـنـيـ وـالـفـكـرـيـ لـاستـجـلاءـ الـوـاقـعـ الـمـرـ بـكـلـ تـنـاقـصـاتـهـ.

يلجـأـ كـثـيرـ مـنـ شـعـراءـ الـقـصـيدةـ الـحـرـةـ إـلـىـ اـسـتـخـدـمـ الرـمـزـ فـيـ قـصـائـدـهـمـ لـضـرـورـةـ فـيـةـ تـهـدـفـ إـلـىـ تـكـيـفـ الـصـورـ الـشـعـرـيـةـ أوـ ضـرـورـةـ سـيـاسـيـةـ تـقـتضـيـ الـأـيـاءـ وـالـرـمـزـ لـعـدـمـ توـفـرـ الـحـرـيـةـ الـكـافـيـةـ لـلـتـعـبـيرـ عـنـ تـطـلـعـاتـهـمـ وـعـرـضـ آـرـائـهـمـ فـيـ جـوـ دـيـقـرـاطـيـ يـتـيحـ حرـيـةـ التـعـبـيرـ أوـ ضـرـورـةـ نـفـسـيـةـ تـعـلـقـ بـالـذـاتـ الـمـعـرـبةـ الـتـيـ لـاـ تـسـتـطـعـ الـاـفـصـاحـ عـمـاـ يـخـالـجـهـ إـلـاـ عـنـ طـرـيقـ الرـمـزـ .ـ فـالـرـمـزـ بـضـعـةـ مـنـ الـعـالـمـ الـإـنـسـانـيـ الـخـاصـ بـالـمـعـنـىـ"<sup>(٣٤)</sup> وـالـتـصـورـ

(٢) شـرحـ الـديـوانـ :ـ ٣١٩ـ ـ ٣٢٠ـ .

(٣١) فـيـ الـقـدـ الـجـاهـلـيـ .ـ رـؤـيـةـ فـيـ الشـعـرـ الـجـاهـلـيـ (ـ الدـكـتـورـ اـحمدـ مـحـمـودـ خـليلـ ) :ـ ١٤٤ـ .

(٣٢) تـجـلـيـاتـ الـحـدـاثـةـ .ـ قـرـاءـةـ فـيـ الـاـيـادـعـ الـعـرـبـيـ الـمـعاـصـرـ (ـ مـاجـدـ السـامـرـائـيـ ) :ـ ٣٨ـ .

(٣٣) آـلـيـاتـ الـخـطـابـ الـنـقـديـ الـعـرـبـيـ الـحـدـيثـ فـيـ مـقـارـنـةـ الشـعـرـ الـجـاهـلـيـ (ـ الدـكـتـورـ مـحـمـدـ بـلـوـحـيـ ) :ـ ١٠٦ـ .

(٣٤) الرـمـزـ الـشـعـرـيـ عـنـ الصـوـفـيـةـ (ـ عـاطـفـ جـوـدـتـ نـصـرـ ) :ـ ٧١ـ .

الرمزي " هو الذي يفسّر الرمز بوصفه أفضل صياغة ممكنة لشيء مجهول نسبياً فهو لا يمكن أن يكون أكثر وضوحاً أو أن يقدم على نحو ممیز" <sup>(٣٥)</sup> ، وقد أكثر شعراء القصيدة العربية المعاصرة من استخدام الرمز الأسطوري في تضاعيف قصائدهم لضرورة أملتها عليهم الآنية ؛ لأنَّ "الرمز يتميّز إلى الآنية وإلى عالم المعنى" <sup>(٣٦)</sup> . وللرمز الأسطوري خصائص وسمات أصلية جعلته يؤطر التجربة الشعرية بإطار يقوم "على التكثيف والادماج ، وصهر الأفكار المتماثلة ، ومزج المعاني المتشابهة حيث تندمج الحدود والفارق" <sup>(٣٧)</sup> .

وتعني الأساطير في اللغة : الأباطيل ، وأحاديث لا نظام لها كما ورد في لسان العرب لابن منظور <sup>(٣٨)</sup> . وقد عدّها بعض الباحثين " أنها تجربة حدسية ، أو رؤية حاول الإنسان بوساطتها فهم معانٍ الوجود المتناقضة ، واكتشاف طبيعة العلاقات والأشياء من حوله" <sup>(٣٩)</sup> . وعدّها آخرون "عنصراً وظيفياً راسخاً في الأدب ، وليس مجرد زخرفة" <sup>(٤٠)</sup> . فالأسطورة شبيهة بالرمز لكنها أكثر دلاله منه ، لأنها تحمل وقائع متعددة وشبكة متداخلة من الصيغ المعرفية التراثية في حين أن الرمز هو واقعة فقط. أما أهم ما يميز البنية الأسطورية هو اسلوب السرد الحكايلي والخوار ، وتقويم وحدتي الزمان والمكان ، والتجمسي بالصور الحسية والتكرار الذي تعتمده لتأكيد قضية مركبة ، والتعبير بالرؤيا بلغة بسيطة تحمل رؤية و موقفاً واضحاً من الوجود يقود هذه العملية زاوية تتنظم من خلاله الأحداث <sup>(٤١)</sup> .

وتبرز وظيفة الأسطورة على مستويين : الأول : بنائي فني ، والثاني : موضوعي يربط بين عالم الأساطير والواقع المعاصر <sup>(٤٢)</sup> .

يعد توظيف الأسطورة من الدلالات الإبداعية والفنية في قصائد الشعر الحر التي تعبر عن رؤى الشعراء وفهمهم العميق للكون والمجتمع والطبيعة والزمان ، فالأسطورة أخذت بعداً كبيراً وحيزاً واضحاً في تلك القصائد إلى الحد الذي قال فيه الشاعر عبد الوهاب البياتي (إن الرمز والأسطورة والقناع أهم اقانيم القصيدة الحديثة ، وبدونهم تجوب وتمرى وتحول إلى مشروع ، أو هيكل عظمي إلى جثة ميتة) <sup>(٤٣)</sup> .

فالأسطورة حقل معرفي يستقي منه الشعراء اكتساب المعرفة وتساعدهم على فهم الحياة بكل إبعادها ومعانيها : " لأن نشأة الأساطير ترتبط بفجر الإنسانية وقد كان الوعي الأسطوري يؤمن لأصحابه مقداراً من التناجم والتجانس والمواءمة بينهم وبين الكون وعناصره ولكن هذا الوعي بدأ يخسر شيئاً فشيئاً منذ بزغت النظرة العلمية إلى الكون. وكلما زادت سيطرة الإنسان على العالم بالعلم تقلصت النظرة الأسطورية وتعرت الكائنات من قداستها" <sup>(٤٤)</sup> .

واختلف الباحثون والدارسون في تحديد دواعي استخدام الأسطورة في الشعر الحر واندفاع عدد كبير من الشعراء إلى توظيفها في تضاعيف قصائدهم ، فمنهم من يرى أنها تخضع لمزاج شخصي أو تكويني نفسي اجتماعي كما فسر الصائغ استخدام السياق للأسطوري بسبب "مزاجه الشخصي المفعول وميله إلى

(٣٥) المصدر نفسه : ٢.

(٣٦) المصدر نفسه : ٢١.

(٣٧) الرمز الشعري عند الصوفية (الدكتور عاطف جوت نصر) : ٢٧.

(٣٨) ينظر : لسان العرب (ابن منظور) : مادة (س ط ر).

(٣٩) تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث (نعميم اليافي) : ٣٠٨.

(٤٠) مقالة في النقد (أغراهام هو) : ١٧٧.

(٤١) الغابة والقصول (طراد الكبيسي) : ٧٦.

(٤٢) دير الملوك (الدكتور محسن اطيبيش) : ١٢٩.

(٤٣) مجلة الجامعة العدد الرابع لسنة ١٩٤٧ مقابلة مع الشاعر عبد الوهاب البياتي ٢١:

(٤٤) توظيف الأسطورة في الشعر الجاهلي - بحث - (للدكتور وهب رومية): ٣٩.

الأجياء الغربية الشاذة وحسه الدينى<sup>(٤٥)</sup>. وقد يكون المزاج الشخصي المفعول أساساً مهمّاً في استخدام السياياب للرمز الأسطوري نتيجة للتقلبات المتناقضة في حياة السياياب لكن تأثير العامل الدينى لم يظهر واضحًا في شعره ولذلك لا نجد فيه سبباً في اندفاعه لاستخدام الأسطورة، ومن الدارسين من يرى أن السياياب اتخذت من الرمز الأسطوري وسيلة للتخفى والتستر تحت قناع هذا الرمز وإذا كان هذا السبب قد ينطبق على السياياب في بعض الأحيان وفي بعض قصائده نتيجة للظروف والتقلبات السياسية التي مرت به لكنها لا تتطبق على بقية الشعراء وفقاً لما صرّح به السياياب في قوله :

"لعلني أول شاعر عربي معاصر بدأ باستعمال الأساطير يتخد منها رموزاً، كان الدافع السياسي أول ما دفعني إلى ذلك فحين أردت مقاومة الحكم الملكي السعديي بالشعر اخترت من الأساطير التي ما كان زبانية نوري السعيد ليفهموها ستاراً لأغراضي ، كما أني استعملتها للغرض ذاته في عهد عبدالكريم قاسم. ففي قصيدي "سربروس في بابل" هجوت قاسماً ونظامه أبشع هجاء دون أن يفطن زبانيته لذلك، كما هجوت النظام أبشع هجاء في قصيدي الأخرى "مدينة السندياد" ، وحين أردت أن أصور فشل أهداف ثورة تموز استعاضت عن اسم تموز البابلي باسم أدونيس اليوناني الذي هو صورة منه<sup>(٤٦)</sup> . وإذا كان سبب التخفى وراء الرمز الأسطوري عند السياياب في مرحلة معينة قد لاقى بعض القبول لكنه أصبح لا جدوى منه في مراحل حياته الأخرى.

ويرى البعض أن ثمة أسباب دعت إلى استخدام الأسطورة هي التوق الشديد إلى الماضي، والشعور بجفاف الموضوعات المعاصرة، والشعور بالقلق والتفكك والوحدة، فضلاً عن افتقاد حرية التعبير<sup>(٤٧)</sup> ، لقد حاول الشعراء العبور بالأسطورة من معناها الضيق إلى مرحلة أكثر تطوراً تعج بعوامل النضج الفكري والفنى والوصول بها إلى أعلى مرحلة من مراحل التكثيف في البنية الدلالية للقصيدة واستلهام المعنى الشامل لها خدمة لبناء الشعري وانسجاماً مع متطلبات الواقع وتعبيرها عن القضايا العامة بمستوى عالٍ من التكيني التقني والدرامي.

ولعل ما يؤكّد هذا القول ان السياياب حين استخدم الأسطورة وسيلة للتخفى لأسباب خاصة كان وليد مرحلة معينة من مراحل حياته سرعان ما انتهت لكنها عادت عنده باطالة جديدة أسهمت اسهاماً فاعلاً في بناء قصيدهته بناء فنياً عالي المستوى أظهر مهارته وقدرته في توظيف الأسطورة توظيفاً يخدم الواقع ويعبر عن محنة الإنسان المعاصر لتحول الأسطورة إلى "نسيج شعري متدفع شديد الارتباط بالحاضر وبالحياة المعاصرة"<sup>(٤٨)</sup>.

وبهذا استطاع السياياب أن يجسد فكرة الموت والانبعاث والاهتمام بالجانب الأسطوري الذي بدأ في قصيدهته "أنشودة المطر" التي كتبها عام ١٩٥٢م فقد وظّف السياياب الأسطورة في شعره ليعبر عن قضية انبعاث الحضارة العربية بعد موتها في عصور الانحطاط ليتحذّز منها رموزاً تعبر عن الحياة العامة والقضايا المصيرية ولهذا أكثر الشاعر من استخدام الشخصيات الأسطورية في شعره ولعل كلمة المطر الحور الأساس في قصيدهته "أنشودة المطر" لأنها رمز الحياة وابناعها ففي إشارة ضمنية إلى أسطورة الإله تموز أو أدونيس الذي تعبده الشعوب السامية التي سكنت العراق وسوريا وكانت هذه الشعوب تحفل كل عام بموت الإله ثم قيمته وابناعه من جديد تأكيداً لانتصار الحياة في صورة إخشاب الأرض بالمطر.

(٤٥) الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى ١٩٥٨ (يوسف الصائغ) : ١٩٧ .

(٤٦) من مقابلة صحفية مع كاظم الخليفة ، جريدة صوت الجماهير ، بغداد ، ٦ ، تشرين الاول عام ١٩٦٣ م.

(٤٧) الغابة والفصول (طراد الكبيسي) : ١١٣ .

(٤٨) دير الملاك (الدكتور محسن اطيش) : ١٣٨ .

ومنذ أن كنّا صغاراً كانت السماء

تغيم في الشتاء

ويهطل المطر

وكلّ عام - حين يعشب الثرى - نجوع<sup>(٤٩)</sup>

وعاد السّيّاب فوظّف أسطورة توزّ في قصيّته "النهر والموت" توظيفاً ضمّنياً حيث يمثل بويّب نهر جيّكور رمز السعادة والخصب والحياة والأمل :

وأنت يا بوّب

أود لو غرقت فيك نقطاً الحار

أشيد منه دار

يضئ فيها خضراء المياه والشجر

ما تنضح النجوم والقمر<sup>(٥٠)</sup>

يتضح في القصيدة حدة الصراع وعمق المتناقضات بين الحياة والموت ، فالنهر الذي يمثل الخصب والعطاء يحمل بين طياته باباً نحو الموت :

فالموت عالم غريب يفتن الصغار

وبابه الخفيّ كان فيك ، يا بوّب.....<sup>(٥١)</sup>

ويتحرّك الشاعر في مناخ أسطوري يكشف عن طبيعة التواصيل بين الإنسان والنهر. وتكتشف الكلمة "الندور" التي تقدم إلى النهر هي بحد ذاتها دائرة يتحرّك فيها هذا المناخ الأسطوري وهو الـ الخصب الذي يمثل رمز الانبعاث والعطاء والحمل بالفردوس المفقود ، فالاقتراب والتّبعد إلى هذا النهر يعكس عمّق الصورة الأسطورية التي تتمحور حولها القصيدة فهو الـ الخصب تقدّم له الندور يجلب الخير والعطاء :

أود لو عدوت في الظلام

أشدّ قبضتي تحملان شوق عام

في كل إصبع كأني أحمل الندور

إليك من قمح ومن زهور<sup>(٥٢)</sup>

ويوظّف السّيّاب أسطورة توزّ في قصيدة "جيّكور والمدينة" بمهارة شعرية عالية ، فهي تحمل نبرة اليأس وعمق عبّية الصراع وحدّته في نفس الشاعر فلا أمل لهذه القرية التي نزح أبناؤها عنها إلى المدينة التي لا تعرف الحب . وهنا نجد تأثير مدينة الوهم في قصيدة "الأرض الياب" للشاعر اليوت في قصيدة السّيّاب حيث يلتقي الشاعران في نقطة أساسية هي كراهية المدينة التي تمثل الحياة المعاصرة وتستقطب أبناء القرية ليقعوا في شراكها :

ويناي : لا مخلب للصراع فأسعى بها في دروب المدينة

ولا قبضة لأنبعاث الحياة من الطين ... لكنها محض طينة

(٤٩) الديوان: ٤٩٧.

(٥٠) الديوان: ٤٥٥.

(٥١) الديوان: ٤٥٥.

(٥٢) الديوان: ٤٥٤.

وجيڪور من دونها قام سور ، وبواهه واحتوتها سكينة<sup>(٥٣)</sup>

تمثل جيڪور أثوذجاً أمثل في البراءة والعطاء والحكم ، جيڪور الحضارة المنهاوية امام ضربات المدينة التجارية التي يهجرها أبناؤها وقد التهمتهم المدينة القاحلة :

قتلت ، إذ قتلته ، الربيع والمطر<sup>(٥٤)</sup>

ويموت تموز في قصيدة الشاعر "أغنية في شهر آب" ويعلم الجدب والافقار ويسطير البرد على مرجانة ويموت الخصب بموت تموز ولا يرجى عودته مما يكشف لنا حالة اليأس والقلق اللتين يعيشهما الشاعر في حياته ، فقلقه من الموت قلق فريد من نوعه "وهذا ناتج عن عملية الكبت في اللاشعور التي تحول إلى حالة من القلق الدائم"<sup>(٥٥)</sup>

تموز يموت على الأفق  
وتحفور دماء مع الشفق  
في الكهف المعتم والظلماء  
نقالة إسعاف سوداء<sup>(٥٦)</sup>

ويظل الموت ماردا جبارا يقتل الأمل ويهدد الإنسان في أسطورة السباب "تموز" (أدونيس) في قصidته "مدينة السنديان باد" :

أدونيس ! يا الاندحار البطولة  
لقد حطم الموت فيك الرجاء<sup>(٥٧)</sup>

إن استخدام الشاعر السباب للرمز قد عزز رؤيته الفلسفية النابعة من صميم الواقع المعيش والتجربة الحية وقد حرص الشاعر في إطار رؤيته على تقديم الرمز الأسطوري الذي تبلور في وعيه للكشف عن المحتوى التضادي لحقيقة الحياة وعمق الصراع فيها.

ويتجدد الأمل في إحياء "تموز" من جديد في قصيدة السباب "مدينة بلا مطر" بعد إن كان مدفونا في مدينة بابل تلك المدينة التي تشكل صورة أسطورية بمنائرها وأبراجها ، إن هذه المدينة المدمرة التي تخيم فيها الوحشة والسكون ؛ لأن تموز الله الخصب والحب ميت حيث يرسم لها صورة تحمل بين طياتها معالم الخواء والخلفاف :

مدینتنا تُورق ليهنا نار بلا لهب  
تحم دروبها والدور ، ثم يزول حماها  
ويصبغها الغروب بكل ما حملته من سحب  
فتُوشك ان تطير شارة ويهبّ موتها<sup>(٥٨)</sup>

يصور السباب حالة العقم التي تسيطر على هذه المدينة وقد هيأ لها كل مستلزمات الإثارة والإحساس بالرعب من صورالسودان والظلم والطاحن العقيم الذي لا يسيطر غير أن تموز أوشك أن يحيا ليعود إلى تلك

(٥٣) الديوان : ٤١٩ .

(٥٤) الديوان : ٤١٧ .

(٥٥) اصول علم النفس (الدكتور احمد عزت راجح) : ١٢٦ .

(٥٦) الديوان : ٣٢٨ .

(٥٧) الديوان : ٤٦٦ .

(٥٨) الديوان : ٤٨٦ .

المدينة الخضراء لتخصب من جديد لكن الأمل يتضاءل وتعود نبرة اليأس إلى نفس الشاعر فبدلاً من أن تدق طبول بابل لتعلن هطول المطر وإغاء الأرض تصفر الريح وينز المرض ولا يهطل المطر :

صحا من نومه الطيني تحت عرائش العنبر

صحا قموز ، عادٍ لبابل الخضراء يرعاهما

وتوشك أن تدق طبول بابل ، ثم يغشاها

صفيير الريح في أبراجها وأنين مرضهاها<sup>(٥٩)</sup>

وتعكس هذه الصورة القاتمة حالة الشاعر النفسية وكأن الأسطورة قد أخذت مداها واكتملت عناصر نجاحها فحققت كل ما يريد الشاعر من شحن لطاقاته الإبداعية لكل ما يوحى بالأجواء الأسطورية التي تخيم على كل مفاصل القصيدة وتسبغ إضاءة على واقع الشاعر والتناقضات التي تشكل عالمه الخاص وترتفع الدعوات ومظاهر الطقوس الخاصة بالاستسقاء . ونزول المطر والخلاص من الجدب :

ويرتفع الدعاء ، كأنّ كل حناجر القصب

من المستنقعات تصيح : لاهثة من التعب

تؤوب آللة الدم ، خبز بابل ، شمس آذار

ونحن نهيم كالغرباء من دار إلى دار

لنسأل عن هدایتها

جياع نحن... واسفاه ! فارغتان كفّاها ،

وقاسيتان عيناها

وباردتان كالذهب

سحائب مرعدات مبرقات دون إمطار

قضينا العام ، بعد العام ، بعد العام ، نرعاها ،

وريح تشبه الإعصار ، لأمرت كإعصار<sup>(٦٠)</sup>

إنَّ عشتار آلهة الخصب أصبحت آلهة للدم والمجاعة ؛ لأنَّها الآن فارغة الكفين ، ذات عينين باردين وهذا الأمر يدعو إلى العجب والاستغراب ؛ لأنَّ عشتار دائمة الخير والعطاء وهذا يعكس مدى الخيبة واليأس الذي تصوره القصيدة مما جعل عنذاري بابل يندبن هذه الآلهة الامر الذي يوسع دائرة الأسى والحزن لما آلت إليه الأمور :

عنذارنا حزانى ذاهلات حول عشتار

يفيض الماء شيئاً بعد شيء من محياتها

وغضنا بعد غصن تذبل الكرمة<sup>(٦١)</sup>

إن ممارسة الطقوس وتقديم القرابين للآلهة موجودة منذ أقدم الأزمنة وخاصة في عصر ما قبل الإسلام وكان العرب يعتمدون على الشعر في ممارسة طقوسهم الدينية كما يروي ابن الكلبي إن قبيلة عك إذا خرجوا حجاجاً قدمو أمامهم غلامين أسودين يصيحان "نحن غربايا عك" فتقول عك بعدها ملبية :

"عك إليك عانية... عبادك اليمانية .. كيما نحج ثانية"<sup>(٦٢)</sup>

(٥٩) الديوان : ٤٨٦

(٦٠) الديوان : ٤٨٧

(٦١) الديوان : ٤٨٨

وتشكل الطقوس وتقديم النذور للآلهة في هذه القصيدة وإشعال البخور "أفي عينيه مبخرتان أوجرتا لعشتار". مركبات أساسية مهمة لتجسيد ثنائية الانبعاث والموت في النص وتوظيرها بأطر ذهنية وفكيرية على حد سواء.

ويخرج الأطفال في مواكب يتضرعون إلى عشتار طلباً للاستسقاء ويطول المطر لكن الأرض لم توفر لهم غاللاً لكي يقدموها قربان لـ الآلهة مما اضطرهم إلى حمل الصبار والفحار ويرتلون تراتيل حزينة لاستدرار رحمة الآلهة عشتار لكي تمن عليهم بالخصب والعطاء :

وسار صغار بابل يحملون سلال صبار  
وفاكهة من الفخار ، قرباناً لعشտار  
ويشعل خاطف البرق  
بظل من ظلال الماء والخضراء والنار  
وجوهم المدور الصغيرة وهي تستسقى .  
فيوشك أن يفتح - وهي تومنض - حقل نوار  
ورف - كأن ألف فراشة نشرت على الأفق  
نشيدهم الصغير

قبور إخوتنا تناذينا  
وتبث عنك أيدينا<sup>(١٣)</sup>

وتتوالى صرخات الأطفال الأبراء لاستدرار عطف الآلهة عشتار معلنة عن أسى وحزن عميقين فالجوع يفتك بهم بلا هواة وهم يرون إخوتهم يموتون جياعاً:

جياع نحن مرتجفون في الظلمة  
ونبحث عن يد في الليل تععننا ، تغطينا<sup>(٦٤)</sup>

ويقدم هؤلاء الأطفال لوحنة من قرارات الاتهام بعدم الرحمة لهذه الآلهة ويتهمونها بالقسوة وتأتي هذه الاتهامات لتشكل مركباً أساسياً في استفزاز الآلهة المعطاء لتكون عنصر خير تنعم بالرحمة والعطاء على هؤلاء الأطفال الجياع :

سمعتِ نشيجاً ورأيتِ كيف ثُمُوت ..... فاسقينا !  
ثُمُوت ، وأنتِ - وأسفاه - قاسية بلا رحمة<sup>(١٥)</sup>

وتأتي الاستجابة من الآلهة تؤكد إن عنصر الخير موجود متمثلة ببريق السماء كأنه زنبقة من نار تنشر ضوءها فوق بابل معلنة انتهاء الجدب والظلم فيهطل المطر ويكلّل تضعر الأطفال الأبراء بالفرح وعودة الأمل إلى ربوع نفوسهم الجديي وتفتسل الأرض من ذوبتها ويعم الخير والسلام على ربوع هذه المدينة ليحيا فيها الإنسان بحياة حرفة كريمة :

وأبرقت السماء كأنَّ زنبقة من النار  
نفتح فوق بابل نفسها ، واحناء وادينا ،  
وغلغل في قراره أرضنا وهج فعراها

٧: ) الأصنام (ابن الكلبي): ٦٢

٤٨٩: ) الديوان : ٦٣

٤٩٠: ) الديوان : ٦٤

٤٩٠: ) الديوان : ٦٥

بكل بذورها وجذورها وبكل موتاها<sup>(٦٦)</sup>

وتنظر الأسطورة فكر الإنسان وخلافة تجاريه في الحياة تهيمن على وعيه وذهنه في كل مراحل تكوينه تجده بروافد النجاة إلى بر الأمان وتخرجه من دائرة اليأس إلى دائرة الأمل لأن "الجو الذي تخلق فيه الأسطورة هو جو مشحون بالحوادث والأمل معاً وفيما يجد الإنسان إن الخوف بات يكبر حتى يكاد يلتهم أحلامه يستبد به القلق فلا يجد حلاً إلا بالأسطورة"<sup>(٦٧)</sup>

في قصيدة "مرحى غيلان" تصبح الأرض قفصاً من الدم والأظافر والحديد، ويبدو المسيح متراجحاً بين الحياة والموت فلا يحيا ولا يموت حتى يبعث ثانية فهو هيكل منهار وجليد بارد، أما الأرض فتموت ويسقط عليها الضرر فعشتار آلهة الخصب ورمز الأرض ورحل عنها الله بعل وبديلاً من أن تعلن الحياة مولدة الشمس والدفء يركض الموت في الشوارع وضريح توز يرش بالدم ويسلد الظلام أستاره وينتصر الشر، وتبدو الغلبة لصالح رمز الموت ويدعى الموت أنه هو المسيح الذي يهب الحياة في أرض العراق وتدعى النار أنها ماء نهر الفرات الذي يبعث الخصب فتفتح الورود ويولد الربيع:

بابا ... كأن يد المسيح  
فيها ، كأن جمامج الموت تبرعم في الضريح  
تموز عاد بكل سبلة تعابث كل ريح  
"بابا ... بابا "

جيكور من شفتيك تولد من دمائك ، في دمائي  
فتحيل أعدمة المدينه  
أشجار توت في الربيع ، ومن شوارعها الحزينة  
إلى أن يقول :

حيث المسيح يظل ليس يموت أو يحيا .. كظل  
كيدي بلا عصب ، كهيكل ميت ، تصحي الجليد  
النور والظلماء فيه متاهتان بلا حدود  
عشتار فيها دون بقل  
والموت يركض في شوارعها ويهتف : يانيام  
هبا فقد ولد الظلام  
وانا المسيح ، أنا السلام  
والنار تصرخ : ياورد تفتحي ، ولد الربيع<sup>(٦٨)</sup>

وتحمل القصيدة بين طياتها خطرات فلسفية حول ثنائية الخير والشر والحياة والموت فكل شيء في صراع وتنتصر ارادة الحياة ويولد الربيع من جديد ويعود الانبعاث بعد الموت إلى هذه الأرض، فالشاعر يبحث عن الخلود والحياة بعد الموت فهو في حالة نفسية من شأنها أن تعمق لديه عنصر الأمل في حياة طيبة بعد

(٦٦) الديوان : ٤٩١ .

(٦٧) الزمن في الشعر الجاهلي (الدكتور عبدالعزيز شحادة) : ٤٧

(٦٨) الديوان : ٣٢٧

الموت " وهكذا يقلب الزمن صورة العالم ، بمنح الأشياء دلالات متناقضة لها و يجعلها تتجسد في رموز مناقضة لها " <sup>(٦٩)</sup>

غير ان الشاعر كان على يقين تام وايمان مطلق بالانبعاث بعد الموت فهو يشعر إن بامكانه أن تحدى الموت ويتحقق الخلود لنفسه باستمرار وجوده في نسله وباتقاده بالأرض . فتمتد صور الأنبعاث إليها فيدخل الدفء إلى السجن الحديدى ويدب الشباب في دم الشاعر ويعود الأخضرار إلى الطبيعة ويتحدث الشاعر عن عيشية الحياة وتناقضاتها فيوظف لها "اسطورة سيزيف" الذي حكمت عليه الآلهة بالاستمرار في درجته صخرة إلى قمة الجبل ، حيث تعود الصخرة إلى النزول متدرجة بفعل ثقلها ، فقد أرتأت الآلهة بشيء من الحق ان ليس من عقوبة أشد فضاعة من جهد بلا جدوى ولا أمل ، لكن سيزيف يرى أنه متوفّ على مصيره فهو أقوى من صخرته :

"بابا... بابا"

يا سُلْمَ الأنعام - أَيْ رغْبَةٍ هي في قرارك ؟

"سيزيف" يرفعها فتسقط للحضيض مع انهيارك <sup>(٧٠)</sup>

تبعد القصيدة محكمة البناء متلاحمة الأجزاء يشكل فيها الموت والانبعاث عصباً يشد أجزاءها فتؤلف كياناً متاماً لا انفراطاً فيه .

فالشاعر ليس كياناً منفصلاً عمّا حوله فهو متجرد في الأرض والأرض هي أرض الوطن الذي يهبهما الشاعر من عرقه ودمه فتعطيه الخير والخصب والدفء :

"بابا... بابا"

من أَيِّ شَمْسٍ جاءَ دَفْوُكَ أَيِّ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ ؟

ينسلُ لِلقْفَصِ الْحَدِيدِ فِيْرَقُ الْغَدِ فِي دَمَائِي <sup>(٧١)</sup>

ان الشاعر يعلن عدم استسلامه للموت ، فموت تموز إله الحياة والنماء يعدّ استسلاماً واندحاراً وهذا شيء لا يرضاه . ومثلاً اعلن الشاعر السباب عدم استلامه للموت كذلك الشاعر ليد بن ربيعة العامري في لوحة الرحلة اراد ان يتصرّ للحياة برکوب الناقة ؛ كذلك في لوحة الطلل ، فالطلل يمثل ماضي الشاعر او في بعض صوره يمثل الموت .

ويبدو أتيس صورة أخرى لموز الله البابلي عند السباب في قصيدة "رؤيا في عام ١٩٥٦ م" :

تموز هذا أتيس

هذا وهذا الربيع

يا خبزنا يا أتيس

أنبت لنا الحب وأحيي الييس

النائم الحفل وجاء الجميع

يقدمون النور

يحيون كل الطقوس

٦٩) الرؤى المقمعة (كما ابو ديب) : ٦٥٢

.٣٢٥ : (الديوان

.٣٢٧ : (الديوان

ويبدرون البدور  
سيقان كل الشجر  
ضارعة والنفوس  
عطشى تزيد المطر ..... (٧٢)

ان الشاعر لا يكتفي من الاسطورة بذكر رموزها ، بل ينظر اليها على أنها أشخاص من خلال رؤيا مخيفة يعبر عنها باحساس مرهف يبين مدى تأثير هذه الرؤيا على الناس والمدينة بسبب الجدب الذي أصاب مديتها في الربيع ، كما انه ينجح في توظيف الشعائر والطقوس الأسطورية التي كانت تمارس لعودة الخصب والنمو وسقوط المطر ، ولعل اشارة الشاعر إلى مظاهر الطقوس التي كانت تقام لإله الخصب "أتيس" عند سكان آسيا الصغرى القدماء الذي يختلفون بعيده في الربيع حيث يربط تمثاله على ساق الشجرة تهدينا إلى معرفة نوعية الطقوس التي كانت تقام لذلك الإله<sup>(٧٣)</sup> وهذا يتضح في اشارة الشاعر إلى نوعية تلك الطقوس في قوله :

شدّوا على كل ساق  
يارب تمثالك (٧٤)

أن النص يعكس قدرة الشاعر على المواءمة وبين الماضي وابتهااته للخلاص من الجدب والجفاف وبين الواقع المعاصر الجدب .

من خلال التصوير الدقيق لعمق المأساة التي تقدمها هذه الرؤيا على الناس والمدينة .  
ويطوع الرمز عشتار آلة الخصب والحب عند البابليين وهي حبيبة تموز ل تكون حاضرة في المشاركة بهذه المأساة وقد صلت على ساق الشجرة وهذا احساس مخيف يعكس نبرة اليأس وقتل الأمل في التخلص من الواقع المؤلم :

عشتار على ساق الشجرة  
صلبواها ، دقّوا مسماراً  
في بيت الميلاد - الرّحم  
عشتار بخفة مستترة  
تدعى لتسوق الأمطارا (٧٥)

ويصور مأساة عشتار وهي مصلوبة والعذارى يندبها باكيات وي يكن تموز القتيل فأيّ يأس يسيطر على احساس الشاعر وشعوره بعد أن قتل تموز وصلبت عشتار ، لكن الشاعر يضيء لنا بارقة من الأمل في الانبعاث والعودة الى الحياة والخصب في قوله :

العاذر قام من النعش -  
شخنوب العاذر قد بعثا  
حيّا يتقافز أو يمشي  
أترى عاماً أو عامين ؟

(٧٢) الديوان : ٤٢٤

(٧٣) دير الملاك (الدكتور محسن اطيمش) : ٢٩٣

(٧٤) الديوان : ٤٣٦ .

(٧٥) الديوان : ٤٣٧ .

أم دامت ميته ساعة ؟ (٧٦)

وهذا يدل على رؤيا الشاعر بالعودة إلى الحياة والانبعاث من جديد فالأمل بحياة ولا موت يدوم ولا بد أن تأتي الحياة بعد الموت وهذا هو سر الخلود فالموت بعده الحياة كما بعد الدماء المطر. ومن الضروري أن نبني في هذا البحث إن توظيف الأسطورة في الشعر يتطلب قدرًا من الوعي والثقافة والاطلاع على الآداب الغربية، كما إن التوظيف الأسطوري في شعر السيايّب جاء متناغماً مع واقعه النفسي. وافتتاحه على الثقافة العالمية بحكم إجادته لللغة الانكليزية التي مهدت له الطريق للاطلاع على أدب الأمم الأخرى والاطلاع على تجارب الشعراء الآخرين، كما إن أسطورتي تموز وعشتار كانتا الأقرب إلى واقعه وحياته المليئة بالصراعات فكان صراع الحياة والموت قد جسد عمق التناقضات النفسية والحياة الواقعية للشاعر بكل إبعادها وعلى قارئ الأدب أن يفهم دلالات الرموز والأساطير في قصائد الشعراء بسبب تغير دلالات الرمز من قصيدة لأخرى.

فالشاعر يعيش حالات نفسية كثيرة ومتناقصة في بعض الأحيان وهذا يؤثر على إبداعه الفني لأنَّ موضوع القصيدة "لم يأت ارتجالا وإنما عاش قبل التأليف حياة متطرفة منفعلة بمختلف المؤثرات النفسية والتي تتصل به من قريب أو بعيد" (٧٧) إن الأسطورة في شعر السيايّب لم تأتِ اعتماداً أو ارتجالاً بل دعت إليها ضرورة نفسية أولاً ووعي وثقافة واطلاع على تجارب الآخرين في آدابهم.

١. بعد تحليل طللية الشاعر لبيد بن ربيعة العameri وتموزية السيايّب نخلص إلى أن حالة العقم والجذب كانت أقوى وأشد في تموزية السيايّب منها في الطللية نتيجة للتناقضات الاجتماعية والسياسية والحضارية التي تبلور الواقع الذي يعيش فيه الشاعر على الرغم من اشتراكهما في القمع الذي تمارسه الطبيعة على الشاعرين وفي عصرين مختلفين تماماً.
٢. يبدو الطلل عند الشاعر الجاهلي مثيراً للأسى والبكاء حين يصاب بالعمق والجفاف والخراب ورحيل أصحابه عنه مثلما نرى جيكور عند الشاعر السيايّب تبدو حزينة إذا أصابها الجفاف وهجرها أهلها إلى المدينة.
٣. ان المقدمة الطللية المعاصرة المستمدّة من الطللية الجاهلية كما تقول المصادر تؤكد استمرار التقاليد الفنية عبر القرون كما تؤكد ان المقدمة الجاهلية نفسها مستمدّة من التراث البابلي العربي القديم.
٤. تعلق الشاعر الجاهلي بطللية أشبه بتعلق الشاعر بمدينته (جيكور) التي يتردد صداها في معظم قصائده التمزية.
٥. ان الشاعر الجاهلي في وقوفه على الطلل أشبه بعشتار التي تنوح على تموز إله الخصب والنماء.
٦. يستحضر الشاعر الجاهلي في معظم طللياته أسماء الأماكن التي ترتبط ارتباطاً مباشراً بيئته ويحاول التركيز عليها مثلما يفعل السيايّب في استحضار أسماء الأماكن البيئية التي يعشّقها ويحن إليها "جيكور" ، "نهر بويب" ، وهذا الحنين الدائم للبيئة قد شكّل عنصراً أساسياً في معظم قصائده التمزية.
٧. هطول المطر سمة تلقائية في طللية الشاعر لبيد بن ربيعة العameri؛ لأن المطر عند الشاعر الجاهلي هو الخير والخصب والحياة. وربما إحساسه بالمطر أكثر عمقاً منه عند الشاعر الحضري، أما المطر عند

(٧٦) الديوان : ٤٤٠

(٧٧) سيكولوجية الابداع في الفن والأدب (يوسف ميخائيل اسعد) : ١٠٧

السيّاب من خلال الأسطورة فأنه يرتبط بالذور وتقديم القرابين للإلهة لغرض استدراره ليعم الخير والنماء على مدينته.

٨. كان الشّعر في العصر الجاهلي تسجيلاً لواقع العصر وتناقضاته وأحداثه ينقلها الشّاعر بفصائلاتها مثله كمثل السيّاب الذي تألق شعره وسط الركود الذي أعقب الحرب العالمية الثانية فأخذ ينقل الأحداث التي عاصرها في زمانه ويصفها بأدق تفاصيل؛ لذلك يعد شعره وثيقة تاريخية تسجيلية للأحداث التي عاصرها في زمانه مع الوعي العميق لللحظة التأريخية واستكتاه جذورها.

٩. يمثل المكان الاغتراب النفسي منذ التجربة الطللية وحتى المنحى الرومانسي في الشعر العربي، فإنه مع السيّاب لم يعد صيغة اغترابية بل أصبح أقرب إلى الإحساس الغريزي والفطري صلة ومتلاً فلم تكن هنالك مسافة بين الذات والمكان بل هنالك تواصل وجداً وانفعال كبير يختخل معظم قصائده التمورية.

١٠. حين نستقرئ النصوص الجahلية الطللية وتوزيات السيّاب نجد فيها رفضاً للواقع المفروض على الشاعرين نتيجة العقم والجذب التي تمارسه الطبيعة على الشاعرين.

#### قائمة المصادر والراجع

- ١ - الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي - دراسة - الدكتور عبد القادر فيدوح - منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق - ١٩٩٢ .
- ٢ - أصول علم النفس - الدكتور احمد عزت راجح - مطبعة اشبيلية - بغداد - د.ت .
- ٣ - آليات الخطاب النّقدي العربي الحديث في مقارنة الشعر الجاهلي - بحث في تجلّيات القراءات السياقية دراسة. الدكتور محمد بلوحي - منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق - ٢٠٠٤ .
- ٤ - تجلّيات الحداثة - قراءة في الابداع العربي المعاصر - ماجد السامرائي - الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق - الطبعة الأولى - ١٩٩٥ م .
- ٥ - التفسير النفسي للأدب - عز الدين إسماعيل - دار العودة - بيروت - الطبعة الرابعة - ١٩٨١ م .
- ٦ - تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث - نعيم اليافي - منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق ١٩٨٣ م .
- ٧ - توظيف الأسطورة في الشعر الجاهلي (بحث) للدكتور وهب رومية مجلة التراث العربي - (دمشق - العدد (٩٣ - ٩٤) لسنة ٢٠٠٤ م .
- ٨ - دير الملاك - دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر - د. محسن اطميش - بغداد - ١٩٨١ م .
- ٩ - ديوان بدر شاكر السيّاب - المجموعة الكاملة - دار العودة - بيروت - ١٩٧١ م .
- ١٠ - ديوان عبيد بن الأبرص - شرح أشرف أحمد عدرا - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٩٤ .
- ١١ - الرؤى المقنعة - نحو منهج بنبوبي في دراسة الشعر الجاهلي - (١) البنية والرؤى - كمال أبو ديب - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٦ م .
- ١٢ - الرحلة في القصيدة الجاهلية - وهب رومية - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثانية - ١٩٧٩ م .

- تجهيلات الانبعاث والموت في الطلية والشموzie. طلبة ليد بن ربيعة وقزوية الساب الموزجاً. (دراسة مقارنة)
- ١٣- الرمز الشعري عند الصوفية - د. عاطف جودت نصر - دار الكندي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ، الطبعة الأولى - ١٩٨٧ م.
- ١٤- روح العصر - دراسات نقدية في الشعر والمسرح والقصة - الدكتور عزالدين إسماعيل - دار الرائد العربي - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٧٢ م.
- ١٥- الزمن في الشعر الجاهلي - الدكتور عبد العزيز شحادة - دار الكندي للنشر والتوزيع الأردن - ١٩٩٥ م
- ١٦- سيكولوجية الإبداع في الفن والأدب - يوسف ميخائيل أسعد دار الشؤون العامة - بغداد - د. ت.
- ١٧- شرح ديوان ليد بن ربيعة العامري - حققه وقدم له الدكتور احسان عباس - الكويت - ١٩٦٢ م.
- ١٨- الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى ١٩٥٨ - يوسف الصائغ - مطبعة الأديب البغدادية - ١٩٧٨ .
- ١٩- الشعر والشعراء - تأليف ابن قتيبة (ابي محمد عبدالله بن مسلم ت ٢٦٧ هـ) - دار الثقافة - بيروت - ١٩٦٩ م.
- ٢٠- العمدة - ابن رشيق القيرواني (ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني الاذدي ت ٤٥٦ هـ) - حققه وتفصله وعلق على حواشيه محمد محبي الدين محمد الدارجي - بيروت - الطبعة الرابعة - ١٩٧٢ م.
- ٢١- الغابة والفصول - طراد الكبيسي - دار الرشيد للنشر - بغداد - ١٩٧٩ م.
- ٢٢- في النص الشعري العربي - مقاربات منهجية - الدكتور سامي سويدان - دار الآداب - بيروت - الطبعة الثانية - ١٩٩٩ م.
- ٢٣- في النقد الجمالي - رؤية في الشعر الجاهلي - الدكتور أحمد محمود خليل - دار الفكر - دمشق - الطبعة الأولى - ١٩٩٦ م.
- ٢٤- قراءة ثانية لشعرنا القديم - الدكتور مصطفى ناصف - دار الاندلس للنشر والتوزيع - الطبعة الثانية - ١٩٨١ .
- ٢٥- قراءة معاصرة في مقدمة القصيدة الجاهلية (بحث) - الدكتور محمود عبدالله الجادر - مجلة الاقلام - اصدرتها وزارة الثقافة والاعلام - دار الجاحظ - العدد الثاني عشر - السنة الرابعة عشرة - بغداد - ١٩٧٩ م.
- ٢٦- كتاب الأصنام عن ابي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي تحقيق أحمد زكي باشا دار الكتب المصرية ١٣٤٣ هـ ١٩٢٤ م.
- ٢٦- لسان العرب (ابن منظور) (جمال الدين بن مكرم ت ٧١١ هـ) - دار صادر - بيروت - د. ت.
- ٢٧- المراة الغزلية في الشعر العربي - الدكتور عناد غزوان اسماعيل - مطبعة الزهراء - بغداد - ١٩٧٤ م.
- ٢٨- مقالة في النقد - غراهام هو - ترجمة محبي الدين صبحي - مطبعة جامعة دمشق - ١٩٧٣ م.
- ٢٩- مقالات في الشعر الجاهلي - يوسف اليوسف - دار الحقائق - بيروت - الطبعة الرابعة - ١٩٨٥ م.

## **المسؤولية السياسية للقائمين بأعباء السلطة التنفيذية**

### **(دراسة مقارنة)**

**م. ميثم حسين الشافعى<sup>(١)</sup>**

#### **المقدمة**

ان موضوعات السياسة ونظم الحكم من اهم ما يشغل بال المفكرين وقد زاد الاهتمام بها بعد الحرب العالمية الاولى وما تبعها من اضطرابات وصراعات دولية ادت الى الحرب العالمية الثانية وما زال الباحثون يحاولون العثور على علاج لازمات عالم اليوم والغد وعلم الدستور والنظم السياسية يمتاز عن غيره من العلوم الاخرى من حيث دقة التفنين وغزارة الابتكار ولا يمكن أن يقوم الحكم في دولة ما على فكر ثابت مستقر ، فسياسة الحكم دائمة الحركة والتعديل تبعاً لركب الحضارة ، والمسلم به أن النظام السياسي لدولة ما يسير وفق دستور ، ويشارك الواقع الفعلى للحوادث السياسية ، في رسم ملامح ذلك النظام وتحديد طبيعته . واذا كانت الحياة متغيرة بطبيعتها ، والنصول جادة ، فإن الفكر هو الذي يتولى المأمة في التطبيق الفعلى ، وهو الذي يحدث الانسجام والاتساق في عجلة النظام القائم ، كي ينمو بانتظام واصطراط ، فضلا عن ايجاد الحلول اللازمة لازمات المشاكل السياسية ، وهو ما يؤدي الى تطور مبادئ عمل اخرى . وقد استجابت الدول الغربية لقيادة الفكر ، والتفاعل مع الحوادث ما جعل تلك الدول منطقية في تظميماتها السياسية وهو ما ادى الاستقرار السياسي فيها ، وتولدت فلسفات وعقائد وافكار ونظريات وأيديولوجيات بغية مواجهة الازمات ومواكبة التطور الملائم للانسانية ذاتها . وحتى اواخر القرن التاسع عشر لم تكن الدولة مسؤولة عن اعمالها ، اذ كان ينظر الى سيادة الدولة نظرة مطلقة ولكن بتطور مفهوم السيادة وتحول الفكرة الخاطئة عنها من سيادة مطلقة لا تقبل حدآ او قيادآ الى اعتبار ان الدولة عبارة عن مجموعة مصالح لا تقبل حدآ او قيادآ ، الى اعتبر ان الدولة عبارة عن مجموعة مصالح عمومية انشئت لارضاء حاجات الناس ولم يعد الحكم سوى اشخاص مكلفوون بادارة هذه المصالح ، حلت المسؤولية ، وقد ساعد ذلك ذيوع المبدأ الديمقراطي ، وبدأ التدخل الذي اتسع لاقصى حد ، وقد تنوّعت الاساليب الدستورية من حيث تقرير القواعد والأسس التي تنظم سلطات الدولة ، وفي النهاية يتوقف كيان الدولة على توازن القوى السياسية في ميزان النظام العام وقد شاعت فكرة التوازن بين السلطات في النظم الديمقراطية والنظم التي لم تنجح في ايجاد توازن بين السلطات فيها ، وتركت السلطة دون مساءلة عند الخروج عن حدودها ،

---

١ - كلية القانون، جامعة أهل البيت

**المسوؤلية السياسية للقائمين بأعباء السلطة التنفيذية (دراسة مقارنة)**

ومازالت دول متختلفة عن ركب الحضارة وتبن بالثورات والانقلابات وما يجر اليه من تخلف اقتصادي وتقني والبادى أن التطور في مسوؤلية الدولة ، من اللامسؤولة المطلقة الى المسؤولة ، قد ظهر في تقرير مسوؤلية الدولة عن أعمال السلطة التنفيذية بحيث لم يبقى من هذه الاعمال في دائرة الامساوؤلية الا النذر القليل كأعمال السيادة كما أن المذاهب الحديثة تتجه نحو تقرير مسوؤلية الدولة عن اعمال السلطة التشريعية على اختلاف بينها ويتجه الفقه بحماس شديد الى تقرير مبدأ مسوؤلية الدولة عن اعمال السلطة القضائية وغدت القاعدة المسلم بها في الدول المعاصرة تقوم على مبدأ عزل الحكم باعتبارهم سلطات مفوضة تعمل باسم الدولة وتحسبها . ولم يرضخ الحكم لتقييد سلطاتهم الا بعد كفاح مرير من الشعوب وقيام الثورات العديدة وهكذا رضخ الحكم لمبدأ المسؤولة حتى أصبحت القاعدة الجوهرية ( ان من لا يسأل ليس له أن يعمل ) ويجمع الفقه على أن مبدأ المسؤولية السياسية قد بز في انجلترا في القرنين السابع عشر والثامن عشر ثم تطور في مطلع القرن التاسع عشر بانتقال السلطة الفعلية من الملك الى الوزارة فاصبح يعتلي العرش ولا يحكم وحلت الوزارة محله في توقي زمام السلطة باعتبارها المسؤولة امام البرلمان وتغنى الانجليز بقاعدة ((حيث توجد المسؤولة توجد السلطة ))

#### **أهمية الدراسة :**

ادى التطور الصناعي ووسائل التقنية الحديثة الى تطورات اقتصادية هائلة وظهور ايديولوجيات جديدة وهو ما استتبع تغييرا كبيرا في النظم السياسية اذ اتسعت مجالات السلطة العامة وتضائلت الناحية السياسية للديمقراطية والاهم من ذلك التحول الخطير في مبدأ فصل السلطات اذ اتجه وجهة اخرى ناحية تركيز السلطة تجاه السلطة التنفيذية وخاصة رئيس الدولة حيث غدا رئيس الدولة هو منبع السياسة في الدولة ومحيط امني الامة ونقطة الارتكاز الحيوية في النظام ولكن لابد من ايجاد وسيلة فعالة لاعادة التوازن بين السلطات في ظل هذه التغيرات ووضع ضوابط لدرء مفاسد السلطة المطلقة خاصة وان اطلاقها الان جدا شرعا وضروريا و يعد مبدأ المسؤولية السياسية للسلطة التنفيذية هو الوسيلة الناجحة لذلك فهو الضمانة الكبرى لاعادة التوازن في عجلة النظام العام وضبط سير المؤسسات الدستورية وانتظام العمل السياسي لذلك فأن هذا المبدأ يعتبر اخطر المبادئ الديمقراطية ويفسر ذلك في اثاره ونتائجها ومناطه ومحله ومن ثم فان اعماله يحتم دقة التنظيم واحكام القواعد ووضع الضوابط كي لا يترك الأمر للاهواء السياسية والامزجة الخزبية والخلافات الشخصية لكي تعصف بالنظام السياسي في قمة بنائه واهم اركانه وهو ما يؤدي اليه ذلك من كوارث سياسية ونكبات تغير الدولة عن ركب الحضارة وسنعرض في هذا البحث المسؤولية السياسية للقائمين بأعباء السلطة التنفيذية على النحو الاتي

تمهيد واربعة مباحث .بالنسبة للتمهيد تناول فيه اولا : تنظيم رئاسه الدولة

ثانيا : الوضع الدستوري لرئيس الدولة في النظم المختلفة ونبين في المبحث الاول طبيعة مسوؤلية رئيس الجمهورية وتطور تنسيتها الدستوري وفي المبحث الثاني حالات مساءلة رئيس الجمهورية امام المحكمة الاتحادية العليا ونعرض في المبحث الثالث اجراءات مساءلة رئيس الجمهورية ونعرض في المبحث الرابع المسؤولية الوزارية في الدساتير العرقية

#### **تمهيد**

##### **أولا: تنظيم رئاسة الدولة**

من المستقر عليه في الفقه التقليدي أن بناء النظام الدستوري يستلزم ضرورة أن تكون الحكومة خاضعة لقواعد قانونية عليا خارجة عن ارادتها وملزمة لها ، والخضوع لهذه القواعد هو الحد الفاضل بين الحكومة الدستورية والحكومة الاستبدادية كما يتعين أن تكون وظائف الدولة موزعة بين الهيئات والمؤسسات وفوق

ما تقدم ان تكون الحكومة القائمة فعلا قد وصلت للحكم طبقا لاحكام الدستور المعمول به في الدولة ، وان تستمر في ممارسة اختصاصاتها على مقتضى الدستور وفي حدوده اذ أن رئيس الدولة هو الذي يمثلها كشخص معنوي ، وهو رمز السلطات العامة فيها وعلى عاتقه أعباء جسام ومهام خطيرة كما وصفها الرئيس ترومان مجموعة ضخمة هائلة من السلطات تجعل قيسروجانكيزخان ونابليون يقصمون أظافرهم حسرة وغيرة<sup>(١)</sup>

والذى يبين من الدراسة المقارنة للنظم الدستورية المختلفة ، أن الحلول الممكنة في شأن تنظيم رئاسة الدولة الجمهورية ، تأخذ صور الآتية :

١. رئاسة فردية : وصورتها ان يكون على راس الدولة شخص واحد يمثلها في الخارج ، ويتولى السلطة التنفيذية في الداخل على الوجه الذي حدد الدستور ، والرئاسة الفردية هي الصورة الوحيدة للنظم الملكية والديكتاتورية ، كما انها الصورة الغالبة في الجمهوريات الحديثة ، سواء كانت جمهوريات رئاسية كالولايات المتحدة الامريكية ، او جمهوريات برلمانية ، وجمهوريات ديمقراطية شعبية ، سواء كانت ملكية او جمهورية
٢. رئاسة جماعية : وصورتها ان يكون على راس الدولة لجنة او مجلس من عدد من الاشخاص ، بحيث تكون امور تمثيل الدولة في الخارج ، ومارسة السلطة في الداخل من حق هذه اللجنة مجتمعة ، وبالمتساوية المطلقة بين اعضائها ، فليس من بين اعضاء مجلس الرئاسة ، رئيس ومرؤسین ، وان كان لاينع ذلك من ان تعقد لاحدهم سلطة ادارية بحثه في امور دعوة المجلس للانعقاد واعداد جدول الاعمال ومتابعة قرارات المجلس وغالبا ما ينفرد اصغر اعضاء المجلس باللقب رئيس الجمهورية في امور تمثيل الدولة في الخارج فضلاً عن تحصيصه بعض السلطات في الداخل وهذه الصورة هي الغالبة لنظام الرئاسة الجماعية في التطبيقات الدستورية المعاصرة ومن الامثلة العربية لنظام الرئاسة الجماعية اتحاد الجمهوريات العربية والامارات العربية المتحدة وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية وما ورد في دستور العراق وليبيا كان نتيجة لتباع اسلوب "مجلس قيادة الثورة" وهو اسلوب مرحلى<sup>(٢)</sup>

#### ثانياً: الوضع الدستوري لرئيس الدولة في النظم المختلفة

تقوم الدولة المعاصرة على مبدأ عزل الحكام عن حق السيادة والنظر اليهم بوصفهم سلطات مفوضة تعمل باسم الدولة وحسابها طبقا لقواعد الاختصاص المحددة لها فووضت فيه من موضوعات وعلى مقتضى ما اتخذ لها من اجراءات واشكال واغراض ومبدأ المشروعية<sup>(٣)</sup> يتبلور في النهاية حول وجوب احترام القواعد المحددة لسلطات الهيئات العامة والمنظمة لاختصاصاتها وتحديد الدساتير دور كل سلطة من السلطات العامة في الدولة ومدى العلاقة بين تلك السلطات وبالنسبة لوضع دور رئيس الدولة باعتباره رئيس السلطة التنفيذية فان الامر يتوقف على نوع النظام الذي يأخذ به دستور الدولة ففي النظام البرلاني ليس لرئيس الدولة " وهو رئيس السلطة التنفيذية " الا سلطة أسمية وتنتقل اختصاصاته الى الوزارة كما ان رئيس الدولة لا يستطيع العمل بمفرده ولكن له حق تعين الوزراء وغيرهم وحق حل البرلمان حالا رئيسيا واما في النظام الرئاسي فان رئيس الدولة له سلطة فعلية واسعة النطاق فاختصاصات السلطة التنفيذية كلها مركزة في يده وفي نظام حكومة الجمعية نجد رئيس السلطة التنفيذية واعضائها مختارين بواسطة البرلمان ويمارسون الاختصاصات المقررة لهم تحت رقابة واسراف البرلمان والملاحظ ان جوهر الاختصاصات واحد في جميع الحالات والخلاف يمكن فيمن يمارس تلك السلطة فاحيانا يكون رئيس الدولة واحيانا الوزارة واحيانا الهيئة المنتخبة من البرلمان وترتيبها على ذلك فاننا نعرض في هذا الفرع الى وضع دور رئيس الدولة في تلك النظم .

## ١ - وضع رئيس الدولة في النظام البرلماني

تحصل خصائص النظام البرلماني في انه النظام الذي يوجد فيه رئيس اعلى للدولة يمارس اختصاصاته بواسطة وزارة مسؤولة امام البرلمان ، والبرلمان يملك ان يثق فيها فيقيها او لا يثق فيها فيسقطها وتملك هي ان تطلب الى رئيس الدولة حله للاحتكام للشعب ، ويعتبر رئيس الدولة *Chef de l'Etat* هو الرئيس الاعلى للسلطة التنفيذية وجانبه رئيس الحكومة *Chef de gouvernement* وهو رئيس مجلس الوزراء ويكون مرؤوسا لرئيس الدولة وخاصعا لارشاداته وتوجيهاته ورئيس الدولة هو الملك في النظم الملكية ورئيس الجمهورية في الحكومات الجمهورية وفي الحالة الاولى يوشك الملك ان يكون مجرد من كل سلطة حقيقة مؤثرة واما في الحالة الثانية فأن رئيس الجمهورية يمارس بعض الاختصاصات ولكنها محكومة في اطار النظام البرلماني سلطات محدودة ولا يجوز التوسع في تفسيرها والعلاقة بين رئيس الدولة ورئيس الحكومة قد تحددها الدساتير كما قد تحددها بالعرف الدستوري كما في بريطانية وهذه العلاقة بدت في ماضيها وثيقة ولكن في الواقع هشة وفي هذا النظام لا يقوم رئيس الدولة بوضع السياسة العامة للدولة بنفسه ولا يضع مشروعات القوانين حسب رأيه الشخصي ولا يبت في الامور وفق سياساته الخاصة وانما كل هذه الامور تترك للوزارة التي هي حجر الزاوية في هذا النظام فهي تمثل رئيس الدولة لدى البرلمان وتمثل البرلمان لدى رئيس الدولة ولما كانت سلطات رئيس الدولة في هذا النظام ليست فعلية وانما مجرد اختصاصات اسمية يمارسها بواسطته البرلمان فان رئيس الدولة لا يستطيع العمل منفردا والت نتيجة التي تترتب على ذلك ان رئيس الدولة في الانظمة البرلمانية غير مسؤول ومبدأ عدم المسؤولية نشئ في انجلترا كما سنتى تفصيلا لذلك فيما بعد ويعتمد المبدأ على فكرة ان الملك لا يخطئ *the king can do no wrong* وهو المبدأ المعروف في فرنسا "ذات الملك مصونة لا تمس" وعلى الرغم من ان سلطة رئيس الدولة اسمية كما سبق البيان فان المسلم به ان رئيس الدولة في النظام البرلماني على جانب كبير من الاهمية وبموجبها يتم حفظ التوازن بين السلطات التشريعية والتنفيذية في الدولة وهما حق تعيين الوزراء وعزلهم وحق حل البرلمان وفضلا عن ذلك فان الدور الحقيقي لرئيس الدولة في النظام البرلماني يتمثل في انه يعمل بفضل نفوذه وشخصيته على التوازن السلطات في الدولة ويكون همزة الوصل بينهما دور الحكم بين الاحزاب المختلفة وعلى الرغم من تجريد رئيس الدولة من السلطات الفعلية فإن الدور الادبي الذي يقوم به حتى بعض الفقهاء الى القول بان يعبر اليه والقوة الحركة للنظام البرلماني<sup>(٤)</sup>

### النظام الانجليزي

والنموذج الامثل لهذا هو النظام البريطاني اذ الوزارة في بريطانيا كوزارة ، هي الوارثة لسلطات الملك وهذا الحدث كان نتيجة مجموعة من الظروف والوزارات هي الجهاز الحكومي بالمعنى الواسع وهي تتضمن كل الاشخاص الذي تجمعهم روابط التضامن الحزبي والمسؤولين جميعا امام البرلمان عن السياسة المتبعة<sup>(٥)</sup> والملوكية هي العنصر الاقدام في السياسة الانجليزية فالاتاج هو عنصر هام للاستمرارية وللاستقرارية في الحياة الوطنية وما زال الا ان الملكية عرفت كيف تتطور والملك في بريطانيا الملكة الان كالحكم في ملعب الكرة فهو محاط بالاحترام العام وهو يسهر على ان يطبق كل فرد القانون وعلى ان يستمر العمل الحكومي وفقا لما تقتضيه مصلحة الوطن وكقاعدة عامة للملك الحق في رفض او المصادقة على القوانين التي اقرها البرلمان ييد انه منذ قرنين ونصف قرن لم يرفض الملك هذه المصادقة والملك ايضا من الناحية النظرية حق الحل ولكنه عزف عنه منذ امد طويل والواقع ان رئيس الوزراء هو الذي يمارس حق الحل ونفس القول يمكن ان يرد بالنسبة الى باقى الصالحيات التي تستند الى شخص الملك كالتعيينات ومنح الرتب ان الملك في انجلترا يتلقى من رئيس الوزراء تقريرا شهريا وهو لذلك اعلم بشؤون الملكة من اي وزير عادي ومن هنا يستطيع الملك ان يمارس في السياسة العامة تاثيره شخصيا وان هذا التاثير لا يظهر في السياسة الداخلية لان

ضغط الأحزاب السياسية في هذا المجال قوي جدا بحيث لا يمكن لمنصب معنوي ان يحدث اثرا بالمجال الرحب لتأثير الملك يكون في السياسة الخارجية فالمملكة فكتوريا استطاعت بذلك شديد تفادي الحرب مع بروسيا سنة ١٨٥٦ ثم مع فرنسا سنة ١٨٥٩ وان كان الملاحظ عملا في الاونة الحالية ان دور الملك في انجلترا لم يعد منظورا حتى في السياسة الخارجية<sup>(٦)</sup>

ويرى بعض الكتاب الانجليز ان اساس السلطة السياسية في انجلترا يمكن في مجلس العموم وينهب اخرون الى ان السلطة تتبع من الكابينة<sup>(٧)</sup> ويرى لورانس الاول في كتابه حكومة بريطانيا ان الكانت هي واسطة لفقد البناء البريطاني وهذا هو راي عامه الانجليز للتذمر من الديكتاتورية الوزارية وينذهب "هوريو" الى ان سلطة الاكثريه في انجلترا لا تحول الى ديكاتورية ذلك لأنها محاطة بمؤسسات عرف المزاج الانجليزي الموروث كيف يؤمن استمرارها مثل التاج ، مجلس اللوردات ، فضلا عن هيبة السلطة القضائية ثم الادارة العليا<sup>(٨)</sup>

## ٢ - وضع رئيس الدولة في النظام الرئاسي

ان النظام الرئاسي لا يوجد في الا في الجمهوريات ورئيس الجمهورية هو في الوقت نفسه رئيس الحكومة هو الذي يحدد ويرسم سياسة الحكومة ، وبهذه القدر الاكبر من السلطة ولهذا سمي بالنظام الرئاسي<sup>(٩)</sup> (اي الى الرئيس) اذ يعرف النظام الرئاسي بأنه النظام الذي ترجح فيه رئيس الدولة في ميدان السلطات ، وقد يضطر رئيس الدولة في بعض الحالات الى تغيير سياسته تحت ضغط البرلمان ، وقد يضطر الى اتخاذ سياسة لا يقرها هو شخصيا . وعلى اي حال فان رئيس الدولة في النظام الرئاسي يتمتع بسلطات كبيرة واسعة ، ويتجلی دور رئيس الدولة من خلال خصائص هذا النظام ذاته ، اذ ان اهم ما يميز النظام الرئاسي كما سبق البيان ان رئيس الدولة منتخب من الشعب مع شدة الفصل بين السلطات ورئيس الدولة في النظام الرئاسي يسود ويحكم في ان واحد - وانتخابه من الشعب مباشرة يجعل له صفة تمثيله عن الشعب ليتكلم باسمه ويعبر عن ارادته ، كما انه يجمع كافة الوظائف التنفيذية وجميع اجهزة الدولة التنفيذية تعمل تحت اشرافه وتاتر بامرها وتسال امامه ، وهو المسئول عنها امام الرأي العام ، وله كذلك سلطة عزلهم وتعيين غيرهم ولما كانت سلطة رئيس الدولة في النظام الرئاسي مستمدۃ من الشعب ولما كانت السلطة التشريعية تستمد هي الاخری وجودها من الشعب مباشرة فان النتيجة المرتبة على ذلك انه لا سلطان لا ي من السلطتين على الاخری فرئيس الدولة في هذا النظام لا يملك حل البرلمان او احد مجلسيه ولا يملك تأجيله او تعطیل انعقاده ولا يملك التدخل في اعماله كما لا يملك بحسب الاصل حق اقتراح القوانین وعلى ضوء ذلك يظهر لنا قوة رئيس الدولة في هذا النظام والتي ترجع اساسا الى طريقة انتخابه فالشعب ينتخب الرئيس مدة اربع سنوات من اجل برنامج سياسي محدد يied اننا لا يمكن ان نغفل شخصية الرئيس في الازمات الخطيرۃ فلهذه وتلك تأثير كذلك في قوة وسلطان الرئيس ولما كان المستقر عليه ان فصل السلطات في النظام الرئاسي ليس فصلا مطلقاً وان الفصل المطلق للسلطات هو ضرب من الخيال السياسي فان رئيس الدولة في هذا النظام يقوم بدور تشريعي وهو ما يسمى بحق الاعتراض التوقيفي ويقابل ذلك وجود بعض امتيازات مجلس الشیوخ يمارسها اتجاه السلطة التنفيذية وهذا التعاون بين السلطتين والذي حدی بالبعض الى القول بان هناك استثناءات على مبدأ فصل السلطات هو تعاون امتهن الظروف وكان ولید اتصال الحكومة باللجان ذات الاثر الفعال في توجيهه البرلمان وخلص من ذلك الى ان رئيس الدولة في النظام الرئاسي هو رئيس السلطة التنفيذية وهو ايضا رمز للشعب كما انه المنوط به تصريف شؤون السياسة الخارجية للدولة فضلا عن انه القائد العام للقوات المسلحة في وقت السلم وال الحرب على السواء ويستمد الرئيس قوته من الشعب وهو على قدم متوازية مع البرلمان وان كان مستقلا عنه فأن التطبيق العملي اوجد نوع من التعاون ولكنه تعاون متوازا<sup>(١٠)</sup> وكما تعرضنا لنظام النجليزي كنموذج لتوضیح دور رئيس الدولة في النظام البرلاني

**المسؤولية السياسية للقائمين بأعباء السلطة التنفيذية (دراسة مقارنة)**

فيحسن تحصيل رئيس الدولة في الولايات المتحدة الأمريكية كنموذج امثل للنظام الرئاسي مع التزامنا بما نهجنا عليه في هذا المدخل من الاعتكاف بالمبادئ الاساسية العامة بالقدر الذي يخدم موضوع البحث ليس الا.

**رئيس الدولة في الولايات المتحدة الأمريكية :**

اهم مثل للنظام الرئاسي هو دستور الولايات المتحدة الامريكية وهو اطول الدساتير المكتوبة عمرآ (١٧ سبتمبر ١٧٨٧ ) وعنه اخذت معظم الدساتير الرئاسية وقد اراد المؤسسوون لهذا الدستور المحافظة على صلابته ، فوضعوا اجراء صعب ومعقد من اجل تعديله وجعلوه على مرحلتين : مرحلة وضع نص التعديل ، ومرحلة التصديق على هذا التعديل ، وحتى الوقت الحاضر صدر لهذا الدستور خمسة وعشرون تعديل على الوثيقة الاصلية ، وهو شيء قليل بالنسبة لطول عمر هذا الدستور وبالمقارنة مع الدساتير الأخرى ، واغلب التعديلات التي طرأت على الدستور الامريكي متعلقة باعلان الحقوق والحريات الفردية والغاء الرق ، واتساع الضمانات القضائية التي يمكن ان تفيد المواطن ، ثم تعديلات بخصوص التوسيع التدريجي لحق التصويت ومن هذه التعديلات ما يتعلق بتنظيم السلطات العامة مثل ديمقراطية انتخاب الرئيس ونائبة وانتخاب الشيوخ عن طريق الاقتراع العام واستلام الرئيس المنتخب مهامه وانتقال السلطة واهم هذه التعديلات هو التعديل الذي يمنع رئيس الدولة من الترشح للرئاسة اكثر من مرتين مع تنظيم كيفية خلافة الرئيس من قبل نائبه عند حدوث مانع يحول بين الرئيس وممارسة عمله وثمة تعديلات اخرى مثل تعديل منع التحول سنة ١٩١٩ وتعديل سنة ١٩٣٠ بالغاء هذا المنهج (١١) نادى الامريكيون طويلاً بان افضل حكم هو الحكم الذي لا يحكم الا قليلاً والواقع ان الامريكيين كانوا حذرين من كل السلطات فقد تظلموا ، من برلمان لندن والذي تسبب بجهالاته في حرب الاستقلال ، وهم ايضاً كانوا حذرين من السلطة التنفيذية ولذلك كان من الطبيعي ان يسعوا واضعوا الدستور الامريكي الى اقامة توازن قام بين مختلف السلطات بحيث يحد بعضها بعضها وهذه هي النظرية الشهيرة المسماة "الكبح والتوازن" ولذلك فقد وضعت ضوابط في هذا الدستور في تنظيم السلطات مجلس الشيوخ ومجلس النواب ، تنفيذية وتشريعية ، مجلس الشيوخ ورئيس جمهورية ، سلطات قضائية وسلطات اخرى بحيث يمكن القول بان الامريكيين بفكرهم الواقعي قد بسطوا التمايز التي توصل اليها "متتسكيو" من قبل وان كان المفهوم البدائي لفصل السلطات قد تغير بفعل الاحداث ويشكل جلي (١٢) وقد نص دستور الولايات المتحدة على حصر السلطة التنفيذية في شخص رئيس الدولة المعين بانتخابه وهو منتخب على درجتين فناخوا الدرجة الاولى "voters" ينتخبون ناخبي الرئيس "Electors" ولكن الواقع ان انتخاب الدرجة الثانية صورياً (١٣) وانتخاب الرئيس بواسطة الشعب وعدم خضوعه للبرلمان يكسبانه قوة وسلطة ونفوذاً لا يتمتع بها الملوك المتوجون ولا رؤساء الوزراء البرلانيون ونظرآ لوجود حزبين كبيرين في الولايات المتحدة الجمهوري والديمقراطي فان رئيس الدولة تارة يكون من الحزب الجمهوري وآخر من الحزب الديمقراطي تبعآ لنتيجة انتخابات الرئاسة وخضوع الوزراء في الولايات المتحدة ويطلق عليهم سكرتيريون (١٤) خصوصاً تماماً لرئيس الدولة فليس لهم سياسة خاصة بل ينفذون سياساته وله ان يجبرهم على ذلك وحينما كان الرئيس "ويلسن" مريض حاول المستر "لاتسنج" جمع الوزراء للاتفاق معهم على خطة عمل فلم يكدر الرئيس ليسترد صحته حتى كتب له "اني اعزلك لانك حاولت ان تطبق سياسة غير سياستي وبحسب الدستور فان سياستي هي التي يجب ان تسود" فالوزراء في النظام الرئاسي يلعبون دوراً ثانوياً محضاً لتنفيذ سياسة الرئيس الذي هو العامل الاول والمحرك للسلطة التنفيذية على عكس الحال في النظام البرلاني ويترتب على ذلك ان رئيس الدولة هو الذي يعين الوزراء وهو الذي له حق عزلهم ولا يسأل الوزراء الامامه وحده وهم غير مسؤولين امام البرلمان الذي لا يملك نفوذاً على الوزراء وبالتالي فان الوزراء في امريكا لا يكونونوا هيئه او مجلس فليس هناك مجلس الوزراء ولا رئيس مجلس الوزراء ولا وجود لمبدأ التظامن الوزاري عن السياسة العامة وهو

المبدأ الراسخ في النظام البرلماني كما ان رئيس الولايات المتحدة لا يدعو البرلمان للانعقاد بل يعقد المجلسان من تلقاء نفسهما بأسثناء المناسبات الهمامة وليس للرئيس حل المجلسين او ايهما كما لا يستطيع الرئيس اقتراح القوانين بل فقط يمكنه ان يوصي او يلفت نظر الكونجرس الى مسألة من المسائل الهمامة في رسالة ولكن لا يستطيع الرئيس ان يقدم للبرلمان مشروع قانون بالمعنى المعروف<sup>(١٥)</sup> ومن ناحية اخرى فليس للبرلمان اي سلطة او رقابة على السلطة التنفيذية الا عن طريق الاتهام كما لا يمكن ان يكون الوزير عضو في اي من المجلسين كما هو متبع في النظام البرلماني واذا اراد احد الوزراء الحضور الى جلسات البرلمان فمجلسهم مع الجمهور والزائرين ومن اخص خصائص النظام الامريكي ما يعرف "فيتو" رئيس الجمهورية وهي سلطة واسعة تمكّن رئيس الدولة من التأثير في التشريع فضلاً عن سلطته التنفيذية الواسعة ومضمون حق الفيتو المقرّر للرئيس انه يستطيع الاعتراض على قانون اقره البرلمان وهو ما يسمى بالاعتراض التوفيقى *veto suspensis* لان اعتراض الرئيس من شأنه اعادة القانون مرة اخرى للبرلمان ولا يمكن مرور القانون الا اذا اقره كل من المجلسين ثانية باغلبية الثلثين والواقع العملي ان الحصول على تلك الاغلبية امر صعب وهو ما يبرز معه دور الرئيس الخطير في مجال التشريع اذ يكفى ان يضمن الرئيس تأييد مجرد الثالث زائد واحداً في كل من المجلسين لكي يستطيع الخليولة دون صدور التشريع .وفيتو المعطى للرئيس في الولايات المتحدة ككل فيتو توقيفي اخر فهو لا يخالف مبدأ فصل السلطات لان البرلمان اذا اقر القانون بالاغلبية المقررة دستورياً فإنه يزيل اعتراض الرئيس<sup>(١٦)</sup> هنا ويقابل هذا الحق اشتراك مجلس الشيوخ في اعمال هي في حقيقتها اختصاصات تنفيذية خاصة في ادارة السياسة الخارجية مثل الاشتراك في تعين الموظفين في الوظائف الهمامة والسفراء والوزراء المفوظين للخارج وبذلك يتسمى للمجلس مراقبة الرئيس في سياساته الخارجية والمقرر دستورياً ان مجلس النواب له حق اتهام رئيس الجمهورية ونائب الرئيس وجميع الموظفين بما في ذلك الوزراء امام مجلس الشيوخ وقد حدد الدستور الحالات التي تبرر هذا الاتهام وهي (الخيانة والرشوة وغير ذلك من الجنايات والجناح الكبri ) والعبارة الاخيره غامضة وفسرها بعض الشرائح في بدء عهد الجمهورية تفسيراً واسعاً<sup>(١٧)</sup> ان ادخلوا فيها الاصطاء السياسية وهذه السلطات المختلفة والهمامة جداً التي يتولاها الرئيس في الولايات المتحدة تستند الى دعم الرأي العام اذ يذهب هذا الدعم الى رئيس الدولة اكثراً من ذهابه الى البرلمانيين لأنهم نظراً لعدم احتتمال القليله ولعدم احتتمال التجديد لهم يظلون مجھولين من الشعب او على الاقل اقل شهرة من الرئيس وفي زمن الحرب تصبح سلطات الرئيس شبه دكتاتورية بحيث يستطيع من اجل الدفاع الوطني مصادرة الاشخاص والاموال ومساندة المحكمة الفعلية غدت بعض هذه السلطات التي كانت بطبيعتها مؤقتة حقاً مكتسباً للرئيس وفضلاً عن ذلك كله فأن للرئيس حق اخر غایه في الاهمية وهو حق العفو.

### المبحث الأول: طبيعة مسؤولية رئيس الجمهورية وتطور تنظيمها الدستوري

يثار التساؤل عن طبيعة مسؤولية رئيس الجمهورية وفق دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥ من حيث معرفة مدى كونها مسؤولة جنائية أو سياسية كون الدستور أعلىه لم يحدد نوع تلك المسؤولية بصورة صريحة بالإضافة إن نظام الحكم السائد في بلدنا يكون له الأثر الكبير في تحديد مثل تلك المسؤولية وبذلك فإننا سنتناول في هذا المبحث وضمن مطلبين طبيعة المسؤولية التي تترتب على رئيس الجمهورية عند ارتكابه فعلًا مخالفًا لنص الدستور أو القانون ومن ثم بيان التطور التاريخي لتنظيم هذه المسؤولية من الناحية الدستورية في فرنسا ومصر والعراق .

القاعدة العامة إن كل سلطة تكون مماثلة بأشخاص (حكام) مسئولون عن إدارة أمور الدولة وتسير شؤونها من خلال ما يتمتعون به من صلاحيات ومؤسسات تميزهم عن غيرهم من الأفراد والموظفين ، ولكن هل يعني ذلك إن أولئك الحكام يقومون بذلك الإعمال دون قيد أو شرط ؟ إن الأمر ليس على إطلاقه بهذه الصورة لأن ذلك سيؤدي إلى الاستبداد بالسلطة ونشوء الدكتاتورية وبالتالي فلا بد من إخضاعهم لمبدأ مهم لا وهو مبدأ (تللزم السلطة والمسؤولية - للمسؤولية) <sup>(١٨)</sup>.

ومقتضى هذا المبدأ القانوني وجوب إقامة توازن قانوني بين السلطة والقائمين عليها من جهة ، والشعب من جهة أخرى . وهذا يقودنا بدوره إلى تأكيد القول بأن جميع الأفراد والسلطات يجب أن يخضعوا للقانون ولا يوجد أحد فوق القانون مهما بلغت سلطته أو أرتفع مستوى مسؤوليته.

وهناك من يتساءل <sup>(١٩)</sup> بالقول إذا خضع القائمون بالسلطة للقانون فما الذي يضمن عدم تعريضهم للكيد من قبل الأفراد بسبب ممارستهم لإعمال تلك السلطة ؟ وبالمقابل ما ضمان الشعب أو الأفراد من إن القائمين على السلطة يؤدونها بصورة صحيحة غير منحرفة ؟ من هذه التساؤلات جاءت فكرة إنشاء قضاء سياسي مختص بمحاكمة القائمين بأعباء السلطة <sup>(٢٠)</sup> ، وهذا القضاء يتميز من الناحية الوظيفية بطبيعة الجرائم التي يختص بنظرها ، وهي بوجه خاص الجرائم التي تمس نظام الدولة... السياسي سواء تعلق بالحكومة أو تنظيم السلطات ، وهذه الجرائم تميز بأنها ذات طابع خاص وتطلب تقديراً معيناً لا يتوافر لدى القضاء العادي ، مما يعني إسناد النظر في مثل هذه الجرائم إلى محاكم خاصة وهذه الأخيرة تكون مختصة بالنظر في نوعين من الجرائم <sup>(٢١)</sup> :-

الأولى : - التي تقع من رجال السلطة وتمثل اعتداءاً على نظام الدولة .

الثانية : - التي تقع من الأفراد وتقتل اعتداءاً على نظام الدولة السياسي .

وما يهمنا في هذا الأمر الطائفة الأولى من هذه الجرائم ، إذ يعد إنشاء مثل هذه المحاكم الخاصة ضمانة أكيدة للأفراد في مواجهة الانحراف بالسلطة اذا توافر التطبيق العملي لذلك ، وبذلك يكون المتهمين أمام هذه المحاكم هم الحكمائهم وبضمهم (رئيس الجمهورية) وبالنظر لشخصية هؤلاء المتهمين والطبيعة الخاصة لمسؤولياتهم الجنائية عن الجرائم المسندة إليهم نجد ان اغلب الدساتير تتجه إلى تنظيم تلك المسئولية ومحاكمتهم أمام محكمة خاصة ضمن نصوص الدستور بل الأكثر من ذلك تتجه بعض الدساتير إلى عدم تقرير أية مسؤولية جنائية لهؤلاء الأشخاص وفي ذلك محاباة للمتهمين على حساب الأفراد . وهنا فإن التساؤل الذي يثار عن طبيعة المسؤولية التي تترتب جراء ارتكاب تلك الجرائم ، هل هي مسؤولية جنائية بحثة أم إنها مسؤولية سياسية (برلمانية) ؟ أم تجمع بين الاثنين ؟ بدءاً إن المسؤولية السياسية تعني مساءلة رئيس الوزراء والوزراء أمام البرلمان عن كافة أعمالهم وتصرفاتهم الإيجابية والسلبية المشروعة وغير المشروعة العمدية وغير العمدية <sup>(٢٢)</sup> ، ووفقاً لما مقرر في نصوص الدستور ومدى خضوع رئيس الجمهورية لهذا النوع من المسؤولية كما يذكر البعض <sup>(٢٣)</sup> كانت محل بحث واجتهد من قبل واضعي الدساتير إذ تبرز الصعوبة في النواحي الآتية :-

١. إن النظام الخاص بمسؤولية رئيس الجمهورية يتداخل مع النظام الخاص بمسؤولية الوزراء وحسب طبيعة نظام الحكم في كل دولة.

٢. إن الإجراءات والخطوات الخاصة بإثارة مسؤولية رئيس الجمهورية و على اختلاف نوع النظام السياسي (برلماني أو رئاسي) تكاد تكون خالية من النص على مثل هذه المسؤولية لرئيس الجمهورية

وهنالك من يرى - بأن مسؤولية رئيس الجمهورية في مثل هذه الحالات التي تنص عليها الدساتير تقاد تكون مسؤولية سياسية بحثة في جانب معين بسبب عدم تحديد نوع تلك المسؤولية ضمن نصوص الدستور كأن يذكر الدستور عبارة ((يسأل رئيس الجمهورية في الحالات التالية .....)) وقد تكون جنائية في جانب آخر<sup>(٢٤)</sup>. و تفسير الحالتين أعلاه مفاده الرجوع إلى القاعدة العامة التي تقضي باختصاص قانون العقوبات الصادر وفق أحكام الدستور بتنظيم الأفعال التي يعد ارتكابها أو الامتناع عن أدائها جرائم معينة مسبقاً مع تحديد عقوبة كل جريمة ، وفق ما مقرر في المادة (١) من قانون العقوبات العراقي رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩ المعدل ، و حيث أن النص (في بعض الدساتير) على مسؤولية رئيس الجمهورية عن بعض الأفعال فلا يعني ذلك تحقق مسؤوليته الجنائية المباشرة عنها ، ذلك لعدم اختصاص الدستور في تحديد الجرائم و وضع العقوبة الملائمة لها ضمن نصوصه ، أما الحالة الثانية التي تكون فيها مسؤولية رئيس الجمهورية جنائية بموجب نص الدستور فهي حالة النص الصريح لتلك المسئولية كما فعل مشروع الدستور المصري لعام ١٩٧١ النافذ حالياً<sup>(٢٥)</sup> وبالاستناد إلى دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥<sup>(٢٦)</sup> . لابد من القول بأنه لا يمكن عدم مسؤولية رئيس الجمهورية فيما يسند إليه من اتهامات بموجب نصوص الدستور هي مسؤولية سياسية بحثة وذلك للأسباب الآتية :-

١. لو كانت المسؤولية سياسية بحثة لأضطلع البرلمان فقط بحق مسألة رئيس الجمهورية دون إحالته إلى المحكمة المختصة.
٢. أيضاً لو كانت تلك المسئولية سياسية بحثة لكن المشرع قد نص عليها ضمن نصوص الدستور - كما هو الحال في مسألة الوزارة.<sup>(٢٧)</sup>
٣. إن وجود محكمة محددة سلفاً للنظر في مثل هذه الحالات يدلل على ان تلك الأفعال قد تكون جرائم جنائية و خصوصاً ان البرلمان يعتمد على قرار ((الإدانة)) لرئيس الجمهورية من قبل تلك المحكمة لتحديد مصير الرئيس بعد ذلك.
٤. في دستور العراق لعام ٢٠٠٥ ورد في المادة (١٣٨) منه النص على حالات إعفاء أي عضو من أعضاء مجلس الرئاسة من منصبه بما فيهم رئيس الجمهورية بسبب (عدم الكفاءة و عدم النزاهة) مما يشير إلى وجود حالات غير تلك التي نصت عليها المادة (٦١)<sup>(٢٨)</sup> من الدستور مما يستتبع القول بأن مسؤولية رئيس الجمهورية في المادة (٦١) أعلاه هي مسؤولية جنائية ، لأن إعفاءه وفق المادة (١٣٨)<sup>(٢٩)</sup> من الدستور يتم بطريقه مباشرة من قبل البرلمان دون إحالة الموضوع لمحكمة مختصة.
٥. إن طبيعة نظام الحكم السائد في الدولة له الأثر الكبير في تحديد طبيعة و نوع مسؤولية رئيس الجمهورية ، فإذا كان ذلك النظام ((برلمانياً)) كانت الوزارة المسئولة الأولى سياسياً بحسب الصالحيات المنوحة لها و ضاللة دور رئيس الجمهورية مما يجعله عرضة للمسؤولية الجنائية أكثر من المسؤولية البرلمانية .
٦. غالباً ما تتجه المحاكم الخاصة بمحاكمة رئيس الجمهورية إلى العمل بموجب قانون خاص ينظم نوع المسؤولية المترتبة على أفعال رئيس الجمهورية لذا فقد تكون تلك المسؤولية جنائية بحثة بموجب تلك القوانين الخاصة من خلال الإحالة الواردة في نصوصها إلى قوانين العقوبات في موضوع تحديد الأفعال الجنائية و العقوبات المقررة لها كما هو الحال في مصر. ونحن بانتظار صدور القانون الخاص بالمحكمة الاتحادية العليا الجديد ونأمل ان يتضمن الإشارة إلى نوع المسؤولية المترتبة على رئيس الجمهورية بموجب الحالات الواردة بالدستور ، بالإضافة إلى إن القانون الخاص بمسألة رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والوزراء لم يصدر لحد الآن ، علماً أن قانون المحكمة الاتحادية العليا رقم (٣٠) لسنة ٢٠٠٥ لم يشر إلى مثل هذا الموضوع ضمن نصوصه القانونية .

**المسؤولية السياسية للقائمين بأعباء السلطة التنفيذية (دراسة مقارنة)**

٧. خلو قانون العقوبات من أي نص يحدد مسؤولية رئيس الجمهورية الجنائية بل تعمد هذه القوانين إلى تحصين رئيس الجمهورية من أي مسؤولية جنائية .

وأخيراً فانتا نؤيد الرأي الذي يذهب إلى القول<sup>(٣)</sup> بأن مسؤولية رئيس الجمهورية هي مسؤولية تبدأ سياسية و تنتهي جنائية عن بعض الأفعال المحددة بوجب نصوص الدستور ، و لأن الإجراءات المتبعة في إثارة مسؤولية رئيس الجمهورية تقاد تكون إجراءات مختلطة بين البرلمان و المحكمة فتبدأ بجانب سياسي برلماني بإثارة تلك المسؤولية من قبل أعضاء البرلمان و تنتهي بإحالة الموضوع إلى المحكمة المختصة ثم تعود تلك المحكمة إلى البرلمان بقرارها ليتم تحديد مصير رئيس الجمهورية (من حيث المنصب) من قبل البرلمان في ضوء قرار المحكمة ، فتكون هذه المسئولية جنائية دستورية أي مسؤولية مختلطة ان لم تكن في الغالب مسؤولية جنائية وهذا ما سيكشفه القانون الخاص بالمحكمة الاتحادية العليا الخاصة بمحاكمة الرئيس أو أي قانون خاص يصدر لتنظيم هذه المسؤولية .

### **المطلب الثاني: التنظيم الدستوري لمسؤولية رئيس الجمهورية**

غالباً ما تتحدد مسؤولية رئيس الدولة الجنائية أو السياسية بحسب طبيعة نظام الحكم الذي يسود في فترة معينة إذ يحدث ان تعمد أغلب الدول التي تأخذ بالنظام الملكي إلى جعل الملك مصون وغير مسؤول بالإضافة إلى ان اغلب الدول التي تحكم بنظام دكتاتوري تذهب في دساتيرها إلى تحصين رئيس الدولة كي يتمكن من القبض على السلطة والاستمرار فيها دون منازع ، إذ أن أهم سمات ذلك النظام هو التمسك بكرسي الحكم أكثر وقت ممكن ، و ستناول بالبحث التطور التاريخي لتنظيم مسؤولية رئيس الجمهورية في الدساتير بوصفها المنظم الرئيس لهذه المسئولية بسبب المركز الحساس لنصب رئيس الجمهورية من جهة ، و لعدم وجود نصوص عقابية صريحة في قوانين العقوبات تحدد مسؤولية رئيس الجمهورية الجنائية و ذلك في فرنسا ومصر و العراق.

**أولاً : في فرنسا -** اتسمت الدساتير الفرنسية المتعاقبة بالنص الصريح على عدم مسؤولية رئيس الجمهورية بصورة مطلقة إلا في حالة الخيانة العظمى<sup>(٣١)</sup> ابتداءً من دستور الجمهورية الثالثة (١٨٧٥ – ١٩٤٠ ) إذ ورد في المادة (٢/٦) من القانون رقم (٢٥) لسنة ١٨٧٥ و هو أحد قوانين تشكيل الدستور على إن (رئيس الدولة غير مسؤول إلا في حالة الخيانة العظمى) بعد ان حدد مسؤولية الوزراء الجنائية في الفقرة (الأولى) منه إذ وردت النصوص الخاصة بمسؤولية رئيس الجمهورية على غرار ما ورد في دستور الجمهورية الثالثة ، أما دستور ١٩٥٨ فقد نص صراحة على مسؤولية رئيس الجمهورية عن حالة الخيانة العظمى في المادة (١/٦٨) منه بالقول (( لا يكون رئيس الجمهورية مسؤولاً عن الأعمال التي يقوم بها في مباشرة مهامه إلا في حالة الخيانة العظمى و يكون اتهامه بواسطة المجلس بقرار موحد يصدر بتصويت علني و بالأغلبية المطلقة للأعضاء الذين يتكون منهم المجلس و تجري محكمته أمام المحكمة القضائية العليا))<sup>(٣٢)</sup> و استناداً إلى ما تقدم يذهب غالبية الفقه الدستوري إلى عدم مسؤولية رئيس الجمهورية عن تهمة الخيانة العظمى مسؤولية سياسية (برلمانية) و ليس مسؤولية جنائية .

**ثانياً: - في مصر -** بدأت مصر بنظام الحكم الملكي ابتداءً من دستور ١٩٢٣ و بوجب المادة (٢٣) منه نص على عدم مسؤولية الملك إذ ورد فيها بأن (( الملك هو رئيس الدولة و ذاته مصونة لا تمس )) و بما أن الملك غير مسؤول بوجب نص الدستور فإنه يكون بمنأى عن مباشرة أعمال السلطة التنفيذية وأوكل الأمر إلى الوزارة التي حدد الدستور مسؤوليتها الجنائية بوجب المادة (٦٨) منه<sup>(٣٣)</sup> .

إما دستور عام (١٩٣٠) الانقلابي المؤقت فلم يتضمن أي شيء عن مسؤولية الملك الجنائية و بسبب الثورة و تحول نظام الحكم من الملكي إلى الجمهوري بوجب دستور عام (١٩٥٦) فإن رئيس الدولة يكون

مسؤولاً سياسياً و جنائياً أمام مجلس الأمة و يتولى المجلس توجيه الاتهام الجنائي لرئيس الجمهورية بموجب المادة (١٣٠) في حالات معينة نصت عليها تلك المادة<sup>(٣٤)</sup>

و في دستور (١٩٥٨) المؤقت فقد أبقى على المسؤولية الجنائية نفسها الواردة في دستور (١٩٥٦) إلى أن تم تشرع دستور عام (١٩٦٤) المؤقت الذي أسس مسؤولية رئيس الجمهورية كما هو عليه الحال في دستور عام (١٩٧١) النافذ و الذي نص في المادة (٨٥) منه على مسؤولية رئيس الجمهورية الجنائية عن جريمة الخيانة العظمى أو أية جريمة جنائية أخرى و التي ستناولها في البحث الثالث من هذا البحث المخصص لحالات مساءلة رئيس الجمهورية أمام المحكمة الاتحادية العليا.

ثالثاً : - في العراق - نص القانون الأساسي العراقي (الدستور الأول في العراق) في المادة (٢١) منه على عدم مسؤولية الملك بصورة مطلقة فجاء في المادة أعلاه ان ((الملك مصون وغير مسئول)) وبالتالي لا يمكن إثارة مسؤولية الملك سواء من الناحية الجنائية أو السياسية.

و في عام ١٩٥٨ صدر دستور ٢٧ تموز و لم يتضمن أي نص يتناول مسؤولية رئيس الجمهورية الجنائية أو حتى النصوص الخاصة بالخصانة و السبب كما نرى انه جاء في أوضاع انتقالية بالإضافة إلى أن المواد التي نصها هذا الدستور كانت قليلة و مقتضبة و مختصرة نوعاً ما<sup>(٣٥)</sup> وفي عام ١٩٦٣ صدر دستور ٤ نيسان الذي لم يتضمن هو الآخر أي نص يتناول أو ينظم مسؤولية رئيس الجمهورية الجنائية أو السياسية أو حتى النصوص الخاصة بمحاسبة رئيس الجمهورية<sup>(٣٦)</sup>.

اما دستور ٢٩ نيسان ١٩٦٤ فقد نظمت المادة (٦٠) مسؤولية رئيس الجمهورية و نصت على (( لا تامة على رئيس الجمهورية بسبب أعمال وظيفته إلا في أحوال خرق الدستور أو الخيانة العظمى ، أما تبعته فيما يختص بالجرائم العامة فهي خاضعة للقوانين الصادرة و لا يجوز اتهامه بسبب هذه الجرائم أو بسبب خرق الدستور أو الخيانة العظمى إلا من قبل مجلس الوزراء بقرار من أكثرية ثلثي المجموع الكلي لأعضائه و لا تجوز محکمته إلا من قبل محکمة خاصة و على الوجه المبين في القانون )) و نرى بأن واضعي هذا الدستور قد جاءوا في بيان و تنظيم مسؤولية رئيس الجمهورية بالنص صراحة عليها فقسموا هذه المسئولية إلى نوعين الأولى : تتعلق باعمال وظيفة رئيس الجمهورية فتنشأ مسؤوليته عن خرق الدستور و الخيانة العظمى اما الثانية : فهي مسؤليته الجنائية عن الجرائم العادلة و أحضرت للقوانين العامة السائدة آنذاك مثل قانون العقوبات البغدادي<sup>(٣٧)</sup> و في الحالتين جعل أمر تحريك الاتهام خاص بـ مجلس الوزراء بقرار يصدر بأكثرية ثلثي المجموع الكلي لعدد أعضائه و إحالة الموضوع المحکمة خاصة للمحاکمة عن تلك الجرائم مما يدل على خصوصية هذا الامر و خروجه عن القواعد العامة في المحاكمات العادلة.

أما دستور ٢١ أيلول ١٩٦٨ فلم يرد فيه أي نص يتعلق بمحاسبة رئيس الجمهورية و حساناته أثناء أدائه لهاـم عملـه إلا فيما يتعلق بمحاسبة رئيس و أعضاء مجلس قيادة الثورة فنصـت المادة (٤٦) منه على أن (( لا تـخـذـ أي إـجرـاءـاتـ قـانـونـيةـ ضدـ عـضـوـ مجلـسـ قـيـادـةـ الثـورـةـ بـسـبـبـ أـعـمالـ وـظـيفـتـهـ إلاـ بـقـرـارـ صـادـرـ منـ ثـلـثـيـ أـعـضـاءـ عـلـىـ انـ يـحاـكـمـ أـمـامـ محـكـمـةـ خـاصـةـ عـلـىـ الـوـجـهـ المـبـيـنـ فـيـ القـانـونـ )) و بما أن رئيس مجلس قيادة الثورة يعد حـكـماـ فيـ ذـلـكـ الوقـتـ رـئـيـساـ لـلـجـمـهـورـيـةـ<sup>(٣٨)</sup> و بالتالي يكون مشمولاـ بـهـذاـ النـصـ .

و في دستور ١٩٧٠ و بالتزامن مع تـشـريعـ قـانـونـ العـقوـبـاتـ العـراـقـيـ رقمـ (١١) لـسـنةـ ١٩٦٩ـ المـعـدـ وـ النـافـذـ حـالـيـاـ فـقـدـ أـصـبـحـتـ مـسـؤـولـيـةـ رـئـيـساـ لـلـجـمـهـورـيـةـ منـظـمـةـ بـيـنـ الدـسـتـورـ وـ قـانـونـ العـقوـبـاتـ وـ بـالـرـجـوعـ إـلـىـ قـانـونـ العـقوـبـاتـ نـجـدـ أـنـ الأـصـلـ العـالـمـ فـيـ يـقـضـيـ تـطـيـقـ أـحـكـامـهـ عـلـىـ كـلـ شـخـصـ يـقـيمـ فـيـ إـقـلـيمـ الجـمـهـورـيـةـ العـراـقـيـ عـنـ اـرـتكـابـهـ جـرـيـةـ يـعـاقـبـ عـلـيـهـ قـانـونـ العـقوـبـاتـ<sup>(٣٩)</sup> إـلـاـ أـنـ المـشـرـعـ العـراـقـيـ وـ لـاـعـتـبارـاتـ مـعـيـنـةـ قـدـ نـصـ عـلـىـ اـسـتـثنـاءـ بـعـضـ الـأـشـخـاصـ مـنـ الـمـسـاءـلـةـ الـجـنـائـيـةـ عـمـاـ يـقـومـونـ بـهـ مـنـ أـعـمـالـ بـسـبـبـ طـبـيعـةـ تـلـكـ الـأـعـمـالـ فـالـمـادـةـ (١١)ـ مـنـ قـانـونـ العـقوـبـاتـ تـنـصـ عـلـىـ أـنـ ((ـ لـاـ يـسـرـيـ هـذـاـ القـانـونـ عـلـىـ الـأـشـخـاصـ الـمـتـمـعـينـ

**المسوؤلية السياسية للقائمين بأعباء السلطة التنفيذية (دراسة مقارنة)**

بحصانة مقررة بمقتضى الاتفاقيات الدولية أو القانون الدولي أو القانون الداخلي )) و كون الدستور أعلى وثيقة قانونية في الدولة فقد نصت المادة (٤٠) منه على أن (( يتمتع رئيس مجلس قيادة الثورة و نائبه و الأعضاء بحصانة تامة و لا يجوز اتخاذ أي إجراء مسبق بحقهم إلا بإذن مسبق من المجلس )) وبما ان رئيس مجلس قيادة الثورة يرشح من قبل المجلس لتولي منصب رئيس الجمهورية بموجب نص المادة (٥٧/أ) من الدستور فإنه يتمتع بحصانة دستورية وفق المادة (٤٠) أعلاه و حصانة قانونية جنائية بموجب المادة (١١) من قانون العقوبات النافذ<sup>(٤١)</sup> يجب الإشارة إلى أن المادة (٤٥) من الدستور قد حددت مسؤولية رئيس و نائب رئيس و أعضاء مجلس قيادة الثورة أمام المجلس نفسه عن جرائم الخت باليمن الدستورية أو خرق الدستور أو أي تصرف يراه المجلس مخلاً بشرف المسؤولية التي يمارسها وفق قواعد يضعها المجلس حول تشكيل المحكمة و الإجراءات الواجب إتباعها. أما بخصوص اجراءات الاتهام و تحريك الدعوى ضد رئيس الجمهورية فقد بينت المادة (٣٨/هـ) من الدستور ذلك<sup>(٤٢)</sup>. أما مشروع دستور جمهورية العراق لسنة ١٩٩٠ : فلم يتضمن أي نص يشير إلى مسؤولية رئيس الجمهورية الجنائية أو السياسية<sup>(٤٣)</sup> وفيما يتعلق بدستور العراق لعام ٢٠٠٥ فقد نصت المادة (٦١ / سادساً) على مسؤولية رئيس الجمهورية و كما سنبين ذلك لاحقاً..

### **المبحث الثاني: حالات مسالة رئيس الجمهورية أمام المحكمة الاتحادية العليا**

تحتخص المحكمة الاتحادية العليا في العراق دون غيرها بحق مسالة رئيس الجمهورية في حالات ثلاث وردت في صلب الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ وهي -الخيانة العظمى والخت باليمن وانتهاك الدستور ، ولتعلق موضوع البحث بتحديد مسؤولية رئيس الجمهورية الجنائية في كل من فرنسا ومصر والعراق ، نجد أن دساتير هذه الدول قد اتفقت على مسالة رئيس الجمهورية عن حالة الخيانة العظمى و اختلفت في بعض الموجبات الأخرى ، وأن التساؤل الذي يثار بهذا الصدد هل تشمل حالات المسائلة رئيس الجمهورية فقط أم إنها تمت لتشمل أعضاء هيئة الرئاسة؟ إن الجواب على ذلك يظهر لنا من خلال تفحص نصوص الدستور فالمادة (٦١) في فقرتها (ال السادسة / ٤ ) نصت على مسالة رئيس الجمهورية حصرًا إلا أن المادة (١٣٨) في الفقرة (أولاً) نصت على ما يلي يحمل تعبير (مجلس الرئاسة) محل تعبير (رئيس الجمهورية) أينما ورد في هذا الدستور ..... وبالنالي وفقاً لنص المادة (١٣٨) أعلاه فإن المسؤلية تشمل رئيس الجمهورية ونوابه .

ففي مصر يعاقب رئيس الجمهورية بموجب المادة (٨٥) من الدستور النافذ عن جريمة الخيانة العظمى و آية جريمة جنائية أخرى<sup>(٤٤)</sup> ، أما في العراق فقد نصت المادة (٦١) من دستور عام ٢٠٠٥ النافذ حالياً على مسالة رئيس الجمهورية عن الخيانة العظمى بالإضافة إلى انتهاك الدستور و الخت باليمن الدستورية . و ستتناول مفهوم كل حالة من الحالات أعلاه في ثلاثة مطالب بخصوص الأول لبيان مفهوم الخيانة العظمى و الثاني لتحديد مدلول الخت باليمن الدستورية أما الثالث فستغفر له مفهوم انتهاك الدستور .

### **المطلب الأول: الخيانة العظمى**

الخيانة في اللغة تعني :- **الخون** :- أي ان يؤتمن الإنسان فلا ينصح ، خانه يخونه خوناً و خيانه ، و خانة و مخانة<sup>(٤٥)</sup> . و الخيانة العظمى عبارة ذات مفهوم واسع و غير محدد حتى من قبل المشرع الدستوري أو القانوني ، و غالباً ما يتم الأخذ بالمفهوم العام للخيانة عند تفسير الشرح لهذا المفهوم<sup>(٤٦)</sup> و ستتناول موقف التشريع و الفقه حول مدلول الخيانة العظمى في كل من فرنسا و مصر و العراق وفق الفروع الثلاثة الآتية :-

**الفرع الأول : في فرنسا:-** نصت أغلب الدساتير الفرنسية على مبدأ هام هو عدم مسالة رئيس الجمهورية بصورة مطلقة إلا عن حالة (الخيانة العظمى) إبتداء من دستور الجمهورية الثالثة سنة ١٨٨٧ و

لغایة دستور الجمهورية الخامسة في ١٩٥٨ ، أما الفقه الفرنسي فإنه يكاد يجمع على أن مسؤولية رئيس الجمهورية عن فعل الخيانة العظمى المنصوص عليه في المادة (٦٨) من الدستور ١٩٥٨<sup>(٤٧)</sup> النافذ هي مسؤولية سياسية (برلمانية) بالدرجة الأساس ، حيث يرى الفقيه (هورييو) بأنه من خلال استعراض نص المادة (٦٨) أعلاه يتأكد خلو الدستور من مبادئ التجريم والعقاب ، وبالتالي لا يمكن أن تكون المسؤولية المترتبة على الخيانة العظمى مسؤولة جنائية و من ثم فإن تعديل الخيانة العظمى تعير غامض يقصد به بصفة عامة الجرائم السياسية التي تهدى المؤسسات أو المصالح العليا للبلاد<sup>(٤٨)</sup> . أما الأستاذ (فيدل) فيرى بأن الخيانة العظمى لا يمكن أن تكون جريمة جنائية لأن القانون الجنائي أقتصر على تعريف الخيانة ولم يعرف الخيانة العظمى وبالتالي فيمكن اعتبار الإهمال الشديد من قبل رئيس الجمهورية للواجبات الملقاة على عاته خيانة عظمى وأن هذا الأمر متزوج للجمعية الوطنية والمحكمة العليا المختصة بمحاكمة رئيس الجمهورية باعتبار ذلك الإهمال خيانة من عدمه وتحديد العقوبة الملائمة له . وبذلك وحسب رأي الأستاذ (فيدل) فإن الخيانة العظمى تختلف كثيراً عن الخيانة المنصوص عليها في قانون العقوبات وبذلك فإن الخيانة العظمى لا تعني مجرد التخابر مع الأعداء أو تسليمهم موقع أو معلومات هامة عن البلد بل يمكن أن تكون الخيانة العظمى في فرنسا بالنسبة لرئيس الجمهورية وفق التقليد الفرنسي مجرد (الإهمال الخطير) من قبل الرئيس في أداء واجباته كخرق الدستور مثلاً يمكن تعريفه من الناحية القانونية بأنه خيانة عظمى وإن لم يكن له أي صلة بالعلاقات الدولية<sup>(٤٩)</sup> ، يضاف إلى ذلك نوعية العقوبات التي توجه إلى رئيس الجمهورية فهي لا تتعدى أن تكون ((عزل)) رئيس الجمهورية من منصبه دون اتخاذ أية إجراءات جنائية أخرى تجاهه<sup>(٥٠)</sup> ولقد جرت محاولات في فرنسا لتحديد العناصر المنشأة للمسؤولية الجنائية لرئيس الجمهورية.

**الأولى:** - في مشروع الدستور المؤقت المقدم في عام ١٨٧٤ حيث ورد النص فيه على عدم إثارة مسؤولية الرئيس الجنائية إلا في إحدى الحالات الآتية -

أ- الخيانة العظمى      ب- الاغتصاب

ولقد حاول المشروع المقدم بقانون سنة ١٨٧٨ تحديد حالات مفهوم الخيانة العظمى بالنسبة لرئيس الجمهورية في محاولة ثانية وهي : -

أ- إذا حاول رئيس الجمهورية بوسيلة غير قانونية أن يضع العراقيل أمام السلطة التشريعية أثناء ممارستها لوظيفتها ، كحل البرلمان حلاً غير دستورياً .

ب- إذا أعلن الرئيس الحرب على دولة أخرى دون موافقة المجلسين .

ج- إذا أدين رئيس الجمهورية بجرائم ضد أمن الدولة منصوص عليها في قوانين العقوبات .

د- إذا استقدم رئيس الجمهورية قوات أجنبية إلى أرض الوطن أو ساعد على ذلك خلافاً للدستور.

هـ- إذا أدین رئيس الجمهورية بسبب قيامه بأعمال من شأنها وقف العمل بالدستور أو إلغاءه<sup>(٥١)</sup> .

وبذلك يمكن أن يدخل ضمن مفهوم الخيانة العظمى أي فعل يشكل إخلال بواجبات رئيس الجمهورية الأساسية لكون أن مدلول و مفهوم فعل الخيانة العظمى غير محدد وغير منظم قانوناً في فرنسا أي أنه يتسم بالبرونة والسرعة .

**الفرع الثاني :** - في مصر - نص دستور سنة ١٩٧١ النافذ في المادة (٨٥) منه على المسؤولية الجنائية لرئيس الجمهورية في حالة اتهامه بالخيانة العظمى أو أية جريمة جنائية أخرى ، إذ نصت على أن (( يكون اتهام رئيس الجمهورية بالخيانة العظمى أو بارتكاب جريمة جنائية بناءً على اقتراح مقدم من ثلاثة أعضاء مجلس الشعب على الأقل ، ولا يصدر قرار الاتهام إلا بأغلبية ثلثي أعضاء المجلس ، ..... و تكون محاكمة رئيس الجمهورية أمام محكمة خاصة ينظم القانون تشكيلاً لها و إجراءات المحاكمة أمامها ويحدد العقاب ، وإذا حكم بادانته اعفي من منصبه مع عدم الاتّحاد بالعقوبات الأخرى )) وقبل الدستور

**المسؤولية السياسية للقائمين بأعباء السلطة التنفيذية (دراسة مقارنة)**

اعلاه شرع في عام ١٩٥٦ القانون المرقم ٢٤٧ الخاص بمحكمة رئيس الجمهورية والوزراء<sup>(٥٢)</sup> وحدد الافعال التي يعاقب عليها رئيس الجمهورية في حالتين هي الخيانة العظمى وعدم الولاء للنظام الجمهوري ، وبلاحظ ان القانون اعلاه لم يصف أيا من هذين الفعلين بأنه جريمة الا انه نص على عقوبة جنائية محددة لكل منهما<sup>(٥٣)</sup> . كما بين الحالات التي تدخل ضمن مفهوم عدم الولاء للنظام الجمهوري بانها اولا : - العمل على تغيير نظام الحكم من جمهوري إلى ملكي ثانيا : - وقف الدستور كله أو بعضه أو تعديل احكامه دون اتباع القواعد والاجراءات التي حددتها الدستور<sup>(٥٤)</sup> . وترك مفهوم الخيانة العظمى دون تحديد مما أدى إلى الاجتهداد من قبل البعض في اقتباس مفهوم فعل الخيانة العظمى المنسوب إلى رئيس الجمهورية من المفهوم الوارد في قانون محكمة الوزراء رقم (٧٩) لسنة ١٩٥٨ وقبل ذلك فان المتبوع للقانون رقم (٢٤٧) يجد ان المذكرة الايضاحية التي صدر بموجبها القانون اعلاه ، بينت بأن المشرع ترك تحديد اعمال الخيانة العظمى لاحكام قانون العقوبات<sup>(٥٥)</sup> ويقتبس البعض<sup>(٥٦)</sup> مفهوم جريمة الخيانة العظمى من التعريف الوارد لها في قانون محكمة الوزراء رقم (٧٩) لسنة ١٩٥٨ ويرى جواز ذلك الاقتباس بدليل ان قانون محكمة رئيس الجمهورية نفسه قد احال إلى قانون العقوبات في تحديد مفهوم الخيانة العظمى .

فتعرف الخيانة العظمى في قانون محكمة الوزراء بأنها (( كل جريمة تمس سلامه الدولة أو امنها الخارجي أو الداخلي أو نظام الحكم الجمهوري ويكون منصوص عليها في القوانين المصرية ومحددا لها عقوبة الاعدام أو الاشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة أو الاعتقال المؤبد أو المؤقت )) .

خلافة القول ان الفقه والتشريع المصري يرى بان الخيانة العظمى التي ترتكب من قبل رئيس الجمهورية هي جريمة جنائية تنشأ بقيامها المسؤولية الجنائية لرئيس الجمهورية تستوجب العقوبات المنصوص عليها في قانون العقوبات والقوانين الخاصة بالإضافة إلى إعفائه من منصبه بعد إدانته من قبل المحكمة المختصة بمحاكمته<sup>(٥٧)</sup>

**الفرع الثالث : - في العراق** - وبسبب التطورات السياسية التي حصلت بعد سقوط النظام السابق في ٤/٩/٢٠٠٣ وانعكاس تلك التطورات على الواقع الدستوري والقانوني في العراق ، فقد نص دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥ على حالة الخيانة العظمى في المادة (٦١/سادساً) كما سبقت الاشارة لذلك بالإضافة إلى حالي انتهاك الدستور والخنيث باليمن . ولكون العراق حديث العهد في النص على حالة الخيانة العظمى وتحديد مسؤولية رئيس الجمهورية بموجبها ولعدم معرفتها سابقاً فان ما يكتب بصدق بيان مفهومها يكاد يكون قليلاً لحد الآن للأسباب اعلاه ، يضاف إلى ذلك عدم وجود تطبيق قضائي خاص بهذه الحالة وعدم صدور قانون المحكمة الاتحادية العليا الخاصة بمحكمة رئيس الجمهورية عن الحالات اعلاه بموجب نص الدستور. ومع ذلك نرى بان مفهوم الخيانة العظمى المنسوب لرئيس الجمهورية يمكن ان ينصرف إلى كل تصرف او اجراء يقوم به رئيس الجمهورية يشكل جريمة منصوص عليها في قانون العقوبات أو أي قانون عقابي اخر. والسبب في تحديد هذا المفهوم بالصيغة اعلاه يكمن فيما يأتي :-

١. لقد نص الدستور بصورة صريحة على مسألة رئيس الجمهورية عن انتهاك الدستور والخنيث باليمن ، وبالتالي فإنه لا يمكن عذر أي فعل مخالف للقانون انتهاكاً للدستور لكون الحالة الاخيرة تكون محددة في مخالفة نص الدستور الصريح بالإضافة إلى ذلك فان المسألة عن الخنيث باليمن تتصرف إلى الارهال بكل مفردة من المفردات الواردة في صيغة اليدين الدستورية المبينة في المادة (٥٠) من الدستور لذلك نرى بان ارتكاب أي فعل يشكل جريمة خارجة عن مفهوم الحالتين اعلاه يعد خيانة عظمى من قبل رئيس الجمهورية .

٢. عدم وجود نص قانوني عقابي يحدد مسؤولية رئيس الجمهورية عن الافعال التي تقع منه اثناء تأديته وظيفته وتشكل هذه الافعال بدورها جرائم معاقب عليها جنائياً .

٣. عدم وجود نص دستوري أو قانوني ينح رئيس الجمهورية حصانة قانونية عن الافعال التي ترتكب منه وتشكل جرائم جنائية وبالتالي يمكن للبرلمان وفق نص الدستور اثارة مسؤولية رئيس الجمهورية عن حالة الخيانة العظمى اذا ارتأى بأن تلك الافعال تشكل جرائم جنائية
٤. ان عدم تحديد مفهوم الخيانة العظمى في الدستور بصورة صريحة يمثل نوعاً من الرقابة الذاتية لرئيس الجمهورية على افعاله وتصرفاته بحيث يكون على قدر من الحيطة والحذر في اتخاذ أي قرار أو اجراء خوفاً من الواقع في ما يمثل جريمة الخيانة العظمى.
٥. عدم صدور القانون الخاص بالمحكمة الاتحادية العليا وقانون محكمة رئيس الجمهورية لحد الآن وفق نص الدستور ، اذ ان تشريع تلك القوانين قد يبيّن ماهية الأفعال التي تدرج تحت مفهوم الخيانة العظمى<sup>(٥٨)</sup> ، وهو ما ندعو الشرع العراقي إلى الأخذ به من خلال تحديد معين لكل فعل يدخل ضمن مفهوم الخيانة العظمى منعاً للاجتهاد والتأنيل.

### المطلب الثاني: الحث باليمين الدستورية

الحث باللغة يعني : الخلف في اليمين ، حث في يمينه حشاً وحشاً ، لم يبر بها ، وفي الحديث (اليمين حث أو مندمة) . والاختن في اليمين تقضها والنكت فيها<sup>(٥٩)</sup>. ويعرف الحث باليمين بأنه (العمل خلاف ما ورد في اليمين من مقتضيات أو ترك العمل بها)<sup>(٦٠)</sup>. ولقد أوجبت المادة (٧٠) من الدستور العراقي النافذ على رئيس الجمهورية اداء اليمين الدستورية المنصوص عليهما في المادة (٥٠) من الدستور وبالنظر إلى نص المادة أعلاه<sup>(٦١)</sup> نجد ان مخالفة محتويات أو موجبات هذه اليمين من قبل رئيس الجمهورية يمكن أن ينشأ جرائم منصوص عليها في قانون العقوبات النافذ كجريمة المساس باستقلال العراق وسيادته المنصوص عليها في المادة (١٥٦) عقوبات (إذ نظمت هذه الحالة كجريمة جنائية في قانون العقوبات العراقي النافذ ضمن مجموعة الجرائم المضرة بالمصلحة العامة في الكتاب الثاني حيث وردت في المادة (١٥٦) في الباب الأول (الجرائم الماسة بأمن الدولة الخارجي) . وتنص المادة أعلاه على ما يأتي :- ((يعاقب بالإعدام من ارتكب عمداً فعلاً بقصد المساس باستقلال البلاد أو وحدتها أو سلامتها أراضيها أو كان الفعل من شأنه أن يؤدي إلى ذلك)). أما قانون العقوبات الفرنسي فقد عاقب مرتكب هذه الجريمة بعقوبة السجن من سنة إلى عشر سنوات مع غرامة من (٣٠٠٠ - ٧٠٠٠) فرنك مع الحرمان من الحقوق المدنية ، أما إذا استعملت الأسلحة في ارتكابها فان العقوبة تصل إلى الإعدام<sup>(٦٢)</sup> وفي مصر فان هذه الجريمة تعد من قبيل الأفعال المكونة للخيانة العظمى المنصوص عليها في المادة (٨٥) من الدستور النافذ ويعاقب عليها بعقوبة الإعدام أو الأشغال الشاقة وفق المادة (٧٧) من قانون العقوبات. يضاف إلى ذلك ما ينتجه من هذه المخالفة من مساس ببدأ هام آلا وهو ((استقلال القضاء)) ، وكذلك فيما يتعلق بعدم صيانة الحريات العامة المنصوص عليها في الدستور والمنظم بعضها في قانون أصول المحاكمات الجزائية ، كالإجراءات المتعلقة بالقبض وتقييد حرية الفرد وصيانة الحريات العامة والخاصة يتطلب أيضاً المحافظة على استقلال القضاء كما سبق القول إذ أن الرقابة القضائية على أعمال السلطة التنفيذية تعد ضمانة أساسية لحرفيات الأفراد وحقوقهم إذا ما تعرضت للانتهاك والتقييد على وجه غير مشروع<sup>(٦٣)</sup> ، إلا أن أهم ضمانة لصيانة الحريات العامة والخاصة هي الضمانات الدستورية و هذه تتأتى و تستمد قوتها من خلال النص على تلك الحريات في صلب.... الدستور أي أنها تصبح قواعد دستورية ملزمة لكل السلطات و تقييد السلطة التشريعية بضرورة إصدار القوانين وفقاً لتلك النصوص مراعية في ذلك عدم التعارض معها إذا لا يجوز لأي سلطة أن تتخطاها إلا في الحدود والأوضاع والطرق التي يرسمها الدستور<sup>(٦٤)</sup> ، وبذلك فقد نصت المادة (٤٦) من دستور جمهورية العراق النافذ على ذلك بالقول بأنه (( لا يكون تقييد ممارسة أي من الحقوق و الحريات

**المسؤولية السياسية للقائمين بأعباء السلطة التنفيذية (دراسة مقارنة)**

الواردة في هذا الدستور أو تحديدها إلا بقانون أو بناءً عليه ، على أن لا يمس ذلك التحديد جوهر الحق و الحرية)). و لقد ذهب الدستور المصري إلى أبعد من ذلك عندما أورد نصاً هاماً يمثل حصانة و ضمانة متميزة لحماية الحريات المنصوص عليها فيه هو نص المادة (٥٧) حيث جاء فيها بأن ((كل اعتداء على الحريات أو حرمة الحياة الخاصة للمواطنين و غيرها من الحقوق و الحريات العامة التي يكفلها الدستور و القانون جريمة لا تسقط الدعوى الجنائية و لا المدنية الناشطة عنها بالتقادم ، و تكفل الدولة تعويضاً عادلاً لمن وقع عليه الاعتداء)). و الجريمة المنصوص عليها في المادة أعلاه وحسب رأي البعض من الفقه تعد جريمة متميزة عن الجرائم الأخرى المعروفة في قانون العقوبات إذ بموجبها يجوز مقاضاة الفاعل مهما طال العهد بعد عدوانه على الحريات لأنها لا تسقط بالتقادم<sup>(٦٥)</sup>.

، بالإضافة إلى ما اشتملت عليه صيغة اليمين من حالات أخرى علمًا إن تقدير كل حالة من الحالات أعلاه ومدى عدتها جريمة منسوبة لرئيس الجمهورية متrocok مجلس النواب والمحكمة الاتحادية العليا.

### **المطلب الثالث: انتهك الدستور**

الانتهاك في اللغة يعني : خرق الستر عمما وراءه و كذلك يعني ما لا يحل و لا يجمل<sup>(٦٦)</sup> و المتيكة تعني الفضيحة - تهتك افتضاح ، يقال رجل منتهك و متهتك و مستهتك أي لا يالي أن يهتك ستره عن عورته و التهتك يعني وسط الليل<sup>(٦٧)</sup> و ما دمنا بصدق بيان مفهوم حالة انتهاك الدستور التي يسأل بموجبها رئيس الجمهورية استناداً إلى الفقرة (٦١) من المادة (٦١) من الدستور العراقي النافذ فإن الانتهاك المقصود في الفقرة أعلاه يتحقق من خلال إثبات أي فعل من رئيس الجمهورية يشكل مخالفه صريحة أو ضمنية لأي نص من نصوص الدستور و العمل على خلاف ما ورد فيها من خلال استعمال الصلاحيات المنوحة له بموجب تلك النصوص استعملاً يؤدي إلى تلك المخالفه.<sup>(٦٨)</sup> و لقد حرصت المادة (٦٧) من الدستور عندما عرفت أو بینت شخص رئيس الجمهورية على تأكيد مبدأ هام الا هو ضرورة احترام و ضمان رئيس الجمهورية الالتزام بالدستور و العمل وفقاً لأحكامه<sup>(٦٩)</sup> ، ويمكن القول بأن الانتهاك الذي يمكن أن يحصل من قبل رئيس الجمهورية للدستور يتمثل في الحالات الآتية :

**الحالة الأولى:** - عند مخالفه أي نص من نصوص الدستور بصورة عامة و خصوصاً النصوص الإلزامية الواردة فيه ، و التي تمنع القيام بعمل معين فيقدم رئيس الجمهورية عليه أو تلك التي تفرض عليه واجباً معيناً فيمتنع عن القيام به<sup>(٧٠)</sup> . وهنالك من يرى بان الانتهاك يتحقق إذا خالف رئيس الجمهورية نصوص الدستور السياسي الذي ينظم العلاقة ما بينه وبين السلطات العامة الأخرى أو إذا خالف نصوص الدستور الاجتماعي الذي ينظم علاقته مع السلطات العامة الأخرى بالإفراد<sup>(٧١)</sup>

**الحالة الثانية:** مخالفه النصوص الدستورية المحددة لصلاحيات رئيس الجمهورية الواردة في المادة (٧٣) من الدستور. و من الأمثلة على الحالة الأولى و الثانية معاً مخالفه رئيس الجمهورية لما ورد في نص المادة (١٣) من الدستور التي تمنع سن أي قانون أو نص دستوري في دساتير الأقاليم يتعارض مع الدستور النافذ ، فإذا صادق رئيس الجمهورية على مثل هذه القوانين مستنداً لنص الفقرة الثالثة من المادة (٧٣) من الدستور فيعد منتهكاً للدستور.

**الحالة الثالثة:** - يضاف إلى ما سبق إمكانية حدوث حالة انتهاك الدستور من قبل رئيس الجمهورية إذا تعمد تعطيل نص دستوري معين و يمكن أن يتحقق تعليق أو تعطيل الدستور في حالات عدّة منها :

- ١- عندما يصدر الرئيس قراراً رسمياً يقضي فيه بتعليق العمل ببعض نصوص الدستور وخصوصاً تلك التي تتعلق بحقوق الإنسان
- ٢- عندما يتخد الرئيس اتجاهها يقضي بتطبيق نصوص الدستور لكن بشكل يتعارض مع محتواها بصورة معتمدة.

٣— عند امتناع الرئيس عن اتخاذ القرار المطلوب بموجب نصوص ذلك الدستور<sup>(٧٢)</sup> ، ونرى بأن إمتناع رئيس الجمهورية عن المصادقة على أحكام الإعدام الصادرة من المحاكم المختصة يعد تعطيلًا لنص من نصوص الدستور المحددة لصلاحيات رئيس الجمهورية كما هو وارد في المادة (٧٣) الفقرة ثامناً من الدستور. وفي مصر فإن تعطيل الدستور بصورة كلية أو جزئية يعد فعلاً يعقب عليه رئيس الجمهورية بموجب القانون ٢٤٧ لسنة ١٩٥٦ ، ويدخل ضمن جريمة عدم الولاء للنظام الجمهوري<sup>(٧٣)</sup> ، وقد يحصل التعطيل المقصود في حالة تجاوز رئيس الجمهورية للصلاحيات الاستثنائية المنوحة له بموجب نصوص الدستور ، والتي تتحوله تعطيل العمل بأي نص من نصوص الدستور ، وهذا التعطيل قد يحدث عند استخدام هذه الصلاحيات دون توافر الشروط المطلوبة لأي حالة من الحالات، إذ أجازت المادة (٧٤) من الدستور التأذن لرئيس الجمهورية اتخاذ إجراءات سريعة لمواجهة أي خطر يهدد الوحدة الوطنية للبلاد أو سلامه الوطن أو يعوق مؤسسات الدولة عن أداء دورها الدستوري أو غالباً ما تكون هذه الإجراءات مخالفة لنص الدستور، إلا أنه يشترط فيها ألا تؤدي بأي حال من الأحوال إلى تعديل أو إلغاء نص دستوري قائم<sup>(٧٤)</sup> ، لأن مثل هذا التعديل أو الإلغاء يتطلب إجراءات يجب أن تتسم بالتأني والدقة ، وهذه لا توافر في مثل هذه الظروف الاستثنائية والتي غالباً ما تتصف بالسرعة والاستعجال وفي كل الأحوال فإن جميع الإجراءات أعلاه يجب أن تخضع لرقابة القضاء<sup>(٧٥)</sup>.

### **المبحث الثالث: إجراءات مسائلة رئيس الجمهورية**

ستتناول في هذا المبحث إجراءات محاكمة رئيس الجمهورية أمام المحكمة الاتحادية العليا ، وبدأً لابد من الإشارة إلى إننا سنعتمد على قانون محاكمة رئيس الجمهورية في مصر رقم ٢٤٧ لسنة ١٩٥٦ ، وما ورد من نصوص في صلب الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ .  
وستفرد المطلب الأول لبيان الجهة المختصة بتحريك مسؤولية رئيس الجمهورية أما المطلب الثاني فستخصصه لإجراءات المحاكمة ونظر الدعوى.

#### **المطلب الأول: الجهة المختصة بتحريك مسؤولية رئيس الجمهورية**

من القواعد المسلم بها على الصعيد الجنائي أن كل دعوى تبدأ من مرحلة إخبار أو اتهام وتمر بجمع الأدلة و التحقيق الابتدائي والقضائي ثم الحكم وتنفيذ العقوبة و بموجب الدستور المصري فإن اتهام رئيس الجمهورية واستناداً للمادة (٨٥) سالفه الذكر يكون من قبل مجلس الشعب وحده ويتم ذلك من خلال اقتراح مقدم من ثلث أعضاء المجلس على الأقل و لا يصدر قرار الاتهام إلا بأغلبية خاصة من ثلثي أعضاء المجلس كله و ليس عدد الحاضرين<sup>(٧٦)</sup>

والسؤال الذي يثار بهذا الجانب هل إن حصر وظيفة الاتهام بمجلس الشعب يمثل حصانة منوحة لرئيس الجمهورية ضد مباشرة إجراءات الاتهام. فيجيب البعض على ذلك<sup>(٧٧)</sup> بأن هذا القيد في ممارسة وظيفة الاتهام و حصره بمجلس الشعب فقط يمثل أهم الحصانات المنوحة لرئيس الجمهورية إلا أنه يوضح ماهية هذه الحصانة على النحو الآتي : -

إن الدستور المصري يقر حصانة معينة لرئيس الجمهورية في المجال الجنائي و إذا كان الأخير يحتوي على النصوص المتعلقة بمحاكمة الأشخاص من الناحية الجزائية فإن القانون الدستوري يشمل عادة على أهم قواعد العدالة الجنائية كما أن تطبيق النص الجنائي سيستلزم بالأصل الرجوع أحياناً إلى النصوص الدستورية التي تضع حدوداً أو قيوداً على تطبيق النصوص الجنائية بصورةها الاعتبادية ، ومن ثم فإن التطبيق القانوني الصحيح للحصانات المقررة في الدستور المصري لرئيس الجمهورية هو في أنها تمثل ((قيوداً إجرائية)) فقط على الحق في مباشرة إجراءات الدعوى الجنائية ضد رئيس الجمهورية و من ثم فهذه

المسؤولية السياسية للقائمين بأعباء السلطة التنفيذية (دراسة مقارنة)  
الضمනات لا تمثل سبباً للإعفاء من العقاب أو إلى التخفيف من العقوبة في حالة ارتكاب الجرائم المنصوص عليها قانوناً.

وهناك من يسمى تلك الحصانة الممنوحة لرئيس الجمهورية وحسب ما تقدم بانها حصانة إجرائية (ضد مباشرة إجراء الاتهام) وليس ضد موضوع الجريمة<sup>(٧٨)</sup>.

وبعد تقديم اقتراح من ثلث أعضاء مجلس الشعب باتهام رئيس الجمهورية بجريمة الخيانة العظمى أو أية جريمة جنائية أخرى أو بجريمة عدم الولاء للنظام الجمهوري فإن على المجلس القيام بتشكيل لجنة من خمسة أعضاء بطريق الاقتراح السري في جلسة علنية تتولى التحقيق في موضوع الاقتراح<sup>(٧٩)</sup>

و بموجب المادة (١١) من القانون الخاص بمحكمة رئيس الجمهورية فإن على اللجنة أعلاه أن تعد تقريراً ترفعه إلى رئيس مجلس الشعب خلال شهر واحد فقط من تاريخ تكليفها بدراسة الموضوع و التحقيق فيه و يجوز أن تقلص مدة الشهر بقرار من مجلس الشعب ثم يقوم رئيس المجلس بتحديد جلسة علنية لمناقشة تقرير اللجنة خلال خمسة عشر يوماً فقط من تاريخ رفع التقرير إليه و يصدر المجلس قراره بأغلبية ثلثي أعضاءه.

و إذا اقتضى باتهام رئيس الجمهورية فيما نسب إليه<sup>(٨٠)</sup> وبعد موافقة مجلس الشعب على توجيه الاتهام لرئيس الجمهورية على وفق الآية المبينة أعلاه فقد منح قانون محاكمة رئيس الجمهورية لرئيس مجلس الشعب حق إحالة رئيس الجمهورية إلى المحكمة المختصة ، وبعد الموافقة على قرار الاتهام يقوم رئيس المجلس بإرسال ذلك القرار في اليوم التالي لصدوره إلى رئيس مجلس القضاء الأعلى و ذلك لإجراء القرعة لاختيار المستشارين لعضوية المحكمة العليا الخاصة بمحاكمة رئيس الجمهورية و تعيين رئيساً لها من بينهم و بعد مرور ثلاثة أيام على الأكثر من تعيين رئيس المحكمة يرسل رئيس مجلس الشعب إليه قرار الإحالـة مع صورة من محضر الجلسة التي حدد فيها و المداولات التي جرت بشأنه و تقرير لجنة التحقيق المشكلة بموجب المادة (١٠) سالفـة الذكر و جميع الأوراق و المستندات المؤيدة لاتهـامـه و كذلك أسماء أعضاء مجلس الشعب الذي انتخبـهمـ مجلسـ مـمـثـلـينـ لـلاتـهـامـ أمامـ المحـكـمةـ<sup>(٨١)</sup> أما في العراق فإن المادة (٦١) من الدستور التي بينـتـ اختصاصات مجلسـ النـوابـ فإنـ الفـقرـةـ (سـادـسـاـ)ـ منـ هـذـهـ المـادـةـ خـوـلتـ مجلسـ مـسـائـلـ رـئـيسـ الجـمـهـورـيـةـ بـنـاءـ علىـ طـلـبـ مـسـبـبـ بـالـأـغـلـيـةـ الـمـطـلـقـةـ لـعـدـدـ أـعـضـاءـ وـ مـنـ ثـمـ إـنـ جـهـةـ الـاتـهـامـ بـمـوجـبـ الفـقـرـةـ أـعـلاـهـ هيـ مجلسـ النـوابـ بـأـغـلـيـةـ عـدـدـ أـعـضـاءـ الـمـطـلـقـةـ ،ـ وـ لـحـيـنـ صـدـورـ قـانـونـ الـخـاصـ بـالـمـحـكـمةـ الـاـتـحـادـيـةـ الـعـلـيـاـ وـ الـقـوـانـينـ الـخـاصـةـ بـمـحـاكـمةـ رـئـيسـ الجـمـهـورـيـةـ وـ رـئـيسـ الـوـزـرـاءـ يـبـقـىـ مجلسـ النـوابـ صـاحـبـ الـاـخـتـصـاصـ الـأـصـيلـ فـيـ تـوـجـيهـ الـاتـهـامـ لـرـئـيسـ الجـمـهـورـيـةـ وـ فـقـدـ مـاـ بـيـانـهـ أـعـلاـهـ<sup>(٨٢)</sup>ـ وـ بـعـدـ تـوـجـيهـ الـاتـهـامـ مـنـ قـبـلـ مجلسـ أـعـلاـهـ يـحالـ الـأـمـرـ إـلـيـ الـمـحـكـمةـ الـاـتـحـادـيـةـ الـعـلـيـاـ لـلـنـظـرـ فـيـ وـ فـقـقـ قـانـونـهاـ الـخـاصـ بـهـاـ وـ قـانـونـ مـحـاكـمةـ رـئـيسـ الجـمـهـورـيـةـ الـمـفـرـضـ صـدـورـهـ وـ فـقـصـ المـادـةـ (٩٣)ـ (سـادـسـاـ)ـ مـنـ الدـسـتـورـ إـذـاـ تـمـ إـدـانـةـ الرـئـيسـ بـأـحـدـىـ الـحـالـاتـ التـالـيـةـ :ـ الـخـيـانـةـ الـعـظـيمـ -ـ الـخـنـثـ بـالـيـمـيـنـ -ـ اـنـتـهـاـكـ الـدـسـتـورـ فـيـقـرـرـ مجلسـ النـوابـ إـعـفـاءـ الرـئـيسـ مـنـ مـنـصـبـهـ بـالـأـغـلـيـةـ الـمـطـلـقـةـ لـعـدـدـ أـعـضـاءـ يـضـافـ إـلـيـهـ مـاـ قـدـ تـقـرـرـ مـنـ عـقـوبـاتـ بـمـوجـبـ الـقـوـانـينـ الـخـاصـةـ أـعـلاـهـ.

### **المطلب الثاني: إجراءات المحاكمة و نظر الدعوى**

بعد الانتهاء من توجيه الاتهام لرئيس الجمهورية على وفق الطريقة المبينة آنفـاـ، تتولـىـ المحـكـمةـ المـخـصـصـةـ مـهـمـةـ الـقـيـامـ بـإـجـرـاءـاتـ الـمـحـاكـمةـ عـنـ الـجـرـائمـ الـمـنـسـوـبـةـ لـرـئـيسـ ،ـ وـ تـكـوـنـ هيـ صـاحـبـ الـاـخـتـصـاصـ فـيـ ذـلـكـ إـذـ لـيـجـوزـ لـأـيـ مـحـكـمةـ أـخـرىـ مـحـاكـمةـ رـئـيسـ الجـمـهـورـيـةـ<sup>(٨٣)</sup>ـ .ـ وـ تـبـقـىـ هـذـهـ الـمـحـكـمةـ تـمـتـعـ بـهـذـاـ الـاـخـتـصـاصـ حـتـىـ بـعـدـ تـرـكـ رـئـيسـ الجـمـهـورـيـةـ لـنـصـبـ الرـئـاسـةـ<sup>(٨٤)</sup>ـ .ـ وـ يـمـثـلـ أـمـامـ هـذـهـ الـمـحـكـمةـ أـيـضاـ الـأـفـرـادـ الـعـادـيـنـ إـذـ كـانـواـ فـاعـلـيـنـ أـصـلـيـنـ أـوـ شـرـكـاءـ لـرـئـيسـ الجـمـهـورـيـةـ فـيـ جـرـائمـهـ أـوـ كـانـواـ مـتـهـمـيـنـ بـجـرـائمـ مـرـتـبـةـ بـجـرـائمـ رـئـيسـ الجـمـهـورـيـةـ<sup>(٨٥)</sup>ـ .ـ أـمـاـ فـيـماـ يـتـعـلـقـ بـإـجـرـاءـاتـ الـنـظـرـ فـيـ الدـعـوـىـ الـمـعـروـضـةـ أـمـامـ الـمـحـكـمةـ فـيـ قـانـونـ

محكمة رئيس الجمهورية المصري سالف الذكر كان قد حدد هذه الإجراءات ضمن نصوص قانونية مشيرةً إلى إمكانية الاستعانة بقانون الإجراءات الجنائية المصري المقرر لمحاكم الجنائيات والجناح بشرط عدم وجود تعارض بين القانونين وبالرجوع إلى قانون الإجراءات الجنائية ذي الرقم (١٥٠) لسنة ١٩٥٠ العدل نجده قد أحاط المتهم بجملة من الضمانات تبدأ من مرحلة التحقيق وتنتهي إلى إصدار الحكم وتنفيذ العقوبة فعشاً أوجب القانون للمتهم الحق في الاطلاع على أوراق التحقيق من خلال الحصول على صور من كافة أوراق الدعوى<sup>(٨١)</sup> وحقه في مناقشة جميع الأدلة المطروحة في أوراق التحقيق أو المحاكمة من خلال سماع الشهود أو مناقشتهم<sup>(٧٨)</sup> إلى غير ذلك من الضمانات ، وبعد أن يتقرر إحالة رئيس الجمهورية إلى المحكمة المختصة تتولى النيابة العامة أعمال المتهم بصورة من قرار الإحالة و كافة شهود الإثبات بناء على طلب مثلي الاتهام في المحكمة وبعد أن يحدد رئيس المحكمة موعداً لأول جلسة لانعقاد المحكمة تتولى النيابة العامة إعلام المتهم بميعاد تلك الجلسة و مكان انعقادها قبل الموعد المحدد بثمانية أيام على الأقل<sup>(٨٨)</sup> و عند نظر الدعوى من قبل هذه المحكمة أوجب قانون محكمة رئيس الجمهورية على المحكمة بموجب المادة (١٧) منه التقييد بالوصف القانوني للتهمة المسندة لرئيس الجمهورية ، وبالتالي فإنها لا تملك الحق في تغيير ذلك الوصف على عكس القضاء العادي حيث أجازت المادة (٣٠٨) من قانون الإجراءات الجنائية المصري للقاضي تعديل التهمة المسندة للمتهم بالقول (( للمحكمة أن تغير في حكمها من الوصف القانوني للفعل المسند للمتهم ولها تعديل التهمة بإضافة الظروف المشددة التي ثبتت من التحقيق أو من المراقبة في الجلسة ولو كانت لم تذكر بأمر الإحالة أو التكليف بالحضور ، ولها أيضاً إصلاح كل خطأ مادي و تدارك كل سهو في عبارة الاتهام مما يكون في أمر الإحالة أو في طلب التكليف بالحضور وعلى المحكمة أن تتبه المتهم إلى التغيير<sup>(٨٩)</sup> وأن تتحمّل تحضير دفاعه بناء على الوصف أو التعديل الجديد إذا طلب ذلك ) .... مفادة ذلك حسب رأي البعض<sup>(٩٠)</sup> أن صلاحية المحكمة في إضافة الظرف المشدد يتضمن في الغالب إضافة لواقة لا يشملها أمر الإحالة أو التكليف بالحضور ، ولكنها لصيقه بالواقعة موضوع التهمة وتدخل في تكوين الصورة الحقيقية لكيفية ارتكاب الجريمة أو تحديد نتيجة الفعل موضوع الاتهام إذ يؤدي ذلك إلى تغيير الوصف ، مثلاً تغيير الإصابة الخطأ إلى قتل ، ولا يشترط في إثبات توافر الظرف المشدد التقييد فيما تجريه المحكمة بنفسها من تحقيق بل لها الاعتماد على التحقيق السابق على رفع الدعوى إليها بسبب عمومية نص المادة (٣٠٨).

ويرى الدكتور عبد الله ناصف بأن المحكمة الخاصة بمحكمة رئيس الجمهورية لها الصلاحية في تعديل الوصف القانوني للتهمة المسندة لرئيس الجمهورية و ذلك بإيقاص بعض العناصر مما يتربّ عليه تحفييف العقوبة ، كإسقاط ظرف التشديد (سبق الإصرار) أو تحويل الوصف من قتل إلى ضرب مفضي إلى موت و لها أيضاً الإبقاء على التهمة كما وردت في قرار الإحالة<sup>(٩١)</sup>

وبعد أن تنتهي المحكمة من القيام بجميع إجراءات المحاكمة من سماع لشهادات الشهود و دفاع المتهم وبعد أن تكون لديها القناعة الكافية عن نوع التهمة المسندة للرئيس يبدأ أعضاء المحكمة في إبداء آرائهم حسب ما ورد في المادة (٢) من قانون محكمة رئيس الجمهورية ، حيث يبدأ أصغر الأعضاء سناً بإبداء رأيه وصولاً إلى رأي رئيس المحكمة ، علماً أن القانون المذكور كان قد جعل من إنشاء المداولات الخاصة بالمحكمة من قبل أعضاءها جريمة يعاقب عليها بالحبس<sup>(٩٢)</sup>.

وبعد التوصل من قبل المحكمة إلى قرار بإدانة رئيس الجمهورية في الجريمة المسندة إليه فإن المادة (٢) من القانون قد اشترطت صدور ذلك القرار بأغلبية الثلثين من أعضاء المحكمة ، و هنالك من يرى بأن هذه الأغلبية ليس شرطاً في حالة الحكم بالبراءة<sup>(٩٣)</sup> . ويلاحظ بأن قرار الحكم بالعقوبة على رئيس الجمهورية عن جريمة الخيانة العظمى أو أية جريمة جنائية أخرى يستلزم فرض عقوبة تبعية عليه وهي إعفاء الرئيس من

**المسؤولية السياسية للقائمين بأعمال السلطة التنفيذية (دراسة مقارنة)**

منصب الرئاسة بموجب نص المادة (٨٥) من الدستور المصري<sup>(٩٤)</sup> مع عدم الإخلال بأية عقوبات أخرى ، و لقد بيّنت المادة (٦) من القانون العقوبات التي تطبق بحق رئيس الجمهورية عند إدانته من المحكمة المختصة وهي :- الإعدام أو الأشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة عملاً أن الحكم بإحدى هاتين العقوبتين هو اختياري وليس وجوبى وتكون القرارات الصادرة من المحكمة نهائية وغير قابلة للطعن فيها بأي طريق من طرق الطعن المعهودة في القوانين الإجرائية العادلة إلا ما نص عليه قانون محكمة رئيس الجمهورية في المادة (١٨) منه على منح الحق لكل من الحكوم عليه أو من يمثله قانوناً أو النائب العام بطلب إعادة النظر في الحكم الصادر بحق رئيس الجمهورية بناء على طلب يقدم إلى الدائرة الجنائية في محكمة النقض يبين فيه الأسباب التي استجدة بعد صدور قرار الحكم والتي يمكن اعتمادها أساساً لطلب إعادة نظر القضية<sup>(٩٥)</sup> ، فإذا قبلت الدائرة المذكورة ذلك الطلب ، تعاد المحاكمة أمام المحكمة العليا المختصة بعد أن يعاد تشكيلها وفق الطريقة المسبق بيانها استناداً لنصوص القانون إذا كانت الأحكام الصادرة بحق رئيس الجمهورية وجاهية<sup>(٩٦)</sup> ، أما إذا كان الحكم غيرياً ، أعيدت المحاكمة عند حضور الحكوم عليه أو ضبطه ويتم إخبار رئيس مجلس الشعب بذلك من قبل النائب العام و يتوجب إجراء المحاكمة خلال مدة شهر واحد من تاريخ ذلك الإخبار ويمثل النائب العام صلاحية إصدار الأمر بإلقاء القبض على رئيس الجمهورية المأهول حتى يعاد تشكيل المحكمة العليا لتقرر ما تراه مناسباً بهذا الشأن ، وإذا لم يحضر الحكوم عليه أو هرب مرة أخرى فإن المحكمة تقرر نظر الدعوى و يعد حكمها بمنزلة الحكم الوجاهي ، ويلاحظ أن رئيس الجمهورية لا يملك الصلاحية الممنوحة له بموجب الدستور بخصوص حق العفو حيث سلب منه ذلك الحق بموجب المادة (٢٤) من قانون محكمته وأوكل ذلك الأمر إلى مجلس الشعب<sup>(٩٧)</sup> أخيراً ندعو المشرع العراقي إلى ايراد نصوص قانونية تفصيلية تحدد إجراءات نظر الدعوى المنسوبة لرئيس الجمهورية عند تشريع القوانين الخاصة بذلك .

علماً إن تقرير مسؤولية رئيس الجمهورية في العراق من قبل المحكمة الاتحادية العليا عن إحدى الحالات الثلاث يستتبع إعفاءه من منصبه بموجب نص المادة (٦١) من الدستور إذ نصت الفقرة (سادساً / بـ) يختص مجلس النواب بإعفاء رئيس الجمهورية بالأغلبية المطلقة لعدد أعضاء مجلس النواب بعد إدانته من المحكمة الاتحادية العليا في إحدى الحالات الآتية :

١. الحنث باليمين
٢. انتهك الدستور
٣. الخيانة العظمى

#### **المبحث الرابع: المسؤولية الوزارية في الدساتير العراقية**

لقد عرف العراق المسؤولية الوزارية لأول مرة في ظل أول دستور صدر في العراق في عهد الاستقلال الوطني فقد نص عليها القانون الأساسي وجعل الوزارة مسؤولة أمام مجلس الأمة . أما دساتير العهد الجمهوري فلم يعرف أي منها المسؤولية الوزارية باستثناء عام ١٩٧٠ وربما يعود السبب في ذلك إلى أن دساتير تلك الفترة هي دساتير مؤقتة . ومن المألوف أن الدساتير المؤقتة توضع لفترة انتقالية مؤقتة في أعقاب ثورة وتعالج المسائل الدستورية معالجة مؤقتة وغالباً ما تنص على مؤسسات دستوري استثنائية ولا توضح الملامح الحقيقة للنظام السياسي والدستوري في الدولة . أما قانون إدارة الدولة الصادر ٢٠٠٤ فقد أشار إلى المسؤولية الوزارية في المادتين الأربعين والحادية والأربعين .

أما دستور العراق لعام ٢٠٠٥ فقد تناول بالتنظيم المسؤولية الوزارية في المادة (٦١) / الفقرة ثامناً / أ و ب).

### المطلب الأول: المسؤولية الوزارية في ظل القانون الأساسي العراقي لعام ١٩٢٥

أخذ القانون الأساسي العراقي لعام ١٩٢٥ بالنظام البرلماني. وفي هذا النظام يكون الوزراء مسؤولين أمام البرلمان وعلى الوزراء الاستقالة إذا فقدت ثقة البرلمان ولكن لا يكون البرلمان هو المهيمن وإعادة التوازن بين السلطات منحت الحكومة الحق في طلب حل البرلمان<sup>(٩٨)</sup>.

وعلى ذلك أقر القانون الأساسي لكل عضو من أعضاء مجلس الأمة الحق في توجيه السؤال والاستيضاح للوزراء<sup>(٩٩)</sup> وبالمقابل منح الوزارة الحق في طلب حل مجلس النواب<sup>(١٠٠)</sup>.

### وسائل تحريك المسؤولية الوزارية في القانون الأساسي

وأشار القانون الأساسي العراقي إلى وسائلين من وسائل تحريك المسؤولية الوزارية هما :-

١. السؤال : ويعني الاستفسار عن أمر مجهول<sup>(١٠١)</sup>. وعلى ذلك نرى أن السؤال لا يحمل في طياته الاتهام بالقصير فقد يتعلق بمسألة غامضة تسودها العتمة وتكون بحاجة للإيضاح فيتقدم عضو البرلمان إلى الوزير بطلب اوضحها. ومنح القانون الأساسي للوزير فرصة الإجابة على السؤال حيث اوجب منح الوزير ثمانية أيام في الأقل لإعداد إجابته فقد يكون الوزير بحاجة إلى مراجعة مسائل معينة لكي يستطيع الإجابة على السؤال<sup>(١٠٢)</sup>. ولكن القانون الأساسي فسح المجال أمام التحايل على المدة الممنوحة للوزير حينما استثنى حالة الاستعجال أو موافقة الوزير على الإجابة قبل مرور الثمانية أيام فقد منح مجلس الأمة بحالة الاستعجال في كل مرة لا يزيد فيها أن يمنح الوزير الفرصة لإعداد إجابته على السؤال.

٢. الاستيضاح :- وهو المرحلة التالية للسؤال فإذا لم يقتتنع مجلس الأمة بجواب الوزير أو رئيس الوزراء له الحق في طلب الاستيضاح ، ووفقاً للاصطلاح الذي استعمله القانون الأساسي العراقي فإن الاستيضاح يحمل في طياته الاتهام بالإهمال والتقصير وربما يتربّط عليه إقالة الوزير أو الوزارة بأجمعها إذا ما ثبت تقصيره أو تقصيرها. ووقع القانون الأساسي في الخلط حينما استعمل الاستيضاح بدلاً عن الاستجواب في حين أن كلاً من هذين المصطلحين له معناه ودلالة خاصة.

فالاستيضاح مرحلة لاحقة للسؤال حينما يطلب النائب من الوزير المسؤول زيادة في الإيضاح دون أن يحمل ذلك في طياته الاتهام بالقصير والاستيضاح مرحلة وسط بين السؤال والاستجواب في الأنظمة الدستورية التي اخذت به<sup>(١٠٣)</sup>.

أما الاستجواب فهو إنذار موجه من أحد أعضاء البرلمان للحكومة أو لأحد الوزراء لبيان مسألة متعلقة بالوزارة بأكملها أو بوزارة من الوزارات. ويحمل الاستجواب في طياته الاتهام بالقصير والإهمال وقد يتربّط عليه سحب الثقة من الحكومة أو من وزارة من الوزارات.

وساوي القانون الأساسي العراقي في المدة الممنوحة للوزير للإجابة على السؤال والاستيضاح على الرغم من ضرورة الاختلاف في المدة الممنوحة لكل منها لاختلاف الآثار المترتبة على كل منها فمثلاً قد يتربّط على الاستيضاح سحب الثقة من الحكومة أو من الوزير المستوضّح منه في حين لا يتربّط هذا الآثر على السؤال.

واكتفى الدستور بسحب الثقة من الحكومة بالأكثرية النسبية للحاضرين<sup>(١٠٤)</sup> وهي نسبة ضئيلة إذا ما علمنا أن الدستور اكتفى لنفاد مجلس النواب حضور أكثر من نصف أعضائه<sup>(١٠٥)</sup> وهذا يعني أن ربع المجلس قادر على سحب الثقة من الوزارة. وهذه النسبة لا تتلائم مع خطورة الآثار المترتبة على سحب الثقة من الوزارة.

**المسؤولية السياسية للقائمين بأعباء السلطة التنفيذية (دراسة مقارنة)**

وعلى الرغم من منح مجلس النواب صلاحية سحب الثقة من الحكومة إلا أن هذا المجلس لم يمارس هذه الصلاحية ولو لمرة واحدة طيلة مدة نفاذ القانون الأساسي ومن غير المقبول القول أن المجلس لم يواجه ظروفاً يستوجب سحب الثقة من الحكومة أو أن الحكومة أو وزير منها لم تقم أو يقم بعمل من شأنه أثار المسؤولية السياسية. وهذا أن دل على شيء فإنما يدل على ضعف مجلس النواب ودوره في الحياة السياسية وألا مارس هذه الصلاحية ولو لمرات قليلة أو حتى لمرة واحدة.

### **المطلب الثاني: المسؤولية الوزارية في دساتير العراق لعام ١٩٧٠ ، ٢٠٠٤ ، ٢٠٠٥**

#### **١- المسؤولية الوزارية في دستور العراق لعام ١٩٧٠**

من الملاحظ أن الدستور العراقي المؤقت لعام ١٩٧٠ اول دساتير العهد الجمهوري الذي نص على المسؤولية الوزارية فقد سبق هذا الدستور خمسة دساتير لم ينص اي منها على المسؤولية الوزارية.

#### **وسائل تحريك المسؤولية الوزارية في دستور عام ١٩٧٠**

أشار الدستور العراقي لعام ١٩٧٠ إلى وسائل تحريك المسؤولية الوزارية وهما الاستيضاح والاستجواب<sup>(١٠٦)</sup> وذهب بهذا الاتجاه قانون المجلس الوطني<sup>(١٠٧)</sup> في حين وأشار النظام الداخلي للمجلس الوطني إلى حق السؤال والاستجواب دون الاستيضاح. والملحوظ ان الدستور وقانون المجلس الوطني قد استعملما عبارة الاستيضاح بدلاً عن السؤال عن الرغم من الاختلاف بين اللفظين في المعنى بدليل أن م ٤٧ / ٤ سادساً من قانون المجلس الوطني قالـت (( دعوة اي عضو من اعضاء مجلس الوزراء للاستيضاح او الاستفسار منه )) فهـذه المادة قالت للاستيضاح أو للاستفسار فجعلـت كل من الكلمتـين بـديلـة للأخرـى أو مرادـفة لها في حين ان الاستيـضاح هو مرحلة لاحـقة للاستفسـار الذي يعني السـؤال عن شيء أو أمرـ).

١) الاستيـضاح (السؤال) : لكل عـضـو من اعـضـاءـ المـجـلسـ الوـطـنـيـ أنـ يـوجـهـ عنـ طـرـيقـ رـئـيسـ المـجـلسـ سـؤـالـ شـفـوـيـاـ وـتـحـرـيـرـياـ إـلـىـ أيـ عـضـوـ منـ اعـضـاءـ مـجـلسـ الـوـزـراءـ<sup>(١٠٨)</sup>. وـنـرىـ أنـ تـوجـيهـ السـؤـالـ عنـ طـرـيقـ رـئـيسـ المـجـلسـ هوـ لـأـغـراضـ تـنظـيمـيـةـ وـلـيـسـ لـإـعـاقـةـ حـقـ النـائـبـ فيـ السـؤـالـ بـدـلـيلـ أـنـ النـظـامـ الدـاخـلـيـ لمـ يـتـرـكـ لـرـئـيسـ المـجـلسـ صـلـاحـيـةـ تـقـدـيرـيـةـ فيـ تـوجـيهـ السـؤـالـ اوـ عـدـمـ تـوجـيهـهـ.

ومـيزـ النـظـامـ الدـاخـلـيـ بـيـنـ السـؤـالـ الشـفـوـيـ وـالـتـحـرـيـرـيـ فـيـ عـدـةـ جـوـابـ فـأـوـجـبـ أـنـ يـوجـهـ السـؤـالـ فيـ الـبـادـيـةـ بـصـورـةـ شـفـوـيـةـ وـإـذـ لمـ يـكـفـ النـائـبـ بـإـجـابـةـ الـوـزـيرـ لـهـ سـؤـالـ تـحـرـيـرـيـاـ<sup>(١٠٩)</sup>. وـلـاـ تـجـريـ منـاقـشـةـ السـؤـالـ الشـفـوـيـ إـلـاـ إـذـ طـلـبـ النـائـبـ السـائـلـ ذـلـكـ وـأـقـرـ المـجـلسـ هـذـاـ الـطـلـبـ<sup>(١١٠)</sup>. فـيـ حـينـ أـجـازـ النـظـامـ الدـاخـلـيـ منـاقـشـةـ السـؤـالـ التـحـرـيـرـيـ مـنـ قـبـلـ النـائـبـ السـائـلـ وـبـاـقـيـ اـعـضـاءـ المـجـلسـ وـلـاـ يـجـوزـ تـوجـيهـ أـكـثـرـ مـنـ خـمـسـةـ أـسـئـلـةـ شـفـوـيـةـ فـيـ الجـلـسـةـ الـواـحـدـةـ<sup>(١١١)</sup> وـلـمـ يـمـددـ النـظـامـ الدـاخـلـيـ عـدـدـ الـأـسـئـلـةـ التـحـرـيـرـيـةـ التـيـ يـجـوزـ تـوجـيهـهاـ فـيـ الجـلـسـةـ الـواـحـدـةـ وـهـذـاـ يـعـنيـ أـنـ عـدـدـ هـذـهـ الـأـسـئـلـةـ مـفـتوـحـ وـغـيرـ مـحـدـدـ بـمـدـ معـنـيـ. وـتـجـريـ الـإـجـابـةـ عـلـىـ السـؤـالـ الشـفـوـيـ حـالـ تـوجـيهـهـ<sup>(١١٢)</sup>. فـيـ حـينـ يـكـونـ الـوـزـيرـ مـخـيـراـ فـيـ السـؤـالـ التـحـرـيـرـيـ بـيـنـ إـجـابـةـ فـورـ تـوجـيهـ السـؤـالـ وـبـيـنـ الـاستـمـهـالـ إـلـىـ الجـلـسـةـ التـالـيـةـ أـوـ خـالـلـ مـدـةـ لـاـ تـجـاـوزـ الـأـسـبـوـعـ مـنـ تـارـيـخـ إـبـلـاغـهـ بـالـسـؤـالـ<sup>(١١٣)</sup>. وـاشـطـرـ النـظـامـ الدـاخـلـيـ تـوجـيهـ السـؤـالـ التـحـرـيـرـيـ قـبـلـ طـلـبـ الـاسـتـجـوابـ وـحـرـمـ طـلـبـ الـاسـتـجـوابـ مـبـاشـرةـ بـعـدـ السـؤـالـ الشـفـوـيـ<sup>(١١٤)</sup>.

ويـدـوـ لـنـاـ مـنـ هـذـهـ مـقـارـنـةـ السـرـيـعـةـ الـمـوجـزـةـ بـيـنـ السـؤـالـ الشـفـوـيـ وـالـتـحـرـيـرـيـ أـنـ السـؤـالـ التـحـرـيـرـيـ أـكـثـرـ خـطـورـةـ مـنـ السـؤـالـ الشـفـوـيـ بـدـلـيلـ أـنـ الـمـشـرـعـ أـحـاطـهـ بـضـمـانـاتـ عـدـةـ كـمـاـ رـتـبـ عـلـىـ عـدـمـ الـاـكـتـفـاءـ بـالـسـؤـالـ التـحـرـيـرـيـ حـقـ النـائـبـ فـيـ طـلـبـ الـاسـتـجـوابـ.

٢) الاستجواب : لكل عضو من أعضاء المجلس الوطني أن يوجه استجواباً تحريرياً إلى أي عضو من أعضاء مجلس الوزراء عن طريق رئيس المجلس<sup>(١١٥)</sup> ولا يحال الاستجواب للوزير المعنى إلا بعد اقتراحه موافقة عشرة أعضاء<sup>(١١٦)</sup> ويتم تحديد موعد مناقشة الاستجواب من قبل هيئة رئاسة المجلس الوطني بالاتفاق مع الوزير المختص خلال مدة أقصاها خمسة عشر يوماً من تاريخ إبلاغ الوزير بالاستجواب<sup>(١١٧)</sup>. ولم يشترط النظام الداخلي حضور أغلىية خاصة في الجلسة التي يجري فيها مناقشة الاستجواب لكنه اشترط حضور الأغلبية المؤيدة للاستجواب.

ويعرض أحد أعضاء المجلس الوطني من مؤيدي الاستجواب مضمون الاستجواب ثم يعطي رئيس المجلس الفرصة للوزير للإجابة عليه<sup>(١١٨)</sup>.

وبعد إجابة الوزير تجري المناقشة والتصويت فإذا أسفر التصويت على رفض الاستجواب تعتبر المسألة منتهية<sup>(١١٩)</sup> ولكن إذا أيد ثلثاً أعضاء المجلس الاستجواب عد ذلك اقتراحاً بإعفاء الوزير من منصبه. ويكون لرئيس الجمهورية القرار النهائي في إعفاء الوزير أو رفض الاقتراح ولرئيس الجمهورية أن يطلب إلى المجلس الوطني استدعاء رئيس الوزراء أو أي من الوزراء للتحقيق معه عن القضية التي أحيل من أجلها على المجلس والتحري عن الحقيقة<sup>(١٢٠)</sup>. أي أن القانون لم يجز استدعاء رئيس الوزراء أو الوزير أمام المجلس للتحقيق معه أو استجوابه إلا بناء على اقتراح رئيس الجمهورية.

## ٢- المسؤولية الوزارية في دستور العراق لعام ٢٠٠٤

اما قانون إدارة الدولة العراقية لعام ٢٠٠٤ ودخول أحكماته حيز النفاذ في ٣٠ حزيران ٢٠٠٤ على أن تبقى أحکامه سارية المفعول ولموعد أقصاه ٣١ كانون الأول ٢٠٠٥ . وما يسجل لهذا القانون أنه حدد الموعد الأقصى للمرحلة الانتقالية . وهي السابقة الأولى في الدساتير العراقية المؤقتة ، حيث لم يحدد أي من الدساتير السابقة الملاحة أجل أقصى لنفاذها وكان التبرير الظاهر لذلك الظروف الاستثنائية والاضطرابات الداخلية والتهديدات الخارجية.

أما تحديد السقف الزمني لنفاذ الدستور المؤقت (قانون إدارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية ) . إن دل على شيء فإنما يدل على إنصراف إرادة القابضين على السلطة إلى التنحي عن السلطة بعد أجل محدد وتسلیم مقابلیدها ملن تفرزه الشرعية الدستورية.

وعلى حد سواء مع نصوص اي دستور مؤقت ، جاءت نصوص قانون إدارة الدولة بمعنی لا تشير لمعالم نظام دستوري محدد . بل أنها كثیر ما خللت بين المصطلحات ، من ذلك مثلاً استخدمت مصطلح الحكومة للدلالة على سلطات الدولة الثلاث في آن واحد (م ٢٤ /أ) (تألف الحكومة العراقية الانتقالية المشار إليها ايضاً في هذا القانون بالحكومة الاتحادية ، من الجمعية الوطنية ، ومجلس الرئاسة و مجلس الوزراء وبضمنه رئيس الوزراء والسلطة القضائية ) في حين أن مصطلح الحكومة يستخدم مرادفاً للسلطة التنفيذية أو الوزارة ، ولا يوجد ترافق بين هذا المصطلح وسلطات الدولة الثلاث (التشريعية والتنفيذية والقضائية) . الأمر الذي كان يعني أن نصوص هذا الدستور لم توضع من قبل ساسة مهنيين أو على الأقل لم يتم مراجعتها من قبل قانونيين متخصصين . ومن المؤكد أن هذا الخلط انعكس على باقي نصوص القانون ، من ذلك مثلاً نص المادة (٢٥) الذي حدد صلاحيات الحكومة ، حيث لم يحدد اي فرع منها (تحتخص الحكومة العراقية الانتقالية بالشؤون التالية حصراً ..... ) وكذلك ما ورد في المادة (٢٩) (حال تولي الحكومة العراقية المؤقتة السلطة الكاملة .....).

وما يلاحظ على نصوص هذا القانون أيضاً أنها أبرزت دور رئيس الوزراء وأفراده بمراكز خاص وكأنه ليس جزء من السلطة التنفيذية ، من ذلك مثلاً أن المادة (٢٤ /أ) تنص على أنه (تألف الحكومة العراقية الانتقالية والشار إليها أيضاً في هذا القانون بالحكومة الاتحادية من الجمعية الوطنية و مجلس الرئاسة

**المسؤولية السياسية للقائمين بأعمال السلطة التنفيذية (دراسة مقارنة)**  
ومجلس الوزراء وبضمنه رئيس الوزراء والسلطة القضائية). والمادة (٢٨/أ) (أن أعضاء الجمعية الوطنية  
ومجلس الرئاسة ومجلس الوزراء بضمنه رئيس الوزراء .....). والمادة (٣٣ز) (يتضمن عمل الرقابة الذي  
تقوم به الجمعية الوطنية وجانبها حق استجواب المسؤولين التنفيذيين من فيهم أعضاء مجلس الرئاسة ومجلس  
الوزراء وبضمنهم رئيس الوزراء.....).

وخلال ما جرى عليه العمل في الدساتير المؤقتة والتي غالباً ما تركز الصلاحيات الاستثنائية بيد  
المؤسسة الاستثنائية أو السلطة التنفيذية وبصفة مطلقة بعيداً عن الرقابة مراعاة للظروف الاستثنائية أو  
المرحلة الانتقالية ، سعى واضعوا نصوص قانون إدارة الدولة إلى اخضاع قرارات وتصرفات أعضاء  
السلطة التنفيذية للرقابة ، من خلال منح الجمعية الوطنية وجانبها حق استجواب أعضاء السلطة المذكورة  
ابتداءً من أعضاء مجلس الرئاسة مروراً برئيس وأعضاء مجلس الوزراء وانتهاءً بأي مسؤول ينتهي لهذه  
السلطة. واستكمالاً لهذه الصلاحيات الرقابية ، خول القانون ، الجمعية الوطنية صلاحية سحب الثقة من  
الوزارة مجتمعة أو الوزراء منفردين ورتب على سحب الثقة من رئيسها (رئيس الوزراء) حل الوزارة  
بأسرها<sup>(١٢١)</sup>.

إن هذا التوجه الدستوري إنما هو انعكاس لتجربة مريرة غابت خلالها الشرعية الدستورية لمدة  
قاربت من النصف قرن وحلت محلها المؤسسات الاستثنائية تحت مسوغ الظروف الاستثنائية والتهديدات  
الخارجية ، هذا إضافة إلى أن هذه التجربة الدستورية ربما سعت إلى رسم المعالم العامة للدستور الدائم  
المرتقب آنذاك ، حيث تبني هذا الدستور (قانون إدارة الدولة) بعض معالم النظام البرلماني ، كإشتراطه نيل  
الوزارة لثقة البرلمان قبل ممارسة مهامها الدستورية<sup>(١٢٢)</sup>. وتمنع الأخير (البرلمان) بحق سحب الثقة من  
الحكومة<sup>(١٢٣)</sup> واعتبار الوزارة مستقيمة إذا ما أقيل رئيسها أو استقال<sup>(١٢٤)</sup>.  
وإن المسؤولية الوزارية في دستور العراق لعام ٢٠٠٤ أما أن تكون تضامنية وأما أن تكون فردية.

#### **أولاً : المسؤولية التضامنية :**

فقد نص في المادة (٤٠) منه على أن :

أ) يكون رئيس الوزراء والوزراء مسؤولين أمام الجمعية الوطنية ، ولهذه الجمعية الحق بسحب الثقة  
سواءً من رئيس الوزراء أو الوزراء مجتمعين ومنفردين ، وفي حالة سحب الثقة من رئيس الوزراء  
تنحل الوزارة بأسرها وتصبح المادة (ب) أدناه نافذة.

ب) في حالة التصويت بعدم الثقة لمجلس الوزراء بأسره يضل رئيس الوزراء والوزراء في مناصبهم لمزاولة  
أعمالهم مدة لا تزيد عن ثلاثة أيام ، إلى حين تشكيل مجلس الوزراء الجديد.

#### **ثانياً : المسؤولية الفردية :**

أشار إلى المسؤولية الوزارية في المادتين الأربعين والحادية والأربعين. فقد نصت المادة (٤٠ - أ) يكون  
رئيس الوزراء والوزراء مسؤولين أمام الجمعية الوطنية ، ولهذه الجمعية الحق في سحب الثقة سواءً من  
رئيس الوزراء أو الوزراء مجتمعين أو منفردين. وفي حالة سحب الثقة من رئيس الوزراء تنحل الوزارة  
بأسرها. أما المادة (٤١) فقد نصت (يزاول رئيس الوزراء مسؤولياته اليومية لإدارة الحكومة ، ويجوز له إقالة  
الوزراء بموافقة أغلبية مطلقة من الجمعية الوطنية ، ويمكن ل مجلس الرئاسة بتوصية من هيئة الزراة العامة بعد  
مراعاة الإجراءات القانونية أن تقيل عضو من مجلس الوزراء بما في رئيس الوزراء).

### ٣- المسؤولية الوزارية في دستور العراق لعام ٢٠٠٥

أخذ الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ بالنظام البرلماني نص في المادة الأولى جمهورية العراق دولة مستقلة ذات سيادة ، نظام الحكم فيها جمهوري نبابي (برلماني) وفي هذا النظام الوزراء مسؤولين أمام مجلس النواب.

وسائل تحريك المسؤولية الوزارية في دستور العراق لعام ٢٠٠٥

أشار الدستور العراقي النافذ إلى ثلات وسائل من وسائل تحريك المسؤولية الوزارية وهما السؤال والاستيضاح والاستجواب ولم يتناول بالتنظيم موضوع التحقيق وهذا مأخذ عليه لكن النظام الداخلي مجلس النواب أشار إليه في المادة ٣٢.

**١- حق السؤال :** - يقصد بهذا الحق أن يكون لأي من أعضاء مجلس النواب سؤال رئيس مجلس الوزراء أو الوزير عن مسألة معينة يجهلها أو يرغب في لفت النظر إليها ، وغالباً ما يكون السؤال موجزاً منصباً على المسألة المطلوب الاستفسار عنها ، ويكون حالياً من التعليقات التي تثير الجدل أو تنطوي على الآراء الخاصة بعيداً عن الإضرار بالمصلحة العامة أو مخالفة الدستور والتشريعات النافذة.

ويموجب المادة (٦١/ سابعاً) من الدستور العراقي يتحدد حق السؤال بين النائب السائل والوزير المسؤول ، ما يعني أن ليس للغير الاشتراك في مناقشة السؤال وهو ما يسمح بتوضيح الكثير من المسائل الغامضة ويووجه نظر الحكومة إلى بعض المخالفات لتداركها او تدارك آثارها قبل تفاقمها.

**٢- الاستيضاح :** - وهو حق تالي في المرتبة لحق السؤال ، وعلى حد سواء مع حق السؤال لا يحمل هذا الحق في طياته الاتهام لرئيس مجلس الوزراء أو الوزراء ، لكنه يسعى لمزيد من الاستيضاح بشأن السياسة العامة للوزارة أو إحدى فروعها ومستوى أدائها.

ومن المؤكد أن حق الاستيضاح أكثر أهمية وخطورة من حق السؤال كونه يأتي في مرحلة لاحقة لحق السؤال إذ لا يتم اللجوء لهذا الحق إلا إذا لم يكتف النائب بسؤاله أو إذا أراد المزيد من الاستيضاحات بشأن المسألة التي طرح السؤال عنها أو إذا راود المجلس أو بعض أعضائه الشك بإجابة الوزير.

من هنا اشترطت المادة (٦١/ سابعاً/ب) من الدستور تقديم الاستيضاح من قبل ما لا يقل عن خمسة وعشرين عضواً ، وإذا كان السؤال يوجه مباشرة لرئيس مجلس الوزراء أو الوزير المسؤول ، فإن الاستيضاح يقدم لرئيس مجلس النواب أولاً الذي يحيله بدوره لرئيس مجلس الوزراء أو الوزير المعنى حيث يتولى أي منهما بدوره تحديد موعد الحضور أمام مجلس النواب لطرح إجابته والمناقشة ما يعني أن الأمر الذي يجري الاستيضاح عنه غالباً ما يستلزم إعداد الإجابة من خلال الرجوع لبعض الوثائق والآوليات.

والملاحظ أن الدستور العراقي النافذ وحد في إجراءات الاستيضاح الموجهة لرئيس مجلس الوزراء والوزير وفي رأينا كان الأولى به التمييز في هذه الإجراءات وحسب أهمية وخطورة المنصب الذي يتولاه المعنى ، كان يشترط تقديم الاستيضاح لرئيس مجلس الوزراء من قبل عدد من الأعضاء يزيد على ذلك العدد الواجب توافره لتقديم الاستيضاح للوزير. ويشترط أيضاً لتقديم الاستيضاح للأول موافقة هيئة الرئاسة في المجلس إضافة للعدد المطلوب من النواب مراعاة للمرتكز الخاص لرئيس مجلس الوزراء وثقل المهام الملقة على عاتقه. فقد لا تجد هيئة رئاسة المجلس أن الأمر يستوجب الاستيضاح فتوئده قبل عرضه على رئيس مجلس الوزراء.

**٣- الاستجواب :** - يقصد بحق الاستجواب مسألة الحكومة أو أحد فروعها في بعض تصرفاتها أو فراراتها ، ويحمل الاستجواب في نهاية الاتهام للوزارة، من هنا بعد هذا الحق الوسيلة الأكثر فاعلية وخطورة في مواجهة رئيس مجلس الوزراء والوزراء ، كونه قد ينتهي إلى إقالة الحكومة بأسرها أو أحد فروعها.

**المسؤولية السياسية للقائمين بأعباء السلطة التنفيذية (دراسة مقارنة)**  
ونظراً خطورة هذا الحق فقد احاطته الدساتير المقارنة بالعديد من الضمانات ، وبذات الأتجاه سار الدستور العراقي النافذ ، لكن الملفت للنظر أن الدستور العراقي لم يشدد في إجراءات طلب الاستجواب ، بل أنه رسم طريق أيسِر من ذلك الذي اتبעה في الاستيضاح ، فقد أوجب تقديمها من قبل ما لا يقل عن خمسة وعشرين عضواً مباشرةً للمعني دون المرور برئيس المجلس (عضو مجلس النواب وبموافقة خمسة وعشرين عضواً توجيه استجواب إلى رئيس مجلس الوزراء أو الوزراء لمحاسبتهم.....). على أن تجري المناقشة بعد سبعة أيام في الأقل من تاريخ تقديمها ، وفي رأينا أن ما ذهب إليه الدستور العراقي في هذا الموضوع أمر محل نظر ، إذ كان عليه النص على إجراءات أكثر تعقيداً من تلك التي استوجبها لتقديم الاستيضاح ، والتمييز في الإجراءات الواجب إتباعها في مسألة رئيس مجلس الوزراء وتلك الواجب إتباعها في استجواب الوزير. إذ قد يتنهى الامر في الحالة الأولى إلى إقالة الوزارة بأسرها في حين تقتصر الآثار في الحالة الثانية على إقالة الوزير المستجوب إلا إذا قررت الوزارة الاستقالة بأسرها تضامناً مع الوزير المقال.

ومن المؤكد أن المشرع الدستوري العراقي أدرك خطورة الآثار المتربطة على الاستجواب ، لكنه قصر الضمانات التي تتلائم وخطورة هذا الحق في المرحلة لاحقة للأستجواب فقط ، حينما ينتهي الاستجواب في نتائجه إلى إدانة رئيس مجلس الوزراء أو الوزير ، حيث أوجب في هذه المرحلة طرح موضوع الثقة برئيس مجلس الوزراء أو الوزير بناءً على رغبته أو بناءً على طلب خمسين عضواً في الأقل على أن يصدر المجلس قراره بعد سبعة أيام في الأقل من تاريخ تقديم الطلب. وبالمقارنة بين وسائل الرقابة التي أمثلتها رئيس مجلس الوزراء في مواجهة مجلس النواب ، وتلك التي أمثلتها الثاني في مواجهة الأول ، يبدوا جلياً رجحان كفة المجلس في هذا الجانب . من هنا نرى ضرورة إعادة التوازن بين السلطات في هذا الاختصاص للاقتراب من النظام البرلماني بشكله التقليدي<sup>(١٢٥)</sup>.

**٤- التحقيق :** - لم يتناول بالتنظيم دستور العراق لعام ٢٠٠٥ موضوع التحقيق ولكن النظام الداخلي لمجلس النواب تلافياً لهذا النقص حيث نص في المادة (٣٢ - ثانياً) التي نصت (على إجراء التحقيق مع أي من أي المسؤولين بشأن أي واقعة يرى المجلس أن لها علاقة بالمصلحة العامة أو حق المواطنين). وأن المسؤولية الوزارية أما أن تكون تضامنية وأما أن تكون فردية.

#### **أولاً : المسؤولية التضامنية**

وتناول الدستور بالتنظيم المسؤولية التضامنية فقد نص في المادة (٦١ / الفقرة ثامناً/ ب) على الآتي :-

١) رئيس الجمهورية تقديم طلب إلى مجلس النواب بسحب الثقة من رئيس الوزراء.  
٢) لمجلس النواب بناءً على طلب خمس (٥/١) أعضائه سحب الثقة من رئيس مجلس الوزراء ، ولا يجوز أن يقدم هذا الطلب إلا بعد استجواب موجه إلى رئيس مجلس الوزراء ، وبعد سبعة أيام في الأقل من تقديم الطلب.

٣) يقرر مجلس النواب سحب الثقة من رئيس مجلس الوزراء بالأغلبية المطلقة لعدد أعضائه.  
الفقرة ج - تعد الوزارة مستقلة في حالة سحب الثقة من رئيس مجلس الوزراء.  
الفقرة د - في حالة التصويت بسحب الثقة من مجلس الوزراء بأكمله يستمر رئيس مجلس الوزراء والوزراء في مناصبهم لتصريف الأمور اليومية ، لمدة لا تزيد عن ثلاثة أيام ، إلى حين تأليف مجلس الوزراء الجديد وفقاً لأحكام المادة (٧٦) من هذا الدستور.

#### **ثانياً: المسؤولية الفردية**

وأكيد دستور العراق في المادة (٦١ / الفقرة ثامناً / أ) أنه مجلس النواب سحب الثقة من أحد الوزراء بالأغلبية المطلقة ويعد مستقلاً من تاريخ قرار سحب الثقة ، ولا يجوز طرح موضوع الثقة بالوزير إلا بناء

على رغبته ، أو طلب موقع من خمسين عضواً ، أثر مناقشة استجواب موجه إليه ، ولا يصدر المجلس قراره في الطلب الا بعد سبعة أيام في الأقل من تاريخ تقديمها.

### الخاتمة

- ١- تبين لنا بأن المحكمة الاتحادية العليا في العراق هي الجهة الوحيدة فقط المختصة بمحاكمة رئيس الجمهورية دون غيرها إلا أن قانونها الحالي لم يتضمن النص على تلك المسألة . ونوصي المشرع العراقي إلى إقرارها في القانون الجديد المزمع إصداره من خلال إيراد نص يتضمن الاتي : تختص المحكمة الاتحادية بمساءلة رئيس الجمهورية حسرا دون غيرها من المحاكم .
- ٢- لم يبين الدستور العراقي طبيعة مسؤولية رئيس الجمهورية بصورة صريحة ، ضمن نصوص الدستور من حيث عددها مسؤولية سياسية (برلمانية) أو جنائية وبذلك نوصي المشرع العراقي إلى تحديد نوع وطبيعة هذه المسؤولية عند تشريع القانون الخاص بالمحكمة الاتحادية العليا المختصة بمحاكمة الرئيس أو أي قانون خاص بمحاكمة رئيس الجمهورية في العراق .
- ٣- ان مسؤولية رئيس الجمهورية في العراق وجدنا إن هذه المسؤولية الواردة في المادة (٦١) من الدستور النافذ هي مسؤولية مختلطة بين السياسية والجنائية إن لم تكن في الغالب جنائية بحثة وهو ما نميل إليه . كون البرلمان لا يملك صلاحية مسألة رئيس الجمهورية سياسيا كما هو الحال للمسؤولية الوزارية إذ يبدأ البرلمان بتحريك الإتهام ويرفع الأمر للمحكمة الاتحادية .
- ٤- عدم وجود أي نص في قوانين العقوبات تحدد مسؤولية رئيس الجمهورية الجنائية بل وجدنا أن أغلب هذه القوانين تذهب إلى تحصين رئيس الجمهورية وبذلك نوصي إلى تحديد الموقف القانوني تجاه رئيس الجمهورية عند ارتکابه لجريمة غير تلك الواردة في الدستور .
- ٥- وجدنا أن رئيس الجمهورية في العراق لم يعد يتمتع بأية حصانة موضوعية من حيث إثارة المسؤولية الجنائية سوى الحصانة الإجرائية المتعلقة بتحريك الإتهام من قبل البرلمان واشترط الماده (٦١) من الدستور الأغلبية المطلقة لتلك المسألة .
- ٦- حدد الدستور العراقي موجبات هذه المسؤولية بثلاث حالات هي الخيانة العظمى وانتهاك الدستور والخنز باليمين إلا أنه أفشل تحديد مدلول كل واحدة منها ، وبذلك نوصي إلى بيان مفهوم كل واحدة في الحالات أعلاه منعا للاجتهاد والتأويل من خلال القوانين الخاصة بالمحكمة الاتحادية العليا في العراق أو القانون الخاص بمساءلة رئيس الجمهورية .
- ٧- أما فيما يتعلق بالجهة المختصة بتوجيه الإتهام لرئيس الجمهورية نجد إن نص الدستور قد قصر ذلك على مجلس النواب من التصويت بأغلبية الثلثين ونوصي أن يمنع ذلك الحق لجهة أخرى كالإدعاء العام .
- ٨- أما فيما يتعلق بالمسؤولية الوزارية فقد عرف العراق المسؤولية الوزارية للمرة الأولى في ظل دستور العراق عام ١٩٢٥ وهو الدستور الأول الصادر في عهد الاستقلال .
- ٩- ان المسؤولية الوزارية في دستور العراق لعام ٢٠٠٥ اما ان تكون تضامنية واما ان تكون فردية ، نرى ضرورة الموازنة بين السلطتين التشريعية والتنفيذية في دستور العراق لعام ٢٠٠٥ . حيث نصت المادة (٨٣) من الدستور على مسؤولية رئيس مجلس الوزراء والوزراء أمام مجلس النواب مسؤولية تضامنية أو شخصية . كما أن المادة (٧٦-٤) اشترطت عرض رئيس مجلس الوزراء المكلف ، أسماء أعضاء وزارته والمنهاج الوزاري على مجلس النواب للحصول على ثقته بالأغلبية المطلقة . كما إن المادة (٨٠-٥) خاما إضافة إلى تعين مجلس النواب لوكالات الوزارات والسفراء وأصحاب الدرجات الخاصة ورئيس

**المسؤولية السياسية للقائمين بأعباء السلطة التنفيذية (دراسة مقارنة)**  
أركان الجيش ومعاونيه ومن هو منصب قائد فرقه بما فوق ورئيس جهاز المخابرات الوطني ورؤساء الأجهزة الأمنية بناء على توصية من مجلس الوزراء. واضح من هذه الأمثلة مدى تعاظم سلطة مجلس النواب تجاه الحكومة رغم إعلان الدستور في المادة (١١) بأن نظام الحكم نيابي برلماني، والأنظمة البرلمانية توازن سلطة البرلمان بتقرير حق رئيس الحكومة في حل مجلس النواب (بريطاني) أو رئيس الدولة يطلب من رئيس الوزراء (ألمانيا وهي دولة ذات نظام برلماني اتحادي). **ونوصي** أن اقتراح حق رئيس الوزراء حل البرلمان (أو طلب ذلك من رئيس الجمهورية في حالة فشل البرلمان انتخاب رئيس وزراء جديد خلال مدة معينة من سحب الثقة من مجلس الوزراء). من شأنه إيجاد موازنة بين السلطتين ويؤدي إلى مزيد من الاستقرار وحتى لا تترك السلطة التنفيذية بدون ممارسة مدة طويلة في هذه الحالة. وكذلك ندعوا المشرع العراقي إلى إضافة وسيلة التحقيق البرلماني التي لم يتناولها بالتنظيم إلى الوسائل الأخرى التي نص عليها دستور العراق لعام ٢٠٠٥.

### الهوامش

١. د. ابراهيم عبد العزيز شيعا و د. محمد رفعت عبد الوهاب ، النظم السياسية و القانون الدستوري ،  
الفتح للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ٢٠٠١ ، ص ٧٧ .
٢. د. سليمان الطماوي ، السلطات السلطات الثلاث في الدساتير العربية المعاصرة وفي الفكر السياسي  
الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٢٠٨ .
٣. مبدأ المشروعية من المبادئ القانونية العامة واجبة التطبيق في كل الدول العصر بغض النظر تماماً عن  
الاتجاهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تبنته الدولة .
٤. د. كامل ليلة ، النظم السياسية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ٨٦ .
٥. الوزارة في بريطانيا تشكيلة كثيرة العدد، تضم حوالي ١٠٠ شخص بين وزير وامين عام دولة ومساعد  
امين عام وامين عام برمان.
٦. اندرية هوريو ، القانون الدستوري والمؤسسات الدستورية ، منشورات الاهلية للنشر والتوزيع ،  
بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ٢٦٩ .
٧. الكابتن لجنة منبثقة من البرلمان تستمد كل سلطاتها من المجلس الأدنى .
٨. اندرية هوريو ، المرجع السابقة ص ٣٧٤ .
٩. د. عبد الحميد متولي ، الوسيط في القانون الدستوري ، دار الفكر العربي القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص  
٢٣١ .
١٠. د. محمد انس قاسم جعفر ، النظم السياسية و القانون الدستوري ، دار النهضة العربية ، القاهرة ،  
١٩٩٩ ، ص ١٣٧ - ١٤٠ .
١١. د. محمد انس قاسم جعفر ، المرجع السابق ، ص ١٣٨ .
١٢. اندرية هوريو ، المرجع السابق ، ص ٤٠٠ .
١٣. د. محمد انس قاسم جعفر ، المرجع السابق ، ص ١٣٩ .
١٤. ابراهيم عبد العزيز شيعا و الدكتور محمد رفعت عبد الوهاب ، المصدر السابق ، ص ٤٤٥ .
١٥. اي مشروع مقسم الى مواد يلتزم البرلمان بمناقشته.
١٦. د. سليمان الطماوي ، المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .
١٧. د. سليمان الطماوي المرجع نفسه ، ص ٣٤٦ .

١٨. د. مصطفى ابو زيد فهمي ، الدستور المصري ومبادئ الانظمة السياسية ، المطبوعات الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠٤ ، ص ٤٣٨.
١٩. د. احمد فتحي سرور ، القانون الجنائي الدستوري ، ط ٣ ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ص ٤١٢، ٤١٣.
٢٠. لا يقصد بالقضاء السياسي ان أعضاءه والقائمين بإدارته من السياسيين ، وإنما يقصد به القضاء الذي يحاكم جرائم تمس النظام السياسي للدولة ، ويحاكم نوعاً من المسؤولين السياسيين عن الجرائم التي يرتكبونها أثناء ممارستهم وظائفهم ، المرجع نفسه - ص ٤١٣.
٢١. د. احمد فتحي سرور ، الشرعية والإجراءات الجنائية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٢١٠.
٢٢. د. عمرو فؤاد احمد بركات ، المسؤولية السياسية لرئيس الدولة في الانظمة الدستورية المقارنة ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٢١
٢٣. د. عمرو فؤاد احمد بركات ، مرجع سابق ، ص ٨
٢٤. د. محمد علي سالم وإسماعيل نعمة عبود ، المسؤولية الجنائية لرئيس الجمهورية - بحث منشور في مجلة كلية التربية / بابل ، المجلد الأول ، العدد ٤ ، ٢٠٠٨ ، ص ١٥٨
٢٥. ستناول بالبحث مسؤولية رئيس الجمهورية المصري في الصفحات القادمة.
٢٦. نشر هذا الدستور في الجريدة الرسمية (الواقع العراقية) العدد ٤٠١٢ في ٢٨/١٢/٢٠٠٥
٢٧. ينص الدستور على مثل هذه المسئولية انظر المواد (٦١ و ٨٣) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥
٢٨. تنص المادة (٦١) على أن يختص مجلس النواب بما يأتي ..... سادساً : مسئولة رئيس الجمهورية بناءاً على طلب مسبب بالأغلبية المطلقة لعدد أعضاء مجلس النواب - ب - أفاء رئيس الجمهورية بالأغلبية المطلقة لعدد أعضاء مجلس النواب بعد إدانته من المحكمة الاتحادية العليا في إحدى الحالات الآتية ١ ، الحنث في اليمين الدستورية ٢ ، انتهاء الدستور ٣ - الخيانة العظمى .
٢٩. تنص المادة (١٣٨) / ثانياً / ج) أعلاه على أن مجلس النواب إقالة أي عضو من أعضاء مجلس الرئاسة بأغلبية ثلاثة أرباع عدد أعضائه بسبب عدم الكفاءة أو التزاهة
٣٠. د. محمد علي سالم و اسماعيل نعمة عبود ، مرجع سابق ، ص ١٦٨ .
٣١. سيتم بيان مفهوم الخيانة العظمى في البحث الثاني عند بيان موجبات مسؤولية الخيانة .
٣٢. (نصت الفقرة (الثانية) من المادة أعلاه على مسؤولية الوزراء الجنائية صراحة بالقول ((أعضاء الحكومة مسئولون جنائياً عن أعمالهم التي يقومون بها في مباشرة مهامهم التي تشكل جنائيات أو جنح في الوقت الذي ارتكبت فيه و تطبق عليهم الإجراءات المذكورة في الفقرة الأولى و كذلك على شرائهم في حالات التآمر ضد سلامة الدولة)) للمزيد مما سبق ينظر د. عبد الله إبراهيم ناصف ، مدى توازن السلطة السياسية مع المسئولية في الدولة الحديثة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨١ ، ص ١١٧ .
٣٣. نصت المادة (٦٨) أعلاه ((يطبق مجلس الحكم نصوص قانون العقوبات في الجرائم المنصوص عليها فيه و تبين في قانون خاص أحوال مسؤولية الوزراء التي لم يتناولها قانون العقوبات)). للمزيد ينظر د. إبراهيم عبد العزيز شيخا ، د. محمد رفت عبد الوهاب ، مرجع سابق ، ص ٦٢٩ - ٦٣١
٣٤. المرجع نفسه ، ص ٦٧٦ .

٣٥. انظر مقدمة ذلك الدستور.

٣٦. د. رعد ناجي الجدة ، التطورات الدستورية في العراق ، بيت الحكم ، بغداد ، ٢٠٠٤ ، ص ٩ .
٣٧. صدر هذا القانون في نهاية عام ١٩١٨ و بقي نافذاً لحين صدور و نفاذ قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ المعدل و النافذ حالياً ، ولم ينظم القانون المذكور مسؤولية رئيس الدولة آنذاك.
٣٨. من الدستور أعلاه على أن (رئيس مجلس قيادة الثورة و رئيس الجمهورية هو رئيس الدولة و القائد العام للقوات المسلحة و رئيس السلطة التنفيذية.....).
٣٩. تنص المادة (٦) من قانون العقوبات العراقي على أن ((تسري أحكام هذا القانون على جميع الجرائم التي ترتكب في العراق)).
٤٠. تنص الفقرة (أ) من المادة أعلاه على ما يأتي(يرشح مجلس قيادة الثورة رئيسه لتولي منصب رئيس الجمهورية و يحيل الترشيح على المجلس الوطني للنظر فيه).
٤١. د. علي حسين الخلف و سلطان الشاوي ، المبادئ العامة في قانون العقوبات ، مطابع الرسالة ، الكويت ، ١٩٨٢ ، ص ١١٤، ١١٥.
٤٢. تنص المادة أعلاه على أن : يمارس مجلس قيادة الثورة بأغلبية ثلثي أعضاءه الصلاحيات الآتية ..... هـ / اتهام و محاكمة أعضاء مجلس قيادة الثورة و نواب رئيس الجمهورية و رئيس مجلس الوزراء و نوابه و الوزراء).
٤٣. د. رعد ناجي الجدة ، دراسات في الشؤون الدستورية العراقية ، المكتبة الوطنية ، مطبعة الخيرات ، بغداد ، ٢٠٠١ ، ص ١٧٣ .
٤٤. مع الإشارة إلى أن قانون محاكمة رئيس الجمهورية المصري رقم (٢٤٧) لسنة ١٩٥٦ قد نص على حالة أخرى بالإضافة للحالات أعلاه لمسألة رئيس الجمهورية جنائياً و هي (عدم الولاء للنظام الجمهوري).
٤٥. جمال الدين محمد بن منظور ، لسان العرب ، ج ١٢ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٦ ، ص ١٤٤ .
٤٦. للمزيد عن مفهوم الخيانة في الفقه و التشريعات المقارنة ينظر د. سعد إبراهيم الأعظمي ، جرائم التجسس في التشريع العراقي ، ١٩٨١ ، بغداد ص ٢٨ - ٤٢ .
٤٧. تنص المادة أعلاه على ما يأتي : ، (( لا يكون رئيس الجمهورية مسؤولاً عن الأعمال التي يقوم بها في مباشرة مهامه إلا في حالة الخيانة العظمى. و يكون اتهامه بواسطة البرلمان و بقرار موحد و بعد تصويت عليه بالأغلبية المطلقة للأعضاء الذين يتكون منهم البرلمان ، و تجري محاكمته أمام المحكمة القضائية العليا)).
٤٨. Andre Hauriou : droit constitutionnel et institutions politiques , Paris , 1970 , P 926 .
- أشار إليه د. عبد الله ناصف ، مرجع سابق ص ١٢٤
٤٩. د. عبد الله ناصف ، المرجع نفسه ، ص ١٣٥ .
٥٠. د. عمرو فؤاد أحمد برकات ، مرجع سابق ، ص ٥٨ - ٦٤ .
٥١. د. عمرو فؤاد ، المرجع نفسه ، ص ٨٨ ، ٩٩ .
٥٢. أصبح هذا القانون خاص بمحاكمة رئيس الجمهورية فقط بعد صدور قانون ٧٩ لسنة ١٩٥٨ الخاص بمحاكمة الوزراء.

٥٣. وبذلك تكون حالات المسؤولية الجنائية لرئيس الجمهورية في مصر ثلاث حالات من خلال الجمع بين نص الدستور والقانون رقم ٢٤٧ لسنة ١٩٥٦ وهي (١) الخيانة العظمى (٢) عدم الولاء للنظام الجمهوري (٣) أية جريمة جنائية أخرى .
٥٤. د. عمرو فؤاد ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .
٥٥. د. عبد الله ناصف ، مرجع سابق ، ص ٤٣٩ .
٥٦. المرجع نفسه ، ص ٤٤٠ .
٥٧. د. مصطفى ابو زيد فهمي ، مرجع سابق ، ص ٥٨٤ .
٥٨. لم يعرف قانون العقوبات العراقي النافذ ولم يضم ضمن نصوصه القانونية حالة الخيانة العظمى كما فعل في قانون العقوبات البغدادي بعد تعديله بالقانون رقم (٨) لسنة ١٩٥٩ حيث ميز بين جرائم الخيانة العظمى وجرائم التجسس الا انه لم يذكر عبارة (الخيانة العظمى) بل اقتصر على عبارة الخيانة فقط للمزيد انظر د. سعد ابراهيم الاعظمي ، مرجع سابق ، ص ٣٨ - ٤٢ .
٥٩. جمال الدين محمد بن منظور (لسان العرب) ، مرجع سابق ، ص ١٣٨ .
٦٠. د. محمد علي سالم وإسماعيل نعمه عبود ، مرجع سابق ، ص ١٨٥ .
٦١. تنص المادة (٥٠) على ما يلي ((اقسم بالله العلي العظيم ان أوّدي مهماتي ومسؤولياتي القانونية بتفان وإخلاص ، وان أحافظ على استقلال العراق وسيادته ، وأرعى مصالح شعبه ، واسهر على سلامته أرضه وسمائه ومياهه وثرواته ونظامه الديمقراطي الاتحادي ، وان اعمل على صيانة الحریات العامة والخاصة واستقلال القضاء ، والتزم بتطبيق التشريعات بأمانة وحياد والله على ما أقول شهيد )) . وينظر نص المادة (٧٩) من دستور جمهورية مصر النافذ حالياً التي بینت صيغة اليمين الدستورية .
٦٢. وأشار إلى موقف قانون العقوبات الفرنسي د. سعد الاعظمي ، مرجع سابق ، ص ١٢٨ .
٦٣. د. هشام عبد المنعم عكاشه ، الحقوق السياسية لمتعدد الجنسية ، دار النهضة العربية ٢٠٠٤ ص ٣٨ .
٦٤. د. هشام عبد المنعم عكاشه ، المرجع نفسه ، ص ٤١ .
٦٥. د. إبراهيم عبد العزيز شيخاً و د. محمد رفعت ، مرجع سابق ، ص ٧١٨ . و د. ماجد راغب الحلو ، النظم السياسية والقانون الدستوري ، دار المعرف ، الاسكندرية ، ٢٠٠٠ ، ص ٨٢ و د. هشام عبد المنعم عكاشه ، مرجع سابق ، ص ٤٢ .
٦٦. لسان العرب لأبن منظور ، مرجع سابق ، ص ٥١٩ .
٦٧. صالح العلي الصالح وأمينه الشيخ ، (المعجم الصافي في اللغة) ، ط ١ ، مطابع الشرق الأوسط ، ١٩٨٩ ، ص ٧٠٤ .
٦٨. د. محمد علي سالم وإسماعيل نعمه عبود ، مرجع سابق ، ص ١٥٩ ، ١٨٥ .
٦٩. تنص المادة أعلاه على أن ((رئيس الجمهورية هو رئيس الدولة ورمز وحدة الوطن ، يمثل سيادة البلد ، ويسيّر على ضمان الالتزام بالدستور ، و المحافظة على استقلال العراق و سيادته و وحدته ، و سلامته أراضيه وفقاً لأحكام الدستور .
٧٠. و من الأمثلة على ذلك ما جاء بنص الفقرة الثامنة من المادة (٧٣) التي تخول رئيس الجمهورية المصادقة على أحكام الإعدام الصادرة من المحاكم المختصة ، فإذا امتنع عن المصادقة على أي حكم صادر من المحاكم المختصة ومكتسب الدرجة القطعية فإنه يعد منتهكاً للدستور .

- المسؤولية السياسية للقائمين بأعباء السلطة التنفيذية (دراسة مقارنة)
٧١. د. رافع خضر صالح ، مضمون انتهاك الدستور المنسب لرئيس الدولة ، بحث منشور في مجلة كلية التربية / بابل ، المجلد الأول ، العلوم الإنسانية ، السنة السادسة – العدد الثاني ، ٢٠٠٨ ، ص ١٢٧ .
٧٢. د. رافع خضر صالح ، المرجع نفسه ، ص ١٣٢ .
٧٣. د. عمرو فؤاد ، مرجع سابق ، ص (٣٤) .
٧٤. د. ماجد راغب الحلو ، مرجع سابق ، ص ٦٧٨ .
٧٥. المرجع نفسه ، ص ٦٧٨ .
٧٦. د. عبد الله ناصف ، مرجع سابق ، ص ٤٣٦ .
٧٧. عادل ماجد ، المحكمة الجنائية الدولية والسيادة الوطنية ، مطبوعات مركز الدراسات للسياسة والإستراتيجية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ٣٧ – ٤٢ .
٧٨. د. محمد علي سالم وإسماعيل نعمة عبود ، مرجع سابق ، ص ١٥٩ – ١٨٥ .
٧٩. نص المادة (١٠) من القانون ٢٤٧ لسنة ١٩٥٦ الخاصة بمحاكمة رئيس الجمهورية.
٨٠. د. عبد الله ناصف ، مرجع سابق ، ص ٤٣٧ .
٨١. المرجع نفسه ، ص ٤٣٧ .
٨٢. ويلاحظ أن المادة (٣٢) النظام الداخلي مجلس النواب العراقي النافذ قد نصت على أن يمارس مجلس النواب أعمال الرقابة على السلطة التنفيذية المتضمنة ما يلي : ،
- أولاً : ، مسألة أعضاء مجلس الرئاسة ومساءلة واستجواب أعضاء مجلس الوزراء من بينهم رئيس الوزراء وأي مسئول في السلطة التنفيذية .
- ثانياً : - إجراء التحقيق مع أي مسئول من المسؤولين المشار إليهم في أعلاه بشأن أي واقعة يرى المجلس أن لها علاقة بالمصلحة العامة أو حقوق المواطنين. ونرى أن الأعمال التي يمارسها مجلس النواب بموجب نص المادة (٣٢) ما هي إلا تطبيق لنص الفقرة السادسة من المادة (٦١) من الدستور فيما يتعلق بتحريك الاتهام بحق رئيس الجمهورية وكذلك الصلاحيات الممنوحة لمجلس النواب في المادة (١٣٨) في الدستور الذي يمنح المجلس صلاحية إقالة رئيس الجمهورية باعتباره أحد أعضاء مجلس الرئاسة بسبب عدم الكفاءة والنزاهة .
٨٣. إلا في حالات مثول رئيس الجمهورية أمام القضاء الجنائي الدولي إذ تحكم هذا الجانب بعض الاتفاقيات الدولية ، للمزيد انظر ، إسماعيل نعمة عبود وزياد ناظم جاسم ، مسألة رئيس الدولة أمام المحكمة الجنائية الدولية ، بحث منشور في مجلة كلية التربية / بابل ، العدد ، الثاني ، نيسان ، المجلد الأول ، ٢٠٠٨ ، ص ١٤٥ – ١٩٥ .
- أو في حالة إنشاء محكمة خاصة لمحاكمة بعض الرؤساء ، كما حدث بعد سقوط نظام الرئيس السابق صدام حسين في ٤/٩/٢٠٠٣ على أثر احتلال العراق من قبل الولايات المتحدة والدول المتحالفة معها ، وإلقاء القبض عليه من قبل القوات الأمريكية ، تم تشكيل محكمة خاصة لمحاكمته عمما اسند إليه من جرائم بموجب القانون رقم (١٠) لسنة ٢٠٠٥ وتم تسميتها بـ (المحكمة الجنائية العراقية العليا) ، للمزيد عن هذه المحكمة انظر أولياء كاظم ، النظام القانوني للمحكمة الجنائية العراقية العليا ، دراسة مقارنة ، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية القانون / جامعة بابل ، ٢٠٠٨ .
٨٤. د. عبد الله ناصف ، مرجع سابق ، ص ٢٤٢ .
٨٥. مضمون المادة (٢٥) من قانون محاكمة رئيس الجمهورية المصري مشار إليه في المرجع أعلاه ص ٩٨ .
٨٦. انظر المادة (٧٧) من قانون الإجراءات الجنائية المصري رقم (١٥٠) لسنة ١٩٥٠ .

- .٨٧. د. أحمد فتحي سرور ، القانون الجنائي الدستوري ، مرجع سابق ، ص ٤٩٤ .
- .٨٨. مضمون المادة (١٥) من قانون محكمة رئيس الجمهورية .
- .٨٩. ويقابل هذا النص في قانون أصول المحاكمات الجزائية العراقي النافذ نص الفقرة (ب) من المادة ١٨٧ حيث تنص على ((لا تقييد المحكمة في تحديد الوصف القانوني للجريمة بالوصف الوارد في أمر القبض أو ورقة التكليف بالحضور أو قرار الإحالة)).
- .٩٠. د. حسن علام ، قانون الإجراءات الجنائية والجزائية ج ١ ، المجلد الثاني ، ١٩٨٣ ، ص ٥٧ .
- .٩١. مؤلفه الذي سبقت الإشارة إليه ، مرجع سابق ، ص ٤٤٣ .
- .٩٢. مضمون المادة (٢٢) مشار إليه في المرجع أعلاه ، ص ٤٤٣ .
- .٩٣. المرجع نفسه ، ص ٤٤٥ .
- .٩٤. وكذلك الأمر بالنسبة للدستور العراقي حيث قررت المادة (٦١) إعفاء رئيس الجمهورية من قبل البرلمان بالأغلبية المطلقة عند إدانته بإحدى الحالات الثلاثة السالفة الذكر .
- .٩٥. وفي العراق تنص المادة (٩٤) من الدستور العراقي النافذ على ما يأتي : ((قرارات المحكمة الاتحادية العليا باتهام و ملزمة للسلطات كافة)) أي ما معناه إن قرارات المحكمة لا يمكن الطعن فيها مطلقا .
- .٩٦. د. عبد الله ناصف ، مرجع سابق ، ص ٤٤٥ .
- .٩٧. المرجع نفسه ، ص ٤٤٥ .
- .٩٨. د. صالح جواد الكاظم و د. علي غالب العاني ، الانظمة السياسية ، دار الحكم ، بغداد ، ١٩٩١ ، ص ٦٧ .
- .٩٩. م (٥٤) من القانون الأساسي العراقي لعام ١٩٢٥ .
- .١٠٠. م (٢٦/٢) و م (٢٧) من الدستور أعلاه.
- .١٠١. رافع انور الخطيب ، الأصول البرلمانية في لبنان و سائر البلاد العربية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦١ ، ص ٢٩٠ .
- .١٠٢. م (٥٤) من القانون الأساسي العراقي لعام ١٩٢٥ .
- .١٠٣. د. السيد صبري ، حكومة الوزارة ، المطبعة العالمية ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٥٤٨ .
- .١٠٤. م (٦٦) من القانون الأساسي العراقي لعام ١٩٢٥ .
- .١٠٥. م (٥٢/٢) من الدستور نفسه .
- .١٠٦. م (٥٥/ب) من الدستور العراقي لعام ١٩٧٠ .
- .١٠٧. م (٥٧ / أولاً) من قانون المجلس الوطني رقم ٢٦ لسنة ١٩٩٥ .
- .١٠٨. م (٩٤/أولاً) من النظام الداخلي للمجلس الوطني رقم ٢٦ لسنة ١٩٩٥ .
- .١٠٩. م (٩٦) من النظام الداخلي .
- .١١٠. م (٩٥ / ثالثاً) من النظام الداخلي .
- .١١١. م (٩٥ / أولاً) من النظام الداخلي .
- .١١٢. م (٥ / ثانياً - ثالثاً) من النظام الداخلي .
- .١١٣. م (٩٦/ ثانياً) من النظام الداخلي .
- .١١٤. م (٩٦ / أولاً) من النظام الداخلي .
- .١١٥. م (٩٧ / أولاً) من النظام الداخلي .

١١٦. م (٩٧ / ثالثاً) من النظام الداخلي.
١١٧. م (٩٧ / رابعاً) من النظام الداخلي.
١١٨. م (٩٧ / سادساً) من النظام الداخلي.
١١٩. م (٩٧ / سابعاً) من النظام الداخلي.
١٢٠. م (٩٥ / أولاً/ ب) من قانون المجلس الوطني رقم ٢٦ لسنة ١٩٩٥ .
١٢١. م (٣٣/ز) من قانون إدارة الدولة للمرحلة الانتقالية.
١٢٢. م (٤٠/أ) من قانون إدارة الدولة للمرحلة الانتقالية.
١٢٣. م (٣٨/أ) من قانون إدارة الدولة للمرحلة الانتقالية.
١٢٤. د. علي يوسف الشكري وآخرون ، دراسات حول الدستور العراقي ، مؤسسة آفاق للدراسات والأبحاث العراقية ، بغداد ، ٢٠٠٨ . ص ٣٢٦ - ٣٢٩
١٢٥. د. علي يوسف الشكري وآخرون ، المرجع نفسه ، ص ٣٥٧ - ٣٥٩

## المراجع

### اولاً: الكتب:

١. د. ابراهيم عبد العزيز شيماء و د. محمد رفعت عبد الوهاب ، النظم السياسية و القانون الدستوري ، الفتح للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ٢٠٠١ .
٢. د. احمد فتحي سرور ، الشرعية والإجراءات الجنائية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٧ .
٣. د. احمد فتحي سرور ، القانون الجنائي الدستوري ، ط ٣ ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ٢٠٠٤ .
٤. د. السيد صبري ، حكومة الوزارة ، المطبعة العالمية ، القاهرة ، ١٩٧٣ .
٥. اندرية هوريو ، القانون الدستوري والمؤسسات الدستورية ، منشورات الاهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٧٩ .
٦. جمال الدين محمد بن منظور ، لسان العرب ، ج ١٣ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٦ .
٧. د. حسن علام ، قانون الإجراءات الجنائية و الجزاية ج ١ ، المجلد الثاني ، ١٩٨٣ .
٨. د. رافع انور الخطيب ، الأصول البرلمانية في لبنان وسائر البلاد العربية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦١ .
٩. د. رعد ناجي الجدة ، التطورات الدستورية في العراق ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٤ .
١٠. د. رعد ناجي الجدة ، دراسات في الشؤون الدستورية العراقية ، المكتبة الوطنية ، مطبعة الخيرات ، بغداد ، ٢٠٠١ .
١١. د. سعد إبراهيم الأعظمي ، جرائم التجسس في التشريع العراقي ، ١٩٨١ ، بغداد .
١٢. د. سليمان الطماوي ، السلطات السلطات الثلاث في الدساتير العربية المعاصرة وفي الفكر السياسي الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٧٨ .
١٣. صالح العلي الصالح وأمينه الشيخ ، (المعجم الصافي في اللغة) ، ط ١ ، مطابع الشرق الأوسط ، ١٩٨٩ .
١٤. د. صالح جواد الكاظم و د. علي غالب العاني ، الانظمة السياسية ، دار الحكمة ، بغداد ، ١٩٩١ .
١٥. د. عبد الله إبراهيم ناصف ، مدى توازن السلطة السياسية مع المسؤولية في الدولة الحديثة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨١ .

١٦. د. عبد الحميد متولي ، الوسيط في القانون الدستوري ، دار الفكر العربي القاهرة ، ١٩٦٦ .
١٧. عادل ماجد، المحكمة الجنائية الدولية والسيادة الوطنية ، مطبوعات مركز الدراسات للسياسة والإستراتيجية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ٢٠٠١ .
١٨. د. علي حسين الحلف وسلطان الشاوي ، المبادئ العامة في قانون العقوبات ، مطبع الرسالة ، الكويت ، ١٩٨٢ .
١٩. د. علي يوسف الشكري وآخرون ، دراسات حول الدستور العراقي ، مؤسسة آفاق للدراسات والأبحاث العراقية ، بغداد ، ٢٠٠٨ .
٢٠. د. عمرو فؤاد احمد بركات ، المسؤولية السياسية لرئيس الدولة في الانظمة الدستورية المقارنة ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٤ .
٢١. د. كامل ليلة ، النظم السياسية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
٢٢. د. محمد انس قاسم جعفر ، النظم السياسية و القانون الدستوري ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٩ .
٢٣. د. ماجد راغب الحلو ، النظم السياسية والقانون الدستوري ، دار المعارف ، الاسكندرية ، ٢٠٠٠ .
٢٤. د. مصطفى ابو زيد فهمي ، الدستور المصري ومبادئ الانظمة السياسية ، المطبوعات الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠٤ .
٢٥. د. هشام عبد المنعم عكاشه ، الحقوق السياسية لمتعدد الجنسية ، دار النهضة العربية ٤ . ٢٠٠٤

#### ثانياً البحوث :

١. إسماعيل نعمة عبود وزياد ناظم جاسم ، مسئلة رئيس الدولة أمام المحكمة الجنائية الدولية ، بحث منشور في مجلة كلية التربية / بابل ، العدد ، الثاني ، نيسان ، المجلد الأول ، ٢٠٠٨ .
٢. د. رافع خضر صالح ، مضمون انتهاك الدستور المنسوب لرئيس الدولة ، بحث منشور في مجلة كلية التربية / بابل ، المجلد الأول ، العلوم الإنسانية ، السنة السادسة - العدد الثاني ، ٢٠٠٨ .
٣. د. محمد علي سالم وإسماعيل نعمة عبود ، المسؤولية الجنائية لرئيس الجمهورية - بحث منشور في مجلة كلية التربية / بابل ، المجلد الأول ، العدد ٤ ، ٢٠٠٨ .

#### ثالثاً الوسائل الجامعية :

- ١ - أولياء كاظم ، النظام القانوني للمحكمة الجنائية العراقية العليا ، دراسة مقارنة ، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية القانون / جامعة بابل ، ٢٠٠٨ .

#### رابعاً: الدساتير

١. القانون الأساسي العراقي لسنة ١٩٢٥ .
٢. دستور ٢٩ ، نيسان ، ١٩٦٤ .
٣. دستور ٢١ ايلول لسنة ١٩٦٨ العراقي .
٤. مشروع دستور العراق لسنة ١٩٩٠ .
٥. قانون إدارة الدولة العراقية لسنة ٢٠٠٤ .
٦. دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥ .
٧. الدستور الفرنسي لعام ١٩٥٨ .

٨. الدستور المصري لسنة ١٩٢٣.

٩. الدستور المصري لسنة ١٩٧١.

### **خامساً: القوانيـن**

١. قانون العقوبات العراقي رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩ المعدل.
٢. قانون رقم (١٥٩) لسنة ١٩٦٨ العراقي.
٣. قانون المحكمة الاتحادية رقم (٣٠) لعام ٢٠٠٥.
٤. قانون محكمة رئيس الجمهورية المصري رقم (٢٤٧) لسنة ١٩٥٦.
٥. قانون المحكمة الدستورية العليا في مصر رقم (٤٨) لسنة ١٩٧٩.
٦. قانون الإجراءات الجنائية المصري رقم (١٥٠) لسنة ١٩٥٠.

## شعر الاستنهاض بالإمام الحجة (عجل الله فرجه)

### عند أبي الحب الكبير

#### دراسة في المضمون الموضوعي

أ.د. عبود جودي عبود الحلبي<sup>(١)</sup>  
م.م. راوية محمد هادي حسون الكلش<sup>(٢)</sup>

#### المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على سيد المرسلين ، وحاتم النبيين أبي القاسم محمد وعلى الله الطيبين الطاهرين وصحبه الغر المتحبين .

أما بعد

فإن مدينة كربلاء تعد واحدة من المدن العربية الخالدة التي نبغت فيها طائفة كبيرة من رجال العلم والفكر والأدب ... ومن بين أولئك الرجال العظام الشاعر الشیخ محسن أبو الحب الكبير المتوفى سنة ١٣٠٥ هـ - ١٨٨٧ م ) ، والذي سخر جل موضوعاته الشعرية في خدمة قضية أهل بيت الرسالة عليهم السلام ، ومن بين تلك الموضوعات التي وظفها ابو الحب في ديوانه موضوع (شعر الاستنهاض بالإمام الحجة (عجل الله فرجه) ) ؛ إذ أن رسوخ عقيدة الشاعر بالإمام المهدى عليه السلام وما حل بأهل البيت النبوى عليهم السلام من ظلم وقمع وجور كانت من أهم الأسباب التي دفعته إلى الاستنهاض بالإمام الحجة عليه السلام ، فضلاً عن حالة الاضطهاد التي ألمت به وبمجتمعه من جراء سياسة الدولة العثمانية إبان القرن التاسع عشر ، إذ كانت هي الأخرى أيضاً من الأسباب التي جعلته يتوجه بأنظاره صوب الإمام المهدى عليه السلام .

وقد جاء البحث ليسلط الضوء على أبرز مضامين شعر الاستنهاض عند أبي الحب الكبير ، فقد قسم البحث على تمهيد ومحاور عدة ضم التمهيد في ثناياه مفهوم شعر الاستنهاض لغة واصطلاحاً فيما ضمت محاور البحث مضامين شعر الاستنهاض بالإمام الحجة عليه السلام عند أبي الحب الكبير والتي تمثلت في الآتي :

- التأثر للإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الأطهار
- الشفاعة
- عرض مظلومية أهل البيت عليهم السلام للإمام المهدى (ع)

١- رئيس جامعة أهل البيت عليهم السلام  
٢- كلية التربية ، جامعة كربلاء

- رفض الشاعر للواقع السياسي

وقد أعقبت تلك المحاور خاتمة ضمت ابرز النتائج التي توصل إليها البحث .

وقد اعتمد البحث وبعد القرآن الكريم على مصادر عدّة منها ديوان الشاعر وعدد من كتب الأدب

وال تاريخ وال حدیث و العقیدة فنأمل أن نكون قد اغترفنا منها ما يزيد البحث جلاءً و يشـرهـ فـكـراـ .

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيـن محمد الأمـين

و على آله الطـيـبـينـ الطـاهـرـينـ و صـحـبـهـ المتـجـبـينـ ...

### التمهيد :

الاستهاض من النهوض وهو لغة : البراح من الموضع والقيام عنه... واستهضـهـ لأـمـرـهـ كـذـاـ إـذـ أـمـرـهـ  
بالنهوض له.<sup>(٣)</sup>

وفي الاصطلاح : هو من الموضوعات الشعرية التي ارتبطت بعقيدة الشعراء المسلمين في المهدى

الموعود عليه السلام ، إذ يتمثل في دعوتهم للإمام الحجة بن الحسن المهدى (عج) بالتعجيل في الظهور وإعلان الثورة

على الظالمين الذين ظلموا النبي الكريم محمد عليه السلام وسبطه الحسين عليهما السلام وأهل بيته الأطهار عليهم السلام والتنديد

بهم والانتقام منهم وأن يحل القصاص العادل بهم ويلأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.<sup>(٤)</sup>

و شعر الاستهاض من الموضوعات القدية في الشعر العربي ، إذ تناوله الشعراء من العصر الجاهلي

و حتى العصر الحديث ، فكان الشعراء في الجاهلية يستهضـونـ زعـيمـ القـبـيلـةـ أوـ رـئـيسـهاـ لأـخـذـ ثـأـرـ المـقـتـولـينـ

ولمجابهة الخصم والرـدـ عليهـ<sup>(٥)</sup> ، وعندما انبثق الإسلام شعلة مضيئة في تاريخ العرب استمر هذا اللون من

النظم غرضاً شـعـريـاـ وـلـجـهـ شـعـراءـ العـصـرـ آـنـذـاكـ إـلـىـ يـوـمـنـاـ ،ـ ولـكـنـهـ اـرـتـبـطـ بـيـانـهـمـ المـتـمـثـلـ بـالـدـيـنـ الإـسـلـامـيـ

وبالرسول محمد عليه السلام وعقـيدـهـ بـظـهـورـهـ المـهـدىـ المتـنـظـرـ .ـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ أـنـ الـاعـتـقادـ بـظـهـورـهـ المـهـدىـ المتـنـظـرـ

يختلف عند المسلمين من طائفة لأخرى في تعـيـنـ شـخـصـهـ وبـعـضـ صـفـاتـهـ ،ـ فـمـثـلاـ كـانـ اـعـتـقادـ الـمـسـلـمـينـ مـنـ

أـتـبـاعـ أـهـلـ الـبـيـتـ عليهـ السـلامـ بـ(ـالـمـهـدىـ المـنـظـرـ)ـ مـتـمـثـلاـ بـ(ـالـحـجـةـ بنـ الـحـسـنـ المـهـدىـ عليهـ السـلامـ)ـ الـإـمـامـ الثـانـيـ عـشـرـ مـنـ

أـئـمـتـهـ .ـ وـ هـذـاـ الـاعـتـقادـ كـانـ باـعـثـ لـقـولـ الـشـعـرـاءـ عـنـ اـعـتـقادـهـمـ وـ دـافـعـواـ عـنـهـ فيـ

شـعـرـهـ<sup>(٦)</sup>ـ وـ قـدـ كـانـ لـهـذـاـ الـاعـتـقادـ حـضـورـ سـابـقـ عـلـىـ لـادـةـ الـإـمـامـ المـنـظـرـ(ـعـجـ)ـ إـذـ إـنـ الـمـسـلـمـينـ قدـ اـعـتـمـدـواـ

فيـ اـعـتـقادـهـمـ هـذـاـ عـلـىـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ أـوـلـاـ إـذـ قـالـ تـعـالـىـ فـيـ ذـلـكـ :ـ (ـوـلـقـدـ كـبـيـرـاـ فـيـ الـزـيـورـ مـنـ بـعـدـ الذـكـرـ أـنـ الـأـرـضـ

يـرـتـبـتـهـ عـبـادـيـ الصـالـحـونـ)<sup>(٧)</sup>ـ .ـ وـ قـالـ تـعـالـىـ :ـ (ـوـعـدـ اللهـ الـذـيـنـ آـمـنـواـ مـنـكـمـ وـعـمـلـواـ الصـالـحـاتـ لـيـسـتـحـلـفـهـمـ فـيـ الـأـرـضـ

كـمـاـ اـسـتـحـلـفـ الـذـيـنـ مـنـ قـبـلـهـمـ وـلـيـمـكـنـ لـهـمـ دـيـنـ الـذـيـ اـرـضـهـمـ وـلـيـتـلـهـمـ مـنـ بـعـدـ خـوـفـهـمـ أـمـاـ يـعـدـونـيـ لـاـ يـسـرـكـونـ

بـيـ شـيـخـاـ)<sup>(٨)</sup>ـ .ـ وـ قـالـ تـعـالـىـ أـيـضاـ :ـ (ـوـتـرـيـدـ أـنـ نـمـنـ عـلـىـ الـذـيـنـ اـسـتـصـبـغـوـ فـيـ الـأـرـضـ وـنـجـعـلـهـمـ أـيـةـ وـنـجـعـلـهـمـ الـوـارـثـينـ

(٣) ينظر : لسان العرب : مادة (نهضـ).

(٤) ينظر : فرائد السمعـينـ فيـ فـضـائلـ الـمـرـتضـىـ وـالـبـتـولـ وـالـسـبـطـينـ وـالـأـئـمـةـ مـنـ ذـرـيـتـهـمـ عـلـيـهـمـ السـلامـ :ـ ٣٣٥/٢ـ ،ـ بـحـارـ الـأـنـوارـ :

٤٥/٥١ـ ،ـ تـطـورـ الشـعـرـ الـعـرـبـيـ الـحـدـيـثـ فـيـ الـعـرـاقـ :ـ ٢٦ـ ،ـ دـيـوـانـ الشـيـخـ (ـمـحـسـنـ أـبـوـ الـحـبـ الـكـبـيرـ)ـ درـاسـةـ فـيـ الـمـوـضـوـعـ الشـعـرـيـ ،ـ دـعـلـيـ

كاـاظـمـ الـصـلـاوـيـ ،ـ وـمـ.ـ كـرـيـهـ نـوـمـاسـ الـمـدـنـيـ ،ـ مجلـةـ جـامـعـةـ أـهـلـ الـبـيـتـ (ـعـلـيـهـمـ السـلامـ)ـ ،ـ العـدـدـ السـابـعـ ،ـ آـذـارـ ،ـ ٢٠٠٩ـ ،ـ أـثـرـ الـبـيـةـ

فـيـ أـدـبـ الـمـدـنـ الـعـرـاقـيـ فـيـ الـقـرـنـ التـاسـعـ عـشـرـ :ـ ٩١ـ وـمـاـ بـعـدـهـاـ.

(٥) ينظر : تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام : ٢٠٩ـ وـمـاـ بـعـدـهـاـ.

(٦) ينظر : المهدى المنتظر في الشعر العربي إلى نهاية العصر العباسي ،ـ أـحـمـدـ كـاظـمـ جـوـادـ ،ـ رسـالـةـ مـاجـسـتـيرـ ،ـ كـلـيـةـ الـآـدـابـ ،ـ جـامـعـةـ

الـكـوـفـةـ ،ـ ٢٠٠٧ـ ،ـ ١ـ وـمـاـ بـعـدـهـاـ.

(٧) سورة الأنبياء : الآية : ١٠٥ـ .

(٨) سورة النور : الآية : ٥٥ـ .

(٤) إذ يرى كثيرون من المسلمين أن هذه الآيات المباركة نزلت في حق المهدى المنتظر عليه السلام ، وكما اعتمد المسلمون على أحاديث الرسول محمد ﷺ ثانيةً إذا لا شك في أن من يبحث في كتب السنة النبوية يرى الكثير من الأحاديث النبوية قد جاءت في ذكر المهدى الذي بشر به الرسول ﷺ هذه الأمة إذا قال الرسول : «لا تذهب الأيام والليالي حتى يملأك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه أسمى ، ..... فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً». (٥) وقال ﷺ : «إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ، وإن أهل بيتي سيلقون بعدى بلاء وتشريداً وتطريداً ، حتى يأتي قوم من الشرق معهم رايات سود ، فيسألون الخير فلا يعطونه ، فيقاتلون ، فينصرون ، فيعطيون ما سألاوا ، فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي ، فيملاها قسطاً وعدلاً كما ملأوها جوراً ، فمن أدرك ذلك منكم ، فليأتهم ولو حبوا على الثلج» (٦) ، وغير ذلك الكثير من الأحاديث التي رویت عن الرسول محمد ﷺ في حق الإمام المهدى المنتظر (ع).

وعلى الرغم من وجود هذه الأدلة القاطعة التي تؤكد فكرة المهدوية أي (ظهور المصلح في آخر الزمان) إلا أن في المسلمين من ينكر هذه المسألة ، وقد أكد الرسول ﷺ على النهي عن إنكار ذلك بقوله : «من أنكر القائم من ولدي فقد أنكرني» (٧) و قوله أياضًا ﷺ : «من أنكر خروج المهدى فقد كفر بما أنزل على محمد ، ومن أنكر نزول عيسى فقد كفر ، ومن أنكر خروج الدجال فقد كفر...» (٨) ، حيث هناك بعض الأقوام أنكروا فكرة وجود المهدى (ع) ومنهم من زعم أنه قد مات وأن غيبته شيء غير طبيعي... لكن المسلمين من أتباع أهل البيت عليهم السلام الذين آمنوا بـ(الحجۃ بن الحسن المهدى) (ع) قد اعتقدوا أن غيبة الإمام المهدى (ع) أمر طبيعي ؛ اسوة بكثير من الأنبياء والمرسلين الذين غابوا واستروا عن أقوامهم ، فهذانبي الله موسى عليه السلام قد غاب عن قومه في مناجاة الله سبحانه وتعالى وعند ذلك رجع قومه عن طاعة الله سبحانه وتعالى وعبدوا العجل ، وكذلك النبي الله يوسف عليه السلام وإدريس عليه السلام وصالح عليه السلام وكذلك نبينا محمد عليه السلام حين غاب عن قومه وهو في الغار ثم ظهر بعد ذلك الاستمار... (٩) ، وهذا يدل على أن الإمام المهدى (ع) شبه بالأنبياء ، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : «في القائم سنة من موسى ، وسنة من يوسف ، وسنة من عيسى وسنة من محمد عليه السلام...» (١٠)

وأما عن أسباب غيبة الإمام المهدى (ع) فإنها تمثل في نجاته من الظلم أي «إخافة الظالمين له ومنعهم يده من التصرف فيما جعل إليه التصرف فيه...» (١١) إذ أن هذا الاختفاء تم عن طريق الإعجاز الإلهي من أجل حفظ الإمام المهدى (ع) من الموت والخطر لكي يقوم بالمسؤولية الكبرى في اليوم الموعود (١٢) وفي هذا الشأن يقول أبو الحب راداً على من أنكر وجود الإمام المهدى (ع) : «في القائم سنة من موسى ، لقد زعم الأقوام أنك لم تكن أو انك ميت ضم جثتك القبر

(٩) سورة القصص : الآية : ٥.

(١٠) المستدرك على الصحيحين : ٤٤٩ ، وينظر الجامع الصحيح (سنن الترمذى) : ٦٦١.

(١١) سنن ابن ماجه : ٥٩٥.

(١٢) بخار الأنوار : ٤٥٥١.

(١٣) فرائد السمعطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذريتهم عليهم السلام : ٣٣٤/٢.

(١٤) ينظر : منتخب الأنوار المضيئة : ٦٧ وما بعدها ، النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين : ٣٨٧ ، ٢٨١ ، ٢٧٢.

(١٥) كمال الدين وقام النعمة : ٢٨/١ ، وينظر المصدر نفسه : ٢٥/١ وما بعدها.

(١٦) موسوعة الإمام المهدى (ع) من المهد إلى يوم القيمة : ٧١/٦.

(١٧) ينظر : تاريخ الغيبة الكبرى : ٣٢/٢.

(١٨) الديوان : ٨٢.

من الدهر حتى آب والعذر الغدر  
ولكنها سر وغيتك السر  
على كل حال طال أو قصر الدهر  
وجودك حتى شاع بينهم النكر  
وقد غاب نوح قبل ما غبت برهة  
وغيبة عيسى لم تكن خوف قتله  
فأي عجيب في احتجابك في مدى  
بلى عميت أبصر قوم فأنكروا

وبذلك كانت عقيدة المسلمين من أتباع أهل البيت عليه السلام بالمهدي المنتظر (عج) عقيدة راسخة قوية، إذ كان رسوخ عقيدتهم من الأسباب التي جعلت شعراهم يستنهضون الإمام الحجة (عج) ويطلبون تعجيل الفرج في ظهوره فضلاً عن مصارع أهل البيت عليه السلام وما حل بهم من ظلم وقمع وجور عدم الالتزام بشرعية الإسلام ومبادئه وسيطرة أعداء الإسلام على مقايد السلطة، كانت أهم الأسباب التي جعلت الشعراء من أتباع أهل البيت عليه السلام يتوجهون إلى النظم في هذا الموضوع الشعري، إذ التجأ إليه الشعراء أملاً منهم في الخلاص من الظلم والقهر والجحود... لا سيما أنهم كانوا على دراية مؤكدة بأن غيبة الإمام المهدي (عج) هي موضع فتنه ومحل اختبار.<sup>(١٩)</sup>

ومن هؤلاء الشعراء الذين كتبوا في استنهاض الإمام المهدي (عج) الكميت بن زيد الأستدي (ت ١٢٦ هـ)<sup>(٢٠)</sup> ، وكذلك السيد الحميري (ت ١٧٣ هـ)<sup>(٢١)</sup> ، والقاسم بن يوسف الكاتب (ت ٢١٣ هـ)<sup>(٢٢)</sup> ، ودعل بن علي الخزاعي (ت ٢٤٦ هـ)<sup>(٢٣)</sup> وغيرهم من الشعراء... ولكن أغلب ما قاله هؤلاء الشعراء كان مندرجًا في مدح الأئمة عليهم السلام ورثائهم، أي أنهم لم يفردوا قصائد كاملة في استنهاض المهدي المنتظر عليه السلام.

وعندما حل القرن التاسع عشر نرى أن أكثر الشعراء قد كتبوا في استنهاض الحجة (عج) وأفردوا قصائد بذاتها في المهدي المنتظر عليه السلام حتى أصبحت قصيدة الاستنهاض بـ (المهدي المنتظر (عج)) بمفاصلها البنائية غرضاً قائماً في ذلك العصر<sup>(٢٤)</sup> ولعل أهم الأسباب التي دفعت شاعر القرن التاسع عشر في العراق إلى الاستنهاض بالإمام المهدي عليه السلام وطلب تعجيل ظهوره هي عقيدة الشاعر بالإمام المهدي (عج) أولاً، فضلاً عن حالة الاضطهاد التي ألمت به خاصة وبمجتمعه عامة من جراء سياسة الدولة العثمانية<sup>(٢٥)</sup> إذ عبر هذا

(١٩) ينظر: منتخب الأنوار المضيئة : ٨٢.

(٢٠) هو الكميت بن زيد بن الأحسن، شاعر أموي مقدم، عالم بلغات العرب، خبير بأيامها، من شعراء مصر والشتها، والمعصبين على القحطانية، العلماء بالتألّب عاش أيام أمية ولم يدرك الدولة العباسية ومات قبلها. ينظر: الأغاني: ٣/١٧، الشعر والشعراء: ٤٢٠ ، ديوان الكميت بن زيد الأستدي ، ٧ ، شعر الكميت بن زيد الأستدي : ٤٥/٣.

(٢١) هو اسماعيل بن محمد بن زيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري، لقبه السيد وكتبه أبو هاشم ولد سنة ١٠٥ هـ بالبصرة وهو من أشهر أدباء وشعراء العرب ومن أجل شعراء أهل البيت (عليهم السلام)... الأغاني: ٢٤٨/٧ ، مشاهير شعراء الشيعة: ١٩٠/١ ، ديوان السيد الحميري : ١٤٨ .

(٢٢) القاسم بن يوسف بن صبح مولى بن عجل من قرية من قرية الكوفة، شاعر عباسي أخوه يوسف الكاتب وزير المأمون، كان مواليًّا لأهل البيت (عليهم السلام) وأحد متكلميهم وشعرائهم توفي سنة ٢١٣ هـ. ينظر: مختصر أخبار شعراء الشيعة : ١٠٩

(٢٣) هو دعل بن علي بن زلين بن سليمان و يكنى أبا علي، أحد الشعراء الجيدين في العصر العباسي إلا أنه كان هجاء لم يسلم منه أحد من الخلفاء والوزراء ولا أولادهم، ينظر: الأغاني: ١٣١/٢٠ ، ديوان دعل بن علي الخزاعي : ١٤٣ .

(٢٤) ينظر: المهدي المنتظر في الشعر العربي إلى نهاية العصر العباسي، (رسالة ماجستير): ٦١.

(٢٥) ينظر: ديوان (الشيخ محسن أبو الحب الكبير)، دراسة في الموضوع الشعري، د. علي كاظم المصاوي، و.م. كريمة نوماس المدني ، مجلة جامعة أهل البيت (عليهم السلام) ، العدد السابع ، آذار ، ٢٠٠٩ ، ٥٧ .

(٢٦) ينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث : ١/٢٠ .

الاستنهاض عن رغبة مكبوته في داخله تمثلت في رفضه التام للواقع السياسي الذي عانى منه وكذلك مثل هذا الاستنهاض تنفسياً عن معاناته النفسية وتعبيرها عن رفضه للسلطة آنذاك.<sup>(٢٧)</sup>  
وعليه فإن الدافع لهذا الفن عند شاعر القرن التاسع عشر هي «حالة إحساسه الحاد بالواقع، واقعه النفسي الذي يموج بالوان الصراع... وعندئذ يكون الدافع إلى الإبداع هي الرغبة الحقيقة في التخلص من هذا الواقع».<sup>(٢٨)</sup>

وقد كان الشاعر محسن أبو الحب بارعاً في هذا المجال عندما تناول هذا الموضوع شأنه شأن شعراء عصره أمثال السيد حيدر الحلبي<sup>(٢٩)</sup> وغيره من الشعراء، إذ أفرد قصائد كاملة في استنهاض المهدى (عج) فضلاً عن القصائد التي نظمت في مواضيع أخرى ولكنها ختمتها باستنهاض المهدى (عج)، ولعل الأسباب التي دفعت الشاعر إلى النظم في هذا الغرض هي الأسباب نفسها التي دفعت شاعر القرن التاسع عشر بوجه عام.

### مضامين شعر الاستنهاض عند أبي الحب الكبير:

- التأثر الإمام الحسين عليهما السلام وأهله الأطهار:  
والثأر في اللغة: هو الطلب بالدم وقتل الدم وقيل الدم نفسه<sup>(٣٠)</sup>، وهو: من القيم الأخلاقية والاجتماعية التي عرفها العربي والتي فرضتها عليه طبيعة الحياة آنذاك إذ أصبح ضرورة اجتماعية لا يمكن تجاهلها بحكم الحروب والأحداث التي مرت عليه، إذ جعلت الثأر عند العرب مبدأ من مبادئهم وقانوناً من قوانينهم، وأن الأخذ به دليل على الشجاعة وتركه دليل على الضعف والاستهانة بالقبيلة والفرد مما حتى يصبحا هدفاً لمن شاء من الأعداء.<sup>(٣١)</sup>

وقد تناول الشعراء على مختلف العصور الثأر في أشعارهم حاولوا من خلاله تحريض الآخرين على الأخذ به، إذ كانوا يعتقدون أن روح القتيل لا تهدأ إلا بالثأر لدمه والاقتصاص من قاتليه إذ كانوا يقولون في ذلك:<sup>(٣٢)</sup>

البس لكل حالة لبوسها إما نعيمها وإما بؤسها

وعندما جاء الإسلام ونزل القرآن الكريم الذي يعد دستوراً قلباً لحياة العرب، استبدل الثأر بالقصاص إذ قال تعالى في ذلك: (إِنَّمَا الَّذِينَ آمَنُوا كُبَرَاءِ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى)<sup>(٣٣)</sup> وقال تعالى أيضاً: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ)<sup>(٣٤)</sup> وقد أراد الله سبحانه وتعالى من ذلك حماية النفس البشرية من القتل وإراقة الدماء، ولقد كان المصائب أهل البيت عليهما السلام وما حل بهم من مأساة جعلت المسلمين يرغبون في أن ينهض من يطلب بثارهم ويتنقم لهم ويقتضي من أعدائهم حتى صار الطلب بثار الحسين عليهما السلام

(٢٧) الشعر العراقي في القرن التاسع عشر أهدافه وخصائصه: ٧٧، تطور الشعر العربي الحديث في العراق: ٢٨ ، ديوان الشيخ محسن أبو الحب الكبير، دراسة في الموضوع الشعري، د. علي كاظم المصاوي، و.م. كريمة نوماس المدنى ، مجلة جامعة أهل البيت عليهم السلام ، العدد السادس ، آذار ، ٢٠٠٩ .٥٧

(٢٨) التفسير النفسي للأدب: ٣٧ ، وينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق: ٣٤ .

(٢٩) ديوان السيد حيدر الحلبي ينظر: على سبيل المثال لا الحصر: ٤٧/١ ، ٦٥/١ ، ٧٣/١ ، ٨٨/١ ، ١١١/١ ...

(٣٠) ينظر: لسان العرب، مادة: (ثأر) .

(٣١) ينظر: الفروضية في الشعر الجاهلي: ١١٢ .

(٣٢) ينظر: نهاية الإرب في فنون الأدب: ١٢/٣ ، كتاب الأمالي: ١٢٨/١ - ١٢٩ .

(٣٣) سورة البقرة: الآية: ١٧٨ .

(٣٤) سورة البقرة: الآية: ١٧٩ .

\_\_\_\_\_ شعر الاستهانة بالإمام الحجة (عجل الله فرجه) عند أبي الحب الكبير (دراسة في المضمون الموضوعي)  
 شعاراً لبعض الحركات السياسية<sup>(٣٥)</sup> ، فكان في نفوس المطالبين بثأر الإمام الحسين عليه أمل كبير في الانتقام  
 من أعداء أهل البيت عليهما السلام ولما كانت عقيدتهم بالإمام المهدى المتضرع عليهما السلام راحوا يستهضونه لأخذ ثأر أهل  
 البيت عليهما السلام وذلك لأن من صفاته عليهما السلام بأنه هو القائم أي «الطالب بالثأر ثأر أهل البيت عليهما السلام وبالأشخاص ثأر  
 الإمام الحسين عليهما السلام ...»<sup>(٣٦)</sup> ، وقد جسد الشاعر هذا الاستهانة بالإمام المهدى عليهما السلام من أجل الأخذ بالثأر في  
 أشعارهم وكان محسن أبو الحب واحداً من هؤلاء الشعراء الذين طالبوا بالقصاص من أعداء أهل  
 البيت عليهما السلام ... وعلى الرغم من توالي المصائب والنكبات على أهل البيت عليهما السلام وأتباع مدرستهم إلا أن ما  
 حل بالإمام الحسين عليهما السلام وأسرته وأنصاره في كربلاء كان بحق الفاجعة الأليمة التي علقت في أذهان البشرية  
 على مر العصور، فكان الحدث الحسيني حاضراً في ذهن أبي الحب لم يغب عن باله، فلذلك نراه يطالب  
 بالثأر قائلاً: <sup>(٣٧)</sup> (من الطويل)

متى تدرك الثأر الذي أنت طالبة  
 متى تملك الأمر الذي أنت صاحبة  
 لقد ملا الدنيا سناك ولم يلح  
 لعني يوماً من جبينك ثاقبـة

فالدلالة النفسية لهذا النص تكشف عن رغبة الشاعر في الانتقام من أعداء أهل البيت عليهما السلام لذلك راح  
 يستهضن الإمام المهدى (عج) ويطلب منه التعجب في الظهور من أجل الأخذ بثأر الإمام الحسين عليهما السلام وأهل  
 بيته الأطهار عليهما السلام ... ومن ثم يتساءل في أبيات أخرى عن قيام الإمام المهدى (عج) إذ يرى أن انتظاره قد أودى  
 بالقلوب فيقول في ذلك: <sup>(٣٨)</sup> (من الطويل)

متى الحرب يومي للنجوم شرارها	متى الخيل يعلو للسماء غبارها
من الدم غاد بالعيون احمرارها	متى تلبس البيض الرقاقة مطارفاً
احتياجاً وأودى بالقلوب انتظارها	متى تطلع الشمس التي طال مكثها
ألا يا لشارات الحسين شعارها	متى تحقق الرايات فوق أشاؤس

فالملاحظ من خلال هذا النص أن الشاعر يجد في غياب الإمام المهدى عليهما السلام قد طال غيابها ويتمنى  
 أن تقوم الثورة المهدوية وتحقق الرايات على رؤوس المسلمين وذلك لتحقيق النصر والانتقام من أعداء أهل  
 البيت عليهما السلام وبذلك ينصر الله إمام الحق عليهما السلام .

ويخاطب الشاعر في أبيات أخرى سيف الإمام المتضرع عليهما السلام معاذًا إيه، فيقول: <sup>(٣٩)</sup> (من الخفيف)

أيها الصارم الذي لم يبارح	غمده طالما انتظارك طالـ
موت أو مهلك العدى استصالـ	أنت والله منعش الحـي بعدـ الـ

.(٣٥) ينظر: الكامل في التاريخ: ٤ / ١٥٨ وما بعدها، الإمام المهدى (عج) في كتب الأمم السابقة وعند المسلمين: ٣٠٩.

.(٣٦) موسوعة بقية الله الأعظم الإمام المهدى (عج) المصلح الرباني وصانع العالم الجديد: ٢/٣٦٥.

.(٣٧) الديوان: ٥٢.

.(٣٨) الديوان: ٨٠.

.(٣٩) الديوان: ١٢٢.

فالشاعر في هذا النص يعاتب سيف الإمام المهدي عليهما السلام؛ وذلك لأنه لم ييازح غمده ويأخذ بشار الإمام الحسين عليهما السلام فالشاعر يرى في ظهور الإمام المهدي (عج) إعادة الروح للجسد الإسلامي بعد أن أعياه الظلم والانحراف، ويرى فيه كذلك استئصالاً لهؤلاء الأعداء الذين ظلموا سبط رسول الله عليهما السلام وأآل بيته الأطهار.

وبلغ الشاعر من شدة شوّقه للفوز برؤية يوم تحقيق العدالة الإلهية أنه تمنى أن يدرك اليوم الذي يتحقق فيه علم ثورة إسلامية تنتقم من الظالمين وتثأر للمظلومين وتعمل على سيادة العدل الذي نادت به شريعة الإسلام إذ يقول في ذلك: <sup>(٤٠)</sup> (من الكامل)

أذنت ثوابت عزها بزوالِ	ما حاجتي في هذه الدنيا وقد
فيه بلوغ مطالب الآمالِ	لولا انتظاري يوم ثارهم الذي
حاولت من نصرهم وشمالي	يا رب إن قصرت يميني دون ما
ان لا يفوز بمناثلها أمثالِي	فاجعل نصبي بعدما أنا خائف
تلهو الأسود بها عن الأشبالِ	مع ثائر لهم يثور بعصبة
فيها إلى أمد الزمان وصالِي	حرى القلوب لثأر قتلى لم تنخ

وفي أبيات أخرى من قصيدة الاستهلاض نرى الشاعر يتمنى لو سَلَّ الإمام المهدي عليهما السلام سيفَ الجهاد لينتقم من الظالمين الذين اعتدوا على النبي عليهما السلام عندما سفكوا دماء أهل بيته عليهما السلام وهو في ذلك يقول على لسانه: <sup>(٤١)</sup> (من الخفيف)

ساعة أو يقال جزْ جزورِ	قم لها عاجلاً فما هي إلا
في عراص الطفوف هل من مجرِّ	ليتنى كنت شاهداً يوم يدعُ
اليوم كأس الردى بغير مديرِ	لست من هاشم إذا لم أدفعها
من دماء الكماة مثل البحورِ	لست من هاشم إذا لم أدعها
عنهم لا ومن إلينه مصرى	قتلوا أهلي الكرام وأعفو
منهم ما اشتفي بذاك ضميري	لو ملئت السماء والأرض قتلى
فوق ما قد رأيتَ من نكيرِ	نهنعوا عن ملامكم إن ثارى

ومن ثم يبين الشاعر في أبيات أخرى موقف السيدة زينب (عليها السلام) وهي لا تجد ما يهون عليها وقع فاجعة الطف على نفسها ويشفي غليلها سويٌّ صليل السيوف وظهور المهدي المنتظر عليهما السلام الذي يأخذ بثأر أخيها الحسين عليهما السلام إذ عبر الشاعر عن ذلك قائلاً: <sup>(٤٢)</sup> (من الوافر)

(٤٠) الديوان: ١٣٤.

(٤١) الديوان: ٩٢.

فلا والله لا يشفى غليلي سوى قرع الحسام على الحسام  
ي يوم ترعن الأملاك فيه إلا ظهر الكريم ابن الكرام  
طلوب الشارليس لهاولي سواك فقم بسيف الانتقام  
على الدنيا العفاء إذا تشقت بكم أكباد أبناء الطعام

فيجسد الشاعر في هذه الأبيات زينب (عليها السلام) وهي تجدد الأمل في نفسها وترى أن دفع الشامتين  
بالرسول محمد ﷺ والانتقام منهم لا يكون إلا بقيام المهدى (عج).

ونعى الشاعر في أبيات أخرى علىبني هاشم طول صبرهم على ما عملته الحكومات المعاقبة من

إقصائهم وقتلهم وتشريدهم فيقول أبو الحب مخاطباً إياهم: (٤٣) (من الطويل)

ولله ثار قد أضيع مشاره فهل ثائر يرجى لثأر مضيء  
وإن تدعوها يا هاشم فانهضوا وإن اسكتوا لا يدعى بعد مدع  
فلو كنتم أحفاء يوم طلابها لشرم إليها مسرعاً إثر مسرع  
لقد كنتم من أمنع الناس جانبأ وأحمامهم إن ذلّ صعب التمنع  
فما بالكم أصبحتم بعد عزّكم تذودكم عن موطن إثر موطن  
ويبا عجبأ كيف استطعتم تصبراً وتنهجع منكم أعين غير هجّع  
حريمكم بين اللشام صوارخ وأنتم بمرأى من حمامها وسمع  
رضيتم وأنتم أعظم الناس غيرة تسيرأسارى فوق أكورار ضلّع

كما توجه الشاعر مخاطباً بنبي هاشم، فإنه توجه كذلك إلى بنية أمية وغيرهم من الظالمين محدراً إياهم من عواقب ظلمهم لآل البيت عليهم السلام فيقول في ذلك: (٤٤) (من الطويل)

ألا فاستعدّي يالك الويل وارقيبي طلائع رايات المهدى وتطّلي  
فإن لها يوماً عظيماً لقاوه على كل مرهوب اللقاء سميدع  
يشير به نقع الملاحم للسما أخو عزمات ليس بالمتضعضع

. ١٤١ : (٤٢) الديوان .

. ١٠٠ : (٤٣) الديوان .

. ١٠٠ : (٤٤) الديوان .

هناك يسمى طائلاً رأساً خاضع ويسمع منه عاطساً أنف أجدع

- الشفاعة:

الشفاعة في اللغة: الدعاء ، والشفاعة: كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها الغيره.<sup>(٤٥)</sup>  
وفي الإصطلاح: «هي السؤال في التجاوز عن الذنب من الذي وقع الجناية في حقه».<sup>(٤٦)</sup>  
ويعد مبدأ الشفاعة من المحاور الموضوعية التي تضمنها قصيدة الاستئناف عند أبي الحب، فكان في أكثر قصائده التي كتبها في الاستئناف يختتمها بطلب الغفران والشفاعة من آل النبي عليهما السلام والتسلّم بهم ومناجاتهم، لما لهم من مكانة سامية عند المسلمين، إذ أنهم امتداد طبيعي للرسول محمد عليهما السلام فضلاً عن وجاهتهم عند الله سبحانه وتعالى بوصفهم الطريق الأمثل للخلاص من ذنب الدنيا، فيعرف الشاعر في هذا الجزء من قصيدة الاستئناف بقصصه في أداء واجباته الدينية والدنيوية، ويذكر عيوبه وزلاته المشينة وكثرة ذنبه في الدنيا، مناجياً أهل البيت عليهما السلام بصدق وخوف مستعطفاً إياهم طالباً منهم التوبة والمغفرة، طاماً في وساطتهم وشفاعتهم عند الله سبحانه وتعالى يوم القيمة، وبذلك تكون غاية الاستئناف بالإمام المهدي (ع) غاية تكفيه للذنب والتقصير في حق الدين والدنيا، وتكون هذه الغاية مصحوبة بإحساس الندم وطلب التوبة.

ولم يكن الشاعر محسن أبو الحب وحده من الشعراء الذين اختتموا قصائدهم بطلب الشفاعة والاعتراف بالذنب، فهناك كثير من الشعراء قد اختتموا قصائدهم بالاعتراف بالذنب وطلب الشفاعة من النبي وأله عليهما السلام<sup>(٤٧)</sup>، وبذلك نرى أبا الحب يستعطف الإمام المهدي عليه السلام ويطلب الشفاعة منه فيقول: «(من الوافر)

أنا العبد الذي طوقتموه	من الإحسان أطواقاً جساماً
أسمى محسناً بكم وإنني	لشر الناس للذنب اجتراماً
فخذ بيدي فقد ثقلت ذنبي	علي فلم أطق منها القياماً
وكن لي ملجاً من كل خطبٍ	وكن لي من يد البلوى عصاماً
وكن بي راضياً في الخسر عبداً	فإنني قد رضيتك لي إماماً

فالشاعر في هذا النص قد رسم صورة له وهو بين يدي الله سبحانه وتعالى في يوم القيمة، وهو كثير الذنب والعيوب الدنيوية، حيث ضاقت به السبل ولا مفر له من حساب الله جل وعلا... وفجأة تكون ثمة كوة أمل تتمثل بمجيء الشفيع - الإمام المهدي (ع) - لينفذ من استشعف به ويكون له وسيطاً عند الله سبحانه وتعالى، فيظفر الشاعر بما كان يأمله عند الإمام المهدي عليه السلام.

ويبدو من خلال استقراء هذه الأبيات أن أبا الحب كان مطلعاً على قصيدة البوصيري المسماة بـ «البردة»<sup>(٤٩)</sup>؛ والتي عارضها أحمد شوقي، في قصidته المسماة بـ «نهج البردة»<sup>(٥٠)</sup>؛ وذلك من حيث طبيعة

(٤٥) ينظر: لسان العرب: مادة (شَفَعَ).

(٤٦) كتاب التعريفات: ٩٢.

(٤٧) ينظر: المهدي المنتظر في الشعر العربي إلى نهاية العصر العباسي ، رسالة ماجستير: ٦٧

(٤٨) الديوان: ١٣٨.

(٤٩) ينظر: ديوان البوصيري: ٤١٩.

شعر الاستهاض بالإمام الحجة (عجل الله فرجه) عند أبي الحب الكبير (دراسة في المضمون الموضوعي)  
الغرض والعناصر الإيقاعية المتمثلة في القافية وهي قافية (الميم) التي تعد قافية صالحة وطيبة لرصد التجربة الشعرية الروحانية<sup>(٥١)</sup> ، وهذا الأمر إن دل على شيء إنما يدل على سعة اطلاع الشاعر لنتائج من سبقه من الشعراء، هذا من جانب ومن جانب آخر فإن أبو الحب كان محاكيًا ومقلدًا لنماذج شعرية سابقة في بعض الأحيان.

وفي هذا الشأن أيضًا يقول أبو الحب: <sup>(٥٢)</sup> (من البسيط)

أطيب الناس من عجم ومن	يا أطيب الناس من عجم ومن
ألا عليك ولم ت تعرض ولم تسم	وافاك عبتك لم تنفق بضاعته
أهلاً وإلا فيها ويلى ويادمي	إن كنت تقبلها فضلاً فأنت له
في النشأتين ففيك اليوم معتصمي	ولأن وهبت فهبني ما أوسله

فلنلاحظ أيضًا من خلال هذه الآيات أن ملازمات الشاعر لطلب الشفاعة في قصيدة الاستهاض دليل واضح على إيمانه بشفاعة المهدي (عج) إذ أن للإمام المهدي منزلة عظيمة عند الله سبحانه وتعالى ذلك أنه (عج) من نسل حبيبه المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا ما جعل الشاعر يؤمل في شفاعته. وبذلك تكون الشفاعة من أهم المحاور الموضوعية التي تضمنتها قصيدة الاستهاض في ديوان أبي الحب.

#### - عرض مظلومية أهل البيت علي الإمام المهدي على الإمام المهدي (عج):

أما المحور الثالث الذي وظفه الشاعر في قصيدة الاستهاض بالإمام المهدي (عج) هو عرض مظلومية أهل البيت علي الإمام المهدي ليكون ذلك مداعاة لخروجه والتعجيل في ظهوره، إذ راح الشاعر يبين للإمام (عج) ما حل بالحسين عليه السلام وأهل بيته الطيبين الطاهرين، فبعد أن تتلاطم الأمواج النفسية لدى الشاعر من جراء ما يعيشه هو ومجتمعه، نراه يلتجأ إلى الإمام المهدي (عج) عارضاً عليه مصائب أهل البيت علي الإمام المهدي ؛ وذلك لتهوين معاناته ومساواة مجتمعه وبذلك «تتجسد في الفنان المبدع همومه وهو عصره، ويستقطب قلقاً إنسانياً، فيتفاعل في داخله قلقه الذاتي وقلق مجتمعه وأمهاته وقلق إنساني عام».<sup>(٥٣)</sup>

فنرى الشاعر يخاطب الإمام المهدي (عج) ويذكره بمصائب آبائه فيقول: <sup>(٥٤)</sup> (من البسيط)

دع عنك ما نشتكيه من مصائبنا	واذكر مصابك في آبائك الصيد
-----------------------------	----------------------------

حتى القيامة لم تمسس بتبرير	التاركي مقل العلياء ساخنة
نحوهم بدلاً عن نسج داود	والجاعلين بيوم الروع أدرعهم
جنّ الوعور وكل الوحوش في البيد	باتوا بجرعاء وادي الطف تندبهم

(٥٠) ينظر: الشوقيات: ٢٣٧/١.

(٥١) ينظر: بناء القصيدة العربية في العصر المملوكي (البنية الاحالية) ، د. يوسف أحمد إسماعيل ، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، جامعة الكويت ، الحلقة الخامسة والعشرون ، الرسالة ٢٢٠ ، ٢٠٠٥ م : ٩٢ وما بعدها

(٥٢) الديوان: ١٥٣.

(٥٣) الإبداع في الفن: ٦٦.

(٥٤) الديوان: ٦٦.

بـلا وـحـقـكـ نـالـواـ خـيرـ مـقصـودـ	قتـلـاـ كـانـهـمـ لـمـ يـظـفـرـواـ بـنـىـ
فـجـرـدـوـهـاـلـهـ فـيـ أـيـ تـجـرـيـدـ	رـامـورـضـاـ اللـهـ فـيـ إـتـلـافـ أـنـفـسـهـمـ
فـلـيـسـ تـنـبـتـ شـيـئـاـ غـيرـ مـنـكـوـدـ	تـظـمـاـ الـبـسـيـطـ فـتـرـوـىـ مـنـ دـمـائـكـمـ
راـحـتـ هـبـاءـ يـوـمـ غـيرـ مـعـهـودـ	تـرـاـكـ تـنـسـىـ دـمـاءـ أـنـتـ طـالـبـهـاـ
ماـ بـالـهـ بـاتـ شـلـوـاـ غـيرـ مـلـحـودـ	وـإـنـ شـخـصـاـ رـسـوـلـ اللـهـ وـالـدـهـ
بـالـعـادـيـاتـ أـلـاـ حـرـقـتـيـ زـيـديـ	لـمـ يـكـفـهـمـ قـتـلـهـ عـنـ وـطـئـ جـشـهـ
فـكـنـتـ وـارـثـهـ يـاـ خـيرـ مـولـودـ	أـلـقـىـ عـلـيـكـ رـسـوـلـ اللـهـ هـيـتـهـ
إـلـاـ حـسـامـكـ فـالـحـظـهـ بـتـجـرـيـدـ	لـمـ يـتـنـظـرـ جـدـكـ الـهـادـيـ لـنـصـرـتـهـ
عـلـىـ سـوـاـكـ لـوـاهـ غـيرـ مـعـقـودـ	نـصـرـ مـنـ اللـهـ أـوـ فـتـحـ يـقـرـبـهـ

فالملاحظ في هذه الأبيات أن الشاعر يذكر الإمام المهدي (ع) بمصاب آبائه ويعرض عليه ما حل بهم  
لعل ذلك يكون سبباً في تعجيله بالظهور وإعلان الثورة على الظالمين في كل بقاعٍ من بقاع الأرض.  
ومن ثم نرى الشاعر في أبيات أخرى يخاطب المهدي عليه السلام قائلاً: <sup>(٥٥)</sup> (من الطويل)  
بالحسين وأهلي بيته وأصحابه في فاجعة الطف الأليمة فيقول:  
أقص عليك اليوم أخبار ما جرى  
وأنت الذي لم يعد عن علمك الذر  
لن أعين سالت نجيعاً بكريلا  
زماناً وجفت ثم ساعدها القطر  
عليها عوادي الخيل لا جازها العقر  
لن جثث فوق الرمoul تلاعبت  
تلذلزاماً لشاريها الخمر  
لن أرؤس في كل مجلس ريبة

فالشاعر في هذا النص بين للمهدي المنتظر عليه السلام ما حل بأهل البيت عليه السلام في كربلاء حيث تلاعبت خيول الأعداء فوق أجساد أبناء رسول الله عليه السلام <sup>(٥٦)</sup> وكيف تهادوا رؤوسهم الطاهرة في المجالس التي يحلو لهم شرب الخمر فيها ، ونرى الشاعر أيضاً يكرر أسلوب الاستفهام مرات عدة في هذا النص ذلك لكي يعبر من خلاله عن مرارة الحزن والأسى في داخله على مصاب سيد الشهداء عليه السلام لعل ذلك يكون سبباً في تعجيله بالظهور.

ويؤكد الشاعر للإمام المنتظر (ع) أن جلّ مصابينا وما جرى علينا من أحداث أليمة وعظيمة لا تُمثل مصابي أهل البيت عليه السلام وما جرى عليهم فلا مصيبة أعظم من مصابهم ولا فاجعة أشد من فاجعتهم فيقول في ذلك واصفاً أحوالهم عليه السلام: <sup>(٥٧)</sup> (من البسيط)

(٥٥) الديوان: ٨٢.

(٥٦) ينظر: مقتل الحسن والحسين: ١٠٣.

(٥٧) الديوان: ٥٦.

شعر الاستهان بالإمام الحجة (عجل الله فرجه) عند أبي الحب الكبير (دراسة في المضمون الموضوعي)  
مولاي كل رزايانا وإن عظمت  
أدنى رزاياكم في الدهر أصعبها

أيدي السلاهب في الرمضاء تقلبها  
على الرماح وبالأحجار تضر بها  
العلج يسلبها والله يمحجهما  
والجن تحت طابق الأرض تندبها  
كل الرزايا بكم ينجاب غيهبها

نفسى فداء جسم بالعرا نبذت  
وأرؤس كبدور التم ترفعها  
ونسوة بعد هتك الستر مؤسرة  
تبكي لها أعين الأملاك من جزع  
ذا بعض ما نالكم فانهض فداك أبي

وبينادي الشاعر في جوانب أخرى من قصيدة الاستهان بالإمام المهدى (عج) طالباً منه التعجيل في الظهور، وذلك لأن غيته الطويلة قد أدت بال المسلمين إلى الهلاك مجسداً له حال أهله عليه السلام وما جرى بهم في أرض الطف فيقول: <sup>(٥٨)</sup> (من البسيط)

لقد هلكنا انتظاراً فاكفنا المهلعا  
وصنعت شمير به يا جل ما صنعا  
أودى به ليته في مهجتي وقعا  
كالطود أصبح من أرجائه انقطعا  
مصالعاً تشتكى مع هزلها الضلعا  
يشكوا إلى الله مع أغلاله الوجعا

يا أيها الملك المحجوب أنت لها  
هذا أبوك أتنسى يوم مصرعه  
وذا أخوك وذا سهم ابن مرّة قد  
وذاك عمك حول النهر جشه  
وتلك عمتاك الحوراء تحملها  
وذا عليك أمسى وهو مرتئن

ويخاطب الشاعر الإمام المهدى عليه السلام أيضاً مدياً له تلهفه ليوم ظهور الحق الذي عقد عليه آماله وعارضه عليه مصابيح أهل بيته الأطهار عليه السلام إذ يقول في ذلك: <sup>(٥٩)</sup> (من الكامل)

يعنوا لها بالذل كل حرون

هيئات ليس سواك بالأمنون  
إلا بضوء حسامك المسنون  
وترقرقت حتى العيون العين  
حتى أذاقهم عذاب الهون  
رضع السهام بنحره المطعون

أتري سواك اليوم راتق فتقها  
ذهب الحسين بطخية لن تنكشف  
خشعت له حتى السبع قلوبها  
غضب الإله لعقر ناقة صالح  
وابن النبي رضي عنه في حجره

. ١٠٧ (٥٨) الديوان:  
. ١٦٨ (٥٩) الديوان:

ولقد خشيتَ بأن تزور مني  
قبل انتصاركم ببني ياسينٍ  
لا خير في عمر الفتى ما لم يكن  
يفنى بنصرة صاحب وخدّلينٍ  
هي بغية لـوأنني أدركتها  
لعلمت أنني لستَ بالمحبونِ

ويبدو واضحاً من خلال استقراء هذا النص أن الشاعر كان يتمنى أن يبقى على قيد الحياة حتى يظهر الإمام الحجة(ع) وذلك لكي يكون من أنصاره وأعوانه والمطالبين بحق الحسين وأهل بيته لهم إنا نسألك اللهم إنا نسألك الذين اغتصب حقهم بليلة ظلماء لن تكشف إلا بميض سيف المتظر لهم إنا نسألك عند ظهوره.

### - رفض الشاعر للواقع السياسي:

لطالما كان الشاعر إنساناً إلا أن شأنه شأن غيره من الناس من حيث رغباته و حاجاته النفسية المتمثلة في حاجته إلى الاستقرار والسلام والحرية... لذلك فإن مثل هذه الحاجات التي يرثون الشاعر إليها لا يمكن أن تتحقق في ظل مجتمع تحيط به الأعداء من كل الجوانب، وعليه فإن الشاعر لم يجد ما يهون عليه مأساته ومساواة مجتمعه سوى اللجوء إلى المهدى المنتظر(ع) واللوذ به... لذلك راح الشاعر يصرخ بغضب ونقاوة عبراً عن سخطه على دولة أهدرت كرامة الإنسان العربي المسلم<sup>(٦٠)</sup> ، إذ عبر الشاعر عن رفضه للواقع السياسي المنحرف والظالم رفضاً قاطعاً، وبهذا فإن رفض الشاعر للواقع السياسي مثل أحد المحاور الموضوعية التي تضمنها قصيدة الاستهانة بالإمام الحجة(ع) إذ نجد الشاعر يبث حزنه وشكايته من جراء هذا الواقع الأليم إلى الإمام علیه السلام<sup>(٦١)</sup> معبراً عن سخطه من سياسة الحكام الجائرين الذين يتحكمون في الناس وأحوالهم من دون حق إذ يقول في ذلك: <sup>(٦٢)</sup> (من الطويل)  
 أفي كل يوم فاجر أو ابن فاجر  
 يحكم فيما باديات معابدة  
 تروح بك الدنيا وتغدو منيرة  
 ويملكها من ليس تخفي مثالبة

فالشاعر في هذين البيتين يؤكّد أن كل من تسلم الحكم لا يستحقه، ذلك لأنّه حكم بغير ما في كتاب الله سبحانه وتعالى ولا في سنة نبيه صلوات الله عليه وآله وسلامه.<sup>(٦٣)</sup>  
 ويختับ الشاعر الإمام المهدى علیه السلام أيضاً ميناً له مدى الظلم والجور والاضطهاد الذي حل بال المسلمين، فيقول في ذلك: <sup>(٦٤)</sup> (من البسيط)  
 أحيا الزمان لنا أديان نمرود  
 حتى كأنك فيما غير موجود  
 جبالها ولساخت بعد تمهيد  
 يا قامع الشرك ماذا أنت مرقب  
 طفت علينا بحار الجور زاخرة  
 والله لو لم تكون في الأرض  
 لـ<sup>٦٥</sup> .

(٦٠) ينظر: الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر: ٢٩.

(٦١) الديوان: ٥٢.

(٦٢) ينظر: تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني: ١٣٩.

(٦٣) الديوان: ٦٦.

لكتنا كل ما اشتدع الزمان بنا نرنو بطرف إلى عليك مدد

فالشاعر في هذه الأبيات يصف المهدى المنتظر(عج) بـ(قائم الشرك) ومن ثم يسأله عن سبب تأخير ظهوره إلى هذا الوقت، ويصف له حال المسلمين بعدهما أعداء الزمان الظلم والجحود والقهر الذى كان في عهد نمرود عند نبوة إبراهيم عليهما السلام ، وبين له أن هذا الظلم والجحود قد بلغ حده ولا يمكن السكوت عليه، ولكن إيمان المسلمين بوجود الإمام المهدى(عج) أن يبقوا متباينين مستبشرين بعد مشرق يسود فيه العدل وتجث فيه أصول الظالمين؛ ذلك لأن الأرض لا يمكن أن تخالو من حجة ولو خلت لانخسفت بأهلها، إذ قال الإمام الباقر عليهما السلام : «ما خلت الدنيا - منذ خلق الله السموات والأرض من إمام عدل إلى أن تقوم الساعة حجة الله فيها على خلقه». <sup>(٦٤)</sup>

وفي أجزاء أخرى من قصيدة الاستهانة نرى الشاعر يستغيث بالإمام الحجة(عج) متسائلاً عن وقت ظهوره وطالباً منه التurgيل في هذا الظهور، إذ يقول في ذلك: <sup>(٦٥)</sup> (من الوافر)

متى يا أيها المحجوب عننا تزيل بضوء طلعتك الظلاما

أغثنا بالذى سواك شرعاً فقد بلغ العدو بنا المراما

أما وأيتك لا يرضى وترضى إذا ما قمت متضيأ حساما

طفت حتى الكلاب الجرب لما أطلت فداك أنفسنا المقاما

لقد شابت نواصينا انتظاراً ولم نشدد لنصركم حزاما

فمن خلال هذا النص تبين أن شعر الاستهانة قد حفل بمعان سياسية رافضة للجحود والجائزين ، وذلك حين جعل الشاعر ينعتهم بالكلاب الجرب داعياً إلى مناهضة السلطة آنذاك.. فكان لدى الشعراء آنذاك صوت عال للمطالبة بالحرية والشورة، إذ كان الألم والواقعة سبباً في لجوء الشعراء للإمام المهدى(عج) وطلب الإغاثة منه والتurgيل في ظهوره. <sup>(٦٦)</sup>

ونرى الشاعر في أبياتٍ أخرى يبيت شكايته إلى الله سبحانه وتعالى من جراء فقد النبي محمد ﷺ وغيبة الإمام المنتظر(عج) التي يضيق لها الصدر، فضلاً عن إحاطة الأعداء المسلمين من كل الجوانب ، فيقول في ذلك: <sup>(٦٧)</sup> (من الطويل)

إلى الله نشكو اليوم فقد نبينا وغيتك اللاطي يضيق لها الصدر

عسى الله بعد اليوم يبدل عسرنا بيسرك إن العسر يعقبه اليسر

احاطت بنا الأعداء من كل جانبٍ ولا وزر نأوي إليه ولا إزر

. (٦٤) الإمامة والبصرة من الحيرة: ٢٥.

. (٦٥) الديوان: ١٣٨.

. (٦٦) ينظر: الشعر العراقي خصائصه وأهدافه في القرن التاسع عشر: ٢٩.

. (٦٧) الديوان: ٨٢.

## ملننا وملتنا بطول قراعها

فحتى متى نحن القطا وهم الصقر

فالشاعر في هذا النص نراه يشكو إلى الله سبحانه وتعالى فقد النبي ﷺ وغيبة الإمام المهدي (عج) وقد وظف الشاعر فقرة من دعاء الافتتاح في خدمة نصه الشعري : «اللهم إنا نشكو إليك فقد نبينا صلواتك عليه وآلـهـ وغـيـبـهـ ولـيـنـاـ وـكـثـرـةـ عـدـوـنـاـ وـقـلـةـ عـدـدـنـاـ وـشـدـةـ الفـتـنـ بـنـاـ....»<sup>(٦٨)</sup> فضلاً عن توظيفه للأية الكريمة (فإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا وَ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)<sup>(٦٩)</sup> وبذلك استطاع الشاعر ومن خلال ثقافته الدينية أن يقدم لنا صورة حية لطبيعة الأحداث السياسية في عصره ، إذ كان سعي الشاعر إلى مجتمع حر لا عبودية فيه ولا ظلم سبباً في بث شكايته إلى الله سبحانه وتعالى.

وبذلك فإن شعر الاستهان بالإمام المهدي يعد من أهم الموضوعات التي تناولها الشاعر محسن أبو الحب في ديوانه ؛ ذلك أنه موضوع يناسب مع طبيعة الأحداث السياسية والاجتماعية التي عاشها الشاعر آنذاك فكانت «تعبيرًا عن صرخة سياسية عقائدية في إطار ذاتي نفسي».<sup>(٧٠)</sup>

### الخاتمة

- فمن خلال مسيرة البحث تمكنا من الوصول إلى جملة من النتائج وهي على النحو الآتي :
- يعد الشاعر محسن أبو الحب الكبير واحداً من الشعراء الكربلائيين البارزين في الحقبة التي عاشها الشاعر - القرن التاسع عشر - ، والذي سخر جل موضوعاته الشعرية في خدمة قضية أهل البيت عليهم السلام ومن بينها شعر الاستهان بالإمام الحجة (عجل الله فرجه).
- يعد شعر الاستهان من الموضوعات القديمة في الشعر العربي ، اذ تناوله الشعراء من العصر الجاهلي وحتى العصر الحديث ، إلا أن هذا النظم في الإسلام قد ارتبط بإيمان المسلمين بالدين الإسلامي وبالرسول محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه وعقيدتهم بظهور المهدي المنتظر عليه السلام .
- كان لاعتقاد المسلمين بالإمام المهدي عليه السلام حضور ساقٍ على ولادة المنتظر (عجل الله فرجه) ، إذ اعتمد المسلمون في اعتقادهم هذا على القرآن الكريم أولاً والحديث النبوي الشريف ثانياً ، إذ أن كثيراً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية قد بيّنت ذلك .
- وكان لطبيعة الأحداث في القرن التاسع عشر على صعيد الناحية السياسية اثر كبير في توجيه أنظار الشاعر صوب الإمام المهدي عليه السلام عارضاً عليه المصائب والمحن التي ألّمت به خاصة ومجتمعه عمّة من جراء سياسة الدولة العثمانية .
- يعد مبدأ الشار من ابرز المضامين التي أكد عليه أبو الحب في قصائده التي استهان بها الإمام المهدي عليه السلام ، إذ كان في نفسه أمل كبير في الانتقام من أعداء أهل البيت عليهم السلام ولما كانت عقيدته بالإمام المهدي عليه السلام عقيدة راسخة قوية راح يستهضنه من أجل الأخذ بأثر أهل بيته عليهم السلام .
- أما الشفاعة فقد كانت هي الأخرى أيضاً من المضامين الموضوعية التي تضمنتها قصيدة الاستهان بالإمام الحجة عليه السلام عند أبي الحب الكبير، فكان في أكثر قصائده التي كتبها في الاستهان بالشيء يختتمها

(٦٨) مفاتيح الجنان : ٢٢٤.

(٦٩) سورة الشرح : الآية ٦-٥.

(٧٠) ديوان الشيخ (محسن أبو الحب الكبير) دراسة في الموضوع الشعري ، د. علي كاظم محمد علي المصلاوي ، و.م. كريمة نوماس المدنى ، مجلة جامعة أهل البيت ، العدد السابع ، آذار ٢٠٠٩ : ٥٩.

شعر الاستهانة بالإمام الحجة (عجل الله فرجه) عند أبي الحب الكبير (دراسة في المضمون الموضوعي)  
طلب الغفران والشفاعة من آل النبي ﷺ والتسلّب بهم ومناجاتهم لما لهم من منزلة سامية عند  
ال المسلمين من أتباع مدرسة أهل البيت ﷺ .

- ولعل مصيبة أهل البيت ﷺ وما حل بهم من ظلم وجور كانت أيضًا من مضامين قصيدة الاستهانة بالحجّة (عجل الله فرجه) ، إذ راح الشاعر يبيّن للأمام ﷺ ما حل بجده الحسين ﷺ وأهل بيته الطيبين الطاهرين من ظلم وقمع ليكون ذلك سببًا في تعجبه بالظهور وإعلان الثورة على الظالمين في كل بقعة من بقاع الأرض .
- مثل رفض الشاعر للواقع السياسي أحد المحاور الموضوعية التي تضمنتها قصيدة الاستهانة بالإمام الحجة (عج) ، إذ لم يجد ما يهون عليه مأساته ويسأله مجتمعه سوى اللجوء إلى المهدى المنتظر (عج) واللوذ به... لذلك راح الشاعر يصرخ بغضب ونقاوةً معبراً عن سخطه على دولة أهدرت كرامة الإنسان العربي المسلم

### المصادر والمراجع

#### أولاً / القرآن الكريم

#### ثانياً / الكتب المطبوعة:

- الإبداع في الفن ، قاسم حسين صالح ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية ، دار الرشيد ، دار الطباعة للنشر ، بيروت ، د.ط ١٩٨١ م.
- أثر البيئة في أدب المدن العرقية في القرن التاسع عشر ، د. محمد حسن علي مجید ، المكتبة العصرية ، بغداد ، د.ط. ١٩٩٨ م.
- الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) ، تحقيق الأستاذ عبد أ. علي مهنا ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ٢٠٠٢ م.
- الإمام المهدي (عج) في كتب الأمم السابقة وعند المسلمين ، محمد رضا الحكيمى ، ترجمة حيدر آل حيدر ، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣ م.
- بحار الأنوار (الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار) ، محمد باقر المجلسى ، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨ م.
- تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام ، د. نوري حمودي القيسى ، ود. عادل جاسم البياتى ، و د. مصطفى عبد اللطيف ، جامعة بغداد ، بغداد ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٠ م.
- تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٩ .
- تاريخ الغيبة الكبرى ، محمد الصدر ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، د.ط. ١٩٩٢ م.
- تطور الشعر العربي الحديث في العراق (اتجاهات الرؤيا وجمالات النسيج) ، د. علي عباس علوان ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية ، ١٩٧٥ م.
- التفسير النفسي للأدب ، عز الدين إسماعيل ، دار العودة ودار الثقافة ، بيروت ، د.ط ، ١٩٦٣ م..
- الجامع الصحيح (سنن الترمذى) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠ م.
- ديوان البوصيري ، شرح وتعليق د. محمد التونجي ، دار الجليل ، بيروت الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢ م.

- ديوان دعبد بن علي الخزاعي ، جمعه وقدم له وحققه عبد الصاحب عمران الدجيلي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢ م.
- ديوان السيد الحميري ، اعتنى به وقدم له وعلق عليه نواف الجراح ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩ م.
- ديوان السيد حيدر الحلبي ، تحقيق علي الحقاني ، مشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٤ م.
- ديوان الشيخ محسن أبو الحب الكبير ، (ت ١٣٠٥ هـ) ، تحقيق ، جليل كريم أبو الحب ، بيت العلم للنابهين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣ م.
- ديوان الكميي بن زيد الأستدي ، جمع وشرح وتحقيق د. محمد نبيل طريفی ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠ م.
- سنن ابن ماجة ، أبو عبد الله محمد بن يزيد الريعي ابن ماجة القرزويني ، (ت ٢٧٣ هـ) ، أشراف ومراجعة صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، دار السلام للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩ م.
- الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر ، د. يوسف عز الدين ، مطبعة الزهراء ، بغداد ، د.ط ، ١٩٥٨ م.
- شعر الكميي بن زيد الأستدي ، جمع وتقديم د. داود سلوم ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٧ م.
- الشعر والشعراء ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، حقن نصوصه وعلق حواشيه وقدم له د. عمر الطباع ، شركة دار الأرقام بن أبي الأرقام ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ م.
- الشوقيات (ديوان أمير الشعراء) ، أحمد شوقي ، حققه وقدم له د. عمر فاروق الطباع ، شركة الأرقام بن أبي الأرقام ، بيروت ، د.ط ، د.ط.
- فرائد السمعطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذريتهم لما يليهم ، إبراهيم بن محمد بن المؤيد بن عبد الله بن علي بن محمد الجوني الخراساني (ت ٧٣٠ هـ) ، حققه وعلق عليه وتصدى لنشره محمد باقر الحموي ، مؤسسة الحموي للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠ م.
- الفروسيّة في الشعر الجاهلي ، الدكتور نوري حموي القيسى ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤ م.
- الكامل في التاريخ ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، د.ط ، ٢٠٠٣ م.
- كتاب الأمالي ، أبو علي اسماعيل بن القاسم بن عبدون القالي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠٠٦ م.
- كتاب التعريفات ، علي بن محمد بن علي السيد الزين أبو الحسن الحسيني الجرجاني الحففي (ت ٢٦٨٢ هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٥ م.
- كمال الدين وقام النعمة ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ) ، منشورات الفجر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩ م.

- شعر الاستهانة بالإمام الحجة (عجل الله فرجه) عند أبي الحب الكبير (دراسة في المضمون الموضوعي)
- لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصارى الأفريقي المصرى (ت ٧١١ هـ)، حققه وعلق عليه ووضع حواشيه عامر أحمد حيدر، مراجعة، عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م.
  - لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، د. علي الوردي، مكتبة الصدر، قم، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ م.
  - مختصر أخبار شعراء الشيعة (أخبار السيد الحميري)، أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني (ت ٣٨٤ هـ)، تقديم وتحقيق وتعليق د. محمد هادي الأميني، شركة الكتبى للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣ م.
  - المستدرک على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢ م.
  - مشاهير شعراء الشيعة، عبد الحسين الشبستري، المكتبة الأدبية المختصة، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.
  - مقتل الحسن والحسين، أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ)، أخرجه وحققه وعلق عليه مصطفى مرتضى القزويني، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢ م.
  - منتخب الأنوار المضيئة، علي بن عبد الكريم النيلي النجفي، تحقيق، عبد اللطيف الكوهكمري، مطبعة الخيام، قم، د.ط. ١٤٠١ هـ.
  - موسوعة الإمام المهدي المنتظر (ع) من المهد إلى يوم القيمة، إعداد وإشراف سالم الصفار النجفي، ساعد في الإعداد علاء الدين العاملى، ومنتظر امهز، وعلي حسن الطفيلي، وعلي حسين وسخان، دار نظير عبود، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨ م.
  - موسوعة بقية الله الأعظم الأئمما المهدي (ع) المصلح الرباني وصانع العالم الجديد، جعفر عتريسي ، دار الهادى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٦ م.
  - نهاية الارب في فنون الأدب ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، (ت ٧٣٣ هـ) ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، د.ط ، د.ت .
  - النور المبين في قصص الانبياء والمرسلين ، نعمة الله الجزائري ، قدم له وعلق عليه علاء الدين الأعلمى ، ذوي القربي ، قم ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧ هـ.

### **ثالثاً / الأطروحات والرسائل الجامعية:**

- المهدي المتظر في الشعر العربي إلى نهاية العصر العباسي ، أحمد كاظم جواد ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ٢٠٠٧ م.

### **رابعاً / الدوريات:**

- بناء القصيدة العربية في العصر المملوكي (البنية اللاحالية) ، د. يوسف أحمد إسماعيل حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، جامعة الكويت ، الحلولية الخامسة والعشرون ، الرسالة ٢٢٠ ، ٢٠٠٥ م .
- ديوان الشيخ (محسن أبو الحب الكبير) ، دراسة في الموضوع الشعري ، د. علي كاظم المصلاوي ، وم. كريمة نوماس المدنى ، مجلة جامعة أهل البيت عليها السلام ، العدد السابع ، آذار ، ٢٠٠٩ م.

## أثر كلام الإمام علي عليه السلام في الأدب الصغير والأدب الكبير

أ.م.د. سيد محمد رضا ابن الرسول<sup>(١)</sup>

م.م. فهيمه سلطانی نزاد<sup>(٢)</sup>

### المؤلف

كان لظهور عبد الله ابن المقفع في القرن الثاني من الهجرة، أثر عام وتمام في الثقافة الإسلامية والعربية فهو أول من قام بترجمة الكتب المنطقية، كما كان مشبعاً بالثقافة الفارسية وممماً بالتراث واللغة العربية. للمنتفحص في كتابيه الصغيرين **الأدب الصغير والأدب الكبير** أن يلاحظ تأثيره البالغ بكلام الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام.

استخدم ابن المقفع كلام الإمام - حرفياً ومضموناً - لكن دون أن يذكر اسمه وليس ذلك إلا خوفاً من السلطات العباسية التي كان يعمل موظفاً لديها.

حاول هذا البحث - بعد إعطاء صورة لحياة ابن المقفع ومعتقداته - أن يبيّن مدى تأثير ابن المقفع في **الأدب الصغير والأدب الكبير** بكلام سيد البلغاء وإمام العارفين نصاً ومضموناً.  
إن ما اعتمدناه من كلام الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام هو ما جمع في نهج البلاغة وغور الحكم ودرر الكلم، وأشارنا إلى كتب أخرى من تأليف السلف، حيث نسبوا تلك العبارات والعبارات والحكم للإمام عليهما السلام، ولكن ابن المقفع - كما أشرنا - لم ينسب أي منها للإمام بل ليس له دور فيها سوى نقلها كما هي أحياناً وبتحويرها في أحيان أخرى.

المفردات الرئيسية: الإمام علي عليهما السلام، نهج البلاغة، غور الحكم ودرر الكلم، ابن المقفع، الأدب الصغير والأدب الكبير

### المقدمة

لقد أطلَّ ابن المقفع على عصره إطلاعاً الحكيم الذي لا يهتم إلا بالعقل وأموره وكان من أبرز كتاب القرن الثاني للهجرة. حاول من خلال كتاباته أن يأتي بالوصايا السياسية والإجتماعية والخلقية غايتها إصلاح المجتمع، ففاض كتاباه **الأدب الصغير والأدب الكبير** بهذه الحكم والوصايا.

١- قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أصفهان - إيران  
٢- فرع اللغة العربية ، امامة أصفهان - إيران

هناك من نسب نص الكتيبين للفرس باعتبار أنها ترجمة من الأدب الفهلوى، وحكمها مأخوذة من ثقافة حكماء الفرس، من قائل أرجع مادة الكتاب إلى ما استقاها ابن المفع من كلام الإمام علي عليه السلام، وقال بعضُ أن مرجع هذه الحكم والنصائح، كتاب كليلة ودمنة الذي قام ابن المفع بترجمته إلى العربية.

حاول هذا البحث استجلاء الرأي السليم وذلك نظراً لما ورد في هذين الكتايب الصغيرين والإجابة عن بعض الأسئلة: هل تأثر ابن المفع بكلام الإمام عليه السلام؟ ولو كان الجواب بالإيجاب فما هو مدى تأثيره به؟ وبأي طريق استفاد من كلام الإمام عليه السلام؟ وهل هذه العملية تسمى سرقة أدبية؟

لهذه الدراسة تمهيدات هي: عرض موجز من حياة ابن المفع ومذهبة، وذكر آثاره، ثم معالجة مدى تأثر ابن المفع في كتابه بكلام الإمام عليه السلام في قسمين: ما أورده ابن المفع من نص كلام الإمام عليه السلام بعينه وحرفيته، وما أتى به ناقلاً لمضمون كلامه عليه السلام.

كان على الباحثين لهذا المقال أن يقراء الأدب الصغير والأدب الكبير وما ورد عن الإمام عليه السلام في نهج البلاغة وكتاب غرر الحكم ودرر الكلم وبعد هذا العناء، كان عليهما أن يقرواً بمقاييس كلام الإمام عليه السلام وكلام ابن المفع. يعترف الباحثان بأنهما وإن بذلا قصارى جهدهما - لكنه لولا عنانية الله بهما ورحمته عليهما لما تكامل البحث، كما يعترفان أن بحثهما لم يقم بكل صغيرة وكبيرة، فهناك ما خفي عنهم، ويأملان أن يكون جهدهما المتواضع، تمهيداً لدراسات أخرى، ولا كمال إلا لله.

#### حياته

هو أبو محمد عبدالله روزبه بن دادويه المعروف بابن المفع، فارسي الأصل والولد. كان والده من مجوس مدينة جور الفارسية وهي مدينة فيروزآباد الحالية. ولد نحو سنة ١٠٦٧هـ / ١٧٢٤م وقضى بعض سنين في فارس متعلماً الثقافة الفارسية يدين بالزرداشتية (الزرکلی)، د.ت.، ج ٤، ص ٢٨٣؛ البغدادي، د.ت.، ج ٣، ص ٤٥٩؛ العسقلاني، ١٩٨٦م، ج ٣، ص ٣٦٦؛ ابن خلگان، د.ت.، ج ٢، ص ١٥١؛ الجهشياري، ١٩٣٨م، ص ٧٤؛ كرد علي، ١٩٦٩م، ص ٨٧؛ كرد علي، ١٩٥٠م، ص ٥٧ - ٦٦؛ الفاخوري، ١٣٧٧هـ.ش، ص ٤٣٧؛ ضيف، د.ت.، ص ٥٠٧؛ محمدی ملایری، ١٣٨٠هـ.ش، ج ٤، ص ١٢٩ - ١٣٠؛ آشتیناني، ١٣٨٢هـ.ش، ص ٣١ - ٣٣).<sup>(٢٣)</sup>

نزل البصرة راغباً في تحصيل العلم ومصاحبة الأدباء والشعراء والمتكلمين. وكان مولى لآل أهتم الذين ذاع صيتهم بالفصاحة والبلاغة والبيان فاستعرب بسرعة وحصل على القسط الوافر من اللغة العربية وأتقنها إلى جانب الفارسية.

كان أبوه يعمل في دواعين الخراج للحجاج فمدّ يده في أموال السلطان فضربه الحجاج ضرباً حتى تقطعت يده ولقب بالمفع فسمي روزبه ابن المفع (ابن خلگان، د.ت.، ج ٢، ص ١٥٥).

أخذ طريقة أبيه، فعمل في دواعين العراق في عهدبني أمية وكتب لعمّر بن هبيرة. ولما ولّ العباسيون الحكم، اتصل بعيسى بن علي - عم السفاح والمتصور - والي الأهواز وعلى يده أعلن إسلامه وتكنى بأبي محمد (ابن النديم، د.ت.، ص ١١٨).

تحدثنا آثاره أنه كان يليغاً فصيحاً، وكانتاً مبدعاً، يضع كلامه في الموضع الدقيق، وعالماً فطناً. يقول فيه الجاحظ: «إنه كان مقدماً في بلاغة اللسان، والقلم، والترجمة، واختراع المعاني، وإبداع السير» (الجاحظ، ١٩٩١م، ج ٣، ص ٤٤). كما كان واسع الإطلاع على ثقافات الأمم الأخرى كالإغريقية والهنديّة. يقول أبوحيان التوحيدى في توصيف مدى اطلاعه: «كان ابن المفع يقف قلمه كثيراً، فقيل له في ذلك، فقال: إن الكلام يزدحم في صدرى فيقف قلمي لأنخيره» (التوحيدى، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٥٢).

كان متضلعًا في الأدب الفارسي قدر اطلاعه من العربية وجمع بين الأدبين ونقل إلى العربية عن الفارسية وقام بترجمتها حسب القوالب العربية الملائمة للذوق العربي. والحق أنه كان آية في البلاغة وجزالة القول ورصانة الكلام مع سهولته ولعل خير ما يصف بلاغته إجابته لسائل عن البلاغة، فقال: «هي التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها» (الحموي، ١٩٨٠ م، ج ١٦، ص ١٢٩).

وهو إلى جانب ذلك، كان نبيل الخلق، عفيف النفس، طيب العشر، بذل جهده في إصلاح الراعي والرعاية وزين نفسه بكل ما يمكن من الخصال الحسنة، كالمرودة والكرامة. يقول الجهشياري: «إنه كان سخياً، سرياً، يطعم الطعام ويتسع على كل من احتاج إليه» (الجهشياري، ١٩٣٨ م، ص ٧٥). فكانت نهايته أن أغري به المنصور سفيان بن معاوية والي البصرة فقتله سنة ١٤٢ هـ / ٧٦٠ م (المصدر السابق، ص ٧٠ - ٧٥). للباحث المدقق المنصف أن يجد ابن المفعع قد اتخذ في حياته حرية الرأي والصدق في القول والعمل، ولعل كل ذلك أدى إلى قتله كما قال شوقي ضيف: «كان طبيعياً أن يثور المنصور لكرامته وأن يوزع سفيان بقتله» (ضيف، د.ت، ص ٥٠٩).

### مذهبـه وإسلامـه

سبق أن والد روزيه كان مجوساً نشاً على دين آبائه حتى اتصل بعيسي بن علي؛ والي الأهواز وأعلن إسلامه على يده. وأما نفسه فقد تضاربت الآراء في الكتب التاريخية بتصدد مذهبـه وإسلامـه. هناك من اتهمـه بالزنـدة (ابن خـلـكـانـ، دـ.ـتـ، جـ ٢ـ، صـ ١٥١ـ؛ ضـيـفـ، دـ.ـتـ، صـ ٥٢٣ـ)، مستـدينـ إلىـ أقوـالـ كـقولـ المنـصـورـ العـبـاسـيـ وـعـاملـهـ سـفـيانـ بنـ مـعـاوـيـةـ وـالـمـهـديـ العـبـاسـيـ.ـ يقولـ المـهـديـ:ـ «ـمـاـ وـجـدـتـ كـتابـ زـنـدـقـةـ إـلـاـ وـأـصـلـهـ اـبـنـ المـفـعـعـ»ـ (ابـنـ خـلـكـانـ، دـ.ـتـ، جـ ٢ـ، صـ ١٥١ـ).ـ لكنـ وـمـنـ جـانـبـ آـخـرـ،ـ هـنـاكـ أـخـبـارـ تـدـلـ عـلـىـ بـغـضـ هـؤـلـاءـ وـعـداـوتـهـمـ إـلـيـهـ،ـ كـمـاـ أـشـارـ الجـهـشـيـارـيـ إـلـىـ عـدـاـوةـ سـفـيانـ بنـ مـعـاوـيـهـ.ـ قـاتـلـ اـبـنـ المـفـعـعـ:ـ «ـكـانـ يـضـطـغـنـ عـلـىـ اـبـنـ المـفـعـعـ أـشـيـاءـ كـثـيرـ مـنـهـ أـنـهـ كـانـ يـهـزـ بـهـ»ـ (الـجـهـشـيـارـيـ،ـ ١٩٣٨ـ مـ،ـ صـ ٧٥ـ).

وهـنـاكـ مـنـ يـلـجـأـ إـلـىـ الشـكـ وـالـظـنـ فـيـ دـيـنـ اـبـنـ المـفـعـعـ وـلـاـ دـيـنـيـهـ:ـ «ـوـالـظـاهـرـ أـنـهـ لـمـ يـسـلـمـ إـلـاـ مـرـاعـأـةـ لـلـأـحـوـالـ وـتـقـرـبـ إـلـىـ مـوـالـيـهـ العـبـاسـيـنـ وـقـدـ اـتـهـمـ بـالـزـنـدـقـةـ وـالـظـاهـرـ أـنـهـ لـمـ يـخـلـ مـنـ شـيـءـ مـنـ ذـلـكـ»ـ (الفـاخـوريـ،ـ ١٣٧٧ـ هـ.ـشـ،ـ صـ ٤٣٨ـ).

وـمـنـهـمـ مـنـ يـعـتـقـدـ بـإـسـلـامـهـ وـصـحةـ إـيمـانـهـ؛ـ وـهـوـ رـأـيـ صـاحـبـ كـتـابـ أـمـرـاءـ الـبـيـانـ:ـ «ـصـحـةـ إـيمـانـ وـحـبـ الـإـسـلـامـ صـفـتـانـ مـتـمـاثـلـانـ فـيـ اـبـنـ المـفـعـعـ مـهـمـاـ تـقـولـ عـلـيـهـ الـمـتـوـقـلـونـ...ـ لـيـسـ فـيـهـ جـمـودـ الـفـقـهـاءـ وـلـاـ اـسـتـهـتـارـ الـأـدـبـاءـ،ـ فـهـمـ مـنـ الـدـيـنـ مـاـ فـهـمـ مـنـهـ كـلـ عـاقـلـ»ـ (كـرـدـ عـلـيـ،ـ ١٩٦٩ـ مـ،ـ صـ ١٠٧ـ).

وـعـلـىـ آـيـةـ حـالـ،ـ سـوـاءـ آـمـنـ قـلـبـاـ أوـ طـمـعاـ فـيـ الـوصـولـ إـلـىـ مـراـكـزـ الصـدـارـةـ وـالـسـلـطـةـ،ـ عـلـيـنـاـ أـنـ نـنـظـرـ فـيـ آـثـارـهـ دونـ الـاـكـتـرـاثـ إـلـىـ التـقـولاتـ،ـ فـإـنـهـ أـصـدـقـ دـلـيلـ عـلـىـ خـلـجـاتـ نـفـسـهـ وـعـقـيدـتـهـ وـسـلـوكـهـ،ـ وـعـلـيـنـاـ نـحـتـرـ فـهـمـناـ عـلـىـ نـصـلـ إـلـىـ حـكـمـ سـدـيـدـ فـيـ مـؤـلـفـ الـأـدـبـ الصـغـيرـ وـالـأـدـبـ الـكـبـيرـ الـذـيـ دـعـاـ إـلـىـ طـاعـةـ اللـهـ وـشـكـرـ نـعـمـهـ،ـ حـيـثـ قـالـ:ـ «ـمـنـ أـخـذـ بـحـظـهـ مـنـ شـكـرـ اللـهـ وـحـمـدـهـ وـ...ـ فـقـدـ اـسـتـوـجـبـ بـذـلـكـ مـنـ أـدـائـهـ إـلـىـ اللـهـ الـقـرـبةـ عـنـهـ وـالـوـسـيـلـةـ إـلـيـهـ (ابـنـ المـفـعـعـ (ابـنـ المـفـعـعـ ١٩٧١ـ مـ،ـ صـ ٣٢ـ).

لـيـسـ اـبـنـ المـفـعـعـ أـوـلـ مـنـ اـتـهـمـ بـالـإـلـهـادـ وـالـكـفـرـ فـقـدـ اـتـهـمـ قـبـلـهـ وـبـعـدـهـ الـكـثـيرـ مـنـ عـبـاقـرـةـ الـأـمـةـ.ـ كـالـجـاحـظـ حـسـداـ عـلـيـهـ وـحـقـداـ؛ـ فـلـيـسـ الـاتـهـامـ بـالـزـنـدـقـةـ سـوـىـ اـدـعـاءـ كـذـبـ،ـ أـتـىـ بـهـ مـبـغـضـوـهـ (آـشـتـيـانـيـ،ـ ١٣٨٢ـ هـ.ـشـ،ـ صـ ٤٢ـ).

## آثاره

لابن المقفع آثار كثيرة تشهد بعظم فضله وسعة علمه أكثرها ترجمت من اللغات الأخرى سيمما لغته الأم، الفارسية. يمكننا أن نقسم آثاره إلى قسمين:

### آثاره المفقودة

لابن المقفع كتب طاول عليها الزمان ولم يصلنا منها سوى عناوينها، منها: *خدای نامه* في سير ملوك العجم، وأکین نامه في عادات الفرس وآدابهم، والتاج في سيرة أنوشروان، وكتاب مزدك، واليتمة في الرسائل، وكتبه المتقدمة من آثار ارسطو.

### آثاره الموجودة

- *كليلة ودمنة*؛ كتاب وضع على السنة البهائم والطير؛ نقله من الفهلوية في قوالب اللغة العربية لإصلاح النظام الحاكم آنذاك.

- *الأدب الصغير والأدب الكبير*؛ ألهما بعد كتاب *كليلة ودمنة* لأنهما يتضمنان بعض الحكم والأمثال الواردة فيه. وهذا الكتاب يتناول قضيّاً أخلاقية ونصائح في المعاش والسلوك.

- رسالة الصحابة؛ كتبها ابن المقفع لأبي جعفر المنصور لم ينسب إليه أثر منظوم وعندما سُئل عنه لم لا تقول الشعر؟ قال: الذي يجيئني لا أرضاه والذي أرضاه لا يجيئني (الزمخشري، ١٤١٠ هـ، ج ٤، ص ٢٥٧).

### تأثير ابن المقفع بكلام الإمام علي عليه السلام في الأدب الصغير والأدب الكبير

إن الأدب الصغير كتيب يتضمن الوصايا الخلقية والإجتماعية المحمودة للعلم والعقل، وتشجع المرأة في تأديب النفس وتحذر عن الحصول المذموم، كالعجب والحرص والطمع. يذكر فيه الكاتب بعض خصال الصديق وكيفية تعامل الأصدقاء بعضهم بعضاً ويتحدث عن سياسة الملك.

أما الأدب الكبير، فهو كتيب أكثر طولاً من الأدب الصغير، فإنه مقسم إلى بابين؛ يتضمن الباب الأول الكلام حول السلطان وذلك في قسمين: قسم يتعلق بالشؤون الشخصية في حياة السلطان وصفاته وكيفية التعامل مع عماله ورعايته وما يتعلق به. والآخر يتعلق بكيفية تعامل الرعية مع السلطان. أما الباب الثاني فيحوي كلامه في الصديق وحسن العلاقة بين الناس والتأدب في معاملة الأصدقاء. فلا ابن المقفع نصائح في اختيار الصديق، يحاول فيها تبيين خصاله وكيفية المعاشرة له. فهما كما يبدو من اسميهما، كتابان في مجال الأخلاقيات والاجتماعيات. وعلى كل حال فالكتيّبان مقرّونان من قديم الزمان في المخطوطات والمنشورات ولهمَا نعتبرهما في هذا المقال كتاباً تسهيلاً للكتابة القراءة.

هناك من يعتبر هذا الكتاب - كله أو أكثره - ترجمة من الأدب الفهلوى واللغة الفارسية، ويعتقد بنقل ابن المقفع لهذه الحكم والوصايا الإيرانية من الأدب الساساني إلى العربية؛ فذكرها ابن النديم في الفهرست إلى جانب ما نقل من كتب الفرس (ابن النديم، د.ت، ص ١٣٢)، كما قال شوقي ضيف في الأدب الكبير إن «وصايا الرسالة إما نقل عن القدماء مماقرأ في الأدب الساساني السياسي والأخلاقي وإما استنباطات وصل إليها على هديهم» (ضيف، د.ت، ص ٥١٣).

فكثير من اعتبر جذور هذا الكتاب ومادته مستقاة من أصل فارسي، ونلاحظ أنهم ينسبون بعض حكمها وجملها إلى حكماء الفرس كاردشير، وبزرجمهر، وكسرى، فعلى سبيل المثال جاء في الأدب الصغير: «وليس توحش من الكريم الجائع واللئيم الشبعان فإنما يصلو الـكـرـيم إـذـ جـاعـ والـلـئـيم إـذـ شـبعـ» (ابن المقفع، ١٩٧١ م، ص ٧٨)؛ نسبة الزمخشري في ربيع الأبرار ونصوص الأخبار (١٩٩٢ م، ج ٣،

ص ٢٢١)، وابن خلkan في وفيات الأعيان (د.ت، ج ٣، ص ٢٣١) لأردشير، وما أكثر هذه النسب لغير ابن المفعع من حكماء بلاد فارس وكنوزهم.  
إن ابن المفعع، هو الذي اعترف قبل كل أحد وصرح بِنقل كلام الآخرين في كتابيه **الأدب الصغير**: «قد وضعت في هذا الكتاب من كلام الناس المحفوظ حروفا فيها عن على عمارة القلوب» (ابن المفعع، ١٩٧١ م، ص ١٥)، والأدب الكبير: «متهى علم عالمنا في هذا الزمان أن يأخذ من علمهم وغاية إحسان محستنا أن يقتدي بسيرتهم... ولم نجد لهم غادروا شيئاً يجد واصف بلغ في صفة له مقالاً لم يسبقونه» (المصدر السابق، ص ٦٤ - ٦٥).

ومضافاً إلى هذا التصريح للباحث في هذا الكتاب أن يجد كثيراً من العبارات التي توحى بالأخذ والاقتباس كقول الكاتب «قال الحكيم» و«سمعت العلماء قالوا» وما شابه ذلك. وكل هذه تدل على عملية جمع ونقل الأقوال والأراء الحكمية والوصايا العظيمة المتوفرة قبله.

ونقله عن حكام فارس وحكمائهم، لا ينفي اقباسه عن علي بن أبي طالب عليهما السلام، وتأثره بكلامه فإن ابن المفعع قد بلغ من البلاغة ذروتها، وكان بليغاً فصيحاً اعترف بفضحاته وبلاوغته أكثر العلماء والباحثين. فكيف له أن يكون مستعيناً ببلاغة إمام الفصحاء وسيد البلغاء. على حد تعبير أبي الحديد المعتزلي - وهو الذي اعترف للأدباء والكتاب قديماً وحديثاً ببراعة أسلوبه وجمال بيانه.

وابن المفعع صديق وفي لعبد الحميد الكاتب، بحيث أراد أن يبذل نفسه في سبيل حفظ هذا الآخر (الجهشياري، ١٩٣٨ م، ص ٥٢؛ ابن خلkan، د.ت، ج ٣، ص ٢٣١)، الحال أن عبد الحميد هو القائل: «حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع فغافت ثم فاضت» (ابن أبي الحديد، ١٣٧٧ هـ.ش، ج ١، ص ٢٠٥ - ٢٠٦).

لابن يعني أن نكتم مدى أثر الكلام العلوي وبلاوغته وانطباعاته على آثار ابن المفعع سيما **الأدب الصغير والأدب الكبير**؛ كما صرحت إليه بعض الباحثين، كمحمد كردعلي (١٩٦٩ م، ص ٨٩)، وحسين علي جمعة (٢٠٠٣ م، ص ١٠٨). ويجلى الأثر أكثر وضوحاً عند إمعان النظر في هذا الكتاب ومقارنته ببعض جمل ابن المفعع بكلام الإمام عليهما السلام.

منها على سبيل مثال ما جاء في **الأدب الصغير**: «سمعت العلماء قالوا: لا عقل كالتدبر ولا ورع كالكفر ولا حسب كحسن الخلق و...» (ابن المفعع، ١٩٧١ م، ص ٥٧)، فلا شك بأن هذه العبارة تبادر إلى الذهن الحكمة ١١٣ من نهج البلاغة حيث قال عليهما السلام: «ولا عقل كالتدبر، ولا كرم كالتفوى ولا قرین كحسن الخلق» (نهج البلاغة، ١٣٨٧ هـ.ش).

لقد سلك ابن المفعع شتي الطرق والأساليب للأخذ من كلام علي عليهما السلام؛ من الإيتان بنفس كلام الإمام والاقتباس منه والتضمين لكلامه حيناً استخدام مضمون كلامه وجعله في قالب جديد وصياغة مختلفة.

#### • الإيتان بنفس تعبير الإمام عليهما السلام

والمراد منها كل عبارة أتى بها ابن المفعع في كتابه من تعبيرات أمير المؤمنين عليهما السلام لم يغيرها؛ من حكمة وخطبة وكتاب وهي حسب ما حققنا ١٦ عبارة، نأتي بها واحدة بعد أخرى، ذاكرتين مصادرها، وذلك تأكيداً بأنها وردت من الإمام عليهما السلام، لم يكن ابن المفعع قائلها ومبدعها، بل نقلها كما هي برمتها إلا أنه قد تصرف يسيراً ببعضها في مواضع.

١. قال أمير المؤمنين عليهما السلام: **الظفر بالخزم، والخزم ياجالة الرأى و الرأى بتحصين الأسرار** (نهج البلاغة، ١٣٨٧ هـ.ش، الحكمة ٤٨).

فلم يفعل ابن المقفع إزاء هذه الحكمة شيئاً إلا أنه ذكرها تماماً: الظفر بالحزم، والحزم بإجالة

الرأي والرأي بتحصين الأسرار (ابن المقفع، ١٩٧٢م، ص ٥٣).

٢. قال أمير المؤمنين عليه السلام: وَلَيْسَ لِلْعَاqِلِ أَنْ يَكُونَ شَاخِصاً إِلَّا فِي ثَلَاثٍ مَرَمَّةٌ لِمَعَاشٍ أَوْ خُطْوَةٌ فِي مَعَادٍ أَوْ لَذَّةٌ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ (نهج البلاغة، ١٣٨٧هـ، ش، الحكمة ٣٩).

قال صاحب الأدب الصغير والأدب الكبير: وعلى العاقل أن لا يكون راغباً إلا في إحدى ثلات: تزود لمعاد، أو مرامة لمعاش، أو لذة في غير محروم (ابن المقفع، ١٩٧١م، ص ٢٢).

اعتبرها ابن حمدون في التذكرة الحمدونية من كلام الإمام عليه السلام ولكن نسبها ابن القتبية في عيون الأخبار (د.ت، ج ١، ٢٨٠)، والمعافي بن زكرياء في المجلس الصالح (٢٠٠٣م، ص ٢١١٣)، وأبو أحمد العسكري في المصون في الأدب (١٩٦٠م، ص ١٣٨) إلى النبي داود عليه السلام.

٣. قال أمير المؤمنين عليه السلام: مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا فَلَيَبْدُأْ بِتَعْلِيمٍ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ (نهج البلاغة، ١٣٨٧هـ، ش، الحكمة ٧٣).

يقول ابن المقفع: مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا فِي الدِّينِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَبْدُأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ (ابن المقفع، ١٩٧١م، ص ٢٤).

وهي عند ابن حمدون في التذكرة الحمدونية (٢٠٠٣م، ص ٤٩٩)، والإشيهي في المستطرف في كل فن مستطرف (١٩٩٣م، ص ٢٥)، وال ZX في ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (١٩٩٢م، ج ٤، ص ٢١) من كلام الإمام عليه السلام.

٤. قال أمير المؤمنين عليه السلام: وَلَا عَقْلَ كَالْتَّدِيرِ وَلَا كَرْمَ كَالْتَّقْوَى وَلَا قَرِينَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ. (نهج البلاغة، ١٣٨٧هـ، ش، الحكمة ١١٣).

كما قال عليه السلام: لَا وَرَعَ كَالْكَفِ (غرس الحكم ودرر الكلم، د.ت، ج ٢، ش ١٨، ص ٨٣). ونسبها ابن المقفع للعلماء حيث قال: وسمعت العلماء قالوا: لَا عَقْلَ كَالْتَّدِيرِ، وَلَا وَرَعَ كَالْكَفِ، وَلَا حُسْنَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ (ابن المقفع، ١٩٧١م، ص ٥٧).

قالها الإمام عليه السلام كما نقل ابن الشجري في الأمالي الشجرية (٢٠٠٣م، ص ٨١٩)، وابن حمدون في التذكرة الحمدونية (٢٠٠٣م، ص ٤٩٩).

٥. قال أمير المؤمنين عليه السلام: لَا يَتَمَّ حُسْنُ الْقَوْلِ إِلَّا بِحُسْنِ الْعَمَلِ (غرس الحكم ودرر الكلم، د.ت، ج ٢، ش ٣٦١، ص ٨٤٨).

فلم يغير ابن المقفع إلا مفردة تحمل نفس المعنى: لَا يَتَمَّ حُسْنُ الْكَلَامِ إِلَّا بِحُسْنِ الْعَمَلِ (ابن المقفع، ١٩٧١م، ص ٥٧).

٦. قال أمير المؤمنين عليه السلام: إِخْوَانُ الصَّدَقِ زِينَةٌ فِي السَّرَّاءِ وَعِدَّةٌ فِي الضَّرَّاءِ (غرس الحكم ودرر الكلم، د.ت، ج ١، ش ١٨٢٩، ص ٧٣).

لقد أعاد صياغتها ابن المقفع بقوله: اعْلَمُ أَنَّ إِخْوَانَ الصَّدَقِ هُمْ خِيَرُ مَكَابِسِ الدُّنْيَا، هُمْ زِينَةٌ فِي الرِّخَاءِ، وَعِدَّةٌ فِي الشَّدَّةِ (ابن المقفع، ١٩٧١م، ص ١٠٨).

وهي كما ادعى الجاحظ في المجالس والأضداد (٢٠٠٠م، ص ٤٦)، وإبراهيم بن البيهقي في المجالس والمساوي (١٩٨٤م، ص ٣٧٦) من كلام النبي ﷺ.

٧. قال أمير المؤمنين عليه السلام: الصَّبَرُ صَبَرَانِ صَبَرٌ عَلَى مَا تَكْرَهُ وَصَبَرٌ عَمَّا تُحِبُّ (نهج البلاغة، ١٣٨٧هـ، ش، الحكمة ٥٥).

- وَنَرِى نَفْسِي مَشْهِدُ لِلصَّبَرِ عِنْدَ ابْنِ الْمَقْعُودِ بِإِضَافَةِ مَفَرَّدَاتِ : وَاعْلَمُ أَنَّ الصَّبَرَ صَبَرَانِ : صَبَرُ الْمَرِءِ عَلَى مَا يَكِرُهُ ، وَصَبَرَهُ عَمَّا يَحِبُّ (ابن المقعود، ١٩٧١م، ص ١١٠).
٨. قال أمير المؤمنين عليه السلام : اللئام أصبر أجساداً، الكرام أصبر أنفاساً (غرر الحكم ودرر الكلم، د.ت، ج ١، ش ٦٤٥، ص ٢٣).
- ولَا فرقٌ بينها وبين ما قاله ابن المقعود بعد عدة أعوام : واعلم أن اللئام أصبر أجساداً، وأن الكرام هم أصبر نفوساً (ابن المقعود، ١٩٧١م، ص ١٠٩).
٩. قال أمير المؤمنين عليه السلام : احذروا صولة الكريمة إذا جاءت اللئيم إذا شيع (نهج البلاغة، ١٣٨٧هـ.ش، الحكمة ٤٩).
- وقد قام ابن المقعود بتوزيع النص العلوي فأخرجها على صورة ماثلة في الألفاظ والمعاني : وليستوحش من الكريم الجائع واللئيم الشبعان فلما يصول الكريمة إذا جاءت اللئيم إذا شيع (ابن المقعود، ١٩٧١م، ص ٧٨).
١٠. قال أمير المؤمنين عليه السلام : من أشد عيوب المرء أن تخفي عليه عيوبه (غرر الحكم ودرر الكلم، د.ت، ج ٢، ش ٤٢، ص ٧٢٧).
- ذكرها ابن المقعود بتغيير طفيف جداً : من أشد عيوب الإنسان خفاء عيوبه عليه (ابن المقعود، ١٩٧١م، ص ٥٠).
١١. قال أمير المؤمنين عليه السلام : ... أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ دُولَ فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ وَمَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفُعْهُ بِقُوَّتِكَ (نهج البلاغة، ١٣٨٧هـ.ش، الرسالة ٧٢).
- لم يمحف ابن المقعود من العبارة إلا التأكيد التي تصدرت به : والدنيا دول، فما كان منها لك أتاك على ضعف، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك (ابن المقعود، ١٩٧١م، ص ٢٧).
١٢. قال أمير المؤمنين عليه السلام : لَا مَالَ أَعُوْدُ مِنِ الْعُقْلِ (نهج البلاغة، ١٣٨٧هـ.ش، الحكمة ١١٣).
- يقول ابن المقعود : لا مال أفضلاً من العقل (ابن المقعود، ١٩٧١م، ص ٢٧).
- وهي للإمام عليه السلام كما ذكر ابن عبد ربه الأندلسية في العقد الفريد (١٩٨٣م، ج ٢، ص ٢٥٢)، وهي اليوسفي في زهر الأكم (٢٠٠٣م، ج ٣، ص ٤٩).
١٣. قال أمير المؤمنين عليه السلام : لِلْمُؤْمِنِ ثَلَاثَ سَاعَاتٍ فَسَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ وَسَاعَةٌ يَرُومُ مَعَاشَهُ وَسَاعَةٌ يُخْلِي بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَذْتَهَا فِيمَا يَحِلُّ وَيَجْعُلُ (نهج البلاغة، ١٣٨٧هـ.ش، الحكمة ٣٩٠).
- ولقد استل ابن المقعود روح عبارة الإمام وأضاف عليها حسب الظروف قائلاً : على العاقل أن لا يشغله شغل عن أربع ساعات : ساعة يرفع فيها حاجته إلى ربها، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفضي فيها إلى إخوانه وثقة الدين يصدقونه عن عيوبه وينصحونه في أمره، وساعة يخلّي فيها بين نفسه وبين لذتها مما يحل ويتحمل (ابن المقعود، ١٩٧١م، ص ٢٢).
- والعبارة مما نسبها ابن حمدون في التذكرة الحمدونية (٢٠٠٣م، ص ٤٩٩) إلى الإمام عليه السلام.
١٤. قال أمير المؤمنين عليه السلام : كَانَ لِي فِيمَا مَضِيَ أَخْ فِي اللَّهِ وَكَانَ يُعَظِّمُهُ فِي عَيْنِي صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ وَكَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ فَلَا يَشْتَهِي مَا لَا يَجِدُ وَلَا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ وَكَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتاً فَإِنْ قَالَ بَدْ الْفَانِلِينَ وَنَقَعَ غَلِيلُ السَّائِلِينَ وَكَانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعِفاً إِنْ جَاءَ الْجُدُّ فَهُوَ لَيْتُ غَابَ وَصَلَ وَادِ لَا يُدْنِي بِحُجَّةٍ حَتَّى يُأْتِيَ قَاضِيَا وَكَانَ لَا يَلُومُ أَحَدًا عَلَى مَا يَجِدُ الْعُذْرَ فِي مُثْلِهِ حَتَّى يَسْمَعَ اعْتِدَارَهُ وَكَانَ لَا يَشْكُو وَجَعًا إِلَى عِنْدِ بُرُوتِهِ وَكَانَ يَقُولُ مَا يَفْعُلُ وَلَا يَقُولُ مَا لَا يَفْعُلُ وَكَانَ إِذَا غُلِبَ عَلَى الْكَلَامِ لَمْ يُغْلِبْ عَلَى السُّكُوتِ وَكَانَ عَلَى مَا يَسْمَعُ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى أَنْ يَنْكُلُمْ وَكَانَ إِذَا بَدَهُهُ أَمْرًا

**يَنْظُرُ إِلَيْهِمَا أَقْرَبُ إِلَى الْهُوَى فَيَخَالُفُهُ فَعَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْخَلَاقِ فَالْأَزْمُوْهَا وَتَنافَسُوْهَا فِيهَا فَإِنَّ لَمْ تَسْتَطِعُوهَا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَدَ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِّنْ تَرَكَ الْكَثِيرِ** (نهج البلاغة، ١٣٨٧ هـ، الحكمَة ٢٨٩).

وهذه الحكمة البالغة خير شاهد على تأثر ابن المقفع في كتابه بابن أبي طالب عليهما السلام: إنني مخبرك عن صاحب لي، كان أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما أعظمه عندي، صغر الدنيا في عينه، كان خارجا من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكتثر إذا وجده، وكان خارجا من سلطان فرجه فلا يدعه إليه مروءته، ولا يستحق رأيا ولا بدناً وكان خارجا من سلطان الجهة لا يقدم إلا على ثقة أو منفعة، وكان أكثر دهره صامتا فإذا قال بذ القائلين، كان يرى متضاعفاً مستضعفًا فإذا جاء الجد فهو الليث عادياً. وكان لا يدخل في دعوى ولا يشرك في رأي ولا يدللي بحججه حتى يجد قاضياً عدلاً وشهوداً عدولًا، وكان لا يلوم أحداً على ما قد يكون العذر في مثله حتى يعلم ما اعتذاره. وكان لا يشك ورعاً إلا ملن يرجو عنده البرء، ولا يصحب إلا إلى من يرجو عنده النصيحة. وكان لا يتبرم ولا يتسطخ ولا يتشهي ولا يتشكى فهو لا ينتقم من الولي، ولا يغفل عند العدو، ولا يخص نفسه دون إخوانه بشيءٍ من اهتمامه وحياته وقوته (ابن المقفع، ١٩٧١ م، ص ١٣٣).

وهي على ما نقله الزمخشري في **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار** (١٩٩٢ م، ج ٢، ص ١٥٧) من كلام أمير المؤمنين عليهما السلام.

١٥. قال أمير المؤمنين عليهما السلام: احترسوا من سورة الجمد والحدائق والغضب والحسد وأعدوا لكل شيءٍ من ذلك عدّة تجاهدون بها (غرس الحكم ودرر الكلم، د.ت، ج ١، ش ٨٧، ص ١٣٩).

ذكرها ابن المقفع بتغييرات موجزة: احترس من سورة الغضب وسورة الحمية وسورة الحقد وسورة الجهل وأعدد لكل شيءٍ من ذلك عدّة تجاهد بها (ابن المقفع، ١٩٧١ م، ص ١٠٩).

١٦. قال أمير المؤمنين عليهما السلام: ولَا تَدْعُ تَفْقَدَ لَطِيفٍ أُمُورُهُمُ الْكَلَّا عَلَى جَسِيمِهَا فَإِنَّ لِلْيُسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ وَلِلْجَسِيمِ مَوْقِعًا لَا يَسْتَغْفُونَ عَنْهُ (نهج البلاغة، ١٣٨٧ هـ، الرسالة ٥٣).

جاء بها ابن المقفع كرسالة أمير لعامله، وكان دون شك، مكرراً قول الإمام: حق الوالي أن يتفقد لطيف أمور رعيته فضلاً عن جسيمهها فإن للطيف موضعًا ينتفع به وللجسم موضعًا لا يستغني عنه (ابن المقفع، ١٩٧١ م، ص ٧٧).

ذكرها ابن حمدون في **الذكرة الحمدونية** (٢٠٠٣ م، ص ٤٠٤)، والنويري في **نهاية الأرب في فنون الأدب** (٢٠٠٣ م، ص ٣٦٨٠) من أقوال الإمام علي عليهما السلام.

## • الإقiano بالمضمون

هناك عبارات من كلام أمير المؤمنين عليهما السلام أوردتها ابن المقفع بضمائمه لا بنصها، صاغها في قوله جديدة نأتي بها.

إن هذا الكتاب حافل بحكم ومواعظ اتخذت مادتها وجوهرها من كلام سيد البلغاء. تحتوي على مواعظ في حاسبة النفس، وصفات الحكم وحقه على الرعية وحق الرعايا عليه، وآداب العاشرة مع الصديق وضرورة اختياره وكيفيته، وذم الخصال المذمومة كالحسد والحدق.

والجدير بالذكر أن ابن المقفع لم يكتف بنقل مضمون كلام الإمام بل قام بدور مفسر لكلامه عليهما السلام محاولاً تبيين مصاديق كلامه وخباه.

١. قال عليهما في تعريف الزهد: ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه (نهج البلاغة، ١٣٨٧ هـ.ش، الحكمة ٤٣٩).
- وقال ابن المقفع: على العاقل أن لا يحزن على شيء فاته من الدنيا أو تولي. (ابن المقفع، ١٩٧١ م، ص ٢١)، ولا شك أن كليهما تأثر بكلام الله عز وجل: "لَكِيلاً تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتُوكُمْ وَلَا تَفْرُحُوا بِمَا آتَكُمْ" (الحديد ٥٧ : ٢٣).
- لقد اعتبر ابن حمدون في التذكرة الحمدونية (٢٠٠٣ م، ص ٧٩)، والزمخري في ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (١٩٩٢ م، ج ٢، ص ١٧١) هذه العبارة من كلامه عليهما.
٢. قال أمير المؤمنين عليهما: أَشَدُ الدُّنُوبِ مَا اسْتَخَفَّ بِهَا صَاحِبُهُ (نهج البلاغة، ١٣٨٧ هـ.ش، الحكمة ٤٧٧).
- فذكرها ابن المقفع وأضاف عليها في التعبير ويادر ببيان بعض مصاديق هذه الذنوب وقال: على العاقل أن لا يستصغر شيئاً من الخطأ في الرأي والزلل في العلم والإغفال في الأمور. فإنه من استصغر الصغير أوشك أن يجمع إليه صغيراً وصغيراً فإذا الصغير كبير (ابن المقفع، ١٩٧١ م، ص ٢٢).
- وهذه العبارة على رأي ابن حمدون في التذكرة الحمدونية (٢٠٠٣ م، ص ٦٤)، والزمخري في ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (١٩٩٢ م، ج ٢، ص ١٠٨) من كلامه عليهما.
٣. أوصي الإمام عليهما مالك الأشتر النخعي حين وله مصراً في القيادة والعلاقات الاجتماعية قائلاً: ولَا يَكُونُ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكُمْ بِمُتَّلِّهٍ سَوَاءٌ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيدًا لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ وَتَدْرِبِيَا لِأَهْلِ الْإِسَاعَةِ عَلَى الْإِسَاعَةِ (نهج البلاغة، ١٣٨٧ هـ.ش، الرسالة ٣٤ / ٥٣).
- لقد جاء ابن المقفع بهذا المشهد ناصحاً الحكام والعمال وقال: ثم على الملوك بعد ذلك تعهد عمالهم وتفقد أمورهم حتى لا يخفى عليهم إحسان محسن وإساءة مسيء. ثم عليهم بعد ذلك أن لا يتركوا محسناً بغير جزاء ولا يقرروا مسيئاً ولا عاجزاً على الإساءة والعجز (ابن المقفع، ١٩٧١ م، ص ٢٦).
٤. وفي وصيته لابنه الحسن (عليهما السلام): يَا بُنَيَّ احْجُلْ لِنَفْسِكَ مِيرَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ فَأَحِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَأَكْرَهَ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا (نهج البلاغة، ١٣٨٧ هـ.ش، الرسالة ٥٥ / ٢١).
- فاستمد ابن المقفع بكلام الإمام عليهما وقال: إعدل السير أن تقيس الناس بنفسك فلا تأتي إليهم إلا ما ترضى أن يؤتى إليك (ابن المقفع، ١٩٧١ م، ص ٣٩).
٥. قال عليهما: وَلَيْسَ لَوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ مِنَ الْحَظْ فِيمَا أَتَى إِلَى مَحْمَدَةِ اللَّئَمِ وَثَنَاءِ الْأَشْوَارِ وَمَقَالَةِ الْجَهَالِ (نهج البلاغة، ١٣٨٧ هـ.ش، الرسالة ١٤٢).
- وقال عليهما في موضع آخر: وَاضْعِ الْعِلْمَ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ ظَالِمٌ لَهُ (غُرر الحكم ودرر الكلام، د.ت، ج ٢، ش ٦٨ ، ص ٧٨٦).
- فاقتبس ابن المقفع هذا المضمون بقوله: واعلم أنه ليس من علم تذكروه عند غير أهله إلا عابوه (ابن المقفع، ١٩٧١ م، ص ١٢٧).
٦. قال أمير المؤمنين عليهما: فَلَيْكُنْ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ فَإِنْ حُسْنُ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصْبًا طَوِيلًا (نهج البلاغة، ١٣٨٧ هـ.ش، الرسالة ٥٣ / ٣٦).
- استمد ابن المقفع بهذا الكلام حين كتب: لا يولعن الوالي بسوء الظن لقول الناس وليجعل لحسن الظن من نفسه نصيباً موافراً يروح به عن قلبه ويصدر عنه في أعماله (ابن المقفع، ١٩٧١ م، ص ٧٨).
٧. قال أمير المؤمنين عليهما: وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْيُسْعَةِ وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغْبِ وَالْإِجَابَةِ حِينَ أَدْعُوكُمْ وَالْطَّاعَةِ حِينَ آمُرُوكُمْ (نهج البلاغة، ١٣٨٧ هـ.ش، الخطبة ١٠ / ٣٤).

ذكر ابن المفعع هذا المضمون تحت عنوان "حق السلطان المقسط" وقال: إن للسلطان المقسط حقاً لا يصلح بخاصةٍ وعامةٍ أمرٌ إلا يأرادته، فذو اللب حقيق أن يخلص لهم النصيحة، ويذل لهم الطاعة، ويكتم سرهم، ويذب بلسانه ويده (ابن المفعع، ١٩٧١م، ص ٣٧).  
٨. قال أمير المؤمنين عليه السلام: صاحبُ السُّلْطَانِ كَرَّاكِبِ الأَسَدِ يُغْبَطُ بِمَوْقِعِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَوْضِعِهِ (نهج البلاغة، ١٣٨٧هـ.ش، الحكمة ٢٦٣).

ونرى ابن المفعع يكرر نفس الصورة ويأتي بنفس المفردات: إنما أنت في ذلك كراكب الأسد الذي يهابه من نظر إليه وهو لمركبه أهيب (ابن المفعع، ١٩٧١م، ص ٧٥).  
نسب هذا القول لعلي بن أبي طالب عليه السلام من قبل كل من ابن حمدون في التذكرة الحمدونية (٢٠٠٣م، ص ٤٣٧)، وبهاء الدين العاملي في الكشكوك (٢٠٠٣م، ص ٢١٥)، والزمخشري في ربيع الأبرار ونصوص الآخيار (١٩٩٢م، ج ٥، ص ١٩٠).

يستتتج مما سبق أن ابن المفعع استعان في بيان الحكم والمواعظ بكلمات الإمام عليه السلام تعبيراً ومضموناً، كما خط في بداية كتابه أنه نقل من كلام الناس المحفوظ، فإنه وإن نقل من كلام الإمام عليه السلام دون أن يذكر اسمه لكنه لم يقصد السرقة الأدبية المعروفة، فإنه وأشار في كتابه: «إن سمعت من صاحبك كلاماً أو رأيت منه رأياً يعجبك فلا تتحلله تزييناً به عند الناس... واعلم أن انتحالك ذلك مسخطة لصاحبك وأنه فيه مع ذلك عاراً وسخفاً» (ابن المفعع، ١٩٧١م، ص ٩٨).

فكيف يمكن اعتبار الانتحال عيباً وعاراً ويحذر الآخرين منه ويلمه بورد من كلام غيره وينسبه لنفسه وهو القائل: «من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه» (المصدر السابق، ص ٢٤)!؟! نعم، ليس ذلك إلا خوفاً من السلطة العباسية التي كان هو من عمالها من جانب ومن شيعة ابن أبي طالب عليه السلام من جانب آخر فاتخذ التقية طريقاً لنقل كلام الإمام حتى قيل: «إنه كان علىوي السياسة، فارسي التزعة» (الفاخوري، ٤٣٨هـ، ص ١٣٧٧).

لم يورد ابن المفعع كلام إمامه سارقاً له ناسبه لنفسه، وإنما قساوة الظروف أملت عليه أن يعيد كتابة ما قد قاله الإمام إجلالاً له، وليس لأحد أن يتهمه بالسرقة الأدبية.

## الخاتمة

- كان ابن المفعع من أكبر مترجمي القرن الثاني للهجرة، متضلعًا بحرفية الكتابة وصنعة التأليف، باذلاً غاية جهده وفهمه في إصلاح النظام الحاكم آنذاك.
- وقد ترك آثاراً كثيرة من ترجمة وتأليف وسقط أكثر إنتاجه من يد الزمان ولم يصل إلينا إلا كليلة ودمنة، والأدب الصغير والأدب الكبير، ورسالة الصحابة.
- يجمع الأدب الصغير والأدب الكبير بين دفتيه، المواقع والحكم الأخلاقية والاجتماعية وكما ذكر المؤلف في بداية الأدب الصغير، أنه وضع هذا الكتاب من كلام الناس، ولم يذكر اسم من نقل عنه، وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من أخذ ابن المفعع من معينه.
- كان ابن المفعع شديد التأثر ببلاغة الإمام عليه السلام، حيث نهل من كلامه ما نهل تعبيراً ومضموناً لكن دون أن يذكر اسم الإمام وذلك خوفاً من بطش العباسيين.
- وهناك عبارات ليست بقليلة نقلها ابن المفعع من كلام الإمام عليه السلام بنصها دون أي تغيير.

## المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- ١٠. نهج البلاغة. ترجمه محمد دشتی. قم: دار الفكر، ١٣٨٧ هـ.ش.
- ١. آشتینی، اقبال. شرح حال عبد الله بن المفعع. تدوین عبدالکریم جزیره‌دار. تهران: اساطیر، ١٣٨٢ هـ.
- ٢. الإ بشیهی، محمد بن احمد. المستظرف في كل فن مستطرف. شرحه مفید محمد قمیحة. بیروت: دار الكتب العلمیة، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٣ م.
- ٣. ابن أبي الحدید، عزالدین أبوحامد. شرح نهج البلاغة. تحقيق محمد أبوالفضل إبراهیم. قم: مکتبة آیة الله المرعشی النجفی، ١٣٧٧ هـ.ش.
- ٤. ابن حمدون، محمد بن الحسن. التذكرة الحمدونیة. الموسوعة الشعریة. الإصدار ٣. القرص الکمپیوٹری. أبوظبی، الأمارات العربیة المتحدة: المجمع الثقافی، ٢٠٠٣ م.
- ٥. ابن خلکان، أحمد بن محمد. وفیات الأعیان. تحقيق حسن عباس. بیروت: دار الثقافة، د.ت.
- ٦. ابن الشجیری، هبة الله بن علي. الأمسالی الشجیریة. الموسوعة الشعریة. الإصدار ٣. القرص الکمپیوٹری. أبوظبی، الأمارات العربیة المتحدة: المجمع الثقافی، ٢٠٠٣ م.
- ٧. ابن عبد البر الأندرسی، محمد. العقد الفرید. شرحه وضبطه أحمد أمین، أحمد الزین، إبراهیم الأیاري. بیروت: دار الكتب العربیة، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م.
- ٨. ابن المفعع، عبدالله. الأدب الصغیر والأدب الكبير. بیروت: دار صادر، ١٩٧١ م.
- ٩. ابن نديم، محمد بن إسحاق. الفهرست. بیروت: مکتبة خیاط، د.ت.
- ١٠. أنصاری، محمد علي، غرر الحكم ودرر الكلم. قم: دار الكتاب، د.ت.
- ١١. البغدادی، عبدالقادر بن عمر. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافیة. د.م: د.ن، د.ت.
- ١٢. البيهقی، إبراهیم بن محمد. الحاسن والمساوی. بیروت: دار بیروت، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م.
- ١٣. التوحیدی، علي بن محمد. الإمتاع والمؤانسة. صحیحه خلیل المتصور. بیروت: دار الكتب العلمیة، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م.
- ١٤. الجاحظ. عمرو بن بحر. الرسائل. بیروت: دار الجیل، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١ م.
- ١٥. —. الحاسن والإضداد. صحیحه وقدم له علي بوملحم. بیروت: دار مکتبة الہلال، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠ م.
- ١٦. الجریری النھروانی، معافی بن زکریا. الجلیس الصالح الکافی والأنسی الناصح الشافعی. الموسوعة الشعریة. الإصدار ٣. القرص الکمپیوٹری. أبوظبی، الأمارات العربیة المتحدة: المجمع الثقافی، ٢٠٠٣ م.
- ١٧. جمعة، حسين علي. ابن المفعع بين حضارتين. دمشق: المستشاریة الثقافیة الإسلامیة الإيرانیة، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.
- ١٨. الجھشیاری، محمد بن عدوس. الوزراء والكتاب. تحقيق عبد الحمید أحمد حنفی. مصر: مطبعة عبد الحمید أحمد حنفی، ١٣٧٥ هـ/ ١٩٣٨ م.
- ١٩. الحموی، یاقوت بن عبد الله. معجم الأدباء. د.م: دار الفكر، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.
- ٢٠. الزمخشیری، محمود بن عمر. رییع الأبرار ونصول الأخبار. تحقيق عبدالامیر مهنا. بیروت: مؤسسة الأعلمی للمطبوعات، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م.

- أثر كلام الإمام علي عليه السلام في الأدب الصغير والأدب الكبير
- 
٢١. ضيف، شوقي. **العصر العباسي الأول**. القاهرة: دار المعارف بمصر، د.ت.
  ٢٢. العاملني، محمد بن حسين. **الكتشوك**. الموسوعة الشعرية. الإصدار ٣. القرص الكمبيوتر. أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة: الجمع الثقافي، ٢٠٠٣ م.
  ٢٣. العسقلاني، أحمد بن علي. **لسان الميزان**. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
  ٢٤. العسكري، الحسن بن عبدالله. **المصون في الأدب**. تحقيق عبد السلام محمد هارون. الكويت: د.ن، ١٩٦٠ م.
  ٢٥. الفاخوري، حنا. **تاريخ الأدب العربي**. تهران: توس، ١٣٧٧ هـ. ش.
  ٢٦. كرد علي، محمد. **أمراء البيان**. بيروت: دار الأمانة، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م.
  ٢٧. آ-. **كنوز الأجداد**. دمشق: مطبعة الترقى، ١٣٧٠ هـ / ١٩٥٠ م.
  ٢٨. محمدي ملايري، محمد. **تاريخ وفنون فرهنگ ایران**. تهران: توس، ١٣٨٠ هـ.
  ٢٩. النويري، محمد بن عبد الوهاب. **نهاية الأرب في فنون الأدب**. الموسوعة الشعرية. الإصدار ٣. القرص الكمبيوتر. أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة: الجمع الثقافي، ٢٠٠٣ م.
  ٣٠. اليوسفي، حسن. **زهر الأكم في الأمثال والحكم**. تحقيق قصي الحسين. بيروت: دار مكتبة الهلال، ٢٠٠٣ م.

## السيد حسن نصر الله في الشعر العربي المعاصر

د. عبد العلي آل بويه<sup>(١)</sup>

بيوند سفرى<sup>(٢)</sup>

د. عبد الحسين عباس الحلبي<sup>(٣)</sup>

### المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآلته الطاهرين

يكسبُ النتاج الأدبي أهميته من المواضيع التي يتناولها، فأشرف المديح مدح محمد وآل الكرام عليهم الصلاة والسلام، وأفضل الفخر الفخر بنعم الله - سبحانه وتعالى - توفيق للجهاد والأعمال الصالحة.. الكتابة الأدبية التي تجعل من حب الأوطان والاتفاق حوا قادتها الشجعان غرضا لها من ذلك النتاج الأدبي الشريف الذي ينبغي الاهتمام به وتسلیط الضوء عليه ودراسته وتحليله.

وقد وجدنا ان حركة المقاومة الإسلامية اللبنانية وقائدها المجاهد السيد حسن نصر الله، قد لفت انتباه الأدباء فخصوصها بنماذج جميلة من الشعر بنوعيه العمودي والحر وبقصيدة التشر، إلا أن هذا النتاج لم يجد من يخصه بالدراسة والبحث، فأثرنا أن نكون في مقدمة من يقتسم هذا الميدان ونكتب بحثاً تحت هذا العنوان : (السيد حسن نصر الله في الشعر العربي المعاصر)، جعلناه بمهميد سلطاناً الضوء فيه على أهمية ظهور حركة المقاومة الإسلامية اللبنانية لتعبير عن رفض الشعب العربي المسلم للوجود الأجنبي والاحتلال الاستعماري، وزع علينا بعد ذلك مواد بحثنا على عناوين فرعية أولها: قرين النصر، في الإشارة إلى النتاج الأدبي الذي نظر بتفاؤل إلى الحركة وسيدها وقرن وجودهما بالغد المتألق الذي يتحقق فيه النصر المؤزر على العدوان والاحتلال، وكان ثاني العناوين الفرعية: مواجهة العدو وهزيمته، وأدرجنا فيه ما كتبه الأدباء في ساحات المنازلة. وجعلنا (الإمام الحسين<sup>عليه السلام</sup>) ثالث هذه العناوين، إذ قرئ عدد من الأدباء العرب جهاد هذه الفتنة من المجاهدين وصمودها إزاء دولة الصهيونية ومن يقف وراءها من القوى الصليبية، بيوم كربلاء

١- جامعة الإمام الخميني الدولية

٢- جامعة الإمام الخميني الدولية

٣- جامعة أهل البيت<sup>عليهم السلام</sup>

السيد حسن نصر الله في الشعر العربي المعاصر

الخالد سنة ٦١٩ يوم وقف سبط رسول الله ﷺ ليهتف هياهات منا الذلة. فكان درساً ثورياً يستمد منه الشوار في كل مكان وزمان دروس التضحية والإصرار على مواصلة الرفض للظلم بكل اشكاله.

وقد اعتمدنا على عددٍ من المصادر منها ما طبع ونشر في الكتب الأدبية والجماعات الشعرية ومنها ما نشر على شبكة المعلومات العالمية العنكبوتية.

نَسَأَ اللَّهَ سَبِّحَانَهُ - أَنْ يَقْبَلَ مِنْهَا هَذَا الْجَهْدُ وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِهِ وَإِنْ نَكُونَ قَدْ أَدْيَنَا بَعْضَ الْوَاجِبِ تجاهِ

أمتنا الكريمة ونتاجها الأدبي المتلزم والله من وراء القصد.

#### تهيد:

#### أهمية ظهور حركة المقاومة الإسلامية اللبنانيّة

حضرت مساحات واسعة من بلاد المسلمين لسيطرة الدولة العثمانية، التي استمرت سنوات طوالاً، عانى المسلمين فيها أصناف التخلف حتى كانت الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨، فهُبَّ المسلمين من سباتهم العميق على دوي مدافع نابليون ليروا ما أحضره الفرنسيون معهم من مظاهر المدنية الحديثة من مسارح ومدارس وطباعة وصحف... إلخ<sup>(٤)</sup>، وشهدت بلاد المسلمين موجة احتلال أجنبى جديدة فاحتلت فرنسا مصر والجزائر وببلاد الشام واحتلت بريطانيا العراق ودول الخليج العربي واحتلت إيطاليا ليبيا... فقاوم المسلمون هذا الاحتلال، وعبر الشعرا عن رفضهم له بقصائد عدة، تحمل مساحة واسعة من ديوان الشعر العربي الحديث، من ذلك قصيدة الشاعر المصري حافظ إبراهيم التي مطلعها<sup>(٥)</sup>:

لقد كان فينا الظلم فوضى فهدبت

حواشيه حتى بات ظلماً منظماً

ومن ذلك أيضاً قول الشاعر العراقي محمد حسن أبي الحasan<sup>(٦)</sup>:

الشرق يشكو الغرب من أسمهم  
ترشّقه بالكلمات الرشاق  
ينظم عصر النور في عهدهم  
من ظلمة الظلم بداعي الطلاق  
هذا بـأطلاقٍ وذا بامتشاق  
السيف والمدفع فصل القضا  
في نقطـة الظلمة والاحتراق  
والعالم اليوم غداً منها  
ما الضعيف عندهم رحمة

إلى غير ذلك من نماذج أدبية: شعرية، وثرية كثيرة تحفل بها كتب الأدب العربي الحديث<sup>(٧)</sup>.

وقد أعقـب ذلك زـمن خـضـعت فيه الـبلـاد الـعـربـيـة لـحـكـومـات تـعلـن بـعـض الشـعـارات التـحرـرـيـة وـالـثـورـيـة، ولـكتـها معـ ذـلـكـ لم تـقوـ عـلـى صـدـ الـهـجمـات التـوـسـعـية العـدـوـانـية التي كان يـشـنـها الـكيـان الصـهـيـوني الـغـاصـبـ بينـ الـحـيـنـ وـالـحـيـنـ.. فـقـدـ أـنـشـأـ نـوـاـةـ دـوـيـلـتـهـ عـلـىـ جـزـءـ مـنـ فـلـسـطـيـنـ وـصـارـ يـتوـسـعـ سـنـةـ بـعـدـ أـخـرـ حتـىـ اـحـتـلـ فـلـسـطـيـنـ بـأـكـمـلـهـاـ، وـلـمـ يـكـتـفـ بـذـلـكـ إـنـماـ اـحـتـلـ جـزـءـ مـنـ الـأـرـدـنـ وـآـخـرـ مـنـ سـوـرـيـاـ وـآـخـرـ مـنـ مـصـرـ، ليـحـقـ الـحـلـمـ الـيـهـودـيـ الصـهـيـونيـ بـالـسـيـطـرـةـ عـلـىـ بـقـعـةـ وـاسـعـةـ مـنـ بـلـادـ الـمـسـلـمـينـ تـمـتدـ مـنـ الـفـرـاتـ إـلـىـ النـيلـ..

٤ - ينظر: في الأدب الحديث، عمر الدسوقي ١٥: ١٦ - ٤

٥ - ديوان حافظ إبراهيم ١٩: ٢ .

٦ - ديوان محمد حسن أبي الحasan ١٤١ .

٧ - ينظر مثلاً: الأدب العربي الحديث، دراسة في شعره وثره للدكتور سالم أحمد الحمداني والدكتور فائق مصطفى أحمد ص ٦٢ وص ٦٧ وص ٧٨... الأدب العربي في كربلاء من إعلان الدستور العثماني إلى ثورة تموز ١٩٥٨ اتجاهاته وخصائصه الفنية للدكتور عبد جودي الحلبي ص ٥٧ وما بعدها

كل ذلك ولم ير العالم من الحكومات العربية غير الشعارات الثورية، وصارت قواتها المسلحة أداء من أدواتها في قمع شعوبها كما حصل في العراق في أثناء انتفاضة شعبان الباسلة سنة ١٩٩١ م، إذ زجَّ النظام الدكتاتوري الطاغي الحاكم في تلك الحقبة - بالجيش لجرب الشعب الأعزل الذي ثار مطالباً بحقه في الحرية والكرامة والحياة الإنسانية... وهكذا هي الأنظمة الطاغوتية: قمع واضطهاد وفقر مدقع تعاني منه الشعوب المستضعفة، وفساد وإثراء غير مشروع لرجال الحكم..

وهكذا احاطت بإسرائيل المعنية الغاصبة دول ضعيفة تقوم على أساس طائفية وفؤوية واهية نخرتها الانقسامات والتناحرات والقمع والاضطهاد، استطاعت إسرائيل معها أن تتبلع أجزاء جديدة من أرض الدول العربية المجاورة لها.. إلى أن كان ظهور السيد حسن نصر الله، وقادته لقوة مسلحة من الشعب العربي المسلم في لبنان، استطاعت أن تصمد أمام العدوان الصهيوني وتقف بوجه محاولاته التوسعية بل تحكت من تحرير بقاع من الأرض اللبنانيّة من الاحتلال الإسرائيلي.. وهكذا حققت هذه الفئة المؤمنة القليلة من الانتصارات ما عجزت عنه الأنظمة العربية.. التي لم تجد الدعم والمساندة للمقاومة اللبنانيّة وإنما وقفت موقف العداء منها وظهرت فتاوى عدد من وعاظ السلاطين بتحريم تقديم الدعم لهذه الفئة المجاهدة المؤمنة.. بل وحتى تحريم الدعاء لها بالنصر.

والآباء العرب -كما هو شأنهم و شأن غيرهم من الآباء في العالم كله- ينظمون إعجابهم بالشخصيات المهمة أوسمة يقلدون بها الأبطال الشجعان من رجال هذه الأمة الكريمة الذين ثبتوا على مبادئهم، وسقوا شجرة الحرية من دمائهم.

لقد استطاعت حركة المقاومة الإسلامية اللبنانية -على قلة عددها- ان تصمد بوجه العدوان الصهيوني متسلحة بإيمان صادق وعزيمة أكيدة فتحققت قول الله تعالى: (كم من فتنة قليلة غلت فتنة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين)<sup>(٨)</sup>. وقد كان الشعراً العرب وبخاصة شعراً الجنوب اللبناني التأثر ينشدون مع البنديقية الشريفة التي يحملها المجاهدون أناشيد النصر، فتشتد عزيمة المجاهدين على مواصلة السير على طريق المقاومة والجهاد.

## ١. قرین النصر

سلط بعض الشعراء الضوء على الماضي القريب الذي اقتنى بالهزائم المتلاحقة، منذ سنة ١٩٤٨ عندما قام كيان إسرائيل الغاصب إلى انتكاسة ١٩٦٧ عندما استطاعت هذه الدولة الصهيونية الصغيرة، أن تهزم جيوش مصر وسوريا والأردن والعراق مجتمعة، وأن تحتلّ أراضٍ جديدة.. واستمررت مسيرة الهزائم إلى أن شدّ حاكم مصر الرحال إلى هذه الدولة الغاصبة ليستجدي من زعمائها سلاماً ذليلاً، وليحقق مرحلة جديدة يمكن أن نطلق عليها مرحلة الخنوع والاستسلام، وفي ليل الاستسلام الحالك الظلام يُسطّع فجأة نجم السيد حسن نصر الله موحداً جهود فتية آمنوا فزادهم الله هدى.. يقول الشاعر عمر الفراء عن هذا المعنى<sup>(٩)</sup>:

كـنـا نـعـانـي الـقـهـرـ حـتـى جـتـنـا  
ربـ الـبـرـيـةـ دونـ وـعـدـ أـرـسـلـكـ  
رـيـحـ مـوـاتـيـةـ وـفـجـرـ قـادـمـ  
أـبـشـرـ بـصـرـ اللهـ قـدـ دـارـ الفـلـكـ

٨ - القرآن الكريم، سورة البقرة: ٤٩.

٩ - رجال الله، عمر الفراء، بيروت - دار الولاء، ٢٠٠٦ ، ص ٣٥

## سرب الملائك رافقتك وأنت في

### حرّ الْهَجِير بِفَيْءِ رِيشِ ظَلْلَك

يُلاحظ على الأبيات الروح الإيمانية والمعاني الإسلامية المستمدّة من القرآن الكريم، فالقائد هيأه رب البرية وهو مبشر بنصر الله، تؤيده الملائكة، كما أيدت المؤمنين في زمن الرسول الأكرم محمد ﷺ (إذ قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ أَنَّ يُكَفِّرُوكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ بِلَى إِنْ تَصِرُّوْ وَتَقُوْ وَيَأْتُوكُمْ مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمَدِّدُكُمْ رَبُّكُمْ بِهِمْ سَيِّدُهُمْ سَيِّدُ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ..) <sup>(١٠)</sup> ..

ويقترن النصر كذلك بالسيد نصر الله في قصيدة للشاعر هشام عمران، أولها <sup>(١١)</sup> :

بِشَائِرِ النَّصْرِ لَاحَتْ فِي سَمَاءِ الْوَطْنِ

### هَدِيَةُ اللَّهِ أَهْدَاهَا مَعَ الْحَسَنِ

عَلَى يَدِيهِ تَعَالَى الصَّوْتُ مُنْتَشِيًّا

### الله أَكْبَر عَادَتْ دُورَةُ الزَّمَنِ

وجعله في بيت من القصيدة سيد النصر، يُبَشِّرُ به الأجيال من غير أن يمن عليهم :  
يا سيد النصر أنت المستعاث به

### أَنْتَ الْمَبْشِرُ فِي نَصْرِ بِلَادِ مِنْ

والشاعر يرى أن الله خاص السيد نصر الله بالنصر، لأنّه صاحب حق، ولقد شاء الله -

سبحانه - أن يجعل النصر من نصيب أصحاب الحق المدافعين عنه والداعين إليه، يقول :

فَصَاحِبُ الْحَقِّ سُلْطَانٌ بِقَدْرِتِهِ

### وَقْدَرَةُ اللَّهِ تَعَلَّوْ قَدْرَةُ السُّفَنِ

وأحسب أنه يريد بـ(قدرة السفن) هذه العدد القتالية، والأسلحة الفتاكـة، فإنـها مهما بلـغـتـ منـ قـوـةـ، فـانـ قـوـةـ اللـهـ فوقـهاـ، وـقـدرـتهـ الـلامـدوـدةـ.. أـكـبـرـ منـ قـدرـاتـهاـ فيـ التـدمـيرـ وـالفـتـكـ، وـالـشـاعـرـ يـومـيـءـ إـلـىـ أـنـ قـيـادـةـ السـيـدـ حـسـنـ نـصـرـ اللـهـ مـؤـيـدـةـ مـنـ اللـهـ - سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ - لأنـ السـيـدـ مـنـ الـعـلـمـاءـ الـمـؤـمـنـينـ وـالـلـهـ يـدـافـعـ عنـ الـرـجـالـ الـمـؤـمـنـينـ وـيـنـصـرـهـمـ، قـالـ تـعـالـىـ : (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوْنَ كُهُور) <sup>(١٢)</sup> ، وقد أفادـ الشـعـراءـ مـنـ لـقـبـ السـيـدـ حـسـنـ الذـيـ يـجـمـعـ بـيـنـ الـنـصـرـ وـلـفـظـ الـجـالـلـةـ، يـقـولـ الشـاعـرـ مـحـمـدـ قدـسيـ العـالـمـيـ <sup>(١٣)</sup> :

يـاقـائـدـ الرـكـبـ نـصـرـ اللـهـ يـاـمـلاـ

### وَيـاسـفـيـةـ هـذـاـ النـصـرـ رـيـانـاـ

ورأـيـ الشـاعـرـ حـمـودـ درـوـيـشـ فـيـ الإـسـتـعـمـارـ وـعـمـلـائـهـ: رـجـلاـ مـرـيـضـاـ آـنـ رـحـيلـهـ، وـانـ الـمـسـتـقـبـلـ لـلـمـؤـمـنـينـ الـذـينـ يـقـاتـلـونـ فـيـ سـبـيلـ اللـهـ وـيـتـخـلـقـونـ بـأـخـلـاقـ الـإـسـلـامـ الـعـالـيـةـ، يـقـولـ <sup>(١٤)</sup> :

وـتـسـاءـلـ الرـجـلـ الـمـرـيـضـ بـعـقـلـهـ

عـنـ سـيـديـ وـلـمـ سـيـهـدـيـ الـانتـصـارـ

١٠ - القرآن الكريم، سورة آل عمران: ١٢٤.

١١ - بشائر الوعد الصادق، هشام عمران- الشبكة العنكبوتية، الموقع: www.wa3ad.org.

١٢ - القرآن الكريم، سورة الحج: ٣٨.

١٣ - قناديل النصر، محمد قاسي العالمي، بيروت - دار الولاء، ٢٠٠٦، ص ٣١.

١٤ - قصيدة (نصر به شهد العادة)، حمود درويش ، الشبكة العنكبوتية، الموقع: www.wa3ad.org.

سأجيه فيما يليق بشخصه

من غير تكريمه له، بل بإحترامه  
النصر يهدى للكريمة نفسه

والطيب الأفعال في كل اعتبار

وكان الشاعر يشير إلى الاستعمار وعملاه، بأن انفسهم لثيمة وأفعالهم خبيثة، وهذا واقع كثير من الانظمة الحاكمة التي تغدر ببناؤئها وتسمو بالأحرار سوء العذاب وتذيقهم مرارة السجون وألام التعذيب وقد تنتهي بهم إلى القتل، ومع ذلك هي تعلن شعارات الحرية والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان، حتى أوصلت بلاد العرب والمسلمين إلى مرحلة من الدكتاتورية وانهياك الحريات والاعتداء على الشعوب.. ربما تفوق في ظلامها عصور التخلف والاستبعاد السالفة، وفي ظل هذا الواقع المؤلم ييزغ فجر جديد تسوده المبادئ السماوية والخلق السامية، وهو يبشر برفعة الأمة وبلغها المرحلة التي ارادها الله لها في قوله الكريم: (كُثُمْ خَيْرٌ أَمْ أَخْرِجَتِ اللَّاتِسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَمَنْ يَتَوَمَّنَ بِاللَّهِ ..) <sup>(١٥)</sup> ، يقول الشاعر في القصيدة نفسها:

في نصر نصر الله رفعه أمتي

وسموها وبلغها مجد الفخار

وقد أفاد الشاعر عباس علي فتوبي من وعد الله بنصر المؤمنين، كقوله تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَحْلِفُوهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَحْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُمْ دِينُهُمْ الَّذِي ارْتَصَى لَهُمْ وَلَيَكُلُّنَّهُمْ مَنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشَرِّكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بِعَدَّ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) <sup>(١٦)</sup>.  
فقال الشاعر <sup>(١٧)</sup>:

نعم النصير الواحد القهار

هذا أبو هادي شعاع هداية

يعلو معياه الوسيم وقار

لن يخرب الديجور نافذة الضحي

والسيد "الحسن" الأمين منار

ويستلهم الشاعر العراقي مظفر النواب آيات القرآن الكريم، وهو ينظم مشاعره تجاه نصر حقيقي صنعه سواعد رجال مؤمنين توكلوا على الله -سبحانه- فأيدهم ونصرهم، بخلاف ما تتحققه بعض الأنظمة من نصر تهبه الدول العظمى للعملاء وللحكومات المتحالفه معهم. يقول <sup>(١٨)</sup>:

يا سيدي حسن

في جنبك الخوف أمان

....

يتلطف نصر الله إذا جاء

بآيات القرآن

هذا الفتح من الله ومن مارون الراس

١٥ - القرآن الكريم، سورة آل عمران: ١١٠.

١٦ - القرآن الكريم، سورة النور: ٥٥.

١٧ - باقات شعرية: عباس علي فتوبي، بيروت - دار الهادي ط - ١/٢٠٠٧، ص ١٢٥.

١٨ - قناديل النصر: قدسي العاملبي، بيروت - دار الولاء، ٢٠٠٦، ص ١٠٤.

لامن عند الأمريكان  
فسبح بحمد ربك  
واستغفره  
لن تبقى حيفا هادئه  
بعد الآن

فالشاعر يستلهم القرآن الكريم فينظر في سورة النصر (دأ جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفَوْجًا جَاهَ فَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرَهُ إِذْ كَانَ تَوَابًا) <sup>(١٩)</sup> ويصوغ منها قلائد مشارعه، متوقعاً أنّ رنين أجراس النصر في جنوب لبنان سيتردد صداها في (حيفا) وفي المدن الفلسطينية الأخرى. ويفيد الشاعر من لقب السيد حسين (نصر الله) فيستعمله على سبيل التورية في قوله:

يتلطف (نصر الله) إذا جاءَ  
بآيات القرآن

ولعل في ذلك إشارة إلى أن السيد حسن نصر الله هو من رجال الدين الإسلامي، ويتحذى من زيهم شعاره.

ويعرض الشاعر أحمد مطر ان ظهور المقاومة في جنوب لبنان بقيادة السيد حسن نصر الله تحول كبير، فقد كان لبنان بشكل عام -والجنوب اللبناني- بشكل خاص - مسرحاً لعمليات عسكرية تقوم بها القوات المسلحة الصهيونية ولا يرددها رادع، وكانت سماء لبنان مباحة للطيران الصهيوني، وكانت يد الصهاينة تمتد إلى أية بقعة من البلاد العربية والإسلامية تعثّب بها وتسيء إلى شعبها، حتى كانت المقاومة الإسلامية في جنوب لبنان، يقول الشاعر <sup>(٢٠)</sup>:

الجهات الأربع اليوم جنوب  
كل وقت  
ما عدا لحظة ميلادك فيما  
هو ظل لنفايات الزمان  
كل أرض  
ما عدا الأرض التي تمشي عليها  
هي سقط من غبار الامكان  
كل كون  
قبل أن تلبسه.. كان رماداً  
كل لون  
قبل أن تلمسه.. كان سواداً  
كل معنى  
قبل أن تنفح في معناه نار العنوان  
كان خيطاً من من دخان

- ١٩ - القرآن الكريم، سورة النصر.

- ٢٠ - روائع الشعر العربي في المقاومة وسيدها: أحمد علي، بيروت -دار إيوان ط/١ - ٢٠٠٧ م، ١٤٢٨ هـ، ص ٥٩.

يلاحظ في أبيات الشاعر مقدار تمكّنه من أدوات فنه ومقدرتة على توظيف الحواس ومقدرتة على الموازنة بين مكان من أوضاع الأمة من تردي وانهيار وبين ما صار عليه الأمر بعد انطلاق انتفاضة الجنوب.

ويؤكـد هذه المعاني في قوله :  
لم يكن قـبـلـكـ لـلـعـزـةـ قـلـبـ  
لم يكن قـبـلـكـ لـلـسـوـدـ وـجـهـ  
لم يكن قـبـلـكـ لـلـمـجـدـ لـسـانـ  
كلـ سـيـءـ حـسـنـ ماـ كـانـ شـيـئـاـ  
يـاجـنـوـبـيـ  
وـلـمـ كـنـتـ كـانـ  
.....

كـانـتـ السـاعـةـ لـاـ تـدـرـيـ كـمـ السـاعـةـ  
إـلـاـ

بعـدـ مـاـ لـقـنـهـ قـلـبـ درـسـ الـخـفـقـانـ  
كـانـتـ الـأـرـضـ تـخـافـ الـمـشـيـ  
حتـىـ عـلـمـتـهـ دـفـقـاتـ الدـمـ فـيـ قـلـبـ  
فـنـ الدـورـانـ.

وهـكـذـاـ كـانـ الشـعـرـ الـعـرـبـ يـزـغـرـدـ لـبـشـائـرـ النـصـرـ الـتـيـ لـاحـتـ فـيـ سـمـاءـ جـنـوبـ لـبـنـانـ الـذـيـ اـحـضـنـ  
الـمـقاـومـةـ الـإـسـلـامـيـةـ الرـائـعـةـ بـقـيـادـةـ الـجـاهـدـ الـسـيـدـ حـسـنـ نـصـرـ اللهـ.

#### ٤. مواجـهـةـ الـعـدـوـ وـهـزـيمـتـهـ:

وـكـمـ تـغـنـىـ الشـعـرـ الـعـرـبـ بـالـصـرـ وـبـاـ لـاحـ مـنـ بـشـائـرـهـ فـيـ سـمـاءـ الـمـقاـومـةـ الـإـسـلـامـيـةـ،ـ فإـنـهـ وـجـدـ فـيـ شـجـاعـةـ  
الـمـقـاتـلـينـ الـعـربـ وـالـمـسـلـمـينـ مـاـ يـشـرـ بـهـ زـيـدةـ الـبـاطـلـ الـمـتـمـثـلـ بـالـعـدـوـ الـصـهـيـونـيـ الـحـتـلـ،ـ الـذـيـ عـجـزـتـ الـحـكـومـاتـ  
الـعـرـبـيـةـ وـالـأـنـظـمـةـ الـمـتـخـاذـلـةـ مـنـ الـوقـوفـ بـوـجـهـ أـطـمـاعـهـ،ـ لـكـنـ الـعـقـلـ الـراـجـحـ وـالـقـيـادـةـ الـحـكـيـمـةـ أـحـالـتـ اـسـطـوـرـةـ  
الـكـيـانـ الـصـهـيـونـيـ الـذـيـ لـاـ يـغـلـبـ إـلـىـ سـرـابـ،ـ وـيـسـتـلـهـمـ الشـاعـرـ مـاـ ضـرـبـهـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ مـنـ مـثـلـ لـلـذـينـ  
(اتـخـذـوـاـ مـنـ دـوـنـ اللـهـ أـوـلـيـاءـ)ـ<sup>(٢١)</sup>ـ،ـ فـيـقـولـ<sup>(٢٢)</sup>ـ :

أـسـطـوـرـةـ هـذـاـ الـكـيـانـ وـخـدـعـةـ

الطـفـلـ يـهـزـأـ خـفـقـةـ وـنـسـاءـ  
أـوـ عـنـكـبـوتـاـ بـلـ وـأـوـهـىـ رـكـهـ

مـنـ صـفـعـةـ لـاـ يـسـتـقـيمـ بـنـاءـ

اـنـ الـعـدـوـ يـتـمـكـنـ مـنـ اـحـتـلـ الـأـرـضـ وـنـهـبـ الـثـرـوـاتـ مـتـىـ مـاـ تـخـاـذـلـتـ الـدـوـلـ عـنـ صـدـهـ وـالـوـقـوفـ بـوـجـهـ،ـ  
اـلـاـ انـ الـشـعـبـ الـمـؤـمـنـ بـالـلـهـ وـبـجـهـ فـيـ الدـافـعـ عـنـ ثـرـوـاتـهـ وـأـرـضـهـ فـاـنـهـ سـيـسـحقـ غـطـرـسـةـ الـأـعـدـاءـ وـيـزـقـ  
صـفـوـفـهـمـ،ـ يـقـولـ الشـاعـرـ هـشـامـ عـمـرـانـ<sup>(٢٣)</sup>ـ :

يـاسـيـدـ النـصـرـ يـاـ نـبـرـاسـ أـمـتـاـ

حـطـمـ بـسـيفـكـ رـأـسـ الـمـارـدـ الـعـفـنـ

٢١ - القرآن الكريم - سورة العنكبوت: ٤١ .

٢٢ - الملحة الكبرى: أيام الوعد الصادق، محمد قدسي العاملبي - بيروت، دار الولاء، ٢٠٠٦ ، ص ٧٢ .

٢٣ - شبكة المعلومات العنكبوتية: [www.wa3ad.org](http://www.wa3ad.org) .

## مزق بكفك أرتالاً مدرعة

وارفع لواهك بالأرجاء والمدن

وما أفاد منه الشعراء في صورهم الشعرية، ان للسيد حسن نصر الله نسباً شريفاً يتصل بأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب<sup>عليه السلام</sup> ، الذي قاتل الطغاة وجندي سيفه "ذي الفقار" الأبطال ، ولا سيما في يوم خير، عندما وصفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً عنه (رجل يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، ليس بفار) <sup>(٢٤)</sup> وهكذا كان وفتح الله خير على يد أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب<sup>عليه السلام</sup> ولذا لاحظ الشاعر قدسي عاملٍ ذلك وأشار إلى الصلة بين الجد وحفيده ، فوصف السيد حسن نصر الله بسيف (ذي الفقار) الذي يرعب الأعداء من اليهود والصهاينة في الماضي والحاضر ، فقال<sup>(٢٥)</sup> :

**هو أنت موت للأعداء قادم**

فلasmek ارتجف العدى وانهاروا

يادا الفقار العصر يا ابن محمد

ارجم بكفك فاليدان جمار

ارم الطغاة بوعنك الزاهي ضحي

في وعدك انسحق الطغاة وخاروا

ورأى الأديب تيم البرغوثي في السيد حسن نصر الله الأمل الذي انتظرته الأمة طويلاً بعد قرون لم يعرف المسلمون فيها غير الاتكالات وكأنه الفجر الذي أعقب ليل طويلاً كان الرجحان فيه من نصيب الأعداء من صليبيين وصهاينة امتلكوا سلاحاً لم يكن مع المسلمين مثله.. إلى كانت الحركة التي قادها السيد حسن نصر الله.. يقول<sup>(٢٦)</sup> :

وامتدت اليد إلى السماء

ونزعت الليل عنها برفق

نزعت الضماد أو اللثام

فإذا تحته ليل آخر

فنزعته أيضاً

وهكذا ليلاً بعد ليل

كأنها تقلب صفحات في كتاب

وكلما قلبت صفحة منه

شفت الصفحات الباقيات عن كلام ما:

ألا ترى النبوة

سلاحهم يهوي

وسلاحنا يصعد

- ٢٤- السيرة النبوية لأبن هشام ٣:٣٤٨ وينظر في (يوم خير) أيضاً كتاب حياة محمد محمد حسين هيكل ط / إيران ١٤٢٨ هـ.

- ٢٥- الملحة الكبرى ، أيام الوعد الصادق ، قدسي عاملٍ ، ص ٢٤ .

- ٢٦- المقطوعة في شبكة المعلومات الالدولية [www.elshare3-adab.blogspot.com](http://www.elshare3-adab.blogspot.com)

ان الأسلحة مهما كانت قوتها التدميرية كبيرة، فانها لا تقوى على ان تهزم النفوس المؤمنة، وان النصر لا تتحقق البندق وحدها وانما الأيدي المؤمنة التي يضعف إزاءها الأعداء مهما خططوا وسلحوا وأشاروا واستشاروا، يعبر الشاعر درويش محمود عن ذلك بقوله<sup>(٢٧)</sup> :

فحصون أمريكا وكل عتادكم  
صاروخ جند الله أصلاماً بنار  
والموريخات التي قد أسقطت  
وغدت بوارجكم رماداً في البحار

وهنا يلاحظ ان الشاعر يذكر الأسلحة من صاروخٍ وموريخات وبوارجٍ مما يزيد على ما في الشعر من فنٍ، بأن يتحول إلى وثيقة تورخ لمعارك جند الله التي دكت فيها بوارج العدو وموريخاته، وزاد على ذلك ذكر أسماء عدد من طغاة الأعداء ك قوله:

أولمرت لم ينفك بوش بسلاحه  
وبيكم في كل أشكال الدمار

### ٣. الإمام الحسين عليه السلام:

الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، نموذجٌ فريد لا يزال الأجيال تعجب من صلابة رفضه للظلم، وعظيم تضحيته: بالأصحاب والأولاد والنفس... من أجل إعلان مبادئ الإنسانية التي بشر بها سيد الكائنات جده محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، ويشكل أعداؤه النموذج السيء للظلم والاستكبار والطغيان، إذ عمّ هؤلاء إلى منعه من الماء وقتل أبنائه أطفالاً وكباراً.. ولم يكفوا بكل ذلك وإنما جالوا بخيولهم على جسده الشريف وأحساد أبنائه وأنصاره، واحتزوا رؤوسهم ورفعوها على الرماح وساروا بها وبأس الشهداء من بلدٍ إلى بلدٍ وسط إعلامٍ ظالمٍ يصف الثوار بما لا يليق بهم<sup>(٢٨)</sup>.

والسيد حسن نصر الله، شأنه شأن عدد كبير من الشخصيات الثورية، جعل من الإمام الحسين عليهما السلام مثالاً يقتدي به، مع انه من أحفاده، ولذا أكثر الشعراء من ذكر الإمام الحسين عليهما السلام في أثناء ذكرهم لحفيده السيد حسن نصر الله. وللأديب تميم البرغوثي مقطوعة يستهلها بها التراث الأدبي القديم وبخاصة الوقوف على الأطلال والبكاء على ذكريات الأحبة ثم يشير إلى علاقة النسب الشريف التي تربط السيد حسن نصر الله بسيد الشهداء الإمام الحسين بن علي عليهما السلام، يقول<sup>(٢٩)</sup>:

لقد كنت أبكي في طلول لأجدادي  
 فأصبحت أبكي في طلول لأحفادي  
 امتدت يد من روائي  
 تعدد أربعة عشر قرناً  
 لاختف لست وحدك، مادمنا معك فلن تنقطع  
 والتفت فإذا بهم جمِيعاً هنا  
 ....

وسطهم على شاشة الفضائية  
نظرت إليه

٢٧ - من قصيدة (نصر به شهد العدة)، في شبكة المعلومات الدولية [www.wa3ad.org](http://www.wa3ad.org)

٢٨ - ينظر في التعريف بالإمام الحسين ونهضته المقدسة.

١ - ترجمة ريحانة رسول الله (ص) الإمام الحسين (ع) من تاريخ مدينة دمشق لأبن عساكر.

٢ - مقتل الحسين (ع)، لوط بن يحيى الأزدي الغامدي.

٣ - حياة الإمام الحسين بن علي (ع)، باقر شريف القرشي.

٢٩ - النص على شبكة المعلومات الدولية [www.elshare3-adab.blogspot.com](http://www.elshare3-adab.blogspot.com)

أمير المؤمنين بعمامة سوداء

علامة نسبه للحسين بن علي بن أبي طالب  
ثم انّ العرب إذا طلبت التأثر تعممت بالسوداد  
ثم انه ذكرني  
وكتت قد نسيت

إنني ذو كرامة على الله

من آل بيت الرسول يا حسين

ولقد رأى بعض الشعراء في انتساب السيد حسن نصر الله إلى الإمام الحسين عليهما تعبيراً عن استمرارية الثورة ورفض الظلم منذ يوم كربلاء الخالد كقول الشاعر عبد الله الأسعد<sup>(٣٠)</sup> :

حياك يا ابن الحسين الفذ يا أملاً

ريان لامسه الاملاق والجرد

يا جنوة المجد في هذا الدجى سلمت

على المدى تلتظي فينا وتنقد

وفي مقطوعة للأديب رامي فارس لم يكتف الشاعر بأن ينظر للسيد حسن نصر الله على انه ورث الثورة عن جده الإمام الحسين عليهما ولئنما يجعله وارثاً لقيم السماء ومطريقاً لشرايع الأنبياء ، يقول<sup>(٣١)</sup> :

السلام على العمامة السوداء

وعلى حفيد الأنبياء

وعلى سيد الشهداء

وأصدق الأبناء

السلام على السيد حسن نصر الله.

وفي مقطوعة أهداها كاتبها إلى سماحة السيد حسن نصر الله وأبطال المقاومة ، رأى ان وجه هذا السيد هو امتداد لوجه الإمام الحسين عليهما ولعل هذا يدل على إحساس الأديب بأن ثورة الجنوب اللبناني التي يقودها السيد حسن نصر الله ما هي الا امتداد للثورة الحسينية .. بقول الأديب فتحي حمد الله في قصيدة "يوم النصر"<sup>(٣٢)</sup> :

القذائف أخطأت

صدر البطولة

والقصائد أخطأت

وأنت يا من تحملت بالمحن

أخطأت من

يممت وجهك شطر نصر

وقبضت بالكف المناضل

مشهدك

وصرخت في جوف

- ٣٠ - نُشيد المقاومة : عبد الله الأسعد ، قم ، المؤسسة الإسلامية العامة للتبلیغ والإرشاد ط / ١ - ٢٠٠٧ م ، ص ٤٢

- ٣١ - ينظر النص على شبكة المعلومات الدولية [www.wa3ad.org/arabik](http://www.wa3ad.org/arabik)

- ٣٢ - النص في شبكة المعلومات العنکبوتیة [.tlifif.blogspot.com/2006](http://tlifif.blogspot.com/2006)

الضمير المهترئ

اليوم أمر

وجه الحسين يطّلّ من

بين العمامة كل يوم

ان وحدة المدف ، وسُبِّلَ الجَهَادُ وَعَظِيمُ التَّضْحِيَةِ وَغَيْرُهَا مِنْ أَمْوَارِ تَفْرُضُ عَلَى الْذَّهَنِ أَنْ يَحْاولَ إِيجَادُ  
رَابِطَةٍ مَعَ رَابِطَةِ النَّسْبِ ، تَوْقِيقُ حَرَكَةِ الْمَقَاوِمَةِ الإِسْلَامِيَّةِ بِيَوْمِ كَرْبَلَاءِ الْخَالِدِ سَنَةِ إِحْدَى وَسَتِينَ لِلْهَجَرَةِ .  
وَجَاءَتْ هَذِهِ الْمَوَازِنَةُ بَيْنَ كَرْبَلَاءَ وَالْمَقَاوِمَةِ الْلَّبَنَانِيَّةِ الْبَاسِلَةِ فِي أَجْلِي صُورَهَا بِقَصِيدَةٍ (هُوَ أَنْتَ نَصْرُ اللَّهِ)  
الَّتِي يَفْتَحُهَا شَاعِرُهَا مُحَمَّدُ قَدْسِيُّ الْعَالَمِيُّ بِقَوْلِهِ<sup>(٣٣)</sup> :

يَاسِيدُ الشَّهَدَاءِ يَأْتِيكُ الصَّدِي  
عَنْ ثَلَةٍ هِيَ لِلْفَخَارِ عَمَادٌ  
مِنْ كَرْبَلَاءَ نَهَلَتْ مَعِينُ إِيَّاهَا  
وَلِنِينَوْيِي مِنْ شَوْقَهُمْ كَمْ نَادَوا  
رَمَزَ الْفَداءِ وَفِي الْوَطِيسِ جَهَادٌ  
دَحْرُوا الْيَهُودَ عَنِ الْجَنُوبِ وَأَصْبَحُوا

وَفِي الْقَصِيدَةِ ظَهَرَ الْمَاضِي الْمَجِيدُ لِأَمَّةٍ شَهَدَتْ جَهَادَ الْمَرْتَضِيِّ عَلَيْهِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ<sup>(٣٤)</sup> وَشَهَدَتْ كَذَلِكَ  
نَهْضَةُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ<sup>(٣٥)</sup> ، وَهِيَ تَشَهِّدُ يَوْمَهُ هَذَا الصَّمْدُونِ الْأَسْطُورِيِّ الَّذِي جَعَلَ اسْطُورَةَ  
الْتَّفْوِيقِ الْعَسْكُرِيِّ الصَّهِيُونِيِّ تَهَوَّى أَمَّامَ قِيَادَةِ السَّيِّدِ حَسَنِ نَصْرِ اللَّهِ .. وَيُكَرِّرُ الشَّاعِرُ ضَمَّيرُ الْغَائِبِ (هُوَ)  
لِيَزِيدَ مِنْ بَيَانِهِ وَلِيُؤكِّدَ إِعْجَابَهُ بِقِيَادَةِ هَذَا السَّيِّدِ الْمَجَاهِدِ ، وَالتَّكْرَارُ مِنْ أَسَالِيبِ الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ فِي التَّوْكِيدِ ،  
وَقَدْ اتَّخَذَ مِنْهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَسِيلَةً بَيَانِيَّةً لِتَوْكِيدِ مَعْنَيِّ كَلَامِ اللَّهِ الْمَجِيدِ ، وَلَعِلَّ مَا وَرَدَ فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ - عَزَّ  
وَجَلَ - مِنْ تَكْرَارِ مَا يُؤكِّدُ ذَلِكَ<sup>(٣٦)</sup> ، يَقُولُ الشَّاعِرُ :

هُوَ سَيِّدُ التَّحْرِيرِ قَائِدُ نَهْضَةٍ  
هُوَ فِي الْصَّلَابَةِ صَخْرَةٌ وَعِنَادٌ  
هُوَ مِنْ هَتَافِ الْمَرْتَضِيِّ اَنْشُودَةٌ  
وَلَصَبَحَنَا ذَاكَ الْخَبَا مِيلَادٌ  
هُوَ مِنْ حَسِينٍ غَضْبَةٌ وَمُودَةٌ  
جَمَعَتْ بِشَخْصِهِ هَذِهِ الْأَضَدَادُ  
هُوَ أَنْتَ نَصْرُ اللَّهِ قَائِدُ زَحْفَا

ان الانظمة العربية وعلى امتداد التاريخ لم تقو على تسجيل انتصار عسكري على الكيان الصهيوني  
الغاصب ، وقد استطاعت المقاومة الباسلة ما لم تستطعه الدول الكبيرة بفضل قيادتها الحكيمية المتمثلة بالسيد  
حسن نصر الله الذي أحب الله وأحب شعبه فأحبه الله وأحبه الشعب ، يقول الشاعر محمد البرغوثي<sup>(٣٧)</sup> :

رَجُلٌ فِي أُمَّةٍ يُدْعَى "حَسَنٌ"      ثُمَّ أَضْحَى أُمَّةً فِي رَجُلٍ هَذَا "الْحَسَنُ"  
ما الَّذِي يَرْفَعُ إِنْسَانًا إِلَى هَذَا الْمَقَامِ      غَيْرِ حُبِّ اللَّهِ وَالنَّاسِ مَعًا

والقادة العظام - على مر التاريخ - يبادلون شعوبهم ودّا بود ، وهكذا كان الرسول الكريم صلى الله  
عليه وآله وسلم وأهل بيته الكرام<sup>(٣٨)</sup> وكانوا يوصون محبיהם بذلك ، روى أن اسحق بن عمارة قال : قال  
لي أبو عبد الله (الإمام الصادق<sup>(٣٩)</sup>) : (يا إسحاق صانع المناق<sup>(٤٠)</sup> بـ لسانك وـ إخلص وـ دك للمؤمن ، وإن  
جالسك يهودي فأحسن مجالسته) ، وفي النص كذلك استلهام قرآني إذ (إِنِّي إِبْرَاهِيمٌ كَانَ أُمَّةً قَاتَلَتِي لِلَّهِ

٣٣ - قناديل النصر: محمد قدسي العاملی، بيروت-

٣٤ - ينظر البحث الموسوم (دلالة التثنية في سورة الرحمن) للدكتور عبد جودي الحلبي المنشور في مجلة جامعة بابل ، العدد ١/٧ ، تموز ٢٠٠٢ ، ص ٣٥٥ - ٣٧٤.

٣٥ - شبكة المعلومات العنکبوتیة [www.majeedbarghouthi.net](http://www.majeedbarghouthi.net).

٣٦ - من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ٤: ٤٠٤.

السيد حسن نصر الله في الشعر العربي المعاصر حنِيفاً وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ<sup>(٣٧)</sup> وقد أخذ هذا المعنى شاعر آخر عندما جعل الإمام الخميني أمّة وشّبه به سماحة السيد حسن نصر الله، قال الشاعر عباس على الفتوني<sup>(٣٨)</sup> :

هونصر الله مهوى المقل  
بسمة القدس شعاع الأمل  
هو منوال الإبا بل إنه  
كالخميني أمّة في رجل

وما يشبه النهضة الحسينية من المقاومة اللبنانيّة الباسلة أنّ فتنة قليلة ثبتت إزاء جيش دولة، فالإمام الحسين بن علي عليهما السلام بسبعين من أصحابه وأهل بيته ضد دولة كبيرة بما تملك من قوات مسلحة وأموال وأجهزة إعلامية، وكذلك الأمر بالنسبة للمقاومة الإسلامية اللبنانيّة التي لا تمتلك إلاّ الإيمان بعدالة قضيتها وحكمة قائدتها فانها استطاعت ان تتحقق الانتصار على دولة الكيان الصهيوني الغاصب بكل ما يملكه من أجهزة عسكريّة وإعلامية وبكل ما يحصل عليه من دعم استعماري صليبي، حتى اعتاد الذهن على فكرة التفوق العسكري الصهيوني الذي عجزت الدول العربيّة عن الصمود في معاركها المتعددة معه، وعندما ظهرت المقاومة الباسلة بقيادة السيد حسن نصر الله توقع الكثيرون أنها ليس أكثر من حركة جنونية انتشارية سرعان ما يقضي عليها العدو، ولعل في قصيدة شاعر المدينة المنورة عبد المحسن حلّيت إشارة جلية إلى ذلك .. يقول<sup>(٣٩)</sup> :

فكلنا معك عقل نستير به  
نعم عشقناك خباناك في دمنا  
لأنك الطيش والأهواء والخطر  
وأنت "مبتدأ" التاريخ و"خبر"

ولا يخفى ما في ثالث الأبيات من توظيف جميل للمصطلح النحوّي، في تورية جميلة نحسب ان الشاعر يريد ان يعبر عن حركة المقاومة الإسلامية بأنها فجر عصر جديد يبشر بالنصر المؤزر بعد ليل الانتكasaة الطويل ، وانه سيحقق أمل الأمة في القضاء على العدو الصهيوني وكيانه الغاصب، لأن الجملة بمبتدئها وخبرها تتم فلا تحتاج إلى ما يوضح معناها..

ومن أوجه الشّبه بين قيادة السيد حسن نصر الله والإمام الحسين عليهما السلام أن الله سبحانه وتعالى - جعل في قلوب اتباع كل منهما من الود لهما والحب الصادق لشخصيهما، فالإمام الحسين عليهما السلام جعل الله له من الأتباع والجنود الذين صمدوا وهم ليسوا غير فتنة قليلة إزاء جيش دولة يملك من القوة والعدة والعدد ما يضمن له التفوق العسكري ، وقد سمح الإمام الحسين عليهما السلام لأتباعه بالتفرق عنه والنجاة بأنفسهم مساء يوم التاسع من شهر محرم الحرام سنة ٦١ هجري إلا أنهم رفضوا إباء وكان الشهيد منهم يوصي في آخر لحظات عمره بالاستمرار في صراع الدولة الأممية ونصرة أبي عبد الله الحسين عليهما ... وهكذا هو الأمر في مقاتلي حركة المقاومة اللبنانيّة الإسلاميّة فان هؤلاء التّقوا حول قيادة السيد حسن نصر الله التّفافاً واعياً وصمداً صموداً عجيناً ازاء دولة لها من الإمكانيات العسكريّة والقدرات التّسلّحية مما تدّها به الدول الصّليبيّة الاستعماريّة ومع ذلك عجزت هذه الإمكانيات والقدرات عن القضاء على الفتنة القليلة التي آمنت بربها وبعقيدتها وحقّها وحقّ بلدتها في الحياة الآمنة المستقرة ، وقبل هذا وذاك فانها محضت قائدتها السيد حسن نصر الله الود واخلصت له في الحب .. يقول الشاعر محمد قدسي العاملـي<sup>(٤٠)</sup> :

يا قائد الزحف نصر الله يا مثلاً  
يهواك شعبي فأنت الرمز والعلم

- القرآن الكريم - سورة النحل : ١٢٠ . ٣٧

- باقات شعرية : عباس علي فتونـي ، بيروـت - ٢٠٠٤ ، ص ١٦٣ . ٣٨

- شبكة المعلومات العنكبوتية www.wa3ad.org . ٣٩

- قناديل النصر : محمد قدسي العاملـي ، بيروـت - دار الولـاء م ٢٠٠٦ / هـ ١٤٢٧ . ٤٠

ماضٍ عزتك الصوان جوهرها  
فترعب الكفر من قولٍ ومن نطقٍ  
إلى ان يقول :

لو خضتَ نهراً وبحراً أو علوت سماً  
كنا جنودك والأسوار نقتحم  
ويتبصر من مقطوعة الأديب على عباسٍ "مشتاقون" إن المقاتلين المسلمين اللبنانيين إنما يجدون في الدفاع  
عنه والاتتمار بأوامره لأنهم يرون فيه امتداداً لأجداده الطاهرين الذين أمر الله بموتهم يقول<sup>(٤١)</sup>:  
ياورىث الأنبياء  
يا حفيد الحسين

...

...

لن يصلوا إليك وأصابعنا جمر  
توقدها كلماتك

...

أني شئت صوبنا سلاحنا  
للك العهد يا ابن فاطمة  
يا أسد المقاومة  
أنت الوعد الصادق  
انه.. الوعيد الصادق  
لن نترك السلاح

ولقد بنى الشعراء العرب -وهم لسان حال الأمة- الآمال الجسام على المقاومة الإسلامية، ليس في المحافظة على لبنان من أن تبتلعه الأطماع الصهيونية والصليبية فحسب وإنما في انتزاع الأرضي العربية التي احتلها الصهاينة المستعمرون، وإنقاذ المقدسات من الاحتلال، يقول الأديب علي عباس من مقطوعته "يا وادي"<sup>(٤٢)</sup>:

فلسطين..  
إننا قادمون  
فقد سبقتنا رايتنا  
وفيها وجد محمد  
والذين معه  
أشد من جبروتهم  
يرجعون وديعة الأرض  
فالأرض يرثها الغالبون  
"فان حزب الله هم الغالبون"

٤١ - ما بعد بعد : علي عباس - بيروت ، دار الهادي ط / ٢ - ٢٠٠٧ ، ص ٧٢ .

٤٢ - قناديل الذكرة : علي عباس ، بيروت - دار الهادي ٢٠٠٦ ، ص ١١٧ .

**السيد حسن نصر الله في الشعر العربي المعاصر**  
يُلاحظ على المقطوعة حرث الأديب على الإعلان عن انتماء المقاومة للإسلام ولمحمد عليه وعليه آله الصلاة والسلام، مع ما فيها من استلهام قرآنی إذ (أن الأرض يرثها عبادی الصالحون) <sup>(٤٣)</sup>، ووظف الأديب كذلك قوله تعالى (فَإِنْ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) <sup>(٤٤)</sup> للتفاؤل بالنصر والغلبة إن شاء الله تعالى - لهذه الفتنة المجاهدة.

وتتصاعد وتتأثر التفاؤل لدى أديب آخر فيرى أن الأهداف الرائعة التي تتطلع الأمة إليها هي التي تسعى لتكون بين أيدي المجاهدين وليسوا هم من يسعون إليها، ويررون في فجر المقاومة الإسلامية بشري تحرير المقدسات من أسر الاعداء، يقول الشاعر عدنان الموسى من قصيدة (نصر الهمامات الخاشعة) <sup>(٤٥)</sup> :

مسرى النبي المصطفى يسعى لنا

يا صخرة ميدي فلا عاشَ الخصوص

لَبَيْ نِدَا العَدَنَانَ لَا تَسْتَسْلِمِي

بالروح نفدي قدسنا لا بالدموع

وهكذا تبني الأمة آمالها على هذه الفتنة المجاهدة التي ستكون نواةً تجمع طاقات الأمة جميعها لتحقيق النصر المؤزر على الأعداء والطامعين وبين عدئذ الفجر المتألق الذي يجعل أمتنا الكريمة في المكانة التي يريدها الله لها (كتتم خير أمّةٍ أخرجت للناس) <sup>(٤٦)</sup> تقودهم إلى غدهم الذي يحيى الناس فيه العدالة الحقيقية والسعادة الأبدية والنعيم الذي خلقهم الله من أجله.

وفي الختام، فإن الأدب العربي عموماً والشعر منه خصوصاً واكبَّ عدداً كثيراً من الحركات السياسية والثقافية، قديماً وحديثاً، وحركة المقاومة الإسلامية اللبنانية وقادتها سماحة العلامة السيد حسن نصر الله من الحركات التحريرية الإسلامية الحديثة، ساندتها الأدباء بما أبدعواه من نتاج ثوري إسلامي ساند وأزّر البندقية الشريفة التي تحملها أيدي المجاهدين الأبطال. وهذا النتاج الأدبي توافرت فيه عناصر الإبداع ومظاهر الجمال الفني، مع انها من ذلك النوع من الأدب المقاتل الذي تكمن قيمته في المناسبة الجهادية التي يؤرخ لها ويخلد مآثرها. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

#### المراجع والمصادر

١. القرآن الكريم (تنزيل من رب العالمين).

#### - الكتب المطبوعة:

٢. الأدب العربي الحديث دراسة في شعره ونثره / د. سالم أحمد الحمداني و د. فاروق مصطفى أحمد. طبع في مطبعة جامعة الموصل، العراق.
٣. الأدب العربي في كربلاء من إعلان الدستور العثماني إلى ثورة ١٩٥٨ / د. عبد جودي الحلبي. ط / ٢ / كربلاء. مكتبة الحكمـة ٢٠٠٩ م / ١٤٣٠ هـ.
٤. باقات شعرية/ عباس علي فتوبي، بيروت ط ١/ دار الهادي ٢٠٠٤ م / ١٤٢٥ هـ.
٥. ترجمة ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم الإمام الحسين عليه السلام في تاريخ مدينة دمشق للحافظ أبي القاسم علي بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر ت ٥٧١ هـ تـ / الشيخ محمد باقر المحمودي ط ٢ / قم، ایران ١٤١٤ هـ.

٤٣ - القرآن الكريم - سورة الأنبياء: ١٠٥.

٤٤ - القرآن الكريم - سورة المائدـة: ٥٦.

٤٥ - شبكة المعلومات العنكبوتية 2008 . [www.wa3ad.org/](http://www.wa3ad.org/)

٤٦ - القرآن الكريم - سورة آل عمران: ١١٠.

٦. حـيـاة الإمام الحـسـين بن عـلـي عليهما السلام دراسـة و تـحـلـيل / باـقـر شـرـيف القرـشـي / تـحـ: مـهـدي باـقـر القرـشـي ، إـصـدار: قـسـم الشـئـون الفـكـرـيـة و الشـفـاقـيـة في العـتـبة الحـسـينـيـة المـقـدـسـة طـ ٢/ ٢٠٠٨ - ١٤٢٩ هـ.
٧. حـيـاة محمد صـلـى الله عـلـيـه وآلـه وـسـلـمـ / محمد حـسـين هيـكلـ - تـعـلـيق و تـحـقـيق: الجـمـع العـالـمـي لأـهـلـ الـبـيـت عليهما السلام طـ ١/ ١٤٢٨ هـ.
٨. دـيوـان حـافـظ إـبرـاهـيمـ ، ضـبـطـه وـصـحـحـه وـشـرـحـه وـرـتـبـه: أـحمدـ أـمـينـ وـأـحمدـ الزـينـ ، وـإـبرـاهـيمـ الـبـيـارـيـ طـ/ دـارـ الـجـيلـ بـيـرـوـتـ ١٩٨٨ مـ - ١٤٠٨ هـ.
٩. دـيوـان محمد حـسـنـ أـبـيـ الـمـاحـسـنـ الـكـرـبـلـائـيـ / تـحـقـيقـ: محمدـ عـلـيـ الـيـعقوـبـيـ ، طـ ٢/ مؤـسـسـةـ الـمـعـارـفـ لـلـمـطـبـوعـاتـ - بـيـرـوـتـ ٢٠٠٠ مـ / ١٤٢١ هـ ، طـبـ معـ كـتـابـ مـحمدـ حـسـنـ أـبـيـ الـمـاحـسـنـ درـاسـةـ فـيـ حـيـاتهـ وـاتـجـاهـ شـعرـهـ السـيـاسـيـ . للـبـاحـثـ نـورـيـ كـامـلـ مـحمدـ حـسـنـ .
١٠. رـجـالـ اللهـ / عمرـ الفـراءـ . بـيـرـوـتـ طـ ١/ دـارـ الـهـادـيـ ٢٠٠٧ مـ / ١٤٢٨ هـ.
١١. روـائـعـ الشـعـرـ الـعـربـيـ فـيـ الـمـقاـومـةـ وـسـيـدـهـاـ / عـلـيـ أـحـمـدـ ، بـيـرـوـتـ طـ ١/ دـارـ إـيوـانـ ٢٠٠٧ مـ / ١٤٢٨ هـ.
١٢. السـيـرـةـ الـنـبـوـيـةـ لـأـبـنـ هـشـامـ تـحـ: مـصـطـفـيـ السـقاـ ، إـبرـاهـيمـ الـبـيـارـيـ ، عـبـدـ الـخـفـيـظـ شـلـبيـ طـ/ بـيـرـوـتـ دـارـ إـحـيـاءـ الـتـرـاثـ الـعـرـبـيـ .
١٣. فـيـ الـأـدـبـ الـحـدـيـثـ / عـمـرـ الدـسوـقـيـ طـ/ دـارـ الـفـكـرـ الـعـرـبـيـ .
١٤. قـنـادـيلـ الـذـاكـرـةـ / عـلـيـ عـبـاسـ - بـيـوتـ طـ ١/ دـارـ الـهـادـيـ ٢٠٠٦ مـ / ١٤٢٧ هـ.
١٥. قـنـادـيلـ النـصـرـ / قـدـسيـ الـعـامـلـيـ - بـيـرـوـتـ / دـارـ الـولـاءـ ٢٠٠٦ مـ / ١٤٢٧ هـ.
١٦. ماـ بـعـدـ بـعـدـ / عـلـيـ عـبـاسـ - بـيـرـوـتـ طـ ٢/ دـارـ الـهـادـيـ ٢٠٠٧ مـ / ١٤٢٨ هـ.
١٧. مـقـتـلـ الـحـسـينـ عليهما السلام / لـوـطـ بـنـ يـحـيـيـ بـنـ سـعـيدـ بـنـ مـخـلـفـ بـنـ سـلـيـمـ الـازـديـ الغـامـدـيـ الـمـطـبـعـةـ الـعـلـمـيـةـ / قـمـ. تـارـيخـ مـقـدـمةـ النـاـشـرـ ١٥ شـوـالـ ١٣٩٨ هـ.
١٨. الـمـلـحـمـةـ الـكـبـرـىـ (أـيـامـ الـوـعـدـ الصـادـقـ) بـيـرـوـتـ - دـارـ الـولـاءـ ٢٠٠٦ مـ / ١٤٢٧ هـ.
١٩. مـنـ لـاـ يـحـضـرـهـ الـفـقـيـهـ لـأـبـيـ جـعـفـرـ مـحـمـدـ بـنـ عـلـيـ بـنـ الـحـسـينـ بـنـ بـابـوـيـهـ الـقـمـيـ تـ ٣٨١ هـ . تـحـ: السـيدـ حـسـنـ الـمـوسـوـيـ الـخـرـسانـ طـ ٥/ ٥ طـهرـانـ ١٣٦١ هـ.
٢٠. نـشـيدـ الـمـقاـومـةـ / عـبـدـ اللهـ الـأـسـعـدـ ، قـمـ / المؤـسـسـةـ الـإـسـلـامـيـةـ الـعـامـةـ لـلـتـبـلـيـغـ وـالـإـرـشـادـ طـ ١/ سـنةـ ٢٠٠٧ مـ / ١٤٢٠ هـ.

#### - الدوريات

٢١. مجلـةـ جـامـعـةـ بـاـبـلـ الـمـجـلـدـ ٧/ العـدـدـ ١/ تـمـوزـ ٢٠٠٢ . دـلـالـةـ التـشـيـةـ فـيـ سـوـرـةـ الرـحـمـنـ / دـ. عـبـودـ جـودـيـ عـبـودـ الـحـلـيـ صـ ٣٥٥ـ - ٣٧٤ـ .

#### - شبكة المعلومات العالمية الافتراضية:

- [www.elshare3-adab.blogspot.com](http://www.elshare3-adab.blogspot.com)
- [www.majeedbarghouthi.net](http://www.majeedbarghouthi.net)
- [www.wa3ad.org](http://www.wa3ad.org)
- [tlafif.blogspot.com/2006](http://tlafif.blogspot.com/2006)

## الطباق في الصحيفة السجادية

د. جعفر علي عاشور<sup>(١)</sup>  
م. م. هدى حسين

### المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خير الخلق محمد وآلـه الطاهرين، وبعد فالعربية زاخرة بالأساليب والفنون البلاغية، التي تشيـرـيـ النـصـ، وتشـظـيـ الدـلـالـةـ، وـالـطـبـاقـ أـحـدـ هـذـهـ الفـنـونـ، وـمـنـ هـنـاـ اـرـتـائـيـناـ انـ نـدـرـسـ هـذـاـ الفـنـ فـيـ كـتـابـ (ـالـصـحـيـفـةـ السـجـادـيـةـ)ـ لـإـلـمـامـ زـيـنـ العـابـدـيـنـ [ـعـ]ـ، لـتـبـيـنـ كـيـفـيـةـ توـظـيـفـ هـذـاـ الفـنـ، وـأـثـرـهـ فـيـ الدـلـالـةـ، وـقـدـ قـسـمـ الـبـحـثـ عـلـىـ فـقـرـاتـ عـدـةـ؛ـ بـدـأـنـاـهاـ بـبـيـانـ معـنـىـ الـطـبـاقـ،ـ وـمـنـ شـمـ درـاسـةـ تـخـلـيلـيـةـ لـنـمـاذـجـ تـطـيـقـيـةـ مـنـ أـقـوـالـ إـلـمـامـ [ـعـ]ـ،ـ تـلـاهـاـ مـلـاحـظـ اـحـصـائـيـةـ حـوـلـ الـطـبـاقـ فـيـ الصـحـيـفـةـ،ـ وـخـتـمـنـاـ ذـلـكـ بـخـلاـصـةـ ثـمـ اـهـمـ تـنـائـجـ الـبـحـثــ.

وبـعـدـ،ـ فـلـمـ يـدـعـ باـحـثـ قـبـلـ لـبـحـثـ الـكـمـالـ،ـ وـمـاـ كـانـ لـنـاـ انـ نـدـعـيـهـ لـبـحـثـاـ هـذـاـ،ـ وـمـنـ اللهـ التـوـفـيقـ.

### الطباق

الطباق أحد فنون علم البديع، وهو "علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة".<sup>(٢)</sup>

والبديع على قسمين: بديع يحسن به الكلام من جهة المعنى، فهو معنوي، وبديع يحسن به الكلام من جهة اللفظ فهو لفظي. والبديع المعنوي يرجع الطباق.<sup>(٣)</sup>

وقد ورد في العين أن الطباق لغة من قولهم "طابت بين الشيئين": جمعتهما على حذو واحد، وألزقهما<sup>(٤)</sup>، أي ان الطباق له دلالة الموافقة بين الشيئين. أما اصطلاحا فهو على العكس من ذلك، "الجمع

(١) كلية الآداب، جامعة أهل البيت [ع].

(٢) الإيضاح، الخطيب التزويني، ترجمة: محمد محى الدين عبد الحميد، القاهرة: ٣٣٤.

(٣) على ذلك اجماع البلاغيين، وشذّ عنهم السكاكي إذ أدخل الطباق والمقابلة في المحسنات اللغوية. ظ: مفتاح العلوم، السكاكي، القاهرة، ١٩٦٠ ما بعد ص ٢٠٠.

(٤) العين: مادة طبق.

بين لفظين متضادين (متقابلين) في الكلام<sup>(٥)</sup>. كالبياض والسود، والعلم والجهل ، والحق والباطل ، الخ. ورأى البعض ان الطلاق له دلالة المشقة، بدلاً عنه قوله تعالى "لتركبن طبقا عن طبق"<sup>(٦)</sup> اي مشقة بعد مشقة، ولما كان الجمع بين الضدين شاقا سمي الكلام الذي يجمع بين الضدين وطبقا<sup>(٧)</sup>.

وللطلاق أسماء أخرى عده منها: المطابقة، والتطبيق، والتضاد<sup>(٨)</sup> والطلاق من الاساليب العربية المعروفة، اغرم بها الادباء، واردوها في نصوصهم للتدليل على تكفهم من اللغة، وبحرهم في المفردات، وقدرتهم على الامساك بناصية المعاني، كما زخر القرآن الكريم بآيات من هذا الاسلوب البلاغي.

ويتجلى تأثير الطلاق في انه يجمع بين الاضداد فيخلق بذلك صورا ذهنية ونفسية متعاكسة يوازن فيما بينها عقل القارئ ووجدانه فيتبين ما هو حسن منها، ويفصله على ضنه.

ولتوسيخ الكلام نقرأ قول الإمام علي<sup>(٩)</sup> :  
**"اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ ... وَمِنْ نَارِ نُورُهَا ظُلْمَةٌ... وَبَعِيدُهَا قَرِيبٌ"**

فقد اجرى الإمام طباقا بين النور والظلمة، وبين البعد والقرب، والتقابل بين هاذين الزوجين من الوحدات موجود في المعجم يمكن اجراءه في الكلام على وجوه عدّة، وايراد الطلاق هنا يحدث اثرا دلاليا يقوم عليه وجه من وجود الادبية؛ لأن الإمام لم يجعل كل من الوحدتين متضادتين دلاليا، بل متطابقتين، أي أن النور نفسه هو ظلمة، ومعرفة ان للنار نور، لكن الإمام يتحدث عن نار خاصة هي نار الآخرة، ليس لها نور بل تشع ظلمة، أو قل إن نورها هو ظلام.

والنار التي يتحدث عنها الإمام لا يقاس بعدها بالزمن الفيزيائي المعروف، بل بزمن الآخرة؛ لذلك وصفه بالقرب، مستمرا الخزین القرآني (**إِنَّمَا يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا**)<sup>(١٠)</sup> فالقرب والبعد في ظاهر اللفظ متقابلان، ولكن التمعن يبيّن أنهما مترابطان ترابطا منطقيا يجعلهما وجهين لعملة واحدة

### أنواع الطلاق:

للبلاغيين مذاهب عدّة في انواع الطلاق، نأخذ منها التقسيم الأشهر وهو:

أ. طلاق الأيجاب: "وهو طلاق موجود في المعجم يتقابل طرفاه على وجه الضدية"<sup>(١١)</sup> ، مثل قريب و بعيد، في المثال السابق.

ب. طلاق السلب: "وهو طلاق يكون التقابل فيه بين وجهين للفظ الواحد مذكورا في الكلام مررتين مثبتا ومنفيا"<sup>(١٢)</sup> ، مثل:  
**"يَا مَنْ يَرْحُمُ مَنْ لَا يَرْحُمُ الْعِبَادَ"**<sup>(١٣)</sup>

(٥) دروس البلاغة العربية- نحو رؤية جديدة، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط ١، ١٩٩٢: ١٧٧.

(٦) الانشقاق: ١٩.

(٧) ظ: أنوار الربيع في أنواع اللbijع ، ابن معصوم المدنى ، تحقيق شاكر هادي شكر ، النجف ، ١٩٦٨ : ٣٢/٢.

(٨) ظ: دروس البلاغة العربية- نحو رؤية جديدة، ١٧٢.

(٩) الصحيفة السجادية الكاملة، الإمام زين العابدين عليه السلام، دار العلوم، بيروت، ط ١، ١٣٨: ٢٠٠٨.

(١٠) المعارض: ٦ - ٧.

(١١) دروس البلاغة العربية- نحو رؤية جديدة: ١٧٣.

(١٢) ظ: دروس البلاغة العربية- نحو رؤية جديدة: ١٧٤.

(١٣) الصحيفة السجادية: ١٨٤.

ضاد الإمام بين الرحمة وعدمها، ولم يلجم إلى دال لفظي مغایر للجذر اللغوي الأول، مثل (يقوسو عليه، يبنده، يظلمه... الخ) مما هو شائع في العربية، بل بجأ إلى التضاد باستعمال النافية (لا)، وهذا يجعل القارئ للدعاء يردد كلمة الرحمة مرتين، (يرحم، لا يرحمه)، فإذا أخذنا بالاعتبار مناسبة الدعاء وهي (يوم عيد الفطر بعد انصرافه من الصلاة، وفي يوم الجمعة) نجد أن المناسبة جمعت ملائمتين الرحمة والمغفرة: عيد الفطر فيه رحمة للصائم، وصلوة الجماعة فيها رحمة للمصلين، ويوم الجمعة وهو يوم الرحمة والاستغفار كما ورد في بعض الآثار، لذا جاء مفتتح الدعاء مؤكدا على رحمته تعالى، وحين انتقل إلى نقىض ذلك عند العباد، أكد دلالته الرحمة ب匪فيها عن العباد، كما انه ندب إليها، بشكل غير مباشر، إذ تكرار كلمة الرحمة من الداعي او السامع يجعل المعنى راسخا في ذهنه، اي ان الطباق جاء من نوع طباق السلب لغرضين؛ الاول مباشر: وهو تأكيد صدور الرحمة من الله مقابل انتقافها عند الناس، والثاني غير مباشر، وهو الندب إليها عن طريق ترسيخها في ذهن المتلقى حين يتلقاها مرتين.

ويدخل الامر والنهي في طباق السلب كقوله عليه السلام:

"واهلهني بكرمه على التفضل، ولا تحملني بعدلك على الاستحقاق"<sup>(١٤)</sup>

فهنا امر ونهي نابعان من جذر لغوي واحد هو العمل.

ومثله:

"اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَكِدْ لَنَا وَلَا تَكِدْ عَلَيْنَا، وَامْكُرْ لَنَا وَلَا تَمْكُرْ بَنَا، وَأَدِلْ لَنَا وَلَا تُدِلْ مِنَّا"<sup>(١٥)</sup>

يعاقب الإمام هنا بين ثلاثة ثنائيات من الأمر والنهي، هي (وَكِدْ/ لَا تَكِدْ)، و(امْكُرْ/ لَا تَمْكُرْ)، و(أَدِلْ، لَا تُدِلْ)، ويتلو كل من الوحدة الأولى من الثنائيات بالجار والمجرور (لنا)، بينما يتبع الجار والمجرور المرافق للوحدة الثانية ( علينا، بنا، منا )

#### المقابلة:

وهي "أن يؤتى بمعنىين متوفقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب"<sup>(١٦)</sup>، وهناك خلاف في كون المقابلة من مباحث الطباق، او هي اسلوب مستقل عنه، ونؤيد ما ذهب إليه القزويني في كونها احد اساليب الطباق، لأنها قائمة على التضاد، مثلها مثل الطباق، ولا يعارض ذلك مع كونها اعم منه، وقيل ان الطباق يكون في المتضادين، اما المقابلة ف تكون في المتضادين وفي غيرهما<sup>(١٧)</sup>.

ومن أمثلة المقابلة في الصحيفة، قول الإمام:

"حتى لا أحب شيئاً من سخطك، ولا اسخط شيئاً من رضاك"<sup>(١٨)</sup>

فقد قابل هنا بين زوجين من الوحدات الدلالية المتضادة (احب / اسخط)، (سخطك / رضاك) ،

ومثل:

"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ اللَّيلَ مُظْلِمًا بِقُدْرَتِهِ، وَجَاءَ بِالنَّهَارِ مُبْصِرًا بِرَحْمَتِهِ"<sup>(١٩)</sup>

. (١٤) الصحيفة السجادية: ٦٤.

. (١٥) الصحيفة السجادية: ٦٤.

. (١٦) الإيضاح: ٣٣٦.

. (١٧) الإيضاح: ٣٣٦.

. (١٨) الصحيفة السجادية: ٩٥.

. (١٩) الصحيفة السجادية: ٢٥٦.

والمقابلة هنا تقوم على توكيده حمد الله تعالى على كل ما ينعم به فيقترب الحمد بكل وقت اليوم (الليل والنهر) والحالين الذين هما عليهم (الإظلام والإبصار)، والمصدر الفاعلية (القدرة والرحمة) زيادة على فعل الإذهاب والجبيه، فاجتمعت في العبارة مقابلة رباعية:

- اذهب / جاء
- الليل / النهر
- مظلما / مصرا
- بقدره / برحمته

أنواع المقابلة: جرى تصنيف المقابلة حسب عدد الأزواج المقابلة فيها:

١. المقابلة الثنائية: ما قامت على زوجين من المقابلات، مثل:

"أَجْزُلْ لَنَا فِيهِ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَأَخْلُنَا فِيهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ" (٢٠)

٢. المقابلة الثلاثية: ما قامت على ثلاثة وحدات مقابلة على التوازي، مثل قوله:

"وَاقْصَى الْاَدْنِينَ عَلَى جُحُودِهِمْ، وَقَرَبَ الْاَقْصَى عَلَى اسْتِجَابَتِهِمْ لَكَ" (١١)

فالمقابلة هنا بين (اقصى / ادنى)، و(الادنى / الاقصى)، و(جحود / استجابة)

٣. المقابلة الرباعية، أن تذكر أربع معان ثم يأتي بما يقابل تلك المعاني، مثل قوله:

"قَلَّ عَنِي مَا أَعْتَدْ بِهِ مِنْ طَاعَتِكَ، وَكَثُرَ عَلَيَّ مَا أَبْوَءُ بِهِ مِنْ مَعْصِيَتِكَ" (٢٢)

فقد قابل بين فعلي (قل وكثير)، ثم تلا ذلك مقابلة بين الظرف (عندي) والحرف (علي) وهذا المقابلة سبب معجمية، يعني ان (عند) لا تتضاد معجميا مع (على) لكن السياق النصي يشحذ (عند) بدلولات ايجابية منها امتياز الامتلاك، في حين يحمل (على) دلالات الضدية، أي كثرة ضدي ما أبوء به من معصيتك، تلا ذلك التقابل بين فعلي (اعتد وابوء)، ومن ثم جاء باسمي (الطاعة والمعصية). ولم نجد في الصحيفة مقابلة تزيد على الرباعية.

### نظرة احصائية:

في ضوء دراستنا للصحيفة السجادية وجدنا:

ان أكثر ما استعمل الإمام من الطلاق هو طلاق الإيجاب، فقد ورد قرابة ٢٣٠. تليه المقابلة، فقد وردت نيف وخمسين مرة، في حين لم يرد طلاق السلب اكثر من ٢٥ أو نحو ذلك

وقد خلت بعض أدعيته عليه السلام من الطلاق مثل دعائه في الصلاة على حملة العرش (٢٣)، ودعائه إذا قررت عليه رزقه (٢٤)، دعائه اذا ابتلى أو رأى مبتلى (٢٥)، كما خلت مناجاته عليه السلام المعروفيين بمناجاة الحسين (٢٦)، ومناجاة الزاهدين (٢٧) من الطلاق أيضا.

وأكثر الوحدات اللغوية المستعملة في الصحيفة هي الثنائيات القرآنية، فقد ورد الزوج اللغطي (سماء / أرض) بتتويعاته المختلفة (سماء، السماء، ارض الارض، سماؤك، سماوات، ... الخ) ١٥ مرة، كما

(٢٠) الصحيفة السجادية: ٤٧ - ٤٨.

(٢١) الصحيفة السجادية: ٣٣.

(٢٢) الصحيفة السجادية: ١٣٣.

(٢٣) ظ: الصحيفة السجادية: ٣٥.

(٢٤) ظ: الصحيفة السجادية: ١٢٢.

(٢٥) ظ: الصحيفة السجادية: ١٤٠.

(٢٦) ظ: الصحيفة السجادية: ٢٧٧.

(٢٧) ظ: الصحيفة السجادية: ١٨٩.

وردت ثنائية (دنيا / آخرة) بتنوعاتها ١٥ مرة ايضاً، يلي ذلك ثنائية (ليل / نهار) اذ جاءت ١٣ مرة، ثم (معصية / طاعة) فقد وردت ١١ مرة، يلي ذلك ثنائيات اقل استعمالاً مثل (سيئة / حسنة)، و(رضا / غضب)، و(موت / حياة)، و(عفو) مع مقابلات عده مثل (نقطة، وعقاب، وسخط).

### الخلاصة

ورد في العين ان الطباق لغة من قولهم "طابت بين الشيئين : جمعتهما على حذو واحد، وألزقتهما" ، اي ان الطباق له دلالة الموافقة بين الشيئين. اما اصطلاحا فهو على العكس من ذلك، الجمع بين الشيء وضده في الكلام، كالبياض والسوداد، والعلم والجهل، والحق والباطل، الخ. ورأى البعض ان الطباق له دلالة المشقة، بدلالة قوله تعالى "لترکن طبقا عن طبق" اي مشقة بعد مشقة، ولما كان الجمع بين الصدرين شاقا سمي الكلام الذي يجمع بين الصدرين مطابقة وطباقا.

والطباق ينقسم على اساس الاثبات والنفي قسمين رئيسيين :

١. طباق إيجاب : إذا اجتمع في الكلام لفظين مثبتين متضادين، مثل قوله عليه السلام : "عز سلطانك عز لاحد له باولية، ولا منتهی له باخرية" ، فقد جمع في الكلام بين الاولية، والاخرية.
٢. طباق سلب : هو أن يجمع بين لفظين أحدهما مثبت ، والآخر منفي ، أو أحدهما أمر والأخر نهي ، مثل : "اللهم يا من يرحم من لا يرحمه العباد ، ويا من يقبل من لا تقبله البلاد" ، فهنا طباق بين يرحم ولا يرحم ، والفعل هو نفسه ، نفي بلا ، وقوله "واحملني بكرمك على التفضل ، ولا تحملني بعذلك على الاستحقاق" فهنا امر ونهي نابعان من جذر لغوي واحد هو الرحمة.

### المقابلة:

وهي أحد مصاديق الطباق ، تعنى أن يؤتى بمعنىين متواافقين أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب.

### النتائج

ويكون اجمالا ابرز نتائج البحث بال نقاط التالية :

١. غلبة طباق الايجاب على طباق السلب الذي قل استخدامه ، في حين توضع المقابلة في موضع بين الاثنين من حيث الكم.
٢. خلت بعض الادعية من اسلوب الطباق.
٣. ان الطباق لم يكن اسلوبا زخرفيا ، زائدا ، بل جاء لاغراض دلالية ، منسجما مع السياق النصي ، غير اجنبي ولا دخيل عليه.
٤. ان اكبر المقابلات الواردة في الصحيفة هي مقابلات ثنائية وثلاثية ، ووردت مقابلات رباعية في حين انعدمت المقابلات الخامسة او أكثر.
٥. ان اكبر المفردات الداخلة في الطباق هي ثقائيات دينية (دنيا / آخرة) ، (حسنات سيئات) ، (هدى / ضلال) وتاتي المفردات الأخرى في المرتبة الثانية مثل (ليل / نهار) ، (سماء / ارض) ، ونرى انها الثنائيات القرآنية نفسها.

### قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. أنوار الربيع في أنواع اللبدع ، ابن معصوم المدنى ، تحقيق شاكر هادي شكر، النجف، ١٩٦٨ .
٣. الإيضاح ، الخطيب القزويني ، تحرير: محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة .
٤. دروس البلاغة العربية- نحو رؤية جديدة ، الأزهر الزناد ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ١٩٩٢ . مفتاح العلوم ، السكاكي ، القاهرة .
٥. الصحيفة السجادية الكاملة ، الإمام زين العابدين عليه السلام ، دار العلوم ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٨ .
٦. العين ، الخليل بن احمد الفراهيدي ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
٧. مفتاح العلوم ، السكاكي ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

## السجود على الأرض أبلغ صور التذلل لله سبحانه و تعالى

فريدة الاعرابي<sup>(١)</sup>  
سيد مسعود السياضي

### ملخص

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أفضى خلقه وخاتم رسليه محمد وعلی آلہ الطیبین الطاهرین الذين هم عيبة علمه وحفظة سنته.

فان الإسلام عقيدة وشريعة، فالعقيدة هي الإيمان بالله ورسله واليوم الآخر، والشريعة هي الأحكام الإلهية التي تكفل للبشرية الحياة الفضلى وتحقق لها السعادة الدنيوية والأخروية.

ما لا ريب فيه أن الإسلام قام على عدة ركائز ثابتة ومن بينها الصلاة التي اعتبرت عمود الدين والتي ان قبلت قبل ما سواها وإن ردت رد ما سواها. وعلى هذا الأساس كان التمسك بها من قبل المسلمين والاهتمام بها أشد اهتمام.

لكن مع وفاة الرسول الراكم ﷺ وافترار المسلمين فرق شتى ظهرت الخلافات فيما بينها حول طريقة أداء الصلاة، كل يحاول إظهار صحة صلاته واقتدائًه برسول الله ﷺ، فلم يق ركن من أركانها إلا وظهر حوله الخلاف. الخلاف الذي ادى الى اختلاف كلمتهم فيها.

فالخلاف في هذه المسائل، ليس خلافا في جوهر الدين وأصوله حتى يستوجب العداء والبغضاء، وإنما هو خلاف فيما روی عن رسول الله ﷺ، وهو امر يسير في مقابل المسائل الكثيرة المتفق عليها بين المذاهب الإسلامية.

وبعد، هذه وجيرة، في مسألة من مسائل فقهية خلافية كانت، و لازالت، مثار جدل و نقاش بين فقهاء السنة والشيعة، وهي السجود على الأرض. فإن المسلمين متفرقون بأجمعهم على ضرورة السجود لله سبحانه و تعالى و متفرقون على وجوب سجدين في كل ركعة من كل صلاة و يعتبرون ذلك من ضروريات الإسلام؛ لأن السجود من الواجبات الركعية في الصلاة فلا يجوز تركها بأي حال من الاحوال، وإنما يختلفون فيما يصح السجود عليه، ولهم في هذه المسألة آراء متعددة.

ونحن سنتناول هذه الآراء و غيرها مما يتعلق بمفهوم السجود، و نحاول دراستها تفصيلا، وفقا لمنهج البحث العلمي الموضوعي، مستهدفين بآيات القرآن الكريم و بما ثبت من السنة النبوية الشريفة و سيرة أهل البيت عليهم السلام.

١ - الجامعة الحرة - فرع مدينة سمنان - إيران

ورأيَّنا في هذا السبيل قوله سبحانه: «وَاعْصُمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَرْقُوا وَادْكُرُوا نَعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُثُّمْ أَعْدَاءً فَالْفَارِقُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبِحُّهُمْ يَنْعَمُهُ إِخْوَانًا...».<sup>(٢)</sup>

الحمدُ لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أفضل خلقه و خاتم رسله محمد و علي آلـ الطيبين الطاهرين، و صحبه اجمعين و من اقتدي به إلى يوم الدين.

اما بعد، لا شك ان الاتحاد عامل قوّة وكل مسلم في اعماقه رغبة شديدة و شوق كبير لرؤيه الاسلام يشمخ علّوا و ترف رايته على كل راية، كل مسلم يجب ان يري العالم الاسلامي قويـا عزيـزا منـيعـا و من البـديـهيـ لا يـكـنـتـاـ انـنـرـيـ الاـسـلـامـ قـوـيـاـ عـزـيزـاـ منـيـعـاـ الاـنـنـعـلـمـ عـلـىـ اـصـلـاحـ اوـضـاعـناـ فيـجـمـعـ اـنـحـاءـ العـالـمـ اـسـلـامـيـ. فـاصـلـاحـ الجـزـءـ هوـ ضـرـورـيـ لـاصـلـاحـ الـكـلـ.

هـنـاـ رـؤـيـةـ مـفـادـهـاـ أـنـ الـخـلـافـاتـ الـفـكـرـيـ وـ الـمـذـهـبـيـ عـلـىـ مـسـتـوـىـ الـمـعـتـدـلـ وـ عـلـىـ مـسـتـوـىـ الـمـنـهـجـ الـفـقـهـيـ وـ الـأـصـوـلـيـ تـشـكـلـ عـاـمـلـاـ أـسـاسـيـاـ مـنـ عـوـاـمـلـ النـشـتـتـ وـ الـافـتـرـاقـ، وـ سـداـ مـنـيـعـاـ أـمـامـ كـلـ مـسـاعـيـ الـوـحدـةـ وـ التـقـارـبـ بـيـنـ الـمـذاـهـبـ الـإـسـلـامـيـةـ.

وـ الـحـقـيقـةـ أـنـ الـخـلـافـاتـ الـفـكـرـيـ بـمـنـزـلـةـ إـخـتـلـافـ الـلـغـةـ وـ اـخـتـلـافـ الـقـومـيـ وـ أـمـاثـلـ ذـلـكـ، لـيـسـتـ فـيـ وـاقـعـهـاـ مـنـ عـوـاـمـلـ الـافـتـرـاقـ وـ النـزـاعـ، وـ لـكـنـهاـ ثـغـرـةـ قـدـ يـسـتـغـلـهـاـ الـأـعـدـاءـ وـ زـارـعـوـ الـفـتـنـ فـيـتـخـذـونـ مـنـهـاـ ذـرـعـةـ لـبـثـ الـفـرـقـةـ وـ النـزـاعـ وـ الـخـصـومـةـ.

لـذـلـكـ فـيـ هـذـاـ الـعـصـرـ، فـيـ لـحـظـةـ زـمـنـيـةـ حـسـاسـةـ، حـيـثـ تـكـالـبـ الـأـعـدـاءـ عـلـىـ اـمـةـ الـمـسـلـمـينـ فـيـ كـلـ حـدـبـ وـ صـوبـ وـ يـرـيدـونـ انـ يـمـزـقـوـ شـمـلـ الـأـمـةـ وـ يـفـرـقـوـ وـحـدـتـهـمـ، نـحـنـ أحـجـوحـ مـاـ نـكـونـ إـلـيـ الـحـوـارـ، الـحـوـارـ الـعـلـمـيـ، الـبـنـاءـ، الـنـزـيـهـ، الـهـادـفـ الـذـيـ يـتـوـخـيـ تـوـضـيـحـ مـعـالـمـ الـحـقـيـقـةـ وـ اـسـتـجـلـاءـ مـلـامـحـ الـوـاقـعـ. الـحـوـارـ مـنـ اـجـلـ التـقـارـبـ، فـالـتـاخـيـ، فـاقـامـةـ جـبـهـةـ اـسـلـامـيـةـ وـاحـدـةـ عـرـيـضـةـ، تـرـهـبـ عـدـوـالـهـ وـ عـدـوـالـمـسـلـمـينـ وـ هـذـاـ مـنـ القـوـةـ الـتـيـ أـمـرـنـاـ اللـهـ تـعـالـىـ باـعـدـادـهـاـ. «وَأَعِدُّوْهُمْ مـاـ اـسـتـطـعـمـ مـنـ قـوـةـ وـ مـنـ رـبـاطـ الـحـيـلـ مـرـهـبـوـنـ بـهـ عـدـوـالـلـهـ وـعـدـوـهـمـ وـآخـرـيـنـ مـنـ دـوـنـهـمـ».<sup>(٣)</sup>

وـ يـجـبـ أـنـ يـبـداـ الـحـوـارـ مـنـ مـنـاطـقـ الـخـلـافـ الـتـيـ هـيـ فـيـ الـجـزـئـاتـ دونـ الـكـلـيـاتـ وـ فـيـ بـعـضـ التـفـاصـيلـ دونـ الـأـسـاسـيـاتـ وـ رـحـمـ اللـهـ الـأـمـمـ الـسـيـدـ عـبـدـ الـحـسـنـ شـرـيفـ الـدـيـنـ حـيـثـ قـالـ: «أـنـ مـاـ يـجـمـعـنـاـ أـكـثـرـ مـاـ يـفـرـقـنـاـ». إـنـ هـذـاـ الـعـصـرـ هوـ عـصـرـ التـحـاوـرـ وـ التـحـالـفـ ضـدـ الـإـسـلـامـ فـلـمـاـ لـاـ يـكـوـنـ عـصـرـ التـقـارـبـ وـ التـالـفـ بـيـنـ الـمـسـلـمـينـ عـمـلاـ بـقـوـلـهـ تـعـالـىـ: «وـ قـاتـلـوـ الـمـشـرـكـينـ كـافـةـ كـمـاـ يـقـاتـلـونـكـمـ كـافـةـ».<sup>(٤)</sup>؟

بلـ لـمـاـ لـاـ نـعـرـفـ عـنـ اـقـلامـنـاـ إـلـىـ بـيـانـ مـوـاضـعـ الـوـفـاقـ بدـلـاـ مـنـ اـثـارـةـ وـ تـكـبـيرـ مـوـاطـنـ الـخـلـافـ؟ وـ لـمـاـ لـاـ نـتـبـعـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ اـذـ يـقـوـلـ: «الـذـيـنـ يـسـتـمـعـونـ الـقـوـلـ فـيـتـبـعـونـ أـحـسـنـهـ»<sup>(٥)</sup> فـنـعـرـضـ الـقـوـلـ كـلـهـ ثـمـ نـخـتـارـ اـفـضـلـهـ.

وـ لـمـاـ لـاـ نـعـرـفـ الـأـرـاءـ عـلـىـ بـسـاطـ الـبـحـثـ فـيـ جـوـّـ مـنـ الـأـصـفـاءـ وـ الـأـخـاءـ وـ بـمـوـضـوعـيـةـ وـ تـجـرـدـ لـيـزـولـ الـوـهـمـ وـ تـنـدـاحـ حـجـبـ الشـقـاقـ وـ تـنـزـاحـ نـسـبـ الـخـلـافـ؟ هـذـاـ الـمـقـالـ خـطـوـةـ عـلـىـ هـذـاـ الـطـرـيـقـ السـلـيمـ نـرـجـوـ أـنـ يـوـقـنـاـ اللـهـ تـعـالـىـ إـلـىـ مـاـ يـحـبـ وـ يـرـضـيـ.

(٢) - آل عمران / ١٠٣

(٣) - سورة الانفال / ٦٠

(٤) - سورة توبه / ٣٦

(٥) - سورة زمر / ١٧

لقد كرم الله تعالى الإنسان وفضله على كثير من خلق ما أعطاه من العقل ليميز به الأشياء، ويختار ما يراه مناسباً ومتوافقاً مع ما أراده الله تعالى له من الوصول إلى الكمال من خلال العبودية لله وحده، قال تعالى: «ومَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ»<sup>(٦)</sup>.

لقد شرف الله تعالى هذا الإنسان على بقية مخلوقاته باليعبادة، وجعل الصلاة من أفضل العبادات، فهي صلة العبد بربه، ومراجعة المؤمن، وقربان كل تقى، والحد الفاصل بين المسلم والكافر، والميزان في قبول الأعمال، وفي الأثر عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إن أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة، فإذا قبلت قبل سائر عمله، وإذا ردت عليه، رد عليه سائر عمله»<sup>(٧)</sup>.

والصلاحة هي العبادة التي يمثل بها العبد أمام خالقه واهب الحياة، وهي التي تطهر روحه، وتتصدى عن الفحشاء والمنكر، وتهديه إلى سواء السبيل، قال تعالى: «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر»<sup>(٨)</sup>.

وأفضل أجزاء الصلاة وأهمها هو السجود لله سبحانه وتعالى، والسجود - في نظر الإسلام - هو غاية الخصوص والتواضع البشري أمام الله عز وجل - خالق الكون ورب العالمين - وذرورة التحليق والسمو الإنساني في مسيرة العبودية لله وحده، لذا يحرم السجود لغير الله سبحانه وتعالى بأي شكل كان، وليس السجود مقتضاها على الإنسان وحده، قال تعالى: «ولله يسجد من في السموات والأرض»<sup>(٩)</sup>.

ان المسلمين متتفقون بأجمعهم على وجوب السجود في الصلاة في كل ركعة مرتين، ولم يختلفوا في المسجدول له، فإنه هو الله سبحانه الذي له يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكراهاً<sup>(١٠)</sup> وشعار كل مسلم قوله سبحانه: «لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن»<sup>(١١)</sup>. وإنما يختلفون فيما يصح السجود عليه، ولهم في هذه المسألة آراء متعددة.

ويرى الشيعة المسلمين وهم الأتباع الصادقون للقرآن الكريم والستة الحمدية الشريفة، وسيرة أهل بيته الطيبين، يرون تبعاً لأحاديث رسول الله ﷺ وعترته الطاهرة والسيرة العملية التي كان عليها أصحابه الكرام أن السجود لله يجب أن يكون على الأرض وما ينت منها (إلا ما يؤكل ويلبس) لا غير.

ومن جانب آخر يتسع المسلمين من أهل السنة في موضع السجود ويرون أنه لا يجب السجود على خصوص ما ذكر فقط، بل يجوز للإنسان أن يسجد في الصلاة على أشياء أخرى أيضاً.

اما ذكر تبيان بخلاف أن كلا الفريقين المسلمين يسجدون بهدف اظهار الخصوص والتواضع لله تعالى، وامتثال أمره، وتوخيا لرضاه، وطلب امراضاته، ولا خلاف بينهم في هذا المجال، وفي هذه النقطة.

وعلى هذا فإن ما يقوله بعض الكتاب الذين تصورو أن السجود على التراب، أو تربة الحسينية نوع من الشرك، لأنه يعني عبادتهم، وهو باطل، وكلام لا أساس له من الصحة»<sup>(١٢)</sup>.

وها نحن بعد تعريف السجود في اللغة والاصطلاح - للتوضيح الاكثر - نطرح في ما يأتي بحثاً يعكس وجهة نظر الشيعة في هذا الصعيد.

(٦) - الذاريات / ٥٦.

(٧) - وسائل الشيعة، ج ٤، ص ٣٤، ح ٤٤٤٢.

(٨) - سورة العنكبوت / ٤٥.

(٩) - سورة التحليل / ٤٩.

(١٠) - إشارة إلى قوله سبحانه: «ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكراهاً وظلالُهُم بِالْغُدوِّ وَالْأَصْلَالِ»، سورة الرعد . ١٥/ ٣٧.

(١١) سورة فصلت / ٣٧.

(١٢) - السجود على الأرض ، ص ١٠ ، منشورات موسسه الإمام المهدى ، عام الطبع ١٤١٣ هـ.

## تعريف السجود

### السجود في اللغة:

الطاعة والخضوع، يقال: سَجَدَ، سُجُودًا، أي: خضع وتطامن<sup>(١٣)</sup>، ومنه قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لِهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...)<sup>(١٤)</sup>. فهذا لسان حال تلك المخلوقات في الطاعة والخضوع، وكل شيء ذلٌّ فقد سجد<sup>(١٥)</sup>، وهو ساجد. والجمع: سُجُودٌ، وسُجُودٌ<sup>(١٦)</sup>.

**والسجاد:** الكثير السجود<sup>(١٧)</sup>، ورجل سجاد: على وجهه سجادة، أي: ثفنة من أثر السجود<sup>(١٨)</sup>. وقد اشتهر به الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام لكثر سجوده لله تعالى ولهذا لقب عليه السلام بالسجاد، وذى الثنات.

**والمسجد:** جبهة الرجل حيث يصييه أثر السجود<sup>(١٩)</sup>، والجمع مَسَاجِدُ، والمساجدُ من بدن الإنسان: الأعضاء السبعة التي يسجد عليها، وهي: الجبهة واليدان والركبتان والقدمان<sup>(٢٠)</sup>. والمسجد: بيت الصلاة<sup>(٢١)</sup>، ومكانها المخصص. والمسجد الحرام: الكعبة، والمسجد الأقصى: مسجد بيت المقدس، قال تعالى: (سبحان الذي أسرى بيده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله)<sup>(٢٢)</sup>. والجمع: مساجد.

### السجود في الاصطلاح:

لا شك أن السجود من فرائض الصلاة وهو الانحناء ووضع أعضاء السجود<sup>(٢٣)</sup> على الأرض، بحيث يساوي موضع جبهته موقفه، أو يزيد بقدر لبنة لا غير<sup>(٢٤)</sup>. وحقيقة: وضع الجبهة وباطن الكفين والركبتين وطرف الابهامين من القدمين على الأرض<sup>(٢٥)</sup>، بقصد التعظيم<sup>(٢٦)</sup>.

وقد روى الفريقان عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: أُمرت أن أسجد على سبعة أعظم: على الجبهة واليدين والركبتين وأطراف القدمين.<sup>(٢٧)</sup>

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام تسمية مثل هذا السجود بالسجود الجسماني، وهو أقل رتبة من السجود الآخر المسمى بالنفسياني، قال عليه السلام: «السجود الجسماني: هو وضع عتائق الوجه على التراب، واستقبال الأرض بالراحتين والركبتين وأطراف القدمين مع خشوع القلب وإخلاص النية.

(١٣) - المعجم الوسيط، ج ١، ص ٤١٦ (سجد)، مكتب نشر الثقافة الإسلامية ١٤١٢ هـ، ط ٤.

(١٤) - سورة الحج ٢٢/١٨.

(١٥) - المصباح المثير، ج ١، ص ٢٦٦ (سجد).

(١٦) - المعجم الوسيط، ج ١، ص ٤١٦ (سجد).

(١٧) - المعجم الوسيط، ج ١، ص ٤١٦ (سجد).

(١٨) - الزمخشري، أساس البلاغة، ٢٨٥ (سجد)، دار الفكر، بيروت ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٩ م.

(١٩) - صحاح اللغة، ٢٢٩ (سجد)، انتشارات ناصر خسرو، طهران ١٣٦٣ هـ ش. وأساس البلاغة: ٢٨٥ (سجد).

(٢٠) - المعجم الوسيط، ج ١، ص ٤١٦ (سجد).

(٢١) - المصباح المثير، الفيومي، ج ١، ص ٢٦٦ (سجد).

(٢٢) - سورة الأسراء ١٧/١.

(٢٣) - أعضاء السجود سبعة، وهي: الجبهة، والكفان، والركبتان، وابهاما الرجال.

(٢٤) - جامع المقاصد في شرح القواعد، المحقق الكركي ج ٢ ص ٢٩٨، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم ١٤١٤ هـ، ط ٢.

(٢٥) - المقمعة، الشيخ المفيد ص ١٠٥.

(٢٦) - مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام، السيد السبزواري ٦: ٤١٦، مؤسسة المدار، ١٤١٢ هـ، ط ٤.

(٢٧) - أخرجه الشيخان البخاري ج ١ ص ٢٠٦ ومسلم ج ١، ص ٣٥٤.

**السجود على الأرض** أبلغ صور التذلل للسبحانه تعالى  
والسجود النفسي : فراغ القلب من الفانيات ، والاقبال بكتنه الهمة على الباقيات ، وخلع الكبر  
والحمية ، وقطع العلائق الدنيوية ، والتحلي بالأخلاق النبوية «<sup>(٢٨)</sup> .

ومع ذلك فان حقيقة السجدة ووقعها ومقومها هو وضع الجبهة على الأرض ، وأما الباقيون فأشبه  
بالشرائط وبدل على ذلك قول أصحاب المعاجم حيث لا يذكرون في تعريف السجدة إلا وضع الجبهة على  
الأرض فكان غيرها من شرائط السجدة التي فرضها الشارع وأضافها إلى حقيقتها اللغوية والعرفية .  
قال ابن منظور ناقلا عن ابن سيده : سجد يسجد سجودا : وضع جبهته بالأرض ، وقوم سجد  
وسجود<sup>(٢٩)</sup> .

وقال ابن الأثير : سجود الصلاة ، وهو وضع الجبهة على الأرض ، ولا خضوع أعظم منه<sup>(٣٠)</sup> .  
وفي «تاج العروس من جواهر القاموس» : سجد : خضع ، ومنه سجود الصلاة وهو وضع الجبهة على  
الأرض ، ولا خضوع أعظم منه ، والاسم ، السجدة (بالكسر)<sup>(٣١)</sup> .

وهذه الكلمات من أصحاب المعاجم ونظائرها المبثوثة في كتب اللغة ، تعرب عن أن حقيقة السجدة  
ووقعها ومقومها هو وضع الجبهة على الأرض ، ولو لا أن النبي ﷺ فرض السجود على سبعة أعظم  
لكفى وضع الجبهة على الأرض ، ولكنه ﷺ أضاف إلى الوضع أمورا أخرى ، فصار الواجب السجود  
على سبعة أعظم .

إذا كان كذلك فلا غرو في أن يختص وضع الجبهة بشرط خاص دون سائر الأعضاء ، وهو اشتراط كون  
المسجود عليه هو الأرض أو ما ينبع منها ولا يجوز السجود على غيرها دون سائر الأعضاء<sup>(٣٢)</sup> .

### نظريّة الشيعة

يذهب أتباع أهل البيت - ع - إلى أن السجود لله تعالى إنما يجوز - تبعاً للسنة والسير - على  
خصوص الأرض وما ينبع منها (الـ ما يؤكل ويلبس) ، ويرجحون السجود على التراب لاظهار غاية  
الخضوع والتذلل أمام الله سبحانه ، لأن السجود على التراب الذي هو أقوى مظاهر لتواضع الانسان أمام  
الخلق العظيم ينبع الانسان رسولاً وثيالاً أكبر في مقام العبودية ، ويقرره إلى هدف الخلق أكثر فأكثر<sup>(٣٣)</sup> .

### الفرق بين المسجود له والمسجود عليه

كثيراً ما يتصور أن الالتزام بالسجود على الأرض أو ما أنت منها بدعة وتتخيل التربية المسجود عليها  
وشاً ، وهؤلاء ، هم الذين لا يفرقون بين المسجود له ، والمسجود عليه ، ويزعمون أن الحجر أو التربة  
الموضوعة أمام المصلي وثن يبعده المصلي بوضع الجبهة عليه . ولكن لا عتب على الشيعة إذا قصر فهم  
المخالف ، ولم يفرق بين الأمرين ، وزعم المسجود عليه مسجودا له ، وقاس أمر الموحد بأمر المشرك بحججة  
المشاركة في الظاهر ، فأخذ بالصور والظواهر ، مع أن الملائكة هو الأخذ بالبواطن والضمائر ، فالوشن عند  
الوثني معبود ومسجود له ، يضعه أمامه ويرفعه ويُسجد له ، ولكن الموحد الذي يريد إظهار العبودية إلى

(٢٨) - غر الحكم ودرر الكلم ، عبد الواحد الأدمي ، ج ١ ، ص ١٢٢ / ٢٢٣٤ و ٥٢٣٥ ، مؤسسة الأعلمي - بيروت ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ط ١ . ومستدرك وسائل الشيعة ، الميرزا حسين النوري ، ج ٤ ، ص ٤٨٦ / ٥٢٢٢ باب ٢٣ من أبواب السجود ، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ١٤٠٧هـ ، ط ١.

(٢٩) - لسان العرب ، ج ٦ ، مادة سجد.

(٣٠) - النهاية ، ج ٢ ، مادة سجد.

(٣١) - تاج العروس ، ج ٨ ، مادة سجد.

(٣٢) - السجود على الأرض على ضوء الكتاب والسنة ، الفقيه المحقق جعفر سبحانى ص ٩٠ و ١٠ .

(٣٣) - حسني ، سيد رضا ، المسجود على الأرض ، ص ١١ ، ١٤١٣هـ .

نهاية مراتبها، يخضع لله سبحانه ويسجد له ، ويضع جبهته ووجهه على التراب والحجر والرماد والمحصى ، مظهرا بذلك مساواته معها عند التقىم قائلاً : أين التراب ورب الأرباب ؟  
نعم : الساجد على التربة غير عابد لها ، بل يتذلل إلى ربه بالسجود عليها ، ومن توهم عكس ذلك فهو من البلاهة بمكان ، وسيؤدي إلى ارباك كل المصلين والحكم بشركتهم ، فمن سجد على الفرش والقمash وغيره لابد أن يكون عابدا لها على هذا المنوال في للعجب العجاب !<sup>(٣٤)</sup>  
روى الآمدي عن علي أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : السجود الجسماني : وضع عتائق الوجوه على التراب<sup>(٣٥)</sup>.

### **لماذا يصر الشيعة على السجود على الأرض (التراب) وما ينفي عنها ؟**

ولدي الاجابة على هذا السؤال لا بد أن نذكر : بأنه كما أن أصل العمل العبادي يجب أن يعين من قبل الشرع المقدس ، وبعبارة أخرى كما أن أصل العمل العبادي أمر توفيقي يتوقف على بيان الشرع المقدس وأذنه ، كذلك شرائطه وأحكامه هي الأخرى يجب أن توضح وتبين من جانب مبين الشرعية ومبليها وعني رسول الله ﷺ - لأن رسول الله ﷺ هو الأسوة بنص القرآن الكريم وهو المبين للكتاب العزيز ، وعلى المسلمين أن يتعلموا منه أحكام دينهم ، وتفاصيل شريعتهم إذ قال تعالى : « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةً حَسَنَةً لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرِ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا »<sup>(٣٦)</sup> .  
« وَمَا آتَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانهُوا »<sup>(٣٧)</sup>.

و على هذا الأساس اقتبسنا في هذا المجال مقاطع بارزة من أحاديث رسول الله ﷺ وسيرته العملية ، ونماذج من كلمات ، و سيرة أصحابه و التابعين له ﷺ وأغلبها من كتب أهل السنة الحديثية ، و نعرضها على القاري الكريم ، ليري كيف أنها تشهد برمتها على أن رسول الله ﷺ و أصحابه و تابعيه كانوا يسجدون على التراب و ما ينفي من الأرض مثل الحصير ، تماما كما يصنع الشيعة الإمامية اليوم في السجود.

### **أدلة الشيعة لذهبهم:**

#### **١- حديث «جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا» :**

لقد روی جماعة من المحدثين الاسلاميين عن رسول الله ﷺ أنه قال : «جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا»<sup>(٣٨)</sup>.

ولقد وردت هذه الرواية بألفاظ متنوعة في كثير من المؤلفات والمراجع الحديثية الاسلامية :

وفي لفظ : « جعلت لنا الأرض كلها مسجدا وطهورا »<sup>(٣٩)</sup>.

وفي لفظ : « جعلت لي الأرض طيبة وطهورا ومسجدا »<sup>(٤٠)</sup>.

(٣٤) - السجود على الأرض على ضوء الكتاب والسنة ، جعفر سبحانى ، ص ٨.

(٣٥) - غر الحكم ودرالكلم ، ج ١ ص ١٠٧ برقم ٢٢٣٤.

(٣٦) - سورة الأحزاب / ٢١.

(٣٧) - سورة الحشر / ٧.

(٣٨) - صحيح مسلم ، ج ١ ص ٣٧١ ، والبخاري ج ١ ص ٩١ و ١١٩ ، ومسنده احمد ، ج ١ ص ٢٥٠ و ٣٠١ و ٣٠٢ و ٤٤٢ و ٥٠٢ و ٤١١ ، وج ٣ ص ٣٠٤ و ٨٠٣ ، وج ٤ ص ٤١٦ ، وج ٥ ص ١٤٥ و ٢٤٨ و ٢٥٦ و ١٦١ و ١٤٨ و ٣٨٣ و ٣٨٤ ، والبداية والنهاية ج ٦ ص ٤١ ، واقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٣٣٢ والوسائل ج ٢ ص ٩٦٩ وج ٣ ص ٤٢٢ ، عن الكافي والخلصال والفقيه والفتیه ج ١ ص ٢٣١ ط الغفاری ، والسنن للبیهقی ، وج ٢ ص ٤٣٣ و ٤٣٥ ، وج ١ ص ٤٤٥ و ٢١٢ باسانید متعددة ، والبخاري ج ١٨ ص ٣٠٥ ، وج ٨٠ ص ١٤٧ ، وج ٨٣ ص ١٤٧ ، وارشاد الساری ج ١ ص ٤٣٥ ، وفتح الباری ، وج ١ ص ٣٧٠ ، والینایع ص ٢٤٤ ، وابو داود ج ١ ص ١٣٢ ، وسنن الدارمی ج ٢ ص ٢٢٤ .

(٣٩) - صحيح مسلم ، ج ١ ، ص ٣٧١ ، وسيرتنا عن ابی داود والنسائي والترمذی.

السجود على الأرض أبلغ صور التذلل لله سبحانه وتعالى

وفي لفظ : « جعلت لك ولا متك الارض كلها مسجدا وطهورا »<sup>(٤١)</sup>.

وفي لفظ : « ان الله جعل لي الارض مسجدا وطهورا اينما كنت أتيتكم واصلني عليها »<sup>(٤٢)</sup>.

وفي لفظ : « الارض لك ولا متك طهورا ومسجدنا »<sup>(٤٣)</sup>.

وفي لفظ : « جعلت لي الارض مسجدا ترابها طهورا »<sup>(٤٤)</sup>.

وفي لفظ : « جعلت الارض مسجدا ترابها وطهورا »<sup>(٤٥)</sup>.

وفي لفظ : « عن ابي امامه الباهلي : ان رسول الله ﷺ قال فضلني ربى على الانبياء عليهم الصلاة والسلام او على الامم باربع قال ارسلت إلى الناس كافة ، وجعلت الارض كلها لي ولا متي مسجدا وطهورا فايمنا ادركت رجلا من امتى الصلاة فعنه مسجده وعنده طهوره »<sup>(٤٦)</sup>.

في ضوء هذه الأحاديث المتواترة والمقبولة لدى جميع علماء الإسلام ومحدثيه يتضح ويشتت بخلافه أن وجه الأرض ، تربا كان أو صخرا ، أو حصي أو نباتا هو الأصل في السجود ، أي هو الذي يجب أن يتخذ موضعا للسجود ، ولا يجوز التعدي عن ذلك من دون عذر مشروع.

كما أن لفظة (جعل) هنا تعني - من دون ابهام - التشرع والتقنين ، فيكون معنى الحديث أن هذا الأمر (أي السجود على وجه الأرض) حكم الهي شرعه الله لأتباع الإسلام ، وهكذا ثبتت مشروعية السجود على الأرض وأجزائها.

#### ٤- حديث تبريد الحصى للسجود عليه:

- عن جابر بن عبد الله الانصاري قال : « كنت أصلي مع النبي ﷺ الظهر فأخذ قبضة من الحصى فأجعلها في كفي ثم احولها إلى الكف الآخر حتى تبرد ثم أضعها لجبيني حتى اسجد عليها من شدة الحر »<sup>(٤٧)</sup>.

وعلى عليه البيهقي بقوله : قال الشيخ : « ولو جاز السجود على ثوب متصل به لكان ذلك أسهل من تبريد الحصى بالكف ووضعها للسجود »<sup>(٤٨)</sup>.

ونقول : « ولو كان السجود على مطلق الثياب سواء كان متصلًا أم منفصلًا جائزًا ، لكان أسهل من تبريد الحصى ، ولأمكن حمله منديل أو سجاده أو ما شابه للسجود عليه ».

- روى أنس قال : « كنا مع رسول الله ﷺ في شدة الحر ، فيأخذ أحدنا الحصبة في يده فإذا برد وضعه وسجد عليه »<sup>(٤٩)</sup>.

(٤٠) - صحيح مسلم ج ١، ص ٣٧١ ، والسنن للبيهقي، ج ٦ ، ص ٢٩١ ، وسيرتنا، ص ١٢٦ ، ويقرب منه ما في تاريخ الذهبي، ج ٢، ص ٣٧٥ ، وفتح الباري، ج ١، ص ٣٧١ عن ابن المنذر وابن الجارود، وقرب منه ما في الجامع الصغير للسيوطى ج ١، ص ١٤٤.

(٤١) - البحار، ج ٨٣، ص ٢٧٧.

(٤٢) - البحار، ج ٨٣، ص ٢٧٧ عن مجالس ابن الشيخ بستدين.

(٤٣) - البحار، ج ٨٣، ص ٢٧٨.

(٤٤) - البحار، ج ٨٣، ص ٢٧٨ ومسند ابي غوثه ج ١، ص ٣٠٣.

(٤٥) - شرح عون المبود، ج ١، ص ١٨٢.

(٤٦) - مصباح المستد للشيخ قوام الدين القمي الوشنوي (مخطوط) ، وقرب منه ما في تيسير الوصول، ج ١، ص ٣١٥.

(٤٧) - كنز العمال، ج ٤، ص ١٨٨ ، وفي طبعة، ج ٨، ص ٢٤ ، والنمسائي، ج ٢، ص ٤٠ ، وابو داود، ج ١، ص ١١٠ ، ومسند احمد، ج ٣، ص ٣٢٧ ، وسنن البيهقي، ج ١، ص ٤٣٩ عن جابر، وج ٢، ص ٥ و ١٠٥ عن ابي داود، ج ١، ص ١٠٦ عن جابر وأنس ، وشرح الاحدوي جامع الترمذى، ج ١، ص ٤٠٥ ، وشرح عون المبود لسنن ابي داود، ج ١، ص ٢٤٩ عن أنس ، وسيرتنا ص ١٢٧ نقلوه بالفاظ متقاربة.

(٤٨) - سنن البيهقي، ج ٢، ص ١٠٥.

(٤٩) - السنن الكبرى، ج ٢، ص ١٠٦.

- عن خباب بن الأرت قال: «شكونا إلى رسول الله ﷺ شدة الرمضان في جهاهنا وأكفنا فلم يشكونا»<sup>(٥٠)</sup>.

- قال ابن الأثير في معنى الحديث: «إنهم لما شكوا إليه ما يجدون من ذلك، لم يفسح لهم أن يسجدوا على طرف ثيابهم»<sup>(٥١)</sup>.

هذه المؤثرات تعرّب عن أن السنة في الصلاة كانت جارية على السجود على الأرض فقط، حتى أنّ الرسول ﷺ لم يفسح لل المسلمين العذر عنها إلى الثياب المتصلة أو المفصلة، وهو ﷺ مع كونه بالمؤمنين رؤوفاً رحيمًا أوجب عليهم مس جاههم الأرض، وإن آذتهم شدة الحر.

### ٣- أمر النبي ﷺ بالسجود على التراب:

إن طائفة من الروايات تدل على هذه النقطة، وهي أنّ رسول الله ﷺ كان يأمر المسلمين بالسجود على التراب ،

و ندرج نماذج من هذه الأحاديث:

- عن خالد الجهنمي : «قال: رأى النبي ﷺ صهيباً يسجد كأنه يتقي التراب فقال له: ترب وجهك يا صهيب»<sup>(٥٢)</sup>.

والظاهر أنّ صهيباً كان يتقي عن الترب، بالسجود على الشوب المتصل والمفصل ، ولا أقل بالسجود على الحصر والبواري والأحجار الصافية ، وعلى كل تقدير ، فالحديث شاهد على أفضلية السجود على التراب في مقابل السجود على الحصى لما دل من جواز السجدة على الحصى في مقابل السجود على غير الأرض.

- روى أم سلمة : رأى النبي ﷺ غلاماً لنا يقال له «أفلح» ينفع إذا سجد ، فقال : «يا أفلح ترب»<sup>(٥٣)</sup>.

وفي رواية : «يا رياح ترب وجهك»<sup>(٥٤)</sup>.

- روي أبو صالح قال: دخلت على أم سلمة ، فدخل عليها ابن أخي لها فصلّى في بيتها ركعتين ، فلما سجد نفع التراب ، فقالت أم سلمة : ابن أخي لا تنفع<sup>(٥٥)</sup> ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لغلام له يقال له يسار و نفع -: «ترب وجهك لله»<sup>(٥٦)</sup>.

ولقد جاء نظير هذه الأحاديث في كثير من المصادر والجواجم الحديبية الإسلامية السننية والشيعية . و يتضح من لفظة (ترب) في كلام رسول الله ﷺ أمران :

الاول: أن على الإنسان أن يضع جبهته - عند السجود - على التراب<sup>(٥٧)</sup>.

والآخر: أن هذا المطلب ، للأمر به ، مطلب واجب التنفيذ ، لأن لفظة (ترب) التي هي مشتقة من التراب جاءت في صيغة الأمر الدالة على الوجوب .

(٥٠) - سنن البيهقي ، ج ٢ ، ص ١٠٥ باب الكشف عن الجهة.

(٥١) - النهاية ، لابن أثير ، ج ٢ ، ص ٤٩٧ ، مادة «شكا».

(٥٢) - كنز العمال ، ج ٧ ، ص ٤٦٥ برقم ١٩٨١٠.

(٥٣) - المصدر نفسه ، ج ٧ ، ص ٤٥٩ برقم ١٩٧٧٦.

(٥٤) - المصدر نفسه ، ج ٧ ، ص ٤٥٩ برقم ١٩٧٧٧ ..

(٥٥) - المصدر نفسه ، ج ٧ ، ص ٤٦٥ ، برقم ١٩٨١٠ ؛ مسنّ أحمد ، ج ٦ ، ص ٣٠١.

(٥٦) - المصدر نفسه ، ج ٧ ، ص ٤٦٥ ، برقم ١٩٨١٠ ؛ مسنّ أحمد ، ج ٦ ، ص ٣٠١.

(٥٧) - ارشاد الساري ، ج ١ ، ص ٤٠٥ ..

السجود على الأرض أبلغ صور التذلل لل سبحانه و تعالى  
واوضح أن فلسفة تفضيل السجود على خصوص التراب ، هي أن هذا العمل أصدق مظاهر للتواضع و  
الخضوع أمام الله خالق الكون و رب العالمين ، وهو كفيل بأن يحرر الانسان من الاستمرار في التكبر و  
العجب .

ولهذا يقول رسول الاسلام ﷺ : «إذا صلّى أحدكم فليلزم جبهته وأنفه الأرض حتى يخرج منه الرغم» .  
قال صاحب النهاية : أي يظهر ذله و خضوعه <sup>(٥٨)</sup> .

**٤- الأمر بحسن العمامة عن الجبهة :**  
إن من الأدلة على وجوب السجود على التراب أمر النبي الأكرم ﷺ بازاحة العمامة عن الجبهة عند السجود .

ولقد أورد المحدثون الاسلاميون روایات كثيرة تحكي عن أنّ رسول الله ﷺ نهى الاشخاص الذين فصلوا بين جماهم و وجه الأرض بشيء من عمامتهم .

و نذكر فيما يأتي نماذج من هذه الأحاديث :

- روي ان النبي ﷺ كان إذا سجد رفع العمامة عن جبهته <sup>(٥٩)</sup> .

- روي صالح بن حيوان السبائي ان رسول الله ﷺ رأى رجلا يسجد بجنبه وقد اعتم على جبهته ، فحسر رسول الله ﷺ عن جبهته <sup>(٦٠)</sup> .

- عن عياض بن عبد الله القرشي قال : «رأى رسول الله ﷺ رجلا يسجد على كور عمamatه فاواما بيده : ارفع عمامتك وأواما إلى جبهته» <sup>(٦١)</sup> .

- عن النبي ﷺ : «انه نهى أن يسجد المصلي على ثوبه أو على كمه أو على كور عمamatه» <sup>(٦٢)</sup> .  
هذه الروايات تكشف عن أنه لم يكن لل المسلمين يوم ذلك تكليف إلا السجود على الأرض وهذا كان امرا مسلما في زمن رسول الله ﷺ إلى درجة ان بعض المسلمين كان إذا أراد أن يسجد على كور عمamatه بدل وضع الجبهة على الأرض نهاد رسول الله ﷺ عن ذلك ، على حين إذا كان السجود على كل الشيء حتى الملبوسات كالعمامة لما كان يمنع منها رسول الله ﷺ .

#### ٥- حديث لزوم الجبهة و تصويبها و تمكينها بالارض:

قال رسول الله ﷺ : «إذا صلّى أحدكم فليلزم جبهته وأنفه الأرض حتى يخرج منه الرغم» <sup>(٦٣)</sup> .  
من ارغم الله انه أي الصفة بالرغم وهو التراب ، هذا هو الاصل ثم استعمل في الذل والعجز عن الانتصار والانقياد على كره فالمراد من قوله ﷺ : «حتى يخرج منه الرغم» أي يظهر ذله و خضوعه .

- وعن ابن عباس أنه قال : «إذا سجدت فالصقب انفك بالارض» وقال : «لا صلاة لمن لا يمس انهه الأرض» <sup>(٦٤)</sup> .

(٥٨) - النهاية لابن الأثير، ج ٢ ، مادة رغم.

(٥٩) - الطبقات ج ١ ، ص ١٥١ ق ٢.

(٦٠) - السنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ، ص ١٠٥ ، وسيرتنا ص ١٢٨ عنه ، وعن نصب الرأبة للزياني ص ٣٨٦ ، والبحار ج ٨٥ ، ص ١٥٧ ، وفي الاصابة ج ٢ ، ص ٢٠١ في ترجمة صالح بن حيوان ، واسد الغابة ج ٣ ، ص ٩ في ترجمة صالح والمدونة الكبرى ج ١ ، ص ٧٣ .

(٦١) - المصادر المتقدمة.

(٦٢) - البحار ج ٨٥ ، ص ١٥٦ عن الدعائم.

(٦٣) - النهاية لابن الأثير كلمة «رغم» .

(٦٤) - المصنف ، ج ٢ ، ص ١٨١ و ١٨٢ ، والمستدرك للحاكم ج ١ ، ص ٢٧٠ ، والسنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ، ص ١٠٣ و ١٠٤  
بأسانيد متعددة.

- وقال ابن عباس : «من لم يلزق أنفه مع جبهته الأرض إذا سجد لم نجز صلاته»<sup>(٦٥)</sup>. الدلالة في الحديث الاول بالاولوية ، إذ ايجاب الصاق الانف يدل على ايجاب الصاق الجبهة طبعا ، كما في قوله تعالى : (ولا تقل لهما اف) حيث تدل على حرمة الايذاء والعقوق بالاولوية وأما الحديث الثاني ، فقد صرخ فيه ابن عباس بحكم الجبهة وأن الصلاة تكون باطلة مع عدم الالصاق.
- روي عن النبي ﷺ : «إذا سجّدت فمكّن جبّتك وانفك من الأرض»<sup>(٦٦)</sup>.
- قال ﷺ لابي ذر : «الارض لك مسجد فحيثما ادركت الصلاة فصل»<sup>(٦٧)</sup>.
- عن رفاعة بن رافع مرفوعا : «ثم يكبر فيسجد فيمكّن جبّته من الارض حتى تطمئن مفاصله وتستوي»<sup>(٦٨)</sup>.
- روي عن ابن عباس عن النبي ﷺ : «إذا سجّدت فمكّن جبّتك وأنفك من الأرض»<sup>(٦٩)</sup>.
- تسحّوا بالارض فإنها بكم برة (عن سلمان ره)<sup>(٧٠)</sup>.
- «لاتقبل صلاة من لا يصيّب أنفه الأرض» (عن امعطية)<sup>(٧١)</sup>.
- «لاصلاة لمن لا يمس أنفه الأرض ما يمسه الجبين (عن عكرمة)<sup>(٧٢)</sup>.
- «لا يقبل الله صلاة لا يصيّب الانف منها ما يصيّب الجبين» (عن عكرمة)<sup>(٧٣)</sup>.
- «اسجّدوا على الأرض أو على ما انبت الأرض»<sup>(٧٤)</sup>.
- «لاصلاة لمن لم يضع أنفه بالارض مع جبّته في الصلاة»<sup>(٧٥)</sup>.
- «لاصلاة لمن لم يضع أنفه على الأرض»<sup>(٧٦)</sup>.

## ٦- سيرة النبي ﷺ :

إن المسلمين متفقون جمعيا على أن رسول الله ﷺ أسوة للمسلمين في كل عصر و مصر ، وأن سيرته العلمية مشعل و ضاء ينير طريق المسلمين في جميع أبعاد الحياة . يقول القرآن الكريم في هذا المجال :

«لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةً حَسَنَةً لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا»<sup>(٧٧)</sup>.

من هنا لابد حتى في مسألة السجود من التأسي بسيرة رسول الله ﷺ والاقتداء بسيرته و اتباع سنته . والآن لابد من دراسة السيرة العملية لرسول الله ﷺ في هذا المجال في ضوء الروايات الإسلامية ، وبخاصة الأحاديث الواردة في مؤلفات أهل السنة .

- 
- (٦٥) - كنز العمال، ج ٤، ص ١٠٠ ، وفي طبقة ج ٧ ص ٣٢٨ ، وجمع الزواندج ٢ ، ص ١٢٦ عن الطبراني في الكبير والوسط .
  - (٦٦) - احكام القرآن للجصاص ج ٣ ، ص ٣٦ وفي طبقة، ج ٥ ، ص ٣٦ .
  - (٦٧) - النسائي، ج ٢ ، ص ٣٢ ، وسيرتنا ص ١٢٦ عنه .
  - (٦٨) - سيرتنا ص ١٢٧ عن السنن الكبرى للبيهقي، ج ٢ ، ص ١٠٢ .
  - (٦٩) - احكام القرآن للجصاص، ج ٣ ، ص ٢٠٩ ، وفي طبعة، ج ٥ ص ٣٦ .
  - (٧٠) - كنز العمال، ج ٧ ، ص ٣٢٥ ، والبحارج ٨٥ ص ١٥٨ .
  - (٧١) - كنز العمال، ج ٧ ، ص ٣٢٨ .
  - (٧٢) - كنز العمال، ج ٧ ، ص ٣٢٨ .
  - (٧٣) - كنز العمال، ج ٧ ، ص ٣٢٨ .
  - (٧٤) - البحار، ج ٨٥ ، ص ١٥٤ .
  - (٧٥) - كنز العمال ج ٧ ، ص ٣٢٨ .
  - (٧٦) - الدارقطني، ج ٢ ، ص ٣٤٩ .
  - (٧٧) - سورة الأحزاب / ٢١ .

يستفاد من ثنايا الأحاديث الكثيرة الواردة في هذا المجال أن النبي ﷺ كان يسجد على تكرض و الأشياء المصنوعة مما ينبع من الأرض كالحصير وهذا الطريق هو الذي يسلكه الشيعة اتباعاً لرسول الله ﷺ واستناداً بسننته.

و على هذا ينبغي ان ندرج الروايات والأحاديث المذكورة في الصنفين الآتيين :

### الصنف الأول:

- الأحاديث التي وردت حول سجود النبي على الأرض (تراياً كان أهلاً صخراً أو غيره). و نذكر من هذه الأحاديث ثنايا لاطلاق:
  - يقول الوائل بن حجر : «رأيت النبي ﷺ إذا سجد وضع جبهته وأنفه على الأرض»<sup>(٧٨)</sup>.
  - يقول ابن عباس : «أن النبي ﷺ سجد على الحجر»<sup>(٧٩)</sup>.
  - روي عن عائشة : «ما رأيت رسول الله ﷺ متقياً وجهه بشيء»<sup>(٨٠)</sup> تعني في السجود. إن الكلام المذكور يكشف عن أن رسول الله ﷺ كان - بشهادة زوجته - يسجد دائماً على الأرض، و يتتجنب الفصل بين جبهته الشريفة والأرض بأي مانع وعائق.
  - روى أحمد بن شعيب النسائي في سنته عن أبي سعيد الخدري وهو من صحابة النبي ﷺ قوله : «بصرت عيناي رسول الله ﷺ على جبينه وأنفه أثر الماء والطين»<sup>(٨١)</sup>.
  - فعن أبي هريرة : «سجد رسول الله ﷺ في يوم مطير حتى أني لأنظر أثر ذلك في جبهته وأربنته»<sup>(٨٢)</sup>.

من هذه الأحاديث ونظائرها يتضح بخلافه أنَّ النبي ﷺ كان يرجم السجود على وجه الأرض حتى في حال نزول المطر، بحيث شوهد أثر الماء والطين على جبهته الشريفة.

- يقول ابن عباس : «رأيت رسول الله ﷺ يصلِّي في كساء أبيض في غداة باردة يتقي بالكساء برد الأرض بيده ورجله»<sup>(٨٣)</sup>.

- ويقول في موضع آخر :

«لقد رأيت رسول الله ﷺ في يوم مطير وهو يتقي الطين إذا سجد بكساء عليه يجعله دون يديه إلى الأرض إذا سجد»<sup>(٨٤)</sup>.

يستفاد من ظاهر هذه الأحاديث أنَّ النبي ﷺ كان حتى في الحالات الاضطرارية كالمطر والبرد الشديد، لا يضع قطعة من القماش بين جبهته والأرض كعازل يمنع من الرطوبة والبرودة الشديدة، لأنَّه ليس في الأحاديث المذكورة اشارة إلى وضع اللباس بين جبهته وجه الأرض.

### الصنف الثاني:

الأحاديث التي تحكي عن السجود النبي ﷺ على أجزاء بعض النباتات كالحصير. وقد أورد المحدثون الإسلاميون من الشيعة والسنَّة هذا النوع من الأحاديث في كتبهم أو مؤلفاتهم الحديثية المعترفة.

- أحكام القرآن للجصاص، ج ٣، ص ٢٠٩ طبعة بيروت.
- سنن البيهقي، ج ٢، ص ١٠٢<sup>(٧٩)</sup>.
- المصنف، ج ١، ص ٣٩٧ وكتزان العمال، ج ٤، ص ٢١٢ وفي طبعة أخرى، ج ٨، ص ٨٥<sup>(٨٠)</sup>.
- سنن النسائي، ج ٢، ص ٢٠٨، السجود على الجبين.<sup>(٨١)</sup>
- مجمع الزوائد، ج ٢، ص ١٢٦<sup>(٨٢)</sup>.
- سنن البيهقي، ج ٢، ص ١٠٦<sup>(٨٣)</sup>.
- سيرتنا وستتنا ص ١٣٢ نقلًا عن أحمد بن حنبل.<sup>(٨٤)</sup>

- وفي هنا ذكر فيما يأتي نماذج من هذه الأحاديث و خاصة ما ورد منها في جوامع أهل السنة الخديبية :
- قال أبوسعيد : « دخلت على رسول الله ﷺ و هو يصلّي على حصير »<sup>(٨٥)</sup>.
  - وقد روي عن أبي سعيد الخدري مAILYI : « ... فرأيته يصلّي على حصير يسجد عليه »<sup>(٨٦)</sup>.
  - وروي عن عاشرة - زوجة النبي ﷺ - في « فتح الباري » انها قالت : « إن النبي كان له حصير يبسطه و يصلّي عليه »<sup>(٨٧)</sup>.
  - وروي عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) في بحار الأنوار أنه قال : « إن رسول الله ﷺ صلّى على حصير »<sup>(٨٨)</sup>.
  - يقول أنس : « كان رسول الله ﷺ يصلّي عن الخمرة و يسجد عليها »<sup>(٨٩)</sup>.
  - وروي مسلم بن الحجاج في صحيحه : « عن أبي سعيد الخدري : إنه دخل على رسول الله ﷺ - فوجده يصلّي على حصير يسجد عليه »<sup>(٩٠)</sup>.
- في ضوء الأحاديث المذكورة التي تبين و تعكس سيرة النبي ﷺ في مجال السجود يتبيّن بوضوح أنه ﷺ كان متزماً بأن يسجد على الأرض و التراب و بعض ما ينبع من الأرض مثل الحصيرالمصنوع من خوص جريد النخل ، ولا نرى في هذه الروايات أي اثر من سجوده ﷺ على المأكولات والملبوسات أبداً . و هذه الحقيقة هي التي يعتقدها الشيعة و هذا العمل هو الذي يقومون به في سجودهم لأن الشيعة يعتقدون أن السنة و السيرة الحمدية المباركة هي - بعد الوحي الالهي ، القرآن الكريم - الهادى و المرجع لل المسلمين ، وعلى المسلمين جميعاً أن يعملاً وفقه ، و يتبعوه ، ولا يجاوزوه و لا يتقدموا : عملاً بقول الله تعالى :
- « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْقَدُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلَيْهِ »<sup>(٩١)</sup>.

#### ٧- سيرة الصحابة و التابعين:

نقل المؤلفون و المحدثون الاسلاميون في جوامعهم الخديبية أحاديث و روایات عديدة تحكي برمتها عن سيرة الصحابة و التابعين العملية في قضية السجود هذه ، و تكشف جميعها عن أن صحابة النبي ﷺ و تابعيه كانوا يلتزمون السجود على مجرد الأرض (تراباً كان أو حمراً أو غيره) و بعض أجزاء النبات كالحصير في حال الاختيار و في الظروف العادلة و كانوا يتجنّبون السجود على الثوب أو القماش و غيرها من الملبوسات.

و نشير فيما يأتي إلى طائفة من هذه الأحاديث :

- يقول نافع : « إن ابن عمر كان إذا سجد و عليه العمامة يرفعها حتى يضع جبهته بالأرض »<sup>(٩٢)</sup>.
- كان مسروق بن الأجدع من أصحاب ابن مسعود لا يرخص في السجود على غير الأرض حتى في السفينة ، وكان يحمل في السفينة شيئاً يسجد عليه »<sup>(٩٣)</sup>.

(٨٥) - سنن البيهقي، ج ٢، ص ٤٢١ ، كتاب الصلاة، باب الصلاة على الحصير.

(٨٦) - سيرتنا و سنتنا، ص ١٣٠ نقلاً عن صحيح مسلم.

(٨٧) - فتح الباري، ج ١، ص ٤١٣.

(٨٨) - بحار الأنوار، ج ٨٥، ص ١٥٧.

(٨٩) - المعجم الأوسط و الصغير للطبراني.

(٩٠) - صحيح مسلم، ج ١، ص ٤٥٨.

(٩١) - سورة الحجرات ١.

(٩٢) - سنن البيهقي، ج ٢، ص ١٠٥ ، طبعة حيدرآباد الدكن ، كتاب الصلاة، باب الكشف عن الجبهة في السجود.

(٩٣) - الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٦ ص ٥٣ ; والمصنف عبد الرزاق، ج ٢، ص ٥٨٣.

- يقول رزين: «كتب الى علي بن عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - أن أبعث الى بلوح من أحجار المروة أسجد عليه»<sup>(٩٤)</sup>.
- يقول أبو أمية: «إن أبي بكر كان يسجد أو يصلى على الأرض...»<sup>(٩٥)</sup>.
- ويقول أبو عبيدة: «إن ابن مسعود لا يسجد - أو قال: لا يصلى - إلا على الأرض»<sup>(٩٦)</sup>.
- وروي عن عبدالله بن عمر أنه ما كان يستحب السجود على كور عمامة إلا أن يزيمه عن جبهته: «عن عبدالله بن عمر أنه كان يكره أن يسجد على كور عمamatte حتى يكشفها»<sup>(٩٧)</sup>.
- وروي البيهقي حول عبادة بن الثابت: «إنه كان إذا قام إلى الصلاة حسر العمامة عن جبهته»<sup>(٩٨)</sup>.
- كان إبراهيم النخعي الفقيه الكوفي التابعي يقوم على البردي ويسجد على الأرض.
- قال الراوي: قلنا ما البردي، قال: الحصير<sup>(٩٩)</sup>. وفي لفظ أنه كان يصلى على الحصير ويسجد على الأرض.
- كان عمر بن عبدالعزيز لا يكتفي بالخمرة بل يضع عليها التراب ويسجد عليه<sup>(١٠٠)</sup>.
- كان عروة بن الزبير يكره الصلاة على شيء دون الأرض<sup>(١٠١)</sup>.
- في ضوء هذه الأحاديث والروايات الإسلامية يتجلّي بوضوح أنَّ المسلمين وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ كانوا - في صدر الإسلام ومنذ تشرع السجود - يسجدون على الأرض، وينهون كل من يعمد إلى الفصل بين جبهته والأرض بقمash أو عازل آخر.
- بناءً على هذا يتضح بيقين أنَّ السنة والسيرة النبوية، وكذا السيرة العملية للصحابية والتبعين كانت هي السجود على أجزاء الأرض (مثل التراب والحجر) وبعض أجزاء النبات مثل الحصير.

#### ٨- احاديث اهل البيت عليهم السلام:

- عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام انه قال: «لا تسجد إلا على الأرض أو ما أنبتت الأرض إلا القطن والكتان»<sup>(١٠٢)</sup>.
- وعنده عليه السلام أنه قال: «دعا أبي بالخمرة - السجادة الصغيرة من سعف النخل - فابطأ عليه، فأخذ كفًا من حصى فجعله على البساط فسجد عليه»<sup>(١٠٣)</sup>.
- وعنده عليه السلام أو عن أبيه عليه السلام أنه قال: «لا بأس بالقيام على المصلى من الشعر والصوف إذا كان يسجد على الأرض فأن كان من نبات فلا بأس بالقيام عليه والسبود عليه»<sup>(١٠٤)</sup>.
- وعن الصادق أو أبيه الباقر عليهما السلام:

(٩٤) - أخبار مكة، ج ٣، ص ١٥١ نقلًا عن رزين.

(٩٥) - المصنف، ج ١، ص ٣٩٧.

(٩٦) - المصنف، ج ١، ص ٣٦٧، وجمع الزوائد، ج ٢، ص ٥٧ نقلًا عن الطبراني.

(٩٧) - سنن البيهقي، ج ٢، ص ١٠٥، والمصنف، ج ١، ص ٤٠١.

(٩٨) - سنن البيهقي، ج ٢، ص ١٠٥.

(٩٩) - المصنف لعبد الرزاق، ج ١، ص ٣٩٧.

(١٠٠) - فتح الباري، ج ١، ص ٤١.

(١٠١) - فتح الباري، ج ١، ص ٤١٠.

(١٠٢) - الكافي ط الاخوندي، ج ٣ ص ٣٣٠، ٣٣١ و ٣٣١، وفي البحار، ج ٨٥، ص ١٤٩ - ١٥٩ نقل اخباراً كثيرة في هذا المعنى فراجع وتدبّر.

(١٠٣) - الكافي، ج ٣ ص ٣٣٠ و ٣٣١، وفي البحار، ج ٨٥ ص ١٤٨ عن أبي عبد الله عليه السلام انه قال (الراوي عنه) سمعته يقول: «السبود على ما أنبتت الأرض إلا ما أكل وليس».

(١٠٤) - الكافي، ج ٢ ص ٣٣٠، ٣٣١ و ٣٣١، وفي البحار ج ٨٥ ص ١٤٨ عن أبي عبد الله عليه السلام انه قال (الراوي عنه) سمعته يقول: «السبود على ما أنبتت الأرض إلا ما أكل وليس».

- « كان أبي - علي بن الحسين عليهما السلام - يصلي على الخمرة يجعلها على الطنفسة ويسلام عليها فإذا لم تكن خمرة جعل حصى على الطنفسة حيث يسجد عليها »<sup>(١٠٥)</sup>.
- روى عبد الرحمن بن أبي عبد الله الصادق عليهما السلام : « عن الرجل يسجد وعليه العمامة لا يصيب وجهه الأرض قال : لا يجوز ذلك حتى تصل جبهته الأرض »<sup>(١٠٦)</sup>.
- عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام قال : « السجود على ما انبت الأرض الا ما أكل ولبس »<sup>(١٠٧)</sup>.
- وعنده عليهما السلام : « لا يسجد إلا على الأرض أو ما أنبت الأرض إلا المأكول والقطن والكتان »<sup>(١٠٨)</sup>.
- عن ادھما عليهما السلام قال : « لا باس بالقيام على المصلى من الشعر والصوف إذا كان يسجد على الأرض وإن كان من نبات الأرض ، فلا باس بالقيام عليه والسبود عليه ».
- عن الحلبي عن الصادق عليهما السلام قال : « سأله عن الرجل يصلي على البساط والشعر والطنافس قال لا تسجد عليه وإن قمت عليه وسجدت على الأرض فلا باس ، وإن بسطت عليه الحصير وسجدت على الحصير فلا باس »<sup>(١٠٩)</sup>.
- قال الإمام جعفر الصادق عليهما السلام : « السجود لا يجوز إلا على الأرض أو على ما أنبت الأرض إلا ما أكل أولبس »<sup>(١١٠)</sup>.
- ويقول في موضع آخر : « السجود على الأرض فريضة وعلى الخمرة سنة »<sup>(١١١)</sup>.
- وعنده عليهما السلام أيضاً عندما سأله إسحاق بن الفضيل عن السجود على الحصر والبواري . فقال : « لا باس وإن يسجد على الأرض أحب إلى ، فإن رسول الله عليهما السلام كان يحب ذلك أن يكن جبهته من الأرض ، فأنا أحب لك ما كان رسول الله عليهما السلام يحبه »<sup>(١١٢)</sup>.
- وروي في موضع آخر : « ... إن رجلاً أتى أباً جعفر (الإمام الباقر) وسأله عن السجود على البوريا والخصفة والنبات ؟ قال : نعم »<sup>(١١٣)</sup>.
- وقال الحلبي : « عن أبي عبد الله عليهما السلام قال : سأله عن الرجل يصلي على البساط والشعر والطنافس ؟ قال : لا تسجد عليه ، وإن قمت عليه وسجدت على الأرض فلا باس ، وإن بسطت عليه الحصير وسجدت على الحصير فلا باس »<sup>(١١٤)</sup>.
- في ضوء هذه الأحاديث المذكورة يتبين جيداً أنه لا يجوز - في نظر عترة النبي عليهما السلام - السجود إلا على الأرض و ما ينبت منها ما عدا الملبسات والأكمولات.

(١٠٥) الكافي، ج ٢، ص ٣٣٢، والوسائل ج ٣ ص ٥٩٤ الطبعة الحديثة.

(١٠٦) الكافي، ج ٣، ص ٣٣٤، والتهذيب ج ٢ ص ٣٣٤ الطبعة الحديثة.

(١٠٧) الوسائل، ج ٣، ص ٥٩٢، والبحار ج ٨٥ ص ١٤٩.

(١٠٨) الوسائل، ج ٣، ص ٥٩٢، والبحار ج ٨٥ ص ١٤٩.

(١٠٩) الوسائل، ج ٣، ص ٥٩٢ و ٥٩٤ ، والروايات من طرق اعلامنا الامامية رضوان الله عليهم كثيرة جداً وإنما تركناها مخافة الاطناب وإذا أردت الوقوف عليها.

(١١٠) - وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٥٩١ كتاب الصلاة، أبواب ما يسجد عليه، الحديث ١.

(١١١) - وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٥٩٣ كتاب الصلاة، أبواب ما يسجد عليه، الحديث ٧.

(١١٢) - وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٦٠٩.

(١١٣) - وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٥٩٣.

(١١٤) - وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٥٩٤.

**السجود على الأرض أبلغ صور التذلل لل سبحانه و تعالى**

وهذا هو الحكم الذي يستفاد من مجموعة أحاديث سنة رسول الله ﷺ و سيرته، وأفعال أصحابه وأقوالهم. ومن جانب آخر نعلم أن ما قاله الأئمة الموصومون وأهل بيت النبي ﷺ من الأحكام الشرعية قد أخذوه من جدهم رسول الله ﷺ وهذه الرؤية نابعة من أن حق التشريع والتعميم للمجتمع البشري خاص بالله سبحانه وحده، وقد أوصل القوانين والأحكام الشرعية إلى البشر عن طريق نبيه محمد ﷺ - ومن الواضح البين أن رسول الله ﷺ - مجرد واسطة بين الله والخلق لإبلاغ الوحي و إيصال التشريعات الإسلامية.

من هذا البيان يتضح أن الشيعة إذا اعتبروا أحاديث أهل البيت أيضاً من مصادر الفقه والتشريع عندهم فإنما هو لأجل أن أحاديث العترة مبينة لسنة رسول الله ﷺ .<sup>(١١٥)</sup>

قال الإمام الصادق ع عليهما السلام في هذا المجال:

« حديثي حديث أبي ، و حديث أبي حديث جدي ، و حديث جدي حديث الحسين ، و حديث الحسين حديث الحسن ، و حديث الحسن حديث أمير المؤمنين ، و حديث أمير المؤمنين حديث رسول الله ﷺ و حديث رسول الله ﷺ ، قوله عز وجل »<sup>(١١٦)</sup>.

### السجود الاضطرارى

في ضوء الأبحاث المتقدمة يتضح بالدلائل الآتية أن السجود يجب أن يتم على الأرض وما ينبع منها (ماعدا المأكولات والملبوسات):

- ١- سنة النبي الراكم ﷺ المتمثلة في أوامره بالسجود على التراب وجه الأرض.
- ٢- سيرة النبي ﷺ العملية.
- ٣- أقوال صحابة النبي ﷺ .
- ٤- سيرة صحابة النبي و تابعيه و مسلمي مصدر الإسلام العملية.
- ٥- أقوال أهل البيت و عترة رسول الله ﷺ .

و هناك أحاديث أخرى كذلك تبين كيفية السجود في الحالات الاضطرارية مثل الحر الشديد المضني، أو البرد الشديد القارص... ويستفاد من مجموعة هذه الطائفة من الأحاديث أنه يجوز في حالات الاضطرار والعذر الشرعي على السجود علي جانب من الثواب أو قطعة من القماش.

إن هذه الروايات كما ذكر إنما هي بصدق بيان كيفية السجود في الحالات الاضطرارية ولكن بعض المسلمين من أهل السنة تصور أن الأحاديث المذكورة تدل على جواز السجود على السجاجيد والفرش وأمثالها في جميع الحالات، حتى الحالات العادية وعدم وجود العذر الشرعي. ولهذا تعدوا حدود السنة والسيرية النبوية، وأقوال و أفعال صحابة النبي ﷺ و قالوا: لا يجب السجود على مجرد الأرض وما ينبع منها (ماعدا المأكولات والملبوسات) بل يمكن السجود على كل شيء جامد آخر مثل السجاد والبساط والقماش، و جانب من اللباس والمأكول و... في جميع الحالات والشرایط.

وعلى هذا من الأفضل أن نستعرض هنا الأحاديث المتضمنة لذكر موارد الاضطرار، حتى يتضح عدم صحة هذا التصور:

أخرج البخاري - في باب: السجود على الثوب في شدة الحر - عن أنس بن مالك قال: «كنا نصلب مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيضع أحدهنا طرف الثوب من شدة الحر في مكان السجود»<sup>(١١٧)</sup>.

(١١٥) - الحسيني، سيد رضا، السجود على الأرض، ص ٥٢.

(١١٦) - جامع أحاديث الشيعة، ج ١ ص ١٢٧.

(١١٧) - البخاري، ج ١ ص ١٠٧.

- أخرج مسلم في باب : استحباب تقديم الظهر - عن أنس قال : " كنا نصلّى مع رسول الله ﷺ في شدة الحر فإذا لم يستطع أحدنا أن يكن جبهته من الأرض بسط ثوبه فسجد عليه" <sup>(١١٨)</sup> .  
 قال الشوكاني في (نيل الأوطار) : « الحديث يدل على جواز السجود على الثياب لاتقاء الحر وفيه إشارة إلى أن مباشرة الأرض عند السجود هي الأصل لتعليق بسط الثوب بعدم الاستطاعة وقد استدل بالحديث على جواز السجود على الثوب المتصل بالصلبي . قال النووي : وله قال أبو حنيفة والجمهور <sup>(١١٩)</sup> . ينضح من العبارات المذكورة بخلاف أن السجود على الأشياء الأخرى غير الأرض وماينبت منها إنما يجوز فقط في حالة الاضطرار لأن العبارات المذكورة تصرح بوجود الأعذار الشرعية المقبولة مثل الحر الشديد، أو البرد القارص . و من هنا يتبين أن بعض المسلمين في صدر الإسلام كانوا يتوقفون من حر الحجاز الشديد عند سطوع الشمس في ذلك المناخ الساخن بوضع قطعة من القماش بين الأرض وبين جماهم، ولهذا قال ابن حجر :

« و فيه إشارة الى أن مباشرة الأرض عند السجود هو الأصل لأنّه علّق بعدم الاستطاعة» <sup>(١٢٠)</sup> .  
 إن الحكم بجواز السجود على جانب من الثوب في حالة الاضطرار (مثل الحر الشديد المضني) لا يختص بكتاب أهل السنة الحديثية، بل يشاهد أيضاً في أحاديث أهل البيت (صلوات الله عليهم) أيضاً .  
 ولقد عقد صاحب كتاب «وسائل الشيعة» فصلاً تحت عنوان «جواز السجود على الملابس وعلى ظهر الكف في حال الضرورة» نقل فيه أحاديث أهل البيت في هذا المجال، ونحن نورد بعض هذه الأحاديث :

- ويقول قاسم بن فضيل :  
 « قلت للرضا عليه السلام : جعلت فداك ، الرجل يسجد على كمه من أزي الحر و البرد ؟ قال : لا بأس به» <sup>(١٢١)</sup> .  
 - وروي جماعة من الإماميين هكذا :  
 « قلت لأبي جعفر عليه السلام إننا نكون بأرض باردة يكون فيها الثلج أفسسجد عليه ؟ قال : لا ، ولكن اجعل بينك وبينه شيئاً قطناً أو كثاناً » <sup>(١٢٢)</sup> .  
 - يقول عيينة : « قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أدخل المسجد في اليوم الشديد الحر فأكرهه أن أصلّى على الحصي ، فأبسط ثوبي فأسجد عليه ؟ قال : نعم ليس به بأس » <sup>(١٢٣)</sup> .  
 - عبدالله بن جعفر عن أخيه عليه السلام قال : سأله عن الرجل يؤذيه الأرض وهو في الصلاة ولا يقدر على السجود هل له أن يضع ثوبه إذا كان قطناً أو كثاناً ؟ قال اذا كان مضطراً فليفعل <sup>(١٢٤)</sup> .

### صفوة القول

هذه خلاصة ما أوردناه من الصحاح والمسانيد في ما يصح السجود عليه وهي تدل على أن الأصل في ذلك - مع وجود القدرة والاستطاعة - هو السجود على الأرض مباشرة أو على ما نبت منها غير مأكول ولا ملبوس أخذنا بأحاديث الحرمة والفحل والخصير المصنوعة من سعف النخيل ولا يمكن العدول عنها إلى غيرها عند فقدان العذر أما في حالة وجود عذر مانع عنها فإنها يمكن السجود على الثوب المتصل

- مسلم ، ج ٥ ص ١٢١ . <sup>(١١٨)</sup>

- نيل الأوطار ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ . <sup>(١١٩)</sup>

- الفتح ، ج ١ ، ص ٤١٤ . <sup>(١٢٠)</sup>

- وسائل الشيعة ، ج ٣ ، كتاب الصلاة ، أبواب ما يسجد عليه ، باب ٤ ، الحديث ٢ . <sup>(١٢١)</sup>

- وسائل الشيعة ، ج ٣ ، كتاب الصلاة ، أبواب ما يسجد عليه ، باب ٤ ، الحديث ٧ . <sup>(١٢٢)</sup>

- وسائل الشيعة ، ج ٣ ، كتاب الصلاة ، أبواب ما يسجد عليه ، باب ٤ ، الحديث ١ . <sup>(١٢٣)</sup>

- وسائل الشيعة ، ج ٣ ، ص ٥٩٦-٥٩٣ و البخاري ، ج ٨٥ ، ص ١٥٢ - ١٤٩ . <sup>(١٢٤)</sup>

**السجود على الأرض أبلغ صور التذلل لل سبحانه و تعالى**  
بالمصلني فحسب دون الثوب المنفصل لعدم وروده في السنة وأما السجود على الفرش والسجاد والبسط المنسوجة من الصوف والوبر والحرير والثوب المنفصل وغيرها فإن ذلك مما أحده الناس واخترعوه ولا يوجد دليل يعتد به يسوغ السجود عليها ولم يرد أي مستند قوي يمكن الركون اليه والتعميل عليه فيها هي الصحاح الستة الكفيلة ببيان الشرائع والأحكام ليس فيها حديث يمكن الأخذ به في هذه المسألة وكذلك سائر كتب الحديث وال السنن المعتمدة في القرون الثلاثة الأولى وهي خير القرون لا يوجد بها أثر صحيح صريح يقوم به الاستدلال وتنهض به الحجة على جواز ذلك.

وقد أخرج الحافظ أبو بكر بن أبي شيبة بإسناده في (مصنفه) الجزء الثاني عن سعيد بن المسيب و محمد بن سيرين «أن الصلاة على الطنفسة محدث». (الطنفسة: النمرة فوق الرحل وقيل: هي البساط الذي له حمل رقيق).

### **ما هو السر في التزام الشيعي استحباب السجود على التربة الحسينية؟**

قد تبين - مما تقدم - أن السجود على الأرض مباشرة هو الأصل المعمول به على عهد رسول الله ﷺ والصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان وهو الذي يتلزم به الشيعة الإمامية حتى يومنا هذا ولا يحيدون عنه قيد أئمة ،فهم يسجدون على الأرض شريطة التأكيد من عدم نجاستها وخلوها من الأقدار، ويستحبون من بين تراب الأرض تربة كربلاء ،حيث استشهد بها أبوالأحرار وسيد الشهداء أبوعبد الله الحسين بن علي علیه السلام الذي خرج في ثلاثة من أهل بيته الأطهار علیهم السلام وصحابته الأبرار من أجل مقارعة الظلم والطغيان والإثم والعدوان المتمثل في طاغية عصره وطاغوت دهره يزيد بن معاوية الذي تسلط على رقاب المسلمين بغير الحق وأذاقهم صنوفاً وألواناً من المحن والمصائب ،من قتل وتشريد وانتهاك للحرمات وال المقدسات وإهلاك للحرث والنسل وضرب الكعبة المشرفة بالمنجنيق وإحراقها وتدمير حرمة المدينة المنورة واقتحامها وإياحتها وقتل الصحابة الأبرار فيها في وقعة الحرث وتخريب بيوتهم ونهب أموالهم و هتك أعراض بناتهم ... إلى غير ذلك من الجرائم البشعة التي تقشعر الأبدان عند ذكرها وترتعد الفرائص من مجرد سماعها وتشمت النقوس من هؤلاء الجرميين الذين افتروها.

وقد سجل التاريخ أروع ملحمة بطولية على أرض كربلاء التي ارتوت بدماء الحسين عليه السلام وأهل بيته الأطهار وصحابته الأبرار ، تلك الدماء التي أريقت على صعيدها من أجل عزة الإسلام وإعلاء كلمة الله في يوم عاشوراء وقد دلت بعض الأحاديث على فضل هذه التربة الطاهرة ومكانتها السامية فتى الواحد منهم يحمل معه تربة نقية طاهرة منها كيما يسجد عليها الله رب العالمين.

ولا شك أنه أمر مستحسن فطرياً أن يتخد المصلني لنفسه تربة طاهرة طيبة يتتأكد من طهارتها بخلوها من النجاسات ولا فرق في ذلك بين أن تكون من هذه الأرض أو تلك من حيث الأصل الواجب ، فهي كلها في الشرع سواء لامتياز لإحداهن على الأخرى في جواز السجود عليها وما ذلك الحرص والاهتمام إلا لحفظ المصلني على طهارة جسده وملبسه ومصالحة . وعليه، فإن المسلم يقوم باتخاذ صعيد طيب لنفسه يسجد عليه في حلته وترحاله وفي سفره وإقامته لا سيما في حال السفر لعدم الثقة بطهارة كل أرض ينزل بها ويتخذها مسجداً من المدن والفنادق وردهات المنازل والساحات العامة والمطارات ومحطات وسائل المواصلات المختلفة التي تشهد فئات من البشر من مختلف الملل والأجناس... من المسلمين وغيرهم من أخلاق الناس الذين لا يبالون ولا يكتئبون لأمر الدين وبخاصة موضوع الطهارات والنجاسات.

فأي مانع - عندئذ - من أن يحتاط المسلم لدينه ويتحدى معه تربة طاهرة يطمئن بنقايتها وطهارتها يسجد عليها في صلاته متوكلاً على الحسنة ومحترزاً من السجود على الأرجاس والنجاسات التي لا تسوغ السنة الشريفة السجود عليها ولا تقبله الفطرة السليمة، لا سيما وإن أوامر الشرع الحنيف تؤكد على الاهتمام

بطهارة أعضاء المصلي ولباسه وتنهى عن الصلاة في أماكن معينة لظنة اختلاطها بالنجسات منها: المزابل والمجازر والمقابر وقارعة الطريق والحمام ومعاطن الإبل وكذلك الأمر بضرورة تطهير المساجد وتطيبها. ووفق هذه النظرة الصائبة جرى بعض فقهاء السلف الورعين والمحاتطين لدينهم من أهل القرون الأولى وحسبك أن التابعي الفقيه الكبير المتفق على جلالته، مسروق بن الأجدع كان يأخذ في أسفاره لبنة (أي حجر) يسجد عليها:

يكتب ابن سعد في كتابه «الطبقات الكبرى» قائلاً: «كان مسروق إذا خرج يخرج بلبنة يسجد عليها في السفينة»<sup>(١٢٥)</sup>.

هذا في ما يتعلق بالسجود على الأرض مباشرة من حيث أصل الوجوب وأخذ الحيطه بحمل تربة طاهرة. أما في ما يتعلق باستحباب السجود على تربة كربلاء فإن قاعدة التفضيل المطردة في هذه الحياة تدل عليه وتوكيده فضلاً عن ورود بعض الأحاديث التي تعضده.

فلا شك أن الله سبحانه قد اصطفى مكة وانتجها من بين الأماكن وجعلها مقراً لبيته الحرام الذي أوجب على الناس الحج إليه والطواف حوله وخصها بميزات معينة بوصفها حرماً آمناً لا يجوز انتهاكه وما يرتبط من ذلك بشجرها ونبتها ومن نزل بها وكذلك اختيار المدينة المنورة وجعلها حرماً إلهياً - أيضاً - يجب تعظيمه وعدم تجاوزه. وما ورد في السنة الشريفة في إجلالها وفي فضائل أهلها وتربيتها ومن حل بها ومن دفن بأرضها وجمیع ذلك ليس إلا باعتبار الإضافة والنسبة إلى الله تعالى وكونها عاصمة نبيه الخامنئي عليه السلام.

بل إن قاعدة التفاضل وتفاوت الدرجات ممتدة ومطردة على الدوام حتى بين الأنبياء والمرسلين والأوصياء والأولياء والشهداء والصالحين وأفراد المؤمنين. وكذلك بين الأوقات والازمنة، لاختصاص بعضها بفضائل وخصال معينة فشهر رمضان خير الشهور وليلة القدر أفضل الليالي ويوم عرفة أفضل الأيام.. وما إلى ذلك من الاختصاصات والتفضيلات بين الأعيان نتيجة تعلقها بالله سبحانه ونسبتها إليه.

وكانت تربة كربلاء هي التربة التي ضمت بين ثناياها أطهر الأجداد وأطيفها وهم أبناء الرسول ﷺ الذين سجلوا على صعيدها أعظم صفحات البذل والتضحية في سبيل الله سبحانه واحتللت ذراتها بدمائهم الزكية التي أهرق قربة إليه جل وعلا فحرى بها أن تلازم الإنسان المسلم في حله وترحاله وإقامته وتجواله وتذكره دائماً بما كتب عليها من معاني البطولة والقداء والبذل والعطاء وأن تكون نصب عينيه شاهدة عليه وكأنما تأخذ عليه البيعة كل يوم بالوفاء لتلك الدماء الطاهرة والالتزام بالخط الرسالي التضحيوي الذي سلكه أصحابها الأبرار الذين قدموا أرواحهم قرباناً إلى الله تبارك وتعالى.

إن تربة كربلاء هي رمز الجهاد الشوري الذي خاضه أهل بيته ﷺ في كفاحهم المരير ضد الظلم والاستكبار والفساد والآخraf.

وهي رمز الاعتزاز بالإسلام ديناً ومنهجاً للحياة في مواجهة القوى الشيطانية التي تسعى إلى استئصاله وإقصائه بعيداً عن ساحة الوجود.

كما أنها رمز الشجاعة والصمود في وجه الطغاة والمستبددين من أجل إحقاق الحق وتشييت أركانه وإزهاق الباطل وتفويض بنائه.

وما إلى ذلك من الدروس القيمة والعظات البالغة التي يجب إلى تغليب عن ذهن الإنسان المسلم أبداً الدهر ومن هنا كانت قيمة تربة كربلاء المعنوية والعبرة من الارتباط بها والسجود عليها<sup>(١٢٦)</sup>.

(١٢٥) - الطبقات الكبرى، ج ٦ ص ٧٩، في أحوال مسروق بن الأجدع، طباعة بيروت.

(١٢٦) - عاطف سلام، فقيهات بين السنة والشيعة، ص ٢٠ - ٢١.

السجود على الأرض أبلغ صور التذلل لل سبحانه و تعالى  
ولذلك جاءت الأحاديث الشريفة لتعظم تلك التربية الظاهرة وتشيد بفضلها :

- روي ابن حجر الهبتي في كتابه «الصواعق المحرقة» :  
«... إِذ دَخَلَ الْحُسْنَى فَاقْتَحَمَ فَوْبَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ يَلْشُمُهُ وَيَقْبِلُهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: أَتَحِبُّهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: إِنْ أَمْتَكَ سُتْقَلَتَهُ وَإِنْ شَتَّتَ أَرِيكَ الْمَكَانَ الَّذِي يُقْتَلُ بِهِ.

فَأَرَاهُ فَجَاءَ بِسَهْلَةٍ أَوْ تَرَابَ أَحْمَرَ، فَأَخْذَتْهُ أَمْ سَلْمَةَ فَجَعَلَتْهُ فِي ثُوبَهَا.

قَالَ ثَابِتٌ: كَنَا نَقُولُ إِنَّهَا كَرِبَلَاءَ.

- و أخرجه أيضاً أبو حاتم في صحيحه، وروي أحمد بن خواه، وروي عبد بن حميد وابن أحمد بن خواه أيضاً... وزاد الثاني أيضاً أنه شمشما، وقال: ويع كرب وبلاء»<sup>(١٢٧)</sup>.

- و هكذا روي عن ابن سعد و هو أيضاً عن الشعبي :  
«مَرَ عَلَيْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بَكْرِيَّلَاءَ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى صَفَنْ وَحَذِيَّ نَبِيُّنَا - قَرِيَّةَ عَلَى الْفُرَاتِ - فَوَقَفَ وَسَأَلَ عَنْ إِسْمِ هَذِهِ الْأَرْضِ. فَقَيْلَ: كَرِبَلَاءَ. فَبَكَى حَتَّى بَلَ الأَرْضَ مِنْ دَمَوْعِهِ ثُمَّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ كَرِبَلَاءَ وَهُوَ يَبْكِي فَقَلَتْ: مَا يَبْكِيكِ؟

قَالَ: كَانَ عِنْدِي جَبَرِيلٌ آنَفًا وَأَخْبَرَنِي أَنَّ وَلَدِي الْحُسْنَى يُقْتَلُ بِشَاطِئِ الْفُرَاتِ بِمَوْضِعِ يَقَالُ لَهُ: كَرِبَلَاءَ.

ثُمَّ قَبَضَ جَبَرِيلٌ قَبْضَةً مِنْ تَرَابِ شَمْنَى إِيَاهَا، فَلَمْ أَمْلَكْ عَيْنِي أَنْ فَاضَتْ»<sup>(١٢٨)</sup>.

- ويقول ابن حجر في موضع آخر :  
«... فَقَالَ جَبَرِيلٌ: سُتْقَلَتَهُ ابْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ وَإِنْ شَتَّتَ أَخْبَرْتَكَ بِالْأَرْضِ الَّتِي يَقْتَلُ فِيهَا، فَأَشَارَ جَبَرِيلٌ بِيَدِهِ إِلَى الطَّفَّ بِالْعَرَاقِ فَأَخْذَ مِنْهَا تَرْبَةً حَمْرَاءً فَأَرَاهُ إِيَاهَا وَقَالَ: هَذِهِ مِنْ تَرْبَةِ مَصْرِعِهِ»<sup>(١٢٩)</sup>.

- روي الحاكم النيسابوري، عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ اضطجع ذات ليلة للنوم فاستيقظ وهو حائر، ثم اضطجع فرقد ثم استيقظ وهو حائر دون ما رأيت به المرة الأولى ثم اضطجع فاستيقظ وفي يده تربة حمراء يقبلها، فقلت له ما هذه التربة يا رسول الله؟ قال: أخبرني جبriel ﷺ أن هذا يقتل بأرض العراق للحسين، فقلت أرنى تربة الأرض التي يقتل بها فهذه تربتها... (ثم قال الحاكم): هذا حديث صحيح على شرط الشيوخين (البخاري و مسلم) ولم يخرجاه<sup>(١٣٠)</sup>.

في ضوء المجموعة الكبيرة من الأحاديث الواردة في صحاح السنة و سنتهم و مسانيدهم من هذا القبيل يتضح أن أرض كربلاء كانت تعد عند رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين والمحاذين الإسلاميين من الأماكن والبقاء المقدسة المحترمة، وأن ترابها الظاهر المظہر يحظى بأهمية و ميزة خاصة.

ولذا كان الشيعة المسلمين يستحبون السجود عليها في صلواتهم لما اختصت به من ميزات وفضائل معنوية.

و تجب الإشارة هنا إلى أن ذلك ليس من الفرض المحموم عليهم ولا من واجبات الشرع والدين ولا يلتزمون به في ما بينهم بل إنه من قبيل الاستحسان والاستحباب فحسب.

(١٢٧) - الصواعق، ص ١٩٢.

(١٢٨) - الصواعق المحرقة، ص ١٩٣.

(١٢٩) - الصواعق المحرقة، ص ١٩٣. إن الأحاديث الإسلامية في هذا الصدد في كتب الشيعة و السنة كثيرة، وللتوضيح و مزيد الاطلاع يمكن مراجعة: كنز العمال، ج ١٣، ص ١١١-١١٢، والخصائص (السيوطى)، ج ٢، ص ١٢٥، ومناقب ابن المازى، وبحار الأنوار ج ٤٤، والمujem al-kabir (لطبراني)، ص ١٤٤، والعقد الفريد، ج ٢، والصواعق المحرقة، وعشرات الكتب الحديثية الأخرى.

(١٣٠) - الحاكم النيسابوري: المستدرك، ج ٤، ص ٣٩٨ / ط بيروت.

والحاصل أن التذلل والخضوع في مقابل عظمة الله سبحانه يتحقق بأفضل مجاليه بوضع الجبهة والأنف على التراب والطين، قائلًا: أين التراب ورب الأرباب وأنه التراب سواسية ولا تجد ذلك في السجود على المصنوعات وللعلامة الأميني كلمة قيمة واليك نصها:

والأنسب بالسجدة التي إن هي إلا التصاغر والتذلل تجاه عظمة المولى سبحانه ووجه كبرياته، أن تُتخذ الأرض لديها مسجداً يغفر المصلي بها خدء ويرغم أنفه لتذكرة الساجد لله طبيته الوضيعة الخسيسة التي خلق منها إليها يعود ومنها يعاد تارة أخرى حتى يتعظ بها ويكون على ذكر من وضاعة أصله ليتأتى له خضوع روحي وذل في الباطن والخطاط في النفس واندفاع في الجوارح إلى العبودية وتقاعس عن الترفع والأنانية، ويكون على بصيرة من ان المخلوق من التراب حقيق وخليق بالذل والمسكنة ليس إلا.

ولا توجد هذه الأسرار قطّ وقطّ في المسوج من الصوف والديباج والحرير وأمثاله من وسائل الدّعة والراحة مما يري للإنسان عظمة في نفسه، وحرمة وكرامة ومقاماً لديه ويكون له ترفاً وتجبراً واستعلاءً وينسلخ عند ذلك من الخضوع والخشوع<sup>(١٣١)</sup>.

#### **المصادر والمراجع:**

##### ❖ القرآن الكريم

- ابن سعد زهري، الطبقات الكبرى؛ دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤١٧.
- ابن كثير دمشقي، البداية والنهاية؛ مكتبة المعارف؛ بيروت.
- ابن منظور، لسان العرب؛ ادب الحوزة، قم ١٤٠٥ هـ.
- امام مالك، مالك بن انس اصحابي، المدونة الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١.
- البخاري، محمد بن اسماعيل؛ صحيح البخاري؛ دار الفكر، بيروت، ١٤٠١ هـ.
- بيهقي، احمد بن حسين بن علي موسى؛ السنن الكبرى؛ دار الفكر؛ بيروت.
- ترمذى، ابو عيسى محمد بن عيسى؛ جامع الترمذى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- تميمي آمدي، عبد الواحد بن محمد؛ غرر الحكم ودرر الكلم؛ موسسة الاعمي؛ بيروت ١٤٠٧ هـ، ط ١.
- جزري، ابن الاثير؛ النهاية في غريب الحديث؛ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ هـ.
- الجصاص الحفيقي؛ احكام القرآن؛ بيروت.
- الحر العاملى، محمد بن اسماعيل؛ الشيخ محمد بن الحسن؛ وسائل الشيعة؛ موسسة آل البيت عليه السلام لاحياء التراث.
- الحسيني واسطي زيدى حنفى، محمد مرتضى؛ تاج العروس من جواهر القاموس؛ مكتبة الحياة.
- الحسيني، سيد رضا؛ السجود على الارض؛ موسسه الامام المهدي، ١٤١٣ هـ.
- الحاكم اليسابوري؛ المستدرک، ج ٤ / ط بيروت.
- دارمي تميمي، عبدالله بن عبدالرحمن؛ سنن دارمي؛ دار الكتب العلمية؛ بيروت ١٤١٠ هـ.
- زمخشري؛ أساس البلاغة؛ دار الفكر، بيروت ١٤٠٩ هـ.
- سجستانى، سليمان بن اشعث؛ سنن ابى داود؛ دار الفكر؛ بيروت ١٤١٠ هـ.
- السيد السبزوارى؛ مهذب الاحكام في بيان الحلال والحرام؛ مؤسسة المنار، ١٤١٢ هـ. ط ٤.

١٣١ - سيرتنا وستتنا ص ١٢٥-١٢٦.

- شيخ طوسي ؛ النهاية ؛ دار الاندلس ؛ بيروت.
- الشيخ المفید، المقنعة؛ مؤسسة النشر الإسلامي، الثانية، ١٤١٠ هـ.
- طبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب ؛ المعجم الأوسط ؛ دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥ هـ.
- طبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب ؛ المعجم الكبير؛ مكتبة العلوم والحكم، موصل، ١٤٠٤ هـ، ط٢.
- عاطف سلام، فقيهات بين السنة والشيعة، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط ٢٠٠٠.
- عسقلاني ، ابن حجر ؛ فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة ؛ بيروت.
- علامه مجلسی ، محمد باقر ؛ البخاري الانوار ؛ موسسه الوفاء ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ.
- علامه امینی ، سیرتنا و سنتنا.
- الفيومي المقري ، احمد بن محمد ؛ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعی ؛ دار الهجرة ، قم ١٤١٤ هـ.
- القزوینی ، محمد بن يزید أبو عبدالله ، سنن ابن ماجه ، دار الفكر - بيروت.
- القسطلاني المصري الشافعی ؛ شهاب الدين أبوالعباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك ، إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري.
- القشيري النيسابوري ، مسلم بن الحجاج أبو الحسين ؛ صحيح مسلم ؛ دار الفكر ، بيروت ، لبنان.
- كلینی ، محمد بن یعقوب بن اسحاق ؛ اصول الكافی ؛ علمیة الاسلامیة ؛ طهران ١٣٦٢ هـ.ش ، ط٢.
- مبارکفوری ، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم ؛ تحفة الأحوذی بشرح جامع الترمذی ، دار الكتب العلمیة ، بيروت.
- متقدی هندي ، علي بن حسان الدين ؛ کنز العمال في سنن الاقوال و الافعال ؛ دار الكتب العلمیه ، بيروت ، ١٤١٩ هـ.
- الحقیق الکرکی ؛ جامع المقاصد في شرح القواعد ؛ مؤسسة آل البيت طہران لاحیاء التراث ، قم ، ١٤١٤ هـ. ط٢.
- مشکینی اردبیلی ، علي ؛ المصباح المنیر ؛ البادی - قم ١٣٦٤ هـ. ش.
- المعجم الوسيط ؛ مكتب نشر الثقافة الاسلامية ، ١٤١٢ هـ. ط٤.
- النسائی ، أحمد بن شعیب ؛ (سنن نسائی) ؛ تحقیق عبدالفتاح أبوغدة ؛ مكتب المطبوعات الاسلامیة ، الحلب ، ٤٠٦ هـ. ط٢.
- النوری ، المیرزا حسن ؛ مستدرک الوسائل الشیعیة ؛ موسسه آل البيت طہران ، لاحیاء التراث ، ١٤٠٧ هـ ، ط١.
- نیشابوری ، مسلم بن حجاج ، صحيح مسلم ؛ دار الفكر ؛ بيروت.
- هیشمی شافعی ، ابوالحسن نورالدین علی بن ابی بکر ؛ مجمع الزوائد و منبع الفوائد ؛ دار الكتب العلمیه ، بيروت ، ٤٠٨.

## الحكمة في شعر الصعاليك (دراسة تحليلية)

د. عمار المسعودي<sup>(١)</sup>

### المقدمة

تعد الحكمة من الموضوعات المهمة في تاريخ الأدب العربي لما يرافقها من معرفة تشى بمدى تطور الذهنية المنتجة للأدب والفن وسائر الفعاليات الثقافية لأمة ما، ولاسيما إذا ما كانت تلك الحكمة تقتربن بمجموعة من الشعراء لابد لدارس الأدب من التعرف عليهم بشكل عميق لما لهم من معطيات تفارق التقليد والأعراف القبلية، هذه المجموعة تعرف بالصعاليك، الذين أتوا حكمة أدبية طريفة ومختلفة، هذه الطرافة وذلك الاختلاف جاء من مفارقة ومبانة لأعراف عامة منصوص عليها.

هذا الاختلاف وتلك المبانة في إنتاج الحكمة ربما يضفي على هذه الدراسة أهمية خاصة، مما شكل باعثاً في تناول هذا الموضوع بالدرس.

وتبعاً لطبيعة المادة المدرستة فقد قسم البحث على ثلاثة مباحث سبقها تمهيد في ثلاث فقرات كانت الأولى في التعريف بالحكمة في اللغة والاصطلاح فيما عالجت الفقرة الثانية مفهوم الصعلكة والصعاليك وكانت الفقرة الثالثة في الجذور الاجتماعية للحكمة في شعر الصعاليك أما المباحث الثلاثة فقد خصصت الأولى منها لعرض حكمة الخلاص من الجوع في شعر الصعاليك وكان المبحث الثاني خصص للدراسة حكمة المروءة فيما تناول المبحث الثالث حكمة النجاة من الموت والإغارة.

وخلص البحث إلى خاتمة حاولنا إدراج أهم ما توصل البحث إليه وقد عوّلت فقرات البحث على وفق المنهج التحليلي، فقد التزم الباحث بما تنطوي به النصوص ثم محاولة تحليلها واستخراج ما تتضمنه من نتائج دون تعسف، نسأل الله التوفيق في عملنا.

### التمهيد : الحكمة في اللغة والاصطلاح :

#### أولاً : الحكمة لغة واصطلاحاً :

الحكمة لغة : مرجعها إلى العدل والعلم والحلم، ويقال أحكمته التجارب إذا كان حكيمًا . وأحْكَمَ فلان عنى كذا أي : منعه ، ومن ذاك الحكم وهو المنع من الظلم ، والحكمة هنا قياسها لأنها تمنع من الجهل ، والمحكم : المجرب ؛ المسؤول إلى الحكمة.

ومن هذا المعنى وصف الله سبحانه وتعالى بأنه أحكم الحاكمين وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمَيْنَ ) .<sup>(٢)</sup>  
واستحكم الأمر : وثق ، واحتكم في ماله ، إذا جاز فيه حكمه . والاسم ، الحكومة والأحكومة<sup>(٣)</sup> قال الأعشى<sup>(٤)</sup> :

١ - الكلية التربية المفتوحة ، كربلاء.

٢ - (سورة هود ، الآية ٤٥)

## وللذِّي جمعتْ لرِبِ الدَّهْرِ يَأْبِي حُكْمَةَ الْمُقْتَالِ

أي لا تنفذ حكمة من يتكلم عليك من الأعداء . والمقتال : المفتعل من القول . والتحكيم : قول الحرورية<sup>(٥)</sup> : (لا حكم إلا الله) وحكمنا فلاناً أمرنا أي : يحكم بيننا وحاكمناه إلى الله : دعوناه إلى حكم الله . ويقال عني أن يسمى رجل حكماً<sup>(٦)</sup> .  
وحكمة اللجام : ما أحاط بحنيك، سمي به لأنها تمنعه من الجري . وكل شيء منعه من الفساد فقد حكمته، وحكمته وأحكمته قال جرير (من الكامل)<sup>(٧)</sup> :

## أَبْنِي حَنِيفَةَ أَحْكَمُوا سَفَهَاءَكُمْ أَنِي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضَبَا

وتقترب تقلييات (ح . ك . م) بعض الشيء من معنى حكم وهي على النحو الآتي : محك : التمادي في اللجاجة عند المساومة والغضب ونحوه ومحاك اليعان ؛ وبهذا تكون هذه اللجاجة في حاجة ماسة إلى المسك والحكم .

حَمَكٌ مِّنْ نَعْتِ الْأَدْلَاءِ تَقُولُ : حَمَكَ يَحْمِكُ وَهَذَا الْمَعْنَى هُوَ الْأَقْرَبُ إِلَى الْخَبْرَةِ وَالْحَكْمَةِ .

كمح رد الفرس باللجام ، وهو الأقرب لادة حكم كونه يصرخ في الرد والمسك والمنع<sup>(٨)</sup> .

وقد تطلق الحكمة على معنى النبوة وعلى القرآن أو التكاليف الشرعية المراده من العباد<sup>(٩)</sup> ، قال تعالى : (ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحَكْمَةِ)<sup>(١٠)</sup> .

أما الحكمة اصطلاحاً : فإنها (علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ماهي عليه في الوجود بقدر الطاقة البشرية ، فهي علم نظري غير آلي...)<sup>(١١)</sup> .

والحكمة بهذا المعنى هي الفلسفة عينها ، أي معرفة الأشياء بأفضل العلوم ، بمعنى آخر إن الحكمة تمثل الغاية في العلم والتference ، ووضع الشيء في موضعه ، وهي إحدى الفضائل الأصلية عند فلاسفة اليونان ثم أطلقت على العلم مع العمل ، والحكمة صفة الحكيم وهي كذلك الكلام الذي يقل لفظه ويجل معناه ، والحكميون هم الفلاسفة<sup>(١٢)</sup> .

ومثال الحكيم كان المثل السامي الأعلى في العصور القديمة ، ومن أهم ما يميزه العيش بانسجام مع العالم وكأن لكل قوانين الكون صدى في ذاته ، وبهذا عدت الحكمة مفهوماً أخلاقياً يدل على التوازن في الشخصية أي العفة والاعتدال في الرغبات ، وبهذا المعنى فإن الحكمة تتعارض مع الأهواء<sup>(١٣)</sup> .

وما تقدم خالص إلى أن الحكمة هي نظرات الإنسان في الحياة وتصرفاته من فيها ، وما فيها تستقى من تجارب الآخرين ، وهي كذلك تجرب شخصية يتم تعوييمها بفعل أثرها الخالد ثم أنها ثمرة تجرب طويلة

-٣ . ينظر : كتاب العين : ١٢٧ و معجم مقاييس اللغة ولسان العرب : ٩٥١/٢ .

-٤ . شرح ديوان الأعشى : ١٩٧٩ ، والبيت في لسان العرب بهذه الصورة :

وللذِّي جمعتْ لرِبِ الدَّهْرِ يَأْبِي حُكْمَةَ الْمُقْتَالِ

ينظر : لسان العرب : ٩٥٢/٢ .

-٥ . الحرورية : فرقه من الحوارج ، نسبة إلى حروراء ، قرية بالكونفه كان بها أول تجمع مسلح لهم . معجم لغة الفقهاء ، محمد قلعجي ، ط ٢ ، ١٩٨٨ م : ١٧٩ .

-٦ . ينظر : لسان العرب : ٩٥٢/٢ .

-٧ . ديوان جرير : ٤٧ .

-٨ . ينظر : كتاب العين : ١٢٩ .

-٩ . ينظر : القاموس المحيط : ٣٠٩ .

-١٠ . سورة الإسراء ، الآية : ٣٩ .

-١١ . كتاب التعريفات : ١٥٤ .

-١٢ . ينظر : المعجم الفلسفى : ٤٩١/١ .

-١٣ . ينظر : قاموس الفلسفة : ١٩٢ .

وفطنة ونظر ثاقب وبصيرة نافذة بالناس وأخلاقهم وبالماضين ومصائرهم وتأمل في سعي الإنسان وغايته ونهايته، ثم هي إحساس دقيق بالحياة<sup>(١٤)</sup>.

### ثانيًا : الصعلكة والصلعاليك :

تصعلكت الإبل : خرجت أوبارها وأنجردت وطرحتها ، ورجل مصلعلك الرأس : مدورة . والتصلعلك : الفقر، وصلعاليك العرب، ذؤبانها وكان عروة بن الورد يسمى : عروة الصعلاليك لأنه كان يجمع الفقراء في حضيره فيرزقهم مما يغنمها<sup>(١٥)</sup>.

والصلعاليك هو : الفقير الذي لامال له، وزاد الأزهري، ولا إعتماد ؛ وقد تصعللك الرجل إذا كان كذلك<sup>(١٦)</sup>.

ولقد تطورت لفظة الصعلوك فلم تعد تعني الفقير بل غدت تعني من يتجردون للغارات وقطع الطرق وبذلك يمكن تقسيم هذه الطائفة على ثلاث فئات :

١. الخلاء الشزاد، المطرودون من قبائلهم لكثرة شعبهم مثل حاجز الأسدية وقيس بن الحدادية وأبو الطمحان القيني .

٢. أبناء الحبشيات السود، المبذودون من آبائهم خشية العار مثل السليك بن السلكة، وتأبط شرًا، والشنفرى، وعنترة بن شداد في أول أمره .

٣. المحترفون للصلعالية من لم ينضموا إلى الفترين السابقتين وقد يكونوا أفرادا مثل عروة بن الورد وقد يكونوا قبيلة برمتها مثل : هذيل وفهم<sup>(١٧)</sup>.

وأهم ما يميز شعر الصعلاليك نبرة الرفض الواضحة لظاهر الفقر والجوع والتمرد على الأغنياء وأعراضاً القبيلة التي تميز بين الغني والفقير، ويكون أن نلاحظ أن الصبر وشدة التحمل سمة يكاد يشتراك فيها الصعلاليك<sup>(١٨)</sup> كذلك امتازوا بالعطف على الفقراء والنجدة والمساواة بالغائم والمفاخرة بغاراتهم على القبائل الأخرى<sup>(١٩)</sup> !

إن شعر الصعلاليك صدى للواقع المعيش فهو صورة صادقة لنفسيات من ينتمي لهذه الطائفة وأعمالهم وأخلاقهم وقد تميز بوحدة الموضوع فقلما نجد مقدمات غزلية أو طلليلة أو وصفية لأن معظم أشعارهم كانت مقطعاً، لا قصائد فلم يألفو التمهل والتنميق والتروي، وما أمتاز به شعرهم، الإكثار من مخاطبة الزوجة ولعل ذلك دليل على الغربة التي كانوا عليها<sup>(٢٠)</sup>.

وفي نص لعمرو بن براقة الهمданى نرى أن معنى الصعلكة ينتقل من دلالة الضعف إلى دلالة أخرى، تتضمن الروح المتمردة والنفس الكبيرة التي تحمل بين جوانحها طاقات وجودية، تحاول إثباتها بعد أن حطمته القبيلة كل جسور الاتصال بينها وبين الصعلاليك ؛ لذا صار التمرد سمة لهذه الأرواح الشائرة المنفلترة من أسارها لتخرج "الصلعالية" من دائرة الذل والاستكانة والفقير إلى دائرة الثورة والغزو والسلب والإغارة . قال عمرو بن براقة الباهلي<sup>(٢١)</sup> :

١٤ - ينظر : موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء : ١٨ ، وينظر الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ٢٤٥١/٤١٢ ، وينظر مصادر الشعر الجاهلي : ١٦٥ ، وينظر الحكمة في شعر المتنبي : ٤ .

١٥ - ينظر : لسان العرب : ٢٤٥٢/٤ .

١٦ - ينظر : م.ن. : ٢٤٥١/٤ .

١٧ - ينظر : المعجم المفصل في الأدب : ٥٨٥/٢ .

١٨ - ينظر : م.ن : ٥٨٦/٢ .

١٩ - ينظر : الحياة العربية من الشعر الجاهلي : ٣٠٦ .

٢٠ - ينظر : المرجع نفسه : ٣٠٦ .

٢١ - الأمازي : ١٢١/٢ ، ومنتهى الطلب من أشعار العرب : ٣١٥ مع اختلاف يسير في الألفاظ.

تقول سليمي لاتعرض لتلفة  
وليلك عن ليل الصعاليك نائم  
وكيف ينام الليل من جل همه  
حسام كلون الملح ابيض صارم  
ألم تعلمي ان الصعاليك نومهم  
قليل إذا نام الخلبي المسلح

فالصلعكة إذن هي الإنجراد والضمور، وفي المفهوم اللغوي يكون معناها الفقر الذي يجرد الإنسان من ماله وينظره ضاماً هزيلاً ومن إضافة الأزهري ولا إعتماد، يكون الصعلوك : هو الفقير الذي يواجه الحياة وحيداً، فالمسألة إذن ليست فقراً وحسب، بل هي إغلاق أبواب الحياة وسد جميع المسالك أمام هذه المجموعة .

### ثالثاً : الجذور الإجتماعية للحكمة في شعر الصعاليك

تعد البنية الاجتماعية القبلية، وما فيها من طبقية وتميز عنصري من أهم العوامل التي أسهمت في تبلور هذه الظاهرة وما أفرزته من سحق وتهميشه للفقراء والمعدمين من تلك الطبقات الأقل منزلة من طبقة الأحرار والأسياد، الذين يستحوذون على كل شيء، بما في ذلك الدفاع عن القبيلة، وتسجيل الواقع والأيام، المقتصر على السادة والأحرار دون سواهم<sup>(٢٢)</sup> . قال السليك بن السلكة<sup>(٢٣)</sup> :

لا يكشف الغماء إلا ابن حرة برى عمرات الموت ثم يزورها

إذن ظلت الطبقية والعنصرية حجراً لتحطم عليها آمال شريحة واسعة من العبيد والموالي والخلعاء الذين شكلوا الأساس لقيام ظاهرة الصعاليك . فالسليك بن السلكة كما يصرح أنه شاب رأسه مما تقاسيه حالاته من ضيم وهوان ومذلة ويعجز لفقره عن إنقاذهن<sup>(٤)</sup> .

لذا فإن الدوائر ظلت ترداد ضيقاً على هؤلاء الأغربة<sup>(٥)</sup> المسؤولين إلى أمهاتهم ، وهذا أول تحلل من سلطة الأب الذي هيأ التحلل من سلطة القبيلة . وهي للأفراد المتمم لهذه الفتنة المحرومة أو تلك الهروب بذاتها لتحقيقها بعيداً عن القبيلة المردحمة بأبنائها البيض الأحرار والأسياد . لهذا يمكن أن نسجل بناء على ما تقدم ظاهرة التحلل من الشخصية القبلية ، وذلك لفقدان الصعاليك ، التوافق الاجتماعي بينهم وبين قبائلهم ؛ مما افقدتهم الإحساس بالعصبية القبلية .

إن على المتصدي لأي جانب من جوانب شعر الصعاليك فنياً كان أم موضوعياً . ملاحظة هذا الانفصال وما يأتي به من معطيات مختلفة لقوانين القبيلة وأعرافها . لذا لا يمكن أن ننظر إلا بعين مختلفة لأية ظاهرة تتصل بهذه الجماعة .

إن الحكمة التي نحن بصدد تقصيها عند الشعراء الصعاليك ، لابد أن ننظر إليها خارج سياق المتعارف عليه في بنية المتن السيادي ، إذ لا تخرج عن كونها خبرات للحفظ على المنظومة العرفية القبلية وإدامتها محافظة على مصالح الطبقة العليا ، بقيم تربو على التقديس بمحاكماتها قيم القبيلة العليا فهي لا تقبل ولا تستساغ . إلا من يتلذذون السلطات السيادية والمعروفة ، لذا يمكن أن يكون إنتاج الحكم من عند طبقة أعرض وأوسع ، ثم يتم قصرها على مجموعة حرصاً منهم على عدم تبديدها خارج قبضة الطبقة العليا ، إذ لم يتجاوز إنتاج الحكمة في عصر الإسلام أسماء من مثل "لعمان الحكيم وزهير بن سلمي ، ولبيد بن ربيعة وطرفة بن العبد واحيحة بن الجلاح وأمية بن الصلت"<sup>(٦)</sup> .

- ٢٢ - ينظر : الحياة العربية من الشعر الجاهلي : ٢٣٠ ، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي : ١١١ .

- ٢٣ - م.ن : ١١٥ .

- ٢٤ - ينظر : الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي : ١١١ .

- ٢٥ - سموا كذلك تشبيهاً لهم بذلك الطائر المشهور في لونه الأسود م. ن : ١١١: ١١١ .

- ٢٦ - ينظر : الحكمة في شعر المتنبي : ٢١ ، وينظر : الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه : ٢٨٧ .

إن تخطينا المتن السياسي والقبلي باتجاه الهمش الذي يملأ الصعاليك حياة منفلتة من القوانين والأعراف يطلغنا على عالم آخر وقناعات أخرى يستبدل بها الصعلوك ما حطمه أو كسره من قيم القبيلة . إن ظروف الصعاليك القاسية وما لا يراه من تهميش وامتهان وجوع ، لبي المنتج للحكمة فهناك من يرى أن أصل الحكم مصائب الدهر ، ونكبات الحياة فالجرح النازف والألم اللازم ، يولدان الشعور باليأس ف تكون المكافحة اللاهثة خلف العلة فتشاً الحكمة التي تترجم الحقائق و تعالج التجارب لتخلق من الفشل والمصائب والآلام ، وتفرض على البشر ، تتبع الأسباب الرادعة والوسائل المعينة وتكون الحكمة الصائبة وال فكرة الهادفة ”<sup>(٢٧)</sup> .

لذا نجد أن ظروف الصعاليك القاسية قد أنتجت شعراً يغوص حكمة تتضمن تجاربهم ورؤاهم ومكابداتهم ”فالحكمة هي ثرة تجرب طويلة وفطنة ونظر ثاقب وبصيرة نافذة بالناس وأخلاقهم ثم إحساس دقيق بالحياة“<sup>(٢٨)</sup> .

إن حكمة الصعاليك وجدت مختلفة ومفارقة للحكمة القراءة في قوانين القبيلة وأعراها ؛ وذلك للفرق والمباينة بين ما يعيشه الصعلوك وما يعيشه الحر في القبلية المدحية لذا جاءت حكمهم مباينة وحكمهم مختلفاً كونه ”الخير بطائع النفوس لأنه يعبر عما اعتلج فيها وعجزت هي للتغيير عنه ، مما يزيد الناس قبولاً للحكمة وتمسكاً بها ، توافقها والمشاعر الإنسانية وأن تكتسب صفة التعميم في المدلول والاتجاه“<sup>(٢٩)</sup> .

ولهذا فإن الاهتمام بالحكمة وتدوين الأفكار الذهنية الصالحة لكل زمان ومكان قد شغلت الشاعر الصعلوك ، حتى جعلوها متقدمة على خلاف القصيدة القبلية الملتزمة بالمقدمة الطلبية وما يتلوها من تقسيمات فنية ، وكأنهم جادون في كتابة أفكار جديدة أو تاريخ بديل لما تحطمت على أياديهم من بنى إجتماعية وثقافية وفنية خلفوها وراءهم ظهرياً .

لذا نجد عروة يفتح شعره قائلاً :

إذا المرء لم يبعث سواماً ولم يَرَحْ  
فللموت خير للفنِي من حياتهِ  
عليهِ ولم تعطف عليهِ أقاربهِ  
فقيراً ومن مولى تدب عقاربهِ<sup>(٣٠)</sup>

أو الشنيري في قوله :

ولولا اجتتاب الذام لم يَقِ مَشَرِّبَ  
يَعاشَ بِهِ إِلَّا لَدِيَ وَمَأْكُلَ<sup>(٣١)</sup>

إن حكمة الصعاليك المبثوثة في تجاربهم الشعرية يمكن أن ينظر إليها من خلال ثلاثة محاور تنتج الحكمة من إطارها وهي :

### المبحث الأول : حكمة الخلاص من الفاقة والجوع

إن أخبار الشعراء حافلة بالحديث عن فقرهم ، فكل الصعاليك فقراء حتى سيدهم عروة بن الورد<sup>(٣٢)</sup> فالرواية يذكرون أنه كان فقيراً صعلوكاً مثلهم إذ نجده يقول :

ذريني للغنِي أَسْعِي ، فِإِنِي رأَيْتَ النَّاسَ شَرَّهُمُ الْفَقِيرِ

- ٢٧ - النقد الأدبي الحديث : ٣٦٢ .

- ٢٨ - الشعر الجاهلي ، خصائصه وفنونه : ٢٨٧ .

- ٢٩ - موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء المعري : ٢٠ .

- ٣٠ - ديوان عروة : ٣٥ .

- ٣١ - ديوان الشنيري : ١٠٦ .

- ٣٢ - الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي : ٢٨ .

وأذنَاهُمْ وآهُونَهُمْ عَلَيْهِمْ  
وَإِنْ أَمْسَى لَهُ حَسْبٌ وَخَيْرٌ  
يَبَاعِدُهُ الْقَرِيبُ وَتَزَدِيرُهُ  
حَلِيلُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ  
يَكَادُ فَوَادُ صَاحِبِهِ يَطْيِيرُ  
وَيَلْقَى ذُو الْغَنْيَى وَلَهُ جَلالٌ  
قَلِيلٌ ذَنَبُهُ وَالذَّنْبُ جَمٌّ  
(٣٣)

يسجل عروة بن الورد فلسفته إزاء ما يراه من مظاهر اجتماعية عاشها حُرًّا وليس عبدًا أو مولىً أو خليعًا لذا تصبح دعوته للثورة ممثلة للإحساس هذا التأثر بما يعانيه المضطهد المعدم . فهو لا يطلب الغنى لذاته ، بل لحفظ الكرامة الإنسانية بعد أن أصابها الهوان والدونية وبملاعبة الأقرباء وازدراء الخليلات ، ونهر الصغير ، كل هذا يحمل بذور فراق ينزع نحو تحطيم بنية المجتمع التي أسها الحفاظ على هذه القيم ؛ ويطلق عروة بن الورد صرخته الداعية للحرب والغزو ، ويجهز بدعاوة تتضمن حكمة مفادها أن الموت خير من حياة في ظل الجوع والهزال إذ قال :

**أَقِيمُوا بَنِي عَمِي صَدَرَ رَكَابِكُمْ فَإِنْ مَنِيَا الْقَوْمُ خَيْرٌ مِنَ الْهَزَلِ**

ونجد في نص شعري آخر لعروة ، إن الجوع والفقر صارا هاجسين محركيين لنيل الغنى . إذ يفهم عروة ويدرك كل الإدراك أن المال سر على أساسه تقام وتقيم كرامات الإنسان ؛ لذا لم يعبأ بشيء يثنى قراره في طلب المال وبلغ الغنى لحفظ الإنسان حينما تلم به اللمات إذ قال (٣٤) :

دَعِينِي أَطْوَفُ فِي الْبَلَادِ لَعْلِنِي  
أَفِيدُ غَنِيَّ فِيهِ لَذِي الْحَقِّ حَمَلَ  
أَلَيْسَ عَظِيمًا أَنْ تَلْمَ مَلْمَةً  
فَإِنْ نَحْنُ لَمْ نُمْلِكْ دَفَاعًا بِمَادِثٍ

عروة هنا ساع بدلالة "أطوف" خارج المكان ليس له مستقر منفلتاً من قبضة لائمه ، وهي تحاول جاهدة حبسه في دائتها الذاتية ؛ لكنه يأبى إلا أن يكون مشروعًا جماعياً ؛ ليجيب عن استئلة ذاته وجوده المبني على أساس إغاثة الآخر (ليس علينا في حقوق معمول) (لم نملك دفاعاً بمادث) . إن تأثير النص الشعري غير متأت من اللغة وإمكانات انتزاعها وتعديلها أو شحنها بمعان جديدة ، بل من عمق ما تشكله أسئلة الوجود ومن حشده لتضادات تخلق مسافات توترها على أساس التواجد الحي والشخصي لللกائن وهو يتفاعل داخل دائرة الكون فيبدأ منه الفعل فهو متعجب ومستغرب أن يستغاث به ولا يغيث وما بين ذلك تكمن تجربته الشعرية المرتبطة "بتجربة الخروج جذرياً وبال موقف الثوري ليصبح أحد تجلياته البارزة ، فهي تستقي شعريتها من منابع الشعرية التي تخفي وراء الموقف الثوري" (٣٥) .

وفي سياق آخر نجد أن الشنفرى يبث في نسيج لاميته إرادته المتحدية التي ترسم الإباء والصبر على الضيم والأذى من دون اللجوء إلى الإذلال والإهانة ، وકأن سهم الموقف يهرب بالصلعوك من إذلاله في مجتمع متماسك بطبقاته حتى لا يترك من مسافة يحقق بها ذاته ، إلى فرصته الواقعة خارج التقاليد والأعراف تلك التي يتحقق بها أمله في كسب شخصي فردي يصبر عليه حفاظاً على ذات هربت لتحقيق لها وجوداً خارج منظومة العلاقات الطبقية والعنصرية المذلة والمهينة إذ قال (٣٦) :

-٣٣- . ديوان عروة : ١٩١ .

-٣٤- . م.ن : ١٠٦ . ومتنه الطلب من أشعار العرب : ٢٢٦ مع اختلاف في الألفاظ .

-٣٥- . ديوان عروة : ٢٠٦ .

-٣٦- . في الشعرية : ٤٥ .

-٣٧- . الأمالى : ٢٠٤ .

**أهـل الـبيـت**

---

وأضـربـ عنـهـ الـذـكـرـ صـفـحـاـ فـأـذـهـلـ  
عـلـيـ منـ الطـولـ اـمـرـؤـ مـطـلـوـلـ  
يـعـاـشـ بـهـ إـلـاـ لـدـيـ وـمـأـكـلـ  
وـيـكـونـ الـجـوـعـ حـافـرـ تـبـنـيـ النـفـوسـ الـكـبـيرـةـ وـهـيـ تـسـعـيـ جـاهـدـةـ لـاجـتـياـزـ وـاقـهاـ الـمـؤـلـمـ :ـ فـعـرـوـةـ يـخـتـارـ الـمـوـتـ  
عـلـىـ الـحـيـاةـ الـذـلـلـيـةـ وـقـالـ<sup>(٣٨)</sup> :

إـذـاـ الـمـرـءـ لـمـ يـبـعـثـ سـوـاـمـاـ وـلـمـ يـرـجـعـ  
فـلـلـمـوـتـ خـيـرـ لـلـفـتـيـ منـ حـيـاتـهـ  
وـلـأـنـ الـحـكـمـ تـعـودـ فيـ جـوـهـرـهاـ إـلـىـ تـجـرـبـةـ ذـهـنـيـةـ تـسـتـحـضـرـ لـلـتـبـيـبـرـ عـنـ قـضـيـةـ وـجـودـيـةـ وـحـيـاتـيـةـ ؛ـ لـذـاـ يـكـونـ  
الـتـرـكـيـزـ فـيـهـ مـنـصـبـاـ عـلـىـ إـظـهـارـ الـأـفـكـارـ جـلـيـةـ وـبـلـغـةـ سـلـيـمـةـ سـهـلـةـ .

### المـبـحـثـ الثـانـيـ :ـ حـكـمـةـ الـمـروـءـةـ

إنـ جـوـهـرـ الـحـكـمـ يـكـمـنـ فـيـ قـدـرـتـهـ عـلـىـ رـفـعـ الـمـسـتـوـيـ الـإـجـتمـاعـيـ ،ـ فـهـيـ تـحـثـ عـلـىـ تـحسـينـ الـأـخـلـاقـ  
وـالـزـهـدـ فـيـ الـدـنـيـاـ وـالـقـنـاعـةـ بـاـتـيسـرـ مـنـ خـبـرـاتـهـ ،ـ فـيـخـلـىـ الـأـفـرـادـ عـنـ التـنـاحـرـ وـالـتـسـاجـرـ وـالـتـحـاسـدـ<sup>(٣٩)</sup> .  
فـهـذـاـ عـرـوـةـ بـنـ الـورـدـ يـوزـعـ جـسـدـهـ فـيـ أـجـسـادـ طـالـيـهـ وـيـكـتـفـيـ بـالـمـاءـ مـوـفـرـاـ مـاـ عـنـدـهـ لـإـطـعـامـ الـمـتـاجـيـنـ حـتـىـ  
صـارـ شـاحـباـ هـزـيـلاـ فـقـالـ<sup>(٤٠)</sup> :

أـنـيـ اـمـرـؤـ عـافـيـ أـنـائـيـ شـرـكـةـ  
أـنـهـزـأـ مـنـيـ إـنـ سـمـنـتـ وـقـدـ تـرـىـ  
أـقـسـمـ جـسـمـيـ فـيـ جـسـومـ كـثـيـرـةـ  
إـنـ نـصـ عـرـوـةـ يـعـتـمـدـ فـيـ إـظـهـارـ الـحـكـمـ عـلـىـ وـجـودـ كـيـانـيـنـ أحـدـهـمـ يـقـفـ مـواـجـهـاـ لـلـآـخـرـ ،ـ هـذـهـ الـمـواجهـةـ  
تـخـلـقـ مـزـاجـاـ جـدـلـيـاـ فـيـ التـلـقـيـ إذـ يـتـأـرـجـعـ النـسـخـ الشـعـرـيـ بـاـ يـحـمـلـ مـنـ أـفـكـارـ وـحـكـمـ وـتـجـارـبـ وـرـؤـىـ بـيـنـ ذاتـ  
الـشـاعـرـ وـالـآـخـرـ .ـ وـبـهـذـاـ تـخـوضـ ذاتـ الشـاعـرـ فـيـ مـواجهـةـ معـ الـآـخـرـ فـيـ قـيمـهـ وـخـلـقـهـ وـعـلـاقـتـهـ بـالـآـخـرـينـ .  
وـيـدـافـعـ تـأـبـطـ شـراـ فـيـ إـحـدـيـ قـصـائـدـ عـنـ كـرـمـهـ وـاسـرـافـهـ الـلـذـيـنـ جـلـبـاـ عـلـيـهـ كـثـيـرـاـ مـنـ اللـومـ فـقـالـ<sup>(٤١)</sup> :ـ (ـمـنـ  
الـطـوـيلـ)

### أـعـاذـلـتـيـ إـنـ الـلـوـمـ مـعـنـقـةـ

فـالـشـاعـرـ يـحـثـ عـلـىـ إـنـفـاقـ الـمـالـ لـمـ يـسـتـحـقـهـ مـنـ الـفـقـراءـ وـالـمـحـرـومـيـنـ فـلـاـ خـيـرـ يـرـجـيـ بـيـتـاعـ فـيـ الـحـيـاةـ مـالـمـ  
يـنـتـفـعـ بـهـ الـآـخـرـونـ .

إـنـ حـكـمـةـ الـمـروـءـةـ فـيـ شـعـرـ الصـعـالـيـكـ كـانـتـ خـلـاـصـةـ لـحـيـةـ نـكـدـهـمـ الـتـيـ عـاـشـوـهـاـ فـيـ الصـحـراءـ ،ـ وـكـانـتـ  
أـيـضاـ نـتـيـجـةـ تـجـارـيـهـمـ الـقـاسـيـةـ الـتـيـ مـرـواـ بـهـاـ ،ـ لـذـلـكـ فـلـيـسـ مـنـ الـمـسـتـغـرـبـ أـنـ نـلـمـحـ فـيـهـاـ حـرـارـةـ الـاـنـفـعـالـ ،ـ وـهـذـاـ  
وـاـضـعـ فـيـ ثـنـيـاـ قـصـائـدـ الـشـعـرـاءـ وـالـصـعـالـيـكـ .ـ وـلـابـدـ مـنـ التـبـيـهـ عـلـىـ إـنـ تـلـكـ الـحـكـمـةـ تـكـوـنـ فـيـ أـغـلـبـ الـأـحـوـالـ  
فـيـ نـهـاـيـاتـ الـقـصـائـدـ .ـ فـهـذـاـ تـأـبـطـ شـراـ وـهـوـ يـرـثـيـ زـمـيلـهـ فـيـ الـصـعـلـكـةـ الشـنـفـرـيـ يـيـدـأـ بـذـكـرـ الـمـوـتـ مـيـنـاـ نـوـعـ الـمـيـتـةـ  
الـتـيـ يـحـبـ أـنـ يـمـوتـ عـلـيـهـاـ الـإـنـسـانـ ،ـ فـلـاـ بـدـ أـنـ يـخـتـارـهـ بـنـفـسـهـ لـتـكـوـنـ مـيـتـةـ عـزـ وـشـرـفـ ،ـ ثـمـ يـتـدـرـجـ إـلـىـ مـاعـلـيـهـ  
نـفـسـهـ مـنـ مـرـوـءـةـ وـكـرـمـ نـفـسـ<sup>(٤٢)</sup> فـقـالـ<sup>(٤٣)</sup> :

- ٣٨ - دـيـوانـ عـرـوـةـ :ـ ١٥٠ .

- ٣٩ - مـ.ـنـ.ـ ٢٢ .

- ٤٠ - دـيـوانـ عـرـوـةـ :ـ ٨٣ .

- ٤١ - شـعـرـ تـأـبـطـ شـراـ :ـ ١١١ ،ـ وـمـتـهـيـ الـطـلـبـ :ـ ٩٥٢ وـمـفـضـلـيـاتـ :ـ ١٨ وـفـيـهـ :ـ (ـعـاذـلـتـيـ ...ـ)ـ دـونـ هـمـزةـ .

- ٤٢ - يـنـظـرـ :ـ شـعـرـ تـأـبـطـ شـراـ :ـ ٣٩ .

ولابد يوماً موته وهو صابر  
إلى حيث صرت لا حالة صائرٌ  
وإن سوام الموت تجري خلانا

وأجمل موت المرء - إن كان ميتاً  
وخفق جاشي أن كل ابن حرة  
فالشاعر الذي خبر الحياة لا يرتضي لنفسه أو لغيره - وهو في معرض رثاء الشنفرى - أن يموت ميتة لا تستحق الذكر، فإن ما هدأ من روعه هو أن كل الناس سوف يموتون، فالآخر بالعاقل أن يختار ميتة العز على ميتة الذل من أجل ذلك مدح الشعرا الصعاليلك المغامرة معبرين فيها عن المروءة التي يتحلون بها فإن تلك المغامرة لم تك يوماً طيشاً بل من أجل إشباع الفقراء الذين لا حول لهم . يقول عروة بن الورد<sup>(٤٤)</sup> :

لَا الله صعلوكَا إِذَا جن لِيهِ  
مَصافِي الماشِ أَفَأَكَلْ مُجْزِرِ  
يُعد الغنى من نفسه كل ليلة  
أَصَابَ قراها من صديقٍ ميسِرِ  
يَنَمِ عِشَاءً ثُمَّ يَصْبَحُ نَاعِسًا  
يَحْثُلُ الْحَصْنَ عَنْ جَنْبِهِ الْمُتَفَرِّ  
يَعِينُ نِسَاءَ الْحَيِّ مَا يَسْتَعْنَهُ  
كَضْوَءُ شَهَابِ الْقَابِسِ الْمُتَسْوِرِ  
وَلَكِنْ صعلوكَا صَفِيحةً وَجْهِهِ  
فَذَلِكَ أَنْ يَلْقَ النَّيَّةَ يَلْقَهَا

هذه هي مروءة الصعاليلك ، التي ترجمها سيدهم عروة بن الورد في وصفه للصلعوك في لوحة شعرية جميلة ينام على التراب والمحضى وعيه يقطنة انتظارا للحظات تحقيق معنى الإنسانية في نظره وهل من معنى أبل من أن تغيث نساء جائعات وهنا تبدو مفارقة الحكمة في شعر الصعاليلك وطراحتها .

### المبحث الثالث : حكمة النجاة من الموت، والإغارة .

على الرغم مما يتضمنه الصعلوك من شجاعة وجرأة إلا أنه يؤثر الحياة على الموت ، والنجاة على المهلكة وقد يعود ذلك إلى ظروف حياته وانفصاله عن القبيلة لذا توجهت أعرافه بمعايرة تامة لأدبيات المتن الاجتماعي المتمثلة بأعراف القبيلة وتقاليدها المفارقة لقوانين الفرد المنفصل والمفرد " إن عمل القبائل الجماعي منظم وعمل الصعاليلك فردي لا نظام له " <sup>(٤٥)</sup> .

إن الصعلوك جسد متفرد تمثل له النجاة مكتسباً آخر في سجله الشخصي ، لذا تمثل أحاديث الفرار وصوره ظاهرة واضحة وسمه من سمات شعره ، فهذا تأبٍ شريراً يدافع عن فراره وعن جسده مؤجلاً فناءه لتترافق في صالحه أزمان تشكل تأريخاً شخصياً يقف بدليلاً لأيام ووقائع وتواريخ حطمها الصعلوك بعفارقه لكل ما يتصل بالقبيلة إذ قال <sup>(٤٦)</sup> :

وَرَائِيَ نَحْلَلَ فِي الْخَلِيلَةِ دَاكِنَا  
وَلَمْ أَنْتَظِرْ أَنْ يَدْهُمُونِي كَأَنَّهُمْ  
وَلَا أَنْ تَصِيبَ النَّافِذَاتِ مَقَاتِلِي  
فَأَرْسَلْتُ مَثِيَا عَنِ الشَّرِّ عَاطِفَا

فالصلعوك مفتخر بخيله وحكمه في الفرار والنجاة والخلاص ، فالمقاتل فرد (لم ينتظِر) والأعداء كثيرون (أن يدهموني) أوهم كالنحل كثافة وهو فرد موتور بهذه المسافة المتدرجة بين الواحد والجماعة والواحد

- ٤٣ - شعر تأبٍ شريراً : ٨٦ ، والأغاني : ٨٨/٢١ وفيه " وأجمل موت المرء إذ كان ميتاً " .

- ٤٤ - ديوان عروة : ١٥ .

- ٤٥ - تاريخ الشعر السياسي : ٣٥ .

- ٤٦ - شعر تأبٍ شريراً : ١٤٥ ، والأغاني : ٢١٣/١٨ .

وكثافة النحل ، تفعل حكمة تأبٍ شرًا فعلها الشعري على مستوى الدهاء والمكيدة أو على مستوى الشاعرية .

وأضفى ابو خراش على فراره مشروعية ، حتى جعله مذهبًا في النجاة ، فهو يفتر ليس لأنه جبان بل لأنه مناور ، يوفر بأي طريقة سبل نجاته وبقائه حيًّا فهو يرى في الثبات فرصة لإهلاكه ، لذا يكون حريصاً على تبديد هذه الفرصة ومنح جسده امتداداً جديداً بالمكان والزمان إذ قال<sup>(٤٧)</sup> :

فإن تزعمي إني جبنت فإنني  
أقاتل حتى لأرى لي مقاتلاً  
 وأنجو إذا مافضن بعض الممالك

إن أحاديث الغرار ظاهرة واضحة في أخبار الصعاليك الهذلين إذ تأخذ في بعض مناحيها شكل القصة بما فيها من سرد وحوار حتى " إن التحليل النفسي لشخصية الهارب وتصويره الدقيق لخوفه وذعره من الموت وحرصه على الحياة يجعلها قريبة جداً من القصة النفسية "<sup>(٤٨)</sup> .

وتوقف الإغارة في صدارة الوسائل التي يبني عليها الصعاليك اقتاصدهم لذا يعد الاهتمام بتفاصيلها من حذر وحذر ومعرفة جيدة بالمكان ومن أسلحة وخيوط من روافد الخبرة التي يؤدي تراكمها إلى انتاج الحكمة والمعرفة اللازمين للنجاح الإغارة ، فتكون الحيلة وسيلة للشخص الحازم الذي يستعين بها في مواطن الخطر ، وهو الذي يعمل للأمر حساباً قبل أن يؤخذ على حين غرة ، وعلى المرء أن يكون مننا في تصرفاته ، لتكون الحكمة وسيلة عبور ونجاة وانتصار يقول تأبٍ شرًا<sup>(٤٩)</sup> :

إذا المرء لم يختل وقد جد جده  
ولكن اخو الحزم الذي ليس نازلاً  
فذاك قريع الدهر ما كان حولاً  
اضاع وقادى أمره وهو مدبر

ويكون اختيار المكان أو المربق المنبع جزءاً من خبرة الصعلوك ، في الجاز مهمته في الإغارة ، وفي مواجهة أهدافه . فهذا الشنفرى يقدم لوحة رائعة لمربقة منيعة عالية يعجز دونها الصياد الماهر الحفييف الذي يخرج بكلابه المضرة للصيد . يصف كيف أرتقاها متربصاً وحذر يقول الشنفرى<sup>(٥٠)</sup> :

ومرقبة عنقاء يقصر دونها أخو الضرورة الرجل الحفي المخفف  
نبت إلى أدنى ذراها وقد دنا من الليل ملتف الحديقة أسفد  
ومرقبة تأبٍ ذات تجاعيد ، كأنها عجوز شمطاء عليها ثياب بالية يقول تأبٍ شرًا<sup>(٥١)</sup> : (من الطويل)  
ومرقبة يا أم عمرو وطمرة مدببة فوق المراقب عيطل  
نهضت إليها من جثوم كأنها عجوز عليها هدم ذات خيعل

إن اختيار المراقب بهذا العلو والبعد عن الخطر يعود فيما يعود إلى مدى خبرة الصعلوك وحكمته وربطه بين هذه المراقب والعجز الشمطاء ، بما تحمله من تجاعيد تلف الصعلوك بين طياتها ، والتي تتموج بين أشكال الصخور والتفافها على وجه الحقيقة ، وبين عمر هذا المرأة وما تدخله من خبرات تكدرت تجاعيد على مر السنين .

- ٤٧ - ينظر : الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي : ٢١٥ .

- ٤٨ - البناء الفني في شعر الهذلين ٢٤٧ / .

- ٤٩ - شعر تأبٍ شرًا : ٨٩ ، الأغاني : ٢١/٢١٥ .

- ٥٠ - ديوان الشنفرى الأزرى : ٣٧ .

- ٥١ - الأمالى ٣٨/١ .

ويكون السلاح عند عمرو بن براقة أحد أركان ثلاثة يعتمد عليها من يريد تجنب المظالم في مجتمع الحرب يقول عمرو بن براقة<sup>(٥٢)</sup> :

متى تجمع القلب الذكي وصارماً وافأ حميأ تجنبك المظالم  
إذ يكون الذكاء، وما ينجم عنه من حسن تصرف مع سلاح الصعلوك الملائم له، وقوه العزية وعلو  
الهمة هو ما يتحقق للصعلوك رغبته وأهدافه .

### الخاتمة

- يكاد يتطابق مدلول الحكمة لغوياً واصطلاحاً، وتتفق جميع المعجمات اللغوية منذ العين وحتى لسان العرب في المعاني المتقاربة .
- إن تقليليات مادة " حكم " تقترب أو تكون في دائرة واحدة للمعنى المراد .
- اجتمعت عوامل عده منها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لقيام ظاهرة الصعاليك .
- لا بد لمن يتصدى لأي ظاهرة عند جماعة الصعاليك من أن ينظر إليها من زوايا مختلفة سواء كان نظره لجانب موضوعي أو فني إذ أن اختلاف الظروف يتبع دائماً أدباً وقيماً واعرافاً مختلفة .
- إن الحكمة عند الصعاليك جاءت مفارقة لعادات وأعراف وقيم وحكم القبيلة فهم (الصعاليك) حكماء فيما يحفظ ذواتهم الفردية وليس الجمعية مثلما هي عند أفراد القبيلة .
- تبين من خلال البحث أن أهم حكمتهم قد انطوت ضمن الخلاص من الفقر والنجاة من الموت وحكم المروءة والإغارة .
- يرى الباحث أن وعي الصعاليك جاء مخالفًا قيمياً لما ترسب في الذاكرة الجمعية للمنت القبلي فإن كان الفرد في القبيلة جزءاً من مشروع جمعي في حياته وماته فإن الصعلوك على الضد من ذلك إذ يفارق بتجربته كل ما هو سائد وثبت فهو في ذلك يحتفي بوجوده الفردي وبجسده الذي يمثل لديه الكون لهذا إحتال بكل الوسائل للحفاظ عليه فهو يهرب من المواجهات المؤذية ماتسنى له ذلك ولا يعني هذا الهروب أنانية مطلقة بل هي حكمة أملتها عليه ظروف حياته كونه منفصلاً وجد في الحفاظ على جسده مشروعًا من أجل الإنسانية المعدبة .

### المصادر والمراجع

#### القرآن الكريم .

١. الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني ، نسخه عن طبعة بولاق الأصلية منشورات دار الفكر للجميع ، ١٩٧٠ بلا تحقيق .
٢. الأمالي (وذيل الأمالي والنواذر) ابو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي القالي (ت ٣٥٦ هـ) ، ط ١ ، مطبعة السعادة ، ١٩٥٣ م .
٣. البناء الفني في شعر المذلين ، دراسة تحليلية ، د. اياد عبد المجيد إبراهيم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠٠ م .
٤. تاريخ الشعر السياسي ، أحمد الشايب ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٤٢ .
٥. الحكمة في شعر المتنبي ، د. حسين علي قرعاوي ، ط ١ ، دار عمار ، عمان ، الأردن ، ١٩٨٦ م .

٥٢ - . الأمالي : ١٢٢/٢ ، ومنتهى الطلب : ٣١٥ .

٦. الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، الدكتور أحمد محمد الحوفي ، ط٤ ، مكتبة نهضة مصر ومطبعها ، مصر ، مزيدة ومعدلة ، د.ت .
٧. ديوان جرير ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .
٨. ديوان الشنفرى ، عمرو بن مالك الأزدي ، ت٥٢٥م ، ضمن الطرائف الأدبية ، تحقيق عبد العزيز الميمنى ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٧م .
٩. ديوان عمر بن الورد بن زيد العبسي ، ت٥٩٤ ، تحقيق عبد المعين الملوحي ، دمشق ، ١٩٦٦ .
١٠. شرح ديوان الأعشى ، حسن إبراهيم جزيني ، ط١ دار الكاتب العربي ، بيروت ، ١٩٦٨ .
١١. شعر تأبط سرا ، تحقيق : سلمان داود القرغولي وجبار تعبان جاسم ، ط١ مطبعة الآداب ، النجف الأشرف ، ١٩٧٣ .
١٢. الشعر الجاهلي خصائصه وفونه ، د. يحيى الجبوري ، دار التربية ، ١٩٧٢ .
١٣. الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، د. يوسف خليف ، ط٢ ، دار المعارف بمصر ، بلا تاريخ .
١٤. الشعرية العربية ، أدونيس ، ط١ ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٥ .
١٥. في الشعرية ، كمال أبو ديب ، مؤسسة الأبحاث العربية ، د.ت .
١٦. قاموس الفلسفة ، ديدье جوليا ، نقله إلى العربية د. فرانسوا أيوب وإيلي نجم وميشال أبي فاضل ، مكتبة أنطوان ، بيروت ، دار لاروس ، باريس ، ط١ ، ١٩٩٢ .
١٧. كتاب التعريفات ؛ علي بن محمد علي الحسيني الجرجاني الحنفي ، ت٨١٦هـ ، تحقيق : نصر الدين تونسي ، شركة القدس للتصدير ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٧ .
١٨. كتاب العين ، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق ، د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي ، ط١ ، مؤسسة الأعلمى ، بيروت ، ١٩٨٨ .
١٩. لسان العرب ، ابن منظور ، ت٧١١هـ ، تحقيق عبد الله على الكبير و محمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف ، مصر ، د.ت .
٢٠. مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، ناصر الدين الأسد ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٦ .
٢١. المعجم الفلسفى ، د. جميل صليبا ، ط١ دار ذوى القربى ، مطبعة سليمان ، ١٣٨٥هـ .
٢٢. معجم القاموس المحيط ، مجذ الدين يعقوب الفيروز آبادى (ت٨١٧هـ) ، رتبه ووثقه خليل مأمون شيئاً ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ٢٠٠٧ .
٢٣. المعجم المفصل في الأدب ، الدكتور محمد التونجي ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٩ .
٢٤. معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ) تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٧٩ .
٢٥. المفضليات ، مختارات العلامة أبي العباس المفضل بن محمد الضبي ، ت١٧١هـ ، تحقيق : د. عمر فاروق الطباع ، شركة الأرقام للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ : ١٩٩٩ .
٢٦. متنهى الطلب من اشعار العرب ، تأليف أبي غالب محمد المبارك بن ميمون البغدادي ، ت٥٨٩هـ ، اعنى به محمد مصطفى محمود زهران ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨ .
٢٧. موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء المعري ، د. زهير صبري الخواجا . منشورات دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام ، الرياض ، ط١ ، ١٩٨٢ .
٢٨. النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

**خلامات البحث**

**باللغة الانجليزية**



## **-Critical study in the concept of renaissance in Arabic syntax in shawqi Dhaif's works**

**Mr. Mohammad Baqir Al-Huseini  
Mr. Ahmad Hanafi Zade**

### **Abstract**

Dr. Shoghi Zif is one of the greatest literates tried to rebuild and revise Arabic syntax.

Since in that period many literates including Taha Hosein recognized the necessity of rebuilding and revising Arabic syntax and they were very serious in this respect,

Shoghi Zif was influenced by such invitations and wrote many books worthy of appreciation. However, he couldn't succeed completely and his efforts were limited to few books which weren't received attention. The main reason of his unsuccessfulness was contradiction between his old and modern thoughts in his scientific character. His perplexity in the extent to which he accepted old and new principles to build a new syntax conforming to contemporary human requirements and the necessity of protecting correctness and eloquence of Arabic language is clear. He first revolted against factor theory which is the fundamental of Arabic syntax of Basreh School.

However, he supported its principles elsewhere. Then he tried to suggest an abstract of Koofi and Basri syntaxes to resolve the problem of Arabic syntax. So, he questioned some of the main principles of Basreh School and preferred theories of its old competitor, Koofeh School. Thereafter, he tried to defend his early efforts and find a problem directly and indirectly in some syntax theories or correct and complete them. Finally, he turned his efforts to language rather than syntax.

**-Methods and styles of commands , negations  
and interrogations in part of Alsahifa Alsajadayah  
(the blessed days as sample )**

Asst. Prof. Dr. Baqir Jawad Al-Zojaji  
Asst. Prof. Dr. Mohammad Mohsin Al-Asadi

No doubt , the stem study of this research concerning the linguistics / literature sorts which are more emphasised on the viewed which hanged over of the scientific point of spectrums , spiritual phobia which prevealed various aspect of queries , on to AL – SAJADiA – Encyclopedi , inclusively decrees .

Imam zain AL Abedeen ( peace be upon him ) in tended to show the eloquent , fluent , options foreseecn into excessive mignonette .

Following the major characteristic of the trinity mitigative recitation of the holy Koran psalam . All that civics potential concorded , categorized a glory visions for the foreseeable future turbines .

The research in - trodctory prevealed the emphasis of three subject matter approach which Categorised inclusively on Al-Fitty , Araffa , and AL – Adhaa mandatory as well as the Fridays preponderance reverberation and echoarrangements .

Indeed we prepondered to deal with the Major eloquent – symtay-symatics intense symbols which over shaded masonry erection a well back ground quadratic educatc .

# **The Phenomena of the Monetary Inflation in Iraq**

## **and its Economical Reflexions**

Asst. Prof. Dr. Kamal Abed Hamed Al Ziara  
Asst. Prof. Dr. Hikmat Abd-Al-Razaq Al-Dabagh

Iraq has passed many important development within the last decades that left their effects on different aspects of life, including economic aspect. Iraqi economics has witnessed fluctuations in different economic variables according to the political reality and surrounding conditions. In spite of all these developments and differentiation in economic policy directions and how to use its tools. Yet, the common standard during the last years was the monetary inflation Iraq has witnessed increase in the general level of prices during the nineties of the last century and the first decade of this century and it was of the creeping inflation which characterized by its continuity during that period. This was the main reason behind conducting this paper. Both Researchers tried to study this phenomenon to find out its reasons and its reflections on Iraqi economy.

This paper based on the following two hypotheses:

1. Continuity in issuing the currency as a major reason in the monetary inflation.
2. The huge operative budget in Iraq particularly salaries and wages section for officials and public sector employees with all economic total demand that implies in contrast with the decreased inefficient production system.

This paper includes six sections:

The first section deals with the concept of inflations while the second one deals with the inflation in the economic theory. The third section deals with the methods of inflation measuring, while the fourth one deals with measuring of monetary inflation level in Iraq. The fifth section care with economic reflections for the monetary inflation phenomena in Iraq. The sixth section is devoted to the conclusions and recommendations

A Summary of Arabic Researches

in English

e-Library.

Watson, J. (2007) *The Phonology and Morphology of Arabic*. Oxford:  
Oxford University Press.

---

## References

- Aronoff, M. (1976). *Word-Formation in Generative Grammar*. Cambridge, Mass.: MIT Press.
- Bauer, L. (1983). *English Word-Formation*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Crystal, D. ( 2008). *A Dictionary of Linguistics and Phonetics*. UK: Blackwell Publishing Ltd.
- Haywood,J. and Nahmad,H.,( 1962). *A New Arabic Grammar of the Written Language*. Cambridge: Harvard University Press.
- Holes, C. (2004). *Modern Arabic Structures, Functions and Varieties*. Revised ed. Georgetown University Press.
- Katamaba, F. and Stonham, J. (2006). *Morphology*. New York : Library of Congress.
- Lyons, J.(1963). *Introduction to Theoretical Linguistics*. Cambridge: Cambridge University Press.
- MacCarthy, A. (2002). *Current Morphology*. New York: Taylor & Francis e-Library.
- Marchand, H.(1969). *The Categories and Types of Present-day English Word-formation* . München: Beck.
- Matthews, P. (1974). *Morphology and Introduction to the Theory of Word Structure*. New York: CUP Press.
- Plag, I.(2002). *Word- Formation in English*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Robins, H. (1971). *General Linguistics An Introductory Survey* . London: Longman Group Ltd.
- Ryding, K. (2005). *A Reference Grammar of Standard Arabic*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Stageberg, N. (1971). *An Introductory English Grammar*. USA: Holt, Rinehart and Winston Inc.
- Stranza, Ph. (2005) *Encyclopedia of Linguistics*. New York: Taylor & Francis

semantic indication if they are class-maintaining affixes or class-changing, or if they form concrete nouns or the ones which have a deverbal function. Moreover, all the derivational affixes occur closer to the root than the inflectional affixes.

## 2. Differences

The main differences between English and Arabic in Affixation are:

There are no infixes at all in English, while the Arabic language depends mainly on infixes to make new derivative lexemes. Suffixes in Arabic are restricted in their use to certain situations, such as the feminine marker [t] or the suffix [iyyah] which forms abstract nouns from verbal or concrete nouns, while the English language tends to use suffixes in a productive manner to generate a huge corpus of nouns. Prefixes, on the other hand, in Arabic seem to be limited; they are just six (a, t, ?, in, ist, ma/ mu), while the English prefixes are numerous and varied. The affixes in Arabic may often be realized orthographically with one letter, but the English affixes are often realized with more than one letter.

Arabic morphology differs from that of English or other Indo-European languages because it is to a large extent based on discontinuous morphemes. It consists primarily of a system of consonant roots which interlock with patterns of vowels (and sometimes certain other consonants) to form words, or word stems.

In English, derivational affixes are stem-forming. Derivation is a continuing process, with some affixes still producing new words. English has derivational prefixes and suffixes as well. Arabic and English do not share any derivational affixes (equivalent forms).

Arabic words are marked for more grammatical categories than are English words. Some of these categories are familiar to English speakers (such as tense and number) while others, such as inflection for case or gender, are not. There are eight major grammatical categories in Arabic: tense/aspect, person, voice, mood, gender, number, case, definiteness. Six of these apply to verbs (tense/aspect, person, voice, mood, gender, number), four apply to nouns and adjectives (gender, number, case, definiteness), and four apply to pronouns (person, gender, number and – to a limited extent – case).

To sum up, there are two ways in which Arabic differs from English in its morphology: there are many more affixes, which change across regional dialects, and the stem morphemes have an additional internal structure. The number of different affixes in Arabic leads to a large number of word forms: the combinations of prefix, stem, and suffix multiply as the number of affixes increase. Consequently, there are a larger number of word forms.

تدرسون	tadrusun	You(mp)study	ta-,-n	
تدرسن	tadrusna	You(fp)study	ta-,-na	
يدرس	jadrusu	He studies	ja-	-ies
تدرس	tadrusu	She studies	ta-	-ies
يدرسان	Jadrusa:n	They (dual)study	Ja-,-a:n	
يدرسون	jadrusun	They (mp)study	Ja-,-n	
يدرسن	jadrusna	They (fp)study	Ja-,-na	

#### 4. Discussion and Conclusions

Morphology deals with the internal structure of word-form (Lyons, 1968:194). In morphology, the analyst divides word-forms into their component formatives (most of which are morphs realized realizing roots or affixes), and attempts to account for the occurrence of each formative. Morphology can be divided into two main branches, inflectional morphology and word-formation (also called lexical morphology: Matthews, 1974:41). Inflectional morphology deals with the various forms of lexemes, while word-formation deals with the formation of new lexemes from given bases. Word-formation can, in turn, be subdivided into derivation and compounding (composition). Derivation is concerned with the formation of new lexemes by affixation, compounding with the formation of new lexemes from two (or more) potential stems. Derivation is sometimes also subdivided into class-maintaining derivation and class-changing derivation. Class-maintaining derivation is the derivation of new lexemes which are of the same form class (part of speech) as the base form which they are formed, whereas class-changing derivation produces lexemes which belong to different form classes from their bases.

From the generally previous outlook one can conclude that there are some similarities and other differences between English and Arabic Language in the issue of affixation which can be summarized as follows:

##### 1. Similarities

English (as an Indo-European language) and Arabic (as a Semitic language) are completely different in their linguistic forms, but they share the same universals of language, for example, similarities of affixation terms. There is also similarities of affixation function in English and Arabic which give a certain

ادرس	?adrusu	I study	a-	
ندرس	nadrusu	We study	na-	
تدرس	tadrusu	You (ma)study	ta-	
تدرسين	tadrusin	You (fs)study	ta-, ina	
تدرسان	Tadrusa:n	You(dual)study	ta-,-a:n	
تدرسون	tadrusun	You(mp)study	ta-,-n	
تدرسن	tadrusna	You(fp)study	ta-,-na	
يدرس	jadrusu	He studies	ja-	-ies
تدرس	tadrusu	She studies	ta-	-ies
يدرسان	Jadrusa:n	They (dual)study	Ja-,-a:n	
يدرسون	jadrusun	They (mp)study	Ja-,-n	
يدرسن	jadrusna	They (fp)study	Ja-,-na	

Arabic	Transliteration	Translation	Arabic Affixes	English Affixes
ادرس	?adrusu	I study	a-	
ندرس	nadrusu	We study	na-	
تدرس	tadrusu	You (ma)study	ta-	
تدرسين	tadrusin	You (fs)study	ta-, ina	
تدرسان	Tadrusa:n	You(dual)study	ta-,-a:n	

### 3.4. Inflectional Morphology: Affixes and Clitics

Just as the prefix /يـ / /ja-/ attaches to the imperfect stem /شـرـ / /Sharu/ to create the third person singular masculine form of the verb, other affixes may be added to achieve other grammatical details. Inflectional affixes refer to phonological changes a word undergoes as it is being used in context. In English, some common inflectional categories are: number (singular and plural), tense (e.g., past, present), and voice (active and passive).

Generally speaking, Arabic words are marked for more grammatical categories than are English words. Some of these categories are familiar to English speakers (such as tense and number) while others, such as inflection for case or gender, are not. There are eight major grammatical categories in Arabic: tense/aspect, person, voice, mood, gender, number, case, definiteness. Six of these apply to verbs (tense/aspect, person, voice, mood, gender, number), four apply to nouns and adjectives (gender, number, case, definiteness), and four apply to pronouns (person, gender, number and – to a limited extent – case). Affixes are a closed class of morphemes, and they encode predictable information. In addition to inflection, cliticization is commonplace in Arabic text. Prepositions, conjunctions, and possessive pronouns are all expressed as proclitics or enclitics.

The Arabic stem /درـسـ / /drs/, meaning *to study*, combines with the imperfect tense verb pattern and vocalism /فـعـلـ / /f<sup>ۖ</sup>ulu/ to form the imperfect tense stem /درـسـ / /drusu/. This stem can be combined with 11 different combinations of inflectional affixes, creating as many unique word forms. The English counterpart stem, however, can take on the same meanings using far fewer unique word forms. Instead, English uses separate words - I, they, he, etc. - rather than affixes to express person and number. The verb itself has only two forms, *study* and *studies*.

The list can be expanded with stems from the same root representing different tenses. For instance, the stem (and word) [دـراسـ] [darasa] means *he studied*. Or, the root can be combined with a different pattern to obtain different meanings, for instance, to teach or to learn. Each of these stems can combine with the same or different affixes to create a similar number of varying word forms. Adding a single clitic to the words will double the number of word forms. For instance, the word [ادرـسـ] [adrusu], meaning *I study*, can take on the enclitic /ـهـ / /ha/ to form [ادرـسـهـ] [adrusuha] *I study it*. Various clitics can be combined, both before and after the stem. This process quickly increases the number of possible word forms.

Arabic	Transliteration	Translation	Arabic Affixes	English Affixes
--------	-----------------	-------------	----------------	-----------------

integral to the morphological processes of Arabic. The choice of paradigm determines the shape of the word (regarding whether there are consonants in the stem other than the root letter) as well as the meaning of the word. The pattern /فَعْل/ /f?l/ used in the last example is that of the first *paradigm*, also considered a base form, the pattern from which all others are derived. If the root /شَهْر/ /Shr/ instead combines with the pattern of paradigm III, /فَاعِل/ /fa:?l/, the letter alif is inserted between the first and second radicals to derive the stem

شاھر [Sa:hr]. Together with the same vocalism as before, the word

[Sa:hara] is created, a perfect tense word with the meaning “hired or rented on a monthly basis”. The short vowel after the first radical is assimilated into the long vowel of the pattern.

By combining the same root with the pattern of paradigm VIII, /افتَّل/ /ift?l/, and the same vocalism, [شَتَّھر] [!Stahara] is derived, with the meaning “to be or become well-known, famed, famous, to be known; to be widespread, common”. Here the first short vowel comes after the ت /t/ of the pattern because the pattern has caused a change in the syllable structure: the letters ا /?l/ and ت /t/ inserted around the first radical ف /f/ cause the ف /f/ to be at the end of the syllable, rather than the beginning. The short vowel is therefore moved to the second syllable.

Some of the patterns have a predictable semantic effect on the word. Stems formed from paradigm II are often transitive or causative, for instance, the word علم [alama] “to know” in paradigm I becomes علم [al:ama] “to teach” in paradigm II. Stems formed with paradigm V tend to have a reflexive meaning: the same example becomes تعلم [ta?al:ama] “to learn” in paradigm V. Other vocalisms are also possible, and these can change the word either inflectionally or derivationally. For instance, the vocalism /a-u/ is used to form stems in the imperfect tense. This vocalism combined with شھر /Shr/ and the pattern /f'l/ produces the stem شھر\_ /Sharu/, meaning “to make famous...” in the imperfect tense. However, this stem is not yet a grammatical word; inflectional affixes must be added to specify the person, number, and gender of the verb. For instance, the prefix /ا-/ /a-/ is added to the stem to derive the third person singular masculine form يشھر [jaSharu]. As a further exploration of the ways in which a single root can be transformed into many different words, Table reproduces the entries for the root شھر /Shr/ as given in the Hans Wehr Arabic-English Dictionary, annotated with information about patterns, vocalisms, and pronunciations.

functions, such as the derivational prefix *mu-* for many participles, the prefix *ma* for a noun of place, or the relative adjective suffix */-iyāl/*. Consonants that are included in Arabic pattern formation are: */ ɻ/* (*hamza*), */t/* (*taāv̄*), */m/* (*miim*), */n/* (*nuun*), */s/* (*siin*), */y/* (*yaāv̄*), and */w/* (*waaw*). These consonants may be used as prefixes, suffixes or even infixes.<sup>14</sup> One further component of patterning is gemination or doubling of a consonant. Therefore, the components of Modern Standard Arabic pattern-formation include: six vowels (three long: */aal/*, */iil/*, */uul/*; three short: */a/*, */i/*, and */u/*); seven consonants (*ɻ, t, m, n, s, y, w*); and the process of gemination.

Patterns are said to possess grammatical (rather than lexical) meaning because they signify grammatical or language-internal information; that is, they distinguish word types or word classes, such as nouns, verbs, and adjectives. They can even signal very specific information about subclasses of these categories. For example, noun patterns can readily be identified as active participle, noun of place, noun of instrument, or verbal noun, to name a few. Because patterns are limited to giving grammatical or intralinguistic information, there are fewer Arabic patterns than roots.

### 3.3 Derivational Morphology: Roots, Patterns, and Vocalisms

Most Arabic words are analyzed as consisting of two morphemes – a root and a pattern – interlocking to form one word. Neither an Arabic root nor a pattern can be used in isolation; they need to connect with each other in order to form actual words.

An example letter sequence is illustrating the morphological process which is */شہر/* */Shr/* this sequence is a *root*: a series of three, or sometimes four, letters (radicals) that signifies some broad set of concepts. The set of concepts expressed by words of a given root may be related, but may also vary widely. A root alone is not a fully-formed word; it has no part of speech, and is usually highly ambiguous in its meaning. In the theory of (McCarthy, 2002: 43) and others, a root is a morpheme. In order to become a word, the root must be combined with two other morphemes, a pattern and a vocalism. For instance, the root */شہر/* */Shr/* can combine with the *pattern* */فعل f ? l/*, where ‘*f*’ represents the first radical, ‘*?*’ represents the second radical, and ‘*l*’ the third radical. By combining the root with this pattern, the stem */ شہر /* */Shr/* is realized. The *vocalism* is the third morpheme, crucial both to the pronunciation of the word and to giving the word its specific grammatical properties. The vocalism */a-a-a/*, when combined with this root and pattern, forms [شہر] [Sahara], now a fully-formed word with a dictionary-defined meaning: “made well-known, famous, renowned, notorious.” The verb is in the perfect tense, and agrees with a subject that is third person, singular, and masculine.

Each pattern and vocalism is part of a paradigm. There are approximately 14 paradigms, each with its own pattern and set of vocalisms. These paradigms are

However, the boundaries between derivation and inflection are not as clear-cut in Arabic as they are in English because Arabic morphology works on different principles, and because Arabic morphological theory views elements of word structure and sentence structure from a different perspective .

(Watson, 2007:4) states that Arabic has a rich morphology characterized by a high degree of affixation, interspersed vowel patterns, and roots in word stems. Arabic is a Semitic language. The grammatical system of the Arabic language is based on a root-and-pattern structure and Arabic is considered as a root-based language with many roots and patterns .The root is the bare verb form. It is commonly three or four letters and, rarely, five. Pattern can be thought of as a template adhering to well-known rules. Arabic words are divided into nouns, verbs, and particles. Nouns and verbs are obtained from roots by applying templates to the roots in order to generate stems and then by introducing prefixes and suffixes.

### 3.2.1 A definition of root

A **root** is a relatively invariable discontinuous bound morpheme, represented by two to five phonemes, typically three consonants in a certain order, which interlocks with a pattern to form a stem and which has lexical meaning(Ryding,OPCIT:47).

The root morpheme /k-t-b/ is “discontinuous” because vowels can be interspersed between those consonants; however, those consonants must always be present and be in the same sequence: first /k/, then /t/, then /b/. The usual number of consonants in an Arabic root is three and these constitute “by far the largest part of the language” (Haywood and Nahmad, 1962: 261). However, there are also two-consonant (bilateral), four-consonant (quadrilateral) (such as z-l-z-l, b-r-h-n, t-r-j-m), and five-consonant roots (quinquilateral) (such as b-r-n-m-j).

The root is said to contain lexical meaning because it communicates the idea of a real-world reference or general field denotation (such as “writing”). It might say that a lexical root is denoting a semantic field because it is within that field that actual words come into existence, each one crystallizing into a specific lexical item.

### 3.2.2 A definition of pattern

A **pattern** is a bound and in many cases, discontinuous morpheme consisting of one or more vowels and slots for root phonemes (radicals), which either alone or in combination with one to three derivational affixes, interlocks with a root to form a stem, and which generally has grammatical meaning (ibid:48).

The pattern is defined as discontinuous because it intersperses itself among the root consonants (as in the word *kaatib*). It is considered as a kind of template onto which different roots can be mapped (ibid). The derivational affixes mentioned in the definition include the use of consonants that mark grammatical

the class of count nouns; non-count nouns (such as *rice* and *milk*) regularly do not take plural. In contrast to the inflectional verbal and nominal endings just mentioned, not all verbs take the adjectival suffix *-ive*, nor do all count nouns take adjectival suffix *-al*.

The nature of the restrictions that are responsible for the impossibility in derivational morphology in general are not always clear, but are often a complex mixture of phonological, morphological and semantic mechanisms. One can say, no matter what these restrictions in derivational morphology turn out to be, inflectional domains usually lack such complex restrictions.

### 3. Arabic Affixation

#### 3.1 From Words to Morphemes

The main language modeling challenge posed by Arabic is brought on by its complex *morphology*, the way that words are built up from smaller parts. In Arabic, as in English, most words can be broken down into morphemes. Three morphemes comprise each word: a prefix, a stem, and a suffix. Taken together, prefixes and suffixes are called *affixes*. For instance, in the English word *unthinkable*, there is a prefix: *un-*, a stem: *think*, and a suffix: *-able*. The affixes *un-* and *-able* are used in many English words with reliable meaning.

#### 3.2 Arabic Word Formation

Morphology, or word structure, revolves around the organization, rules, and processes concerning meaningful units of language, whether they are words themselves or parts of words, such as affixes of various sorts. Meaningful components and subcomponents at the word level are referred to as morphemes (Aranoff, 1976:7). Arabic morphology is different from English in some very basic respects but it is highly systematic. In fact, Arabic and the Semitic languages have had substantial influence on the development of certain key concepts in theoretical morphology (ibid:9).

Theories of word structure, or morphology, usually focus on two essential issues: how words are formed (**derivational or lexical morphology**) and how they interact with syntax (**inflectional morphology**, e.g., marking for categories such as gender, number, case, tense).

Ryding (2005:44) defines derivational or lexical morphology as the principles governing word formation (such as analysis of the English words “truthful” or “untruthfulness” derived from the base word “true”). While Inflectional morphology describing how words vary or inflect in order to express grammatical contrasts or categories, such as singular/plural or past/present tense. Derivation, since it is the process of creating words or lexical units, is considered procedurally prior to inflection, which subsequently acts upon the word stem and modifies it, e.g. affixing /-s/ in English for plural, or /-ed/ for past tense). These are two fundamental categories, therefore, in approaching language structure.

syntax whether the noun ends in *-er*, *-ee*, *-ion*, or whether the noun is morphologically complex at all. In that sense, derivational suffixes are not relevant for the syntax.

Concerning the position of the morphemes, in English derivational morphemes can occur at either end of the base words whereas regular inflection is always expressed by suffixes. Only irregular inflection makes use of non-affixational means, as for example in *mouse* - *mice* or *sing* - *sang*. There is no inflectional prefix in English. Furthermore, forms like *workers* or *colonializing* indicate that inflectional morphemes always occur outside derivational morphemes, they close the word as closed system, while derivational suffixes like *un-truthful-ness* or *dis-establish-ment-arian-ism*, can and do occur inside other derivational suffixes and involve many variables in an open system (Bauer, Opcit.29 ).

Additionally, there is a difference related to the part of speech. The suffixes in the derivation change the part of speech of the base word. For instance, the suffixation of *-less* makes an adjective out of a noun, the suffix *-ity* makes a noun out of an adjective, and the suffix *-ize* turns an adjective into a verb. The inflectional suffixes do not change the category of the base word. A plural marker on a noun does not change the category, nor does the past tense marker on the verb. However, not all derivational affixes are category-changing, for example, *post-war*, *decolonialize*, *non-issue*), or by the nominal suffix *-ism*, which can attach to nouns to form nouns (e.g. *Terrorism*).

Derivation has a property which is not found in inflection exemplified by the two derivatives *interview* and *curiosity*. that is called semantic opacity. If you consider the meaning of *interview* and the meaning of the ingredient morphemes *inter-* and *view*, you can observe that the meaning of *interview* is not the sum of the meaning of its parts. The meaning of *inter-* can be paraphrased as 'between', that of (the verb) *view* as 'look at something' (definitions according to the *Longman Dictionary of Contemporary English*), whereas the meaning of (the verb) *interview* is 'to ask someone questions, especially in a formal meeting'. Thus the meaning of the derived word cannot be inferred on the basis of its constituent morphemes, it is to some extent opaque, or nontransparent. Nontransparent formations are quite common in derivational morphology, but rare in inflection.

Closely related to this generalization is the fact that inflectional categories tend to be fully productive, whereas derivational categories often show strong restrictions as to the kinds of possible combinations. A productive morpheme is one that can be attached regularly to any word of the appropriate class. For example, a morpheme expressing past tense can occur on all regular main verbs. And a morpheme expressing plural on nouns can be said to be fully productive, too, because all count nouns can take plural endings in English (some of these endings are irregular, as in *ox-en*, but the fact remains that plural morphology as such is fully productive). Note that the 'appropriate class' here is

---

compounding as part of word-formation (or rather:lexeme formation) (Bauer, 1983:22).

If we look at the following data which show further characteristics by which the two classes of morphological processes, inflection vs. word-formation, can be distinguished

a. derivation

*worker*

*useless*

*untruthfulness*

*interview*

*curiosity*

*passivize*

*Terrorism*

b. inflection

(the) workers (noun plural)

(is) discussing (present participle)

(she) works (present third-person singular)

(we) picked (past tense)

chosen game (past participle)

Susan's (house) (noun possessive)

She is older (comparative)

She is the oldest (superlative) (Stageberg, 1971:112).

As previously mentioned, the most critical difference is that inflectional morphemes encode grammatical categories such as plural (*workers*), person (*works*), tense (*picked*), or case (*Susan's*). These categories are related to the building of sentences and are referred to by the grammar. For example, there is a grammatical rule in English that demands that a third person singular subject is followed by a verb that is also marked as third person singular. This is called subject-verb agreement, which is also relevant for plural marking in sentences (*The views are/is wonderful*). The plural and person suffixes are therefore syntactically relevant, hence inflectional.

One can say that the suffix *-er* in *worker* is also syntactically relevant, in the sense that it is important for the syntax whether a word is a noun or a verb. That is of course true, but only in a very limited way. Thus, it is not relevant for the

Modifying verbs and nouns (with similar bracketing problems as those mentioned above for *dis-*), *mis-* conveys the meaning ‘inaccurate(ly), wrong(ly)’: *misalign*, *mispronounce*, et.

#### *non-*

When attached to adjectives this prefix has the general meaning of ‘not X’: *nonbiological*, *non-commercial*, *non-returnable*. In contrast to *un-* and *in-*, negation with *nondoes* not carry evaluative force, as can be seen from the pairs *unscientific* vs. *nonscientific*, *irrational* vs. *non-rational*.

#### *un-*

*un-* can attach to verbs and sometimes nouns (mostly of native stock) to yield a reversative or privative (‘remove X’) meaning: *unbind*, *uncork*.

### 2.3 Infixation

Morphologists mainly agree that English has no infixes. However, there is the possibility of inserting expletives in the middle of words to create new words expressing the strongly negative attitude of the speaker (e.g. *kanga-bloody-roo*, *absoblooming-lutely*). Thus we could say that English has a process of infixation of (certain) words, but there are no bound morphemes that qualify for infix status(*ibid*).

In this section we have looked at numerous affixational processes in English. A survey of affixes was provided that exemplified the wide range of derivational patterns available in the language. We saw that suffixation and prefixation are very common, whereas infixation is a marginal and extremely restricted phenomenon in English word-formation.

### 2.4 Inflection and derivation

‘word-formation’ is the study of the ways in which new complex words are built on the basis of other words or morphemes (Matthews, 1974:132). If we consider the italicized words in *kicks* in He *kicks* the ball. or *drinking* in The baby is not *drinking* her milk. They should be regarded as ‘new words’ according to the definition. The italicized words in are certainly complex words, both of them consist of two morphemes. *Kicks* consists of the verb *kick* and the third person singular suffix -s, *drinking* consists of the verb *drink* and the participial suffix –*ing*. However, we would not want to consider these complex words ‘new’ in the same sense as we would consider *kicker* a new word derived from the verb *kick*. Here the distinction between word-form and lexeme is useful. We would want to say that suffixes like participial -*ing*, plural -s, or third person singular -s create new word-forms, i.e. grammatical words, but they do not create new lexemes. In contrast, suffixes like -er and -ee (both attached to verbs, as in *kicker* and *employee*), or prefixes like *re-* or *un-* (as in *rephrase* or *unconvincing*) do form new lexemes. On the basis of this criterion (i.e. lexeme formation), a distinction can be made between **inflection** (i.e. conjugation and declension in traditional grammar) as part of the grammar on the one hand, and **derivation** and

Third, there are temporal prefixes expressing notions like ‘before’ (*ante-*, *pre-* and *fore-*, as in *antechamber*, *antedate*, *preconcert*, *predetermine*, *premedical*, *forefather*, *foresee*), ‘after’ (*post-*, *poststructuralism*, *postmodify*, *postmodern*), or ‘new’ (*neo-*, *neoclassical*, *Neo-Latin*). A fourth group consists of prefixes expressing negation (*a(n)-*, *de-*, *dis-*, *in-*, *non-*, *un-*).

Numerous prefixes do not fit into any of the four groups, however, and express diverse notions, such as ‘wrong, evil’ (*mal-*, *malfunction*, *malnutrition*), ‘badly, wrongly’ (*mis-*, *misinterpret*, *mistrial*), etc. The vast majority of prefixes do not change the syntactic category of their base words, they merely act as modifiers (Katamba and Stonham, 2006: 138). Furthermore, it can be observed that they generally attach to more than one kind of syntactic category (verb, adjective, or noun) and do not influence the stress pattern of their bases (Robert, 1978:200).

In the following we look in more detail at the negative prefixes and two of their close relatives, *mis-* and *anti-*. The negative prefixes appear to be more complex in their distribution and behavior than most of the other suffixes and their domains overlap considerably.

#### *a(n)-*

This prefix only occurs in Latinate adjectives. With denominal adjectives, the meaning can either be paraphrased as ‘without what is referred to by the nominal base’, cf. for example *achromatic* ‘without color’, *asexual* ‘without sex’, or can be paraphrased as ‘not X’, as in *ahistorical*, *asymmetrical*.

#### *anti-*

This polysemous prefix can express two different, but related notions. In words like *anti-war*, *anti-abortion*, *anti-capitalistic*, *anti-scientific*, *anti-freeze*, *anti-glare* it can be paraphrased as ‘against, opposing’.

#### *de-*

This prefix attaches to verbs and nouns to form reversative or privative verbs: *decolonize*, *decaffeinate*, *deflea*, *depollute*, *dethrone*, *deselect*. Very often, *de-* verbs are parasyntactic formations, as evidenced by, *decaffeinate*. *dis-*

Closely related semantically to *un-* and *de-*, the prefix *dis-* forms come from foreign verbal bases: *disassemble*, *disassociate*, *discharge*, *disconnect*.

#### *in-*

This negative prefix is exclusively found with Latinate adjectives and the general negative meaning ‘not’: *inactive*, *intolerable*, *implausible*, *illegal*.

#### *mis-*

**-ish**

This suffix can attach to adjectives (e.g. *clearish*, *freeish*, *sharpish*), numerals (*fourteenish*, *threehundredfourtyish*).

**-ive**

This suffix forms adjectives mostly from Latinate verbs and bound roots that end in [t] or [s]: *connective*, *explosive*, *fricative*, *offensive*, *passive*.

**-less**

Semantically, **-less** can be seen as antonymic to **-ful**, with the meaning being paraphrasable as ‘without X’: *expressionless*, *hopeless*, *speechless*.

**-ly**

This suffix is appended to nouns and adjectives. With base nouns denoting persons, **-ly** usually conveys the notion of ‘in the manner of X’ or ‘like an X’, as in *brotherly*, *daughterly*, *fatherly*, *womanly*.

**-ous**

This suffix derives adjectives from nouns and bound roots, the vast majority being of Latinate origin (*curious*, *barbarous*, *famous*, *synonymous*).

**2.1.4 Adverbial suffixes****-ly**

The presence of this exclusively de-adjectival suffix is for the most part syntactically obligatory, and it can therefore be considered inflectional.

**-wise**

This suffix derives adverbs from nouns, with two distinguishable sub-groups: manner/dimension adverbs, and so-called view-point adverbs. The former adverb type has the meaning ‘in the manner of X, like X’ as in the towel wound sarongwise about his middle, or indicates a spatial arrangement or movement, as in The cone can be sliced lengthwise.

**2.2 Prefixes**

Plag (ibid:98) believes that prefixes of English can be classified semantically into the following groups: firstly, there is a large group that quantify over their base words meaning, for example, ‘one’ (*uni-*, *unilateral*, *unification*), ‘twice or two’ (*bi-*, *bilateral*, *bifurcation* and *di-*, *disyllabic*, *ditransitive*), ‘many’ (*multi-*, *multi-purpose*, *multi-lateral* and *poly-*, *polysyllabic*, *polyclinic*), ‘half’ (*semi-*, *semi-conscious*, *semi-desert*), etc.

Secondly, there are numerous locative prefixes such as *circum-* ‘around’ (*circumnavigate*, *circumscribe*), *counter-* ‘against’ (*counterbalance*, *counterexample*), *endo-*‘internal to X’ (*endocentric*, *endocrinology*), etc.

adjective. For example, *algebraic mind* means ‘a mind having to do with algebra, referring to algebra, characterized by algebra’. On the other hand, there is a large group of derived adjectives that express more specific concepts, and which are often called qualitative adjectives. Sometimes, relational adjectives can adopt qualitative meanings, as can be seen with the derivative *grammatical*, which has a relational meaning ‘having to do with grammar’ in the sentence *she is a grammatical genius*, but which also has a qualitative sense ‘conforming to the rules of grammar’, as in *this is a grammatical sentence*.

#### *-able*

The suffix chiefly combines with transitive and intransitive verbal bases, as in *deterrible* and *perishable*, respectively, as well as with nouns, as in *serviceable*, *fashionable*.

#### *-al*

This relational suffix attaches almost exclusively to Latinate bases (*accidental*, *colonial*, *cultural*, *federal*, *institutional*, *modal*).

#### *-ary*

Again a relational adjective-forming suffix, *-ary* usually attaches to nouns, as in *complementary*, *evolutionary*, *fragmentary*, *legendary*, *precautionary*.

#### *-ed*

This suffix derives adjectives with the general meaning ‘having X, being provided with X’, as in *broad-minded*, *pig-headed*, *wooded*.

#### *-esque*

The suffix *-esque* is attached to both common and proper nouns to convey the notion of ‘in the manner or style of X’: *Chaplinesque*, *picturesque*.

#### *-ful*

Adjectival *-ful* has the general meaning ‘having X, being characterized by X’ and is typically attached to abstract nouns, as in *beautiful*, *insightful*, *purposeful*, *tactful*, *forgetful*, *mournful*, *resentful*).

#### *-ic*

Being another relational suffix, *-ic* also attaches to foreign bases (nouns and bound roots). Quite a number of *-ic* derivatives have variant forms in *-ical* (*electric* - *electrical*, *economic* - *economical*, *historic* – *historical*).

#### *-ing*

This verbal inflectional suffix primarily forms present participles, which can also be used as adjectives in attributive positions (and as nouns, see above).

**-ion**

This Latinate suffix has three allomorphs: when attached to a verb in *-ify*, the verbal suffix and *-ion* surface together as *-ification* (*personification*).

**-ist**

This suffix derives nouns denoting persons, mostly from nominal and adjectival bases (*ballonist*, *careerist*, *fantasist*, *minimalist*).

**-ity**

Words belonging to this morphological category are nouns denoting qualities, states or properties usually derived from Latinate adjectives (e.g. *curiosity*, *productivity*, *profundity*, *solidity*).

**-ship**

The suffix *-ship* forms nouns denoting ‘state’ or ‘condition’, similar in meaning to derivatives in *-age*, *-hood* and *-dom*. Like *friendship*, *relationship*.

### 2.1.2. Verbal suffixes

There are four suffixes which derive verbs from other categories (mostly adjectives and nouns), *-ate*, *-en*, *-ify* and *-ize*.

**-ate**

Forms ending in this suffix represent a rather heterogeneous group. There is a class of derivatives with chemical substances as bases, which systematically exhibit so called or native and resultative meanings. These can be paraphrased as ‘provide with X’ (or native), as in *fluorinate*.

**-en**

The Germanic suffix *-en* attaches to monosyllables that end in a plosive, fricative or affricate. Most bases are adjectives (e.g. *blacken*, *broaden*, *quicken*, *ripen*), but a few nouns can also be found e.g. *strengthen*, *lengthen*.

**-ify**

This suffix attaches to base words that are either monosyllabic, stressed on the final syllable or end in unstressed /ɪ/. Neologisms usually do not show stress shift, but some older forms do (*húmid* - *humídify*, *sólid* - *solídify*).

**-ize**

Both *-ize* and *-ify* are polysemous suffixes, which can express a whole range of related concepts such as locative, ornative, causative/factitive, resultative, inchoative, performative, similative.

### 2.1.3 Adjectival suffixes

The adjectival suffixes of English can be subdivided into two major groups. A large number of derived adjectives are relational adjectives, whose role is simply to relate the noun the adjective qualifies to the base word of the derived

As already mentioned in connection with the suffix *-ancy*, this suffix attaches productively to adjectives in *-ant/-ent* (e.g. *convergence*, *efficiency*, *emergence*), or *agency*, *presidency*, *regency*.

#### *-dom*

The native suffix *-dom* is semantically closely related to *-hood*, and *-ship*, which express similar concepts. *-dom* attaches to nouns to form nominals which can be paraphrased as 'state of being X' as in *apedom*, *clerkdom*, , or which refer to collective entities, such as *professordom*, *studentdom*, or denote domains, realms or territories as in *kingdom*, *cameldom*, *maoridom*.

#### *-ee*

The meaning of this suffix can be rather clearly discerned. It derives nouns denoting sentient entities that are involved in an event as non-volitional participants. Thus, *employee* denotes someone who is employed, a *biographee* is someone who is the subject of a biography.

#### *-eer*

This is another person noun forming suffix, whose meaning can be paraphrased as 'person who deals in, is concerned with, or has to do with X', as evidenced in forms such as *auctioneer*, *budgeteer*, *cameleer*, *mountaineer*.

#### *-(e)ry*

Formations in *-(e)ry* refer to locations which stand to connect to what is denoted by the base, like: *bakery*, *brewery*, *fishery*, *pottery*.

#### *-ess*

This suffix derives a comparatively small number of mostly established nouns referring exclusively to female humans and animals (*princess*, *stewardess*, *lioness*, *tigress*, *waitress*, *hostess*, *burgheress*, *clerkess*).

#### *-ful*

The nominal suffix *-ful* derives measure partitive nouns (similar to expressions such as *a lot of*, *a bunch of*) from nominal base words that can be construed as containers: *bootful*, *cupful*, *handful*, *tumblerful*, *stickful*.

#### *-hood*

Similar in meaning to *-dom*, *-hood* derivatives express concepts such as 'state' (as in *adulthood*, *childhood*, *farmerhood*), and 'collectivity' (as in *beggarhood*, *Christianhood*,*companionhood*).

#### *-an* (and its variants *-ian*, *-ean*)

Nouns denoting persons and places can take the suffix *-an*. Derivatives seem to have the general meaning 'person having to do with X' (as in *technician*).

(Crystal, OPC.:12) states that affixes are limited number in a language, and are generally classified into three types, depending on their position with reference to the root or stem of the word: those which are added to the beginning of a root/stem are called (prefixes), e.g. *unhappy*; those which follow are (suffixes), e.g. *happiness*; and those which occur within a root/stem are (infixes). There are some other less common terms include **circumfix** or **ambifix**, for a combination of prefix and suffix (as in *en-light-en*). The morphological process whether adds grammatical or lexical information to a stem is known as **affixation** ('prefixation', 'suffixation', 'infixation').

## 2.1. Suffixes in English Language

### 2.1.1 Nominal suffixes

Plag (2002:97) states that nominal suffixes are frequently employed to derive abstract nouns from verbs, adjectives and nouns. Such abstract nouns can indicate actions, results of actions, or other related concepts, but also properties, qualities and the like. Another large group of nominal suffixes derives person nouns of various sorts. Very often, these meanings are extended to other, related senses so that practically each suffix can be shown to be able to express more than one meaning, with the semantic domains of different suffixes often overlapping. There are many example of nominal suffixes like:

#### -age

This suffix derives nouns that express an activity (or its result) as in *coverage*, *leakage*, *spillage*, and nouns denoting a collective entity or quantity, as in *acreage*, *voltage*, *yardage*.

#### -al

A number of verbs take -al to form abstract nouns denoting an action or the result of an action, such as *arrival*, *overthrowal*, *recital*, *referral*.

#### -ance (with its variants -ence/-ancy/-ency)

Attaching mostly to verbs, -ance creates action nouns such as *absorbance*, *riddance*, *retardance*. The suffix is closely related to -cy/-ce, which attaches productively to adjectives ending in the suffix -ant/-ent. Thus, a derivative like *dependency* could be analyzed as having two suffixes (*depend-ent-cy*) or only one (*depend-ency*). (Marchand 1969:248).

#### -ant

This suffix forms count nouns referring to persons (often in technical or legal discourse, cf. *applicant*, *defendant*, *disclaimant*), *attractant*, *dispersant*.

#### -cy/-ce

## 2. What is an affix?

'Affix' is a bound morpheme that attaches to bases or stem (Robert, T, 1993:11). It is a collective term for the types of formative that can be used only when added to another morpheme (the root or stem), e.g. **un**happy or **happiness**, etc. (Crystal, 1998:12). Although this seems like a clear definition, there are at least two major problems. First, it is not always easy to say whether something is a bound morpheme or a free morpheme, and second, it is not always obvious whether something should be regarded as a root or an affix.

Bound morpheme is one that must appear with at least one other morpheme (Robins, 1971:196) .It is a morpheme that can only occur if attached to some other morpheme. When we apply this definition to the affixes *-free*, *-less*, *-like*, and *-wise* in morphemes like error-free, careless, lawless, prison-like, it turns out that all four morphemes also occur on their own, and should therefore be classified as free morphemes, and not as affixes.

We can say that an element can occur both as part of a complex word and as a free morpheme. In such cases, only a careful analysis of its linguistic properties can reveal whether the element in question is really the same in both cases. If there are significant differences between the two usages we can safely assume that we are dealing with two different items. If there are no significant differences, the element should be treated as a free morpheme and the pertinent complex word as a compound.

The second problem is concerned with the notion of affix, namely the distinction between an affix and a bound root. Affixes are also obligatorily bound; it is not particularly obvious what the difference between a bound root and an affix may be. (Root is a form which is not further analyzable, either in terms of derivational or inflectional morphology (Bauer, 1983:20). It is the central meaningful element of the word, to which affixes can attach. But when can we call an element central, when non-central? This problem is prominent with a whole class of words which are formed on the basis of morphemes that are called neoclassical elements. These elements are lexemes that are originally borrowed from Latin or Greek, but their combinations are of modern origin. Examples of neoclassical word-formation like *biochemistry*, *photograph*, *geology* *biorhythm* *photoionize* , *biology*, etc.

It is not clear whether the italicized elements should be regarded as affixes or as bound roots. If *bio-* is considered prefix, and *-logy* is suffix, we are faced with the problem that words such as *biology* would consist of a prefix and a suffix. However, we are not dealing here with affixes, but with bound roots, so that we are in fact talking about cases of compounding, and not of affixation. Speakers of English that are familiar with such words or even know some Greek would readily say that *bio-* has the meaning 'life', so they behave as compounds on the basis of native words. For instance, a *blackboard* is a kind of board, a *kitchen sink* is a kind of sink, a *university campus* is a kind of campus, etc.

## **Contrastive and Comparative Study of Affixation in English and Arabic Languages**

Shaima' Al-Mi'mar

Kerbala University  
College of Education  
Department of English

### **1. Introduction:**

Affixation is a morphological process that adds phonological material to a word in order to change its meaning, syntactic properties, or both (Stranz, 2005:11). It is the morphological process in which a grammatical or lexical information is added to a stem to form: ('prefixation', 'suffixation', 'infixation').

It is important to understand that the comparison between English and Arabic suffixation is an interesting subject to investigate. Therefore, this study attempts to identify, analyze, and contrast the process of affixation in these two languages in order to reveal the possible universals of the two languages in this field, and to determine as much as possible the similarities and differences between them.

This study provides a general view of the affixation processes in English and Arabic Languages. Section one discusses some related concepts like affix, affixations. Then some general properties that characterize the system of English affixation are introduced, and a survey of some range of suffixes, prefixes, and infixation is presented. Finally derivations and inflection are investigated.

Section two sheds some light on Arabic word formation, some definitions of root, pattern. Then derivational morphology and inflectional morphology as affixes and clitics also investigate.

Finally, section three is specified to discussion and conclusions.

## **Editorial Issue**

### Karbala : The Capital of Revolution

Revolutions do not take place out of vacuum and they never come out from the unknown womb, but they occur from the history of the glory of the nation. They take their power from the stands of the Muslims who stood against the regime and oppression shedding their blood on the way of freedom. Above all ,is Imam AL Hussain bin Ali whose anniversary of his martyrdom passed few days ago.

Al Hussain set a lively example to be followed by all revolutionists throughout history even for non-Muslims like Ghandi and Jivera .Al Hussain was dug in their hearts considering him as source of power in the struggle against the powers of regime and tyranny .

Undoubtedly ,the history of Al Hussain's revolution found its way to Arab revolutions whose slogans were 'No to Humiliation '. This slogan Which AlHussain called for on the day of Ashoraa;:The so-called ,son of the so-called , has given two options : death or humiliation , when Al Hsussain said no for humiliation. This call changed into a spark which created the spirit of revolution among the suppressed people.

Thus Al Hussain inspired the revolutionists, paving for them the way to revolution and styles of challenge, putting between their hands the way to victory which is accompanied with blood rather than power of the sword

The blood which was shed in karbala on the tenth of Muharam ,61 Hijri outraged the tyrant's thrown Yazeed and those who ruled after him , even after many years ,The blood enhanced the spirit of revolutions which we witnessed in Tunisia and Egypt .overcoming the canon and rifles From the above facts ,Karbala has become a holy place to be visited by revolutionists throughout the his story ,All revolutions passed through this path and considered its land as a weapon for them a few days ago, we witnessed millions of visiting who come to karbala from all over the world on the occasion of the passage of forty days after All Hussain Martyrdom to witness the drama of the victory of blood against the sword and to emphasize again that karbala is not an ordinary city rather the capital of all revolutions that happened before and those on the way .

<b>-THE CONSTITUTIONAL AND RESTRICTIONS ON THE WORK OF THE EXECUTIVE AND LEGISLATIVE POWERS IN IRAQ.....</b>	
Mr. Khaled Abd-Al-Amir Al-Jaroush	
Mr. Jawad Rasha Shakir Hamid	
<b>-THE APPEARANCE OF RESURRECTION AND DEATH IN LABEED'S AND AL SAYAB'S WORKS.....</b>	
Dr. Layla Naid Atia Al-Khafaji	
<b>-THE POLITICAL RESPONSIBILITY OF THE EXECUTIVE BODY (CONTRASTIVE STUDY ) .....</b>	
Mr. Maytham Husein Al-Shafei	
<b>- THE POETRY OF URGING IMAM AL MAHDI (PBOH) IN ABUL HAB ALKABEER .(A STUDY IN THE OBJECTIVE CONNOTATION ) .....</b>	
Prof. Dr. Abud Judi Al-Hilli	
Ms. Rawaya Mohammad Hadi Hasun Al-Kalash	
<b>-THE INFLUENCE OF IMAM ALI'S SPEECH IN LITERATURE .....</b>	
Mr. Sayed Mohammad Reza Ebn Al-Rasul	
Ms. Fahima Sultan Nezad	
<b>-MR HASSAN NASRULAH IN CONTEMPORARY POETRY .....</b>	
Dr. Abd-Al-Ali A'l Buye	
Ms. Peyvand Safari	
Dr. Abd-Al-Husein Abbas Al-Hilli	
<b>-AL TEEBAQ IN AL SAHIFA AL SAJADIYAH .....</b>	
Dr. Jafar Ashur	
Ms. Huda Husein	
<b>-PROSTRATION IS THE BEST PICTURE FOR HUMILIATION FOR GOD .....</b>	
Mr. Farid Al-Arabi	
Mr. Sayed Masoud Siadati	
<b>-WISDOM IN AL SAALEEK POETRY (ANALYTIC STUDY).....</b>	
Dr. Ammar Al-Masoudi	

## Contents

<b>Editorial .....</b>	5
<b>CONTRASTIVE AND COMPARATIVE STUDY OF AFFIXATION IN ENGLISH AND ARABIC LANGUAGES.....</b>	
Shaima' Al-Mi'mar	
<b>Arabic Researches</b>	
<b>-EDITORIAL .....</b>	
<b>-PIONEER POETS AND COMPOUND POETRY .....</b>	
Prof. Dr. Abud Judi Al-Hilli	
Mr. Alawy Kadhem kishish	
<b>-THE PROPHET'S HOUSEHOLD (PBOT) IN AL SAHIFA ALSAJADIYAH (IMPLIED READING ).....</b>	
Prof. Dr. Hakim Habib Al-griti	
<b>- THE PHENOMENA OF THE MONETARY INFLATION IN IRAQ AND ITS ECONOMICAL REFLEXIONS .....</b>	
Asst. Prof. Dr. Kamal Abed Hamed Al Ziara	
Asst. Prof. Dr. Hikmat Abd-Al-Razaq Al-Dabagh	
<b>-THE MOTHER'S ROLE IN MOVING THE NATIONALITY TO THE CHILDREN IN ARABIC AND IRAQI LEGISLATIONS.(CONTRASTIVE STUDY) .....</b>	
Dr. Hasan Al-Yaseri	
<b>-METHODS AND STYLES OF COMMANDS , NEGATIONS AND INTERROGATIONS IN PART OF ALSAHIFA ALSAJADOYAH (THE BLESSED DAYS AS SAMPLE ) .....</b>	
Asst. Prof. Dr. Baqir Jawad Al-Zojaji	
Asst. Prof. Dr. Mohammad Mohsin Al-Asadi	
<b>AL KADHUMAIN CITY ,RELIGIOUS- TOURIST SYMBOL (HISTORICAL STUDY) .....</b>	
Mr. Ali Jasim Talal Al-Mosawi	
<b>-CRITICAL STUDY IN THE CONCEPT OF RENAISSANCE IN ARABIC SYNTAX IN SHAWQI DHAIF'S WORKS .....</b>	
Mr. Mohammad Baqir Al-Huseini	
Mr. Ahmad Hanafi Zade	
<b>-THE USE OF SEMANTIC ARTICLES AND THEIR EFFECT ON THE RHYTHMIC STRUCTURE IN AL JAWAHR'I'S WORKS .....</b>	
Mr. Jawad Oude Sabhan	

# **Consultant staff**

Prof. Dr.  
Hassan A. Al-Zaal

Prof. Dr.  
Hakim M. Mohammed

Prof.Dr.  
Nadhim Shiko.

Prof. Dr.  
Khadija Al-Hadithy.

Prof.Dr.  
Abbas Zboon Al-Aboodi

Prof. Dr.  
Subhe N. Hussein

Prof. Dr.  
Hadi Hussein Al-Gara'awi

In The Name Of Allah Most Gracious, Most Merciful

ISSN 1819-2033

issue:12

# Ahlulbait

Refereed Journal (Quarterly)  
Issued By Ahlulbait University

**Chief Editor**  
prof.Dr. Abbood J Al-Hilli

**Editorial Secretary**  
Dr. Baqer Jawad Al-Zajajy

**Editors**  
Dr. Mohammed A. Al-Khateeb  
Dr. Hassan Hantoush Rashid  
Dr. Hakmat Aobaid Hassan  
Dr. Mehdi Dakhel Al-Aobaidi  
Dr. Kamal Abed-Hamed Al-Ziyara  
Dr. Abid Hamza Muhsin

---

Karbala, Fatimah-al-Zahra street, P.O.Box: 1019,Tel: 351257-9  
[karbala@ahlulbaitonline.com](mailto:karbala@ahlulbaitonline.com) , [www.ahlulbaitonline.com](http://www.ahlulbaitonline.com)

---